نفحات الأنس

من حضرات القدس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

[مقدمة المعرب]

إنَّ أذكى نَفَحات، وأزكَى رشحات، وأزهرَ زهر منثور عليها من جمال الهَوَاطِل جواهرُ السُّحب الضاحكات، وأبهى عمل طيِّبٍ يرفعه الكلم الصالحاتُ الباقيات، حمدُ الله الذي أنبع الوجودَ بما لَه من النَّفحات، وأطلعَ فيه شموسَ الهداية(١) المستنيرة المشْرِقة المُشَرَّفَة بجميل الصفات، وشرح صدورَ قومٍ، فاقتبسوا بأحسن سلوكٍ شريفةَ الأنوار، واجتلَوا - إذْ خلَوا عن الأكوان - عرائسَ ما لمكوِّنها، سبحانه، في ضِمن طيِّها من النفحات والأسرار، فقاموا بالله، ومن قام به أنار له الكونُ، وصحبه العونُ، ودارت عليه آنية(٢) المعارف الأسوار.

(٣ ولا يزال ذلك السرُّ الإلهي يبدو في خبايا زوايا الرجال، صدورِ موارد الإيراد والإصدار، فيكتمون ما استُودعوه من السرِّ الإلهي، وقلوبُ الأحرار قبورُ الأسرار،)(٣) يتبالَهُون وهم مُستهترون وَلِعون، والبُلْه أكثرُ أهل الجنة(٤)، وإمامُهم أمامَهم(٥) في الشرائع والحقائق؛ الكتابُ والسنة.

---

(١) في (ص): البداية.

(٢) في (ف) والمطبوع: أبنية، وفي (ح): من آنية.

(٣-٣) ما بينهما ليس في (ب).

(٤) البَلَه: الغفلة عن الشر، وأن لا يُحسنه، والأبله الذي غلب عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس. قال رسول الله ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله» أي البله في أمر الدنيا، لقلَّة اهتمامهم، وهم أكياس في أمر الآخرة. اللسان (بله).

(٥) لفظة أمامهم ليست في (ب).

أحمده، إذ الكتابُ والسنة شرَّفنا[1]، وأشرق[2] في قلوبنا من أنوارَ تلك النفحات، وجلا بصائرَنا بأنوار عرفانه، فاستنارت بذلك النور البصائرُ واللحظاتُ، فعرفنا[3] الحقَّ بالحقِّ، ومن عرف كذلك أَمِن الشُّبهات، ووَقَرَ في قلوبنا النور الإلهي، ومن وقر في قلبه ذلك عطاءً من ربِّه، فهنيئاً له الثبات.

وأشكره، وهو الشكور[4]، والرزَّاق، والوهاب، والعفو، والغفور، أنبع لنا من أرض السلوك ماءً مَعيناً، وأينعَ لنا من ثمار العرفان إيماناً ويقيناً، وأتبعنا بعباده أربابِ الطلب والإرادة، وجعلنا تابعين لأشياخ السلسلة السنية إلى السعادة والسيادة.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الإله الحقُّ الواحد المليك[5] شهادةً وشاحها اليقينُ، ومفتاحها التَّصديقُ والتمكين، وسرُّها النور المكين، وبَرُّها السرُّ الإلهي الكمين، وثمرها التقريبُ المعنوي، وماؤها الماءُ المعين.

وأشهد أنَّ سيدَنا ونبينا محمداً ﷺ عبدُه الأسنى[6]، ورسولُه صاحبُ الأسماء الحسنى، وخليلُه ذو المَوْرِد الأهنَى، وحبيبُه المتوَّج بالغمام، والممنوحُ الكراماتِ أُحاد ومَثْنى؛ عينُ الوجود، وسرُّ وجود كلِّ موجود.

كالشَّمسِ في كَبِدِ السَّماءِ مَحلُّها ... وشعاعُها في سَائر الآفاقِ[7]

مبدأُ مَظاهر الأَحدية، عينُ سِرِّ أسرار الواحدية، مَوْرِدُ النفحات، مَهْبِطُ الرشحات، مُظْهِرُ التجليات، مُظْهِرُ التحليات، مُظْهِرُ البريات، مُظْهِرُ الذات صلىٰ الله عليه وسلم، وشرَّف ومجَّد وعظَّم، وعلى آبائه وإخوانه الأنبياء، وآلِ

---

(١) في (ح): إذ شرفنا.
(٢) في (ب): أشرف.
(٣) في (ب): فقد عرفنا.
(٤) في (ص): المشكور.
(٥) في (ب): وحده ليس له شريك، ألا له الخلق، الواحد الأحد المليك.
(٦) في (ص): ونبينا محمداً عبده ورسوله ﷺ الأسنىٰ.
(٧) البيت لابن الرومي من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المادرائي، الديوان ص ٤٧١ ومطلعها:
لا تكثــرن مــلامــة العشــاق ... فكفــاهــم بــالــوجــد والأشــواق

كلٍّ وصحبه وسلم، وسائر الصالحين الوارثين الأصفياء، ما شَرُف عبدٌ من إلهه بأمر معنوي يعبر عنه بالأدنى والتقريب، فامتلأ بالمعارف، وصار عينَ العوارف، فظفر منه بالتعريب[1]، آمين.

وبعد، فيقول من شرُف باندراجه في جملة العبيد المضافين إليه، وإن كان لا وجودَ له في ذاته عند ذاته، إذا ذكر الوجود لديه، الخارج عن السِّوَى، المتحقِّقُ بسرِّ عين أحدية وجود المولى العبد، مُظْهِر صِدْق الوعد، تاج الدين محمد بن زكريا القرشي العبشمي الأموي العثماني، الحنفي مذهباً، النقشبنديّ مذاقاً ومشرباً، كساه الله حلل العرفان، وأذاقه من رشحات النفحات أنوارَ الإيمان والإيقان لما لمع نورُ القبس، وانشرح القلب واستأنس، وانفسح بضياء العرفان، ولم يركنْ إلى السِّوى في آن، حمله ذلك على تعريب دِرْياق قلوب السالكين من سموم أفاعي النفوس، وتقريب الأشربة النافعة من داء الوقفة[2] والفَتْرة في السير فيه لكلِّ ذائق مأنوس، وذلك في كتاب «النفحات» تأليف صدر العارفين، بدر الواصلين، إمام المحققين، قدوةِ المدقِّقين، مولانا صاحب الفيض الهامي عبدِ الرَّحمن الجامي، قُدِّس سرُّه، ونُوِّر رمسُه وقبره، المشتمل على مقامات ومقالات السادات الذين بذكرهم تَتَنَزَّلُ الرحمات، وبمعارفهم على تعاقب الأوقات، أردتُ - وليس فيَّ مراد إلا مُراد الواحد الوهاب الجواد - عمومَ غيث تلك السحائب للعرب، ثواب العمل الذي منَّ بإيجاده، وسائر القُرَب.

تفديه مُهجَتيَ التي تَلفَتْ ولا مَـنٌّ عليـه لأنَّهـا مـن مـالِـهِ[3]

وعلى الله الكريمِ الاعتمادُ، وإليه التفويضُ والاستنادُ. ومن سطوع النُّور الأحمدي، وهموعِ الغيث المحمَّدي أني أُوصِلْتُ بغاية التقريب، فسكنت[4]

---

(١) في (ب) والمطبوع: بالتقريب.
(٢) في (ص) : وتقريب الأشرفة النافعة في ذي الواقعة.
(٣) البيت لابن الفارض صفحة ١٢٦، من قصيدة مطلعها:
مـا بيـن ضـال المنحنـى وظـلالـه ضـلَّ المُتَيَّمُ واهتـدى بضـلالـه
(٤) في (ب): فكنت.

في روضة الحبيب، والتمستُ شرفَ رضاه، وأن يُتِمَّ للعبد بحصول ذلك سُؤْلَه ومناه، فخدمت في ذلك السَّوح الرحيب روحانيةَ الأولياء الكُمَّل بهذا التعريب[1]، ورجوت أن يكون ذلك سببَ رضاه لي وتقريبي، فحصلَ المُراد وصحَّ المرام، إن شاء الله، بما نطقَ به عام تأريخ ذلك (رضيَ حبيبي)[2]، فنلتُ غرضاً، وحزت من الحبيب الرِّضا، فيا حُسنَ مطلب، ويا شرفَ مأرب به الفضل قضى، فالله المحمودُ وهو الحسيبُ أن يُشرِّفني برضا الحبيب، آمين.

وبعد، قال مولانا:

* * *



---

(١) في (ب) والمطبوع: التقريب.

(٢) قوله: (رضي حبيبي) يعادل في حساب الجُمَّل سنة ١٠٤٢ هجرية، وهو حساب يعتمد على إعطاء كلِّ حرفٍ قيمةً عددية محددة.

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مرايا قلوبِ أوليائه مَجَالي جمال وجهه الكريم، وألاحَ منها على صفائح وجوههم لوائحَ نوره القديم، فصاروا بحيث إذا رُؤوا ذُكرَ الله، والصلاةُ والسلام على أفضل من ارتفع حجبُ الكون عن بصائرهم، وانكشف سرُّ سرَيَان وجوده الساري في الكلِّ على سرائرهم، فما رأوا في الوجود إلاّ إيَّاه، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين، وعلى من تبعهم، وتبع تابعيهم أجمعين إلى يوم الدين.

أما بعد، فيقول خامل الذكر، مجهولُ الاسم، عبد الرحمن بنُ أحمد الجامي، ثبّته الله[1] على منهج الصدق والسداد، في القول والعمل والاعتقاد:

كان الشيخُ إمامُ العلماء والعرفاء **أبو عبد الرحمن بن الحسين السُّلمي النيسابوري**[2]، قدّس الله روحه، قد صنَّفَ كتاباً في بيان أحوال مشايخ الطريقة وسيرها قدَّس الله أسرارَهم؛ لأنَّهم كانوا من كُبراء الدِّين، وعظماءِ أهل اليقين، والجامعين بين علمي الظاهر والباطن، وسمَّاه **«طبقات الصوفية»**[3] وقسَّمه على خمس طبقات، والطبقةُ عبارةٌ عن جماعةٍ كانوا في عصرٍ واحد، وأزمنةٍ مُتقاربة، منوّرين بأنوار الولاية وآثارِ الهداية، وكانوا مرجعَ المريدين والمُستفيدين، وذكرَ في كلِّ طبقةٍ عشرين شيخاً من المشايخ والأئمة، وعلماء هذه الطبقة، وبيَّنَ كلماتِهم القدسية وشمائلَهم المرضية؛ ليدلَّ على طريقتهم،

---

(١) في (ب) خرم من هنا حتىٰ كلمة السير صفحة ١٠.

(٢) انظر ترجمته مع ذكر مصادرها رقم (٣٧٤).

(٣) طبقات الصوفية وقد طبع أكثر من طبعة آخرها تحقيق الشيخ نور الدين شريبة.

وعلمهم، وحالهم، وسيرتهم، بحسب اقتضاء وقتهم ومقاماتهم.

وكان شيخ الإسلام، كهفُ الأنام، ناصر السنة، قامعُ البدعة، **أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي**[1]، قدَّس الله سره، يُدرّس «طبقات السلمي» ويزيده، ويذكرُ بعضَ الرجال وأحوالِهم، ويذكرُ بعض أذواقه ومواجيده، فجمع بعضُ المحبِّين كلامَه وكَتَبَهُ.

والحقُّ أنَّ ذلك الكتاب كان لطيفاً، ومجموعاً شريفاً، مشتملاً على معارف حقائق الصوفية، ودقائق لطائفهم، لكنَّه كان باللِّسان الهروي القديم، ولا يفهمُه أكثرُ الناس، فصحَّفوه وحرَّفوه بحيث صار ـ في أكثر المواضع ـ لا يفهمُ أحدٌ مقصوده.

وأيضاً كان قاصراً عن ذكر بعض المتقدّمين والمتأخّرين، وكان خالياً عن ذكر شيخ الإسلام، ومن عاصره، والمتأخّرين عنه.

فجاء في خاطر هذا الفقير أنْ اجتهدَ بحسب الطاقة والوسع، وأكتبه بعبارة الفارسي المُتعارفِ، على ما أفهمه، وأَتركُ ما لا أفهمه على ستر الحجاب، وأستخرجُ أحوالَ بعض الأئمة والمشايخ من الكتب المُعتبرة، وأزيدُ عليه شرحَ الأحوال والمقامات، والمعارف والكرامات، وتاريخ الولادة والوفاة.

لكن بواسطة وفور العلائق، وهجوم العوائق ما كان مُيسَّراً إلاّ في سنة إحدى وثمانين وثمان مئة، فمن المحبين الأمير نظام الدين علي شير[2]، أعزَّه الله تعالى بعزِّ قبوله، ووفَّقه لسلوك طريق الوصول، كان بأعلى درجة الجاه والاعتبارات الوهمية، فتولّى عنها بالتطوّع والرغبة، وأقبلَ إلى الفقر بقدمِ الرضا والتسليم، فالتمس منّي مثلَ ما كان في خاطري قبله، فتجدَّدتِ الداعية القديمة، وتمكّنت واستقرت في إمضائه، فاستقصيتُ النِّية بالأمنية، فوقع الابتداء، ويتمُّه اللهُ تعالى بعونه.

---

(١) انظر ترجمته رقم (٣٩٧) في الأصول: عبد الرحمن.

(٢) نظام الدين علي شير بن الأمير غياث الدين محمد المتخلص بالنوائي، من وزراء السلطان حسين بايقرا ملك هراة، توفي سنة ٩٠٦، له الكثير من التصانيف، منها: نسائم المحبة في ترجمة نفحات الأنس. انظر هدية العارفين ١/ ٧٣٩.

فالمأمولُ من مكارم الأخلاق، ومراسم إشفاق أولياء الله تعالى المُطالعين هذه المجموعة، ومن يُمنِ أنفاسهم الطيِّبة، وفيضِ أرواحهم المقدَّسة في أوقاتهم المَبرورة أن يدعوا للمؤلف بالخير والاستقامة، والتكلانُ في جميع الأحوال على المُهيمن المتعال.

فجمعت في هذا المجموع ما كان من أنفاس المشايخ الطيِّبة، وحظائر القدس، ومحاضر الأنس، فسمَّيتها «نفحات الأنس من حضرات القدس».

وأسألُ الله أن يحفظني من السهو والغلط، وأن يَهديني إلى الصِّراط المَستقيم، آمين.

* * *



القول في

الولاية والولي

وهو مُشتقٌّ من الوَلاء، بمعنى: القُرب.

وهو على نوعين: ولايةٌ عامَّة، وولاية خاصة.

فالولاية العامة: مشتركةٌ بين جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

والولاية الخاصة: للخواصِّ، وهي مخصوصةٌ بالواصلين من أرباب السلوك، **وهي عبارةٌ عن فناء العبد في الحقِّ، وبقائه به، فالولي هو الفاني، والباقي به.**

فالفناء عبارةٌ عن نهاية السَّير[1] إلى الله تعالى، والبقاءُ عبارةٌ عن بداية السير في الله تعالى؛ لأنَّ السير إلى الله تعالى لا ينتهي إلاّ بعد قَطْع بادية الوجود بقدم الصدق، والسيرُ في الله تعالى لا يكون إلا[2] بعد التحققِ بالفناء المُطلق، فيعطيه الله وجوداً موهوباً، وذاتاً مطهَّرةً من لَوْث الحدثان، فيها يتَّصفُ بأوصاف الله، ويتخلَّقُ بأخلاق الله تعالى.

قال أبو علي الجُوزْجاني[3]، رحمة الله عليه: **الوليُّ هو الفاني عن حاله، الباقي في مشاهدة الحقِّ، لم يمكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غيرِ الله قرار.**

وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتريدُ أن تكون وليّاً من أولياء الله تعالى؟. قال: نعم. فقال: **لا ترغبْ في شيءٍ من الدنيا والآخرة، وفَرِّغْ نفسَك لله**

---

(١) هنا ينتهي خرم (ب) والذي كان أوله صفحة (٧).

(٢) كلمة: (لا يكون إلا) مستدركة من المطبوع.

(٣) في (ب): الجرجاني.

تعالى، وأَقْبِلْ بوجهك عليه، فإذا اتَّصفتَ بهذه الصفة صرتَ ولياً.

وفي «الرسالة القشيرية»[1]: أن الوليّ له معنيان:

أحدهما: فعيل، بمعنى مفعول، وهو من يتولى اللهُ أمره، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، فلا يَكِلُه إلى نفسه لحظةً، بل يتولَّى الحقُّ سبحانه وتعالى رعايته.

والثاني: فعيل، مُبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولَّى عبادة الله، وطاعَته، فعبادتُهُ تجري عليه على[2] التوالي من غير أن يتخلَّلَها عصيان.

وكلا الوصفين واجبٌ، حتّى يكونَ الوليُّ ولياً يجب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النَّبيِّ أن يكون معصوماً، فكلُّ من كان للمشرعِ عليه اعتراض، فهو مغرور ومُخادع.

قصد أبو يزيد البِسطامي، قدس الله سره، بعضَ من وُصِف بالولاية، فلمَّا وافى مسجده قعد ينتظرُ خروجه، فخرجَ الرجل ورمى ببُزاقه تجاه القبلة[3]، فانصرفَ أبو يزيد، ولم يُسلِّم عليه، وقال: هذا رجل غيرُ مأمون على أدبٍ من آداب الشريعة، فكيفَ يكون أَميناً على أسرار الحقِّ؟!.

وقيل: جاء رجل إلى أبي سعيد بن أبي الخير، قدّس الله سره، فقدَّمَ رجلَه اليُسرى في دخوله المسجد، فقال الشيخ: ارجع، من لم يعرف آدابَ دخولِ بيت الله لا ينبغي مُصاحبته.

* * *

(١) الرسالة القشيرية صفحة ١٥٢_١٥٣، باب الولاية.
(٢) في الرسالة ١٥٢: تجري على.
(٣) في الرسالة ١٥٣: فخرج الرجل وتنخّم في المسجد.

القول في

المعرفة والعارفِ والمُتعرّف والجاهل

في الفصل الأول من الباب الثالث من ترجمة «العوارف»[1]: المعرفةُ عبارةٌ عن أن يعرفَ المُجملَ في صورية التفاصيل.

مثال ذلك: في علم النحو، عملُ كلٍّ واحدٍ من العوامل اللفظية والمعنوية، وهذا العلمُ على سبيل الإجمال هو علم النحو، ومعرفةُ عملِ كلِّ عاملٍ على التفصيل وقت القراءة بلا توقُّفٍ ورويّة، فاستعمالُ كلٍّ في محلِّه هو المعرفة بالنحو، ومعرفة كلٍّ بفكرٍ وروية هي التعرُّف بالنحو والغفلة عنه ـ مع وجود العلم ـ سهو وخطأ.

فمعرفة الله تعالى عبارةٌ عن أنْ يعرف ذاته وصفاته في صورةِ التفاصيل بالأحوال[2] والحوادث، والنوازل بعد معرفة الإجمال، وهي أن لا موجودَ حقيقةً، ولا فاعلَ مطلقاً إلا هو، ليصير توحيده الإجمالي توحيداً تفصيلياً عينياً.

فصاحبُ علم التوحيد إن لم يعرفْ ـ بلا توقفٍ ولا رويةٍ في صور ـ تفاصيلَ الوقائع والأحوال المتجدّدة المُتضادة من الضرّ والنفع، والعطاء والمنع، والقبض والبسط، والضار والنافع، والمُعطي والمانع، والقابض والباسط، أنه هو الله لا غيره، لا يكون عارفاً.

---

(١) عوارف المعارف تاليف شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي المتوفى سنة (٦٣٢) والكتاب مشتمل على ٦٣ باباً كلها في سير القوم وأحوال سلوكهم وأعمالهم، وقد حظي هذا الكتاب عناية بالغة تبدت في شرحه أو اختصاره وترجمته إلى الفارسية والتركية. انظر كشف الظنون ١١٧٧، والباب الثالث منه (صفحة ٢٩): في بيان فضيلة علوم الصوفية، والإشارات إلى أنموذج منها.

(٢) في المطبوع: والأحوال.

وإن عرف بالتأمُّل والتفكُّرِ في صور الوسائط فهو متعرِّفٌ، وإن كان غافلاً مرَّةً واحدةً، وتأثيرات الأفعال والأحوال ينسُبها إلى الوسائط، فهو ساهٍ ولاهٍ، ما خرجَ من الشِّرك الخفي.

مثلاً: إن كان أحدٌ يتكلَّمُ بالتوحيد، ويُشير لنفسه يعني أني مستهلكٌ في بحر التوحيد، وأنكرَ عليه أحدٌ، فغضبَ منه، فغضبُه عينُ مِصداق قول المنكر، وإن كان عارفاً فيرى أن الفاعل[1] المطلق ظهر بمظهرية المُنكر، فلا يغضبُ عليه.

وللمعرفة الإلهية مراتب:

أولها: أن يعرفَ كلَّ أثرٍ من الفاعل المُطلق بالذوق والوجدان.

وثانيها: أن يعرفَ أنَّ جميعَ الآثار من الفاعل المطلق جلَّ ذكره، وينسبُ باليقين إلى الصفة المؤثرة.

وثالثها: أن يعرفَ مُرادَ الحقِّ من التجلّي في جميع صفاته تبارك وتعالى.

ورابعها: أن يعرفَ وصفَ العلم في ذاته، وينفي نفسَه من دائرة العلم والمعرفة، بل الوجود جميعاً.

كما قال الجُنيد حين سُئل: **ما المعرفة؟**. فقال: **المعرفةُ وجودُ جهلك عند قيام علمه**. قالوا: **زدنا وضوحاً**. قال: **هو العارف والمعروف**. أي كلّما يزيد في القرب، وتظهر آثارُ عظمته تعالى يزيدُ في حصول العلم بجهله، ويزيد بكمال المعرفة حيرةً على حيرةٍ، ويخرج من العارف بلا اختياره: **ربِّ، زدني فيك تحيّراً**.

وما ذكرناه كلّه علم المعرفة لا المعرفة؛ لأنَّ المعرفة أمرٌ وجداني، والتقريرُ قاصرٌ عنها، لكنّه مقدمتُها، فالمعرفةُ بغير العلمِ محال، والعلمُ بغير المعرفة وبال.

* * *

---

(١) في المطبوع: إذ لو كان عارفاً لأدرك أن الفاعل.

القول في

معرفة الصوفي والمتصوف والملامتي والفقير والفرق بينهم

وفي الفصل العاشر من الباب الثالث من ترجمة «العوارف»: اعلم أنَّ مراتبَ طبقات الرجال على اختلاف درجاتهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مرتبة الواصلين والكاملين، فهذه الطبقة العليا.

والقسم الثاني: مرتبة السالكين إلى الله، وهذه الطبقة الوسطى.

والقسم الثالث: مرتبة المقيمين في وَهْدة النقصان، وهذه الطبقة السفلى.

فـ﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠] هم الواصلون: ﴿ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٨]، و ﴿ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴾ [الواقعة: ٢٧]، هم السالكون الأبرار، و ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ [الواقعة: ٤١]، هم الأشرار.

فأهل الوصول بعد الأنبياء، عليهم وعلى نبيِّنا صلوات الرحمن، طائفتان:

الأولى: مشايخ الصوفية؛ لأنَّهم بواسطة اتِّباع الرسول ﷺ صاروا واصلين، وبعد الوصول صاروا مأذونين ومأمورين بدعوة الخلق، فهذه الطائفة هم الكُمَّلُ المُكمَّلون، لأن الفضل والعناية الأزلية الإلهية أخرجتهم بعد الاستغراق في عين الجمع والتوحيد من بطنِ حوتِ الفناء إلى ساحلِ التَّفرقة وميدان البقاء، حتى يدلُّوا الخلقَ إلى النجاة والدرجات.

والطائفة الثانية: الجماعة التي بعد الوصول إلى درجة الكمال، ما صاروا مأذونين ولا مأمورين بدعوة الخلق والإرشاد، فبقوا في بحر الجمع مُستغرقين ومُستهلكين فما كان لهم خبرٌ ولا إخبار، ولم يَصلوا إلى ساحل التفرقة وناحية البقاء، وانخرطوا في سلك قباب الغَيْرة، وقُطَّان دار الحيرة.

وأهل السلوك أيضاً قسمان:

أحدُهما: طالب المقصد الأعلى، ويريد وجه الله تبارك وتعالى.

وثانيهما: يُريدون الآخرة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وأما طلاّبُ الحقِّ فطائفتان: المتصوّفة، والمَلامَتية:

والمتصوفة: هم جماعة خلصوا من بعض صفات النفوس، واتّصفوا ببعض أحوال الصوفية، واطّلعوا على نهايات أحوالهم، لكنَّهم مُتشبِّثون بأذيال بقايا بعض صفات نفوسهم، ولأجل هذا تخلَّفوا عن الصوفية في وصول غايات أهل القُرب.

والمَلامَتية(١): جماعةٌ توجَّهوا إلى رعاية معنى الإخلاص، واجتهدوا في

---

(١) الملامتية أو الملامية: فرقة صوفية، اشتقت اسمها من الملامة التي هي بخع النفس وتأنيبها، وقد اختصَّ بهذا الاسم أولاً أهل خراسان، وليس ببعيد أن يكون اسم الملامتية متصلاً ببعض الآيات ﴿ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾ و﴿لا يخافون لومة لائم﴾.

والملامتي لا يرى لنفسه حظاً على الإطلاق، ولا يطمئن إليها في عقيدة أو عمل ظنًّا منه أن النفس شرٌّ محض، ولا يصدر عنها إلا ما وافق طبعها من رياء ورعونة، ولذلك وقف منها دائماً موقف الاتهام والمخالفة، وهذا هو المراد بلوم النفس.

وكذلك يرى الملامتي أن معاملته مع الله سرٌّ بينه وبين ربِّه، لا يصح أن يطَّلع عليه غيره، فهو حريص على كتمان السرِّ، غيور على محبوبه أن يطَّلع الخلق على صلته به، لذا تعمَّدوا فعل ما يجب عليهم من الخلقِ السخط والازدراء، وهذا هو لوم الناس إيّاهم.

وعدم الاستغراق في الله، وعدم الغيبة عن النفس والعالم المحيط بها كان الحائل المنيع الذي سدَّ على الملامتية باب القول بوحدة الوجود، أو بالحلول والاتحاد، وما شاكل هذه الأقوال التي شاعت على ألسنة الصوفية الذين تكلَّموا في الفناء.

ولعلَّ أشملَ تعريف للملامتية ما قاله أبو حفص النيسابوري: أهل الملامة قومٌ قاموا مع الحقِّ تعالى على حفظ أوقاتهم، ومراعاة أسرارهم، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب والعبادات، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفون من بواطنهم. =

نيل قاعدة الصِّدق والإخلاص، وبالغوا في كتمانِ العبادات والخيرات، ومع وجودِ هذا لا يتركون شيئاً من دقائق صوالح الأعمال، ومشربُهم في جميع الأوقات تحقيقُ معنى الإخلاص، ويتلذَّذون بانفراد نظر الحقِّ في الأعمال والأحوال، وكالعاصي[1] يحذرُ من ظهور المعصية، فهكذا طائفةُ المَلامَتية يحذرون من إظهار العبادةِ، لأنَّه مَظنَّةُ الرِّياء المُخلِّ بالإخلاص.

وقيل: **المَلامَتي هو الذي لا يُظهر خيراً، ولا يُضمر شرًّا.**

وهذه الطائفة وإن كانت عزيزةَ الوجود، شريفةَ الحال، لكنَّ حجابَ وجود الخليقة ما انكشف من نظرهم بالكلِّية، ولأجلَ هذا حجبوا عن مُشاهدة جمال التوحيد، ومعاينة عين التَّفريد، لأن إخفاء الأعمال، وستر الحال عن نظر الخلقِ يُشعر برؤية وجود الخلق والنفس، وهو مانعٌ لمعنى التوحيد؛ لأنَّ النَّفسَ من جملة الأغيار، ومن كان ناظراً إلى حاله فما خرج من الأغيار، ومطالعةِ الأعمال والأحوال بالكلية.

والفرق بينهم وبين الصوفية الذين جَذبتهم جذباتُ الرَّحمن، وانتُزعَ عنهم حجابُ الخلقِ والوجود، ورُفع عن نظرهم أنانيةُ البشرية، ففي صدور الخير، وظهور العبادات لا ينظرونَ الخلقَ، فإنَّ من استغرق في ذاته، تعالى وتقدّس، لا يخطرُ الخلقُ بباله، فلا يكونونُ مقيّدين بإخفاء الأعمال، ولا بإظهارها، فإن رأوا في إظهار العبادة فائدةً للخلق أظهروها، وهكذا في إخفائها، فالمَلامَتية هم المخلِصون ـ بكسر اللام ـ والصُّوفية هم المُخلَصون ـ بفتح اللام ـ ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾ [ص: ٤٦]، وصفُ حالهم.

وأمّا طلّاب الآخرة فأربعة: الزُّهّاد، والفقراء، والخدّام، والعُبّاد:

فالزُّهاد: طائفةٌ شاهدوا جمالَ الآخرة بنورِ الإيمان والإيقان، وطالعوا قُبح

= انظر كتاب الملامتية وأهل الصوفية وأهل الفتوّة. تأليف د. أبو العلا عفيفي. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م.

(١) في المطبوع: وكما العاصي.

صورة الدنيا بالمعاينة، فرغبوا عن زينةِ الدُّنيا الفانية، والتفتوا إلى جمال الآخرة الباقية.

وتُخالفُ هذه الطائفة الصوفيةَ؛ لأنَّ الزُّهَّاد محجوبون عن الحقِّ بحظِّ النفس؛ لأن الجنَّة بمقامِ حظِّ النفس ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ [الزخرف: ٧١].

والصوفيةُ محَجوبون عن الكونين بمشاهدةِ جمال الله الأزلي، ومحبَّة الذات التي لم تزل، فالصوفي مَرتبتُه في الزُّهد فوق الزاهد.

والفقراء: طائفةٌ تركوا أسباب الدنيا لطلب الفضل والرّضوان، فتركهم لا يخلو عن ثلاثة مقاصد:

أولها: رجاءُ تخفيف الحساب، أو خوفُ العقاب، لأنَّ الحساب في الحلال، والعِقاب في الحرام.

ثانيها: توُّقعُ فضلِ الثواب، والمسابقةُ لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسِ مئة عام.

وثالثها: طلب جمعية الخاطر؛ لإكثارِ العبادة، وحضور القلب.

ويُخالف الفقراءُ المَلامتية والصوفية[1] أن هؤلاء يطلبون الجنةَ، ويرُيدون حظَّ النفس، وهما يريدان الوجه المطلق.

وفوق هذه المرتبة في الفقر مقامٌ فوق مقام المَلامَتية والمتصوفة خاصٌّ بالصوفي، لأنَّ الصوفي، وإن كانت مَرتبتُه فوق مرتبةِ الفقراء، لكنَّ خلاصةَ مقام الفقير في مقام الصُّوفيِّ مُندرجة، فالعبور على مقام الفقر للصوفي شرطٌ لازم، فأيُّ مقام يترقَّى[2] عنه ينصبغُ من لون مقامه، فإنَّ للفقير وصفاً آخر في مقام الصوفي زائدٌ، فهو الذي سلب نسبة جميع الأعمال والأحوال والمقامات عن نفسه، فلا يَنْسُب ولا يُبصر لنفسه حالاً من الأحوال ولا مقاماً من المقامات، بل لا ينظر ولا يعلم نفسه، فلا يكون له وجودٌ، ولا ذات، ولا وصف، وهو مَحْوٌ في محوٍ، وفناءٌ في فناء، فهذا حقيقة الفقر.

---

(١) في (ب) والمطبوع: المتصوفة.
(٢) في (ص): يتوقى.

وقد تكلَّمتِ المشايخ في تفضيله، وما ذُكر قبل هذا من معنى الفقر هو رسمُ الفقرِ وصورتُه، كما قال الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف: **الفقرُ عدمُ الأملاك، والخروجُ عن أحكام الصفات**. وهذا حدٌّ جامعٌ مُشتمل على رسم الفقر وحقيقته.

وقال بعضهم: **الفقيرُ الذي لا يَملِك ولا يُملَك**.

ففوقيَّة مقام الصوفي على مقامِ الفقير أنَّ الفقيرَ بإرادة الفقر وحظِّ النفس محجوب، والصوفي لا يكون له إرادةٌ مَخصوصة، وفي صورة الفقير والغني إرادتُه محوٌ في إرادة الله تعالى بل إرادته عين إرادة الحقِّ، وإن اختيار صورة الفقر ورَسْمه لا يكون مَحجوباً باختياره وإرادته.

قال الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف، رحمه الله: **الصوفيُّ من اصطفاه الحقُّ لنفسه تَودُّداً، والفقيرُ من اصطفى نفسه من فقره تقرُّباً**.

وقال بعضهم: **الصوفي هو الخارجُ عن النُّعوت والرسوم، والفقير هو الفاقد للأشياء**[1].

وقال أبو العباس النَّهاوَنْدي: **الفقر بداية التصوف**.

والفرقُ بين الفقر والزهد أن الفقر بلا وجود الزهد ممكنٌ، كمن تركَ الدنيا بعزمٍ ويقين ثابت، ورغبتُه باقيةٌ إليها، وكذا الزهد بلا فقرٍ ممكن أيضاً، كمن يكونُ مع وجودِ الأسباب رغبتُه مصروفةٌ عن الدنيا.

فللفقر رسمٌ وحقيقة، فرسمُه عدمُ الأملاك. وحقيقته الخروجُ عن أحكام الصفات، وسَلْبُ الاختصاص لنفسه، فرسمُ الفقر هو صورةُ الزهد وأمارته، ومعنى الزهد صرفُ الرغبة عن الدنيا، فإذا أراد اللهُ تعالى لبعض أوليائه أن يكونوا تحت قباب عزَّته ليصيروا محجوبين عن نظر الأغيار ألبسَ ظاهرَهم لباسَ الغِنى بصورة الرغبة، فأهلُ الظاهر يحسبونَهم من أهل الرغبة، وجمالُ حالهم مستورٌ عن نظر الأغيار، وهذه حقيقة الفقر، والزهدُ مخصوصٌ بوصف

---

(١) في المطبوع: للأسباب.

حال الصوفي، وبعض المشايخ اختاروا رسمَ الفقر لأن مُرادهم الاقتداءُ بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، والتقلل من الدنيا، لترغيب الطالبين بصورة الفقر، وبلسان الحال، واختيارُ المشايخ باختيار الله لا لطلبِ حظٍّ أُخروي.

والخدَّام: طائفةٌ اختاروا خدمةَ الفقراء وطُلاّبِ الحقِّ، كما خُوطب داود، عليه السلام: **يا داودُ، إذا رأيتَ لي طالباً، فكن له خادماً.**

فالخدمُ يتوجَّهون ـ بعد الفرائض ـ إلى معاش الفقراء بأيِّ وجهٍ تيسَّرَ، ويفضِّلونَ الخدمة على جميع العبادات النوافل، فبعضُهم متوجِّهٌ للكسب، وبعضُهم للسؤال، وبعضُهم للفتوح، ونظرُهم في الأخذ والعطاء إلى الله، ويعتقدون أنَّ الخلقَ روابطُ ووسائط. فوقعَ الاشتباه في هذا المقام بين الخادم والشيخ، لأنهما خادمان، والفرقُ بينهما أنَّ الخادم في مقام الأبرار، والشيخَ في مقام المقربين، لأنَّ مُراد الخادم في اختياره الخدمة نيلُ ثوابِ الآخرة، وإلاّ لم يكن متقيِّداً بها، والشيخُ قائمٌ بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه.

والعُبَّاد: طائفةٌ يصرفون الأوقات كلَّها في عبادة الله تعالى لنيل ثواب الآخرة، وفي الصوفي أيضاً توجد هذه الصفة؛ لكنَّ الصوفي يُعرّى ويُبرّأ عن شوائب العلل والأعراض[1]، لأنَّهم يعبدون الله لله لا لأجل الثوابِ والجنة، فالفرقُ بين العبَّاد والزُّهَّاد أنَّ العبَّادَ مع وجود الرغبة إلى الدنيا صورةُ العبادة ممكنةٌ منهم، والفرقُ بين العبَّاد والفقراء أنَّ العبَّاد مع وجود الغِنى يكونون عباداً.

فعُلِمَ أنَّ الواصلين إلى الله تعالى طائفتان، والسالكين إلى الله ستُّ طوائف، ولكلٍّ من هذه الثمانية مُتشبِّهان أحدُهما محقٌّ، وثانيهما مُبطل.

فالمتشبِّهُ المحقُّ بالصوفية: المتصوفةُ المُتطلِّعون إلى نهاية أحوال الصوفية، والمشتاقون إليها، فإنهم ببقايا تعلقات الصفات عن بلوغ المَقصد والمقصود مُعوَّقون ومَمنوعون.

والمتشبِّهُ المُبطل بهم: طائفةٌ يتحلَّون بِزيِّ الصوفية، ويُظهرون الأحوالَ

---

(١) في (ص) و(ب) الأغراض.

بالتلبُّس، وهم عارون من حِلية عقائدهم وأحوالهم وأعمالهم، وخارجون من رِبْقة العبادة والأعمال، خلعوا العِذار، ورتعوا في مَراتع الإباحة، ويقولون: إنَّ التقيُّدَ بأحكام الشرع وظَيفةُ العوام. ونظرُهم مقصورٌ على ظواهر أحوال الخواص، ويقولون: أهلُ الحقيقة أقوى وأفضلُ من أن يتقيَّدوا بالظاهر، لأنَّهم متوجّهون إلى مراعاة حضور الباطن. وتسمّى هذه الطائفة: باطنية وإباحية.

والمتشبِّهُ المحقُّ بالمجذوبين الواصلين: هم طائفةٌ من أهل السلوك، وسلوكُهم في قطع منازل صفات النفوس بحرارةِ الطلب، والاشتياقُ يُحصِّلُ لهم الاضطرابَ والقلق، فيلوح لهم قبلَ تباشير الصبح كشفُ الذات والتمكّن والاستقرار في مقام الفناء، فمرَّةً يظهرُ لهم برقٌ من بوارق الكشف، ويلوحُ على نظر شهودهم، وتتَّصل نفحةٌ من نفحات الوصل من موهبة الفناء بمسامِّ قلوبهم، فظلمات نفوسهم في لمعان نور البرق تَنطوي وتتوارى، فيسكنُ قلقُ الباطن من تلك النفحة، فينقطعُ ذلك اللمعان، فيعودُ ظهورُ صفات النفوس، وحرارةِ الطلب[1]، وقلق الشوق، لأنَّ السالك يُريد أن ينسلخ عن جميع ملابس الصِّفات، ويستغرقَ في بحر الفناء، ويخرجَ من تعب[2] وجود البشرية مرةً واحدةً؛ لأنه ما صار ذلك الحالُ مقامَه ولم يزل هكذا، فبالكلّية يكونُ مُشتاقاً ومُتطلِّعاً لذلك المقام، فلُقِّبتْ هذه الطائفة: المتشبِّه المحقّ بالمجذوب الواصل.

والمتشبه المبطل بالمجذوب: طائفةٌ يدّعون الاستغراقَ في بحر الفناء والاستهلاك في عين التوحيد، ويراؤون الخلقَ في ذلك، ولا يَنسبُون الحركات والسكنات إلى أنفسهم، ويقولون: حركاتُنا كحركات الأموات، لأنَّ الحركةَ لا يمكن بلا هذا، وإن كان معناه صحيحاً، لكن ليس ذلك حالَهم، بل مقصودُهم بهذا الكلام عذرٌ في المعاصي والمناهي، وينسُبونها إلى إرادة الحقِّ لدفع ملامة الخلق والشرع عن أنفسهم، وتسمّى هذه الطائفة الزنادقة.

قالوا: كان رجلٌ عند سهل بن عبد الله، رحمه الله، يقول: أفعالي بإرادة الله، كنسبةِ حركة الباب إلى مُحرِّكه. فقال سهل: إن كان قائلُ هذا الكلام

---

(١) من هنا سقط في نسخة (ب) حتى صفحة ٢٣ عند قوله: والجاه والمال.
(٢) في المطبوع: ثقب.

متقيِّداً بحراسة أصول الشرع، وحفظِ حدود أحكام العبودية، فهو من جملة الصدِّيقين، وإن كان ذلك الرجل لم يحفظ أحكامَ الشرع، بل يُبَادرُ بالانهماك والتورّط في مخالفةِ أُصول الدين، فكلامُه لأجل إسقاط الملامة عن نفسه، وهو به يُظهرُ الانخلاع من الدين والملّة، فهو من جملة الزنادقة.

والمتشبِّه المحقُّ بالمَلامَتية: طائفةٌ ليس نظرهم[1] إلى الخلقِ بالتعمير والتخريب، وسعيُهم إلى تخريب رسوم العادات، والانطلاق من قيود آداب المخالطات، ليس مقصودُهم منه غيرَ فراغ الخاطر، وطيب القلب، ولا يترسَّمون برسوم الزهَّاد والعبَّاد، ويقتصرون على الفرائض والمؤكَّدات ولا يَزيدون عليها شيئاً من النوافل، وجمعُ الدنيا والاستكثار من أسبابها يُنسب إليهم، وهم قانعون بطيب القلب، ولا يُريدون مزيدَ الأحوال، وتسمّى هذه الطائفة: القَلَنْدرية[2]، ولأجل عدم الرِّياء يقال لهم: المتشبّه بالمَلامَتية،

---

(١) في (ص): ليس تطهُّرهم.

(٢) القلندرية: طريقة صوفية ظهرت بعد الملاماتية في القرن الثالث في خراسان متأثرة بالمعتقدات الهندوسية والبوذية، ومرت بمرحلتين:

الأولى: اهتمت بالسلوك وأخذت نظاماً من التفكير يدعو إلى الرضا والاكتفاء الداخلي واحتقار العالم الزائل وخيراته والامتناع عن كل بهرج خارجي وخير ما يمثلها كتاب: القلندرنامة لعبد الله الأنصاري المتوفي سنة ٤٨١ هـ.

الثانية: قيام جمال الدين الساوجي محمد بن يونس توفي سنة ٦٣٠ هـ. بلباسه الغريب، وفكره البدعي القائل: إن كل عمل في هذه الدنيا هو عمل مشروع، واهتمَّ بنشر فكره وتكثير أتباعه.

تسميتها: لم يبت نهائياً حول أسباب التسمية بـ (قلندر) ولا معناها وذكر أن أصل الكلمة فارسي من (كلندر) وتعني الإنسان القبيح والشنيع كما أنها تعني أيضاً قطعة الخشب المائلة توضع خلف الباب لمنعه من أن يفتح بشكل كامل. أو أنها أتت من كلمة (كلان) الفارسية أيضاً وتعني واسع، كبير، رئيس.

قال النعيمي في الدارس ٢/ ٢١٢: القلندرية تعني المحلقين.

العقيدة: تأثرت بالمعتقدات الهندوسية والبوذية، وتتصف هذه الطريقة بما يلي:

١ـ حلق الرأس والحواجب والشوارب واللحية لإظهار جمال الوجه.

٢ـ لبس خرقة مصنوعة من الهلب (شعر ذنب الخيل) ينتهي فوق الوركين وغطاء حول الجسم، ويضعون على رؤوسهم قلنسوة مخروطية من اللباد. =

والفرقُ بينهم وبين المَلامتية أنَّ القلندرية لا يتجاوزونَ حدَّ الفرائض ولا يَتقيَّدون بإخفاء الأعمال، ولا بإظهارها، والمَلامتية متوجِّهون إلى إكثارِ النوافل والفضائل، ويُبالغون في إخفاء الحسنات.

وأما الطائفة التي في هذا الزمان تسمّى باسم القَلَنْدرية فهم خارجونَ عن دائرةِ الإسلام، وفارغون من الأوصاف التي ذكرتها، فاسم القَلَنْدرية عاريةٌ عليهم، ولو سُمّوا بالحَشَوية لكان أليقَ وأنسبَ.

والمتشبّه المُبطل بالملامتية: طائفةٌ من الزَّنادقة، يدَّعون الإخلاص ويبالغون في إظهار الفسق والفجور، ويقولون: مُرادُنا ملامة الخلق، وإسقاطُ نظرِ الخلق، فإنَّ الله مستغنٍ عن عبادة الخلق، وغيرُ متضرِّرٍ بالمعصية. ويَحصرون العبادة في الإحسان، وعدمِ أذى الخلق.

والمتشبّه المحقُّ بالزهّاد: طائفةٌ لم يصرفوا رغبتهم عن الدنيا بالكلّية، ويُريدون صرفها بالمرة فيسمَّون المتزهدة.

والمتشبّه المُبطل بالزهاد: طائفةٌ يتركون زينةَ الدنيا، ويصرفون الخاطرَ عن أسباب الدنيا، لأجل قول الخلائق، وحصول الجاه عند الناس، ويمكُن أن يكون لهم بعضُ الأحوال، فيَشتبه عليهم، فيحسبون أنَّهم أعرضوا عن الدنيا بالمرَّةِ، وهذه الطائفة اشتروا الجاه ببذلِ المال، فتركوا الدنيا للدنيا، وتسمّى هذه الطائفة مُرائية.

= ٣ـ وضع حلقات من الحديد حول الرقبة والذراعين، والأذنين. وفي الأعضاء التناسلية (دليل العفة).

٤ـ إهمال كبير لتعاليم الدين الإسلامي وعباداته. وترك التزوج.

٥ـ يعيشون على الصدقة، ولا يملكون سوى النادر من سقط المتاع.

٦ـ عدم التأثر بمعاملة الآخرين السيئة حزناً وألماً.

٧ـ الابتعاد عن الرياء، واحتقار الأشياء الثمينة، والبعد عن الناس، وعليه أن يبقى بحركة مستمرة. إلا أن بعضهم شذ.واتخذوا زوايا خاصة لهم مثل: الزاوية القلندرية بمقبرة باب الصغير بدمشق، والزاوية القلندرية الحيدرية ظاهر دمشق. كذلك في مصر وقونية.

ولمخالفتها سنة المصطفى ﷺ اضمحلت وذابت في الفرق الأخرى. انظر دائرة المعارف الإسلامية: ٤/ ٤٩٣. بقلم د. يازجي.

والمتشبّه المُحقُّ بالفقراء: طائفةٌ يترسَّمون في الظاهر برسم الفقراء، ويَطلبونَ حقيقته، لكنَّ نفوسَهم راغبةٌ إلى الدنيا ويتكلَّفون ويصبرون على الفقر، ويعدُّون الفقر الحقيقي النعمةَ العظمى مع دوام الشُّكر عليه.

والمُتشبّه المُبطل بالفقراء: طائفةٌ ظاهرهم مترسِّمٌ برسوم الفقراء، وباطنهم غيرُ متطلّع إلى حقيقة الفقر، ومرادُهم إظهارُ الدعوى فقط، وقبولُ الخلق، وتسمّى هذه الطائفة المُرائية.

والمَتشبّه المحقُّ بالخادم: طائفةٌ يلتزمون خدمة خلق الله، ويُريدون الإعراض عن الدنيا والجاه والمال[1]، ويُخلصونَ النيّةَ في التخلّي عن الرياء والهوى، لكن ما وصلوا حقيقةَ الزهد، فوقتُ غلبةِ نور الإيمان، واختفاء النفس خدمتهُم تكون للمُستحقّين، ووقتُ غلبة النفس تختلطُ خدمتهم بالهوى، وبعضُ الأوقات يخدمون من لا يكون له استحقاق لتوقُّع المدح والثناء، ويسمّون المتخادم.

والمتشبه المبطل: طائفةٌ لا تكون لهم نيّة الأُخوّة في الأعمال وخدمة الخلق، بل يخدمونَ الخلقَ حتّى يحصلَ لهم بسببهم استجلابُ الدنيا من الأوقاف وغيرها، ولا يتركون الأعمالَ كلَّها، فخدمتُهم مقصورة على طلب الدنيا، وأسبابِ الجاه، والتفاخرِ عند الخلائق، ونظرُهم في الخدمة كلّها حظُّ النفس، ويسمّون هذه الطائفة: مستخدم.

والمتشبّه المحقُّ بالعبادة: طائفةٌ يُريدون استغراق الأوقات كلِّها في العبادة، لكن بسبب بقايا دواعي الطبع، ولعدم كمال تزكية النفس لا تتيسَّرُ العبادةُ لهم على الدوام، بل تقعُ التعويقاتُ في العبادات، ومن لا ذوق له ولذة في العبادة يعبدُ الله بالتكلف فيُسمّى مُتعبِّداً.

والمتشبّه المُبطل بالعبادة: طائفةٌ عبادتُهم لإقبال الخلقِ لا للخالق، فعبادتُهم لغرضِ الجاه، وجمع أسبابِ الدنيا، ولهذا إن لم يكن أحدٌ مُطّلعاً على عبادتهم يتركون العبادة.

أعاذَنا الله سبحانه من السُّمعة والرياء، وبالله العصمة والتوفيق.

* * *

---

(١) نهاية السقط من نسخة (ب).

القول في

التوحيد ومراتبه وأربابها

في الفصل الثاني من الباب الأول من ترجمة «العوارف»: وللتوحيد مَراتبُ، أوَّلها التوحيد الإيماني، وثانيها التوحيد العلمي، وثالثُها التوحيد الحالي، ورابعُها التوحيد الإلهي.

فأمّا التوحيد الإيماني: فهو التَّصديقُ بوحدانية الحقِّ، بموجب الآيات القرآنية، والأخبار الصحيحة، بالقلب والإقرار باللسان، ونتيجةُ هذا التَّصديقُ والإقرار الخلاصُ عن الشرك الجلي، والانخراطُ في سلك الإسلام، وعدمُ دخول النار، والدخولُ في زُمرة أهل الإيمان، وفي هذا التوحيد يَشتركُ الصوفية والعوام، ولكنَّ الصوفية تزيدُ بمراتب.

وأما التوحيد العِلمي: فهو الذي يستفاد بعلم الباطن، ويقال له: علمُ اليقين، فالذي في بداية الطريقة[1] يحصلُ له اليقين بألاّ موجودَ حقيقياً ولا مُؤثر مُطلقاً في العوالم إلاّ ذاته تعالى وتقدّس، وجميعُ الذوات والصفات والأفعال مُستهلكةٌ في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ويرى أنَّ كلَّ صفةٍ أثرُ صفاته تعالى، وكلَّ فعلٍ أثرُ أفعاله تعالى، وهكذا كلُّ علمٍ، وقدرة، وإرادة، وسمعٍ، وبصرٍ هي من آثار قدرته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وعلى هذا القياس جميعُ الأفعال والصفات، وهذه أول مرتبةٍ من مراتب التوحيد لأهل الخصوص المتصوفة، ومقدّمةُ هذا التوحيدُ مُتَّصلةٌ بآخر توحيد العوام، ويشتبه هذا التوحيد بتوحيد بعض الناقصين، وهم الذين زكت طباعُهم، ودقَّت فطنتهم بسبب مطالعتهم الكتب أو باستماعها، فيتصوَّرون صورةَ التوحيد ويظنّون أنَّه

---

(١) في (ب) والمطبوع: طريق التصوف.

حالُهم، لكن في التكلّم والمعاملات يظهر فساده، فليس ذلك من علم التوحيد المذكور.

لكن التوحيد العِلمي، وإن كانت مرتبتُه دونَ مرتبة التوحيد الحالي، لكن حصل له مزجٌ من التوحيد الحالي ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧-٢٨]، وصف شراب هذا التوحيد، ولهذا فصاحبُ هذه الحال أكثرُ ما يكون مسروراً من هذا الذوق، لأنَّه بمزج التوحيد الحالي زالَ عنه بعضُ ظلمات الرسومات البشرية، ولهذا يعملُ في بعض التصاريف على مقتضى الحال من غير نظرٍ إلى الوسائط والروابط، لكنَّه مَحجوبٌ في أكثرِ الأوقات عن مقتضى العلم لبقاء ظلمة الوجود، ونتيجةُ هذا التوحيد نَفيُ بعض الشرك الخفي.

وأما **التوحيد الحالي**: فهو الذي يصيرُ وصفُ ذات الموحَّد لازماً له، فجميعُ ظلمات الرسوم الوجودية ترتفعُ إلاَّ قليلاً منها من إشراق نورِ التوحيد، وتضمحلُّ وتتلاشى، ونورُ توحيد العلم[1] في نور توحيد الحال يستترُ ويخفى على مثل اندراجِ نور الكواكب في نور الشمس:

فلمَّا استبانَ الصُّبحُ أدرجَ ضوءُهُ   بإسفارِه أَضواءَ نور الكواكبِ

وفي هذا المقام وجودُ الموحِّد في مُشاهدة وجود الواجد يستغرقُ في عين الجمع، حتَّى لا يجيءَ في نظره إلا ذاتُ وصفاتُ الواحد، حتَّى يعلمَ أنَّ هذا التوحيد صفةُ الواحد لا صفة نفسه، وأنَّ وجوده مثالُ قطرة الماء في تلاطم أمواج البحر، ولهذا قال الجُنيد، قدَّس الله سره: **التوحيدُ معنًى تَضمحلُّ فيه الرسوم، وتَندرجُ فيه العلوم، ويكونُ الله كما لم يزل**.

فمنشأُ هذا التوحيد نورُ المُشاهدة، ومَنشأ التوحيد العلمي نورُ المراقبة، ومن هذا التوحيد ينتفي أكثرُ الرسوم البشرية، وبالتوحيد العلمي تنتفي قليلاً، والسَّببُ في بقاء بعض الرسوم في التوحيد الحالي إمكان صدور[2] ترتيب

---

(١) في (ب) والمطبوع: نور التوحيد، ويتلاشى نور توحيد العلم.

(٢) في المطبوع: في التوحيد الحالي أن صدور.

الأفعال، وتهذيب الأقوال من الموحِّد ممكنٌ، فلأجل هذا لا يؤدِّي أحدٌ حقَّ التوحيد كما ينبغي في هذه الحياة، ولهذا قال أبو علي الدقَّاق، قدَّس الله سرَّه: **التوحيدُ غريمٌ لا يُقضى دينه، وغريبٌ لا يُؤدّى حقُّه**. لأن خواصَّ الموحِّدين في حال هذه الحياة تظهرُ عليهم حقيقةُ التوحيد الصِّرف كالبرقِ الخاطف، وبالفور تتلاشى، فتعود رسوم البشرية، وفي هذا التوحيد جميعُ بقايا الشِّرك الخفي تزول، وسِوى هذه المرتبة للإنسان في هذه الحياة لا يمكن.

وأما التوحيد الإلهي: فهو الذي كان الله تعالى في أَزَلِ الآزال موحِّداً بنفسه لا بتوحيد غيره، وكان على الدَّوام بِوصف الوحدانية وبنعت الفردانية موصوفاً، **كان الله ولم يكن شيءٌ معه**، وهو الآن كما كان، وإلى أبدِ الآبدين يكون بهذا الوصف: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وما قال (يهلك) حتّى يُعلمَ أنَّ وجود الأشياء اليوم في وجوده هالكة[(١)].

وهذا الشهود عاجلٌ في هذه الحياة للعارفين أرباب البصائر، أصحابِ المُشاهدة الذين خرجوا من ضيق الزمان والمكان، وللمحجوبين وعدٌ في الدار الآخرة.

والتوحيد الإلهي هو الذي بريءٌ من وصمة النقص، وتوحيدُ الخلائق ناقصٌ لنقصان الوجود.

وشيخُ الإسلام، قدّس الله سره، ختمَ كتاب «منازل السائرين»[(٢)]. بهذه الأبيات:

---

(١) في المطبوع: في وجود هالك.

(٢) «منازل السائرين إلى الحق المبين» كتاب في أحوال السلوك، ألفه عبد الله الهروي حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق من أهل هراة، فأجاب، ورتب لهم فصولاً وأبواباً، فجعله مئة مقام مقسومة على عشرة أقسام كل منها يحتوي على عشر مقامات، وجميع هذه المقامات يجمعها رتبٌ ثلاثة: الأولى أخذ القاصي [القاصد] في السير. الثانية: دخوله في الغربة. الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد. كشف الظنون ١٨٢٨.

قال الإمام الذهبي بالسير ١٨/٥٠٩: وفيه أشياء مطربةٌ، وفيه أشياء مشكلة... وفيه إشارات إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك الفناء هو الغيبة عن شهود السّوى، =

ما وحَّد الواحدَ من واحدٍ	إذْ كلُّ من وحَّدَهُ جَاحدُ
تَوحيدُ مَنْ يَنطقُ عن نعتِهِ	عاريةٌ أَبطلها الواحدُ
تَوحيدُه إيَّاهُ تَوحيدُه	ونعتُ مَن يَنعتُهُ لاحِدُ

* * *



= ولم يرد محو السوى في الخارج، وقد شرح هذا الكتاب العلامة ابن قيم الجوزية «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» وشرح الأشياء المشكلة وانتقدها.

القول في

أصناف أرباب الولاية قدس الله تعالى أسرارهم

ذُكر في كتاب «كشف المحجوب»[1]: أن الله تعالى أَبقى برهان النبوة إلى آخر الزمان، وجعلَ أولياءه سببَ ظهوره حتى تكونَ آياتُ الحقِّ وحجَّةُ محمد ﷺ ظاهرةً على الدوام، وجعلهم ولاة العوالم، فصاروا مُخلصين له، وسدُّوا طريقَ مُتابعة النفس، فينزلُ المطرُ من بركات أقدامهم، ويَنبتُ النباتُ بصفاءِ أحوالهم، وتكون نصرةُ المؤمنين على الكفَّار ببركات هممهم.

وهم أربعةُ آلافٍ مَكتومون، لا يَتعارفون فيما بينهم، ولا يعلمون جمالَ حالهم، ففي جميع الأحوال يكونون مستورين من الخلق ومن نفوسهم أيضاً، ورد الحديث بهذا المعنى[2]، وكلامُ المشايخ شاهد به، والحمد لله، وأنا بريءٌ من الريب صار ذلك لي عياناً.

وأمَّا أهلُ الحلِّ والعقد فثلاث مئة، يُقال لهم الأخيار، وأربعون منهم يُقال لهم الأبدال، وسبعةٌ منهم يُقال لهم الأبرار، وأربعةٌ يقال لهم الأوتاد، وثلاثةٌ منهم يُقال لهم النُّقباء، وواحدٌ هو قطب الأقطاب وهو الغوث.

وهؤلاء كلُّهم يَعرفون الأحوالَ فيما بينهم، ومحتاجون إلى أذنِ بعضِهم البعض في الأمور، وأيضاً الحديثُ ناطق بهذا[3]، وأهلُ التَّحقيقِ مُجمعون على صحَّة هذا الأمر.

---

(١) كشف المحجوب ٤٤٧. تأليف علي بن عثمان الهجويري الغزنوي المتوفى سنة ٤٦٥ باللغة الفارسية، وللكتاب أكثر من ترجمة، اعتمدنا على ترجمة الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل.

(٢) في كشف المحجوب ٤٤٧: والأخبار واردة بهذا.

(٣) في كشف المحجوب ٤٤٨: والأخبار المروية ناطقة بهذا.

وعدَّ صاحبُ كتاب «الفتوحات المكية»[1] في فصل واحد وثلاثين من باب ثمان وتسعين ومئة[2] من كتاب الرِّجال السبعة من الأبدال، وذكر فيه أنَّ الله قسَّمَ الأرضَ إلى سبعةِ أقاليم، واصطفى سبعةً، لكلِّ واحدٍ إقليمٌ يحرسه.

وقال الشيخ الأكبر: أنا اجتمعتُ بهم في مكَّة، وسلَّمتُ عليهم، فردُّوا جواب سلامي، وتكلَّمتُ معهم كلاماً، فما رأيتُ فيما رأيتُ أحسنَ سمةً منهم، ولا أكثرَ شُغلاً منهم بالله.

وقال الشيخ الأكبر: ما رأيتُ مثلَهم إلاّ رجلاً واحداً[3] في قونية[4].

وقال شيخ الطريقة الشيخُ فريدُ الدين العطار[5]، قدَّس الله سره: يكونُ قومٌ من أولياء الله عزَّ وجلَّ يُسمّونهم الأُوَيْسيين: لا يكون لهم الاحتياجُ إلى شيخٍ بحسب الظاهر؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ يربِّيهم في حِجْر العناية بلا واسطة، كما رُبِّي أُويسُ القَرَني، وهذا المقام عظيم[6] ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد: ٢٩].

وبعضُ كُمَّلِ الأولياء باتِّباعه ﷺ يُربِّي بعضَ المريدين بعد الموت بروحانيته، وما كان له شيخٌ في الظاهر، وهذه الجماعة أيضاً يُسمّون الأُوَيْسية.

وأكثر المشايخ في ابتداء إرادتهم كانوا بهذا المقام، كما كان الشيخُ أبو

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ٤٥٥.

(٢) في (ب): في فصل واحد وثنتين من باب ثمان وتسعين ومئة. وفي المطبوع: في الفصلين الأول والثاني من الباب الثامن والتسعين ومئة.

(٣) في الفتوحات المكية ٢/ ٤٥٦: ما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف ابن ساقط العرش بقونية، وكان فارسياً. وفي المطبوع: وهو جلال الدين الرومي.

(٤) قُونِيَة: بضم القاف، وسكون الواو، وكسر النون، وياء مخففة؛ من أعظم مدن الإسلام بالروم، وتقع حالياً وسط تركية، وفيها ضريح الشاعر جلال الدين الرومي. انظر معجم البلدان.

(٥) انظر ترجمته رقم (٥٧٣).

(٦) في (ص): وفي هذا المقام عظيم.

القاسم الجرجاني[1] الطوسي، قدَّس الله سره، وسلسلةُ أبي الجناب الشيخ نجم الدين الكُبرى تتَّصلُ به بثلاث وسائط، والشيخُ أبو الحسن الخَرقاني، والشيخ أبو سعيد بن أبي الخير كانا كذلك، وكان ذكرُهما في بداية الحال على الدوام: أُويس، أُويس.

* * *



(١) في (ص): الكركاني.

القول في

الفرق بين المعجزة والكرامة والاستدراج

وفي «التفسير الكبير» للإمام النحرير فخر الدين الرازي[1] رحمه الله: إذا ظهرَ فعلٌ خارقٌ للعادة على إنسانٍ فذلك إمّا أن يكون مقروناً بالدعوى، أو لا مع الدعوى.

والقسم الأول: وهو أن يكون بالدعوى إما أن تكونَ دعوى الإلهية، أو دعوى النبوَّة، أو دعوى الولاية، أو دعوى السِّحر وطاعة الشيطان، فهذه أربعةُ أقسام:

القسم الأول ادّعاء الألوهية: وجوَّزَ أصحابُنا ظهورَ خوارق العادات على يده من غير معارضةٍ، كما نُقل أنَّ فرعونَ كان يدَّعي الألوهية وكان يظهرُ على يده خوارقُ العادات، وكما نُقل ذلك أيضاً في حقِّ الدجال.

قال أصحابنا: وإنَّما جازَ ذلك لأنَّ شكلَه وخلقتَه تدلُّ على كذبه، وظهورُ الخوارق على يده لا يُفضي إلى التلبيس.

والقسم الثاني ادعاء النبوة: وهذا القسمُ على قسمين؛ لأنه إمَّا أن يكونَ ذلك المدَّعي صادقاً، أو كاذباً.

فإن كان صادقاً وجبَ ظهورُ الخوارق على يده، وهذا مُتَّفَقٌ عليه بين كلِّ من أقرَّ بصحَّة النبوة.

وأمّا من كان كاذباً فلم يجز ظهور الخوارق على يده، وبتقدير أن تظهر وجبَ حصولُ المعارضة.

---

(١) التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ٥/٤٧٦. تحت قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف..﴾.

والقسم الثالث وهو ادعاء الولاية: فالقائلون بكرامات الأولياء اختلفوا في أنه هل يجوزُ ادّعاء الكرامة، ثم إنّها تحصل على وفق دعواه أم لا ؟

والقسم الرابع وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان: فعند أصحابنا يجوزُ ظهور الخوارقِ على يده، وعند المُعتزلة لا يجوز.

وأمّا الثاني: وهو أن تظهرَ خوارقُ العادات على يد إنسانٍ من غير شيءٍ من الدَّعاوى، فذلك الإنسانُ إمّا أن يكونَ صالحاً مَرْضيًّا عند الله، وإمَّا أن يكون خبيثاً مذنباً.

والأول: هو القول بكرامات الأولياء، وقد اتَّفق أصحابُنا على جوازه، وأنكرها المعتزلة إلاّ أبا الحسين البصري[١]، وصاحبَه محمود الخوارزميَّ[٢]

أما القسم الثاني: وهو أن تظهرَ خوارقُ العادات على بعض من كان مردوداً عن طاعة [الله]، فهذا هو المُسمّى بالاستدراج.



(١) محمد بن علي الطيب أبو الحسين البصري، أحد أئمة المعتزلة، ولد في البصرة، وسكن بغداد، وتوفي بها سنة ٤٣٦، قال الخطيب البغدادي: له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانة على بدعته، من كتبه: المعتمد في أصول الفقه، الأعلام.

(٢) محمود بن محمد الخوارزمي ركن الدين، من أئمة المعتزلة، توفي سنة ٥٣٢ هجرية.

القول في

إثبات كرامات الأولياء

في كتاب «دلائل النبوة» للإمام المُستغفري[1]، رحمة الله عليه: كراماتُ الأولياء حقٌّ بكتاب الله تعالى، والآثار الصحيحة المروية، وإجماعِ أهل السُّنة والجماعة على ذلك.

فأمّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال أهل التفسير في ذلك: كان يرى عندها فاكهةَ الصيف في الشتاء، وفاكهةَ الشتاء في الصيف، ومريم رضي الله عنها، لم تكن نبيَّةً بالإجماع، فهذه الآية حجَّةٌ على مُنكر الكرامات للأولياء.

وفي كتاب «كشف المحجوب»[2]: أن الله تعالى أخبرنا في نصِّ الكتاب عن كرامة آصف، لمَّا أراد سُليمان عليه السلام، وعلى نبينا الصلاة والسلام، أن يُحضر تختَ بلقيس، فأراد اللهُ تعالى أن يُظهر شرفَ آصف على الخلق ويُري كرامته أهلَ زمانه، فقال سليمان، عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ

---

(١) دلائل النبوة لأبي العباس جعفر بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي الفقيه، وله اشتغال بالتاريخ، من رجال الحديث، كان خطيب نسف، وتوفي بها سنة ٤٣٢ هـ، له جملة من الكتب منها دلائل النبوة والذي جعل فيه الدلائل التي كانت قبل البعثة سبعة أبواب، والمعجزات عشرة أبواب، ورجال الحديث يأخذون عليه رواية الموضوعات من غير تبين. انظر الأعلام، وكشف الظنون ١/ ٧٦٠.

(٢) كشف المحجوب: ٤٦٤.

﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ [النمل: ٣٨ـ٤٠]، فما أنكرَ عليه، ولا استحاله عليه، ولا يكون هذا بوجه من الوجوه معجزةً؛ لأنَّ آصف لم يكن نبيّاً، فلا محالة تكون كرامة.

وأيضاً أحوالُ أصحاب الكهف، وكلامُ الكلب معهم، ونومهم، وتقلُّبهم من جنبٍ إلى جنبٍ آخر، قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ [الكهف: ١٨]، وهذه كلُّها خرقُ عادات وما كانت معجزةً، فلا بدَّ أن تكونَ كرامةً.

وأما إثباتُ الكرامة للأولياء من السُّنة الثابتة بالحديث الصحيح المرفوع، أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، قل لنا شيئاً من عجائب الأُمم الماضية. فقال ﷺ: «بينما ثلاثةُ نفرٍ ممَّن كان قبلكم يمشون، إذ أصابَهم مطرٌ، فأووا إلى غارٍ، فانطبقَ عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء، لا يُنجيكم إلاّ الصدقُ، فَلْيَدْعُ كلُّ رجلٍ منكم بما يعلمُ أنَّه قد صدقَ فيه. فقال أحدُهم: اللَّهُمَّ، إن كنتَ تعلمُ أنَّه كان لي أَجيرٌ عَمِلَ لي على فَرَقٍ[1] من أرز، فذهب وتركه، وأنّي عمدتُ إلى ذلكَ الفَرَقِ فزرعته، فصار من أمره أنّي اشتريتُ منه بقراً، وأنَّه أتاني يطلب أجرته، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقرِ فسُقْها. فقال لي: إنَّما لي عندك فَرَقٌ من أرز! فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر؛ فإنها من ذلك الفَرَقِ، فسُقها. فإن كنتَ تعلمُ أنّي فعلتُ ذلك من خشيتك ففرّج عنا. فانساحت عنهم الصخرةُ.

فقال الآخر: اللَّهُمَّ، إنْ كنتَ تعلمُ أنَّه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنتُ آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبن غنمٍ لي، فأبطأت عنهما ليلةً، فجئتُ وقد رقدا، وأهلي وعيالي يَتضَاغَون[2] من الجوع، وكنتُ لا أسقيهم حتى يشربَ أبواي، فكرهتُ أن أوقظهما، وكرهت أن أدعهما فيستكنَّا بشربتهما، فلم أزل أنتظرُ حتى طلع الفجر، فإن كنتَ تعلم أنّي فعلتُ ذلك من خشيتك ففرّجْ عنا. فانساحت الصَّخرةُ، حتى نظروا إلى السماء.

---

(١) الفَرَق: مكيال يسع ستة عشر رطلاً، وهي اثنا عشر مُدّاً، أو ثلاثة آصع عند أهل الحجاز. النهاية (فرق).

(٢) يتضاغون: يصيحون، ويبكون، ويضجون. النهاية (ضغا).

فقال الآخر: اللَّهُمَّ، إن كنتَ تعلمُ أنَّه كان لي ابنةُ عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأنِّي راودتها عن نفسها، فأبت إلاّ أن آتيها بمئة دينار، فطلبتُها حتى قدرتُ عليها، فأتيتها بها، فدفعتُها إليها، فأمكنتني من نفسها، فلمَّا قعدتُ بين رجليها، قالت: اتَّقِ الله، ولا تفضَّ الخاتم إلاّ بحقِّه. فقمتُ وتركتُ المئةَ دينار، فإنْ كنتَ تعلمُ أنّي فعلتُ ذلك من خشيتك ففرّج عنّا. ففرَّجَ الله عنهم، فخرجوا». رواه البخاري[1].

وعن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه قال: كان جُرَيْجُ الرَّاهبُ يتعبَّدُ في صومعته، فجاءت أُمُّه ـ قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفةَ أبي هريرة بصفة رسول الله ﷺ أُمَّه حين دعته، كيف جعلتْ كفَّها فوق حاجبها، ثم رفعت رأسَها إليه تدعوه ـ قال: فقالت: يا جُرَيْج، أنا أُمُّك كلّمني. فصادفته يُصلّي، فقال: اللَّهُمَّ، أُمّي وصلاتي!. فاختار صلاتَه، فرجعت، ثم عادت في الثانية، قال: فقالت: يا جُرَيْج، أنا أُمُّك، فكلّمني. قال: اللهم، أمي وصلاتي!. فاختار صلاتَه، قال: فقالت: اللهم، إنَّ هذا جُريج وهو ابني، وإنّي كلَّمتُه فأبى أن يُكلّمني، اللهم، فلا تمته حتى تريه المومسات. ولو دعتْ عليه أن يُفتن لفُتن، قال: وكان راعي ضأنٍ يأوي إلى ديره، قال: فخرجتِ امرأةٌ من القرية، فوقع عليها، فحملت، فولدت غلاماً، فقيل لها: ما هذا ؟!. قالت: من صاحب هذا الدير. قال: فجاؤوا بفؤوسهم ومساحيّهم، فنادوه، فصادفوه يُصلّي، فلم يكلّمْهم، قال: فأخذوا يهدمون ديره، فلمَّا رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سل هذه. قال: فتبسَّم، ثم مسحَ رأس الصبي، فقال: من أبوكَ ؟. فقال: أبي راعي الضأن. فلمَّا سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ما هدَّمناه من ديرك بالذهب والفضة. قال: لا، ولكن أعيدوه تُراباً كما كان. ثم علاه. رواه البخاري[2].

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٥٠٥ (٣٤٦٥) في الأنبياء، باب حديث الغار، ومسلم (٢٧٤٣) في الذكر، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة.

(٢) أخرجه البخاري ٦/ ٤٧٦ في أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم: ١٦]، ومسلم (٢٥٥٠) في البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

ثم قال الإمام المُستغفري، رحمه الله: والحجَّةُ عليهم من طريق الآثار كثيرةٌ، منها قولُ أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، لابنه عبد الله: يا بُني، إن وقعَ بين العربِ يوماً اختلافٌ فأتِ الغار الذي كنتُ فيه أنا ورسول الله ﷺ، وكنْ فيه؛ فإنَّه يأتيك رزقك بكرةً وعشياً.

وفي قوله، رضي الله عنه: (يأتيك رزقك بكرةً وعشيّاً). إثبات لكرامات الأولياء.

وروى الإمامُ المُستغفري بإسناده: عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، قال: أمر أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وقال: إذا أنا متُّ فجيئوا بي على الباب ـ يعني باب البيت الذي فيه قبرُ رسول الله ﷺ ـ فادفعوه، فإن فُتح لكم فادفنوني. قال جابر، رضي الله عنه: فانطلقنا، فدققنا[1] الباب، وقلنا: إنَّ هذا أبو بكر، رضي الله عنه، وقد اشتهى أن يُدفنَ عند النبيِّ ﷺ، ففُتحَ الباب، ولا ندري من فتحَ لنا، وقيل لنا: ادخلوا، فادفنوه كرامةً. ولا نرى شخصاً، ولا نرى شيئاً.

وروى الإمام المُستغفريُّ، رحمه الله، بإسناده: عن مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، خطبَ الناس بالمدينة، فقال: يا ساريةَ بن زُنيم، الجبلَ الجبلَ، من استرعى الذِّئبَ فقد ظَلَم. فأنكر الناس ذكرَ ساريةَ، وساريةُ بالعراق، فقال الناس لعليٍّ رضي الله عنه: إنَّا سمعنا عمرَ يَذكرُ ساريةَ، وساريةُ بالعراق على المنبر. فقال: ويحكم، دعوا عمر، فقلَّما دخلَ في شيءٍ إلاَّ خرجَ منه. فلم نلبث أن جاءَ رسولٌ أَنَّ ساريةَ لقي العدوَ فهزمهم، ثم جاءَ بالغنيمة إلى سفح الجبل، فأراد العدوُّ أن يَحولوا بينهم وبين الغنيمة وسفح الجبل، فأتاهم نداءٌ من السماء: يا ساريةَ بنَ زُنيم، الجبلَ الجبل، من استرعى الذِّئبَ فقد ظَلَم. قال: وكانوا يرون أنَّ صوتَ عمر، رضي الله عنه، هو الذي سمعوه[2].

---

(١) في المطبوع: فدفعنا.

(٢) رواه القشيري في الرسالة ٢٠٧، وقال: والأثر صحيح، والطوسي في اللمع ٣٩٦، =

وروى الإمامُ المُستغفري، رحمه الله، أيضاً بإسناده: أنّه لمّا فُتحتْ مصرُ أتى أهلُها إلى عمرو بن العاص، رضي الله عنه، فقالوا: أيُّها الأمير، إنَّ لنيلنا هذا سُنَّةً لا يَجري إلاّ بها. قال لهم: وما ذلك؟. قالوا: إذا كانت ثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمدنا إلى جاريةٍ بكرٍ بين أبويها، فأرضينا أبويها، فجعلنا عليها من الحُليّ والثياب أفضلَ ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل. فقال عَمرو: إن هذا الأمر لا يكون أبداً في الإسلام، وإنَّ الإسلامَ يهدمُ ما كان قبله. فأقاموا ثلاثةَ أشهرٍ لا يجري قليلاً ولا كثيراً، حتى هَمُّوا بالجلاء، فلمّا رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بنِ الخطاب بذلك، فكتبَ عمر، رضي الله عنه: إنَّك قد أصبتَ بالذي فعلت، وإنَّ الإسلامَ يهدمُ ما كان قبله. وبعثَ ببطاقةٍ في داخل كتابه، وكتب إليه: إنّي قد بعثتُ إليكَ ببطاقةٍ في داخل كتابي، فألقها في النيل.

فلمَّا قدمَ الكتاب إلى عمرو بن العاص أخذَ البطاقة، ففتحها، فإذا فيها: من عبدِ الله عمرَ أميرِ المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإنَّكَ إن كنتَ تجري من قِبَلِكَ فلا تجر، وإنْ كان اللهُ الواحدُ القهار سبحانه هو الذي يُجريك، فنسألُ الله الواحدَ القهار أن يُجريك. فألقى البطاقةَ في النيل، وقد تهيَّأ أهلُ مصرَ للجلاء، والخروج منها لأنها لا تقومُ مصلحتُهم فيها إلاّ بالنيل، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستَّةَ عشر ذراعاً في ليلة واحدةٍ، وقد قطع الله تلك السُّنَّةَ السُّوء عن أهل مصر إلى اليوم[1].

وروى الإمامُ المُستغفريُّ أيضاً بإسناده: عن نافع، عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: رأى عثمان، رضي الله عنه، ليلةَ قُتِلَ صبيحتها أنَّ رسول الله ﷺ وهو يقول: يا عثمان، إنَّك تُفطر عندنا. فقُتل، رضي الله عنه، من يومه[2].

= وابن حجر في الإصابة (ترجمة سارية بن زنيم) وقال: إسناده حسن. وانظر طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٣٢٣.

(١) ذكره السبكي في طبقاته ٢/ ٣٢٦، والمناوي في طبقاته ١/ ١٠، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١/ ٣٥.

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (ترجمة عثمان بن عفان) ٣٨٩ تحقيق سكينة =

وروى الإمام المُستغفريُّ، رحمه الله تعالى، بإسناده: أنَّ أميرَ المؤمنين علياً، رضي الله عنه، سأل رجلاً عن حديثٍ في الرَّحبة[1]، فكذَّبه، فقال: إنَّما كَذَّبتني. قال: ما كَذَّبتُكَ. قال: فأدعو الله عليك، إن كنت كاذباً أن يُعميَ بصرَك؟ قال: فادعُ الله. فدعا عليه أميرُ المؤمنين عليٌّ، رضي الله عنه، فعميَ بصرُه، فلم يخرجْ من الرَّحبة إلاّ وهو أعمى[2].

وهكذا عن سائر الصحابة والتابعين، وتبع التابعين، ومشايخ الطريقة، طبقةً بعد طبقة ظهرت الكراماتُ، وخرقُ العادات فلا تُعدُّ، ولا تُحصى.

قال الإمام القُشيريُّ، رحمه الله تعالى، في «رسالته»[3]: ولكثرة ما تواتر بأجناسها ـ يعني بأجناس الكرامات ـ من الأخبار والحكايات صار العلمُ بكونها وظهورِها على الأولياء علماً قوياً، انتفى عنه الشكوك، ومن توسّط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم يبقَ له شُبهةٌ في ذلك.

وإن المقصودَ من هذه المُبالغة والتَّطويلِ في إثبات الكرامة للأولياء حتى لا يكون أحدٌ سليمُ القلب، وما شاهد أحوالَ هذه الطائفة، ولا طالع أقوالَهم يسمعُ شيئاً من حكايات الجهَّال المُبتدعة بخلاف هذا، فيُنكر كراماتِ الأولياء؛ بل مُعجزات الأنبياء، فينهدُّ دينه، لأنَّ أرباب الضلالة والمُتشيِّخين ينفونَ الكرامةَ لإثبات الدعوى الكاذبة، حتى لا يفتضحوا بين العوام، وهم لا يلاحظون الفضيحة بين الخواص، فإنَّ مُرادهم ترويج مكان[4] الشيخوخة بلا

= الشهابي، مطبوعات مجمع اللغة العربية.

(١) الرحبة: اسم يطلق على عدّة أماكن، ولعلها رحبة خنيس، وهي محلة بالكوفة. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٣.

(٢) جاء في مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٥٢: خطب الناس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في الرحبة قال: أنشد الله امرأ نشدةَ الإسلام سمع رسول الله ﷺ يوم غدير خم أخذ بيدي، يقول: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم، وال من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» إلا قام. فقام بضعة عشر رجلاً فشهدوا، وكتم قوم، فما فنوا من الدنيا حتى عموا وبرصوا.

(٣) الرسالة القشيرية (٢٠٧) باب كرامات الأولياء.

(٤) في (ب) و (ح): دكان.

حالٍ ولا مقام، والجاهَ[1] بلا معنًى، فإن ظاهرهم لا يكون مُوافقاً للشرع، وباطنَهم لا يكون مُوافقاً حال المشايخ، ولا هم متَّصفون بخرقِ العادات، فلا جرم ينفون الكرامة، حتى يَصيدوا قلوبَ الجهَّال بإنكار الكرامات بالدَّلائل الفاسدة، وإن ظهرَ من أحدٍ خرقُ العادة بقوَّة الرياضة ولا تكون أعمالُه موافقةً للشرع، ولا باطنُه يُطابق آداب الطريقة، فهذا الخرقُ من قبيل الاستدراج والمكر، لا من مقولة الولاية والكرامة.

وفي كتاب «أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى»[2] تصنيف الشيخ الإمام قطبِ الأنام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السُّهروردي، قدَّس الله تعالى سره: ونعتقد أنَّ للأولياء من أمَّته ـ يعني أمة محمد ﷺ ـ كراماتٍ واجبات وهكذا كان في زمنٍ كلِّ رسول كان لهم أتباعٌ ظهرت لهم الكراماتُ ومخرقات العادات، وكرامةُ الأولياء من تتمّة مُعجزات الأنبياء، ومن ظهرَ له، وعلى يده من المخرقات، وهو على غيرِ الالتزامِ بأحكام الشريعة نعتقدُ أنَّه زِنديق، وأن الذي ظهرَ له مكرٌ واستدراج.

---

(١) في المطبوع: وادعاء الجاه.

(٢) أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى للسهروردي (انظر ترجمته رقم ٥٠٠) المتوفى سنة ٦٣٢، ألفه في مكة، ورتبه على عشرة فصول، من المباحث الكلامية. كشف الظنون ١٢٦/١.

القول في

أنواع الكرامات وخوارق العادات

هي كثيرةٌ، كإيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وإظهارِ أمرِ مَستور، وسترِ أمرِ ظاهر، واستجابة دعاء[1]، وقطعِ مسافةٍ بعيدةٍ في مدَّةٍ قليلة، واطلاعٍ على أمورٍ غائبة عن الحسّ، وإخبارٍ عنها، وحضورِ شخصٍ في أمكنة متعدّدةٍ مُختلفة في زمنٍ واحد، وإحياءِ الموتى، وإماتة الأحياء، واستماعِ كلام الحيوانات والنباتات والجمادات من التَّسبيحِ وغيره، وإحضارِ الطعام والشراب في وقتِ الاحتياج بغير سببٍ ظاهر، وغير ذلك من فنون الأعمال المناقضة للعادة، كالمشي على الماء، والسباحةِ في الهواء، وكالأكلِ من الكون، وكتسخير الحيوانات الوحشية، وكالقوَّةِ الظاهرة على أبدانهم؛ كالذي اقتلع شجرةً برجله من أصلها، وهو يدورُ في السَّماع، وضربِ اليد على الحائط فينشقّ، وبعضُهم يشير بإصبعه إلى شخصٍ ليقع فيقع، أو يضرب عنقَ أحدٍ بالإشارة فيطيرُ رأسُ المُشار إليه.

وبالجملة إذا جعلَ اللهُ لأحدِ أحبابه مظهر قدرته الكاملة يتصرَّفُ في هيولى[2] العالم كيف يشاء، وفي الحقيقةِ ذلك التصرُّفُ والقدرةُ لله الواحد القهّار، فلا يكون منه.

قال بعضُ كبراء العارفين: والأصلُ الذي يجمع لك هذا كلَّه أنَّ من خرقَ عادةَ نفسِه ممّا استمرت عليها نفوسُ الخلقِ أو نفسه، فإنَّ الله يخرقُ له عادةً مثلها في مقابلتها تُسمّى كرامةً عند العامة، وأمّا الخاصَّةُ فالكرامة عندهم العنايةُ

(١) في الأصل: واستجابة دعاء، واستتار أمرِ ظاهرٍ، وقطع.
(٢) في (ص) و (ب): هؤلاء.

الإلهية، التي وهبتهم التوفيقَ والقوة، حتى خرقوا عوائدَ أنفسِهم، فتلك الكرامةُ عندهم، وأما هذه التي تُسمّى في العموم كرامة، والرجال اتقوا[1] من ملاحظتها بمشاركة المُستدرج الممكور به، ولكونها معاوضة[2] خافوا أن تكونَ حظَّ عملهم؛ لأنَّ الحظوظَ محلُّها الدار الآخرة، فإذا عُجِّل منها شيءٌ فزعنا أن يكونَ حظَّ عملنا، وقد وردتْ في ذلك أخبار، وأنى يصحُّ الخوفُ مع الكرامة، فإذاً ليست بكرامةٍ عندنا، وإنَّما هي خرقُ عادةٍ، فإن اقترن معها البُشرى بأنها زيادة لا تُنقصُ حظًّا، ولا سبقت لحجابٍ فحينئذ تُسمّى كرامةً، فالبُشرى على الحقيقة هي الكرامة.

وقال أيضاً: أجلُّ الكرامات وأعظمُها التلذُّذُ بالطاعات في الخلوات والجلوات، ومنها مراعاةُ الأنفاس مع الله تعالى، ومنها حفظُ الأدب معه في تلقّي الواردات في الأوقات، ومنها الرضا عن الله تعالى في جميع الحالات، ومنها البشرى لهم من الله بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة.

* * *



(١) في (ب) والمطبوع: أنفوا.

(٢) في المطبوع: معارضة.

القول في

الصوفية متى سميت صوفية

قال الإمامُ القُشيري رحمه الله[1]: اعلموا، رحمَكم الله، أنَّ المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يَتسمَّ أفاضلُهم في عصرهم بتسميةٍ علمٍ سوى صحبة الرسول ﷺ، إذ لا فضيلةَ فوقها، فقيل لهم: الصحابة، ولمَّا أدركهم أهلُ العصر الثاني سُمّيَ من صحب الصحابة: التابعين، ورأوا ذلك أشرفَ سِمَةٍ، ثم قيل لمن بعدهم: أَتباعُ التابعين، ثم اختلفَ الناسُ، وتباينتِ المراتب، فقيل لخواصِّ الناس ممّن لهم شدَّةُ عنايةٍ بأمر الدين: الزهَّاد والعبَّاد، ثم ظهرتِ البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكلٌّ فريق ادعوا أن فيهم زهاداً، فانفردَ خواصُّ أهل السنة المراعون أنفاسَهم مع الله، الحافظون قلوبَهم عن طوارق الغفلة باسم: التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المئتين من الهجرة.

فما أذكرُ في هذا الكتاب إلاّ أسماءَ مشايخ الطائفة الصوفية، وتاريخ ولادتهم ووفاتهم، وذكر سيرتهم وأحوالهم، ومقاماتهم، ومعارفهم، وكراماتهم، فمن طالعه يحصلُ له اليقين بهذه الطائفة، ولا يتأثَّرُ من أقوال أهلِ البدعة، ونافي الكرامات، ويكون مَحفوظاً من غائلةِ الغواية، أعاذنا الله وجميعَ المسلمين من شرورِ أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، ووراء هذه الفائدة الفوائد كثيرة، أذكر بعضها بالتفصيل:

قال سيِّدُ الطائفة أبو القاسم الجُنيد بن محمد الصُّوفي، قدس الله سره: حكاياتُ المشايخ جندٌ من جنود الله تعالى. يعني للقلوب.

---

(١) الرسالة القشيرية: (٩) باب في ذكر مشايخ الطريقة.

وسئل: ما فائدة هذه الحكايات؟. فقال: قال الله تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠]، يعني نقصُّ قصص الأنبياء وأخبارهم عليك حتى نُثبِّتَ به قلبك، ومن استماعِ أحوالهم يحصلُ لك الصبرُ إذا توجَّه إليك البلاء والمحنة، واشتدَّ الجهاد.

فهكذا من حكايات المشايخ وأحوالهم تقوى قلوبُ المُريدين، ويزيد طلبُ مُريد الأحوال، والصبر على الأذى والفقر، والرضا بالبلاء والمحن، والرغبة في الرياضات الشاقة والمُجاهدات.

كما قيل: **المودَّةُ أحدُ القرابتين.**

وقيل: **لا قرابةَ أقربُ من المودَّة، ولا بعدَ أبعدُ من العداوة.**

ولله در القائل:

القومُ إخوانُ صدقٍ بينهم نَسَبٌ ... من المودَّةِ لم يعدلْ به سَبَبُ

وسئل النبي ﷺ عن رجلٍ يحبُّ قوماً، ولا يعملُ أعمالهم، فقال: «المرءُ مع من أحبَّ»[١].

وجاء في الخبر: «يجيء يومَ القيامة عبدٌ مُفلسٌ من الأعمال، قد يئس، فيقول الله تعالى: يا عبدي، هل تعرفُ ذلك العَالمَ الذي كان في المحلِّ الفُلاني؟، وهل تعرفَ ذلك العارفَ الذي كان في المحلِّ الفلاني؟. فيقول: أعرف. فيقول الله تعالى: غفرتُ لك به»[٢].

---

(١) عن صفوان بن عسال أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: المرء يحب القوم ولمّا يلحق بهم. قال النَّبي ﷺ: «المرء مع من أحب يوم القيامة» أخرجه الترمذي (٣٥٣٥) في الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وعن أنس قال: إن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، متى قيام الساعة؟ قال ﷺ: «وما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها من كثير عمل، ولا صلاة، ولا صيام، إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بالإسلام بشيء ما فرحوا به. أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١٠٤.

(٢) لم أجد له أصلاً في المصادر التي بين يدي.

فإذا حصلتِ النجاةُ من المعرفة، فكيف بمن يحبُّهم، ويُحسن إليهم، ويأخذُ من سيرتهم ويخدمهم؟ هو أولى بالمغفرة.

قال أبو العباس بن عطاء: إن لم تقدر على حبِّ الله تعالى فحبَّ من يُحبُّ الله؛ لأنَّ حبَّ أولياء الله حبُّه.

قال ﷺ: **«يا ابن مسعود، أتدري أيَّ عُرى الإسلام أوثق؟». قال: قلتُ: اللهُ ورسوله أعلم. قال: «الولايةُ في الله، والحبُّ فيه، والبغضُ فيه»**[1].

وقال فُضيل بن عياض، رحمه الله: يقول الله يوم القيامة: **يا ابنَ آدم، أمَّا زهدُك في الدنيا فإنَّما طلبت الراحة لنفسك، وأمَّا انقطاعك إليَّ فإنَّما طلبت العزَّ لنفسك، ولكن هل عاديتَ لي عدواً، أو واليتَ لي وليًّا؟**.

وأقلُّ الفوائد في استماع حكايات هذه الطائفة أنَّ من عَلِمَ أفعالهم وأقوالهم يعترفُ بتقصير أعماله، ويجتنب العُجبَ والرياء.

* * *

وحيث أذكرُ في هذا الكتاب شيخَ الإسلام مُطلقاً، فمُرادي الشيخ أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي، قدس الله سره.

وأوصى شيخُ الإسلام أن تَحفظَ عن كلِّ شيخٍ كلمةً، فإن لم تقدْر فاحفظ اسمَه، يحصلْ لك الفلاح.

وقال شيخ الإسلام: وأولُ الابتداء في هذا الشأن أن تقبلَ كلامَ المشايخ بقلبك، فلا تُنكره، وإن دعاك شيخٌ فلم تقبل، ووقعَ في نفسك حقارتُه فذلك أشدُّ المعصية؛ لأنَّه دليلُ الحرمان والحجاب، **نعوذ بالله من الخذلان**، فإنَّكَ إن قبلتَه، وكان على خلافِ اعتقادك لا يضرُّكَ ذلك شيئاً؛ لأنَّ قصدَك صحيح.

والله المُستعان، وعليه التكلان.

* * *

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢٣٨ (٦١٥) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٩٠، ١٦٢: فيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث.

(١) أبو هاشم الصوفي(*)

أبو هاشم الصوفي، قدس الله سره، كان مشهوراً بكنيته، شيخاً في الشام، وكوفي الأصل، وكان معاصراً لسُفيان الثوري.

مات سفيان الثوري، رحمه الله، بالبصرة سنة إحدى وستين ومئة.

قال سفيان الثوري: **لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء**(١).

وقال أيضاً عنه: ما علمتُ معنى الصوفي حتّى رأيتُ أبا هاشم الصوفي.

وكانوا قبله الزهّادُ والمتورِّعون والمتوكِّلون والمحبّون لله، لكن أولَ من سُمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي، وما سُمّي أحدٌ بهذا الاسم قبله.

وهكذا أول ابتداء بناء الخانقاه للصوفية الكرام لأجله في رملة الشام.

كما رُوي أنَّ يوماً من الأيام خرجَ سُلطان الرملة للصيد، وكان يهودياً، فبينما هو كذلك إذ رأى رجلين تلاقيا، فتصافحا، وتعانقا، وجلسا، وأخرجا ما كان عندهما، وأكلا، وتفارقا، فأعجبَ ذلك اليهوديَّ معاملتُهما، فنادى أحدَهما وكان أبا هاشم، وسأله عن صاحبه، فقال: لا أعرفه. قال: بينك وبينه قرابة؟. قال: لا. فقال: من أين كان؟. قال: لا أعلم. فقال السلطان: فما هذه الألفة والمودّة والمؤانسة بينكما؟. قال: هذه طريقتُنا وعادتنا إذا رأينا أحداً من جنسنا. فقال السلطان: ألك مكان أو محلٌّ معيَّنٌ حتى تجتمع فيه وتستريح؟. قال: لا. فقال: أنا أبني لك بيتاً في الرَّملة حتى تجتمع فيه وتستريح. فبنى في الرملة بيتاً، وسماه الخانقاه.

ولشيخ الإسلام، قدس الله سره:

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٥، تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٧، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٦، المختار من مناقب الأخيار ٣٨٩/ ب، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٢.

(١) في (ص): حقيق الرياء.

خيـــرُ دارٍ حـــلَّ فيهـــا خيــرُ أربـابِ الـدِّيـار
وقـــديمـــاً وفَّـــقَ اللـ ـــــهُ خيـــاراً لخيـــار

وقال أيضاً:

هي المعـالـمُ والأطـلالُ والـدَّارُ دارٌ عليهـا مـن الأَحبـابِ آثـارُ

وقال أبو هاشم: لقلعُ الجبال بالإبر أيسرُ من إخراج الكِبْر من القلوب.

ورأى أبو هاشم شريكاً القاضي صبحَ يومٍ خارجاً من بيت يحيى بن خالد[1]، فبكى أبو هاشم، وقال: أعوذُ بالله من علْم لا ينفع.

وعنه قال: أخذُ المرءِ نفسَه بحسن الأدب تأديبٌ لأهله.

قال منصور بن عمَّار الدمشقي: كان أبو هاشم مريضاً مرضَ الموت، فقلتُ له: كيف تجدُ نفسَك؟ قال: أرى بلاءً عظيماً لكنَّه ـ يعنى حبَّه ـ أكثر من البلاء. يعني إن كان البلاءُ أكبرَ لكنَّه في جنب حبه حقير.

قال شيخ الإسلام: إن كان البلاء بقدر الهوى، فما كان الهوى.

* * *

(٢) ذو النون المصري(*)

ذو النون المصري، رحمه الله، وقدّس سره، كان من الطبقة الأولى، واسمه ثَوبان بن إبراهيم، وكنيتُه أبو الفيض، وذو النون لقبه على الأصح، وفيه اختلافٌ كبير.

---

(١) يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل، الوزير السري الجواد، سيد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدب الرشيد ومعلمه ومربيه، رضع الرشيدُ من زوجة يحيى مع الفضل فكان يدعوه: يا أبي. ولما ولي هارون الخلافة دفع خاتمه إلى يحيى وقلده أمره، واستمر إلى أن نكب هارون البرامكة، فقبض عليه وسجنه إلى أن مات. انظر الأعلام.

(*) طبقات الصوفية ١٥، حلية الأولياء ٩/ ٣٣١ و ١٠/ ٣، تاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، الأنساب ١/ ١٣٥، الرسالة القشيرية ١٠، صفة الصفوة ٤/ ٣١٥، المختار من مناقب الأخيار =

وكان من إخْمِيم[1] مصر، وكان هناك قبر الشافعي[2]، رحمه الله، وأبوه كان نوبياً من موالي قريش، والنوبةُ بلادٌ بين صعيد مصر والحبشة.

وكان له إخوان، أحدُهم ذو الكفل، رُوي عنه حكاياتٌ في المعاملات وغيرها، وقيل: اسمه ميمون، وذو الكفل لقب له.

وذو النون كان من تلامذة مالك بن أنس، وكان على مذهبه، وسمع منه «الموطأ» وقرأ الفقه، وكان مُريداً لإسرافيل المغربي.

قال شيخ الإسلام: كان لا يفتخرُ بالكرامات والمقامات؛ لأنَّ الحالَ والوقتَ كانا تحت تصرفه.

وكان إمامَ الوقت، ووحيدَ العصر، وكان رأسَ هذه الطائفة، وجميعُ المشايخ يُنسبون إليه.

وكان أولَ من عبَّر عن الإشارة بالعبارة، وفتحَ الكلام في هذا الطريق، ولمَّا ظهرَ الجُنيد في الطبقة الثانية دوَّنَ العبارة في هذا الفن، ورتَّبها، وجمعها في الكتب، ولمَّا ظهرَ الشبلي تكلَّم بهذا العلم على المنابر، وأظهره بين الخلائق.

قال الجُنيد، رحمه الله: أنا تكلَّمتُ بهذا العلم في السراديبِ والبيوت خفيةً، ولمَّا جاءَ الشبليُّ تكلَّم بهذا العلم على المنابرِ، وأظهره على الخلائق.

وقال ذو النون: سافرت ثلاثةَ أسفار، وجئتُ بثلاثة علوم، ففي السفر الأول جئتُ بعلمٍ قبله العوامُّ والخواص، وفي السفر الثاني جئتُ بعلم قبله

= الأخيار ١٤٩/أ، اللباب ١/ ٣٥، وفيات الأعيان ١/ ٣١٥، مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٤٦، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٣٢، العبر ١/ ٤٤٤، الوافي بالوفيات ١١/ ترجمة ٣٧، مرآة الجنان ٢/ ١٤٩، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٧، طبقات الأولياء ٢١٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢٠، طبقات الشعراني ١/ ٧٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٩٧، شذرات الذهب ٢/ ١٠٧.

(١) إخميم: بلدة على شاطئ النيل الشرقي بصعيد مصر، وهي اليوم في إقليم سوهاج بمحافظة جرجا. انظر معجم البلدان، قاموس رمزي.

(٢) في المطبوع: وهو من أخميم مصر، و[قبره] هناك [في قرافة] الشافعي.

الخواصُّ دون العوام، وفي السفر الثالث جئت بعلم ما قبله الخواص ولا العوام، فبقيت شريداً طريداً وحيداً.

قال شيخ الإسلام، قدس سره: كان العلم الأول علمَ التَّوبة، فقبله العامُّ والخاص، والعلمُ الثاني علمَ التوكل فقبله الخواصُّ دون العوام، والعلم الثالث علمَ الحقيقة فما حمله علم الخلق، ولا احتمله عقلُ العقلاء، فهجروه وأنكروا عليه.

مات في سنة خمسٍ وأربعين ومئتين، فلمّا حملوا جنازته جاءت طيورٌ، وظلَّلت بأجنحتها على جنازته، حتى أظلَّت جميعَ الحاضرين بأجنحتها، ولم تُرَ هذه الطيورُ على أحدٍ غيره إلا على جنازة المُزنيِّ من تلامذة الشافعي، رحمه الله.

وبعد ذلك ظهرَ له القبول، وفي اليوم الثاني وجَدوا مكتوباً على قبره بخطٍّ لا يُشبه خطَّ الناس، وهو: ذو النون حبيبُ الله، من الشوق قتيلُ الله. وكلَّما محو ذلك المكتوب وجدوه كما كان.

قال شيخ الإسلام: ما كان السفر الثالث برِجْلٍ؛ بل كان بالهمم.

قال ذو النون: ما أعزَّ الله عبداً بعزٍّ أعزَّ من أن يدلَّه على نفسه.

وقال أيضاً: أخفى الحجاب وأشدُّه رؤيةُ النفس وتدبيرها.

وقال أيضاً: التفكُّرُ في ذات الله جهلٌ، والإشارة إليه شركٌ، وحقيقة المعرفة حِيرةٌ.

قال شيخ الإسلام: الحيرةُ نوعان، حيرةُ العوام، وهي إلحادٌ وضلال، والحيرة الأخرى في العيان وهي حيرةُ الوجدان.

وقال: في الابتداء انقطاعٌ واتصال، وفي الانتهاء لا انقطاعَ ولا اتصال.

ولشيخ الإسلام:

كيف يُحكَى وصلُ اثنين ... هما في الأصل واحد

من قسَّمَ الواحدَ جهلاً ... فهو بالواحد جاحد

قيل لذي النون المصري: مَنِ المُريد، ومَنِ المُراد ؟ قال: **المريد يطلبُ، والمُرادُ يهرب.**

قال شيخ الإسلام: المريد يَطلبُه بالعجز، والمُراد يهربُ عنه بالاستغناء.

وقال شيخ الإسلام: أولُ من مسح بشعرِ رأسه على رجلي أحمدُ الجشتي، ففي يومٍ من الأيام التقى أحمدُ في سوق بيل كران، يعني حفاري التراب، مع أبي سعيد المُعلّم، بقرب تربة الشيخ أبي إسحاق شهريار، وكانا يتباحثان فيما بينهما، هل المُراد أفضل أو المريد ؟ فلمّا رأياني، قالا: جاء الحاكم. قلت: **لا مُريد ولا مراد، ولا خبرَ ولا استخبار، ولا حدَّ ولا رسم، وهو الكلُّ بالكلّ.** فرمى أبو سعيد المرقعة عن رأسه، وصاح صيحةً، وذهب، وأحمد الجشتي وضع خدَّه على رجلي، ومسح شعر رأسه برجلي.

وقال ذو النون المصري: أردتُ الخروجَ من مصر إلى جدَّة، وركبتُ السفينة مع الجماعة، وركبَ شابٌ معنا عليه مَرقعة، وكنت مُتمنّياً أن أصحبه، وأتكلمَ معه، لكن من هيبته وعظمته ما قدرتُ أن أكلّمه، أو أقربَ منه، وما كان فارغاً من العبادة، ويوماً سُرِقَ من أحدٍ صُرَّةُ ذهبٍ وجواهر، وجميعُ أهل السفينة اتَّهموا بها الشاب، وهمّوا أن يُؤذوه، فقلت لهم: اسكتوا عنه، أنا أسأله. فتقرَّبتُ منه، وقلتُ بلطفٍ ولين: هؤلاء ظنُّوا بك كذا وكذا، وأرادوا أذاك، فمنعتُهم، فالآن كيفَ تفعل ؟. فرفع طرفه إلى السماء، وقال شيئاً سرًّا، فطلعَ حيتانُ البحر على الماء، في فم كلِّ حوتٍ جوهرةٌ، فأخذ منها جوهرةً واحدة، وأعطاها لصاحب الصُّرَّة، ووضع قدمه على الماء، وذهب وغاب عنَّا، فانتبه السَّارقُ، وأظهرها، وأعطاها صاحبَها، فندمَ أهلُ السفينة على ما كان منهم.

وكان ذو النون، قُدِّس سرُّه، سيَّاحاً، فقال: كنتُ في سفرٍ، فرأيت شابًّا، وبه قلقٌ واضطراب، فقلتُ: من أين يا غريب ؟. فقال: أيكونُ غريباً من كان له مع الله أُنسٌ ومودَّة ؟!. فصحتُ صيحةً، وخررتُ مغشياً عليَّ، فلمَّا أفقت، قال: ما لك ؟. قلت: وافق الدَّواءُ الألم.

قال شيخ الإسلام، قدس الله سره: من رآه حصلَ له القلقُ والاضطراب؛

لأنَّه عدوُّ التمكين والسكون، إذ هو وطنُ الغرباء، وكنزُ المُفلسين، ومع المحبّين والمُخلصين الموحِّدين، وإذا وجدتَ أحداً يُعالجُ مرضك، ويعرف وجعك فالزم ذيله.

وتوجّه ذو النون المصريِ، قدس الله سره، إلى العزيزي بالمغرب، وكان من قُدماء المشايخ، لتحقيق مسألةٍ، فقال العزيزي، قُدِّس سرُّه: إن كنتَ جئتَ لتحصيل علومِ الأولين والآخرين فهذا مُحالٌ؛ لأنَّ الله تعالى هو العالِمُ بعلم الأولين والآخرين، وإن كنتَ جئتَ لطلبه فقد تركته في المكان الذي خرجتَ منه.

قال شيخ الإسلام: هو مع الطالب، آخذٌ بيده، دائرٌ به.

* * *

(٣) إسرافيل المغربي(*)

إسرافيل المغربي، قدَّس الله سرَّه، من قدماء المشايخ.

قال شيخ الإسلام: هو من مشايخ ذي النون المصري، وكان في المغرب، وجاء إلى مصر، وله كلامٌ كثير في الزهد، والتوكّل، والمعاملات.

قال شيخ الإسلام: جاءه فتح بن شخرف إلى مصر لتحقيق مسألةٍ، وكانت المسافةُ من بلده إلى مصر ستَّ مئة فرسخ، فسأله: **هل يُعذِّبُ الأشرارُ قبل الزلل ؟**. قال: أمهلني إلى ثلاثة أيام. ثم ردَّ الجواب في اليوم الرابع، وقال: إن جازَ الثوابُ قبل العمل، جازَ العقاب قبل الزلل. وصُعق صعقة، وماتَ بعد ثلاثة أيام.

قال شيخ الإسلام: تأخُّرُ الجواب ثلاثة أيام لتأخُّرِ الموت، ولو ردَّ الجوابَ في أول يوم لمات ذلك اليوم.

(*) حلية الأولياء ٩/ ٣٤٦، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٤، الطبقات الصغرى ٢٢٣.

قال شيخ الإسلام: الرُّبوبية عين[1] العبودية، وقد قسم الله تعالى أفعالَ الخلق قبل الخلقة، فالخلقُ تحت حكمه ومشيئته، فما يُفعل شيءٌ[2] إلا ما رُقم عليه، يفعلُ ما يشاء ويَحكمُ ما يُريد، وله الحكم، وهو عادلٌ، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وفعل الحكيم لا يخلو عن الحكمة، وهو يعلمُ جزاءَ كلِّ عملٍ، ولكن لا يعلمُ أحدٌ عنايته على من.

* * *

(٤) أبو الأسود المكي(*)

أبو الأسود المكي، قدس الله سره، ذهبَ لزيارة العزيزي، فسلَّم عليه، وقال: أيُّها الشيخ، أنا أبو الأسود مُحبُّك. ففزع العزيزي، وقال: وعليك السلام، كيف حالُك؟. وغاب عن نفسه مدَّةَ ثلاثة أيام من ذلك الحال، فعرفَ أبو الأسود المكّي أنَّ العزيزي خرجَ من العُنْصرية والرسوم الإنسانية، فاغتنمَ رؤيته، ورجع.

* * *

(٥) أبو الأسود الراعي(**)

أبو الأسود الراعي أيضاً من كبار المشايخ.

وكان في الوادي فقال لأهله: كونوا مسرورين إذا ذهبتُ. فملأت أختُه ركوةً من اللبن، وأعطته إيّاها، وذهب، فلمَّا احتاجَ للوضوء، وأرادَ أن يتوضَّأ خرج لبنٌ من الركوة، فرجع إلى أهله، وقال: أنا مُحتاجٌ إلى الماء لا إلى

---

(١) في المطبوع: غير.

(٢) في المطبوع: فما يفعل [المخلوق] شيئاً.

(*) الكواكب الدرية ١/ ٥٥٢.

(**) الكواكب الدرية ١/ ٥٥٢، وفيه: أبو الأسود الدرعي.

اللبن. فصبَّ اللبن، وملأها ماءً، وذهب، فكلَّما أرادَ الوضوء خرج منها الماء، وكلَّما عطشَ أو جاع خرج منها اللبن.

* * *

(٦) أبو يعقوب الهاشمي (*)

أبو يعقوب الهاشمي كان من هذه الطائفة، رحمة الله عليه.

قال: ما نسيت يوم العيد الذي كنت فيه مع ذي النون، إذ رجع الناس من صلاة العيد مَسرورين، فقال ذو النون: ظنُّوا أنَّهم أدُّوا الأمانةَ ـ يعني طاعة رمضان ـ ولا يعلمون، أَقبِلَهُم الله تعالى أم لا، فتعال نبك عليهم.

قال شيخ الإسلام: هذه الحكاية مثلُ حكاية الجوهري، والجوهري هو من عرفَ قيمةَ الجوهر، فهو يخاف من ثقبه، ومن لا يعرفها يثقبه، فالوعيد لا يَحول ولا يَزول عن محلِّه، وأهلُه غافلون، وغير أهله حاضرون، فوقع الوعيد عليهم[1].

قال شيخ الإسلام: قال سباع الموصلي: قال داود عليه السلام: يا الله، أَمرتني، وقلت لي: اغسل وجهَك ويديك لخدمتي، وناديتني لصحبتك، فبأيِّ شيءٍ أَغسلُ به قلبي لصحبتك؟. قال: بالهموم والأحزان والغموم.

قال شيخ الإسلام: لا بدَّ من هذا في هذا الطريق.

* * *

(*) الكواكب الدرية ١/٥٤٨، الطبقات الصغرى ١٩٥.

(١) رواية المناوي في الكواكب: قال الهروي: هذا كلام كالجوهر فإن اللائق بذلك اليوم هو الاستغفار من التقصير الواقع في شهر رمضان.

(٧) وليد بن عبد الله السقَّاء(*)

وليد بن عبد الله السقاء، رحمة الله عليه، كنيته أبو إسحاق، وكان من أصحاب ذي النون، قُدِّس سرُّه.

قال وليد: قال ذو النون: رأيت في البادية زنجياً أسود فكان إذا ذكرَ الله يَصيرُ أبيض.

قال ذو النون: من يذكر الله حقيقةً تنفصلُ عنه صفتُه.

قال أبو عبد الله الرازي: ذهبتُ إلى وليد السقَّاء أسأله عن الفقر، فرفعَ رأسَه، وقال: الفقرُ مُسَلَّمٌ لمن لا يخطر في باله إلا الله، ويومَ القيامة أخرجُ من عُهدة هذا القول[1].

توفِّي وليدُ السقَّاء سنة عشرين وثلاث مئة، وقيل: سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة.

* * *

(٨) الفُضيل بن العياض(**)

الفضيل بن العياض، قدَّس الله سره العزيز، كان من الطبقة الأولى، كنيته أبو علي، وكان من الكوفة، وقيل: من خُراسان من ناحية مَرو، وقيل: ولد في

(*) طبقات الأولياء ٢٢٧.

(١) في طبقات الأولياء ٢٢٧: لا يستحق أحد اسم الفقر حتى يستيقن أنه لا يرد يوم القيامة أحد أفقر منه.

(**) معرفة الرجال ٢/ ٢١٣، طبقات ابن سعد ٥/ ٥٠٠، طبقات خليفة ٢٨٤، تاريخ خليفة ٤٥٨، التاريخ الصغير ٢/ ٢١٩، التاريخ الكبير ٧/ ١٢٣، المعارف ٥١١، الجرح والتعديل ٧/ ٧٣، مشاهير علماء الأمصار ترجمة ١١٧٩، ثقات ابن حبان ٧/ ٣١٥، طبقات الصوفية ٦، حلية الأولياء ٨/ ٨٤، الرسالة القشيرية ١١، صفة الصفوة ٢/ ٢٣٧، المختار من مناقب الأخيار ٣١٥/ب، جامع الأصول ١٥/ ٣٧، تهذيب =

سَمَرْقند، وكَبِرَ بباورد[1]، وكان كوفيَّ الأصل، وقيل: بُخاري الأصل، والله أعلم.

مات في المحرَّم سنة سبع وثمانين ومئة.

قال الفُضيل بن عياض، قدس الله سره: أعبدُ الله تعالى لحبِّه، ولا أُحبُّه إن لم أعبده.

ولمحمود الورَّاق[2]:

تَعصي الإلهَ وأنتَ تُظهر حبَّه ... هذا وربِّي في القياسِ بديعُ

لو كان حبُّك صادقاً لأطعتَه ... إنَّ المُحبَّ لمن يُحبُّ مطيعُ

قال شيخ الإسلام، قدس سره: من عبده لأجل الخوف، أو لطمع النجاة، لا لجهة المحبّة، ولا لإطاعة أمره فقد عَبَدَ نفسَهُ، وأنا لا أعبده لأجل الخوف ولا لطمعِ مثل الأجير، ولا لدعوى المحبّة، لأنّي لا أقدرُ أن أعبده حقَّ العبادة فأعجز عنها، لكن أعبدهُ لامتثال أمره ولحبِّ سُنَّة رسولِ الله ﷺ، وأعترفُ بتقصير نفسي.

سُئل محمد بن سعيد الزنجي، رحمة الله عليه: مَنِ السِّفْلة ؟. قال: مَنْ يَعبدُ الله بخوفٍ أو رجاء. قالوا: فأنت، كيف تعبدُه ؟. قال: أَقامني في العبادة حبُّه.

= الأسماء واللغات ٢/ ٥١، وفيات الأعيان ٤/ ٤٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٩٨، تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٨١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١ (١١٤)، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٤، العبر ١/ ٢٩٨، طبقات الأولياء ٢٦٦، العقد الثمين ٧/ ١٣، تهذيب التهذيب ٨/ ٢٩٤، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢١، طبقات الشعراني ١/ ٦٨، الكواكب الدرية ١/ ٢٩٥، شذرات الذهب ١/ ٣١٦.

(١) أَبِيْوَرْد: ذكرت الفرس في أخبارها أن الملك كيكاوس أقطع باورد بن جودرز أرضاً بخراسان، فبنى فيها مدينة، وسماها باسمه، فهي أَبِيْوَرْد، مدينة بخراسان بين سرخس ونسا، فتحت على يد عبد الله بن عامر بن كريز سنة ٣١. معجم البلدان ١/ ٨٦.

(٢) ديوان محمود بن حسن الوراق، (شاعر، أكثر شعره في المواعظ والحكم مات سنة ٢٢٥) صفحة ٢٢٧، وقد جعله الدكتور وليد قصاب جامع الديوان ضمن الأشعار التي يرجح أنها له.

قال شيخ الإسلام: كان للفضيل بن عياض ولد اسمه علي، وكان أقوى منه، كان زاهداً عابداً متّقياً فوق أبيه، فقرأ قارئ عند زمزم: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟. . . ﴾ [الزمر: ٦٠]، فسمعه، فزعق، وخر ميتاً[1].

قال شيخ الإسلام: من المحبِّ إشارة، ومن العارف بذلُ الروح.

من مات عشقاً فليمُتْ هكذا لا خيرَ في عشقٍ بلا مَوتِ

* * *

(٩) يوسف بن أسباط[*]

يوسف بن أسباط كان من المتقدّمين، وسيِّدَ الزاهدين، ومن أئمة الشرع المتورّعين، غلبَ عليه الخوفُ والفزع والعلم.

ومات سنة ستٍّ وتسعين ومئة[2].

قال شيخ الإسلام: قال يوسف بن أسباط: أعطى الله المحبّين ثلاثةَ أشياء: الحلاوةَ، والمهابةَ، والمحبّةَ[3].

---

(١) الآية التي سمعها، فسقط ميتاً هي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ. . . ﴾ الآية ٢٧ الأنعام. انظر الكواكب الدرية ١/ ٣٧٦. وفي الأصول: ويوم القيامة ترى المجرمين.

(*) تاريخ ابن معين ٦٨٤، التاريخ الكبير ٨/ ٣٨٥، التاريخ الصغير ٢/ ٢٤٢، ضعفاء العقيلي ٤/ ٤٥٤، الجرح والتعديل ٩/ ٢١٨، مشاهير علماء الأمصار ١٤٩٠، ثقات ابن حبان ٧/ ٦٣٨، الكامل في الضعفاء ٧/ ١٥٧، حلية الأولياء ٨/ ٢٣٧، صفة الصفوة ٤/ ٢٦١، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٥/ب، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٦٩، ميزان الاعتدال ٤/ ٤٦٢، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٠٧، طبقات الشعراني ٤٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٤٨٩.

(٢) اختلفت المصادر في تحديد سنة وفاته ففي ثقات ابن حبان ٧/ ٤٦٨: توفي سنة ١٩٥، وفي صفة الصفوة: توفي قبل المئتين بسنة، وفي الكواكب الدرية ١/ ٤٩٣: مات سنة ثنتين وتسعين ومئة.

(٣) في سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٠: للصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة.

(١٠) معروف الكرخي(*)

معروف الكرخي، قدَّسَ الله سره، من الطبقة الأولى، ومن قُدماء المشايخ، وأستاذُ سريٍّ السَّقَطي وغيره، وكنيته أبو محفوظ، واسم أبيه فيروز، وقيل: فَيْرُوزان.

وقيل: معروف بن علي الكرخي، وأبوه كان مولًى وبواباً للإمام علي بن موسى الرِّضا[١]، رضي الله عنهما، وقيل: أَسلمَ على يده.

وسببُ موته أنَّه حصلتْ زحمةٌ عند باب علي بن موسى الرِّضا، فوقع أبو معروف الكرخي، فوطئه الناس، فمات[٢].

وصحب معروفُ الكرخي داودَ الطائي، قُدِّس سرُّه، ومات داود الطائي سنة خمسٍ وستين ومئة، ومعروف سنة مئتين[٣].

قال معروف: إن الصوفي ههنا ضيف، فإذا تقاضى الضَّيفُ من المضيف حقاً، فينبغي للمضيف أن يكون مؤدباً، ومنتظراً لا متقاضياً.

(*) ثقات ابن حبان ٩/ ٢٠٦، طبقات الصوفية ٨٣، حلية الأولياء ٨/ ٣٦٠، تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٩، الرسالة القشيرية ١٢، طبقات الحنابلة ١/ ٣٨١، مناقب الأبرار ٣١/ ب، الأنساب ١٠/ ٣٨٩، صفة الصفوة ٢/ ٣١٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٧٢/ ب، وفيات الأعيان ٥/ ٢٣١، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٣٩، دول الإسلام ١/ ١٢٦، العبر ١/ ٣٣٥، مرآة الجنان ١/ ٤٦٠، طبقات الأولياء ٢٨٠، طبقات الشعراني ١/ ٧٢، الكواكب الدرية ١/ ٧١٥، شذرات الذهب ١/ ٣٦٠.

(١) الذي كان بواب الإمام هو معروف لا والده. انظر طبقات الصوفية ٨٣، والكواكب الدرية ١/ ٧١٥. ووالدا معروف أسلما على يد معروف.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٤٣: حكى أبو عبد الرحمن السلمي شيئاً غير صحيح، وهو أن معروفاً الكرخي كان يحجب عليَّ بن موسى الرِّضا، قال: فكسروا ضلع معروف، فمات، فلعلَّ الرضا كان له حاجب اسمه معروف، فوافق اسمه اسم زاهد العراق.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٩/ ٣٣٩: وذكر السلمي أنه صحب داود الطائي، ولم يصح.

قال رجلٌ لمعروف: أوصني. فقال: احذر ألاّ يراك الله إلا في زيٍّ مسكين.

وقال شيخ الإسلام: قال معروفٌ لولد أخته[1]: إن كان لك حاجةٌ فأقسم عليه بي، لأنَّ النبيَّ ﷺ يقول في دعائه: «اللهم، إنّي أسألك بحقِّ السائلين عليك، وبحقِّ الراغبين إليك، وبحقِّ ممشاي إليك»[2].

سُئل معروف عن المحبَّة، فقال: المحبَّةُ ليست من تعليم الخلق، إنَّما هذه من مواهب الحقِّ وفضله.

وقبره في مدينة بغداد، يُزار، ويتبرَّكُ به، ومن دعا عند قبره يُستجاب دعاؤه، مجرب.

* * *

(١١) أبو سليمان الداراني(*)

أبو سليمان الداراني[3]، قدس الله سره، من الطبقة الأولى، اسمه عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العَنسي، وقيل: عبد الرحمن بن عطية.

وهو من قدماء مشايخ الشام، من قرية داريا، وهي قريةٌ من قرى دمشق، وقبره هناك.

---

(١) في المطبوع: أخيه.

(٢) رواه أحمد في المسند ٣/ ٢١، وابن السني في عمل اليوم والليلة حديث رقم ٨٤ و ٨٥، وابن ماجه (٧٧٨) في المساجد، باب الماشي إلى الصلاة. كلهم دون قوله: «وبحق الراغبين إليك».

(*) الجرح والتعديل ٥/ ٢١٤، تاريخ داريا للخولاني ٥١، طبقات الصوفية ٧٥، حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨، الرسالة القشيرية ١٩، مناقب الأبرار ٦٤/ ب، تاريخ ابن عساكر ٤٠/ ٧٧، الأنساب ٥/ ٢٤٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٥١/ ب، وفيات الأعيان ٣/ ١٣١، مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢، العبر ١/ ٣٤٧، فوات الوفيات ٢/ ٢٦٥، مرآة الجنان ٣/ ١٣١، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، طبقات الأولياء ٣٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٩، طبقات الشعراني ١/ ٩٢، الكواكب الدرية ١/ ٦٦٩، شذرات الذهب ٢/ ١٣.

(٣) الدَّاراني نسبة إلى داريا، قرية جنوب دمشق بحوالي ٨ كم، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب. انظر الأنساب ٥/ ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣١.

وكان أستاذَ أحمد بن أبي الحواري، ريحانةِ الشام.

مات سنة خمس عشرة ومئتين.

سُئل أبو سليمان: ما حقيقةُ المعرفة؟. فقال: ألاّ يكونَ المُرادُ في الدنيا والآخرة إلاّ واحداً.

وقال: قرأتُ في كتاب: قال الله تعالى: **كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي، فإذا جَنَّه الليلُ نام عني.**

وقال أيضاً: كنتُ في العراق عابداً، وفي الشام عارفاً.

قال بعضُ هذه الطائفة[1]: كان في العراق عابداً، ولأجل هذا صارَ عارفاً في الشام، ولو كان هناك أعبدَ لكان هنا أعرفَ.

وقال أبو سليمان: **ربَّما تَنكُتُ الحقيقةُ في قلبي أربعين يوماً، فلا آذنُ لها أن تدخلَ قلبي إلاّ بشاهدين، الكتاب والسُّنَّة.**

وقال: أيُّ شيءٍ شغلك عن الحقِّ سبحانه وتعالى فهو شؤمٌ عليك، وأيُّ شيءٍ يُحوّلُ وجهَكَ عن الحقِّ إلى الأسباب فهو عدوُّكَ، وكلُّ نَفَسٍ يخرجُ في غفلة يكون عليك.

[وقال أيضاً: أدخلهم الجنان قبل أن يطيعوه، وأدخلهم النار قبل أن يعصوه][2]

وعنه أيضاً: **إذا بكى القلبُ من الفقد ضحكَ الرُّوح من الوجد.**

قال أحمد بن أبي الحواري: قلتُ لأبي سُليمان: صلَّيتُ صلاةً في خلوةٍ، فوجدتُ فيها لذَّةً. قال: ما كان سببُ لذَّتك؟. قلت: ما رآني أحد. قال: **إنَّك لضعيف، حيث خطرَ بقلبك ذكرُ الخلقِ**[3].

وعنه قال: **لكلِّ شيءٍ صدأ، وصدأُ نورِ القلب الشِّبعُ.**

---

(١) القول لسليمان بن أبي سليمان. انظر طبقات الأولياء ٣٩٢.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من المطبوع الفارسي.

(٣) في (ب) والمطبوع: الخلوة. وفي حلية الأولياء ٩/٢٧٨: حيث خطر الناس على قلبك في الخلاء.

وعنه قال: من أظهر الانقطاع إلى الله فقد وجبَ عليه خلعُ ما دونه من رقبته.
وعنه قال: أبلغُ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المُحاسبةُ.

* * *

(١٢) داود بن أحمد الداراني(*)

داود بن أحمد الدَّراني، رحمةُ الله عليه، هو أخو أبي سُليمان الداراني، وكان صاحبَ الرياضة الشاقَّة.

صحب أخاه أبا سليمان، وكلامُه في المعاملات مثلُ أخيه.

قال أحمد بن أبي الحواري: سألتُ داود، ما تقولُ في قلب إذا سمع الصوتَ الحَسَنَ تأثَّرَ؟. قال: ذاك القلبُ ضعيفٌ ومريض، يُعالجه ويداويه[1].

* * *

(١٣) داود بن نُصير الطائي(**)

أبو سليمان، داود بن نُصَيْر الطائي، قدَّس الله سرَّه، من الطبقة الأولى، ومن كُبراء المشايخ، وساداتِ أهلِ التصوف، وما كان له نظيرٌ في عصره.

(*) مختصر تاريخ دمشق ٨/ ١٤٢، طبقات الأولياء ٣٩٣.

(١) في مصادر ترجمته: كل قلب يؤثر فيه الصوت الحسن فهو ضعيف، يداوى كما تداوى النفس المريضة.

(**) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٧، التاريخ الكبير ٣/ ٢٤٠، التاريخ الصغير ٢/ ١٣٦، المعارف ٥١٥، مشاهير علماء الأمصار ١٦٨، الثقات ٦/ ٢٨٢، طبقات الصوفية ٨٥، حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، الرسالة القشيرية ١٧٢، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، الأنساب ٨/ ٣٠٦، صفة الصفوة ٣/ ١٣١، المختار من مناقب الأخيار ١٣٩/أ، تهذيب الكمال ٨/ ٤٥٥، وفيات الأعيان ٢/ ٢٥٩، العبر ١/ ٢٣٨، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٢، ميزان الاعتدال ٢/ ٢١، مرآة الجنان ١/ ٣٥٠، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٩٥، طبقات الأولياء ٢٠٠، تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٣، طبقات الشعراني ١/ ٧٦، الكواكب الدرية ١/ ٢٧٢، شذرات الذهب ١/ ٢٥٦.

كان من تلامذة أبي حنيفة، رضي الله عنه، ومن أقرانِ الفُضيل، وإبراهيم بن أدهم وغيرهما.

وكان في الطريقة مُريداً لحبيب الراعي.

وكان له حظٌّ وافرٌ في جميع العلوم، وكان في الدرجة العُليا، وفي الفقه فقيهَ الفُقهاء، أعرضَ عن الرِّياسة، واختار العُزلة، وكان زاهداً متورّعاً مُتَّقياً، وله فضائلُ كثيرة، ومناقبُ لا تعدُّ.

قال لمُريده: إنْ أردتَ السَّلامة سلِّمْ على الدنيا، وإن أردتَ الكرامة كبِّر على الآخرة.

ورُويَ عن معروف الكرخي، قُدِّس سره، قال: ما رأيتُ أحداً تكون الدنيا حقيرةً في نظره مثلَ داود الطائي؛ لأنَّه ليس للدنيا وأهلِها عنده قدرٌ وخطر، بل يحبُّ الفقراء، ويلتفتُ إليهم، وإن كانوا مُخلطين.

* * *

(١٤) إبراهيم بن أدهم(*)

إبراهيم بن أدهم، قدس الله روحه، من الطبقة الأولى، كنيتُه أبو إسحاق، ونسبته إبراهيم بن أدهم بن سليمان بن منصور البلخي.

كان من أبناء الملوك، وتابَ في أيام شبابه، وسببُها أنَّه خرجَ يوماً للصيد، فهتفَ به هاتفٌ، يقول: ما أُمرتَ بهذا، ولا خُلقت لهذا. فانتبه، ودخلَ في

(*) التاريخ الكبير ١/ ٢٧٣، طبقات الصوفية ٢٧، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، ٨/ ٣، الرسالة القشيرية ٩، صفة الصفوة ٤/ ١٥٢، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤١أ، الأنساب ٢/ ٢٨٤، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٧، تهذيب الكمال ٢/ ٢٧، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨٧، مرآة الجنان ١/ ٣٤٩، الوافي بالوفيات ٥/ ٣١٨، فوات الوفيات ١/ ١٣، البداية والنهاية ١٠/ ١٣٥، طبقات الأولياء ٥، تهذيب التهذيب ١/ ١٠٢، طبقات الشعراني ١/ ٦٩، الكواكب الدرية ١/ ١٩٥، شذرات الذهب ١/ ٢٥٥.

هذا الطريق، وذهب إلى مكَّة، وصحبَ سفيان الثوري، والفُضيل بن عياض، وأبا يوسف الغسولي، ثم ذهبَ إلى الشام، واختار الكسبَ، وطلبَ الحلال بحفظ البساتين وحصادِها.

وكان محدِّثاً، وصاحبَ كرامات، وولايةٍ، ومات بها سنة إحدى أو اثنتين وستين ومئة، ويقال: في سنة ستٍّ وستين، وهذا الأكثر.

صحبَ رجلٌ إبراهيم زماناً طويلاً، ولمّا أرادَ أن يُفارقه، قال: عَسى وقعَ مني سوءُ أدبٍ، يا إبراهيم؟ فقال: أنا أحبُّك، وحبُّك سترَ عيبَك، فما رأيتُ منك إلاّ خيراً.

ويقبُحُ من سِواكَ الفِعلُ عندي   وتفعلُـهُ فيحسُـنُ منـك ذَاكـا[1]

قال عثمان بن عمار: كنتُ في أرضٍ كثيرة الحجر مع إبراهيم بن أدهم، ومحمد بن ثوبان، وعباد المِنقَري، وكنَّا نتحدَّثُ في أحوال الصوفية وكان شابٌّ قاعداً من بعيدٍ في غاية الذُّلِّ والانكسار، فقال: يا أيُّها الفتيان، أنا رجلٌ في هذا الشغل، ولا أرقدُ في الليل، ولا أُفطر في النهار، وقسَّمتُ عمري أقساماً، أحجُّ سنةً، وأغزو سنةً، وما شمَّيتُ من هذا الطريق شيئاً، ولا أَجدُ في قلبي شيئاً، ولا أَعلمُ ما تقولون. فما التفتَ إليه أحدٌ، ولا ردَّ أحدٌ عليه جواباً، ورجعوا إلى كلامهم، ثم قال بعضُهم: احترقَ قلبي لذلِّه وانكساره، فقال له: يا فتى، هؤلاء طالبون ومريدون وجهَ الله، لا بكثرة العبادة والخدمة؛ بل بطريق المُراقبة والتفكُّر، وليس التصوف عين العبادة، والصوفيُّ لا يَخلو من العبادة.

وقال شيخ الإسلام: ليس معناه أنهم لا يَعبدونَ الله؛ بل يعبدونه أكثرَ من عبادة الخلق، لكنَّهم لا يَرونها، ولا يعدُّونها، ولا يطلبون العوضَ ولا المكافأة عليها، بل رأسُ مالهم شيءٌ آخرُ في الباطن لا في الظاهر، فهم بالظاهر مُتلبِّسون، وفي الباطن مستغرقون.

---

(١) البيت في محاضرات الأدباء ٣/ ٤٩ منسوب للمتنبي، ولم أجده في ديوانه.

قال أبو القاسم النَّصراباذي، قدس الله سره: **جذبةٌ من جذباتِ الحقِّ تُربي على عملِ الثَّقلين.**

وتصاحب كلٌّ من إبراهيم بن أدهم، وعليٍّ بن بكَّار، وحُذيفة المَرْعشي، وسَلْم الخوَّاص، وتبايعوا على ألاَّ يأكلوا شيئاً إلا بعد تيقُّنِ حِلِّه، فلمَّا عجزوا عن وجدان الحلال، قالوا: لا نأكلُ إلاّ قليلاً، قدر ما يقومُ به الصُّلبُ.

* * *

(١٥) إبراهيم بن سعد العلوي (*)

إبراهيم بن سعد العلوي الحسني، قدس الله سره، كنيته أبو إسحاق، وكان من قدماء المشايخ من أهل بغداد، وذهب إلى الشام فتوطن بها، وله كرامات ظاهرة، وكان نظيرَ إبراهيم بن أدهم.

قال شيخ الإسلام: أعرف ألفاً وبضعاً ومئتين من مشايخ هذه الطائفة، اثنين منهم علويين أحدهما إبراهيم بن سعد، وثانيهما حمزة العلوي صاحب الكرامات.

وإبراهيمُ بن سعد أستاذُ أبي الحارث الأُولاسي، وأبو الحارث الأولاسي أكلَ في ابتداء إرادته بيضاً في بيته بلا رفيق، وذهبَ إلى إبراهيم بن سعد، فوجده ماشياً، فلمَّا وصلوا النهرَ وضعَ قدمه على الماء، وقال له أبو الحارث: خذ بيدي. فلمَّا أخذَ بيده، غارت رجلُه في الماء بحيث لا يقدر أن يُخرجها، فقال إبراهيم: حبس رجلَك البيضُ. وعاتبه بهذا، وقال: لستَ تستحقُّ هذا الطريق، فاعتزلْ عن الخلق، وفرّغ قلبك، واعبد ربَّك.

* * *

(*) حلية الأولياء ١٠/١٥٥، تاريخ بغداد ٦/٨٦، صفة الصفوة ٢/٤٢٩، المختار من مناقب الأخيار ١/٥٠أ، مختصر تاريخ دمشق ٤/٥٠، طبقات الأولياء ٢٤، الكواكب الدرية ١/٥٠٤.

(١٦) أبو الحارث الأُولاسي(*)

أبو الحارث الأولاسي، رحمه الله، اسمه فَيْض بن الخضر، وكان من تلامذة إبراهيم بن سعد العلوي.

قال أبو الحارث: سببُ مُلاقاتي بإبراهيم أنّي خرجتُ من أُولاس[١] إلى مكة في غير أيام الموسم، فلقيتُ ثلاثةَ أنفارٍ، فقلت: أنا معكم. فافترقَ منهم اثنان، وبقي إبراهيم بن سعد العلوي معي، فقال: إلى أين تذهب؟. فقلت: إلى الشام. قال: أنا ذاهبٌ إلى جبل لُكّام[٢]. ففارقتُهُ، وكانت بيني وبينه مكاتباتٌ على الدوام.

قال أبو الحارث: كنتُ مع إبراهيم بن سعد في جبل لُكّام فخرجنا، فمرَّ بنا عسكري آخذٌ امرأةً عجوزاً ضعيفة، فاستغاثت، فشفع إبراهيمُ، فما قبل شفاعته، فدعا عليه، فخرّا مغشيين، فمات العسكري وأفاقت العجوز وذهبنا، فقلت: أنا لا أقدرُ أن أصحبَك؛ وأنت مُستجابُ الدعوة، وأخافُ أن يظهر منّي سوءُ أدبٍ، فتدعو عليَّ. قال: لستَ آمناً مني ؟!. قلت: لا. فأوصاني، وقال: اقنعْ من الدنيا بقليل.

وقال أبو الحارث: كنتُ في أولاس يوماً جالساً، فأردتُ الخروجَ، فلمّا خرجتُ رأيت شخصاً يُصلّي بين الأشجار، ففزعتُ من هيبته وعظمته، فلمّا

(*) تاريخ بغداد ٦/ ٨٦، الرسالة القشيرية ٢١٤، الأنساب ١/ ٣٨٨، المنتظم ٦/ ٩٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٨١، اللباب ١/ ٩٤، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٠٥.

(١) أولاس: حصن على ساحل بحر الشام من نواحي طَرسُوس، فيه حصن يُسمَّى حصن الزهاد. معجم البلدان.

(٢) اللُّكّام: بالضم، وتشديد الكاف، ويروى بتخفيفها، جبل مشرف على أنطاكية والمصيصة وطرسوس، وفيه من جميع الفواكه والزرع من غير أن يزرعها أحد، وفيه يكون الأبدال من الصالحين. معجم البلدان ٥/ ١١، ٢٢. وهو المسمى قديماً وحديثاً الأمانوس.

قربتُ منه فإذا هو إبراهيم بن سعد، فقصَّر الصلاة، وسلّم عليَّ، وجاء إلى ساحل البحر، وحرَّك شفتيه، فطلع الحيتان صفوفاً إليه[1]، فخطر في بالي: أين الصيادون حتى يصيدوا هذه الحيتان؟. فتفرَّقوا، فقال: يا أبا الحارث، ليس عندك قابليةٌ لهذا الطريق، اعتزل عن الخلق، واقنعْ بقليلٍ من الدنيا حتى يأتيك الموتُ. وغاب عنّي، فما رأيتُه بعده أبداً.

وقال أبو الحارث: لمَّا سمعت بذي النون عزمتُ إليه لأَسألَه عن مسألةٍ، فلمَّا وصلتُ إلى مصر قالوا: مات أمس. فذهبتُ إلى قبره، وصلّيتُ عليه، وقعدتُ عند قبره، فغلبني النوم، فرأيتُه في المنام، فسألته عمّا كان عندي مُشكلٌ، فردَّ لي الجواب.

* * *

(١٧) إبراهيم ستنبه الهروي[*]

إبراهيم ستنبه الهروي، قدس الله سره، كنيتُه أبو إسحاق، صحبَ إبراهيم بن أدهم، وكان من أقران أبي يزيد، وأصله كرماني، وأقام بهراةَ، ولهذا يقال له الهَروي، وقبره في قزوين يُزار، ويتبرَّكُ به.

قال: صحبتُ إبراهيم بن أدهم، فدلّني أولاً على التجريد من الدنيا، ثم أمرني بالكسب، فكنتُ أكتسبُ[2]، وأُنفق على الفقراء، ثم أمرني بترك الكسب، وقال: توكَّلْ على الله، حتّى يحصلَ لك الصدق واليقين. فعملتُ ما أمرني به، ثم أَمرني بدخول الصحراء بقدمِ التجريد، فدخلتُ الصحراء، فحصل لي الصدقُ، والتوكُّلُ على الله.

---

(١) في (ب) والمطبوع: صنوفاً.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٤٣، المختار من مناقب الأخيار ٥٢/ب، طبقات الشعراني ١/ ٦٥، الكواكب الدرية ١/ ٥٠٦، ٤/ ٩٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٤٩، ومعنى ستنبه: القوي الشديد، المتكامل البنيان.

(٢) في المطبوع: أتكسّب.

وقيل: كان له جاهٌ عظيم في هراة، وحجَّ حججاً كثيرة على التوكُّل.

من دعائه[1]: **اللَّهُمَّ، اقطعْ رزقي عن أموالِ أهل هراة، وزهّدْهم فيَّ.** وقال بعد هذا: كنتُ جائعاً، فدخلتُ السوق، فسمعتُ الناس يتحدَّثون بينهم ويقولون: هذا الرجلُ يُنفق كلَّ ليلَةٍ دراهمَ كذا وكذا.

وعزمَ إلى الحجِّ على قدم التجريد، فلمَّا دخلَ الصحراء أقام أياماً ما أكل وما شرب شيئاً، قال: فحدَّثتني نفسي، وقالت: عسى أن يكون لك عند الله قربٌ ومنزلةٌ. فظهرَ شخصٌ من جانب يميني وقال: **يا إبراهيم، تُرائي الله في سرِّكَ؟.** فالتفتُّ إليه، وقلت: **قد كان ذلك.** فقال: **أتعرفُ كم لي هنا، وما أكلت وما شربت، ولا أردتُ شيئاً حتّى صرتُ من الجوع حُكمَ المُقعد؟.** فقلتُ: الله أعلم. قال: **اليوم لي ثمانون يوماً ما أكلتُ شيئاً، وأستحي من الله أن يخطرَ في بالي كما خطرَ في بالك، ولو أقسمتُ على الله تعالى أن يجعلَ هذا الشجرَ ذهباً لصار ذهباً.** فانتبهت من كلامه انتباهاً عظيماً.

في يوم من الأيام كان أبو يزيد جالساً مع الأصحاب، فقال: قوموا نستقبل ولياً من أولياء الله تعالى. فلمَّا وصلوا الباب رأوا إبراهيم ستنبه قد أتى، فقال أبو يزيد له: جاء في خاطري أنْ أستقبلك، وأطلبَ منك الشفاعة لنفسي. فقال إبراهيم: إن غفرَ الله لجميع الخلائق بشفاعتي فما أعطاني إلا كفّاً من تراب. فتحيَّرَ أبو يزيد من كلامه.

قال إبراهيم: حضرتُ يوماً في مجلس أبي يزيد، فقال بعضهم: فلانٌ أخذ العلم عن فلان. فقال أبو يزيد، رحمه الله: هؤلاء المساكين أخذوا العلم من الأموات، وأنا أخذتُ العلمَ من الحيِّ الذي لا يموتُ أبداً.

وقال إبراهيم: من أرادَ أن يبلغَ الشَّرفَ كلَّ الشرفِ فليختر سبعاً على سبع: **الفقرَ على الغنى، والجوعَ على الشبع، والدُّونَ على المرتفع، والذُّلَّ على العزِّ، والتواضعَ على الكبر، والحزنَ على الفرح، والموتَ على الحياة.**

* * *

---

(١) في حلية الأولياء ١٠/ ٤٣: كان من دعائه في تلك الحجة.

(١٨) إبراهيم الرِّباطي(*)

إبراهيم الرباطي، رحمه الله تعالى، هو مُريد إبراهيمَ ستنبه، أخذَ طريقَ التوكُّلِ منه، وقبره على باب رِباط ولدِ الزنجي في هراة.

وكان في سفر مع إبراهيم ستنبه، فقال إبراهيم ستنبه: يا رباطي، معكَ معلوم ؟. قال: لا. ومشيا، ثم قال ثانية: يا رباطي، هل عندك معلوم ؟. قال: لا. ثم ذهبا قليلاً، وقال: يا رباطي، أعندك معلوم ؟. ثم قعد، وقال: بحقِّ الحقِّ قل لي أعندك شيءٌ من المعلوم ؟، لأنه أثقلَ رجلي، فما أقدرُ أن أمشي. فقال الرِّباطي: ما عندي شيءٌ إلاّ أشركة النَّعلين، إذا انقطعَ أحدُهما أَخيطه بالآخر. فقال إبراهيم: هل انقطعَ الشِّراك ؟. قال: لا. فقال: ارم بها؛ لأنه معلوم، فلأجله ما أقدرُ أن أمشي. فرمى الرِّباطيُّ ذلك الشِّراك غضبانَ، وأراد أن ينقطع شراكُه سريعاً حتَّى يعترضَ عليه، فبالقضاء[1]، انقطع أحدُهما فمدَّ يده ليخلعَ نعليه، فوجد شِراكاً مكانه، وهكذا كان إلى آخرِ السفر، قال إبراهيم الرِّباطي: هكذا من عامل الله على الصدق.

* * *

(١٩) إبراهيم أطروش(**)

إبراهيم أطروش، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: هو من المتأخّرين.

وقال إبراهيم: ركوةُ الصوفيِّ كفُّه، ووسادتُه يدُه، وخزانته هو. يعني الحقّ سبحانه.

(*) الرسالة القشيرية ١٢٧، وفيها إبراهيم بن دوحة، قال محقق المطبوع: وهو خطأ، قال الهروي في طبقاته صفحة ٦٤: اسمه أبو القاسم إبراهيم مورجه، ومورجه باللسان الهروي معناه القوي.

(١) في (ص): في القضاء.

(**) في المطبوع: طبقات الهروي ٦٦.

قال شيخ الإسلام: من زادَ عليها أبطلَ طريقه، وابتُلي فيه.

وقال: صوفيٌّ[1] ابتُلي بالدنيا. قالوا: بأيِّ سببٍ؟. قال: بسبب إبرةٍ، كنتُ في سفرٍ فخطر في بالي أن أحملَ معي إبرة، فأخذتُ إبرةً، فقلتُ: ينبغي لي شيء أضعها فيه. فحصل لي كنفٌ، فقلت أيضاً: ما أقدرُ أن أحملَه في يدي، وحصّلتُ لي ركوة، فقلت لنفسي: ينبغي الرفيق. فجاء الرفيق، وزادت أسبابُ الدنيا بسبب تلك الإبرة.

ولإبراهيم الخوَّاص، قدس الله سره:

لقد وضحَ الطَّريقُ إليكَ حقًّا ... فما أَحَدٌ بغيرِكَ يَستَدلُّ
فإن وردَ الشِّتاءُ فأنتَ كَهْفٌ ... وإنْ وردَ المَصيفُ فأنتَ ظلُّ

* * *

(٢٠) إبراهيم الصياد البغدادي(*)

إبراهيم الصياد البغدادي، رحمه الله تعالى، كنيته أبو إسحاق.

صحبَ معروفاً الكرخي، وأمره معروف بـ: الزمِ الفقرَ، ولا تخفْ منه.

وكان مذهبه التجردَ والانقطاع.

قال الجُنيد، رحمه الله تعالى: جاءَ إبراهيم عند سريِّ السَّقطي، وكان إزارُه حصيراً، فلمَّا رأى السَّقطيُّ هذا الحال أمرَ أصحابه أن يشتروا له جُبَّةً، وقال: يا أبا إسحاق، البسها؛ فإنَّه كان عندي عشرةُ دراهم، اشتريتُ لك بها هذه الجُبَّة. فقال إبراهيم: تقعد مع الفقراء، وتدَّخرُ عشرة دراهم. وما لبسها.

* * *

---

(١) في (ص): وقال: ابتلي بالدنيا صوفي.

(*) ورد عرضاً في ذيل تاريخ بغداد ٤/ ٢٨ (تحقيق عبد القادر عطا ـ بيروت ١٤١٧) بوصفه راوياً عن يزيد بن هارون.

(٢١) إبراهيم الآجري الصغير(*)

إبراهيم الآجري الصغير، رحمه الله تعالى، كنيته أيضاً أبو إسحاق.

قال أبو محمد الجَريري، وأبو أحمد المَغَازلي: جاء يهوديٌّ عنده يتقاضى شيئاً كان عنده له، ووقعَ بينهما كلامٌ، فقال اليهوديُّ: أرني شيئاً حتّى أفهمَ شرفَ دينك، وفضله على ديني، وأؤمن به. فقال: أنت صادقٌ فيما تقول؟. قال: نعم. قال إبراهيم: أعطني رداءَك. فأخذ رداءَه، ولفَّ عليه رداءَهُ، ورمى بهما في النار، ودخلَ فيها، وأخذَهما، وفتحهما، فاحترقَ رداءُ اليهودي من وسطه، وما احترقَ رداؤه، فآمن اليهوديُّ وأسلم.

* * *

(٢٢) إبراهيم الآجُرّي الكبير(**)

قال الجُنيد، رحمه الله: سمعتُ من عبدون الزجّاج قال: قال لي: **لأن تَرُدَّ إلى الله عزَّ وجل همَّك ساعةً خيرٌ لك ممَّا طلعت عليه الشمس.**

* * *

(٢٣) محمد بن خالد الآجُري(***)

محمد بن خالد الآجري، رحمه الله، كان من أجلِّ المشايخ.

وكثيراً ما يَحكي عنه جعفرُ الخُلدي، ويروي عنه. قال: قال: كنتُ مشغولاً

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٣، تاريخ بغداد ٦/ ٢١١، الأنساب ١/ ٩٤، الرسالة القشيرية ٢١٧، صفة الصفوة ٢/ ٤٣٤، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥، روض الرياحين ٢٦٥ (الحكاية ٢٠١)، الكواكب الدرية ٢/ ١٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٥.

(**) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٣. تاريخ بغداد ٦/ ٢١١، الأنساب: ١/ ٩٤، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٥، صفة الصفوة ٢/ ٣٩١.

(***) تاريخ بغداد ٥/ ٢٤١، الأنساب: ١/ ٩٥، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٤، اللباب ١/ ١٨.

بعملِ الآجرِّ، فيوماً مشيتُ بين اللَّبنات، قال: فسمعتُ لَبِنةً تقول للبنة أُخرى: السلامُ عليكِ، في هذه الليلة أدخلُ في النار. فمنعتُ الخدَّام أن يُدخلوا شيئاً منه النار، وتركتُ بعد ذلك هذه الصنعة.

* * *

(٢٤) إبراهيم بن شماس السمرقندي(*)

إبراهيم بن شمَّاس السمرقندي، قُدّسَ سرُّه، أقامَ في بغداد مدَّةً، ورجع إلى سمرقند، فجاء عسكرُ الكفَّار، وحاصروا سمرقند، فخرجَ إبراهيمُ ليلةً، وصاحَ صيحةً على عسكر الكفار، فاقتتلوا بينهم، وانهزموا وقتَ الصباح.

قال إبراهيم: يقولُ الناس: ما الأَدب؟. فقلت: الأدب هو أن تعرفَ نفسَك.

ومات في سمرقند.

* * *

(٢٥) فتح بن علي الموصلي(**)

فتح بن علي الموصلي، قدس الله سره، من قدماء المشايخ بالموصل وأجلِّهم، ومن أقران بشر الحافي.

(*) التاريخ الكبير ١/ ٢٩٣، الجرح والتعديل ١/ ١٠٥، حلية الأولياء ١٠/ ١٢٨، الثقات لابن حبان ٨/ ٦٩، تاريخ بغداد ٦/ ٩٩، تهذيب الكمال ٢/ ١٠٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، ٣٠٥، الطبقات الصغرى للمناوي ٨١.

(**) لم أجد ترجمة لفتح بن علي الموصلي، ولعل في الاسم تصحيفاً، وكأن المراد هو فتح بن سعيد الموصلي وترجمته في: الثقات لابن حبان ٧/ ٣٢٢، حلية الأولياء ٨/ ٢٩٢، تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨١، صفة الصفوة ٤/ ١٨٣، المختار من مناقب الأخيار ٢١٢/ب، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٥٠، طبقات الأولياء ٢٧٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٥، طبقات الشعراني ١/ ٨٠، الكواكب الدرية ١/ ٤٠٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٣. فأخباره هي هي.

مات في سنة عشرين ومئتين، قبل بشر الحافي بسبع سنين.

ومرَّ يومَ عيد الأضحى على المجزر، فلمَّا رأى ذبائحهم، قال: إلهي، أنتَ تعلم ما لي شيءٌ حتى أذبحَ إلاّ نفسي. وأمرَّ إصبعَه على حلقومه، فخرَّ صعقاً، فوجدوه ميتاً، وخطٌّ أخضرُ على حُلقومه.

روي عنه أنَّه جاءَ يوماً من الأيام إلى بشر الحافي، فقال: إن كان عندك طعامٌ فأطعمني، فأكل قليلاً منه، والباقي وضعَه في كِسائه وذهب، فرأته بنتٌ صغيرة، فقالت: يقولُ الناس: فتحٌ إمامُ المتوكّلين، فكيف تَزَّود الطعام؟. قال بشر: هو يُعلِّمكم إذا صحَّ التوكُّلُ لا يضرُّ ادخارُ شيءٍ.

قال شيخ الإسلام: إذا صحَّ التجريد لا يكون معلوماً مُلْكُ سليمان، وإذا لم يصحَّ التجريدُ فطول الكُمِّ يكون معلوماً.

* * *

(٢٦) فتح بن شَخْرف المروزي(*)

فتح بن شَخْرف المرزوي، كنيته أبو نصر، كان من قُدماء مشايخ خراسان، وكان يلبسُ القباء[1] على هيئة العساكر.

قال أحمد بن حنبل: مثلُ فتح ما خرجَ أحدٌ من تراب خراسان.

وأقام في بغداد ثلاث عشرة سنة، وما أكلَ منها شيئاً، بل يأتون بالسَّويق من أنطاكية[2].

(*) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٨٤، طبقات الحنابلة ١/ ٢٥٥، مناقب الأبرار ٢٢٣/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٠٢، المنتظم ٥/ ٥٩، المختار من مناقب الأخيار ٣١٤/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٠/ ٢٥٧، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٣، طبقات الأولياء ٢٧٤، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٣.

(١) القَباء: من الثياب، سمي به لاجتماع أطرافه، يمد ويقصر ويذكّر، قيل إنه عربي، وقيل إنه فارسي، وهو الغالب من ملابس الأعاجم جمع أقبية، ويعرف اليوم بالقنباز.

(٢) أنطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، بينها وبين حلب يوم وليلة. معجم البلدان.

وكان وقت النزاع يُحدِّثُ نفسه، يقول شيئاً، فإذ أصغوا إليه سمعوه يقول: **إلهي، اشتدَّ شوقي إليك، فعجِّلْ قدومي عليك.**

ولمَّا نزعوا ثيابه للغُسل رأوا على ساقه عِرقاً بخطٍّ أخضر، طالعاً من جلده مكتوباً عليه: **الفتح لله**[1].

قال شيخ الإسلام: قال إبراهيم الحَرْبي: كنتُ حاضراً، ورأيت ذلك المكتوب.

وقيل: صُلِّي على جنازته ثلاثٌ وثلاثون مرة، وكانوا قريبَ ثلاثين ألف رجل.

ومات للنصف من شعبان سنة ثلاثٍ وسبعين ومئتين.

* * *

(٢٧) بشر بن الحارث الحافي[*]

بشر بن الحارث بن عبد الرحمن الحافي، قدس الله سره، كان من الطبقة الأولى، وكنيتُه أبو نصر.

وقيل أصله من بعض قرى مرو، وأقام ببغداد، ومات بها يوم الأربعاء العاشر من المحرم، **سنة سبعٍ وعشرين ومئتين**، قبلَ أحمد بن حنبل بسنتين[2].

---

(١) في صفة الصفوة المكتوب: لا إله إلا الله، وفي مختصر تاريخ دمشق: لله.

(*) طبقات ابن سعد ٧/ ٣٤٢، طبقات الصوفية ٣٩، المعارف ٥٢٥، الجرح والتعديل ٢/ ٣٥٦، الثقات لابن حبان ٨/ ١٤٣، حلية الأولياء ٨/ ٣٣٦، تاريخ بغداد ٧/ ٦٧، الرسالة القشيرية ١٤، الأنساب ٤/ ٢٧، تاريخ ابن عساكر ١٠/ ٣٥، صفة الصفوة ٢/ ٣٢٥، المختار من مناقب الأخيار ٨١/أ، وفيات الأعيان ١/ ٢٧٤، مختصر تاريخ دمشق ٥/ ١٩١، تهذيب الكمال ٤/ ٩٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩، العبر ١/ ٣٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٩٢، الوافي بالوفيات ١٠/ ١٤٦، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩٧، شذرات الذهب ٢/ ٦٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٧.

(٢) كذا في الأصول، وفي المطبوع قبل أحمد بن حنبل بسبع سنين، ومعلوم أن وفاة الإمام أحمد كانت سنة ٢٤١ هـ.

ويفضلونه على أحمد بن حنبل حتى ظهرتِ الفتنة، وهي القول بخلق القرآن، فأمّا أحمدُ بن حنبل فدخلَ مع الناس، وأمّا بشر فاعتزلهم، فقالوا: يا أبا نصر، لِمَ لا تخرجُ، وتتكلَّم مع الناس لنصرة الدين، وتقويةِ أهل السنة والجماعة؟. قال: هيهات، أحمدُ بن حنبل قامَ مقام الأنبياء، عليهم السلام، فإن[1] لم يقدر أن يتكلّم، فليس لي طاقةٌ أن أتكلم.

ومن كلامه: ما أعظمَ مصيبةَ من فاته الله عزَّ وجل.

* * *

(٢٨) بشر الطبراني(*)

بشر الطبراني، رحمه الله، كان من قُدماء مشايخ طبريَّةَ، وكان جليلَ الشأن، وصاحبَ كرامات.

وجاءه خبرٌ، وهو أنَّ المشايخ يقولون: إذا كان[2] بشرٌ في طبرية، فنحن في أمان من الروم. فلمَّا سمعَ هذا الحديث أعتقَ جميعَ عبيده، وكانت قيمةُ كلِّ واحدٍ من العبيد ألفَ دينار، فقال له ولده: يا أبتي، جَعلتني مفلساً. قال: يا ولدي، جعلتهُ شكراً لله، حيث ألقى مثلَ هذا الكلام في قلوبِ أحبابه.

* * *

(٢٩) قاسم الحربي(**)

قاسم الحربي، رحمه الله، كان في حاله مُسدَّداً، ومن أسبابِ الدنيا مُجرّداً.

وكان بشر الحافي يزوره، فحصل له مرضٌ، فجاء بشر الحافي لعيادته، فرآه

---

(١) في (ص): فإنه.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ١٣٠، صفة الصفوة ٤/ ٢٣٥، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٣٧، وفيها جميعاً: بشير الطبري.

(٢) في المطبوع: ما دام.

(**) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٣ (القاسم الجريري)، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٢٦.

راقداً على حصيرٍ عتيقٍ مقطوعٍ، وتحت رأسه آجرٌ، فلَّما خرجَ من عنده قال جيرانه: اليوم من ثلاثين سنة وهو جارنا، وما سألَ حاجةً من عند أحدٍ أبداً.

* * *

(٣٠) شقيق بن إبراهيم البلخي(*)

شقيق بن إبراهيم البلخي، قدّس الله سره، من الطبقة الأولى، كنيته أبو علي.

كان في ابتداء حاله صاحبَ رأي، ثم صار مُحدّثاً وسنياً مطهراً، وكان من تلامذة زُفر(١)، ومن قدماء مشايخ بلخ، وأستاذَ حاتم الأصم، صحبَ إبراهيم بن أدهم، ومن نظائره(٢)، وزاد عليه في الزُّهد، وكان طريقه طريقَ التوكل.

وقال يوماً لإبراهيم بن أدهم: كيف يكون معاشُك؟. قال: إن وجدنا شيئاً شكرنا، وإلاّ صبرنا. قال شقيق: هذه الخصلةُ في كلاب خراسان. قال إبراهيم: فكيف معاشُك؟. قال: إن وجدنا أنفقنا، وإلاّ شكرنا. فقبَّلَ إبراهيمُ رأسَهَ، وقال: أنت الأستاذ.

(*) الجرح والتعديل ٤/٣٧٣، طبقات الصوفية ٦١، حلية الأولياء ٨/٥٨، الرسالة القشيرية ١٦، صفة الصفوة ٤/١٥٩، المختار من مناقب الأخيار ٢٠٧/أ، وفيات الأعيان ٢/٤٧٥، مختصر تاريخ دمشق ١٠/ ٣٢٠، سير أعلام النبلاء ٩/ ٣١٣، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٩، دول الإسلام ١/ ١٢٣، العبر ١/ ٣١٥، فوات الوفيات ٢/ ١٠٥، الوافي بالوفيات ١٦/١٧٣، مرآة الجنان ١/ ٤٤٥، لسان الميزان ٣/ ١٥١، طبقات الشعراني ١/ ٧٦، شذرات الذهب ١/ ٥٣١، الكواكب الدرية ١/ ٣٢٠.

(١) زفر بن الهذيل، أبو الهذيل، فقيه كبير، من أصحاب الإمام أبي حنيفة، أصله من أصبهان، أقام بالبصرة وولي قضاءها، وتوفي بها، وهو أحد العشرة الذين دوّنوا الكتب، جمع بين العلم والعبادة، وكان من أصحاب الحديث فغلب عليه الرأي، وهو قياس الحنفية. وكان يقول: نحن لا نأخذ بالرأي مادام أثر، وإذا جاء الأثر تركنا الرأي.

(٢) في المطبوع: ومن ناظره.

وفي كتاب «سير السلف»[1]: تُحكى هذه الحكاية بالعكس، فما نُسبَ هنا إلى إبراهيم نُسب إلى شقيقٍ، والله أعلم.

قال شقيق: كنتُ وأبو يوسف القاضي[2] نحضر مجلسَ أبي حنيفة، رضي الله عنه، فوقعتِ المُفارقة بيني وبينه زمناً طويلاً، فلمَّا دخلتُ بغدادَ رأيتُ أبا يوسف في مجلسِ القضاء، وحواليه أناس كثير، فوقع نظرُه عليَّ، فقال: أيُّها الشيخ، لِمَ غيَّرتَ اللِّباس؟. قلت: حصل لك ما طلبتَ، وما حصلَ لي مَطلوبي، فلا جَرَم، لبستُ لباسَ المآتم أنوحُ على حالي. فبكى أبو يوسف.

وقال شقيقٌ البلخي: أنا أخافُ قبل وقوع الإثم أكثرَ ممّا أخافُ إذا وقع. يعني: أنا أعرف ما فعلتُ، ولا أعرف ما أفعل.

وأيضاً عنه: التوكُّلُ أن يستقرَّ قلبُك على ما وعدَكَ ربُّك.

وأيضاً عنه: اصحب الناس كما تصحب النار، خذْ منفعتَها، واحذر أن تحرقَكَ.

وذُكر في بعض تواريخ بلخ أنَّ شقيقاً ماتَ في سنة أربعٍ وسبعين ومئة شهيداً في بعض بلاد خَتّلان[3]، وقبرُه هناك.

* * *

(٣١) داود البلخي(*)

داود البلخي، قدس الله روحه، من قدماء مشايخ خراسان.

قال إبراهيم بن أدهم: صحبت رجلاً بين الكوفة ومكة، فلمَّا صلّى المغرب

---

(١) سير السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وتابع التابعين. تأليف إسماعيل بن محمد بن الفضل ناصر الدين القرشي الطلحي البستي الأصفهاني، ولد سنة ٤٥٩ وتوفي سنة ٥٣٥. هدية العارفين ١/ ٢١١.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم لزم أبا حنيفة وأخذ عنه، ولي قضاء بغداد، توفي سنة ١٨٣ هـ.

(٣) ختلان: بفتح أوله، وتسكين ثانيه بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند. معجم البلدان ١/ ٣٤٦.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٤٤، صفة الصفوة ٤/ ١٥٨، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٨٥.

صلّى ركعتين خفيفتين، وبعدها حرَّكَ شفتيه، كأنَّه قال بشيءٍ، فظهر من جانبِ يمينه قصعةٌ من الثريد، وكوزٌ من الماء، وأكل وأطعمني أيضاً. فقصصتُ هذه القصة عند شيخٍ صاحبِ كرامات وآيات، فقال: يا ولدي، هو أخي داود. وبالغ في وصفه حتَّى أنَّ كلَّ من كان في ذلك المسجد بكى، فقال الشيخ: هو من قرية بلخ، وهذه القرية تفتخرُ على سائر البقاع لأجله. وسألني ذلك الشيخ: ما علَّمَكَ ؟. قلتُ: الاسم الأعظم. قال: ما هو ؟. قلت: هو في قلبي أعظم من أن أذكره بلساني.

* * *

(٣٢) الحارث بن أسد المُحاسبي (*)

الحارث بن أسد المحاسبي[1]، قدس الله روحه، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو عبد الله.

وكان من علماء المشايخ، وقدمائهم، وكان جامعاً علومَ الظاهر، وعلوم الأصول والمعاملات والإشارات، وله مصنفات، وكان أستاذ البغداديين.

أصله من البصرة، لكن مات في بغداد سنة ثلاثٍ وأربعين ومئتين، بعد أحمد بن حنبل بعشر سنين[2].

(*) طبقات الصوفية ٥٦، حلية الأولياء ١٠/ ٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ١١، الرسالة القشيرية ١٥، الأنساب ١١/ ١٥١، طبقات الفقهاء لابن الصلاح ١/ ٤٣٨، صفة الصفوة ٢/ ٣٦٧، المختار من مناقب الأخيار ١١٧/ أ، الكامل في التاريخ ٧/ ٨٤، وفيات الأعيان ٢/ ٥٧، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠، العبر ١/ ٤٤٠، ميزان الاعتدال ١/ ٤٣٠، مرآة الجنان ٢/ ١٤٢، الوافي بالوفيات ١١/ ٢٥٧، طبقات السبكي ٢/ ٢٧٥، طبقات الإسنوي ١/ ٢٦، البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٣، طبقات الأولياء ١٧٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٣١٦، طبقات الشعراني ١/ ٧٥، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٥، شذرات الذهب ٢/ ١٠٣، مفتاح السعادة ١/ ١٧٢.

(١) المُحاسبي: قيل له ذلك لأنه كان يحاسب نفسه. اللباب.

(٢) كذا في الأصول، ووفاة الإمام أحمد كانت سنة ٢٤١ هـ.

قال الحارث: من صحَّح باطنه بالمراقبة والإخلاص زيَّن الله ظاهرَه بالمجاهدة، واتِّباع السنة.

وأيضاً عنه قال: من لم يهذِّب نفسه بالرياضات لا يُفتح له سبيل إلى سنن[1] المقامات.

قال أبو عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسةٍ من شيوخنا، والباقون سلّموا أحوالهم، الحارث المُحاسبي، والجُنيد، ورُويم، وابن عطاء، وعمرو بن عثمان المكي، قدّس الله أسرارهم، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق.

وقال الحارث المحاسبي: صفةُ العبودية ألا ترى لنفسك ملكاً، وتعلم أنّك لا تملك لنفسك ضرًا ولا نفعاً.

وقيل: إن الحارث المحاسبي، قدس الله روحه، ما رقد في الليل ولا في النهار أربعين سنة، وما أسندَ ظهره إلى جدار، وما جلس إلاّ على ركبتيه.

وسألوه: لِمَ تُتعبُ نفسَك؟. فقال: أستحي أن أجلسَ في مشاهدته إلاّ مثل حال العبيد.

* * *

(٣٣) أبو تُراب النَّخشبي(*)

أبو ترابَ النخشبي، قدس الله سره، من الطبقة الأولى، واسمه عَسكر بن الحُصين، وقيل عَسكر بن محمد بن الحُصين.

---

(١) في المطبوع: سني.

(*) طبقات الصوفية ١٤٦، تاريخ أصبهان ٢/ ١٤٦، حلية الأولياء ١٠/ ٤٥، ٢١٩، تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥، الرسالة القشيرية ٢٢، طبقات الحنابلة ١/ ٢٤٨، الأنساب ١٢/ ٦٠، صفة الصفوة ٤/ ١٧٢، المختار من مناقب الأخيار ٩٣/ أ، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٥٠، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٥، العبر ١/ ٤٤٥، طبقات السبكي ٢/ ٣٠٦، طبقات الأولياء ٣٥٥، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٢١، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٤٢، شذرات الذهب ٢/ ١٠٨.

كان من أجلّ مشايخ خُراسان في علم الفتوة والزهد والتوكل.

وصحب أبا حاتم العطار البصري، وحاتماً الأصمَّ البلخي، وكان أستاذ أبي عبد الله بن الجلاء، وأبي عُبيد البُسري.

دخل أبو تراب البادية مع ثلاث مئة نفرٌ كلهم رجعوا إلا اثنين، أبا عبد الله بن الجلاء وأبا عُبيد البُسري.

قال أبو تراب: العارفُ الذي لا يكدِّرُهُ شيءٌ، وكلُّ الأشياءُ تتنَّورُ منه.

وأيضاً عنه قال: لا يكون شيءٌ من العبادات أنفعَ من إصلاح خواطر القلوب.

وعنه أيضاً، قال: من شغلَ مشغولاً بالله عن الله أدركه المقتُ في الوقت.

وعنه أيضاً، قال: إذا تواترت على أحدِ النِّعمُ فليبك على نفسه، فقد سَلك غير طريق الصالحين.

وكان هو أيضاً يقول: بيني وبين الله عهدٌ؛ ألاّ أمدَّ يدي إلى حرام إلاّ قَصُرت يدي عنه.

وكان أيضاً يقول: إذا أعرضَ الحقُّ سبحانه وتعالى عن عبدٍ طوَّل لسانه في حقِّ أولياء الله بالطعن والإنكار.

وكان أبو تراب يُصلّي في البادية، فأحرقته السَّموم[1]، فمات، وبقي واقفاً سنةً كاملة.

ومات في سنة خمسٍ وأربعين ومئتين، في السنة التي مات فيها ذو النون المصري.

* * *

---

(١) السموم: الريح الحارة.

(٣٤) أبو تراب الرملي(*)

أبو تراب الرملي، قدس الله سره.

رُويَ عنه أنه خرج من مكّة مع أصحابه، وقال لأصحابه: أنتم تذهبون على طريق الجادَّة، وأنا أذهب على طريق تبوك. قالوا: هواؤه حارٌّ شديد!. قال: لا بدَّ لي منه، لكن إذا دخلتم الرَّملة انزلوا في بيت مُحبّي فلان. قال أصحابه: فنزلنا في بيته، وأحضر لنا أربعَ قطعٍ من اللحم المشوي، فجاء طيرٌ، وخطفَ قطعةً منها، فقالوا: ما كان لنا نصيبٌ فيها. وأكلوا ما بقي منها.

ووصل أبو تراب الرَّملي إليهم بعد يومين، وسألوه: هل وجدتَ شيئاً في هذين اليومين؟. فقال: لا، إلا يومَ كذا رماني طيرٌ بقطعةِ لحمٍ مشوي. قالوا: فقد أكلنا معك؛ لأن الطيرَ قد خطفها من عندنا. قال الرملي: الصدق يكون هكذا.

* * *

(٣٥) أبو حاتم العطار البصري(**)

أبو حاتم العطار البصري، قدَّس الله سره، كان من أقران أبي تراب، وأستاذ أبي سعيد الخراز، والجُنيد.

وكان أبو حاتم العطار ظاهرُه ظاهرُ التجار، وباطنُه باطن الأبرار.

وقيل: أول من تكلَّم في علم الإشارة أبو حاتم العطار.

وكان إذا رأى الصوفية لابسين المُرقَّعة أو الفوطة يقول: **يا سادتي، قد نشرتم أعلامَكم، وضربتم طبولَكم، فيا ليت شعري في اللقاء أيُّ رجال تكونون؟**

(*) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٤، الطبقات الصغرى للمناوي ١١٣.

(**) لم أجد له ترجمة مستقلة، وقد ذكر في طبقات الصوفية ١٤٦، وذكر أيضاً في الرسالة القشيرية ٢٢، خطأً المصري.

وجاء رجل، وقرعَ باب أبي حاتم العطار، فقال: من أنت ؟. قال: درويش، يقول الله. ففتح له الباب، ووضع جبهته على التراب، وقبَّل رجله، وقال: أبقيَ أحدٌ يقول الله ؟.

وفي بعض الأيام زُيِّنتْ بغداد، وقد كَثُرَ فيها الفسوق، فرأى الشبليُّ في المنام رؤيا، قيل له فيها: لو لم تقل الله، لاحترقت بغدادُ كلُّها. فذكر الشبلي الرؤيا عند الناس، فقالوا: نحن كذلك نقول الله. قال: أنتم تقولون الله، نَفَساً بنفس، وأنا أقول الله، حقًّا بحقٍّ ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ﴾ [الأنعام: ٩١].

حقيقةُ الحقِّ شيءٌ ليس يَعرفُه إلاّ المُجـرَّدُ فيـه حـقَّ تجـريـدِ

قال شيخ الإسلام: كلُّ الناس يقولون أحدٌ، أحد، ويتعلَّقون بأشياءَ كثيرةٍ، وهذه الطائفة يقولون واحدٌ. وينفرون من كلِّ شيءٍ حتى من أنفسهم.

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ وكـلُّ نعيـمٍ لا محـالَـةَ زَائـلُ[1]

وقال أبو حاتم: السياحة بالقلوب.

* * *

(٣٦) سريُّ بن المُغلِّس السَّقطي(*)

سري بن مغلس السقطي، قدس الله تعالى سرَّه، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو الحسن.

---

(١) بيت قاله لبيد بن ربيعة، انظر ديوانه صفحة ٢٥٦، وهو من قصيدة يرثي بها النعمان بن المنذر مطلعها:

ألا تسـألان المـرء مـاذا يحـاول أنحـب فيقضـى أم ضـلال وبـاطـل

وصدر البيت تردده كتب الحديث لاتصاله بقول رسول الله ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعر: ألا كل شيء...» وانظر تخريج البيت في الديوان ٣٨٩، تحقيق د. إحسان عباس.

(*) طبقات الصوفية ٤٨، حلية الأولياء ١٠/ ١١٦، تاريخ بغداد ٩/ ١٨٧، الرسالة القشيرية ١/ ٦٩، صفة الصفوة ٢/ ٣٧١، المختار من مناقب الأخيار ١٧٤/أ، وفيات =

كان أستاذَ الجُنيد، وسائر البغداديين، وهو من أقران الحارث المُحاسبي، وبشر الحافي، ومن تلامذة معروف الكرخي، ومن كان في الطبقة الثانية يَنتسبون إليه.

مات صبيحة يوم الثلاثاء ثالث رمضان، سنة ثلاث وخمسين ومئتين.

قال الجُنيد، قدَّسَ الله سرَّه: **ما رأيتُ أعبدَ من السَّريِّ، أتت عليه سبعون سنة ما رُئي مُضطجعاً إلا في عِلَّة الموت.**

وأيضاً قال الجنيد: يوماً دخلتُ في بيته، وهو يكنس البيت، وينشد هذا البيت، ويبكي:

لا في النَّهارِ ولا في اللَّيلِ لي فَرَحٌ ... فلا أُبالي أَطالَ اللَّيلُ أم قَصُرا

وحين احتُضر قال للجُنيد: **إيَّاك وصحبةَ الأشرار، ولا تنقطعْ عن الله بصحبةِ الأخيار.**

قال شيخ الإسلام: قال الجُنيد: كنتُ يوماً عند السري، وأقوامٌ جالسون على باب السري، فقال السريُّ لي: انظر، أيكون أحدٌ منهم أجنبياً؟. قلت: لا، بل دراويش طالبون. فقال: نادِ فلاناً. فناديته، فتكلَّمَ السريُّ معه كلاماً كثيراً مدَّةً طويلة، وخفي كلامُه عليَّ حتى ما فهمتُ كلامَه، فضاق قلبي، ثم قال السريُّ له: من أستاذك؟. قال: في هراة لي أستاذ، أنا أُعلِّمُه فرائضَ الصلاة، وهو يُعلِّمني علم التوحيد. فقال السري: إن كان هذا العلمُ في خراسان باقياً فهو باقٍ في جميع البلدان، فإذا انقطعَ من خراسان فلا تجده في جميع البلدان.

قال السري: المعرفةُ تنزل من العلوِّ كما ينزلُ الطير، فإذا رأتْ قلباً فيه الحياءُ نزلت فيه.

= الأعيان ٢/ ٣٥٧، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢١٥، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٥، العبر ٢/ ٥، الوافي بالوفيات ١٥/ ترجمة ١٩٣، مرآة الجنان ٢/ ١٥٨، البداية والنهاية ١١/ ١٣، طبقات الأولياء ٢٣٢، لسان الميزان ٣/ ١٣، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٣٩، طبقات الشعراني ١/ ٧٤، الكواكب الدرية ١/ ٦١٨، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١.

وأيضاً قال السري: **بدايةُ المعرفة تجريدُ النفس للتفريد للحقِّ.**

وعنه أيضاً، قال: **من تزيَّن بما ليسَ فيه سقطَ من عين الله عز وجل.**

وأيضاً قال السري: كنتُ مريضاً في طَرَسوس، فجاء جماعةٌ من القرّاء لعيادتي، ومكثوا طويلاً حتى تعبتُ من جلوسهم، ثم طلبوا الدُّعاء، فرفعت يدي وقلت: **اللَّهُمَّ، علِّمنا كيف نعودُ المرضى.**

قال الجُنيد: جئتُ يوماً عند السريّ، فأمرني بخدمةٍ، فأجبتُ، وأحضرتُه على الفور، فلمَّا رجعتُ إليه أعطاني ورقةً كان فيها مكتوبٌ: **سمعت حادياً يحدو في البادية، ويقول:**

أَبكي وما يُدريكِ ما يُبكيني

أَبكي حَذَارَ أن تُفارِقيني

وَتَقْطَعي حَبْلي وتهجُريني

* * *

(٣٧) علي بن عبد الحميد الغَضَائري(*)

علي بن عبد الحميد الغضائري، رحمه الله، من قُدماء المشايخ، **له الأحوالُ البديعة، والأعمال الرفيعة، وكان يُعَدُّ من الأبدال.**

قال عليٌّ: دققتُ الباب على السريِّ، فسمعته يقول: **اللَّهُمَّ، من شغلني عنكَ فاشغلْه بك عني.** فببركة دعائه حججتُ أربعين حجَّةً ماشياً من حلب.

* * *

(*) حلية الأولياء ١٠/٣٦٦، تاريخ بغداد ١٢/٢٩، الأنساب ٩/١٥٥، اللباب ٢/٣٨٤، صفة الصفوة ٤/٢٤٠، المنتظم ٦/١٩٨، سير أعلام النبلاء ١٤/٤٣٢، العبر ٢/١٥٦، البداية والنهاية ١١/١٥٣، تبصير المنتبه ٣/١٠١٢، النجوم الزاهرة ٣/٢١٣، الطبقات الصغرى للمناوي ٤٥٣، شذرات الذهب ٢/٢٦٦، تاريخ حلب الشهباء ٤/١٥. والغضائري نسبة إلى الغضار، وهو الإناء الذي يؤكل فيه.

(٣٨) أبو جعفر السمَّاك(*)

أبو جعفر السماك، رحمه الله تعالى، كان بغدادياً، وهو من مشايخ سري، منزوياً ومنقطعاً ومتعبداً.

قال الجُنيد، رحمه الله: سمعت السري قال يوماً: دخلَ السمَّاكُ عليَّ، وجماعةٌ من الناس كانوا عندي، فتوقَّفَ، وما قعدَ، ونظر إليَّ، وقال: **يا سريُّ، صرتَ مناخاً للبطَّالين ؟!**. ورجع، فما أعجبه هذا الاجتماع.

* * *

(٣٩) أحمد بن خضرويه البلخي(**)

أحمد بن خَضْرَويه البلخي، رحمه الله، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو حامد، وكان من أَجِلَّة مشايخ خراسان، وكان من بلخ.

صحب أبا تراب النخشبي، وحاتماً الأصم، ورأى إبراهيم بن أدهم.

وكان من نُظراء أبي يزيد، وأبي حفص الحداد، وزار أبا حفصٍ في سفره للحجِّ بنيسابور، وأبا يزيد في بِسطام.

وقال: قال إبراهيم بن أدهم: **التوبة الرجوع إلى الله بصفاء السرِّ**.

وسُئل أبو حفص: من رأيتَ أكبرَ وأعظَمَ من هذه الطائفة ؟. قال: ما رأيتُ أحداً أكبرَ من أحمد بن خضرويه في علوِّ الهمَّةِ، وصدقِ الأحوال.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ١١٩، تاريخ بغداد ١٤/ ٤١١، صفة الصفوة ٢/ ٣٩٢ (أبو جعفر بن السماك، وقال ابن الجوزي: هكذا روي لنا في نسبه).

(**) طبقات الصوفية ١٠٣، حلية الأولياء ١٠/ ٤٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٣٧، الرسالة القشيرية ٢١، صفة الصفوة ٤/ ١٦٣، المختار من مناقب الأخيار ٥٧/أ، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٧، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٧٣، طبقات الأولياء ٣٧، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٣، طبقات الشعراني ١/ ٨٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٢.

قال شخصٌ: أوصني، يا أحمد. فقال: **أمتْ نفسك حتى تُحييها**.

وقال أحمد بن خضرويه: **الطريق واضح، والحقُّ لائح، والدَّاعي قد أسمعَ، فما التَّحيّرُ بعد هذا إلاّ من عَمِيَ سرُّه**[1].

توفي، رحمة الله عليه، سنة أربعين ومئتين، وقبرُه في بلخ مشهورٌ يُزار، ويتبرَّكُ به.

* * *

(٤٠) يحيى بن معاذ الرازي[*]

يحيى بن معاذ الرازي، قدس الله سره، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو زكريا، ولقبه الواعظ.

قال يوسف بن الحسين الرازي: سافرتُ إلى مئةٍ وعشرين مدينة لزيارة المشايخ والعلماء والحكماء، فما رأيتُ أحداً أقدرَ على الكلام من يحيى بن معاذ الرازي.

وقال يحيى بن معاذ: **انكسارُ العاصين أحبُّ إليَّ من صولة المُطيعين**.

قال شيخ الإسلام: إذا أدخلَ الله العبد في الطاعة، وخرجَ منها كان قبيحاً ـ يعني: يحصل له الغرور والعجب ـ وإذا كان في شُغلٍ أو معصيةٍ وخرج منها كان حسناً ـ يعني: أزال عنه الغفلة وأشغله بنفسه ـ وأعطاه الله تعالى مشاهدته، فاللهُ قادرٌ، يفعلُ ما يشاء، ويحكم ما يريد، فالأمنُ عليها غرورٌ ومكر،

---

(١) في طبقات الصوفية ١٠٥، والمطبوع الفارسي: فما التحير بعد هذا إلا من العمى.

(*) طبقات الصوفية ١٠٧، حلية الأولياء ١٠/٥١، تاريخ بغداد ١٤/٢٠٨، الرسالة القشيرية ٢١، مناقب الأبرار ٧٤/ب، المنتظم ٥/١٦، صفة الصفوة ٤/ ٩٠، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٠/ب، وفيات الأعيان ٦/ ١٦٥، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٥، العبر ٢/ ١٧، مرآة الجنان ٢/ ١٦٩، البداية والنهاية ١١/ ٣١، طبقات الأولياء ٣٢١، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠، طبقات الشعراني ١/ ٨١، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٦، شذرات الذهب ٢/ ١٣٨.

لا يعرفُ أحدٌ أويختمُ له بالخيرِ أم بالشرِّ ؟ فلا ينبغي لأحدٍ أن يستخفَّ بالأوامر والنواهي، وبعضهم يتوجه إلى المعاصي، ويقولَ: ﴿ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ [الأعراف: ١٦٩] . وأَعصى المعاصي تَحقيرُ المعصية واستخفافُها، ولا يفهمون هذا الإنكار إلى أين يرجع.

قال بعضهم عند يحيى بن معاذ: يقول أقوامٌ: نحن واصلون، ليسَ لنا حاجةٌ بالصلاة. فقال يحيى: قولوا لهم: أنتم واصلون إلى النار.

قال يحيى بن معاذ: **صدقُ المحبة العملُ بطاعة المحبوب.**

وقال هو أيضاً: الزهَّادُ غرباءُ الدنيا، والعرفاءُ غرباء الآخرة.

وعنه أيضاً: إذا أحبَّ اللهُ تعالى قوماً جذبَ قلوبَهم إليه.

وأيضاً عنه: من رأى غير المُحبِّ فما رأى المُحبَّ.

وعنه أيضاً، قال: أهلُ المعرفة وحوشُ الله في الأرض، لا يَستأنسون بالناس في الدنيا.

وعنه أيضاً، قال: حقيقةُ المحبةِ لا تزيدُ[1] بالبِرِّ، ولا تنقصُ بالجفاء.

قال أهل التاريخ: خرجَ يحيى بن معاذ إلى بلخ، وأقامَ بها مدَّةً، ثم رجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين.

* * *

(٤١) خلف بن علي(*)

خلف بن علي، رحمة الله عليه، كان من البصرة، وصحبَ يحيى بن معاذ.

وقال: كنتُ في مجلس يحيى بن معاذ يوماً، فحصلَ لأحدٍ وجدٌ، فسألَ أحدٌ الشيخ: ما وقع عليه ؟. فقال الشيخ: سمعَ كلام الله، فكشفَ لقلبه سرَّ الوحدانية، ومحا عنه صفتَه الإنسانية.

---

(١) في المطبوع: ألا تزيد.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤٢) أبو يزيد البِسطامي (*)

أبو يزيد البِسطامي، قدّس الله سره، من الطبقة الأولى، واسمه طَيفور بن عيسى بن آدم بن سَروشان[1]، كان جدُّه يهودياً فأسلم[2].

وكان من أقران أحمد بن خَضْرَويه، ورأى أبا حفص الحدَّاد، ويحيى بن مُعاذ، وشقيقاً البلخي.

ومات سنة إحدى وستين ومئتين، وقيل في سنة أربع وثلاثين، والأول أصحُّ.

وكان أستاذُه كردياً، وأوصى: ادفنوني تحت رجلِ أستاذي؛ لحُرمة الأستاذ.

وكان صاحبَ رأيٍ؛ لكن فُتح عليه بالولاية فما ظهر مذهبه.

قال شيخ الإسلام: نسبوا إليه كذباً كثيراً، ومنه أنه قال: ذهبتُ فضربت الخيمةَ مُحاذاة العرش.

قال شيخ الإسلام: هذا الكلام كفرٌ في الشريعة، وبعدٌ في الحقيقة، إذ معناه: لا تتحقَّقُ الحقيقة بإثبات النفس، بل تتحقَّقُ الحقيقةُ بنفي الوجود، ولا تثبتُ الحقيقةُ بالإثنينية، فإثبات الإثنينية شركٌ، ونفي الإثنينية توحيد.

قال الخضري، رحمه الله: إن رأيتَ العرشَ كنت كافراً.

(*) طبقات الصوفية ٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣، الرسالة القشيرية ١٧، مناقب الأبرار ٥٦/أ، الأنساب ٢/ ٢١٣، المنتظم ٥/ ٢٨، صفة الصفوة ٤/ ١٠٧، المختار من مناقب الأخيار ٢٢٠/أ، معجم البلدان ١/ ٤٢١، اللباب ١/ ١٥٢، وفيات الأعيان ٢/ ٥٣١، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤٦، العبر ٢/ ٢٣، مرآة الجنان ٢/ ١٧٣، الوافي بالوفيات ١٦/ ٥١٤، البداية والنهاية ١١/ ٣٥، طبقات الأولياء ٣٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٥، طبقات الشعراني ١/ ٧٦، الكواكب الدرية ١/ ٦٥١، شذرات الذهب ٢/ ١٤٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٤٩.

(١) في الأصل: بن شرف شاه.

(٢) في مصادر ترجمته: كان جده مجوسياً.

والجُنيد كان متمكّناً، وما كان له بوحٌ، وكان يعظّمُ الأمرَ والنهي، وأخذَ الطريقَ من الأصل، فلا جرمَ كان مَقبولاً لجميع الفرق.

وسُئل الجُنيد: أين وطنُك ؟. فقال: تحت العرش. يعني: غايةُ همَّتي، ومُنتهى نظري، واستقرارُ روحي هو الذي قال الله لموسى: أنت غريبٌ، وأنا وطنك.

وقيل: كان أبو يزيد إذا قامَ إلى الصلاةِ يخرجُ من صدره قعقعةٌ يسمعُها من كان قريباً منه، وهذه القعقعةُ من هيبة الحقِّ، وخشيته، وتعظيم الشريعة.

وقال أبو يزيد عند الموت: **إلهي، ما ذكرتُكَ إلاّ عن غفلةٍ، وما خدمتُكَ إلاّ عن فترةٍ.** ومات.

قال أبو موسى: قال أبو يزيد: رأيتُ الله في المنام، فقلت: كيف يكونُ الطريقُ إليك ؟. قال: إذا انقطعتَ عن نفسك وصلت[1].

قال شيخ الإسلام: طريقُ المعرفة سهلٌ، لكنَّ طريقَ الوجدان عزيزٌ.

ورُئي أبو يزيد في المنام بعد الموت، فقيل له: ما فعلَ اللهُ بك ؟. قال: قيل لي: يا شيخ، أيُّ شيءٍ جئتَ به ؟. قلتُ: إذا جاء الفقيرُ على باب المَلِك لا يقولون له: بمَ جئت ؟، بل يقولون له: ما تُريد ؟.

قال شيخ الإسلام: كانت عجوزٌ في نيسابور اسمها عراقية، تسألُ الناس، وتدورُ على الأبواب، فلمّا ماتت رأوها في المنام، فقالوا لها: كيف حالُك ؟. قالت: قيل لي: ما جئتِ به ؟. قلتُ: آه، في جميع عمري كانوا يَردّونني إلى هذا الباب، ويقولون: الله يُعطيك. فكيف تقولون لي: ما جئت به ؟!. فقيل: هي صادقةٌ، خلّوها.

* * *

(١) هنا يبدأ الخرم في نسخة (ب) ويستمر حتى ترجمة أبي الحسن البوشنجي رقم (٣٢٩).

(٤٣) أبو علي السندي(*)

نُقل في «شرح الشطحيات»[1] للشيخ رُوزبهان البقلي أنّه كان أستاذَ أبي يزيد البِسطامي.

قال أبو يزيد: أنا أتعلَّمُ منه الفناء في التوحيد، وهو يقرأ عندي ﴿الحمد لله﴾ و﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ﴾.

* * *

(٤٤) أبو حفص الحداد(**)

أبو حفص الحداد، قدّس الله سره، من الطبقة الأولى، واسمه عمرو بن سلمة، وكان من قرى نيسابور.

وكان وحيدَ العصر، فريدَ الدهر، وشيخ الملامتيين.

وكان شيخَ أبي عثمان الحيري، وشاهُ بن شجاع الكرمانيُّ يُنسب إليه.

قال شيخ الإسلام: كان أبو حفص أعجوبةَ العالم في وقته، وأمره الله تعالى: كن هكذا.

(*) ذكر في اللمع ١٧٧، ٣٢٥، ٣٣٤، والرسالة القشيرية ٢١٣، الكواكب الدرية ١/ ٦٦٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨١.

(١) شرح الشطحيات هو الترجمة العربية لكتاب منطق الأسرار وبيان الأنوار وكلاهما لروزبهان المتوفى سنة ٦٠٦.

والكتاب دراسة لشطحات خمسين من مشايخ الصوفية، يورد شطحاتهم، ويفسرها، ويعلق عليها، وقد قصر الجزء الأكبر من هذه الشطحات على الحلاج. انظر المطبوع صفحة ١٧٦.

(**) طبقات الصوفية ١١٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٩، الرسالة القشيرية ٢٢، مناقب الأبرار ٨٢/ب، صفة الصفوة ٤/ ١١٨، المنتظم ٥/ ٥٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٠٤/أ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥١٠، العبر ٢/ ٣١، مرآة الجنان ٢/ ١٧٩، البداية والنهاية ١١/ ٣٨، طبقات الأولياء ٢٤٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٤١، ٦٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٢، الكواكب الدرية ١/ ٦٨٥، شذرات الذهب ٢/ ١٥٠.

وقال مؤمّل الجصّاص الشيرازي، رحمه الله: أعطى اللهُ الجنيدَ الحكمة، وأعطى شاه الكرمانيَّ الوجودَ، وأعطى أبا حفص الأخلاق، وأعطى أبا يزيد الهيمان.

وكان أبو حفص رفيقَ أحمدَ بنِ خضرويه، وأبي يزيد، ومن تلامذة عبد الله بن مهدي الباوردي[1] وصحبه.

مات أبو حفص في سنة أربعٍ وستين ومئتين، وقيل: في سنة سبع وستين ومئتين، والأول أكثرُ.

وفي «تاريخ اليافعي»[2] أنه مات سنة خمسٍ وستين ومئتين.

قال أبو حفص: حُسنُ أدبِ الظاهر عنوان حُسنِ أدب الباطن، قال ﷺ: **«لو خشعَ قلبُه لخشعتْ جوارحُه»[3].**

وذهب إلى الحجِّ، ووصل إلى بغداد، فاستقبله الجُنيد، وكان أبو حفص مُعمَّراً، ومريدوه كانوا واقفين على رأسه بالأدب، فقال الجُنيد: أدَّبْتَ المُريدين بآداب الملوك! . فقال: حفظُ أدبِ الظاهر لأولياء الله عنوانُ أدبِ الباطن.

وأنشد شيخ الإسلام لغيره، يقول:

وقَلَّ مَن ضَمنتْ شيئاً طويَّتُهُ ... إلاّ وفي وجهِهِ مِنْ ذاكَ عُنوانُ

وعنه أيضاً: من لم يزنِ الأفعال والأقوال والأحوال على مِيزان الكتاب والسنة، ولم يتَّهمِ الخواطر في كلِّ وقتٍ فلا يُعدُّ من الرجال.

وعنه أيضاً، قال: الفتوة أداءُ الإنصاف، وتركُ مُطالبة الانتصاف.

---

(١) الباوردي نسبة إلى أبيورد، وهي بلدة في بلاد خراسان، وقد يقال أبيوردي. انظر اللباب ١/ ٢٧، ١١٥.

(٢) مرآة الجنان ٢/ ١٧٩.

(٣) رواه السلمي في طبقاته ١٢٢، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ٢٣٠ بإسناد منقطع، وذكره الغزالي في الإحياء ١/ ١٥١ بلفظ: رأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال... قال العراقي: أخرجه الحكيم الترمذي في «النوادر» من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب، رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفيه رجل لم يُسمَّ، وانظر إلى ما قاله المناوي في فيض القدير ٥/ ٣١٩.

(٤٥) أبو علي الحداد(*)

أبو علي محمد الحدّاد، رحمه الله، كان من مُريدي أبي حفص، ومن عجائب نيسابور.

ولمّا جاءَ عند أبي حفص أمَرَه أن يشتغلَ بالحِدادة، ويُنفقَ أجرته على الفقراء والمساكين، وأن يأكلَ بالسؤال، وكان يفعل هكذا حتّى طعنَ عليه الناس، وقالوا: انظروا حرصه، يشتغلُ بالكسب، ويَسألُ الناس!. ولمّا أدركوا حاله اعتقدوا فيه، وحصل له الجاه، وانفتح بابُ الفتوح، ثم منعَهُ عن السؤال، وقال: الآن السُّؤال عليك حرام، وكُلْ من كسب يدك، وأنفق.

وقيل: جاء عنده مريدٌ، فقال له: اذهب إن كنت تريد هذا الطريق فتعلم الحِجامةَ حتى يسمُّونك الحجّام، ولا يسمُّونك ابتداء العارف، وبعد أن تتركَ الحجامة فأنت بالخِيار.

* * *

(٤٦) ظالم بن محمد(**)

ظالم بن محمد، رحمه الله، كان من كبراء المشايخ، واسمه عبد الله؛ لكن سمّى نفسَه ظالماً، وقال: ما عبدته أبداً حقَّ العبادة، فأكون ظالماً[1].

وكان من أصحاب أبي جعفر الحداد.

قال ظالم: من يُريد أن يُفتحَ له الطريق فليلازم هذه الأفعال الثلاثة: الأنسَ بذكر الله، والفرارَ من الخلق، والتقليلَ من الطعام.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الأولياء ٣٣٧.

(١) في المطبوع: فأنا ظالم.

(٤٧) أبو مُزاحم الشيرازي (*)

أبو مزاحم الشيرازي، رحمه الله، كان جليلَ الشأن، من مشايخ فارس.

وتنافر مع الجُنيد، والشبلي لمَّا تكلَّما في المعرفة، وكان المشايخُ يخافون منه، وكان صاحبَ حديثٍ، وعزيزَ الوجود.

وذكر الشيخ أبو عبد الله بن خفيف في كتابه أنَّه من مشايخ فارس، ومات في سنة خمسٍ وأربعين وثلاث مئة.

وكان يجيء لزيارة أبي حفص، وفي بعض الأيام حصلَ لأبي حفص وأصحابه فتوحٌ قليل، فقالوا: نطهِّرُ بيت الخلاء بهذه الدراهم. فقال أبو حفص: أنا أنزحُهُ، وهذه الدراهم أنفقوها على الفقراء. فجاء واحدٌ، واشتغلوا بالنزح، ثم جاء واحدٌ وقال لأبي حفص: اغسل بدنك، والبس الثياب، لأنه جاء الشيخ أبو مزاحم من فارس. فقال أبو حفص: إن كان أبا مزاحم الذي أعرفه فينبغي أن ينظر لي بهذه الحالة. فلمَّا جاء الشيخ أبو مزاحم، ورأى أبا حفص في تلك الحالة، سلّم عليه، ونزعَ الثياب عن رأسه، واشتغلَ معهم.

قال أبو الحسن الفوشنجي[1] الصوفي، قُدِّس سره: **من ذلَّ في نفسه رفعَ اللهُ قدرَه، ومن عزَّ في نفسه أذلَّهُ الله في أعين عباده.**

قال أبو بكر الورّاق: هذه الأفعال لا تتيسَّرُ إلاّ لمن نظَّفَ الخلاء بالصدقِ والإخلاص.

* * *

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٥٩.

(١) الفوشنجي نسبة إلى فُوشَنج، ويقال بوشنك، وهي مدينة قريبة من هراة، وينسب إليها بوشنجي وفوشنجي. اللباب ٢/ ٤٤٦. وفي المطبوع و(ص): القوشنجي.

(٤٨) عبد الله بن مهدي الباوردي(*)

عبد الله بن مهدي الباوردي[١]، رحمه الله، كان من أجلَّةِ هذه الطائفة، وأستاذَ أبي حفص الحداد.

ذهب أبو حفص الحداد إلى أَبِيوَرْد فقرأ عنده.

وكان عبد الله حداداً، وكان سببُ تركه إيّاها أنّه كان يوماً مشتغلاً في شغل الحدادة، وفي يده حديدةٌ يُحمّيها، فمرَّ به أعمى وقرأ هذه الآية: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦]، فسمعه عبد الله، فتغيَّرَ حالُه، وسقطَ الحديدُ من يده، فأخذ ذلك الحديدَ بيده بلا كلاَّب، فرآه تلميذه، فصاح صيحةً، وغابَ عن نفسه، فقال عبد الله لتلميذه: ما وقع لك؟. فرأى الحديد المحمّى في يده، فقال: إذا انكشفَ سرّي أتركه. فترك الشُّغلَ والدكان، وخرجَ وعزم على السفر[٢].

* * *



(٤٩) حمدون القصار(**)

حمدون القصَّار، قدس الله سره، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو صالح.

وكان إمام المَلامَتية[٣]، وشيخَهم ومقتداهم، و[منه] انتشر طريق المَلامتية في نيسابور.

(*) طبقات الصوفية ١١٥ (عبيد الله).

(١) انظر الحاشية (١) صفحة ٨٨.

(٢) تنسب هذه القصة لأبي حفص الحداد مع غلامه. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٠.

(**) طبقات الصوفية ١٢٣، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣١، الرسالة القشيرية ٢٤، صفة الصفوة ٤/ ١٢٢، المنتظم ٥/ ٨٢، المختار من مناقب الأخيار ١٣١/أ، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٠، الوافي بالوفيات ١٣/ ١٦٥، طبقات الأولياء ٣٥٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٤، الكواكب الدرية ١/ ٥٩١.

(٣) تقدم التعريف بها. انظر الحاشية (١) صفحة ١٥.

وإذا ذكر حالُه وأصحابه في العراق. قال سهل التُّستري والجُنيد: لو جاز أن يكونَ بعد النبي ﷺ رُسُلٌ لكان منهم حمدون القصَّار.

وكان عالماً فقيهاً على مذهب الثوري[1]، وكان في طريقه.

وكان أستاذَ عبد الله المنازلي.وما أخذ أحدٌ طريقه كما ينبغي إلاّ عبد الله بن منازل.

وصحب سلمَ بن الحسن البارُوسي، وأبا تراب النَّخْشبي، وعلياً النصراباذي، وكان رفيق أبي حفص.

مات في نيسابور في سنة إحدى وسبعين ومئتين، وقبرُه في الحيرة.

قال حمدون: ما أُفضِّلُ نفسي على نفس فرعون، لكن أُفضِّلُ قلبي على قلب فرعون.

وعنه قال: من نظر في سير السلف عرفَ تقصيره، وتَخلُّفَه عن درجات الرجال.

وعنه أيضاً، قال: من رأيتَ فيه خصلةً من الخير فلا تُفارقه، فإنه يُصيبُكَ من بركاته.

وأضافه يوماً شخصٌ، فخرج صاحبُ البيت لقضاء حاجة، وكان حمدون مُحتاجاً إلى قطعة قرطاسٍ، فجاءتِ امرأةُ صاحب البيت بقرطاسٍ، فأبى أن يقبلَه وقال: لا يجوزُ لي فيه التصرُّفُ، لأن صاحبَ البيت غائبٌ، ولا أعلمُ أهو ميتٌ أو حي ؟.

قال شيخ الإسلام: جميعُ أفعال هذه الطائفة وسيرهم هكذا، فقيسوا عليه، والآن اختاروا الإباحة والتهاون في الشرع، والزندقة وسوء الأدب، ويقولون: نحن المَلامتية. وليسوا كذلك، بل المَلامتية هي التي تفعل بمُوافقة الشرع، ولا تخافُ لومة لائمٍ.

---

(١) أقام سفيان الثوري (٩٧ـ ١٦١) مذهباً فقهياً مستقلاً، لم يتابع فيه أهل الرأي كل المتابعة، كما لم يتابع فيه أهل الحديث كل المتابعة؛ بل كان وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء، ولذلك كانت له مكانته في كلا المدرستين، وكان لمذهبه علماء أتباع في العراق والمغرب، عاش مذهبه وعمل به الناس مدة ثلاثة قرون. انظر موسوعة فقه سفيان الثوري تأليف د. محمد رواس قلعة جي صفحة ٦٠. دار النفائس ١٤١٠ـ١٩٩٠.

(٥٠) أبو الحسن الباروسي(*)

أبو الحسن الباروسي، قدَّس الله سرَّه العزيز، اسمه سلم بن الحسن الباروسي، وكنيته أبو الحسن(١).

ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في «تاريخ الصوفية»(٢)، وقال: كان من قدماء مشايخ نيسابور، ومن أساتذة حمدون القصار، وكان مُستجابَ الدعوة.

قال أبو الحسن: **لا يظهر على أحدٍ شيءٌ من نور الإيمان إلاّ باتِّباع السُّنة، ومُجانبة البدعة، وكلُّ موضعٍ ترى فيه اجتهاداً ظاهراً بلا نورٍ فاعلمْ أنَّ ثَمَّةَ بدعةً خفيةً.**

قال أبو عبد الله [ابن كرّام](٣): ما تقولُ في حقِّ أصحابي؟. قال: إن كان الرغبةُ التي في باطنهم على ظاهرهم، والزُّهدُ الذي على ظاهرهم في باطنهم كانوا رجالاً، لكن أراهم يُصلّون كثيراً، ويَصومون بلا نهايةٍ، وما فيهم نورُ الإيمان. ثم قال: من ظُلمة الباطن ظاهرُهم ظلماني.

* * *

(*) الأنساب ٢/ ٣٤، اللباب ١/ ١٠٨، معجم البلدان ١/ ٣٢٠. وذكره السلمي في طبقاته ١٢٣، ٢٧٣.

والبَارُوسي نسبة إلى باروس قرية من قرى نيسابور.

(١) في (ص) والمطبوع (ف): وكنيته أبو عمران. والتصحيح من مصادر الترجمة.

(٢) تاريخ الصوفية كتاب صنفه السلمي لأجل ذكر أستاذه أبي بكر محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي المذكور قبل طبقات الصوفية، والكتاب مفقود، وقد طبع جزء منه ماسينيون مستلاً مادته من تاريخ بغداد.

(٣) ما بين معقوفين مستدرك من المطبوع الفارسي، وهو محمد بن كرّام بن عراق أبو عبد الله السجزي (نسبة إلى سجستان) إمام الكرّامية، من فرق الابتداع في الإسلام، كان يقول: إن الله مستقرٌّ على العرش، وإنه جوهر. جاور بمكة، وورد نيسابور فحُبس، وخرج منها إلى القدس، ومات فيها سنة ٢٥٥. الأعلام.

(٥١) منصور بن عمَّار (*)

منصور بن عمار، قدّس الله سره، من الطبقة الأولى، كنيته أبو سَري.

وكان من أهل مرو، وقيل: من أهل الباورد[١]، وقيل: من أهل بوشنج[٢]، وكان في البصرة.

وكان من حكماء المشايخ، وله كلامٌ حسن في المعاملات.

رُئي في المنامِ بعد موته، فقالوا له: كيف حالُك؟. فقال: غفرَ اللهُ لي، ووضع لي مِنبراً في السماء السابعة، وأَمرني أن أَصعَدَ عليه، وقال لي: قلْ للملائكة والمُحبّين لي كما كنتَ تقولُ في الدنيا.

وتاب يوماً شابٌ على يده، ثم نقضَ التوبة، وضلَّ عن الطريق، فقال الشيخ: ما أعرفُ سببَ نقض توبتك، إلاّ أنَّك وجدتَ الأصحاب قليلاً، فحصلتْ لك وحشةٌ، وتمللت، ونقضت التوبة.

* * *

(*) التاريخ الكبير ٧/ ٣٥٠، الضعفاء للعقيلي ٤/ ١٩٣، الجرح والتعديل ٨/ ١٧٦، الثقات لابن حبان ٩/ ١٧٠، الكامل في الضعفاء ٦/ ٣٩٣، طبقات الصوفية ١٣٠، حلية الأولياء ٩/ ٣٢٥، تاريخ بغداد ١٣/ ٧١، الرسالة القشيرية ٢٣، مناقب الأبرار ٨٨/ ب، صفة الصفوة ٢/ ٣٠٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٧٦/ ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٥/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٣، ميزان الاعتدال ٤/ ١٨٧، طبقات الأولياء ٢٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٤، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٧٢٠.

(١) انظر الحاشية (١) صفحة ٨٨.

(٢) انظر الحاشية رقم (١) صفحة ٩٠.

(٥٢) أحمد بن عاصم الأنطاكي(*)

أحمد بن عاصم الأنطاكي، رحمه الله، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو علي، وقيل: أبو عبد الله، وهذا أصح.

وكان من أقران بشر الحافي، وسري السَّقطي، والحارث المحاسبي، وقيل: إنه رأى الفُضيل بن عياض، وكان من أساتذة أحمد بن أبي الحواري.

قال أحمد: إمامُ كلِّ عملٍ العلمُ، وإمام كلِّ علمٍ العناية.

وعنه أيضاً، قال: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥] **ونحن نستزيدُ من الفتنة.**

وأيضاً عنه قال: **وافقنا الصالحين في أعمال الجوارحِ، وخالفناهم في الهِمَم.**

وعنه أيضاً: **الصبرُ أوَّلُ الرِّضا.**

وسُئل عن الإخلاص، فقال: إذا عملتَ عملاً صالحاً، لا تُريد أن يذكرَك به أحدٌ، أو يعظِّمك، ولا تطلب له الثوابَ إلاّ من عند الله، فهو الإخلاص.

وعنه أيضاً: **اعملْ على أنْ ليس في الأرض أحدٌ غيرك، ولا في السماء أحدٌ غيره.**

* * *

(*) الجرح والتعديل ٢/ ٦٦، الثقات لابن حبان ٨/ ٢٠، طبقات الصوفية ١٣٧، حلية الأولياء ٩/ ٢٨٠، الرسالة القشيرية ٢٣، صفة الصفوة ٤/ ٢٧٧، المختار من مناقب الأخيار ٥٨/ أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٢٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٨٧، ١١/ ٤٠٩، ميزان الاعتدال ١/ ١٠٦، البداية والنهاية ١٠/ ٣١٨، طبقات الأولياء ٤٦، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٠. وسيترجم له المؤلف ثانية (٨٧).

(٥٣) محمد بن منصور الطوسي (*)

محمد بن منصور الطوسي، قدّس الله روحه، كان في بغداد، وكان مُحدّثاً صوفياً.

وكان أستاذ عثمان بن سعيد الدّارمي، وأبي العباس مَسروق، وأبي جعفر الحدّاد الصغير[١]، وأبي سعيد الخراز، والجُنيد البغدادي.

قال أبو سعيد الخراز: في بداية الإرادة كنتُ راغباً في السياحة، فيوماً قال لي محمد بن منصور الطوسي: يا ولدي، الزم مقامَ إرادتك حتَّى يفتحَ اللهُ لك بابَ كلِّ خيرٍ وبركة.

وأيضاً عنه قال: قال محمد بن منصور الطوسي: كنتُ في الطواف، وكان رجلٌ يطوف ويبكي، ويقول: يا الله، أعطني مفقودي. قلت: ما كان مفقودك؟. قال: كانت لي حياةٌ طيبة معه، وكنتُ مسروراً بها، فيوماً كنتُ في البادية عطشان، وقلتُ مثلَ كلام الغبي: هواء الصيف في غاية الحرارة، وأنا في البداية[٢]، فمن أين أشرب؟، أفأهلك؟!. فجاء الغيمُ وأمطر مطراً كثيراً حتى خفتُ على نفسي من الغرق، فلمّا انتبهتُ ما وجدتُ تلك الحياة الطيبة؛ بل بُدّلتُ بالنقص[٣].

قال شيخ الإسلام: عاقبه الله تعالى بـ: لِمَ لا عرفت قدرتي في الشتاء والصيف على السواء[٤]؟!.

(*) الجرح والتعديل ٨/ ٩٤، الثقات لابن حبان ٩/ ١٣٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢١٦، تاريخ بغداد ٣/ ٢٤٧، طبقات الحنابلة ١/ ٣١٨، صفة الصفوة ٢/ ٣٩٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٩/ب، تهذيب الكمال ٢٦/ ٤٩٩، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢١٢، الوافي بالوفيات ٥/ ٧٠، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٤٣، الكواكب الدرية ١/ ٧٠١، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠٠.

(١) في الأصل: المهين.

(٢) في المطبوع: في البادية.

(٣) في المطبوع: بالنغص.

(٤) في المطبوع: عاقبة الله [كأن الغيم يقول له]: أما عرفت [أن] قدرته في الشتاء والصيف على السواء.

وأيضاً قال أبو سعيد الخراز: سئل محمد بن منصور عن حقيقة الفقر، فقال: **السكونُ عند كلِّ عدم، والبذلُ عند كلِّ وجود.**

وقال محمد بن منصور: **يحتاجُ المسافر في سفره إلى أربعةِ أشياء: علمٍ يسوسُه، وذكرٍ يُؤنسه، وورع يحجُزُه، ويقينٍ يحمله**[1].

قال شيخ الإسلام: في تمام العمر لا تكفي هذه الأربعة؛ لأنك على الدوام في سفرٍ وتوجّه إلى منزل، ومن يكن خالياً من هذه الأربعة فهو ضائع، فينبغي أن يكون عملٌ رايضه، ومصلحة ملينه[2]، وذكر يُؤنسه، وورعٌ يمنعه حتى لا يقع في المكروهات، ويقينٌ يكون مركبَه حتى لا يتأخّر في كلِّ حالٍ، فيكون مستريحاً، وتكون حياتُه طيبةً بلا كراهة.

وكان محمد بن منصور يوماً يتكلَّمُ مع الناس، فانجرَّ كلامه إلى ذكر المَلامة والمَلامتي، فقال واحدٌ: ليس لنا استحقاقٌ أن نذكرَ المَلامة والمَلامتي. فأجابه: **«عند ذكر الصالحين تنزلُ الرحمة»**[3]. فعلى الفور نزلَ المطرُ بلا سحاب.

* * *

(٥٤) علي العكي(*)

علي العكي، رحمة الله عليه، كان من هذه الطائفة، وكان مُجاوراً في مكة.

قال علي العكي: **من رضي من الدنيا بالدنيا فهو ملعون، ومن رضيَ من**

---

(١) هذا القول منسوب في الرسالة القشيرية ١٧٢ لأبي يعقوب السوسي.

(٢) في المطبوع: أن يكون عمل يروضُه، وعلم يسوسُه

(٣) قال الحافظ ابن حجر: لا أصل له، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: ليس له أصل في المرفوع، وإنما هو من قول سفيان بن عيينة. قال الزمخشري: ورد في صحيح الآثار المسندة عن العلماء الكبار أن رسول الله ﷺ قال: عند ذكر... انظر كشف الخفا ٢/ ٩١.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

العلم بالعلمِ فهو مَفتون، ومن رضي من الزُّهد بالثناء فهو مَحجوب، ومن رَضي من الحقِّ بشيءٍ ما دون الحقِّ ـ كائناً ما كان ـ فهو طاغ.

قال شيخ الإسلام: هل تعرفُ ما الدنيا ؟، إنَّها[1] **ما دَنا من قلبك فألهاك.**

وقال في مناجاته: إلهي، لا تدمْ لي مُشاهدتَك؛ لأنَّ الشُّهودَ على الدوام شُغلٌ، ولا تُحسن فقاهتي؛ لأن الفقاهة ألم.

وقال: إذا كان العبدُ قائماً بنفسه فهو خشبٌ يابس، وحديدٌ بارد، ومن رضي من الزهد بالثناء فهو محجوب، ونصف الدّرهم في كف[2] الصوفية كنز.

* * *

(٥٥) حاتم الأصم(*)

حاتم بن عُنْوان الأصمُّ، قدّس الله روحه، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو عبد الرحمن، من قدماء مشايخ خراسان، وكان من أهل بلخ.

صحب شقيقاً البلخي، وكان أستاذَ أحمد بن خضرويه.

ومات في واشَجِرْد من نواحي بلخ، سنة سبعٍ وثلاثين ومئتين.

وكان سبب تسميته بالأصمّ أنَّ عجوزاً كانت تتكلَّمُ معه، فخرجَ منها ريحٌ، فخجلت، فقال: ارفعي صوتك قوياً، لدفع خجلتها، ففهمتْ أنَّه أصمُّ، وما كان أصمَّ، ففرحتْ، فزال خجلتُها، فبقي ذَلك اللَّقبُ عليه.

---

(١) في (ص): أي ما دنا.

(٢) في المطبوع: كنف.

(*) الجرح والتعديل ٣/ ٢٦٠، طبقات الصوفية ٩١، حلية الأولياء ٨/ ٧٣، تاريخ بغداد ٨/ ٢٤١، الرسالة القشيرية ٢٠، الأنساب ١/ ٢٩٤، صفة الصفوة ٤/ ١٦١، المختار من مناقب الأخيار ١١٤/أ، وفيات الأعيان ٢/ ٢٦، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٤، العبر ١/ ٤٢٤، الوافي بالوفيات ١١/ ترجمة ٣٣١، مرآة الجنان ٢/ ١١٨، طبقات الأولياء ١٧٨، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٠، طبقات الشعراني ١/ ٨٠، الكواكب الدرية ١/ ٥٨٩، شذرات الذهب ٢/ ٩٣.

وقال الأصم: من يختارُ هذا الطريق فليختار[1] أربعَ موتات: **الموت الأبيض** وهو الجوع، **والموت الأسود** وهو الصبر على أذى الخلقِ، **والموتَ الأحمر** وهو مُخالفة النفس، **والموتَ الأخضر** وهو أن يرقِّعَ الثيابَ للبس.

وقال الأصم: كلُّ يومٍ يقول لي الشيطان: أيُّ شيءٍ تأكل اليوم ؟. فأقول: الموت. فيقول: أيُّ شيءٍ تلبس ؟. فأقول: الكفن. فيقول: أين ترقُد ؟. فأقول: في القبر.

وقيل سُئِل الأصمُّ: ما تَتَمنّى ؟ فقال: العافيةَ من أوَّل النهار إلى الليل، فقيل لَه: أليس هذه العافيةُ أنت فيها كلَّ يوم ؟! قال: العافيةُ ألا تعصي الله.

قال له واحدٌ: أوصني. فقال: **إذا أردتَ أن تعصِيَ مولاك فاعْصِهِ في موضع لا يراك.**

ويوماً أرسل له واحدٌ شيئاً، فقبله، فقالوا: لم قبلته ؟ قال: رأيتُ في أخذه ذُلَّ نفسي وعزَّه، وفي عدم قبوله رأيتُ عِزَّ نفسي وذُلَّه، فاخترتُ عزَّه على ذلِّ نفسي.

وسئل: من أين تأكلُ ؟ فقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

* * *

(٥٦) أحمد بن أبي الحواري[*]

أحمدُ بنُ أبي الحَوَاريِّ، قدَّس اللهُ سرَّه، من الطبقةِ الأولى، وكنيتُه أبو الحسَن، وكان من أهل دِمَشْق.

---

(١) كذا في الأصل.

(*) الجرح والتعديل ٢/٤٧، الثقات لابن حبان ٨/٢٤، طبقات الصوفية ٩٨، حلية الأولياء ١٠/٥، الرسالة القشيرية، طبقات الحنابلة ١/٧٨، صفة الصفوة ٤/٢٣٧، =

صحب أبا سليمان الدَّارَانِيّ، وأبا عبد الله النِّباجِي، وغيرهما من المشايخ.

وكان له أخ اسمُه محمد بن أبي الحَوارِيّ، وكان في الزُّهدِ والورع مثلَه. وولدُه عبدُ الله بن أحمد بنِ أبي الحواريّ كان من الزهاد. وأبوه ـ أبو الحواريّ، واسمه مَيْمون ـ كان من المتورعين والعارفين، وكانوا بيت زهد وورع.

مات رحمه الله سنة ثلاثين ومئتين.

وكان الجُنَيد يقول: أحمدُ بنُ أبي الحواري رَيْحانةُ الشام.

وقال أحمد: الدنيا مَزْبَلَة ومَجْمَعُ الكلاب، وأذلُّ من الكلاب من لم يَبْعُد منها؛ لأنَّ الكلبَ يقضي حاجتَه ويذهب، ومن يُحِبُّ الدنيا لا يبعُدُ عنها أبداً.

قيل: كان بينَه وبين أبي سليمان الدَّارَانِيّ عهد ألا يخالف أمْرَه، فيوماً كان أبو سليمان في مجلسٍ يتكلَّمُ مع الناس، فجاءه أحمد، فقال: حمي التنور، ما تقول؟ فما ردَّ أبو سليمان الجواب حتى كرَّرَها ثلاث مرات؛ فضاق قلبُ أبي سليمان، وقال: اذهبْ واجلسْ فيه. وأبو سليمان كان مشغولاً بمكالمة الناس، فبعد ساعةٍ قال: ما قلتُ لأحمدَ، أين هو؟ ثم قال: عسى أنْ يكون في التنُّور! فوجودوه في التنور الحارِّ المحمَّى، وما احترقت منه شعرة واحدة.

وقال أحمدُ أيضاً: كان محمد بن السمَّاك مريضاً فأخذت قارُورَةً من بوله، وذهبت بها إلى طبيب نصرانيّ؛ فاستقبلني رجلٌ حسنُ الوجه، طيِّبُ الرائحة، طيبُ اللباس، فقال لي: أين تذهبُ؟ قلت: عند فلان الطبيبِ، حتى أُرِيه قارورة الشيخ. قال: سُبحان الله! تطلب الاستعانة بعدو الله في معالَجَةِ مُحِبِّ الله؟! اضرِبْ بالقارورة على الأرض، وقل له: ضَعْ يدك على الموضِع الذي يوجِعُك، وقل ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]! وغاب من عندي.

= المختار من مناقب الأخيار ٥٥/ب، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١٤٢، تهذيب الكمال ١/ ٣٦٩، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٥، مرآة الجنان ٢/ ١٥٣، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٨، طبقات الأولياء ٣١، تهذيب التهذيب ١/ ٤٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٢، الكواكب الدرية ١/ ٥٣٤، شذرات الذهب ٢/ ١١٠.

فرجعتُ إلى ابن السمَّاك، فقصصتُ عليه، فوضعَ يدَه على مَوْضع الوجع، وقرأ ما قالَه، فزال عنه المرضُ على الفور.

قال أحمدُ: هو الخَضِر.

* * *

(٥٧) عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكي(*)

عبد الله بن خُبيق بن سابق الأنطاكي، من الطبقة الأولى، وكنيته أبو محمد، وهو من زُهَّاد الصوفية، والآكلين من الحلال، والمتورعين في جميع الأمور.

أصله من الكوفة، وأقام في أنطاكية، وطريقه في التصوف طريقةُ سُفيان الثوري؛ لأنه صحب أصحابَ سفيان.

قال فتح بن شَخْرف: أول ما رأيت عبد الله بن خُبَيْق، قال: يا خُراساني، أربعةُ أشياء ليس غيرها: العين، واللسان، والقلب، والهوى، فاحفظ العين عن المحارم وما لا يحبُّه[1]، واللِّسانَ أن يقولَ خلافَ ما في القلب، والقلبَ ألاّ يكون فيه غِلٌّ وحقدٌ على أهل الإسلام، واحفظِ الهوى أن يميلَ إلى ما لا ينبغي، فإن لم يكن فيك هذه الخصال فاحثُ التُّرابَ على رأسك، فأنت شقي.

وأيضاً عنه قال: وصلَ إليَّ أنَّ حبراً من أحبارِ بني إسرائيل يقول: يا ربُّ، كم أَعصيك، ولا تُعاقبني! فأوحى الله إلى نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل، قل له: كم أُعاقبُك وأنت لا تدري، ألم أَسلبْكَ حلاوةَ مناجاتي ؟!.

* * *

(*) طبقات الصوفية ١٤١، حلية الأولياء ١٠/ ١٦٨، الرسالة القشيرية ٢٣، مناقب الأبرار ٨٦/ ب، صفة الصفوة ٤/ ٢٨٠، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٣/أ، طبقات الأولياء ٣٣٨، تبصير المنتبه ٢/ ٥٢٤، طبقات الشعراني ١/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٦٧٦.

وفي (ص): عبد الله بن حبيتي.

(١) في المطبوع: وما لا يحبه الله.

(٥٨) سهل بن عبد الله التستري(*)

سهل بن عبد الله التُّستري، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، وكنيته أبو محمد، من أكابر القوم وعلماء هذه الطائفة.

وكان إماماً ربَّانياً يجوز[1] الإقتداء به، وكان حالُه قوياً، وكلامه ضعيفاً.

وهو من تلامذة ذي النون المصري، وصحب خاله محمد بن سوّار، وكان من أقران الجُنيد.

ومات قبل الجُنيد في المحرَّم سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتين، وكان عمره ثمانين سنة.

قال سهل: كنتُ ابن ثلاث سنين أُحيي الليالي، وكنت ناظراً إلى صلاة خالي محمد بن سوّار، ويقول لي: اذهب فارقد، ولا تشغلني بك.

وفي يومٍ قال لي: ألا تذكر ربَّك؟!. قلتُ: كيف أذكره؟. قال: قلْ كلَّ ليلةٍ وقتَ النوم ثلاثَ مرات في القلب ولا تحرّكْ لسانك: الله معي، الله ناظري، الله شاهدي. ففعلت ما أمرني به ليالي كثيرة، وقلتُ له ما عملتُ، فقال: كلّ ليلةٍ قل سبع مرات. ففعلت، وقلت له كذلك، فقال: قلْ كلَّ ليلةٍ إحدى عشرة مرة. ففعلتُ ليالي كثيرة، فوجدتُ في قلبي حلاوةً منه، وبعد مُضي السنة قال خالي: احفظْ ما قلتُ لك، وداوم عليه حتى تدخلَ القبر، ويكون لك ربحاً في الدنيا والآخرة. وبعد مرورِ أيامٍ قال لي: من كان الله معه، وهو ناظرُه، وشاهده، كيف يعصيه؟ إيَّاك والمعصية.

(*) طبقات الصوفية ٢٠٦، حلية الأولياء ١٠/ ١٨٩، الرسالة القشيرية ١٨، الأنساب ٣/ ٥٥، المنتظم ٥/ ١٦٣، صفة الصفوة ٤/ ٦٤، المختار من مناقب الأخيار ١٩٧/أ، اللباب ١/ ١٧٦، وفيات الأعيان ٢/ ٤٢٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٣٠، العبر ٢/ ٧٠، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٠٠، طبقات الأولياء ٢٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٧٧، الكواكب الدرية ١/ ٦٣٣، شذرات الذهب ٢/ ١٨٢.

(١) في المطبوع: يتعيّن.

سئل سهل: ما علامةُ الشقاوة ؟. قال: أن تُعطى العلمَ ولا تُعطى توفيق العمل، وتُعطى العملَ ولا تُعطى الإخلاص، وتُعطى صحبةَ الصالحين والعرفاء[1] ولا تُعطى القبول.

سئل عتبة الغسَّال: ما علامة السعادةِ والشقاوة ؟. قال: علامة السعادة أن تُعطى الخِدمة والحضور، وعلامةُ الشقاوة أن تُعطى الخدمة، ولا تُعطى الحضور.

وقال عُتبة الغسَّال: الشقاوةُ عدمُ الوصال مع المحبوب، لا دخول النار، والسعادةُ الوصالُ مع المحبوب، لا دخول الجنة.

قال شيخ الإسلام: أظهرُ علامةٍ على الشقاوة ألا تكون في زيادة بل تكون في نُقصان.

قال سهل: أول هذا الأمر عِلمٌ لا يُدرك، وآخرُه علمٌ لا ينفد.

وأيضاً قال: ما دمتَ تخافُ الفقرَ فأنت مُنافق.

وأيضاً عنه قال: الصوفي الذي لا ينتفعُ أحدٌ من قلبه لا يَحصلُ منه الفلاحُ.

وأيضاً عنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٠] قال: يعني: لساناً ينطق عنك، لا ينطق عن غيرك.

وأيضاً عنه قال في تفسير هذه الآية: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]: العدلُ هو إنصافُ الرفيق في اللُّقمة، والإحسانُ أن تُؤثِرَ الرفيق على نفسك.

وأيضاً عنه قال: من أصبحَ ولا يكون همُّه إلاّ ما يأكل فاقطعْ منه الرجاء[2].

وأيضاً عنه قال: الشيطان يفرُّ عن الجائع النائم.

---

(١) في المطبوع: والعارفين.
(٢) في المطبوع: إلا ما يأكل [فليس من] الرجال.

وأيضاً عنه قال: طُوبى لمن يطلبُ أولياءَه تعالى، إن وجدَ أولياءَه وجدَ النُّور، وإنْ ماتَ في طلبه وجد شفيعاً[1].

وسأله واحد: من يكون من أهل الإسلام قريباً من الكفر؟. قال: مُمتَحَنٌ غيرُ صبور.

وكان سهل مريضاً مرض البواسير سُنونَ كثيرة، وكان يُعافي اللهُ بدعائه المرضى.

قال شيخ الإسلام: أتدري لِمَ كان كذلك؟، لأنَّه كان للخلق شفيعاً، وما كان يخاصم لنفسه.

وقال لي أبو نصر التَّرشِيزي[2]: أتدري لِمَ كان لسهلٍ هذا الباسور، وكانَ صاحب ولاية؟. قلت: سهل وجدَ الولاية منها، ولأجل هذا ما طلب الصحَّة منها.

وقيل: كان له مُريدٌ أمردُ بين المريدين، فطلبَ الأمردُ من سهلٍ أن يدعو له: تخرج لحيتي، فقال سهل: امسَحْ بيدك على لحيتك بأيِّ قدر تُريد. فمسح وجهه فوجد اللِّحيةَ في يده.

* * *

(٥٩) العباس بن حمزة النيسابوري(*)

العباس بن حمزة النيسابوري، قدَّسَ الله سره، كنيتُه أبو الفضل، كان رجلاً كبيرَ الشأن، من المتقدِّمين.

وكان يُصاحبُ ذا النون، وأبا يزيد، قَدَّس الله سرَّهما، وغيرَهما.

---

(١) في (ص): وجده شفيعاً.

(٢) في المطبوع: الترشيري.

(*) تاريخ دمشق ٣٦٣/١٦، المنتظم ٢٩/٦، مختصر تاريخ دمشق ٣١٨/١١.

مات في ربيع الأول، سنة ثمانٍ وثمانين ومئتين، قبل الجنيد، وهو جد أبي بكر الحَفيد[1].

قال أبو بكر الحَفيد: قال جدّي: قال ذو النون: **لو علموا ما طلبوا هانَ عليهم ما بَذلوا.**

وأيضاً قال: قال ذو النون: **كيفَ لا أَبتهجُ بك سروراً، وقد كنتُ أخطرُ ببالك حين رَزقتني الإسلام ؟!.**

وفي رواية أخرى: **حين جعلتني من أهل التوحيد ؟!.**

* * *

(٦٠) العباس بن يوسف الشِّكْلِيُّ(*)

العباس بن يوسف الشِّكْلي، رحمه الله، وكنيته أبو الفضل أيضاً، كان من قدماء مشايخ بغداد.

قال العباس: من كان بالله مَشغولاً لا تسألْه عن الإيمان.

قال شيخ الإسلام: من كان اليومَ مشغولاً بنفسه أو بالخلق يكنْ في غدٍ مَحجوباً عن مُشاهدته، فقومٌ مشغولون به وفيه عن الخلق، وقوم مَشغولون عنه بغيره.

أَشغلتَ قلبي عن الدُّنيا ولذَّتِها ... فأنتَ والقلبُ شيءٌ غيرُ مُفترقِ
ومـا تـتـابعَـتِ الأَجفـانُ عـن سِنَـةٍ ... إلا وجدتُك بين الجَفْنِ والحَدَقِ[2]

* * *

---

(١) الحفيد هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يوسف الحفيد، وإنما عرف بهذا لأنه ابن بنت العباس بن حمزة الواعظ، كان فقيهاً حنفياً محدثاً. اللباب ١/ ٣٧٧.

(*) تاريخ بغداد ١٢/ ١٥٣، الأنساب ٧/ ٣٧٥، المنتظم ٦/ ٢٥٣، اللباب ٢/ ٢٠٥، وذكره السلمي في طبقاته ٢١، ٤٩.

(٢) نسب البيتين أبو نعيم في الحلية ١٠/ ٣١٠ إلى سمنون، وروى الشطر الأول من البيت الثاني: وما تطابقت الأحداق.

(٦١) العباس بن أحمد الأزدي(*)

العباس بن أحمد الشاعرُ الأزدي، رحمه الله تعالى، كنيتُه أيضاً أبو الفضل، كان في وقته وحيدَ مشايخ الشام، وله لسانٌ حسنٌ، وفتوَّةٌ ظاهرة، وكان من تلامذة المظفَّرِ الكرمان شاهي[1].

قال شيخ الإسلام: رأيتُ من رآه، وهو الشيخُ أبو سلمة الباوردي[2]، وكان بيتُه في رَمْلَة الشام.

قال الشيخ أبو سعد المَاليني الحافظ: كنتُ حاضراً وقتَ احتضاره، فقلتُ: كيف حالُك؟. قال: أنا مُتردِّدٌ، ولا أعرفُ ما أفعل، إن اخترتُ الموتَ أخافَ أن يكون مكابرةً، وسوءَ أدبٍ، ودعوى، وإنِ اخترتُ الحياةَ أَخافُ أن أكونَ مقصِّراً في التمنّي كراهية اللقاء، فأنا منتظرٌ حتى يجيءَ أمرُ الله. قال الشيخ أبو سعيد: فخرجت من عنده، فماتَ على الفور.

ولو قلتَ لي مُتْ مُتُّ سَمعاً وطاعةً ... وقلتُ لداعي المَوتِ أَهلاً ومَرحبا

قال شيخ الإسلام: كان مالك بن دينار محتضراً، فقال: إلهي، أنت تعلمُ أنّي لا أُريد الحياةَ لحفر النهر ـ وكانوا في تلك الأيام يحفرونَ النَّهرَ بالبصرة ـ ثم قال: إن أبقيتني عشتُ لأجلك، وإنْ تطلبني جئتُكَ. فماتَ في ذلك الوقت.

والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

قال شيخ الإسلام: أولياء الله يحيون به، ومعه، ويموتون معه، ويُحشرون به، ومعه، والخلائق كلُّهم حياتُهم للطعام والشراب، وحظِّ النفس، وأحبَّاؤه يأكلونَ لقيامِ الصُّلب، وحياتهم به، ومعه.

* * *

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ٢٠٩، مختصر تاريخ دمشق ١١/٣١٦.
(١) في الأصل: أبي المظفر. وانظر ترجمته صفحة ٣١٩.
(٢) في الأصل: أبو القاسم سلمة، وانظر ترجمته صفحة ٤٨٢.

(٦٢) أبو حمزة الخراساني(*)

أبو حمزة الخراساني، قدّس الله سره العزيز، من الطبقة الثالثة.

قيل: كان من نيسابور، وصحب مشايخَ العراق.

وكان من أقرانِ الجُنيد، وصحبَ أبا تُراب النَّخْشبي وسافر معه، وكان رفيقَ أبي سعيد الخرّاز.

وهو من فتيان المشايخ.

مات في سنة تسعين ومئتين، قبل الجُنيد، والنُّوري، وبعد الخرّاز.

قيل: كان أبو حمزة الخراساني يوماً في مسجد الرَّيّ، فأرادَ أن يَلفَّ خِرقةً على رجله لأجل الخُفّ، فأعطاه رجلٌ دَبيقاً[1] ذا ثمنٍ، فقطعَهُ ولفَّ رجله، فقالوا: لِمَ فعلت هذا، وثمنُها كذا وكذا؟!. قال: **لا أخونُ المذهب**.

وقال صاحبُ «كشف المحجوب» رأيتُ صوفياً من المتأخِّرين، أرسلَ له السُّلطان بثلاث مئة مثقال ذهباً، وقال: أجعلُ هذه للحمَّاميين. فدخلَ الحمام، وأعطاها لخدَّامِ الحمَّام، فقيل له: لِمَ فعلت؟. فقال: لا أخونُ المذهب.

(*) طبقات الصوفية ٢٥٩، ٣٢٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١/ ٣٩٠، الرسالة القشيرية ٣٣، طبقات الحنابلة ١/ ٢٦٨، المنتظم ٥/ ٦٨، صفة الصفوة ١/ ٢٦، ٢٧، ٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٣١/١أ، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٤٩، و ٢٨/ ٢٤٣، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٥، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ١٥٠، ١٥٥، النجوم الزاهرة ٣/ ٤٦، طبقات الشعراني ١/ ٩٩ و ١٠٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٥٠، ٦٩٧، والطبقات الصغرى ١٢٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٠.

وقد تداخلت ترجمته مع ترجمة أبي حمزة البغدادي. والظن الأقرب لليقين أنهما واحد؛ لهذا جعلت مصادر ترجمتهما واحدة.

(١) الدَّبيقي ضرب من الثياب، ينسب إلى دبيق ـ بلدة بمصر ـ وهو من دِقِّ الثياب، وكانت العمامة منها طولها مئة ذراع، وفيها رقعات منسوجة بالذهب، تبلغ العمامة من الذهب خمس مئة دينار، سوى الحرير والغزل. متن اللغة (دبق). والكلمة في الأصل ديبقاً.

قال شيخ الإسلام: **التصوف والتصرُّف لا يكونا معاً** ـ يعني في الدنيا ـ ومن جعل للدنيا قيمةً عنده فقد خرج من التصوف كما يخرجُ الشعرُ من العجين، وعند الصوفيِّ لا يكون للدنيا قيمةٌ، ولا يحزنُ عليها، حتّى لو أنَّ جميعَ الدنيا تُجعل لقمةً واحدةً، وتوضع في فم الدرويش لا يكونُ إسرافاً، والإسرافُ أن يبذُلَ الدنيا لحظِّ نفسه، لا لرضا الله تعالى؛ لأنَّ الله تعالى لا يُريد تركَ الدنيا من يدك؛ بل يُريدُ تركهَا من قلبك، **الدنيا مَدَرَةٌ لك منها غبرة**[1].

قال الشِّبلي: من زَهِدَ في الدنيا ظانًّا أنَّ لها عند الله قيمةً، فما لها عند الله قيمة، ولو كان لها قيمةٌ عند الله ما أعطى عدوَّه منها شيئاً.

وما لأبي حمزة نظيرٌ في الوجود، وصحَّةِ الحال.

قيل: إنه سمعَ صوتَ الريح، فحصل له وجد.

ويوماً كان في بيت الحارث المُحاسبي، فسمع الضأن، فحصلَ له وجدٌ، فقال: **عزَّ اللهُ جلَّ جلاله**. فقال الحارثُ المحاسبي: كيف هذا الحال؟، بيِّنْ لي وإلاّ قتلتُك. فقال: يا مسكين، اخلطِ النخالة والرَّماد، وكُلْ مدَّةً من السنين حتى تتبيَّنَ لك هذه المسألة.

* * *

(٦٣) أبو حمزة البغدادي(*)

أبو حمزة البغدادي، قدّس الله سره، من الطبقة الثالثة، وكان اسمه محمد بن إبراهيم، وقيل: من أولاد[2] عيسى بن أبان[3].

---

(١) في المطبوع: عبرة.

(*) انظر مصادر ترجمة أبي حمزة الخراساني السابقة.

(٢) في حلية الأولياء، وتاريخ بغداد: من موالي.

(٣) عيسى بن أبان بن صدقة، أبو موسى: قاضٍ، من كبار فقهاء الحنفية، كان سريعاً بإنفاذ الأحكام، عفيفاً، خدم المنصور العباسي مدة، وولي القضاء بالبصرة عشر سنين، وتوفي بها سنة ٢٢١ هـ. الأعلام.

كان من أقران السَّريِّ السقطي، وصحبه، وصحب بشراً الحافي، وكان في السفر رفيقَ أبي تُراب النَّخْشبي، وأبي بكر الكَتَّاني، وخيرَ النساج، وغيرهم.

يروون عنه الأحاديث.

مات في سنة تسعٍ وثمانين ومئتين، قبل الجنيد، وأبي حمزة الخراساني، وبعد أبي سعيد الخراز.

قال أبو حمزة: لولا الغفلةُ لماتَ الصدّيقون من روحِ ذكر الله.

قال شيخ الإسلام: أتفكَّرُ في ذِكْرك، وأفرُّ من علمي، وأخاف هلاكَ نفسي فأتعلّقُ بالغفلة.

وقال: من يشغلني ساعةً حتى أستريحَ من ثقل الحضور، فأرجو من الله أن يغفرَ له.

وسألوا الشيخ أبا عبد الله بن خفيف: لِمَ يبرزُ عبد الرحيم الإصطخري إلى الصحراء مع الكلاب؟. فقال: حتى يستريحَ من ثقلِ الحضور.

قال شيخ الإسلام: اللّذةُ والحلاوة في الطلب، وفي الحضور صدته تكسرُ[1] ما كان وما يكون.

ولشيخ الإسلام:

وجـــدانُكُـــم فـــوقَ الشُّـــرو رِ وفَقْـــدُكُـــم فـــوقَ الحـــزنْ

رُوي أنَّ حمزَة تفكَّرَ يوماً، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ٩٩] يعني: النفسُ أجهلُ الجاهلين، فأعرضْ عنها.

ورُوي عنه أنَّه كان مُتفكِّراً في بغداد في قُربِ الله، فغابَ عن نفسه، وكان واقفاً، فلمَّا انتبَه وجدَ نفسه في البادية تحتَ المِيل[2].

قال شيخ الإسلام: كان حالُ الشيخ عليٍّ السقّاء أقوى منه، لأنَّه كانَ متفكِّراً في قُرب الله، وغاب عن نفسه، فلمَّا أفاقَ مضى عليه ثلاثة عشر يوماً، قالوا:

---

(١) في المطبوع: صدمة تكسر.

(٢) المِيل: منار يبنى للمسافر. (القاموس). وفي المطبوع: تحت الجبل.

من أين علمتَ كان يومَ كذا، وما كان عندك أحد ؟! . فقال: قبلَ أن أغيبَ بقي من الشهر ثلاثة عشر يوماً، فلمَّا أفقتُ رأيت الهلال .

وقال أبو حمزة: حبُّ الفقراء شديدٌ، ولا يصبرُ عليه إلاّ صدّيق .

وذهب أبو حمزة إلى طَرَسوس، فحصل له الجاهُ والقبول، وصار مَرجعَ الخلائق، فخرجتْ من لسانه كلمةٌ في حالِ السُّكر، فما فهمها الخلائق، وكان كلامُه فوق استعدادهم، فنسبوه إلى الزَّندقة والحلول، وأخرجوه من طرسوس، وأخذوا دوابَّه، وقالوا: هذه الدوابُّ لزنديق. فخرج من طَرَسوس وقرأ هذا البيت:

لـكَ فـي قلبـي المكـانُ المَصُـونُ كـلُّ عَتْـبٍ علـيَّ فيـكَ يَهـونُ

* * *

(٦٤) حمزة بن عبد الله العلوي(*)

حمزة بن عبد الله العلوي الحَسَني، قدّس الله سره، كنيتُه أبو القاسم، سافرَ في البادية على التوُّكل سنين.

يقال: لم يضعْ جنبَه على الأرض سنين في الحضر .

وكان لا يحملُ معه في أسفاره ركوةً، ولا يفتر في الذكر[١] .

وكان من تلامذة أبي الخير التيناتي .

كان لا يأكلُ بالشبع، ويقول: شبعُ البطن من المعلوم .

وقال حمزة: ينبغي للصوفي أن يحملَ في السَّفر ما يحمله في الحضر؛ لأنَّ الصوفي في السفر والحضر سواء .

وجاء واحدٌ من العلوية إلى شيخ الإسلام، وقال: أرسلني أبي إلى أبي يزيد من صوفية مرو مدَّةَ خمس سنين، فحفظتُ منه فائدةً واحدة، قال لي يوماً: إنْ

(*) الرسالة القشيرية ٢١١، اللمع ٣١٧ .

(١) في المطبوع: ولا يفتر عن الذكر .

لم تخرجْ من العلوية فلن تجدَ رائحة هذا الطريق. يعني من التجبر[1]، والترفع.

قال شيخ الإسلام: هكذا، كما قال الشيخ الصوفي فلا يتكلَّمْ به، أوْ يعش به، أو يتفاخر به، وإلا لا يكون له نصيبٌ من هذا الطريق.

ثم قال شيخ الإسلام: أعرفُ ألفاً ومئتي إمام من هذه الطائفة، منهم واحدٌ ونصف علويان، فالواحد إبراهيم بن سعد العلوي، وكان صاحبَ كرامات، والنصفُ حمزة العلوي.

* * *

(٦٥) أبو سعيد الخرَّاز[*]

أبو سعيد الخرَّاز، قدّسَ الله سره، من الطبقة الثانية، اسمه أحمد بن عيسى، ولقبُه الخرّاز، وقيل: كان يوماً يخرزُ الخفَّ، ويفكُّه، فقالوا: ما هذا ؟!. قال: أشغلُ نفسي قبل أن تَشغَلني.

وكان بغداديَّ الأصل، ذهب إلى مصرَ في أيام محنةِ الصُّوفية[2]، وكان مجاوراً بمكَّة، وكان من أئمَّة القوم وأجلِّهم، وكان وحيداً فريداً في زمانه.

---

(١) في المطبوع: يعني بسبب التكبر.

(*) طبقات الصوفية ٢٢٨، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٦، تاريخ بغداد ٤/ ٢٧٦، الرسالة القشيرية ٢٩، الأنساب ٥/ ٦٥، تاريخ ابن عساكر ٧/ ١١٠، المنتظم ٥/ ١٠٥، صفة الصفوة ٢/ ٤٣٥، المختار من مناقب الأخيار ٥٨/ب، اللباب ١/ ٣٥١، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٠٤، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٩، مرآة الجنان ٢/ ٢١٣، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٧٥، البداية والنهاية ١١/ ٥٨، طبقات الأولياء ٤٠، طبقات الشعراني ١/ ٩٢، الكواكب الدرية ١/ ٥١٠، شذرات الذهب ٢/ ١٩٢.

(٢) وقع للصوفية محن كثيرة أهمها محنة غلام خليل، وفيها نسب إلى الصوفية الزندقة، وأمر الخليفة العباسي بالقبض عليهم وقتلهم، ثم ردَّ أمرهم إلى قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق (توفي سنة ٢٨٢) فلما ساءلهم لم تثبت عنده تهمة، وأطلق سراحهم. حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٠، تاريخ بغداد ٥/ ١٣٤.

كان من تلامذة محمد بن منصور الطُّوسي، وصحبَ ذا النون المصري، وأبا عُبيد البُسري، وسريًا السقطي، وبشراً الحافي، وغيرهم، قدَّسَ اللهُ أسرارهم.

قالوا: أولُ من تكلَّمَ في علم الفناء والبقاء الخراز.

قال شيخ الإسلام: كان أبو سعيد يذهبُ عند الجُنيد، يُظهرُ نفسَه في صورة المُريد، ولم يكن مريداً، وإنَّما يَصحبُه لله تعالى، وكان من أقرانِه؛ لكنَّه أفضل منه.

ومات قبلَ الجُنيد في سنة ستٍّ وثمانين ومئتين، وقيل: في التي قبلها، وقيل: في التي بعدها، كذا في «تاريخ الإمام أبي عبد الله اليافعي»[1] رحمه الله.

قال الجُنيد: لو طالبنا الله تعالى بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا.

وسُئل عن راوي هذه الحكاية عن الجنيد: أَيش كان حالُه ؟. قال: أقامَ كذا وكذا سنةً يخَرُزُ، ما فاته الحقُّ بين خَرْزَتين.

قال الخراز: في بداية حالِ الإرادة كنتُ أحفظُ السرَّ والوقت، فيوماً دخلتُ في الهيجاء[2]، فسمعتُ صوتاً من ورائي، فما التفتُّ إليه حتى قَربَ مني، فرأيتُ سَبُعين عظيمين، فركبا على منكبَيَّ، فما نظرتُ إليهما؛ لا في وقت الرُّكوب، ولا في وقت النزول.

قال شيخ الإسلام: يقول القوم: أبو يزيد سيدُ العارفين، ولكن سيد العارفين هو الله تعالى، وإن قلتَ: من بني آدم ؟ قلتُ: أحمد العربي ﷺ، وإن قلتَ: من هذه الطائفة ؟ قلتُ: أبو سعيد الخراز[3].

---

(١) مرآة الجنان ٢/ ٢١٣.

(٢) في المطبوع: فيوماً دخلت في [صحراء الموصل] وكنت.

(٣) في المطبوع: يقول القوم: سيد العارفين أبو يزيد، وعندي أن سيد العارفين هو الله تعالى. فإن [قالوا] من بني آدم ؟ قلت: أحمد [النبي] العربي ﷺ.

قال المرتعش: جميعُ الخلائق إذا تكلَّمت في الحقائق فكلامُهم بالنسبة إليه معصيةٌ.

قال شيخ الإسلام: لا أعرفُ أحداً من المشايخ فوقَ الخراز في علوم التوحيد.

وهكذا قال الواسطي، وفارسُ بنُ عيسى البغدادي، وغيرُهما.

وقال شيخ الإسلام: الدينُ كان مملوءاً من الخراز، ويعلو عليه.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: كاد الخرَّازُ أن يكون نبياً من جهة علوِّ شأنه، وكان إمامَ هذا الطريق.

قال شيخ الإسلام: ينبغي أن ينزل أبو سعيد من مقامه حتى ينتفعَ الناسُ به، وينبغي للواسطي الشفقةَ على خلق الله، وفي الجنيد[1] ينبغي أن يترقّى عن مقامه في مَرتبة العلم؛ لأنه كان عليماً.

وقال شيخ الإسلام:

ما كانَ أَحدٌ فوقَ الخرَّازِ هو في غايةِ الغاياتِ

قال شيخ الإسلام: قال الخرَّازُ: أولُ الطريق قبولٌ، وآخرُه وجدانٌ.

وقال شيخ الإسلام: التوحيد والوجدان الذي يسكنُ القلبَ، ويطرد غيره[2].

وقال واحدٌ: قال لي أهلُ الغيب: المعرفةُ والوجدان لا يكونان من التعلّم، ولا من الكتابة.

وقال الخراز: كنتُ زماناً طويلاً أطلبُ[3]، وأَجدُ نفسي، والآن أطلبُ نفسي وأجده، فإذا وجدتم خَلُصتم عن كلِّ شيءٍ، وإذا خلُصتم وجدتم، فما

---

(١) في المطبوع: أما الجنيد.
(٢) في المطبوع: التوحيد والوجدان إذا سكنا في القلب طردا غيرهما.
(٣) في المطبوع: ظللت زماناً طويلاً أطلبه.

يكون[1] مقدَّماً ؟ الله أعلم، وإذا تجلّى اللهُ تعالى لا تكن، وإن لم تكنْ فهو متجلٍّ، أيُّهما المقدَّمُ ؟ الله أعلم.

وقال أبو يزيد: ما وصلتُ إليه حتى انقطعتُ عن نفسي، وما انقطعتُ عن نفسي حتى وصلتُ إليه، أيُّهما مقدَّمٌ ؟ الله أعلم.

وقال الشيخ أبو عليٍّ الأسود: أهل ما وراء النهر يقولون: إنْ لم تنقطعْ لا تتصل. وأهلُ العراق يقولون: إن لم تجدْه لم تنقطع. وكلاهما سواء، كقولهم: ضربَ الحجرَ على الجرَّةِ، وضربَ الجَرّةَ على الحجر. لكنني مع العراقيين؛ لأنَّ سبقَه تعالى أحسنُ.

قال أبو سعيد الخراز: **من ظنَّ أنَّه ببذلِ المجهودِ يصلُ فمتعنٍّ، ومن ظنَّ أنَّه بغيرِ بذلِ المجهودِ يصل فمتمنٍّ.**

قال شيخ الإسلام: لا تجدُه ببذل المجهود، ولكن يجدُهُ الطالبُ، ولو لم يجده لم يطلبه.

قال الخرّاز: **رياءُ العارفين خيرٌ من إخلاص المريدين.**

وأيضاً عنه: تداركُ الوقتِ الماضي تضييعٌ للوقت الباقي.

وأيضاً عنه قال: ما كنتُ فرحاً من نعمائه أبداً.

وأيضاً عنه قال: كنتُ يوماً قاعداً في المسجد الحرام، فنزلَ واحدٌ من السماء، وسألني: ما علامةُ المحبَّة والصدق ؟. فقلتُ: الوفاء. قال: صدقتَ. وصَعِدَ إلى السماء.

وكان الخرّاز في عرفات، والحُجّاجُ يتضرَّعون، ويبكون، ويدعون، قال: فجاءَ في خاطري: أنا أيضاً أدعو، ثم قلتُ في نفسي: ما أدعو ؟، يعني ما بقي شيءٌ إلاّ أعطانيه. ثم عزمتُ ثانية على الدعاء، فهتفَ هاتفٌ: أتدعو بعد وجودِ الحقِّ ؟!. يعني: بعد الوصول تطلبُ منّي شيئاً ؟!.

أبو بكر الكتاني كتب مكتوباً إلى أبي سعيد الخراز: منذ خروجك من هنا

---

(١) في المطبوع: فأيهما يكون.

وقعت العداوةُ والنقارُ بين الصوفية، وزالَ الأُنسُ والأُلفة. فردَّ جوابه: هذا من غيرة الحقِّ، حتى لا يتوانسوا بينهم.

وقال أبو الحسن المُزيّن: يومَ لا يكون بين الصوفية نقارٌ لا يكونُ في ذلك اليوم خيرٌ.

قال شيخ الإسلام: النقار ليس بمعنى المُحاربة والمُخاصمة، بل النقار الذي يقولونه بينهم: افعل، ولا تفعل، يعني ما يكونُ موافقاً طرقَهم يأمرون به، وما لم يكن مُوافقاً ينهون عنه، حتى يؤدُّوا حقَّ الصُّحبة.

ومن الأشعار المنسوبة إلى الخرّاز، قدّس الله سره:

الوجدُ يُطرِبُ مَنْ في الوجدِ راحتُهُ   والوجدُ عند وجود الحقِّ مَفقودُ

قد كان يُطرِبُني وجدي فأذهلني   عن رؤيةِ الوجد من بالوجدِ مَقصودُ

ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، رحمه الله، في كتابه الذي جمع فيه مبادئَ أحوالِ الشيوخ وإرادتهم، قال: قال أبو عبد الله ابن الجلاء: قال لي أبو سعيد الخرّاز: في حداثة السنِّ كانَ لي جمالٌ صُوري، وكان شخصٌ يدّعي المحبَّةَ لي، ويُؤذيني وأنا أَنفرُ منه، فيوماً ضاقَ قلبي، فدخلتُ البادية، ومشيت قليلاً، فرأيت ذلك الشخصَ قد جاء من ورائي، فلمّا قَرُبَ منّي، قال: ظننتَ أنَّك خلصتَ مني؟. فقلت في نفسي: اللَّهُمَّ، اكفني شرَّه. وكان هناك بئرٌ، فرميتُ نفسي في تلك البئر، وحفظني اللهُ تعالى، وجلس ذلك الرجلُ على طرفها، وهو يبكي، فقلت: يا الله، أنت قادرٌ أن تُخرجني من هذه البئر، وتحفظني من شرِّه. فجاءتْ ريحٌ على صفة إعصارٍ وأخرجتني، فجاء ذلك الرَّجلُ إلى عندي وقبَّلَ رجلي ويدي، واعتذرَ منّي، وقال: اقبلني؛ حتى أكونَ في خدمتك. وكان صادقاً في إرادته حتى حسدتُه من صدقه، وكان محبّاً مخلصاً لي، وكان عندي حتى مات، رحمه الله.

* * *

(٦٦) أحنف الهمذاني(*)

أحنف الهمذاني، رحمه الله، هو من كبار مشايخ همذان.

قال: كنت في ابتداء الحال في البادية، ولما تعبت رفعت يدي بالدُّعاء، وقلت: يا الله، أنا رجلٌ ضعيف قاعد، وأنا ضيفك. فلمّا قلتُ هذه الكلمات وقعَ في قلبي كأن قائلاً يقول لي: من دعاك ؟. قلت: يا رب، هذه المملكة تسعُ الطفيلي. فسمعتُ صوتاً من ورائي، فحوَّلتُ وجهي، فرأيت أعرابياً راكباً على جملٍ، وقال لي: يا أعجمي، إلى أين تذهب ؟. قلت: إلى مكّة. قال: من دعاك ؟. قلت: لا أعلم. قال لي: ما شرط الله: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] ؟. قلت: أجل، ولكن أنا طفيلي. قال: أنت أحسنُ الطُّفيليين، مُلكُ الله واسع. وقال: أتقدرُ تخدم هذا الجمل ؟. قلت: أجل. فنزل عن الجمل، وأعطانيه، وقال: اذهب إلى بيت الله.

* * *

(٦٧) أبو شُعيب صالح المقنَّع المصري(**)

أبو شعيب المقنع، رحمه الله، اسمه صالح، كان في مصر، وكان من أقران أبي سعيد الخراز.

وحج سبعين حجّةً ماشياً، وكان يُحرمُ في بيت المقدس، ويدخل في بادية تبوك متوكّلاً.

وفي آخر حجّةٍ رأى في البادية كلباً عطشان، يُخرجُ لسانه من عطشه، فصاح المقنَّعُ: من يشتري سبعين حجّةً بشربة ماء ؟. فأعطاه رجلٌ شربةً من ماء،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) مناقب الأبرار (١١٠) وفيه (المقنع).

فسقى الكلب، وقال: هذا أفضل عندي من جميعِ حججي؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «في كلِّ ذات كبدٍ حرّى أجرٌ»[1].

* * *

(٦٨) أبو عقال المغربي[*]

أبو عقال ابن غَلْبون المغربي، كان من مشاهيرِ المشايخ.

وصحب أبا هارون الأندلسي.

ومات في مكَّة، وقبره هناك.

قال أبو عثمان المغربي: قال بعضُ أصحابه: ما أكلَ ولا شربَ مذ أربع سنين حتى مات. وقال بعضهم: أكثرُ منها.

وقال أبو عقال: كان معي سبعونَ صاحب ركوةٍ، فوقع القحطُ في مكَّة، فكلُّهم ماتوا إلاّ أنا وستةَ نفرٍ أُخر، ومضى علينا سبعةَ عشرَ يوماً ما أكلنا، فحصل اليأسُ من الحياة، فوقع في سرّي أن أذهبَ إلى ركنِ البيت، وألزمه

---

(١) رواه البخاري ٥/ ٣١ في المزارعة، باب سقي الماء، وفي الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، وفي المظالم، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، وفي الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ومسلم ٢٢٤٤ في السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٩ و ٩٣٠ في صفة النّبي ﷺ، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، وأبو داود ٢٥٥٠ في الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»، قالوا: يارسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل كبد رطبة أجر».

(*) الرسالة القشيرية ٤٦، الأنساب ١٠/ ٢٨٨ (القيرواني)، معالم الإيمان ٢/ ١٤٢، اللباب ٣/ ٦٩، واسمه غلبون بن الحسن بن غلبون.

وأموت، فأردتُ أن أقومَ فما قدرتُ أن أقوم، فذهبت حبواً، وتعلَّقتُ برُكنِ البيت، فجاء في خاطري هذه الأبيات، فرجعت الروحُ إليَّ، وقلت:

عقدتُ عليك مكمناتِ خواطري عقدَ الرَّجاء فألزمَتْكَ حقوقا

إنَّ الزَّمانَ عدا عليَّ فزادني علماً بأنَّك صاحبي تصديقا

ما نالني يَوماً بوجهِ مَساءةٍ إلاّ عمدتُ به إليكَ طَريقا

حسبي بأنَّك عالمٌ بمصالحي إذْ كنتَ مأموناً عليَّ شفيقا

فرجعتُ إلى زمزم، واستندتُ إليها، فجاء عبدٌ أسودُ، ومعه جذيٌّ مَشوي، وخبزٌ كثير، وطعامٌ في قصعة، وقال: أنت أبو عقال؟. فقلت: نعم. فوضع ذلك الطعام قدَّامي، فأشرتُ إلى الأصحاب كلِّهم، فجاؤوا حبواً، فأكلنا ذلك الطعام.

* * *

(٦٩) أبو عمرو حماد القرشي (*)

حماد القرشي، قدس الله سره، كنيته أبو عمرو، وأصلُه بغداديٌّ، وكان من كبار المشايخ، وكان الجُنيد يزوره.

قال جعفر الخلدي: ما رأيته أياماً، فذهبتُ إلى باب داره، فقعدتُ حتى جاء، فدخلتُ في حُجْرته، وما كان عنده شيءٌ يُقدِّمه، فأخذَ المقنعة من رأسِ أهله وباعها، فجاء بطعامٍ وقدَّمه عند الإخوان، فجاء رجلٌ وأعطاه ثلاثين ديناراً، وأبى، فبالغه، فقال: بالله، ما آخذها. فصاحتِ امرأته: باعَ مقنعتي واشترى بها طعاماً، وانظروا ماذا يفعل!.

قال جعفر الخلدي: فذهبتُ عند الجنيد، وذكرتُ قصَّته، فناداه الجُنيد، وقال: اعلمني عدمَ أخذك إيَّاها. فقال: دخلتُ السوق لأبيع المقنعة، وأعطيتُها الدَّلال فباعها، وسمعت صوتاً يقول: أنت فعلتَ لي، فيجيء جزاؤه. فجاء

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

جوابُه هذه الدنانير، فلأجل هذا ما قبلتها. قال الجُنيد: أصبت.

قال شيخ الإسلام: لا تأخذوا العِوض، فتكونوا مَغرورين.

* * *

(٧٠) أبو الحسين النوري(*)

أبو الحسين النُّوري، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، واسمه أحمد بن محمد، وقيل: محمد بن محمد. والأول أصحُّ، ويعرف بابن البَغَوي، وأبوه من بُغْشور، مدينة بين هراة ومرو، وكان منشؤه ومولده بغداد.

وصحب سرياً السقطي، ومحمد بن علي القصَّاب، وأحمد بن أبي الحواري، ورأى ذا النون المصري.

وكان من أقران الجنيد، لكن دقَّةَ نظره أكثر من الجُنيد، فالجُنيد في العلم كان أفضلَ منه، والنُّوري في الحالِ والذوق والوجدان، وكان له قلقٌ.

سئل الجُنيد عن الصبر والتوكل، فأراد أن يُجيب، فصاحَ النُّوري وقال: لا يجوزُ أن تتكلَّمَ بكلام هذه الطائفة، لأنَّك في وقتِ محنة الصوفية[1] عزلتَ نفسك عنهم، ودخلتَ في طريق العلماء.

ومات قبل الجنيد في سنة خمسٍ وتسعين ومئتين.

وفي «تاريخ اليافعي»[2] أنه توفي سنة ست وثمانين ومئتين.

لمّا مات النُّوري قال الجُنيد: ذهبَ نصفُ هذا العلم بموت النُّوري.

(*) طبقات الصوفية ١٦٤، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٩، تاريخ بغداد ٥/ ١٣٠، الرسالة القشيرية ٢٦، الأنساب ١٢/ ١٥٥، صفة الصفوة ٢/ ٤٣٩، المنتظم ٦/ ٧٧، المختار من مناقب الأخيار ٦٦/ب، اللباب ٣/ ٢٤٢، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٧٠، البداية والنهاية ١١/ ١٠٦، طبقات الأولياء ٦٢، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٣، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٢.

(١) انظر الحاشية (٢) صفحة (١١١).

(٢) لم أجده في المطبوع من مرآة الجنان.

وكان في يد النُّوريِّ سبحةٌ على الدَّوام، فقيل له: تَستجلبُ الذِّكر ؟!. فقال: لا، أستجلبُ الغفلة.

وقال النوري: لا يغرَّنَّكَ صفاءُ العبودية؛ فإنَّ فيه نسيان الربوبية.

وقيل له: بم عرفتَ الله تعالى ؟. قال: بالله. قالوا: فما العقلُ ؟. قال: عاجز، ولا يَهدي إلاّ لعاجز.

وقال النوري:

إذا استترَ الحقُّ عن أحدٍ لم يهدِهِ دلٌّ[1] ولا خَبَرُ

قال شيخ الإسلام: جاء شابٌّ خراساني إلى إبراهيم القصار، فقال: أريد أبصر النُّوري. قال: كان عندي سنون كثيرة وما خرج من الدهش، وكان يدورُ في سوادِ المدينة سنةً كاملة ما اختلطَ بأحدٍ، واستكرى بيتاً في محلٍّ خرب، وما خرج منه إلى سنتين إلا للصلاة، وسنةً كاملةً ما كلَّمَ أحداً بلسانه. قال الشابُّ: لا بدَّ لي أن أزوره. فدلّه عليه، فلمّا دخلَ عليه قال النوري: من صحبت ؟. قال: الشيخ أبو حمزة الخراساني. قال: الذي يدلُّ على القُرب ويشير إليه ؟. قلت: أجل. قال: إذا وصلتَ إليه فسلّم عليه منّي، وقل له: أنا في مقامٍ، القُرب عندي بعد البعد.

قال ابن الأعرابي: لا يُقال القُرب إلاّ إذا كانت مسافةٌ، وإذا ثبتت المسافة ثبتت الإثنينية، فالقرب بعدٌ.

وقال النوري: ساعةٌ من العارف على المولى أكرمُ من تعبُّد المُتعبّدين ألفَ ألف سنة.

وأيضاً عنه قال: نظرتُ يوماً إلى النُّور[2]، فلم أزلْ أنظر إليه حتى صرتُ ذلك النور.

* * *

---

(١) في الأصل: استدلال، وأثبت ما يناسب الوزن.

(٢) في الأصل: النوري.

(٧١) أبو القاسم الجنيد البغدادي(*)

سيِّدُ الطائفة الجُنيد البغدادي، قدّس الله تعالى سره، من الطبقة الثانية، كنيتُه أبو القاسم، ولقبه القواريري والزجّاج والخزاز.

وقيل له الزجاج لأن أباه كان يبيع الزجاج.

وفي «تاريخ اليافعي»[1] أن الخزّاز بالخاء المعجمة والزاء[2] المشددة المكررة. وإنما قيل له الخزّاز لأنّه كان يعمل الخزّ.

وقيل: أصله من نهاوند، ومولده ومنشؤه ببغداد.

وكان على مذهب أبي ثور، أعظمِ تلامذة الشافعي، وقيل: كان على مذهب سُفيان الثوري.

صحب سرياً السقطي، والحارث المُحاسبي، ومحمد القصّاب، وكان تلميذهم.

والجُنيد من الأئمة وساداتِ القوم، وكلُّهم ينتسبون إليه، مثل الخراز، ورُويم، والنُّوري، والشبلي، وغيرهم.

قال أبو العباس بن عطاء: **إمامنا في هذا العلم ومرجعنا والمُقتدى به الجُنيد.**

(*) طبقات الصوفية ١٥٥، حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١، الرسالة القشيرية ٢٤، طبقات الحنابلة ١/ ١٢٧، الأنساب ١٠/ ٢٥٤، صفة الصفوة ٢/ ٤١٦، المنتظم ٦/ ١٠٥، المختار من مناقب الأخيار ١/ ١٠١أ، وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦، دول الإسلام ١/ ١٨١، العبر ١/ ١١٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣١، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٦٠، البداية والنهاية ١١/ ١١٣، طبقات الأولياء ١٢٦، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٨، طبقات الشعراني ١/ ٨٤، الكواكب الدرية ١/ ٥٧٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٨.

(١) مرآة الجنان ٢/ ٢٣٣.

(٢) كذا في الأصل.

وقال خليفةُ بغداد لرُويم: يا قليل الأدب. فقال رُويم: أليس لي أدبٌ، وأنا جلست مع الجنيد نصفَ نهار ؟!. يعني من صحب الجُنيد إلى نصفِ نهارٍ لا يظهرُ منه سوءُ أدب، فكيف بمن صحبه أكثرَ منه ؟.

وقال الشيخ أبو جعفر الحداد: لو كان العقلُ رجلاً لكان الجُنيد.

وقيل: في هذه الطبقة كان ثلاثةُ نفرٍ ما كان لهم رابع: الجُنيد في بغداد، وأبو عبد الله بن الجلاء في الشام، وأبو عثمان الحِيري في نيسابور.

مات في سنة سبعٍ وتسعين ومئتين، كذا في كتاب «الطبقات»[1] و «الرسالة القُشيرية»[2]، وفي «تاريخ اليافعي»[3] أنَّه مات سنة ثمانٍ وتسعين، وقيل سنة تسعٍ وتسعين ومئتين، والله أعلم.

وكان الجُنيد يوماً مع الأطفال يلعبُ، وهو صغير، فقال له سريٌّ السقطي: **ما تقول في الشُّكر، يا غلام ؟. قال: الشُّكر ألاَّ تستعينَ بنعمِهِ على مَعاصيه.** فقال سريٌّ: أنا أخاف أن يكونَ نتيجةَ عبادتك هذا الكلامُ. قال الجُنيد: فكنتُ خائفاً من كلام سري السقطي حتى دخلت عليه يوماً بما يحتاج إليه، فقال: بشارةٌ لك، إنّي دعوتُ الله أن يُرسلها على يدِ مُوفَّقٍ أو مُفلح. فزال عنّي ذلك الخوف.

وقال الجُنيد: قال لي سريٌّ السقطي: عِظِ الخلق. وكنت مُتَّهماً نفسي؛ لأنّي ما رأيتُ فيَّ استحقاقَ هذا المنصب، حتى رأيتُ النبي ﷺ ليلةَ الجمعة، قال: **تكلَّمْ على الناس.** فانتبهتُ، وذهبت قبل الصبح إلى سريٍّ، ودققتُ بابه، فقال: ما صدّقتَ كلامي حتى قالَ لك النبيُّ ﷺ. فلمّا جلستُ في المجلس، وابتدأتُ بالكلام حتى اشتهرَ الخبرُ عند الناس: الجُنيد اليوم يعظُ الناس، فجاء شابٌّ من النَّصارى في لباسِ المُتَّقين، فوقفَ طرفَ المجلس، وقال: **أيُّها الشيخ، ما معنى قول رسول الله ﷺ: «اتّقوا فِراسة المؤمن؛ فإنه ينظرُ**

---

(١) طبقات الصوفية ١٥٦: توفي سنة ٢٩٧ يوم نيروز الخليفة، يوم السبت.
(٢) الرسالة القشيرية: ٢٤.
(٣) مرآة الجنان: ٢/ ٢٣١.

بنور الله»[1] ؟. قال الجُنيد: ففكَّرتُ ساعةً، ثم رفعتُ رأسي، وقلت له: أسلم، لأنه جاءَ وقتُ إسلامك.

قال الإمام اليافعي[2]: يحسبُ الناسُ للجُنيد فيه كرامة واحدة، وأنا أقول: للجُنيد فيه كرامتان، إحداهما: إطلاعه على كفره. وثانيهما: إطلاعه على أوانِ إسلامه.

قالوا للجُنيد: من أين تقول هذا العلم ؟. قال: إن كان من أين فلينقطع.

وقال الجُنيد: التصوفُ أن تجلسَ ساعةً مُتعطِّلاً.

قال شيخ الإسلام: يعني: التعطُّل وجدانٌ بلا طلب، ورؤيةٌ بلا مُلاحظة، لأن المرئي في الرؤية علَّةٌ.

وأيضاً عنه قال: **استغراقُ الوجد في العلم خيرٌ من استغراقِ العلم في الوجد.**

وأيضاً عنه قال: **أشرفُ المجالسِ وأعلاها الجلوسُ مع الفكرِ في ميدان التوحيد**[3].

وأيضاً عنه قال: **اصرفْ همَّك إلى الله عز وجل، وإيَّاك أن تنظرَ بالعين التي تُشاهد الله عزَّ وجلَّ إلى غير الله، فتسقط من عين الله.**

وأيضاً عنه قال: مُوافقة الأصحابِ خيرٌ من الشفقة.

قال شيخ الإسلام: الطاعةُ أفضل من الحُرمة.

وقال الجُنيد: الناس يحسبون أنني تلميذُ سريِّ السقطي، وأنا تلميذُ محمد بن علي القصاب.

سُئل الجُنيد: ما التصوف ؟. فقال: لا أعلم، لكن **خُلُقٌ كريم، يُظهره**

---

(١) رواه الترمذي ٥/ ٢٩٨ (٣١٢٧) في التفسير، باب ومن سورة الحجر، وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ١٠٢ (٧٤٩٧).

(٢) مرآة الجنان: ٢/ ٢٣٢.

(٣) في المطبوع: الجلوس مع الله في ميدان فكر التوحيد.

الكريمُ في زمانٍ كريم، من رجلٍ كريم بين قومٍ كرام[1].

قال شيخ الإسلام: كلامه الأولُ أحسنُ وأفضل.

وأيضاً قال شيخ الإسلام: **إذا صافى عبداً ارتضاه لخاصته، وعدَّه من خاصَّته، فألقى إليه كلمةً كريمةً، من لسانٍ كريم، في وقتٍ كريم، على مكانٍ كريم، بين قومٍ كرام.**

(الكلمة الكريمة): كلامٌ جديد في حالةِ عدم الشعور، يتلقّاه من الله تعالى، وأُذنُه خاليةٌ من سماعِ كلامٍ لا يعنيه، ماراً على قلبِ عطشانَ، وروحِ ملاحظةٍ له تعالى، وهو من المحبِّين كلامٌ، ومن المحبوب إشارة، ترَوي العطشانَ، وتبرئُ المجروح، فسماع هذا الكلام سهلٌ، وانقطاعُك عنه صعبٌ:

دخولُكَ من بابِ الهَوى إنْ أَردْتَهُ   يَسيـرٌ ولكـنَّ الخـروجَ عَسيـرُ

(من لسان كريم): أي من لسان مُترجِمٍ عن الحقِّ على المحبَّة، لا يعلمُ، ولا يفهمه قائله، ولا يعلم لسانُه ما قاله، فسماعُه لهذا الكلام بالقلبِ، والخلق بالآذان.

(في وقت كريم): أي زمانٍ لا يذكر فيه شيئاً إلاّ الله، فيندم على ما مضى من عمره، والعوالمُ كلُّها من تمنّيه باكون.

(على مكان كريم): أي مكان لا يكونُ القلبُ متشتتاً، ولا اللِّسان مُتمنياً، ولا السمع منتظراً.

(بين قوم كرام): أي بين أصحابِ المعرفة، فمن سمعَ هذا الكلام احترقَ، ومن نظر إليه سال.

قال شيخ الإسلام: ذهبَ الجُنيد، وذو النون يوماً إلى فُليج المجنون، فقال: ما سألتماني عن جنوني[2]. فقال: **حُبستُ في الدنيا، فجُننتُ بفراقه.**

وسئل الجُنيد: ما البلاء؟. فقال: **البلاءُ هو الغفلةُ عن المُبتلي.**

---

(١) القول في الرسالة القشيرية ١٦٥ منسوب لمحمد بن علي القصاب.

(٢) في المطبوع: فليج المجنون [فسألاه عن سبب جنوه] فقال: حُبست...

وسُئل الشِّبلي: ما العافية؟. فقال: العافيةُ قرارُ القلب مع الله لحظة.

قال رجل للجُنيد: مشايخُ خراسان يقولون: الحِجابُ ثلاثة: الخَلقُ حجاب، والدُّنيا حجاب، والنَّفس حجاب. فقال: هذه حُجُبُ العوام، أما الخواصُّ فمحجوبون برؤية الأعمال، ومطالبة الثواب عليها، ورؤية النعمة.

قال الواسطي: مطالبة[1] الأعواض على الطاعات هي نسيانُ الفضل.

وقال الواسطي: إياكم ولذَّاتِ الطاعات؛ فإنّها سمومٌ قاتلة.

وقال فارس بن عيسى البغدادي[2]: حلاوةُ الطاعات والشِّركُ سواء.

قال شيخ الإسلام: لو لم تعجبْكَ لما وجدْتَ اللذَّة، وقبولُ النفس شركٌ، واعبدِ الله كما أمرك بشرطِ العلم والسُّنة، ولا تعجب بنفسك، وسلِّمْ إليه، وإذا قبلتَ نفسَك فاضربها على وجهِ الشيطان.

إذا مَحاسِنِيَ اللاتي أُسَرُّ بها   هي الذنوبُ فقلْ لي كيفَ أَعتذرُ[3]

سُئل الجُنيد: أيكون عطاءٌ من غير عمل؟. فقال: كلُّ العملِ من عطائه يكون.

* * *

(٧٢) أبو جعفر بن الكرنبي(*)

أبو جعفر بن الكرنبي، رحمه الله تعالى، كان من أقران الجُنيد، وقيل: كان أستاذَه، و من أَجلَّةِ مشايخ بغداد.

---

(١) في (ص) والمطبوع (ف): مطالعة.
(٢) في (ص): وقال عيسى الفارسي البغدادي.
(٣) في (ص) والمطبوع (ع): كانت هي الذنوب. والمثبت من المطبوع (ف).
(*) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٤ (وفيه: أبو جعفر الكوفي)، اللمع ١٤٦، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٧، ٢١٠، ٣١٠، تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٣، المختار من مناقب الأخيار ٨٩.
في (ص): ابن الكربني، قال نيكلسون في اللمع ١٤٦: والصواب ابن الكرنبي، =

قال جعفر الخُلدي: كان الجُنيد وقتَ موت ابن الكرنبي حاضراً، فرفع رأسَه إلى السماء، فقال أبو جعفر: بُعْدٌ. ثم نكسَ رأسه إلى الأرض. ثم قال أبو جعفر: بُعدٌ. معناه أن الحقَّ أقرب إلى العبد من أن يشار إليه في جهة.

* * *

(٧٣) كَهْمس بن الحسين الهمذاني(*)

كهمس بن الحسين الهمذاني، رحمه الله، وكنيته(١) أبو محمد، وكان من همذان، وصحبَ كثيراً من المشايخ.

قال كهمس: ليلةً كنت قاعداً في بيتي، فدقَّ الباب رجلٌ، فقلتُ في نفسي: هذا الجُنيد. فلمّا فتحتُ الباب كان هو، فقال الجُنيد: جئت لزيارتك، وعلمت(٢) صدق خاطرك، ورجع. ويوماً آخر طلبته في همذان فما وجدته، فلمّا جاءَ جماعةٌ من بغداد سألتهم: الجُنيد غابَ عنكم من ذلك الوقت؟. فقالوا: لا ندري. فعلمتُ أنه في تلك الليلة جاءَ ورجع.

* * *

(٧٤) عمرو بن عثمان المكي(**)

عمرو بن عثمان المكي الصوفي، قدَّس اللهُ سره، من الطبقة الثانية، كنيته أبو عبد الله.

= وابن الكربني شخص غير هذا فهو أبو جعفر محمد بن الكثير الكُرّيني نسبة إلى كرين قرية من قرى الطَّبَسَين وهو محدث، وكثيراً ما يلتبس كذلك اسمه باسم أبي جعفر الكبريتي وهو صوفي بغدادي.

(*) التعرف ١١.

(١) في الأصل: ولقبه.

(٢) في المطبوع: ولأعلم.

(**) طبقات الصوفية ٢٠٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩١، أخبار أصبهان ٢/ ٣٣، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٣، الرسالة القشيرية ٢٨، مناقب الأبرار ١١٤/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٠، =

وكان أستاذَ حسين بن منصور الحلاّج.

يتصَّلُ نسبه إلى الجُنيد، وصحبَ الخرّاز، وكان من أقرانهما، ورأى أبا عبد الله النِّباجي، وكان يقول: **ما صحبتُ أحداً كان أنفعَ لي صحبته ورؤيته من أبي عبد الله النِّباجي.**

وكان عالماً بعلوم الحقائق، وكان أصله من اليمن، ودقَّ كلامُه فما فهموه، فنسبوه إلى المتكلّمين، وهجَّروه من مكة[1] فذهب إلى جُدَّة، وأُعطي منصبَ القضاء.

وفي كتاب «صفوة الصفوة» لابن الجوزي[2]: أنه توفّي ببغداد سنة ستٍّ وتسعين ومئتين، وقيل: سبعٍ وتسعين، وقيل: إحدى وتسعين. ويقال إنَّه توفّي بمكّة، والأول أصحُّ.

قال عمرو بن عثمان: **المروءة التغافلُ عن زلل الإخوان.**

وقال أبو حفص: المروءةُ أن تبذلَ لإخوانك جاهك ومالك في الدُّنيا، وتَخصَّهم بالدُّعاء في العقبى.

وقال عَمرو بن عثمان: **لا يقعُ على كيفية الوجد عبارةٌ؛ لأنَّه سرُّ الله عند المؤمنين،** فإن عبَّرت بعبارة فليسَ ذلك سرَّ الحقِّ، لأن تكلّفَ العبادة بالكلّية منقطعٌ عن الأسرار الربّانية.

وقيل: جاء عَمرو إلى أصفهان، وصحبه شابٌّ، وكان أبوه يَمنعه، فحصلَ المرضُ لذلك الشاب وطال مرضُه، فجاء عمرٌو يوماً مع الجماعة الفقراء لعيادته، والتمسَ الشابُّ من الشيخ أن القوّال يقول شيئاً، فأشار الشيخ إلى القوال، فأنشد هذا البيت:

= المنتظم ٦/ ٩٣، المختار من مناقب الأخيار ٣٠٦/أ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٧، العبر ٢/ ١٠٧، دول الإسلام ٣/ ١٧٠، ١٨٤، طبقات الشعراني ١/ ٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٠، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٥.

(١) في المطبوع: وأخرجوه من مكة.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ٤٤٢.

مالي مَرِضْتُ فلم يَعُدْني عَائدٌ مِنكُم ويَمرضُ عَبدُكم فأَعودُ

فلمَّا سمعه المريضُ قامَ وجلسَ ونقصَ مرضُه، وقال: أنشدْ مرةً أُخرى.

فأنشدَ القوَّالُ هذا البيت:

وأشدُّ من مَرَضي عليَّ صُدودُكُمْ وصُدودُ عبدِكُمُ عليَّ شَديدُ

فزال مرضه مرَّةً واحدة، وقام وجلس صحيحَ النفس، فتابَ أبوه عمَّا كان في خاطره، وسلَّمَ الولدَ لعمرو بن عثمان، فصارَ من كُمَّلِ الأولياء.

قال علي بن سهل لعمرو: **ما قانون الذِّكر في الجملة؟**. قال: **وجودُ إفراده، مع معرفة أوصافه.**

قال شيخ الإسلام: ينبغي لبني آدم ألاّ[1] يجدوا إفرادَ المولى، ومن وجدَ إفرادَ المولى فليسَ هو بآدميٍّ، ومن يأكلُ ويرقدُ فهو شيءٌ آخر.

* * *

(٧٥) شاه بن شجاع الكرماني(*)

شاه بن شجاع الكرماني، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، كان من أبناء الملوك.

وكان من رفقاء أبي حفص، وصحب أبا تُراب النَّخشبي، وأبا عبد الله بن الزرّاع[2] البصري، وأبا عُبيد البُسري، وكان أستاذ أبي عثمان الحيري.

---

(١) في الأصل: بني آدم لا يجدوا. والمثبت من المطبوع.

(*) طبقات الصوفية ١٩٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٧، الرسالة القشيرية ٢٩، مناقب الأبرار ١١٨/ب، المنتظم ٦/ ١١١، صفة الصفوة ٤/ ٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٢٠٤/ب، الوافي بالوفيات ١٦/ ٩١، طبقات الأولياء ٣٦٠، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٥، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٠٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٦.

(٢) في المطبوع: الذراع.

وكان يلبسُ القباء[١]، وباب فرغاني[٢] والنُّوري، والسيرواني، والحيري يلبسون الطيلسان. والدقَّاقُ يلبسُ الصوفَ، وكان في زِيِّ المُصارعين.

مات شاه بعد أبي حفص في سنة ستٍّ وسبعين ومئتين، وقيل: قبل الثلاث مئة. وله كتاب في الردِّ على يحيى بن مُعاذ الرازي الذي أَلَّفَهُ في تفضيل الغِنى على الفقر، وأبو شجاع فضَّلَ الفَقر على الغِنى في جوابه.

قال شيخ الإسلام: يكفيك في فضل الفَقر على الغِنى أنَّ المصطفى ﷺ اختار الفقر، وقبله الحقُّ، واستحسنه منه.

وكان شاه بن شجاع كبيرَ الشأن، قال يحيى بن عمار: كان شاه بنُ شجاع سُلطاناً.

رُوي أنّ أبا حفص كان يوماً جالساً في نيسابور، فوقف شاه بن شجاع على رأسه، وسأل منه شيئاً، فرأى عليه القباء، قال أبو حفص: بالله، أنتَ سُلطان ؟!. فقال: أجل. فعرفه من سؤاله؛ لأنَّه لا يقدرُ أحدٌ على مثل هذا السؤال، فقال: بالقباء ؟!. قال شاه: وجدنا في القباء ما طلبنا في العباء[٣].

قال شيخ الإسلام: ما رقد شاه بن شجاع مدَّةَ أربعين سنة من الطمع في الوقت، فغلبَ عليه النوم وقتاً، فرأى الله تعالى في المنام، فانتبه، وقال هذا البيت:

رأيتُكَ في المَنامِ سُرورَ عَيْني ... فأحببتُ التَنَعُّسَ والمَناما

فبعده كان ينام كثيراً، ومن أراد رؤيته ما يجدُه إلاّ في النوم، وفي طلبِ النوم، للمجنون[٤]:

---

(١) القباء: انظر الحاشية (١) صفحة (٧٠).
(٢) كذا في الأصل. وفي المطبوع: وكان يلبس القباء [على هيئة الجند، أما] الفرغاني.
(٣) كذا في الأصل. وفي المطبوع: فقال [أبو حفص له: فما هذا] القباء؟ قال شاهَ...
(٤) ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوح) ٢٩٦، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر.

وإنّي لأستَغْشي وما بي غَشْيةٌ[1] لعلَّ خيالاً منكِ يَلقى خَياليا

وكان شاه يوماً قاعداً في المسجد، فقام فقير يسأل منيناً[2] من الخبز، فما أعطاه أحدٌ، فقال شاه: من يشتري خمسين حجَّةً بمنينٍ من خبز، ويُعطيه هذا الفقير؟. وكان فقيهٌ جالساً، فلمّا سمعَ هذا قال: أيُّها الشيخ، أستخفافاً بالشريعة؟. فقال شاه بنُ شجاع: ما وضعتُ لنفسي قيمةً، فكيفَ أضعُ قيمةً على أعمالي؟!.

وأيضاً عنه: من غضَّ بصرَه عن المحارم، وأمسكَ نفسَه عن الشهوات، وعَمَر باطنه بدوام المُراقبة، وظاهرَه باتِّباع السنة لم تخطئْ له فِراسة.

* * *

(٧٦) أبو عثمان الحِيري(*)

أبو عثمان الحِيري، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، واسمه سعيد بن إسماعيل الحِيري النيسابوري وكان أصله من الرّيّ.

وأستاذُه شاه بنُ شجاع.

وصحب أبا حفص الحداد، ويحيى بن معاذ الرازي.

وكان إمامَ وقته، ووحيدَ دهره، وكان أستاذَ أهل نيسابور.

---

(١) في الديوان: وإني لأستغشي وما بي نعسة.

(٢) المن كيل يكال به السمن، أو ميزان يوزن به، وهو في عرفهم رطلان أي ١٢٢٤٢ حبة، وتبلغ ٦١٨ غراماً، ويُسمى هذا المن الطبي، ودونه المن المصري، وهو ٨٢٢٨ حبة أي ٤١٢ غراماً. متن اللغة (م ن و).

(*) طبقات الصوفية ١٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤، تاريخ بغداد ٩/ ٩٩، الرسالة القشيرية ٢٥، الأنساب ٤/ ٢٨٩، المنتظم ٦/ ١٠٦، صفة الصفوة ٤/ ١٠٣، المختار من مناقب الأخيار ٧٧/ب، وفيات الأعيان ٢/ ٣٦٩، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢، العبر ٢/ ١١١، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٠٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣٦، البداية والنهاية ١١/ ١١٥، طبقات الأولياء ٢٣٩، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٧، طبقات الشعراني ١/ ٨٦، الكواكب الدرية ١/ ٦٢٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٣٠.

ذهب مع شاه بن شجاع من مرو إلى نيسابور، فقال له أبو حفص: قفْ هنا، وشاهُ يرجع؛ لأنَّ له شغلاً بالعيال، وليس له أحد. فرجع شاه، وقعد أبو عثمان عند أبي حفص، وأبو حفص وضعَ المجالس لأجله.

ومات في ربيع الأول سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين، وقبره في نيسابور.

قيل: من الفتى؟. فقال: من لم ير نفسه.

وأيضاً عنه قال: **الشوق من شعائرِ المحبَّة.**

ويقال له: الإمام المُقتدى الرباني. وقيل: الربّاني الذي يربّي التلميذ بأدنى العلم حتّى يحصلَ له قوّةُ علم الدين. وهو كان كذلك، وكان في التكلّمِ ضعيفاً، وفي المعاملة قوياً.

وأيضاً عنه قال: **التهاون بالأمر من قلّةِ المعرفةِ بالآمر.**

* * *

(٧٧) زكريا بن دلويه(*)

زكريا بن دلّويه، رحمه الله تعالى، كنيته أبو يحيى، كان من أهل نيسابور، من تلامذة أحمد بن حرب.

كان من جِلّة[1] الزهّاد والمتوكّلين، وكان يَحتاطُ في اللُّقمة، ويأكل من كسبه.

قال أبو عثمان الحِيري: من يعشْ كما عاش أبو يحيى فلا يكون له غمٌّ من الموت، ولا بعد الموت.

مات في سنة أربعٍ وتسعين ومئتين بنيسابور.

* * *

(*) ورد ضمن ترجمة عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر. وفي الإكمال ٢/ ٢٣٨، وتاريخ نيسابور ١١٥.

(١) في الأصل: جملة.

(٧٨) زكريا بن يحيى الهروي(*)

زكريا بن يحيى الهروي، رحمه الله تعالى، كان من كبارِ المشايخ، مُستجابَ الدَّعوة.

قال أحمد بن حنبل، رحمه الله: زكريا من الأَبدال.

وقال أبو سعيد الزاهد: صحبتُ زكريا، وكان من جلّةِ الصدّيقين.

مات في هراة، في رجب سنة خمسٍ وخمسين ومئتين.

* * *

(٧٩) زياد الكبير الهمذاني(**)

زياد الكبير الهمذاني، رحمة الله عليه، كان من همذان، وصحب الجُنيد، قدس الله سره، وكان فقيهاً مُستجابَ الدعوة.

قال كَهْمَس الهمذاني، رحمه الله: كنت يوماً في المسجد الجامع، فرأيتُ زياداً قاعداً في محراب المسجد يَدعو بدعاءِ الاستسقاء، وقبل أن يفرغَ من دُعائه جادَ المطر حتى ذهبتُ بالتَّعسُّرِ إلى البيت.

* * *

(٨٠) أبو عثمان المغربي(***)

أبو عثمان المغربي، قدس الله سره، من الطبقة الخامسة، واسمه سعيد بن سلاّم المغربي، تلميذ أبي الحسن بن الصائغ الدينوري.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(***) طبقات الصوفية ٤٧٩، تاريخ بغداد ٩/ ١١٢، الرسالة القشيرية ٣٨، مناقب الأبرار ٢٠٧/أ، المنتظم ٧/ ١٢٢، المختار من مناقب الأخيار ١٨٢/أ، اللباب ٣/ ٣٦، العبر ٢/ ٣٦٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٤٠١، الوافي =

كان من ناحية قيروان المغرب، وجاور بمكّة سنين، وكان سيدَ الوقت، ووحيدَ المشايخ، فوقعت عليه قضيةٌ، وذهبَ إلى نيسابور، ومات بها في سنة ثلاث وسبعين وثلاث مئة، وقبْرُهُ في نيسابور بجانب قبر أبي عثمان الحِيري، وأبي عثمان النصيبي.

صحب أبا علي بن الكاتب، وحبيباً المغربي، وأبا عمرو الزجاجي، ورأى أبا يعقوب النَّهرجوري، وكان صاحب كرامات، وكان له حدَّةُ فِراسة.

قال أبو عثمان المغربي: كان سبب توبتي وابتداءُ دخولي هذا الطريق أنَّه كان لي حصانٌ وكلب، وكلَّ يومٍ أذهب للصيد في الجزائر، وكان لي قدحٌ أشربُ به اللبن، فيوماً أردتُ أن أشربَ اللبن، فصاح الكلب صيحةً عظيمة، وحمل عليَّ حتى مَنعني من شرب اللبن، ثم عزمتُ مرَّةً أُخرى أن أشرب اللبن، ففعل مثل الأول، وفي المرة الثالثة لمَّا أردتُ أن أشربَ اللبن وضعَ فمه في اللبن وشربه، فورم بدنه كلُّه، ومات على الفور، لأنَّ الكلب رأى الحيَّةَ تشربُ من اللبن، فأفدى نفسه عن نفسي، فلمَّا رأيتُ هذا تبتُ، ودخلت في هذا الطريق.

قال شيخ الإسلام: قال أبو الحسين الكُواشاني: قال أبو عثمان المغربي: اليومُ الذي أموتُ فيه تحثو الملائكةُ التراب[1].

قال أبو الحسين: وكنتُ حاضراً موتَه، فلمَّا دُفِنَ قام الغبار، فما رأى أحدٌ صاحبَهُ من كثرة الغبار.

قال شيخ الإسلام: جاور أبو عثمان في مكة ثلاثين سنة، وما بال في الحرمِ؛ لحرمة الحرم.

= بالوفيات ١٥/ ٢٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٣٠٢، طبقات الأولياء ٢٣٧، العقد الثمين ٤/ ٥٦٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤٤، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، الكواكب الدرية ٢/ ٩٩، شذرات الذهب ٣/ ٨١، هدية العارفين ١/ ٣٨٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨١.

(١) في المطبوع: تحثو الملائكة التراب [مع الناس على قبري].

قال أبو عثمان: لا يجيءُ هذا الأمر إلاّ برائحة الدَّم. أي: بإهراقه.

وأيضاً عنه قال: الاعتكافُ حفظُ الجوارح تحت الأوامر.

وأيضاً عنه قال: من فضَّل صحبةَ الأغنياء على صُحبةِ الفقراء ابتلاه الله تعالى بموت القلب.

وأيضاً عنه قال: العاصي خيرٌ من المُدَّعي؛ لأنَّ العاصي أبداً يطلبُ طريقَ التوبة، والمدعي يخبط أبداً في خيال دعواه[1].

* * *

(٨١) أبو طالب الإخميمي[*]

أبو طالب الإخميمي، رحمه الله تعالى، كان من جملة المشايخ، وكان منه كراماتٌ كثيرة.

قال أبو عثمان المغربي: رأيت أبا طالب يتكلَّمُ مع الطيور.

وأيضاً قال أبو عثمان: كنت في سفرٍ مع أبي طالب، فحصلَ لي خوفٌ عظيم من السباع، وكانت كثيرةً، قلتُ: أذهبُ من هذا المكان سريعاً. فقامَ أبو طالب ونام، وأنا ما نمتُ من الخوف، فقال لي: لِمَ لا تنام؟. قلت: من خوف السباع لا يجيءُ النوم. قال: من خافَ الله لا يخافُ من شيءٍ، وإن خفتَ من السباع لا تُصاحبني. ففارقته.

وأيضاً قال في مناجاته: إلهي، إن لم يكن أمرك[2] لم يقدرْ أحدٌ أن يذكرَ اسمَك.

* * *

(١) في المطبوع: والمدعي يتخبَّطُ أبداً في حبال دعواه.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في المطبوع: لولا أمرك.

(٨٢) طلحة بن محمد النيلي(*)

طلحة بن محمد بن صباح النيلي، رحمة الله عليه، كان من كبار أصحاب أبي عثمان الحِيري.

مات سنة اثنتين وثلاث مئة.

قال له أبو عثمان المغربي: تُريد أن أنصحك؟ إن لي إلى اليوم خمسين سنة أَنصحُ الخلائق وما قبلوا. قلت: أريد. فقال: تَتَّهِمُ أفعالك حتى تحصلَ لها قيمة(١)، واصرف التُّهمةَ عن الخلق حتى ترتفعَ الخصومة.

قال شيخ الإسلام: صحبةُ الله تعالى ثلاثةُ أجزاء: رؤيةُ فضله، وعيب نفسك، وعذرُ الخلق، لا يكون لها رابع، فعذرُ الخلق أن تنظرَهم كلَّهم مقهورين تحت قضائه وقدرته تعالى وتقدّس، ورؤية عيبِ نفسك أن ترى المنَّة.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عثمان النصيبي، عن الشبلي أنه قال: لمَّا وضعتُ يدي على رأس أبي يعقوب الميداني في مصر، وقلت: جبرَكَ الله. فما كانت شعرةٌ على جسدِ أبي يعقوب إلاّ قالت: آمين.

* * *

(*) ربما هو منسوب إلى النِّيل وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، وجماعة نسبوا إلى بيع النيل وشرائه وما ينسب إليه من صناعته، وفيهم كثرة بنيسابور. انظر اللباب ٣/ ٣٤٢ وفي المطبوع النبلي، قال محققه: النبلي منسوب إلى رمي النبال وإعدادها، ولعل نسبته النيلي إلى النهر، والله أعلم.

(١) في المطبوع: اتهم أفعالك حتى تحصل همَّةٌ.

(٨٣) أبو العباس بن مسروق(*)

أبو العباس بن مَسروق، قدَّس الله سره، من الطبقة الثانية، اسمه أحمد بن محمد بن مسروق، كان من أهل طوس[١]، وأقام في بغداد، ومات بها في سنة تسعٍ وتسعين ومئتين، وقيل: في صفر سنة ثمان وتسعين ومئتين. والله أعلم.

ويحكي الجُنيدُ عنه أنَّه كان من أساتذة أبي علي الرُّوذباري، وتلميذَ الحارث المحاسبي، وسريّ السقطي، ومحمد بن منصور، ومحمد بن الحسين البُرْجُلاني، وكان في صحبتهم، وكان من قدماء المشايخ، وأجلَّتهم.

قال شيخ الإسلام: قال أبو العباس بن مسروق البغدادي: كنتُ جالساً في ليلةِ السبت، وأبي وأُمي كانا باكيين من التعب الذي حدثَ بي في صلاة الجمعة، لِمَا سمعتُ كلاماً من مشايخَ كثيرةٍ.

وسئل عن التصوف، فقال: خُلوُّ الأسرار ممَّا منه بدٌّ، وتعلُّقها بما ليس منه بدٌّ.

وأيضاً عنه قال: من تركَ التدبير عاشَ في راحة.

* * *

(*) طبقات الصوفية ٢٣٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢١٣، تاريخ بغداد ٥/ ١٠٠، الرسالة القشيرية ٣٠، صفة الصفوة ٤/ ١٢٨، المنتظم ٦/ ٩٨، المختار من مناقب الأخيار ٦٥/ أ، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٤، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٠، العبر ٢/ ١١٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣١، طبقات الأولياء ٨٩، لسان الميزان ١/ ٢٩٢، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٧، طبقات الشعراني ١/ ٩٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٧، هدية العارفين ١/ ٥٥، ٥٦.

(١) طوس: مدينة بخراسان، بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ. معجم البلدان.

(٨٤) أبو العباس البغدادي(*)

الشيخ أبو العباس موره زن، ـ يعني صاقل[1] الحديد ـ البغدادي، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: قال أبو العباس: اشغلْ نفسَك قبل أن تَشغلَكَ في شغلٍ.

لقد جَلَبَ الفَراغُ عليك شُغلاً وأَسبابُ البَلاءِ من الفَرَاغِ

* * *

(٨٥) أبو عبد الله المغربي(**)

أبو عبد الله المغربي، قدّس الله سره، من الطبقة الثانية، واسمه محمد بن إسماعيل.

كان أستاذَ إبراهيم الخوّاص، وإبراهيم بن شيبان كرمان الشاهي، وأبي بكر البِيكَنْدي، وكان تلميذ أبي الحسن عليِّ بن رزين، وعاش إلى اثنتين وعشرين ومئة، وأيضاً كان عُمُرَ أبو الحسن إلى عشرين ومئة، وأبو الحسن كان تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، رحمه الله.

وقبر أبي عبد الله على رأسِ جبل طُور سَيناء، بجانب قبر أستاذه أبي الحسن علي بن رزين تحت شجرة الخرنوب.

وقيل: مات في سنة تسعٍ وسبعين ومئتين، والأصحُّ أنَّه مات في سنة تسعٍ وتسعين ومئتين.

(*) تاريخ بغداد ١٤/ ٤١٩.

(١) في الأصل: ناقل. والمثبت من المطبوع.

(**) طبقات الصوفية ٢٤٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٥، الرسالة القشيرية ٣٠، صفة الصفوة ٤/ ٣٣٦، المنتظم ٦/ ١١٣، طبقات الأولياء ٤٠٢، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ١/ ٧١٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠١.

قال شيخ الإسلام: الخلقُ كانوا في ظلمة، وهو ما رَأى الظُّلمةَ.

وأيضاً قال[1]: واللهِ الذي خلقني، لأن يرفعَ عنّي الشهوةَ أفضلُ من أن يُدخلني الجنَّةَ.

وهذا مطابقٌ لقول عليٍّ بن أبي طالب، كرَّمَ الله وجهه: لو خيَّرني بين الدُّخول في الجنة، أو الدخول في المسجد لدخلتُ في المسجد لا في الجنة، لأنَّ الجنَّةَ نصيبي من عنده تعالى، والمسجدَ نصيبُه من عندي.

ووقت من الأوقات كان أبو عبد الله المغربي على جبلِ سَيناء يتكلَّمُ، ووصلَ كلامه حتى قال: العبدُ يتقرَّبُ إلى الله حتى يكون فرداً لفرد. فاهتزَّ الجبلُ، وصار قطعة قطعة[2]، ودخلَ في الغار.

وأيضاً عنه قال: **أفضلُ الأعمال عمارةُ الأوقاتِ في الموافقات.**

وأيضاً عنه قال: **ما فطنتْ إلاّ هذه الطائفة، واحترقتْ بما فطِنَتْ.**

ولأبي عبد الله المغربي، قُدِّس سره:

يا من يَعُدُّ الوصالَ ذَنْباً كيفَ اعتذاري ولي ذُنُوبُ
إن كان ذنبي لديك حُبّي فإنَّني منه لا أتوبُ

وأيضاً عنه قال: **ما رأيتُ أنصفَ من الدنيا، إن خدمتَها خدمتك، وإنْ تركتَها تركتك،** فمن أعرضَ عن الدنيا بالصِّدق يكون آمناً من شرِّها، ويخلصُ من آفاتها.

* * *

(١) في المطبوع: قال أبو عبد الله المغربي.
(٢) في المطبوع: وصار قِطَعاً.

(٨٦) أبو عبد الله النباجي[*]

أبو عبد الله النِّباجي، قدّسَ الله سره، اسمه سعيد بن بُرَيْد[1]، وكان من قدماءِ المشايخ.

من أقران ذي النُّون المصري، وكان أستاذَ أحمد بن أبي الحواري.

قال النِّباجي: الأدبُ حليةُ الأحرار.

وأيضاً عنه قال: لكلِّ شيءٍ خادمٌ، وخادمُ الدِّينِ الأدب.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله النِّباجي: كنْ ناظراً لمن لا يكونُ أنورَ منه شيءٌ.

وقال أبو عبد الله: قال موسى عليه السلام: إلهي، أين أَجدُك؟. قال: إذا صحّحْتَ قصدَك وجدتني.

وقال الكتَّاني: لمَّا صحَّ قصدُك وجدتَه تعالى.

وقال الحلاّج: لا تُعرِّج، هو قدمٌ واحد.

وقال شيخ الإسلام: ذلك القدمُ وجودُك، فإذا فنيتَ عن وجودك وصلتَ إليه.

* * *

(*) حلية الأولياء ٩/ ٣١٠، تلخيص المتشابه بالرسم ١/ ٣٢٦، الإكمال ١/ ٢٣١، الأنساب ١٢/ ٢٨، صفة الصفوة ٤/ ٢٧٩، المختار من مناقب الأخيار ١٧٨/ ب، مختصر تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٧، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٨٦، المشتبه في الرجال ٦٦٨، الوافي بالوفيات ١٥/ ٢٠٢، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٤/ ١٤٩١، الكواكب الدرية ١/ ٦٢٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٦، وقد جاء في الأصل، والحلية، وصفة الصفوة، والوافي: سعيد بن يزيد، والنباجي نسبة إلى نباج قرية في بادية البصرة.

(١) في (ص) والمطبوعين: يزيد، والمثبت من كتب الرجال. انظر مصادر ترجمته.

(٨٧) أبو عبد الله الأنطاكي(*)

أبو عبد الله الأنطاكي، قدّس الله سره، اسمه أحمد بن عاصم الأنطاكي، وكان من أعيان القوم وساداتهم، وكان عالماً بعلوم الشريعة.

أطال الله عمرَه فصحبَ المشايخ القدماء، ورأى أتباعَ التابعين.

وكان من أقران بشرٍ، وسريٍّ السقطي، ومُريدَ الحارث المُحاسبي، وصحب الفُضيل.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله: ما حسدتُ على شيءٍ إلاّ على معرفةِ العرفاء، لا معرفة التصديق.

قال أبو علي الدقّاق: **معرفةٌ رسمية كقطرةٍ وسمية، لا غليلاً تَسقي، ولا عليلاً تشفي.**

وقال الأنطاكي: **أنفعُ الفقر ما كنتَ به مُتجمّلاً، وبه راضياً.** يعني: جمال الخلق في إثبات الأسباب، وجمال الفقر في نفي الأسباب، وإثبات المسبِّب، والرجوع إليه، والرضا بأحكامه، لأنَّ الفقرَ فقدُ الأسباب، والغنى وجودُ الأسباب، وإن لم يكن السَّببُ فمع الله، ومع السبب مع نفسه، فالسَّببُ محلُّ الحجاب، وتركُ الأسباب محلُّ الكشف، وجمالُ الكونين في الكشف والرضا، وعدم سرور العالم الحجاب والسُّخط.

وهذا بيان واضحٌ في تفضيل الفقرِ على الغنى، والله أعلم.

* * *

(*) تقدمت ترجمته مع ذكر مصادرها برقم (٥٢).

(٨٨) ممشاذ الدينوري(*)

ممشاذ الدينوري، قدس الله سره، من الطبقة الثالثة، وكان من أكابر مشايخ العراق، وكان من فتيان المشايخ، فريداً في العلم، وكان له الكراماتُ الظاهرة، والأحوال الحسنة.

صحب يحيى الجلاء وكان أقوى منه، وصحب المشايخ(١)، وكان من أقران الجنيد، والنُّوري، ورُويم، وغيرهم.

قيل: مات في سنة تسع وتسعين ومئتين.

قال ممشاذ: أعطى الله العارفَ مرآةً في سرِّه، فإذا نظر رأى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: وله في قلب المؤمن مكانٌ لا يتَّصلُ به غيرُه، وإذا ابتُلي بالتفرقة يرجعُ إليه، ويستقرُّ به.

وقال الحُصري: كنتُ البارحةَ في فكر أنَّه يَحصلُ لي تفرقةٌ في بعض الأوقات، فكيف يكون حال المُريدين، وإن لم أكنْ عارفاً بأنَّ له مكاناً في قلب المحبِّين لا يسعُ أحداً غيره، ولا يمر فيه غيره، فيكون القلب قطعة قطعة(٢).

مـــا أُبـــالـــي بعيـــون وظُنـــــون أتَّقيهـــا
لـــي فـــي ســـرِّيَ مـــرِآةٌ أرَى وجهَـــكَ فيهـــا

(*) طبقات الصوفية ٣١٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ٣٣، مناقب الأبرار ١٥٦/ب، صفة الصفوة ٤/ ٧٨، المختار من مناقب الأخيار ٤٧٥/ب، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٦٣، طبقات الأولياء ٢٨٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٩، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٧١٨. وجاء اسمه خلال طبقات الصوفية، وطبقات الأولياء: ممشاد.

(١) في المطبوع: صحب يحيى الجلاء ومن فوقه من المشايخ.

(٢) في المطبوع: الأوقات [فإذا كان هذا حالي] فكيف يكون حال مريديَّ وتلامذتي، ولولا أنني أعرف بأن له مكاناً في قلب محبيه لا يسع أحداً [غيره] ولا يقر فيه غيره لصار القلب قطعاً قطعاً.

قال ممشاذ: لي اليوم أربعون سنةً الجنَّةُ وما فيها يَعرضونها عليَّ، فما ألتفتُ إليها.

قال شيخ الإسلام: وقتَ الحضورِ والشهود التوجُّهُ إلى الغيرِ شركٌ، قال الله تعالى في نبيِّه ﷺ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] و﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١].

قال ممشاذ: ما وصلتُ عند المشايخ، وسألتُهم عن شيءٍ إلاّ بصفاءِ القلب، فأنتظر ما تقول[1].

وقال ممشاذ: جميعُ[2] المعرفة صدقُ الافتقار إلى الله تعالى.

وأيضاً عنه قال: طريق الحقِّ بعيد، والسيرُ مع[3] الحقِّ شديد.

قال شيخ الإسلام: طريق الحقِّ بعيد إلاّ أنْ يأخذَ بيده، والصحبةُ والصَّبرُ والمعاملة مع الله شديدةٌ إلاّ أنْ يُؤنسه.

وقال ممشاذ: من يُنكر ولياً من أولياء الله تعالى فأدنى عقوبتِهِ ألاّ يُعطيَه الله تعالى ما أعطاه.

قال ذو النون: من صاحَ صيحةً بالكذبِ، فأنكرَ عليه أحدٌ فلا يجدُ الصدقَ في تكذيبه؛ لأنَّ إنكاره راجع إلى الأصل. يعني: مالك وله، كنْ صادقاً حتى يحصلَ لك الفلاح.

قال شيخ الإسلام: حكى أبو عامر، عن تلميذ ممشاذ، قال: كنتُ قاعداً عند ممشاذ، فجاء شابٌّ، واستدعاه للضيافة، فقال الشيخ: أنت ذلك الرجل الذي طلبتَ الصوفيةَ، ودّيتها طريقَ السوق ؟!. فالشيخ جعله حيلة، وما قبل ضيافته، فلمَّا رجعَ الشاب، قالوا: أيُّها الشيخ، لِمَ فعلت هذا ؟. قال الشيخ: لأنه كان من الفتيان، أعطاه الله تعالى الدنيا، ثم أخذتْ عنه، والآن هو يُنفقُ

---

(١) في الأصل: فانتظر ما يقولون. ولعل الصواب: فانظر ما تقول.
(٢) في المطبوع: جماع.
(٣) في المطبوع: والصبر.

النَّفقةَ على الفقراء حتى ترجعَ إليه دنياه، وإن لم يقطعْ حبَّ الدنيا فلن ترجعَ إليه.

قال الشيخ أبو عبد الله الطاقي، رحمة الله عليه: سمعتُ محمد بن خفيف يقول: رأيتُ ممشاذَ الدينوري في النوم، كأنَّه قائمٌ، رافعٌ يديه إلى السماء، وهو يقول: يا ربَّ القلوب. والسماء تدنو من رأسه حتى وقعتْ على رأسه، فانشقَّت، وحُمل ممشاذ.

ويوماً خرجَ ممشاذ من داره، فنبحَ كلبٌ، فقال ممشاذ: لا إله إلا الله. فماتَ الكلبُ مكانه.

قال ممشاذ: دأبُ المُريد في[1]: التزامِ حُرمات المشايخ، وخدمةِ الإخوان، والخروجِ عن الأسباب، وحفظِ آداب الشَّرعِ على نفسه.

* * *

(٨٩) الحسن بن علي المُسُوحي[*]

الحسن بن علي المُسُوحي، قدّس الله سره، كنيته أبو علي، وقيل: كان أستاذ الجُنيد، وأبي حمزة، وأقرانهما، **وكان من كبار أصحابِ سَري السَّقَطي.**

قال الجُنيد: قلتُ للمُسُوحي: [قل لنا] شيئاً في الأنس، فقال: **ويحك، لو ماتَ مَنْ تحتَ السماء ما استوحشتُ.**

قال شيخ الإسلام: قال محمد بن عبد الله لمحمد بن نفيسة: اقعدْ هنا. فنسي إلى أسبوعٍ، وجاء يَعتذُر، فقال: لا تعتذر منّي، لأن الله تعالى رفعَ وحشةَ الانفرادِ من قلوب المُحبّين.

---

(١) في المطبوع: [أدب المريد في أربعة أشياء].

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٢، تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٦، الأنساب ١١/ ٣٢١، صفة الصفوة ٢/ ٤٢٥، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٨٠، الوافي بالوفيات ١٢/ ١٦٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٦٢، قال السمعاني: المُسوحي نسبة إلى المسوح، وهي جمع مسح، ولعلَّه لقب على الضدِّ؛ لأنه كان يدخل البادية بإزار ورداء.

لسَمنون المُحَب:

عليكِ يا نفسُ بالتخلّي فالعيشُ في الأُنسِ والتَّسلّي

* * *

(٩٠) أحمد بن إبراهيم المُسُوحي(*)

أحمد بن إبراهيم المسوحي، قدّس الله سره، كنيته أيضاً أبو علي، وهو من أَجلِّ مشايخ بغداد.

وصحب سرياً السقطي، ويَروي عنه رواية، وعن حسن المسوحي أيضاً.

قيل: كان يحَجُّ بقميصٍ واحدٍ ورداءٍ ونعلين، ولا يحملُ الركوةَ ولا الكيزان، وكان عنده تفاحةٌ شاميةٌ، يشمُّها، وما كان طعامُه إلا هذا.

وله أيضاً: **من فُتح له شيءٌ من غير مسألةٍ فردَّه وهو مُحتاجٌ إليه أحوجَهُ الله تعالى إلى أن يأخذَ مثلَه بمسألةٍ.**

* * *

(٩١) رُويم بن أحمد البغدادي(**)

رويم بن أحمد بن يزيد بن رُويم، قدّس الله سره، من الطبقة الثانية، كنيته أبو محمد، وقيل: أبو بكر، وقيل: أبو الحسين وأبو شيبان، وكان من ذرّية رُويم المهين الذي يروي القراءةَ عن نافع[1].

(*) تاريخ بغداد ٤/ ١١، الأنساب ١١/ ٣٢٠، صفة الصفوة ٢/ ٤٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/أ، اللباب ٣/ ١٤٠، الكواكب الدرية ٢/ ٣٠.

(**) طبقات الصوفية ١٨٠، حلية الأولياء ١٠/ ٢٩٦، تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٠، الرسالة القشيرية ٢٧، مناقب الأبرار ١١٠/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٢، المنتظم ٦/ ١٣٦، المختار من مناقب الأخيار ١٦٠/ب، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٣٤، البداية والنهاية ١١/ ١٢٥، طبقات الأولياء ٢٢٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٨٩، طبقات الشعراني ١/ ٨٨، الكواكب الدرية ٢/ ٩٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤.

(١) في المطبوع: وكان من ذرية رويم [بن يزيد] الذي يروي القراءة [عن الليث] عن نافع.

وكان من بغداد من أجلَّة مشايخهم، وكان فقيهاً على مذهب داود الأصفهاني[1].

قال شيخ الإسلام: هو يدّعي أنّه من تلامذة الجُنيد، ومن أصحابه، ولكن كان أفضل منه، وشَعْرةٌ منه عندي أحسنُ من مئة جُنيد.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: ما رأيتُ أحداً أحسنَ كلاماً في التوحيد من رُويم.

سئل رُويم عن التصوف، فقال: هو الذي لا يَملكُ شيئاً، ولا يَملكه.

وقال أيضاً: التصوف تركُ التفاضلِ بين الشيئين.

وفي آخر العمر ستر نفسَه في زِيِّ أهل الدنيا، لكن لا يَحتجبُ بذلك السبب.

قال الجُنيد: أنا فارغٌ مشغول، ورويمٌ مَشغولٌ فارغ.

قال شيخ الإسلام: كان رويم كبيراً، وتلبَّس بالدنيا، وكان نائبَ القاضي، فإذا جلسَ في محكمة القضاء جعلَ له أربعةَ مساند، وله احتشامٌ تام، وأبو عَمرو الزجاجي كان في خدمة الجُنيدِ، والجُنيد يمنعه من زيارة رويم، فلمّا عزمَ الزَّجَّاجي إلى بلاده أرادَ أن يَزورَ رُويماً، قال في نفسه: إذا ذهبتُ إلى البلاد، وسألني أحدٌ عن رُويم، فأيش أقول ؟، فدخلتُ لزيارة رويم بغير اطلاع الجُنيد، ورأيتُه في الاحتشام والكبرياء، فلمَّا حصلتِ الخلوةُ جاءتْ عنده بنتُه، فقال رويم لأبي عمرو: أصحابُكَ يقولون: لِمَ لا تتركُ هذا الشغل وتجيء عندنا ؟، وكيفَ أجيءُ وأنا في خدمةِ الأطفال ؟، أعلّمُهم علمَ التوحيد، وأجزهم[2] ما وجدتُ عنده.

قال شيخ الإسلام: كان الجُنيد وأصحابه، فلمَّا جاء أبو عمرو عند الجُنيد أَخبرَ واحدٌ الجُنيد أنه زار رويماً، قال الجُنيد: كيف وجدت رُويماً يا أبا

---

(1) هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي الأصبهاني، ولد بالكوفة سنة ٢٠٢، وكان ورعاً زاهداً، إمام أهل الظاهر، توفي ببغداد ٢٧٠ هـ.

(2) في المطبوع: وأخبرهم.

عمرو ؟. قال: رجلٌ عظيمُ الشأن. قال الجنيد: الحمد لله. وقال: ما منعتُكَ من زيارته إلاّ خوفَ أن يجيءَ في نظرك مُحقَراً فتصيرَ مُفلساً، فالحمد لله رأيتَه مليحاً، لأنَّه رجلٌ وليٌّ، من أَجلِّ القوم.

وذكر في «الفتوحات»[1]: قال رُويم: **من قعدَ مع الصوفية، وخالفهم في شيءٍ ممّا يتحقَّقون به نزعَ الله نورَ الإيمان من قلبه.**

وطعن واحدٌ على رُويم لأجلِ احتشامه ولباسه، فقال: إن ربطتُ ثوباً خَلَقاً على رأسي، ودخلتُ السوقَ فلا أبالي.

ذهب أبو عبد الله بن خفيف عند رُويم، فلمَّا أرادَ الرُّجوعَ وضع يده على كتفه، وقال: يا ولدي، **هو بذلُ الروح، فلا تشتغلْ بترَّهات الصوفية.**

قال شيخ الإسلام: بذلُ الروح ليس أن تذهبَ للعدوِّ ويقتلوك، بل تبذلَ الروحَ لله ولا تُنازع، وكذا الروح والبدن تفديهما لله[2]، ولو لحقَكَ أذىً فلا تكنْ شاكياً.

وجاء يوماً عنده شخصٌ، وقال: **كيف حالُك ؟**. فقال: **كيف حالُ من كان دينُه هواه، وهمَّتُه دنياه، ليس بصالحٍ تقيٍّ، ولا بعارفٍ نقي.** وهذه كلُّها إشاراتٌ إلى عيوب نفسِ السائل، ويمكن أنه وكلَ إلى نفسه حتى وصفَ حال نفسِه وأنصف.

سئل رويم عن الأُنس، فقال: أن تستوحشَ من غير الله حتى من نفسك.

وسُئل عن المحبَّة، فقال: الموافقةُ في جميعِ الأحوال. وأنشد:

ولو قلت لي مُتْ مُتُّ سمعاً وطاعةً ... وقلتُ لداعي الموتِ: أَهلاً ومرحبا

وقال: الرضا استلذاذُ البلوى، واليقينُ هو المشاهدة.

وكان شيخ الإسلام يفضِّلُ بعد الخراز رويماً، ثم الجُنيد، ثم النُّوري.

قال رُويم: مضى عليَّ عشرون سنة ما تمنَّتْ نفسي طعاماً إلاّ ما حضرَ أكلت.

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٧٩.

(٢) في المطبوع: تذهبهما في الله.

وأيضاً عنه قال: الإخلاصُ الذي يرفعُ رؤيةَ الأعمال. يعني: لا تنسبِ الأعمالَ إلى نفسك.

وأيضاً عنه قال: الفتوة أن تعذرَ الإخوان، وتحملَ ما وقع منهم، ولا تعاملهم حتى يفهموا منك العذر.

وأيضاً عنه: **إذا وهبَ الله لك مقالاً وفعالاً، فأخذَ منك المقالَ، وتركَ عليك الفعال فلا تُبال؛ فإنَّها نعمة، وإن أخذَ منك الفعال، وترك عليك المقالَ فنُح؛ فإنَّها مصيبةٌ، وإن أخذ منك المقالَ والفعال فاعلم أنَّها نقمة.**

وأيضاً عنه قال: للفقر حُرمةٌ، وهي سترٌ، وإخفاءٌ، وغيرةٌ عليه، ومن كشفَه وأظهرَه على الخلق فليسَ بفقيرٍ، وليستْ له كرامة.

وأيضاً عنه قال: **من حكم الحكيم أن يُوسّعَ على إخوانه في الأحكام، ويضيّقُ على نفسه منها، فإنَّ التوسعةَ عليهم اتّباعُ العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.**

وأيضاً عنه قال: **أدبُ المسافر ألاّ يجاوزَ همُّه قدمه، وحيثما وقفَ قلبُه يكون منزلُه.**

* * *

(٩٢) يوسف بن الحسين الرازي(*)

يوسف بن الحسين الرازي، قدّس الله سره، من الطبقة الثانية، كنيتُه أبو يعقوب.

(*) طبقات الصوفية ١٨٥، حلية الأولياء ١٠/٢٣٨، تاريخ بغداد ١٤/٣١٤، الرسالة القشيرية ٢٩، طبقات الحنابلة ١/٤١٨، مناقب الأبرار ١١٩/أ، المنتظم ٦/١٤١، صفة الصفوة ٤/١٠٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٦/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/٧١، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٤٨، العبر ٢/١٢٨، دول الإسلام ١/١٨٥، روض الرياحين ٣٠١ (حكاية ٢٤٥)، البداية والنهاية ١١/١٢٦، طبقات الأولياء ٣٧٩، النجوم الزاهرة ٣/١٩١، ٢٦٥، طبقات الشعراني ١/٩٠، الكواكب الدرية ٢/٢٤٥، شذرات الذهب ٢/٢٤٥.

كان شيخ الرَّيِّ، والجبال[1]، وكان في وقته إمامَ هذه الطائفة مع الهيبةِ والعظمة، وكان يتلبّس بالملامتية لينفِّرَ الخلقَ عنه وليصيرَ في نظرهم مُحقَّراً.

كان تلميذ ذي النون المصري، وصحبَ أبا تُراب النَّخشبي، ويحيى بن معاذ الرازي وغيرهم، وكان من رُفقاء أبي سعيد الخراز في السفر، وله مُكاتباتٌ حَسَنة مع الجُنيد.

مات في سنة ثلاثٍ أو أربعٍ وثلاث مئة.

لما حضره الموت قال: إلهي، دعوتُ الخلقَ إليك على حسب طاقتي وجهدي، وما فعلتُ لنفسي إلاّ قبيحاً، فاغفرْ لي بحُرمتهم. فماتَ، فرأوه في المنام، وقالوا: كيفَ حالُك؟. قال: قال الله تعالى: كرِّرْ ذلك الكلام. فكرَّرْتُه، فقال: قد غفرتُ لك بك.

قال شيخ الإسلام: تعرفُ لِمَ قال: غفرتُ لك بك؟. لأنه ما رأى لنفسه واسطةً إلاّ هو.

ووصّى شيخُ الإسلام أصحابه: اغتنموا الصُّحبة؛ ليظهر منكم ما كان فيكم، فأنتم وسيلةٌ وترجمان بينكم.

قال يوسف بن الحُسين: ذهبتُ عند ذي النون بمصر، فلمّا رأيته اقشعرَّ شعري، فنظر إليَّ، وقال: من أينَ أنت؟. قلت: من الرَّي. قال: ضاقتْ عليك الأرضُ حتى جئتَ مصر؟!. قلتُ: جئتُ لخدمتك. قال: ابتعد يا كذّاب، أو يا خائن. ثم قال: **يا بُنيَّ، صحِّحْ حالَك مع الله، لا يشغلْك عنه شاغل، ولا تشتغلْ بما يقولُ الخلقُ عنك؛ فإنَّهم لن يُغنوا عنك من الله شيئاً، وإذا صحَّحت حالَك مع الله أرشدك للطريق إليه، واقتدِ بسُنة رسول الله ﷺ ظاهر العلم، وإيّاكَ أن تدّعي فيما ليس لك، فما أهلَكَ عامةَ المُريدين إلاّ الدعاوى.**

---

(١) الجبل أو الجبال اسم علم للبلاد التي عرفت في اصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري، وما بين ذلك من البلاد الجبلية والكور العظيمة. معجم البلدان، وطبقات الصوفية ١٨٥.

[وقال]: يوماً قال واحدٌ لذي النون: أَوصني. فقال: **إيَّاك وهذه الأورادَ المُتَّصلةَ؛ فإنَّ النفسَ تألفها، وانظر ما فيه مخالفة نفسك من صيام أو فطر فاعملها، فإنَّ في مُتابعة النفس طاعةً كانت أو معصيةً فتنةً، فما ألفتِ النفسُ شيئاً إلاّ وفيه بلاءٌ وخطر.**

[وقال] أيضاً: أوصى ذو النون واحداً، فقال: **لا تسكنْ إلى مدح الناس، ولا تجزعْ من قبولِهم وردِّهم؛ فإنَّهم قطاعُ طريق، واسكنْ إلى ما تتحقّقه من أحوالك سراً وعلناً.**

وقال يوسف بن الحسين: **الخيرُ كلُّه في بيتٍ، ومفتاحُه التواضع، والشرُّ كلُّه في بيتٍ، ومفتاحه الكِبر.**

وقال أيضاً يوسف بن الحسين: لمَّا فارقتُ صحبةَ ذي النون قلتُ: أوصني. قال: لا تدعْ نفسك من خدمةِ الخلق، وأفردْ قلبَكَ لله ولأمره.

* * *

(٩٣) عبد الله بن حاضر الرازي(*)

عبد الله بن حاضر الرازي، قدس الله روحه.

قال شيخ الإسلام: كان عبدُ الله خالَ يوسف بن الحسين، وكانَ من قدماء المشايخ، ومن أقران ذي النون، أو أفضل منه.

قال يوسف بن الحسين: لما رجعتُ من عند ذي النون المصري، وتوجَّهت إلى الرَّيِّ، وصلتُ إلى بغداد، وخالي عبد الله كان حاضراً، فأراد الحجَّ، فذهبت عنده، فقال لي: من أين جئت؟. قلت: من مصرَ إلى الرَّي، وأُريدُ الوصيَّةَ منك. فقال: لا تقبل. قلتُ: عسى أن أقبلَ. قال: لا تقبل. قلتُ: عسى أن أقبل. فبالغ فيه، فقلتُ: عسى أن أقبل. قال: إذا جنحَ الليلُ فالكتبُ كلُّها وما كتبتَ عن ذي النون ارمها في دجلة[1]. قلتُ: أشاور نفسي. فما

(*) تاريخ بغداد ٩/ ٤٤٨، طبقات الحنابلة ١/ ١٨٩.

(١) في المطبوع: إذا جن الليل فاجمع كتبك كلّها، وما كتبت عن ذي النون وارم بها في دجلة.

جاءني النومُ طولَ الليل من فكرها وغمِّها، وما وجدتُ في قلبي رميها، ثم جئتُ عنده، وقلتُ له، فقال: قلتُ لك: لا تقبل. قلتُ: أَوصني بشيءٍ آخر. قال: أيضاً لا تقبل. قلتُ: عسى أن أقبلَ. قال: إذا وصلتَ للرَّي لا تقول عند الناس: أنا اجتمعتُ مع ذي النون، ولا تجعلْ ذلك دكاناً. فقلتُ: أتفكَّرُ. ثم جئت عنده، وقلتُ: هذه أصعب من الأول. قال: ما قلتُ لك لا تقبل. ثم قال: أقولُ لك كلمةً تكون بُدَّكَ؟ قلتُ: قل. قال: إذا دخلتَ بيتَكَ فلا تدعُ الخلقَ، ولا تقول لهم: أنا أدعوكم إلى الله، وكنْ على الدَّوامِ مع الله، ولا تفارق صحبته.

قال شيخ الإسلام: قال الله تعالى لموسى، عليه السلام: يا موسى، ليكنْ لسانُك رطباً بذكري، وأيُّ مكانٍ تذهب إليه يكون مُرورُك عليَّ.

وأيضاً قال أبو عبد الله النَّباجي ليوسف بن الحسين: فرغَ العالمُ من الصادقين؛ فالزمِ الصدق إن قدرتَ في جميع الأحوال، واعتقدْ أنّه لا يدخلُ أحدٌ في زمرة الصِّدّيقين ومراتبهم حتى يصيرَ مَردوداً من الخلائق، ولا يكون مخلصاً لأولياء الله إلاّ بعد مُهاجرةِ الخلائق، ومُفارقتهم.

قال يوسف بنُ الحسين: ما كان كلامٌ أنفعَ للناس من كلام عبد الله النَّباجي؛ لأنَّ فيه دلالةً على إسقاط الجاه، فقبلتُ النصيحة.

* * *

(٩٤) ثابت الخباز(*)

ثابت الخباز، رحمة الله عليه، كان من قدماء المشايخ.

صحبَ الجُنيد، ورويماً، وأخذَ الطريق عنهما، وكان كثيراً ما يَحكي عنهما دائماً.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٩٥) أبو ثابت الرازي(*)

أبو ثابت الرازي، رحمة الله عليه، كان من مشاهير العُلماء والقرَّاء والفُقراء.

قال: كنتُ قاعداً في المسجد أعلِّمُ القرآنَ صبياً، فمرَّ عليَّ يوسفُ بن الحسين، وقال: ألا تَستحي، تُعلِّمُ القرآنَ لمخنَّثٍ؟!. فقلتُ في نفسي: سبحان الله، يقولُ لصبيٍّ صغيرٍ عصفورِ الجنَّة مخنث!. فما مكثَ زماناً إلاّ ورأيتُ ذلك الصبيَّ مع المخنَّثين، فذهبت إليه، وبايعته.

* * *

(٩٦) سمنون بن حمزة البغدادي(**)

سَمنُون بن حمزة، المُحبُّ الكذّاب، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، وكان إمامَ المحبَّة، وكنيتُه أبو الحسن، وقيل: أبو القاسم، ولقب نفسه بالكذَّاب، وإنْ ناداه أحدٌ لا يلتفتُ إليه حتى يقول: يا كذّاب.

وكان وحيداً في علم المحبة، وما كان كلامُه إلاّ في المحبَّة.

صحبَ سرياً السقطي، ومحمد بن علي القصَّاب، وأبا أحمد القلانسي، وكان من أقران الجنيد والنُّوري.

مات قبلَ الجُنيد، وقال بعضهم: بعده.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الصوفية ١٩٥، حلية الأولياء ١٠/٣٠٩، تاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤، الرسالة القشيرية ٢٨، المنتظم ٦/١٠٨، صفة الصفوة ٢/ ٤٢٦، المختار من مناقب الأخيار ١٩٦/أ، روض الرياحين (حكاية ٩٦، ٢٧١)، البداية والنهاية ١١/ ١١٥، طبقات الأولياء ١٦٥، طبقات الشعراني ١/ ٨٩، الكواكب الدرية ١/ ٦٣٠، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٢.

قال سمنون: لا تَصْفو المحبّةُ حتى تنظرَ العوالمَ بنظر الحقارة.

وأيضاً عنه قال: **أوَّلُ وصلِ العبد للحقِّ هجرانُه لنفسه، وأولُ هجرانِ العبدِ للحقِّ مواصلته لنفسه.**

يُحكى أنَّ سمنوناً كان على طرفِ دجلة، يضربُ العصا على فخذه، ويقرأُ هذه الأبيات حتى صارَ فخذُه مجروحاً، وسالَ منه الدَّمُ، وكان غائباً عن نفسه، ويقرأ هذه الأبيات:

كانَ لي قلبٌ أَعيشُ به ... ضاعَ منّي في تَقلُّبِهِ
ربِّ فارْدُدْهُ عليَّ فقد ... ضَاقَ صدري في تَطلُّبِهِ
وأغِثْ ما دامَ بي رَمَقٌ ... يا غياثَ المُستغيث به

وقيل: قرأ سمنون يوماً هذين البيتين:

تُريدُ منّي اختبارَ سرِّي ... وقَدْ علمتَ المُرادَ منّي
وليسَ لي في سِواكَ حظٌّ ... فكيفما شئتَ فاختبِرْني

فبالفور امتُحنَ بحبس البول، فصبرَ عليه، ولم يجزع، فتلك الليلةَ رأى جماعةٌ من أصحابه رؤيا أنَّ سمنونَ يتضرَّعُ ويبكي، ويطلبُ من الله الشفاء، فلمّا سمعَ هذا فهمَ أنَّه يأمرُهُ بالتأدُّبِ بآداب العبودية، وإظهارِ العجز، وسترِ الحال، فقامَ وذهبَ إلى المَكاتِبِ يطلبُ من الصبيان الدُّعاء، ويقول: **ادعوا لعمِّكم الكذّاب.**

وقيل: رآه واحدٌ مطرقاً رأسَه، وقرأ هذا البيت:

تركتَ الفؤادَ عليلاً يُعادُ ... وشرَّدْتَ نومي فما لي رُقَادُ

قال أبو أحمد القلانسي: كان وِردُ سمنون كلَّ يومٍ وليلة خمسَ مئة ركعة.

وقال القلانسي أيضاً: كان في بغداد رجلٌ يتصدَّقُ على الفقراء بأربعين ألف درهم، فقال سمنون: يا أبا أحمد، ما لنا استطاعةٌ أن نُنفقَ هذا القدر، فلنذهبْ إلى مكانٍ ونُصلّي بقدرِ كلِّ درهمٍ ركعةً. فذهبنا إلى المدائن، وصلّينا أربعين ألفَ ركعةٍ.

وقيل: كان غلام خليل[1] رجلاً مرائياً[2] عند الخليفة يُظهر التصوُّفَ، وكان دأبُه التَّكلُّمَ على المشايخ عند الخليفة، حتى يحصلَ للخليفة إنكارٌ على المشايخ، فيزيدُ اعتبارُه وقربُه عند الخليفة، ويوماً رأتِ امرأةٌ سمنونَ، وعرضتْ نفسَها عليه، وما التفتَ سمنونٌ إليها، فذهبتْ إلى الجُنيد، وقالت: يا جُنيد، قُلْ لسمنون أن يتزوَّجني. فما أعجبَ كلامُها الجنيد، فزجرها، فذهبتْ عند غلام خليل، واتَّهمتْ سمنون بالزِّنا، فأخذ غلامُ خليل بيدها، وأحضرها عند الخليفة، فتغيَّرَ الخليفةُ، وأمرَ بقتل سَمنون، فلمّا جاءَ السيَّافُ، أرادَ أن يأمرَهُ بقتله، حبسَ اللهُ لسانهَ، فأخَّر قتله، ثم رأى الخليفةُ قائلاً يقول: زوالُ مُلكك في زوال روح سمنون. فتنبَّه الخليفةُ، وجاءَ إلى سمنون، فعفا عنه.

أنشد ابن فراس[3] لسمنون المحب:

وكانَ فُؤادي خالياً قَبْلَ حُبِّكم ... وكان بذكرِ الخَلْقِ يَلهو ويَمْرَحُ[4]
فلمّا دعا قلبي هواكَ أجابَهُ ... فلستُ أراهُ عن فنائك[5] يَبرحُ
رُميتُ ببينٍ منكَ إنْ كنتُ كاذباً ... وإنْ كنتُ في الدُّنيا بغيرك أَفرحُ
وإنْ كان شيءٌ في البلادِ بأسرِها ... إذا غِبْتَ عن عَيني بعيني يَمْلُحُ
فإنْ شئتَ واصِلني وإنْ شئتَ لا تَصِلْ ... فلستُ أرى قلبي لغيرِكَ يَصلُحُ

* * *

---

(1) هو أحمد بن محمد بن خالد بن مرداس، ولد بالبصرة، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٥، زاهد، متعبد، وهو الذي رفع إلى الخليفة الموفق أن سبعين صوفياً من بينهم الجنيد، والشبلي، والنوري زنادقة، فحكم عليهم بالموت. (تاريخ بغداد ٥/ ٧٨).

(2) في المطبوع: مراداً.

(3) في (ص) و (ح): أبو فراس.

(4) في (ح) وطبقات الصوفية ١٩٨: يمزح.

(5) في (ص): قيامك.

(٩٧) زهرون المغربي(*)

زهرون المغربي، قدس الله تعالى روحه، كان من أهل أطرابلس، ومن أقران مُظفر الكرمان شاهي وتصاحبا في طريق مكة.

مات زهرون قبل مظفر، وامرأتُه سيِّدةٌ ماتا في رملة.

قال أبو عبد الله المغربي: ما رأيتُ أحداً من الفتيان أحسنَ من زهرون.

قال شيخ الإسلام: خرجَ يوماً مع الأصحاب للتفرُّجِ، فأنشد هذين البيتين:

وسَنَا بَرْقٍ نفى عنّي الكَرَى　　　لم يزلْ يلمَعُ بي من ذي طُوَى

مَنْزلٌ سلمى به نازِلَةٌ　　　طيِّبُ السَّاحةِ مَعمورُ الفنا

فحصل له الولهُ والغليان، وصاحَ صياحاً كثيراً، ورجع، وقال: تفرَّجْتُ.

* * *

(٩٨) عرون بن الوثابة(**)

عرون بن الوثابة، رحمة الله عليه، كنيته أبو الإصبع[1].

قال شيخ الإسلام: رأيت في كتاب أحمد بن أبي الحواري: إنه كان شيخَ مكَّةَ، ومات في الشام.

ورُئي في المنام، فسألوه عن حاله، فقال:

حاسبونا فدقَّقُوا　　　ثمَّ منَّوُا فأعتقوا

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في المطبوع: الأصبغ.

(٩٩) ميمون المغربي(*)

ميمون المغربي، قدس الله تعالى سره، هو من أهلِ المغرب، وكان من السيَّاحين، وهو من قدماء المشايخ.

وكان يُرافقُ أبا موسى الدَّبِيلي في الأسفار.

وكانَ صاحبَ آياتٍ وكرامات، كان لونُه أسودَ، فإذا كان في السماع يَصيرُ أبيضَ، فقالوا له: يتغيَّرُ حالُك في السماع؟!. قال: لو تطَّلعوا على ما اطَّلعتُ لتغيَّرَ حالكُم أيضاً[١].

وحُكي أنّه كان معه جِرَابٌ، كلَّما أرادَ شيئاً أدخلَ يده فيه، فأخرجه منه.

* * *

(١٠٠) سعدون المجنون(**)

سعدون المجنون، رحمة الله عليه.

قال عطاء بنُ سليمان: وقعَ في البصرة قحطٌ، وخرجَ الناسُ للاستسقاء، وكنتُ معهم، فسمعتُ صوتاً في القبور، فالتفتُّ إليه، فرأيتُه سعدون المجنون قاعداً على طاقٍ، يضربُ ركبته، ويقول شيئاً، فقربتُ منه، وسلَّمتُ عليه، فقال: وعليكَ السلام عطاء، من كشفَ عنك الغِطاء؟. ثم قال: أيش هذا الاجتماع، أَنُفِخَ في الصُّور أم بُعِثَ من في القبور؟. قلت: لا، بل جاؤوا

(*) ورد عرضاً ضمن ترجمة المهلب بن أحمد المصري بوصفه شيخاً للمهلب. الأنساب ٣/ ٥٠٩ طبعة البارودي.

(١) وهذه أيضاً من كرامات أبي حامد الزنجي. انظر صفحة (٢٤٥).

(**) حلية الأولياء ٩/ ٣٧٠، عقلاء المجانين ٥٤، إحياء علوم الدين ١/ ٣١٦، صفة الصفوة ٢/ ٥٢١، المختار من مناقب الأخيار ٢٠١/ب، الوافي بالوفيات ١٥/ ١٩١، فوات الوفيات ٢/ ٤٨، روض الرياحين ٩٥ (الحكاية ٢٠، ٢١، ٢٢)، النجوم الزاهرة ٢/ ١٣٣، طبقات الشعراني ١/ ٦٨، الطبقات الصغرى للمناوي ٣٢٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣.

للاستسقاء. قال: وأنت معهم؟. قلتُ: نعم. قال: بقلبٍ سماويٍّ أم بقلبٍ خاوي؟. قال: تُريدُ أن أطلبَ المطرَ؟. قلت: نعم. فقال: إلهي، بسرِّي عليك البارحة. فجاءَ المطرُ، وقال: يا عطاء، إن لم يضربكَ[1] فلا ترجع.

* * *

(١٠١) عطاء بن سليمان البصري(*)

عطاءُ بن سليمان، رحمة الله عليه، هو من زُهَّاد البصرة، كان جليلاً في وقته.

كان يوماً مريضاً، ورقدَ في الشمس، فقالوا: لِمَ لا تذهبُ في الظلِّ؟!. فقال: أريدُ أن أذهبَ إلى الظلِّ، لكن أخافُ أن يُعاتبني به.

* * *

(١٠٢) علي بن سهل الأصفهاني(**)

عليُّ بن سهل بن الأزهر الأصفهاني، قدَّسَ الله سره، من الطبقة الثانية، وكنيته أبو الحسن، من قدماءِ مشايخ أصفهان.

وكان من تلامذة محمد بن يوسف البنَّاء، ومن أقران الجُنيد، وكان بينهما مُكاتبات ومراسلات، صحبَ أبا تُراب النَّخْشَبي.

وكان له رياضةٌ عظيمةٌ، وربَّما امتنعَ عن الأكل والشربِ عشرين يوماً، يبيت فيها قائماً هائماً، بعد أن كان نشوءه نشوءَ أبناءِ النعمة والمُترفهين.

---

(١) في المطبوع: يعزِّنك.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الصوفية ٢٣٣، حلية الأولياء ١٠/ ٤٠٤، أخبار أصبهان ٢/ ١٤، الرسالة القشيرية ٣٩، مناقب الأبرار ١٣٠/ب، صفة الصفوة ٤/ ٨٥، المنتظم ٦/ ١٥٥، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٣/أ، النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٧، البداية والنهاية ١١/ ١٣١، طبقات الشعراني ١/ ٩٤، الكواكب الدرية ١/ ٦٨٢.

قال أيضاً: **ما احتكمتُ[1] قطُّ إلاّ بوليٍّ وشاهدين.**

واستقرضَ عمرو بن عثمان المكي ثلاثين ألف درهم في مكَّة، فخرجَ إلى أصفهان عند عليٍّ بن سهل عسى أن يؤدّي عنه الدين، فلمَّا علمَ عليٌّ بن سهل مرادَه أرسلَ الدراهم إلى مكَّة، وما أخبره ورخَّص له، وكان مَغموماً من الدين، فلمَّا وصلَ مكَّةَ علمَ أنَّه أدّى دينَه، فاستراح.

قال شيخ الإسلام: تعرفُ لِمَ فعلَ عليُّ بن سهل هكذا؟، فعله لخوفِ الاعتذار، وثقلِ الشُّكر. هذه الفتوة.

قال علي بن سهل: لا يجوزُ أن يقولَ أحدٌ لهذه الطائفة: مُفلس؛ لأن هذه الطائفة أغنى من كلِّ غني.

قال شيخ الإسلام: أعطى الله الثيابَ للأغنياء، وجعل زينتَها للفقراء، وأعطى الله تعالى أنواعَ الطعام للأغنياء وجعل لذَّةَ الطعام للفقراء.

وأيضاً عنه قال: **أعاذنا الله وإيَّاكم من غرورِ حُسْن الأعمال، مع فسادِ بواطن الأسرار.**

وأيضاً عنه قال: **التَّصوف التبرّي عمَّا دونه، والتخلّي عمّا سواه.**

وسألوه عن حقيقة التوحيد، فقال: **قريبٌ من الظُّنون، بعيدٌ من الحقائق،** وأنشد لبعضهم:

قلتُ لأَصحابي هي الشَّمسُ ضوءُها قـريـبٌ ولكـنْ فـي تَنَـاوِلها بُعْـدُ[2]

قال شيخ الإسلام: قالوا لعليٍّ بن سهل: أنتَ تحفظُ يومَ قلتَ: ﴿بَلَىٰ﴾؟[3] [الأعراف: ١٧٢]. قال: نعم، كأنه عندي أمس.

ونسبَ بعضُهم هذا الكلام إلى أبي جعفر محمد بن فاذة، وهو أيضاً من

---

(١) في الأصل: ما احتلمت.

(٢) البيت في ديوان الحلاج صفحة ٨٨، فصل ما نسب إليه وإلى غيره، وهو منسوب لابن عربي أيضاً.

(٣) قبله قوله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾.

تلامذة محمد بن يوسف البَناء، كما ذُكر في كتاب «سير السلف»[1]، ويحتملَ أن يكونَ هذا الكلام منهما، ويمكن لسهوٍ من الناقل.

قال شيخ الإسلام: في هذا الكلام نقصٌ، لأنَّه عند الصوفي لا يكون الغدُ ولا الأمس

وكان عليُّ بن سهل يقول: ليس موتي كموت أحدكم، إنَّما هو دُعاءٌ وإجابة، أدعى، فأجيبُ. فكان كما قال، كان يوماً قاعداً في جماعةٍ، فقال: لبَّيك. ووقعَ ميتاً.

* * *

(١٠٣) أبو عبد الله محمد بن يوسف البنّاء[*]

محمد بن يوسف بن معدان البنَّاء، قدس الله سرَّه، كنيته أبو عبد الله.

قيل: إنَّه كتبَ الحديث عن ثلاثِ مئةٍ من المشايخ، ثم غلبتْ عليه إرادةُ الخلوة، والانقطاعُ[2]، فخرجَ إلى مكَّةَ بقدمِ التجريد.

قيل: كانَ في النهار مَشغولاً بشغل البناء، يُنفق قليلاً لنفسه، وما بقي يتصدَّقُ به على الفقراء، ومع وجود هذا يختمُ كلَّ يومٍ القرآن، وكان بعد فراغ صلاة العشاء يذهبُ إلى الجبال، ويَبيتُ إلى الصُّبح، وكان يقول أكثر الأوقات: يا الله، أعطني المعرفةَ، أو تأمر هذا الجبلَ يقعُ على رأسي؛ لأنّي لا أُريد الحياةَ بغير معرفتك.

وقال أيضاً: لمّا دخلتُ مكَّةَ رأيتُ المشايخ جالسين عند المقام، فذهبتُ،

---

(١) تقدم التعريف به انظر حاشية (١) صفحة ٧٤.

(*) طبقات المحدثين بأصبهان ٢/٤٣٩، حلية الأولياء ١٠/٤٠٢، تاريخ أصبهان ٢/٢٢٠، المنتظم ٦/٢٤، صفة الصفوة ٤/٨٣، المختار من مناقب الأخيار ٣/٣١٥أ، الوافي بالوفيات ٥/٢٤٤، طبقات الأولياء ٤٠٤، النجوم الزاهرة ٣/١٢١، الكواكب الدرية ١/٧١٢، جامع كرامات الأولياء ١/١٠١.

(٢) في المطبوع: إرادة الحق، والانقطاع [عن الخلق].

وقعدت عندهم، فقرأ القارئ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، فوقعَ في قلبي شيءٌ، فصحتُ صيحةً، فمنعوا القارئ عن قراءته، وقالوا لي: مالكَ صحتَ قبلَ أن يقرأ القارئ آيةً من القرآن ؟!. قلتُ: باسمه قامت السموات والأرضون، وباسمه قامتِ الأشياءُ، وكفى بـ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ سماعاً. فالمشايخُ قاموا، وأعزّوني وأكرموني وأجلسوني بينهم.

وأيضاً قال: كنتُ في مكّة، وأكثرُ دعائي هذا: يا الله، أعطني المعرفةَ أو الموت؛ لأنّي ما أُريد الحياة[1] بغير معرفتك. فرأيتُ في المنام كأنَّ قائلاً يقول: إن أردتَ المعرفةَ فصُمْ شهراً، ولا تُكلّمِ الناس، واذهب إلى زمزم، واطلبْ حاجتك. فلمّا كملَ الشهرُ دخلتُ زمزم، ودعوته، فهتفَ هاتفٌ من زمزم: **يا ابن يوسف، اختر واحداً من الأمرين، أيُّهما أحبُّ إليك: العلمُ مع الغنى والدنيا، أم المعرفةُ مع القلّة والفقر** ؟. قلتُ: المعرفةَ مع القلَّةِ والفقر. فخرجَ الصوت من زمزم: **قد أُعطيتَ، قد أُعطيت**.

وقيل: كان الجُنيد قائلاً بفضله وكماله، ولمّا كتبَ كتاباً إلى الشيخ عليٍّ بن سهل الأصفهاني كتبَ فيه: **سلْ شيخَكَ أبا عبد الله: ما الغالبُ عليك** ؟. فلمّا سأله عليُّ بن سهل، قال: اكتب إليه: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

* * *

(١٠٤) محمد بن فاذة الأصبهاني(*)

محمد بن فاذة، رحمه الله، كنيته أبو جعفر، وكان من تلامذة محمد بن يوسف البناء.

وكان مجتهداً قوياً في العبادة، سخياً في البذل والعطية.

وكان كلَّ يوم وِرده ثلاثَ ختمات.

---

(١) في (ص): ما أريد المعرفة.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

وحصل له من مِيراث أبيه مالٌ كثير، وكان يُنفق على محمد بن يوسف وعياله، وما اطَّلعَ عليه.

وكان له مُحبٌّ، فأمره أن يُرسلَ ما يحتاجُ إليه الشيخ وعياله، ولا يُظهره لأحدٍ، فلمَّا مرَّ عليه سنون كثيرة، قال يوماً محمد بن يوسف لمحبِّه: من يكفيني مَؤونة عيالي؟. قال: محمد بن فاذة. قال: **جزاهُ الله عنّي بأفضل الجزاء**.

قيل: جاء صوفيٌّ في أيام الشتاء عند محمد بن فاذة، فرآه في قميصٍ واحدٍ، فقال: يا أبا جعفر، ألا تَحسُّ بالبرد؟. قال: ضع يدك تحت قميصي، وقل: **لا إله إلا الله**. قال: فلمَّا أدخلتُ يدي تحت قميصه، وقلتُ: **لا إله إلا الله**. وجدتُ العرقَ من شدَّةِ الحرارة.

* * *

(١٠٥) سهل بن علي المروزي(*)

سهل بن علي المروزي، رحمة الله عليه.

هو الذي ذهبَ إلى دار عبد الله بن المبارك، وقال: ما هذه الجواري المطربة على سطح البيت؟ أنزلهم. فقال ابنُ المبارك: أفعلُ هذا. فلمَّا برزَ قال ابن المبارك: ولم يكن كاذباً، انظروا أين هو؟ إنَّه ليفارقُ الدنيا، لأنَّه ما كان على سطحي مُغنِّيات، وإنَّما رأى حورَ الجنة، أرسلهن الله لتعظيمه. فلمّا برَزَ من الدارِ ماتَ على الفور.

وسُئل سهلُ بنُ علي المروزي: أيُّ شيءٍ أفضلُ من عطاء الله؟. فقال: فراغُ القلب. قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثيرٌ من الناس: الصِّحةُ والفراغ**»[1].

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) رواه البخاري ١١/١٩٦ في الرقائق، في فاتحته، والترمذي ٢٣٠٥ في الزهد، في فاتحته عن ابن عباس.

وقال سهل: الفراغُ بلاءٌ من البلايا.

قال شيخ الإسلام: من لا تكون التقوى غالبةً عليه فالشغلُ أفضلُ من الفراغ، حتى لا ينزلَ البلاءُ من الفراغ، ومن كان مُتقياً متورّعاً ذا قلبٍ فالفراغُ له ملك، ما له قيمة، ففراغُ القلبِ بيتُ الصُّحبة مع الحقِّ سبحانه، والفقرُ دُكّانٌ له.

قال ابن جريح: من لا يكون له عزمٌ لا يكون له ترقٍّ.

* * *

(١٠٦) علي بن حمزة الحلاج(*)

علي بن حمزة الأصفهاني الحلاج، رحمَه الله.

قال شيخ الإسلام: ما كان حلاَّجاً، وكذا الحُسين بن منصور.

وكان من تلامذة محمد بن يوسف البنَّاء بأصفهان.

قال عليُّ بن حمزة: مكثتُ مدَّةً عند محمد بن يوسف البنَّاء بأصفهان، وكان أكثرُ كلامه في علم الحلالِ، فكنتُ أجمعُ حكاياته، ثم عزمتُ من عنده إلى الحجِّ، وبعد الرُّجوع لمّا وصلتُ البصرةَ سمعتُ خبرَ موته، فحصلَ لي غمٌّ بلا نهايةٍ، فجلستُ في البصرة عند تلامذة سهل التُّستري، وكانوا يَحكون عنه حكاياتٍ كثيرةً، فإذا أعجبني كلامُهم، قلت لهم: اكتبوا لي؛ لأنّي أُمّي. فيوماً كنت أتوضّأُ على نهرٍ، فكلُّ ما كتبوه لي طاحَ في الماء، فحصلَ لي غمٌّ عظيمٌ، فرأيت تلك الليلة سهلَ التُّستري، فقال لي: يا مُبارك، صرتَ مَغموماً لأجل الدَّفاترِ التي وقعت في الماء؟. قلتُ: نعم، يا أستاذي. قال: بحقِّ حبِّ ذلك الكلام، وحقِّ الله، وحقِّ أوليائه لا تطلبْ تلك الأوراق. فقلت: يا أستاذي، ما لي طاقةٌ. فرأيتُ المصطفى ﷺ جاءَ مع أصحاب الصُّفَّة، فلمّا رأيتُه هرولتُ إليه من السرور، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ وقال لي: لِمَ لا قلتَ لهذا الصدّيق ـ يعني سهلاً التستري ـ: حبُّ هذه الطائفة، وكلامهم عينُ الحقيقة. وحقيقة

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

هذا القول كأنَّه لسهل، ومن ثم قالَ سهلٌ: أستغفرُ الله يا رسول الله. فضحكَ رسولُ الله ﷺ، فانتبهتُ، وبقي ذلك السُّرورُ من هذا الكلام.

قال شيخ الإسلام: حبُّ هذه الأفعال عينُ الأفعال، وعسى أن يكونَ إنكارُ هذه الأفعال سببَ النجاة؛ لأنَّ الحقيقة لا تردّ إلى المجاز.

كما حُكي أنَّ غلام خليل لمَّا صار مَجذوماً في آخر عمره بسبب طعنه على هذه الطائفة، سُمع بعضُ كُمَّلِ الأولياء يقول: سببُ جُذام غلام خليل من دعاءِ بعض النَّاقصين، فلا ينبغي الدُّعاءُ عليه؛ لأن الصوفية يترقّونَ بسبب الطعن عليهم، فالله يشفيه. فلمَّا سمَع غلامُ خليل هذا الكلام تابَ عن الإنكار، وأرسلَ ما عنده من الدُّنيا إلى المشايخ، فما قبلَها أحدٌ، فانظرِ الإنكار على هذه الطائفة أوصلَه إلى التوبةِ، فكيفَ يكونُ حالُ محبِّهم؟.

* * *

(١٠٧) علي بن شعيب السقاء(*)

علي بن شعيب السقَّاء، قدَّس اللهُ سره، من حِيرة نيسابور.

وصحب أبا حفص.

قيل: كان له خمسةٌ وخمسون حجَّة، وكلُّها أحرمَ بها من نيسابور، وبعد كلِّ ميلٍ يركعُ ركعتين، فقيل له: ما هذه الصلاة؟. فتلا قولَه تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]. يعني: هذا النَّفعُ لي من حجتي.

ومرَّت قصَّةُ غيبوبته في قرب الله تعالى(١).

قال شيخ الإسلام: التفكُّر في قربِ الله حيرةٌ، وعدمُ التَّفكُّرِ جناية.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) انظر: ١٠٩.

(١٠٨) علي بن موفَّق البغدادي(*)

علي بن موفق البغدادي، رحمه الله، من قُدماء مشايخ العراق، وكان سيَّاحاً.

رأى ذا النون المصري.

قال شيخُ الإسلام: حجَّ أربعاً وسبعين حجَّةً، وبعد الحجِّ تأسَّفَ، وقال: أذهبُ إلى الحجِّ، وأرجعُ ومالي قلبٌ ولا وقت، فكيفَ حالي ؟. ففي تلك الليلة رأى اللهَ تعالى في المنام، وقال الله له: يا ابن موفَّق، أتدعو إلى بيتك من لا تُحبُّ ؟! لو لم نحبَّك ما دعوناك.

وأيضاً قال: يا الله، إنْ أعبدك من خوفِ النار فأَدخلني فيها، وإنْ كنتُ أعبدُكَ لرجاءِ الجنَّة فلا تُدخلني فيها أبداً، وإن عبدتُكَ لحبِّك فانظر فيَّ نظرةً، وبعدها افعل ما تشاء.

* * *

(١٠٩) أبو أحمد القَلاَنسي(**)

أبو أحمد القلانسي، قدّس الله سرَّه، هو من قدماء المشايخ، واسمه مُصعب بن أحمد البغدادي.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٣١٢، تاريخ بغداد ١٢/ ١١٠، طبقات الحنابلة ١/ ٢٣٠، المنتظم ٥/ ٥٣، صفة الصفوة ٢/ ٣٨٦، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٦/أ، الكامل في التاريخ ٦/ ٢٢، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٢٦٥، البداية والنهاية ١١/ ٣٨، طبقات الأولياء ٣٤٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٤١، الكواكب الدرية ١/ ٦٧٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٨.

(**) حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٦، تاريخ بغداد ١٣/ ١٤، الأنساب ١٠/ ٢٨٢، المختار من مناقب الأخيار ٧٩/ب، المنتظم ٥/ ٧٩، اللباب ٣/ ٦٧، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧٠، الكواكب الدرية ٢/ ٥٥.

قيل: كان أصلُه من مرو.

وكان من أقران الجُنيد، ورُويم.

وذُكر في «التاريخ»[1]: حجَّ أبو أحمد القَلانسي سنةَ تسعين ومئتين، وماتَ في مكَّة بعد انصراف الحاجِّ بقليل.

قال أبو أحمد القَلاَنسي: كنتُ يوماً مع القوم، فقلتُ: هذا إزاري. فزجروني بسبب قولي إزاري.

قال شيخ الإسلام: الأدبُ بين الصوفية ألاَّ تقولَ: إزاري، أو نعلي، لأنَّ الصوفيَّ عندهم لا يَرى في مُلكه شيئاً إلاّ بالظاهر.

قال الشيخُ السيرواني: إذا قالَ الصُّوفيُّ: إزاري، أو نعلي فلا تنظروا إليه. يعني لا يكونُ لهم ملك.

لمَّا مرض أبو أحمد القلانسي، واحتُضر، قال: يا الله، إن كان لي قدرٌ عندك فيكون موتي بين المَنزلتين. فوقعتِ الضرورةُ، فحملوه في محفَّةٍ، وخرجوا به إلى مكانٍ آخر، فمات في الطريق.

* * *

(١١٠) أبو الغريب الأصفهاني(*)

أبو الغريب الأصفهاني، رحمه الله، كان من المحقِّقين، وذا كراماتٍ وآيات في العِشق، وكان واصلاً بعين الجمع، ونسبوه إلى الحلول.

وكان الشيخ أبو عبد الله بن خفيف يحبُّه، ويمزحُ معه.

وكان في شيراز فلمَّا حصلَ له اليأسُ من الحياة طلبَ جميعَ المُريدين، فلمَّا اجتمعوا قال: لي حاجةٌ بكم، أتقبلون؟. قالوا: نعم. قال: إن جاءَ أَجلي في هذه الديار فادفنوني في مقابر اليهود. فتحيَّرَ أصحابُه، وقالوا: أيشٍ هذا؟!.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١١٥.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٨٤.

فقال: دعوتُ الله إن كانَ لي قربٌ عندك فأمتني بطَرَسُوس، والآن إنْ متُّ هنا علمتُ أنّي ما لي عنده قربٌ ولا مَنزلةٌ. فبعد ذلك حصلتْ له آثارُ الصِّحة، وذهبَ إلى طَرَسُوس، ومات بها.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: اجتمعتُ بأبي الغريب في طَرَسُوس، فرأيتُ فخذيه من الوَرِك إلى ركبته مَجروحَيْنِ، يخرج منهما الدَّمُ والقيح، وكان حالٌ عجيب غريب، فسأله واحدٌ: كيف حالُك؟. فقال: حالي ما أبصرتم، لكنّي إلى الآن ما قلتُ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

* * *

(١١١) أبو عبد الله القلانسي (*)

أبو عبد الله القلانسي، قدّس الله سره، هو من كِرام القوم، وأجلُّ هذه الطائفة.

قال أبو عبد الله: في بعض السياحات كنتُ في السَّفينة، فهبَّتِ الريحُ، وجاء طوفانٌ عظيم، فأهلُها توجَّهوا إلى التضرُّع والدُّعاء والنذر، وقالوا: أنتَ، انذر. فقلتُ: أنا مجرَّدٌ من أسباب الدنيا، فأيش أنذر؟. فأكثروا الإلحاحَ عليَّ، فقلتُ: يا ربُّ، نذرتُ إنْ سلمنا من هذه البلية فما آكلُ لحمَ الفيل. قالوا: أيش هذا النذر، أيأكلُ أحدُكم لحمَ الفيل؟!. قلتُ: هكذا وقعَ في قلبي، وأجرى الله تعالى هذا على لساني.

فانكسرتِ السفينةُ، وأنا مع جماعة فوصلنا إلى ساحلِ البحر، ومرَّت علينا أيامٌ ما أكلنا شيئاً، وكنَّا جالسين، فرأينا دَغْفلاً[1]، فأخذوه، وذبحوه، وأكلوا لحمه، وقالوا لي: كُلْ. قلت: إني نذرت ما آكل لحم الفيل. فألحُّوا عليَّ، وقالوا: وقت الأضرار يجوزُ نقضُ العهد. فما قبلتُ كلامهم، فلمَّا أكلوا منه غلبَ عليهم النومُ، فرقدوا، فجاءتْ أمُّه قبلَ انتباههم، فشمَّتْ من كلِّ جانبٍ

(*) حلية الأولياء ١٠/ ١٦٠، الطبقات الصغرى للمناوي ١٥٩.

(١) الدَّغفل ولد الفيل. القاموس (دغفل).

حتى وصلتْ إلى عظامِ ولدها، فشمَّتْها، فجاءت إلى الجماعةِ تشمُّ أفواهَهم، فكلُّ من وجدت في رائحة فيه شيئاً من ولدها وضعتْه تحت رجلِها، وقتلته، ثم جاءتْ عندي، وشمَّتني فلم تجدْ رائحةً، فأمالتْ إليَّ وأشارتْ بالخرطوم، تعني: اركب على ظهري، فما فَهمتُ، فرفعت رجلَها، ففهمتُ مُرادَها، فركبتُ عليها، فأشارت إليَّ تعني: اركب مليح، فجلستُ، فمشتْ بي سريعاً، ووصلت إلى موضعٍ، فرأيتُ المزارع والسَّواد، فأشارت إلي، تعني: انزل، فنزلتُ، فرجعت أسرعَ من الأول.

فلمّا طلعَ الصبحُ رأيت ناساً كثيراً جاؤوا، وذهبوا بي إلى البيتِ وما أفَهمُ كلامَهم، فجاء التَّرجُمان، وسألني عن حالي، فقصصتُ القصَّةَ، فقالوا: أتعرفُ كم كانتِ المسافةُ من ذلك المكان إلى هنا ؟!. قلتُ: لا. قالوا: كانت مسافته ثمانية أيام، وجاءت بك الفيلةُ في ليلةٍ واحدةٍ.

* * *

(١١٢) أبو عبد الله بن الجلاء(*)

أبو عبد الله بن الجلاء، قدّس الله سره، من الطبقة الثانية، اسمه أحمد بن يحيى الجلاء، وقيل: محمد بن يحيى، والأول أصحُ، كان بغداديَّ الأصل، لكن جلسَ في الرَّملة ودمشق.

وهو من أجلِّ المشايخ، وكان من تلامذة أبي تُراب النَّخشبي، وذي النون المصري، وأبيه يحيى الجلاّء، وصحب أبا عُبيد البُسري في السفر، وكان أستاذ الدُّقي، وكان عالماً ومتورّعاً.

(*) طبقات الصوفية ١٧٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٤، تاريخ بغداد ٥/ ٢١٣، الرسالة القشيرية ٢٦، الأنساب ٣/ ٣٩٧، مناقب الأبرار ١٠٨/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٣، المنتظم ٦/ ١٤٨، المختار من مناقب الأخيار ٧٢/أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٢٢، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥١، العبر ٢/ ١٣٢، مرآة الجنان ٢/ ٢٤٩، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٣٩، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، طبقات الأولياء ٨١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠، طبقات الشعراني ١/ ٨٧، الكواكب الدرية ٢/ ٣٧، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٨.

رأى يوماً أبو الخير التيناتي أبا عبد الله بن الجلاّء يمشي في الهواء تحت السَّحاب، فصاح أبو الخير وقال: عرفتك. فردَّ الجواب: ما عرفتَ.

قال شيخ الإسلام: معرفةُ أبي الخير بالشخصية، وكلامُ أبي عبد الله في معرفة المقامَ والشرف.

قال شيخ الإسلام: قال أبو بكر الواسطي مع جلالته: رأيتُ رجلاً، ونصفَ رجلٍ، فالرجلُ التامُّ أبو أمية الماحوزي[1]، ونصفُ الرجل أبو عبد الله بن الجلاء. فقالوا للواسطي: لِمَ قلتَ رجلٌ تام، وقلتَ نصف رجل؟!. قال: أبو أمية الماحوزي ما أكل من يد المَخلوقين، **وكان يأكلُ ممّا ليس للمخلوقين فيه صنعٌ**، وابنُ الجلاء يأكلُ من مالِ رجل اسمه علي بن عبد الله القطان. وأبو بكر الواسطي لا يقبل أحداً لخفارته ولا لذاته، بل لعزَّةِ التوحيد في علمه.

سُئل أبو عبد الله بن الجلاء عن المحبّة، فقال: **ما لي وللمحبّة، أنا أُريد أن أتعلَّمَ التوبة.**

وسئل ابن جلاء: **متى يستحقُّ الفقيرُ اسمَ الفقر**؟. قال: **إذا لم يبقَ عليه من نفسه مطالبةٌ ظاهراً وباطناً.**

قال شيخُ الإسلام: ثلاثُ مئة نفرٍ دخلوا الباديةَ مع أبي تُراب النَّخْشَبي مع الركوة، فما بقيَ أحدٌ معه إلا اثنين: أبا عبد الله بن الجلاء، وأبا عُبيد البُسري[2].

* * *

(١١٣) أبو عبد الله الخاقاني الصوفي(*)

أبو عبد الله الخاقاني الصوفي، رحمه الله، كان من كبار الصوفية ببغداد.

قال جعفر الحذَّاء: كان صاحبَ كرامات.

---

(١) في الأصل الماجوري، والمثبت من اللباب ٣/ ١٤١.

(٢) كذا في الأصل: اثنين... أبا عبد الله... أبا عبيد.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

نُقل عن ابن القصَّاب الرازي، قال: كان لأبي دكَّانٌ في سُوق بغداد، وكنتُ قاعداً على بابِ دُكَّانه، فمرَّ شخصٌ، فظننت أنَّه من فقراء بغداد، وأنا ما وصلتُ في ذلك اليوم إلى حدِّ البلوغ، فمالَ طبعي إليه، فقمتُ، وسلَّمتُ عليه، وكان عندي دينارٌ، فأعطيته إيَّاه، فقبله ومشى وما التفتَ إليَّ، فتفكَّرتُ في نفسي، وقلتُ: ضيَّعتُ الدينار. فذهبت على إثره حتى وصلَ إلى مسجد الشُّونيزية، وكان فيه ثلاثةُ فقراء جالسين، فأعطى ذلك الدينارَ واحداً منهم، وقام إلى الصلاة، ومن أخذ الدينارَ خرجَ وأنا على إثره، فاشترى طعاماً، وجاء به عند الأصحاب، فأكلوه جميعاً إلاّ ذلك الرَّجلَ كان في الصلاة، فلمَّا فرغوا من الطعام التفتَ إليهم، وقال: أتعرفونَ الذي مَنعني من مُوافقتكم ؟. قالوا: لا، يا أستاذَنا. قال: شابٌّ أعطاني هذا الدينار، وأنا كنتُ أدعو له أن يُعتِقَه الله من رِقِّ الدنيا، فأعتقه.

قال ابنُ القصَّاب: فذهبتُ عنده بلا اختيارٍ، وجلستُ، وقلت: يا أُستاذي، هذا حقٌّ صحيح. وكان هو الشيخ أبو عبد الله الخاقاني الصوفي.

مات في سنة تسعٍ وسبعين ومئتين.

* * *

(١١٤) أبو عُبيد البُسري(*)

أبو عُبيد البُسري، قدّسَ اللهُ سرَّه، اسمه محمد بن حسان، من قدماءِ المشايخ

وصحبَ أبا تُراب النَّخشبي.

قال ابن الجلاّء: لقيتُ ستَّ مئة شيخٍ، فما رأيتُ منهم مثلَ أَربعةٍ: ذا النون

(*) الرسالة القشيرية ٢٨، ٢١٤، ٢١٦، الأنساب ٢/ ٢١٢، مناقب الأبرار ١١٧/أ، صفة الصفوة ٤/ ٢٤١، اللباب ١/ ١٥٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ٨٨، طبقات الشعراني ١/ ١٠٥، الطبقات الصغرى للمناوي ١٦٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٠ في (ح): أبو عبد الله.

المِصري، وأبا تُراب النَّخشبي، وأبا عُبيد البُسري، وأبا العباس بن عطاء، قدس الله تعالى أرواحهم.

قال بعضُ أصحاب أبي عُبيد البُسري: إنه كان مَشغولاً بأمرٍ حتى ما بقي للحجِّ إلاّ ثلاثةُ أيام، وجاء رجلان من هذه الطائفة، وقالا: يا أبا عُبيد، نحجُّ؟. قال: لا. ثم التفتَ إليَّ، وقال: شيخُك ـ وأراد نفسه ـ أقدرُ منهما. يعني طيَّ الأرض.

وقيل: كان إذا جاء شهرُ رمضان يدخلُ أبو عُبيد في بيتٍ، ويُوصي أهلَه: سُدُّوا بابَ خلوتي. فيسدُّون بابَه إلاّ خوخةً صغيرةً، كلَّ ليلةٍ يُعطونه قرصاً، وفي يوم العيد فتحوا بابَ الخلوة، فوجدوا فيها ثلاثين قرصاً، فكانَ لا يأكلُ ولا يشرب ولا ينام، وكان يُصلِّي الصلاةَ على طهارةٍ واحدةٍ رمضانَ كلَّه.

وقيل: ذهبَ أبو عُبيد إلى الغزو، وركبَ على مُهْرٍ، فبقضاء الله خرَّ ذلك المهرُ ميتاً، فقال أبو عبيد: يا الله، أعطني هذا المُهرَ بالعارية حتى أصلَ إلى بُسرى[1]، فقامَ حيّاً، فلمَّا فرغَ من الغزو، ووصل بسرى، قال لابنه: أنزلْ سرجه. فقال ولده: هو عرقان. فقال له: أنزله؛ فإنه عاريةٌ عندي. فلمّا رفعَ السرجَ خرَّ ميتاً.

قال أبو عبيد: النِّعمُ طردٌ، فمن رضي بالنِّعم فقد رضي بالطردِ. والبلاءُ قُربةٌ، فمن ساءه البلاءُ فقد أحبَّ تركَ القُربة، والتقرُّبَ إلى الله.

وقيل: كان أبو عبيد جالساً بدمشق مع أصحابه، فمرَّ راكبٌ عليه، ومعه عبدٌ حامل الغاشية على كتفه، وكان غضبانَ من جهده، فلمَّا قربُ من أبي عبيد وأصحابه، قال الغلام: اللَّهُمَّ، أعتقني، وأرحني منه. ثم توجَّه إلى أبي عبيد، وقال: يا شيخ، ادعُ لي. فقال أبو عبيد: اللَّهُمَّ، أعتقه من النَّارِ، ومن الرِّقِّ. فبالفور رمى المركوبُ راكبَه، فالتفتَ [السيد] إلى الغلامِ، وقال: أعتقتُكَ خاصةً لوجه الله. فقال الغلام: يا خواجه، أنت ما أعتقتني؛ بل أعتقوني هذه

---

(١) في الأصل: البصرة. والمثبت من المطبوع.

الجماعة. وأشار إلى أبي عُبيد وأصحابه، واختارَ صحبتَه، وكان معه حتى مات.

في يوم جاءَ ولد الشيخ عنده، وقال: يا أبي، كان لي جرَّةٌ مملوءةٌ سمناً فانكسرتِ الجرَّةُ، وضيَّعْتُ رأسَ مالي. فقال: يا ولدي، اجعلْ رأس مالك رأسَ مال أبيك، والله، ما كان لأبيك رأسُ مالٍ من الدنيا والآخرة غيرَ الله تعالى.

* * *

(١١٥) أبو عبد الله السجزي(*)

أبو عبد الله السِّجزي، رحمه الله تعالى، من الطبقة الثانية، من أكابر مشايخ خراسان، وفتيانهم.

صحب أبا حفص، وقطعَ المسافةَ كثيراً بالتوكل.

قال أبو عبد الله: **علامةُ الأولياء ثلاثةٌ: تواضعٌ عن رفعة، وزهدٌ عن قُدرة، وإنصافٌ عن قوة.**

وأيضاً عنه قال: كلُّ واعظٍ لا يخرجُ من مجلسه الغنيُّ فقيراً، ولا الفقيرُ غنياً، ليس واعظاً.

وأيضاً عنه قال: صحبةُ الصلحاء، والاقتداء بهم في الأفعال والأخلاق، وزيارةُ قبور الأولياء، والقيامُ في خدمة الفقراء والمحبِّين، تكونُ أنفعَ للمريدين(١).

سُئل أبو عبد الله: لم لا تلبسُ مُرقَّعات الصوفية؟. قال: من النِّفاقِ أَنْ ألبسَ لباسَ الفتيان ولا أحملُ أثقالهم. فقالوا: ما الفتوة؟. فقال: اعتذرْ

(*) طبقات الصوفية ٢٥٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠، الرسالة القشيرية ١٧٢، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، الطبقات الصغرى للمناوي ١٥١، ١٦٠.

(١) في طبقات الصوفية ٢٥٥: أنفع شيء للمريدين صحبة الصالحين....

للخلق مِمّا يجري عليهم، واجعلِ التقصيرَ من نفسك، وأشفقْ على خلقِ الله، إن كان صالحاً أو فاجراً، وكمالُ الفتوة ألا يشغلَكَ الخلقُ عن الحقِّ.

قال له واحدٌ: عندي دينارٌ أحمرُ، وأريدُ أن أعطيكه، كيف تكونُ المصلحة؟. قال: إن تُعطيني فلك الفضلُ، وإن لم تُعطِ لي فلي الفضل.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: خرجتُ مع أبي عبد الله السِّجزي من طرابلس، ومشيتُ أياماً ما أكلتُ شيئاً، فرأيتُ قطعةً من الدُّباء في الطريق، فشلتُها لآكلها، فرآني الشيخُ، ففهمتُ أنَّه ما أعجبَهُ، فرميتُها، فبعده جاء الفتوحُ، وكان خمسةَ دنانير، فوصلتُ إلى قريةٍ، وجاء في خاطري: عسى أن يشتريَ طعاماً. فمضى من تلك القرية، وما اشترى شيئاً، فقال: يحتملُ أنَّك تقول: أنا ماشياً، وجائعاً[1]، وما اشترى شيئاً. فهنا قريةٌ فيها صاحبُ عيالٍ، فإذا وصلنا تلك القريةَ نُعطيه إيَّاها، وهو يشتغلُ لنا. فلمَّا وصلنا القريةَ أعطاه الدَّراهم، فأنفقها، فلمّا خرجنا من القرية، قال لي: أين تذهب؟. قلت: أكونُ رفيقَكَ. قال: أنا ما أُريد رفقتَك، لأنه قد وقعَ منك الخيانةُ في قطعة الدُّباء، وتُريدُ المصاحبة؟!. ففارقتُ صحبتَه.

* * *

(١١٦) أبو عبد الله الحصري(*)

أبو عبد الله الحصري، رحمه الله، من أهل البصرة، وهو من قدماء المشايخ، وكان من تلامذة الموصلي.

يقول: سمعتُ فتحاً الموصلي يقول: صاحبتُ ثلاثين شيخاً، كانوا يُعدوّنَ من الأبدال، كلُّهم أوصوني عند فِراقي إيَّاهم، فقالوا: إيّاكَ ومعاشرةَ الأَحداث.

* * *

---

(١) كذا في الأصل.

(*) اللمع ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٩٤، ٣٣٢.

(١١٧) جعفر المُبرقع(*)

جعفر المُبرقع، رحمه الله تعالى، كان من علماء مشايخِ هؤلاء القوم.

ذكر أبو عبد الله الحُصري، أنَّه سمعه يقول: منذ ثلاثين سنة أطلبُ من يقول: (الله) في تحقيق هذا الاسمِ فلم أجده.

* * *

(١١٨) علي بن بُنْدار الصيرفي(**)

علي بن بُنْدار بن الحسين الصيرفي، رحمه الله، من الطبقة الخامسة، كنيتُه أبو الحسن، وهو من أَجلّة المتأخّرين، وأَجلُّ مشايخ نيسابور، وكان مقبولاً عند المشايخ، ومرزوقاً من صحبتهم.

صحب: في نيسابور أبا عثمان الحيري، ومحفوظاً، وفي سمرقند محمد بن الفضل البلخي، وفي بلخ محمد بن حامد، وفي جُوزجان أبا علي الجوزجاني، وفي الرَّيّ يوسف بن الحسين، وفي بغداد الجُنيد، ورُويماً، وسمنون، وابن عطاء، والجُريري، وفي الشام طاهراً المقدسي، وابن الجلاّء، وأبا عمرو الدمشقي، وفي مصر أبا بكر المصري، وأبا بكر الدَّقاق، وأبا علي الرُّوذباري.

وزار المشايخ في أكثر البلاد، وكان كثيرَ الحفظ للحديث، وثقةً فيه.

مات في سنة تسعٍ وخمسين وثلاث مئة.

ويوم اجتمع علي بنُ بُندار مع أبي عبد الله بن خفيف على جسرٍ ضيِّق، فقال

(*) اللمع ٢٨٧، ٣٣٢.

(**) طبقات الصوفية ٥٠١، مناقب الأبرار ٢١٢/ب، المنتظم ٧/ ٥٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٩/ب، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٩، طبقات الأولياء ١٣٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢٤، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٤.

الشيخُ أبو عبد الله له: تقدَّمْ. وقال أبو الحسن: بأيِّ سببٍ أتقدَّمُ عليك ؟. قال أبو عبد الله: أنت اجتمعتَ مع الجُنيد، وأنا ما رأيته.

قال شيخ الإسلام: أكبرُ النسبة لهذه الطائفة الرُّؤيَةُ للشيوخ وصحبتهم.

قال علي بن بُندار: **دارٌ أُسست على البلوى بلا بلوى مُحال.**

وأيضاً عنه قال: **تطلبُ الحقَّ بالهوينا، وإنَّما وجودُ الحقِّ بطرح الدارين.**

وأيضاً عنه قال: ابتعدْ من مُخالفة الخلق، وكنْ راضياً عن الإخوان الذين رضي الله تعالى بعبادتهم.

وأيضاً عنه قال: ابتعدْ عن الاشتغالِ بالخَلْق، لأنَّ الاشتغالَ بهم في هذه الأيام ليس فيه نفع.

وأيضاً عنه قال: دخلتُ دمشقَ، وبعد ثلاثة أيام دخلتُ على أبي عبد الله بن الجلاء، قال: متى وصلتَ ؟. قلتُ: منذ ثلاثة أيام. قال: في هذه الأيام أينَ كنتَ، لأيشٍ ما جئتَ ؟. قلتُ: كنت أكتبُ الحديثَ عند ابن جَوْصا[1]. قال: **شغلَكَ الفضلُ عن الفَرْضِ.**

قال شيخ الإسلام: رؤيةُ المشايخ فرائضُ القوم؛ لأنَّهم في رؤيتهم يجدون شيئاً لا يجدونه في غيرهم، وفي الحديث: **«مرضت فلم تعدني...»** الحديث[2].

---

(١) ابن جوصا: أحمد بن عمر بن يوسف، أبو الحسن الدمشقي، مولى بني هاشم، إمام حافظ محدث الشام، سمع بمصر والشام، وجمع وصنف، وتكلم على العلل والجرح والتعديل، توفي سنة ٣٢٠. تذكرة الحفاظ ٣/ ١٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢٥٦٩) في البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده...» ورواه أحمد (٨٨٧٤) عن أبي هريرة أيضاً.

وأيضاً قال شيخ الإسلام: قلت: يا الله، ما هذا [الذي] عملتَ مع المحبّين ؟، من طلبَهم وجدَك، ومن لم يَرِكَ لا يعرفهم. وأنشدنا لنفسه:

صيَّـــرتَنـــي مِــرآةَ مـــن يبغيـــك مـــن يـــرنـــي يَـــرَكْ

والله يقول: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٨].

وكلامُ الفتيان مع الفتيان: ينبغي للفتى [أن يتحقق] حتى يُبصرَ الفتى، ومن رأى الفتى ما رأى الفتى، بل رأى الحقَّ؛ لأنَّه حصلَ له مطلوبه، مرةً يفنى[1] الوجودُ للوجود؛ لأنَّ الحقَّ يُخلِّص العبدَ من يد العبد، ويبدو لنفسه بهذه الحيلة على بصيرةِ القوم، حتى يفرحَ البصرُ برؤيته، ثم تذهبُ الحقيقةُ، ويرجع الوجود؛ لأنَّ الوجودَ لا يبقى مع الوجود، ويحتملُ أن تكونَ الفتنةُ للوجود من الوجود، أي بقدرِ ما تنقُص الحيلةُ تزيدُ الحقيقة، فكلّما زالتِ الحيلةُ بالمرة تنزَّلت الحقيقة، وليس للإنسان استحقاقٌ لهذه الأعمال، لأنَّ الله تعالى فتحَ بصيرةَ واحدٍ على الحيلة، وآخرُ فتحَ اللهُ بصيرته على الحقيقة، والمدارُ على الحقيقة، وليست القيمةُ للحيلة.

كان لعليِّ بن بندار ولدٌ اسمه محمد، نجيب ابن نجيب، وكان عزيزاً، عارفاً ابنَ عارف وكان نادراً.

قال شيخ الإسلام: رأيتُ بخط محمد بن بندار في كتاب، قال: قال الواسطي: ما كان عند هذه الطائفة من الأعمال والعلم والكلام كلِّه يوجدُ في هاتين الآيتين: إحداهما: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنعام: ٩٩] والأُخرى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [الأعراف: ٥٨].

قال شيخ الإسلام: عرفته بهذه الآية.

* * *

(١) في المطبوع: مرة يضيء.

(١١٩) محمد بن الفضل البلخي(*)

محمد بن الفَضل البَلخي، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، كنيتُه أبو عبد الله، كان بلخيَّ الأصل، والمتعصِّبون أخرجوه من بلخٍ بلا جُرم، بسبب المَذهب، فلمَّا أخرجوه توجَّهَ إلى المدنِ، فدعا عليهم بالشرِّ.

قال شيخ الإسلام: من بعد هذا ما ظهرَ صوفيٌّ من بلخ.

فعزمَ إلى سمرقند، ونصَّبوه بمنصب القضاء، فعزمَ على الحجِّ، فلمَّا وصلَ إلى نيسابور طلبوا منه المجلسَ، فقعدَ على الكرسيِّ، فقال: الله أكبر، ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]. ثم نزل من الكرسي، ورجعَ إلى سمرقند، فماتَ بها سنة **تسعَ عشرَة وثلاث مئة**.

كتب أبو عثمان الحيري إليه: ما علامةُ الشَّقاوة؟. قال: ثلاثةُ أشياء: يُعطي لأحدٍ علماً وما يُعطيه توفيقَ العمل، ويُعطي لأحدٍ توفيقَ العمل ولا يُعطيه الإخلاصَ، وييسِّرُ له صحبةَ أولياء الله ولا يُعطيه احترامَهم وإكرامهم.

وقال أبو عثمان: محمد بن الفضل سِمسار الرِّجال. يعني: نقَّاد الرجال.

قال شيخ الإسلام: قال أبو بكر الواسطي: ما كان أحدٌ مثلَه في الكلام، يتكلَّمُ الكلامَ، ولا ينقلُ من غيره إلاَّ قليلاً، ومنها هذا: قال: قال محمد بن الفضل: الذي بوجودِهِ يُستحسنُ كلُّ شيءٍ حسن، وبلا وجودِهِ يُستقبَح كلُّ قبيحٍ، هو الاستقامة.

قال شيخ الإسلام: كلامُه حسن، ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢].

(*) طبقات الصوفية ٢١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢، الرسالة القشيرية ٢٧، مناقب الأبرار ١١١/ب، صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، المنتظم ٦/ ٢٣٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٦/ب، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٢٣، العبر ٢/ ١٧٦، مرآة الجنان ٢/ ٢٧٨، الوافي بالوفيات ٤/ ٣٢٢، البداية والنهاية ١١/ ١٦٧، طبقات الأولياء ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣١، طبقات الشعراني ١/ ٢٨٨، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٢.

وقال واحد للمصطفى ﷺ: أوصني. قال: «قلْ آمنت بالله، ثم استقم»[1].

وقال محمد بن الفضل: عجبتُ من الذين يُسافرون في الوادي والبر والبحر حتى يَصلوا بيتَ الله، ويرون هناك آثارَ الأنبياء، لِمَ لا يقطعونَ وادي النَّفسِ والهوى ويتَّصلون بالقلب ويُبصرون آثار ربِّهم ؟!.

وأيضاً عنه قال: إذا رأيتم المُريدَ في ازدياد الدنيا فهذا علامةُ الإدبار.

وأيضاً عنه قال: **أعرفُ الناسِ بالله أشدُّهم مُجاهدة في أوامره، وأَتبعُهم لسُنَّةِ نبيِّه**. فمن كان قريباً من الله تعالى يكونُ حريصاً على امتثال أوامره، ومن كان بعيداً من الله يكونُ مُعرضاً عن سنة رسول الله ﷺ.

وسُئل عن الزهد، فقال: من نظرَ بالنُّقصان والتَّصغير للدنيا وأَعراضِها عاشَ مُعزَّزاً مكرَّماً.

* * *

(١٢٠) محمد بن علي الترمذي(*)

محمد بن علي الحكيم التِّرمذي، قدَّس الله سرَّه، من الطبقة الثانية، كنيتُه أبو عبد الله. وهو من كبار المشايخ.

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٣٨) في الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يارسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «قل آمنت بالله فاستقم»، ورواه الترمذي (٢٤١٠)، وابن ماجه (٣٩٨٢) والدارمي (٢٧١٠).

(*) طبقات الصوفية ٢١٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٣، الرسالة القشيرية ٢٩، كشف المحجوب ٣٥٣، مناقب الأبرار ١٢١/أ، الأنساب ٣/ ٤٢، صفة الصفوة ٤/ ١٦٧، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٢/ب، المستفاد من تاريخ ذيل بغداد لابن النجار ١٠٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٩، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤٥، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة (٦٣٦)، طبقات الشافعية ٢/ ٢٤٥، طبقات الأولياء ٣٦٢، لسان الميزان ٥/ ٣٠٨، طبقات الشعراني ١/ ٩١، طبقات الحفاظ ٢٨٢، الكواكب الدرية ٢/ ١٣٠، مفتاح السعادة ٢/ ٣٠٩، شذرات الذهب ٢/ ٢٢١.

صحب أبا تُراب النَّخشبي، وأحمدَ بن خضرويه، وابن الجلاّء.

وكان صاحبَ الأحاديث، وله كراماتٌ ظاهرة، وتصانيفُ في كلِّ علمٍ، منها: «ختم الولاية»[1] وكتاب «المنهج»[2] و «نوادر الأصول» وغيرها، وفي علوم الظاهر أيضاً له تصانيفُ، وابتدأ في تفسير القرآن، فمات قبل أن يوفّيه.

وكان له مصاحبةٌ مع الخضر عليه السلام.

روى أبو بكر الورّاق: كلُّ يوم أحدٍ يَجيءُ عنده الخضرُ عليه السلام، ويكونُ بينهما كلامٌ ومُذاكرة في الوقائع.

وقال صاحب «كشف المحجوب»[3]: هو كان عظيمَ الشأن عندي حتَّى قلبي صارَ صيدَه، وقال: شيخي محمدٌ هو الدُّرةُ اليتيمة، لا يكونُ مثلُه في العالم.

وعنه أيضاً، قال: ما صنَّفتُ حرفاً من تدبير، ولا يَنتسبُ إليَّ شيءٌ منه، ولكن إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلّى به.

وأيضاً عنه قال: من جهلَ بأوصاف العبودية، فهو بأوصافِ الرُّبوبية أجهل.

وأيضاً عنه قال: حقيقةُ الحبِّ مع الله دوامُ الأُنس بذكره.

وسُئل عن صفة الذَّات والفعل، فقال: كلُّ ما يحتملُ الزِّيادةَ والنقصان فهو من صفات الفِعل، وكلُّ ما لا يقع عليه الزيادةُ والنقصان فهو من صِفات الذات.

وسُئل عن الإيثار، فقال: اختيارُ حظِّ غيرك على حظِّ نفسك.

وقال في اليقين: استقرارُ القلب على الله تعالى، وعلى قوله، وأمره.

وقال في الشُّكر: الشُّكر تعلُّقُ القلبِ بالمُنعم.

---

(١) طبعه معهد الآداب الشرقية ببيروت، تحقيق عثمان يحيى.

(٢) في المطبوع، وكشف المحجوب: النهج.

(٣) كشف المحجوب ٣٥٣، والعبارة فيه: وهو معظم لدي جداً؛ لأن قلبي صيد له.

كان الخواجه بهاء الحقِّ والدين محمد البخاريُّ المعروف بنقشبند، قدَّسَ اللهُ سرَّه، كان إذا حكى عن بدايةِ أحواله وسلوكه، وأثرِ توجُّهات أرواح المشايخ الطيِّبة، يقول: لمَّا توجَّهتُ بروحانية قُدوة الأولياء، الخواجه محمد بن علي الحكيم الترمذي، فأثرُ ذلك التوجُّهِ كان بلا وصفٍ محضٍ، أيُّ قدرٍ كان التوجُّه والسير ما وجدتُ فيه أثرَ وصفٍ.

قال المشايخ: أحوالُ أولياء الله مُختلفة، بعضُها بلا وصفٍ ولا تعيين، وبعضُها موصوفٌ بصفة، مثلاً يقولون: فلانٌ أهلُ المعرفة، أو أهلُ المعاملة، أو أهلُ المحبة، أو أهلُ التوحيد. وكمالُ الحال، ونهايةُ الدَّرجات لأولياءِ الله أن يكونوا بلا صفةٍ ولا تعيين.

وقالوا: انعدامُ الصفةِ علامةُ كشفِ الذات، وهو مقامٌ رفيعٌ، ودرجةٌ شريفة، فالعبارات والإشارات عن كُنه تلك المَرتبة قاصرة.

* * *



(١٢١) علي بن بكار(*)

علي بن بكّار، قدّس الله روحه، كُنيتُه أبو الحسن، وهو من قدماء المشايخ.

صحبَ إبراهيم بن أدهم، وسكن المَصيصة[1] مُرابطاً.

يُقال: كان إذا جنحَ الليلُ، وجاءتْ جاريته، وفرشت الفِراش، يمسُّه ثم

(*) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٩٠، التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ٢٦٢، الجرح والتعديل ٦/ ١٧٦، الثقات لابن حبان ٨/ ٤٦٣، حلية الأولياء ٩/ ٣١٧، صفة الصفوة ٤/ ٢٦٦، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٨/ ب، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٨، تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٣٠، سير أعلام النبلاء ٩/ ٥٨٤، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٦، الكواكب الدرية ١/ ٣٧٨، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٥٦.

(١) المَصيصة: مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، رابط بها الصالحون، وبها بساتين كثيرة. معجم البلدان.

يقول: والله، أنت بغاية الحُسن واللِّينة، والله الذي خلقني، أنا ما أرقد[1] أن أنامَ عليك هذه الليلة، والله الذي خلقني، ما أرقد عليك هذه الليلة. ويُصلّي صلاةَ الصُّبح بوضوء العَتَمة.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: ذهبتُ إلى عليِّ بنِ بكار وهو ينقّي الشعير للفرس، فقلت: يا أبا الحسن، أليسَ عندك خادم حتى تَخدم هذه الخدمة ؟!. قال: كنتُ في بعض الغزوات، فهربَ عَسكرُ المسلمين، وأنا كنت معهم، فضعفتْ فَرسي من المشي، فقلت: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون**. قال الفرس: **إنّا لله وإنّا إليه راجعون**، هذا من أثرِ أمرك لجاريتك بتعهّدي. فعاهدتُ الله ألاّ أولّي أحداً خدمة الدواب، وأقوم بها.

ويُحكى عنه أنّه خرج يوماً مع الرَّفيق[2] للحطب، ثم تفارقا، ورفيقُه كان ينتظره، وما جاء، ثم ذهب إليه فرآه جالساً متربعاً، وسَبُعٌ نائمٌ على حِجره، وهو يطرُد الذباب عنه، فقال رفيقُه: إلى متى تَجلس ؟. قال: السَّبُع راقدٌ على حِجري، حتى ينتبه أجيء إليكم.

* * *

(١٢٢) أبو عبد الله العبّاداني(*)

أبو عبد الله العباداني، رحمه الله، كان من خاصَّة تلامذة سهل بن عبد الله التُّستري.

قال أبو عبد الله: كنت أسمعُ كلام الشبلي، وكنتُ متمنٍّ زيارته، فلمّا مات أبي ذهبتُ إلى بغداد، ودخلتُ على الشبلي، فرأيتُ أقواماً يخرجون من عنده وعرفوني، فقالوا: لأيِّ حاجةٍ جئت ؟. قلت: لزيارة الشبلي، هل يجوزُ أن أدخلَ عنده ؟. فقالوا: ادخل، لكنْ بترك الدَّعوى. قلتُ: أجل.

---

(١) في المطبوع: ما أقدر.

(٢) في (ص): الرقيق. ورفيقه هو أبو إسحاق الفزاري. انظر الكواكب الدرية ١/ ٣٧٨.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

فدخلت عليه وكان ذلك اليومُ يومَ الجمعة، يوم صدمته وعظمته[1] وشوكته. قلتُ: السلام عليكم. قال: وعليك السلام، أيش أنت أبادَكَ الله؟. وكان عادته يتكلّمُ بهذه الكلمة، قلتُ: أنا النقطة التي تحت الباء. قال: اعرفْ مقامَك، فأين أنت؟. قلت في نفسي: إن رددتُ جواباً آخرَ لا يقبله. فبعدْتُ عنه، وكنتُ أتمنّى أن أُشبعَ نظري برؤيته، فوقفت مكاناً حتى لا يراني، وأنا أُبصره، فدخلَ عليه صوفيٌّ وقال: سلامٌ عليك. قال الشبلي: وعليك السلام، أيش أنت أَبادَكَ الله؟. فرد جوابه: محال[2]. فقال الشبلي: من أيِّ شيءٍ أنت؟. قال: في حالٍ. فأعجبَ الشبليَّ كلامُه، فضحك، فرجعت من عنده بهذه الفائدة.

* * *

(١٢٣) أبو عبد الله الحضرمي(*)

أبو عبد الله الحضرمي، رحمة الله عليه.

قال المُرتعش: سألتُ أبا عبد الله الحضرمي مسألةً في التصوف، وما تكلّم[3] مع أحدٍ إلى عشرين سنة، فردَّ لي جواباً من كلام الله، قال: ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قلتُ: كيف صفتُهم؟. قال: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٣]. قلت: فأين محلُّهم في الأحوال؟. قال: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥]. قلتُ: زدني. قال: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

* * *

---

(١) في المطبوع: الجمعة، فصدمتني عظمته.

(٢) في المطبوع: بحال.

(*) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٤، الطبقات الصغرى للمناوي ١٥٤.

(٣) في المطبوع: سألت أبا عبد الله الحضرمي عن الصوفية، [وقد كان] ما تكلّم.

(١٢٤) أبو عبد الله السالمي البصري(*)

أبو عبد الله السَّالمي، رحمه الله، اسمه [محمد بن][1] أحمد بن سالم البصري، وكان في البصرة ثلاثين، أو ستين سنة، مُصاحب التُّستري، ومن تلامذته، وأخذ عنه الطريقة.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله السالمي: الله تعالى ناظر في الأزل على جميع الأشياء. فهجروه بسببِ هذا الكلام.

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: يلزمُ من هذا الكلام قِدم الدَّهر.

قال شيخ الإسلام: الشيخُ أبو عبد الله بن خفيف ما أنصفه، يُمكن أن يكونَ مرادُه بالرؤية معنى العلم.

سُئل أبو عبد الله السالمي: بأيِّ شيءٍ يُعرفُ أولياءُ الله بين الخلائق؟. قال: بلطافة اللِّسان، وحُسنِ الأخلاق، وطراوةِ الوجه، وسخاءِ النفس، وقلَّةِ الاعتراض، وقبولِ العذر ممَّن يعتذر عندهم، والشفقةِ على جميع الخلائق أخيارِهم وأشرارهم.

وأيضاً عنه قال: منَّةُ الرؤية مفتاحُ المحبَّة[2].

* * *

(١٢٥) أبو طالب المكي(**)

أبو طالب محمد بن علي بن عَطية الحارثي المكّي، رحمه الله، هو صاحب

(*) طبقات الصوفية ٤١٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٨، الأنساب (السالمي)، اللباب ٢/ ٩٣، مرآة الجنان ٢/ ٣٧٣، طبقات الشعراني ١/ ١٣٦.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من مصادر ترجمته.

(٢) في طبقات الصوفية ٤١٦، والحلية ١٠/ ٣٧٩: رؤية المنة مفتاح التودد.

(**) تاريخ بغداد ٣/ ٨٩، الأنساب ١١/ ٤٦٣، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٣، اللباب ٣/ ٢٥٣، المنتظم ٧/ ١٨٩، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٦، العبر ٣/ ٣٣، ميزان الاعتدال =

«قوت القلوب»[1] مجمعُ أسرار الطريقة، قالوا: لم يُصنَّفْ في الإسلام مثلُه في دقائق الطريقة.

نشأ في مكّة أشرفِ بقعةٍ على وجه الأرض، ثم دخلَ البصرة، وقدمَ بغداد، وتُوفِّي بها، في جُمادى الآخرة سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مئة.

ونسبته في التصوف إلى الشيخ العارف أبي الحسن أحمد بن محمد أبي عبد الله بن أحمد بن سالم البصري، وانتسابُ الشيخ أبي الحسن إلى أبيه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم، وانتساب أبيه إلى سهل بن عبد الله التُّستري، قدّس الله أسرارهم.

* * *

(١٢٦) أبو عبد الله الهمذاني[*]

أبو عبد الله الجُوباري[2] الصوفي الهمذاني، رحمه الله، هو من كبارِ مشايخ جُوبارة، اسم قريةٍ بثغر الروم، وهو الذي عاهدَ مع الله: أيُّ شيءٍ ينفرُ منه لا آكله[3].

كان مرةً في مسجد الشُّونيزية، فحضر الطعام، فنفرَ قلبُه من الطعام، وأبى

= ٣/ ٦٥٥، الوافي بالوفيات ٤/ ١١٦، مرآة الجنان ٢/ ٤٣٠، البداية والنهاية ١١/ ٣١٩، العقد الثمين ٢/ ١٥٨، لسان الميزان ٥/ ٣٠٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٧٥، شذرات الذهب ٣/ ١٢٠.

ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل، سكن مكة فنسب إليها.

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. قال الخطيب في تاريخ بغداد ٣/ ٨٩: ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات، وكذا ذكر الذهبي في ميزان الاعتدال. وقد طبع أكثر من مرة.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في الأصل جاوباره.

(٣) في المطبوع: وهو الذي عاهد الله [فقال: أعاهد الله على أن] أي شيء ينفر منه قلبي لا آكله.

أن يأكله، فالمحبُّون[1] قالوا: أنت تُخالف الأصحابَ في جميع الأوقات، كُلْ شيئاً يسيراً. فأكل، وبات في المسجد، فاحتلم، فرأى في تلك الليلة في المنام قائلاً يقول: تأكلُ شيئاً نفرَ قلبُك منه؟، أفلا تعلمُ أنَّه يَنزلُ عليك البلاء؟.

وقال أيضاً: سألتُ الشيخ أبا بكر الزقّاق المصري: مع من أصحب؟. قال: من إذا قلتَ عنده شيئاً ممّا يعلَمُه الله منك لا يَنفرُ عنك، ولا يقطعُ صحبتَكَ.

قال شيخ الإسلام: بعد رؤية العيب تجوزُ الصُّحبة، لأنَّ الإنسانَ مجرى العيب، ومن صحبَ لرؤيةِ الحسنات، ثم رأى العيَب، فنفر عنه، وقطعَ صحبته لا يعدّونه صحبةً، بل الصُّحبةُ بعد رؤية العيب، إلا أن يكون عيبَ دينٍ وبدعة، فالإغماض عنه مُداهنةٌ في الدين إلاّ لضرورة، لأنَّ الإنسانَ لا يكون معصوماً من العيب والذنب؛ لأنَّهُ كفورٌ وجهولٌ وظلوم.

قال الإمام الشافعي: من داهنَكَ لا يكونُ مُحبّاً لك.

قال شيخ الإسلام: الاحتياجُ في المصاحبة إلى الاعتذارِ عن الذَّنبِ والخطأ، والشُّكرِ على الإحسان والإصابة لا يعدُّونه صُحبةً، ولا محبَّةً.

سأل واحدٌ يحيى بن معاذ: من أصحبُ؟. قال: اصحبْ من إذا مرضتَ يَعودُك، وإذا رأى منك الذَّنبَ أو العيبَ يعذرُك.

ومن شرائطِ الصُّحبة أن تُعطي له حقَّ الصحبة، ولا تطلبُ منه حقَّ الصحبة، وانظرْ عيبَ نفسك، ولا تنظرْ إلى عيبه؛ بل اعتذرْ عنه، وانظرِ الخلقَ مجبوراً ومضطراً ومقهوراً تحت قضائه وقدره تعالى حتى ترفعَ الخصومة، وألزمْ نفسك الضمان[2] ولا تعتذر.

أرسل الأميرُ كافور للشيخ أبي عبد الله الجُوباري دراهمَ كثيرة، فما قبلها؛ لأنَّه عسكريٌّ، فقال كافور: يا بارد، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦]، فأين كافور؟!.

---

(١) في المطبوع: فالحاضرون.

(٢) في المطبوع: الصمت.

قال شيخ الإسلام: كلامُ كافور أحسنُ من أفعاله، وكان ذلك من بركةِ الشيخ.

ذُكر عند أبي علي بن الكاتب: فلانٌ لا يقبلُ شيئاً من أهلِ العسكر، وفلانٌ يقبلُ من أهل العسكر. فقال: عدم قبوله من العلم، وقبوله من العين.

قال شيخ الإسلام: بعضُ المشايخ فعلوا كذا، وكان يصحُّ له من العين، ولمّا كانوا بالعلم ما فعلوه، وذلك نادر، ومن له الأحوالُ لا يَرى الحُسن والقبيح، والراحة والنقمة[1] والبلاء إلاّ من الله، فلا يَجيءُ في نظره إلاّ هو، لكن لمن لا يكون له هذا النظر، ويفعلُ ما فعل أهل البَصيرة، فاللهُ تعالى يَكشفُ سِتره، وينقلبُ الدِّينُ والشريعة على رأسه. **أعاذنا الله وجميعَ المسلمين من ذلك.**

* * *

(١٢٧) أبو بكر الورّاق الترمذي(*)

أبو بكر الورّاق الترمذي، قدّس الله سره، من الطبقة الثانية، اسمه محمد بن عمر الحكيم الترمذي، كان أصلُه من ترمذ، وقبره هناك، لكن كان في بلخ.

وهو خالُ أبي عيسى الترمذي صاحب «المُسند»[2]، وصحب أحمد بن خضرويه.

له تصانيفُ كثيرةٌ، وقرأ التوراة، والإنجيل، والزبور، وأكثر الكتب السماوية، وله ديوان شعر.

قال أبو بكر: إنْ يُسأل الطمعُ: من أبوك ؟. يقول: الشَّكُّ في المقدورُ.

---

(١) في المطبوع: النعمة.

(*) طبقات الصوفية ٢٢١، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥، الرسالة القشيرية ٢٩، مناقب الأبرار ١٢٣/أ، الأنساب ٣/ ٤٥، صفة الصفوة ٤/ ١٦٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٦/أ، طبقات الأولياء ٣٧٤، طبقات الشعراني ١/ ٩١، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٣.

(٢) كذا في الأصول، وهو صاحب السنن. المسمى «الجامع الصحيح».

وإن يُسأل: ما حرفتُكَ ؟. يقول: اكتسابُ الذُّلّ والفضيحة. وإن يُسأل: ما غايتُك ؟. يقول: الحرمان.

وكان أبو بكر الوراق يمنعُ أصحابَه عن الأسفار والسياحات، ويقول: مفتاحُ كلِّ بركةٍ الصبرُ في موضع إرادتك إلى أن تصحَّ لك الإرادة، فإذا صحَّت لك الإرادةُ فقد ظهرَ عليك أوائلُ البركة.

قال شيخ الإسلام: من يختارُ السفرَ في هذه الأيام عزمَ على ترك الصلاة، وترك المذهب، وخرجَ عن عِصمة الحقِّ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وأيضاً قال أبو بكر الورّاق: الناسُ على ثلاثة أنواع: أحدُها الأمراء، وثانيهم العلماء، وثالثهم الفقراء، فحين يبطلُ الأمراء يُعطّل المعاشُ والاكتساب والرغبة، وحين يَفسدُ العلماء تبطلُ الشريعة والعمل بها، وحين يَبطلُ الفقراءُ تبطل أخلاق الخلق، وفساد الأمراء بالظلم، وفسادُ العلماء بالطمع، وفسادُ الفقراء بالرِّياء.

* * *

(١٢٨) أبو القاسم المقرئ الرازي (*)

أبو القاسم الرازي، رحمه الله، اسمه جعفر بن أحمد بن محمد، كان يجلس في نيسابور.

وصحب ابن عطاء، وأبا محمد الجريري[1]، وأبا علي الرُّوذباري، رحمهم الله تعالى.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٩، مناقب الأبرار ٢١٣/أ، المختار من مناقب الأخيار ١٣٢/أ، طبقات الأولياء ٧٥، طبقات الشعراني ١/١٢٥، الكواكب الدرية ٢/٥٣، جامع كرامات الأولياء ١/٢٨٧ (المغربي خطأ) وانظر الترجمة رقم ٣٣٦ صفحة ٣٨٨ فكأنه هو هو، اسماً وتاريخ وفاة، وبلدا، ومشايخ.

(١) في الأصل: محمد بن أبي الحواري. والمثبت من طبقات الصوفية، والمطبوع.

وكان له مالٌ كثير، فأنفقه على هذه الطائفة، وخرجَ من الدنيا فقيراً مُفلساً.

قال مشايخُ الرَّي: أعطاه الله أربعةَ أشياء، ما أعطاها غيره: الجمالَ، والمال، والزُّهد، والسَّخاء.

كان حاضراً في دعوةٍ مع الصوفية، وجعفرُ الخُلدي أيضاً كان هناك، فلمَّا أحضروا المائدةَ ما مدَّ أبو القاسم يدَه، فقالوا: ينبغي الموافقة. قال: إنّي صائمٌ. فقال جعفرُ الخُلدي: إن كان ثوابُ الصوم أفضلَ من سرور قلوبِ الإخوان فلا تأكلْ. فأكل معهم.

ومات في سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مئة.

* * *

(١٢٩) أبو القاسم السمرقندي(*)

أبو القاسم الحَكيم السمرقندي، رحمه الله، اسمه إسحاق بن محمد بن إسماعيل.

قالوا في وصفه: لم يكنْ نظرُه من العرش إلى الثرى إلاّ إلى الله سبحانه وتعالى، وكانت معاملتُه مع الخلق طلباً لحظوظهم دون حظه.

صحبَ من المشايخ: أبا بكر الورّاق.

وله كلامٌ حسن في المعاملات، وفي عيب النفس، وآفات الأعمال.

توفي، رحمه الله، في المحرّم يومَ عاشوراء، سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة، ودفن بمقبرة جاكَرْدِيزه[1].

قال أبو القاسم: لو جازتِ النبوَّةُ بعد المصطفى ﷺ في زماننا لكان النبيُّ أبا بكر الورّاق، باعتبار علمه وحكمته، وشفقته على الخلائق، وعدله وإنصافه.

وقيل: يوماً كان أبو القاسم الحكيم جالساً على باب داره، فجاءه أبو طاهر، وكان من أعظم المشايخ في زمانه، فرأى حوضَ ماءٍ وأشجارَ السرو،

(*) الأنساب (الحكيم) ٤/ ١٨٦، اللباب ١/ ٣٧٩.

(١) جاكرديزه: محلة كبيرة بسمرقند. معجم البلدان.

فرجع، وقعد على دُكّان، والشيخ أبو القاسم أمرَ غلامَه أن تُقطع هذه الأشجار، فقطعوها، ثم قال أبو القاسم: نادوا أبا طاهر. فلمَّا دخلَ أبو طاهر عنده قال: يا أبا طاهر، ما كان حجاباً بينك وبين الله قطعتُه؛ لكنِ اصحب مع الله حتَّى لا يكون شيءٌ حجاباً.

كان أبو القاسم يوماً قاعداً بين الخلائق، ويقضي حاجاتهم، ويحكم عليهم، فجاء واحدٌ من كبار الصوفية لزيارة الشيخ أبي القاسم، فلمّا رآه مُشتغلاً مع الخلق فرشَ السجَّادة على ماء الحوض، وصلّى عليه، فلمّا فرغَ من الصلاة قال له أبو القاسم: يا أخي، هذه الأعمال أعمالُ صبيان، فالرَّجلُ من كان مَشغولاً مع الخلائق ويكون قلبُه مع الله تعالى.

* * *

(١٣٠) بكر السُّغدي(*)

بكر السُّغدي، رحمه الله، كان من سُغْد سمرقند[١]، وكان من هذه الطائفة، ومن تلامذة أبي بكر الورّاق.

قال بكر: كان أبو بكر الورّاق رجلاً كريماً لا يعبدُ الله تعالى للآخرة؛ بل يعبدُهُ لتعظيمه تعالى.

* * *

(١٣١) صالح بن مكتوم(**)

صالح بن مكتوم، رحمه الله تعالى، هو أيضاً من مُريدي أبي بكر الورّاق.

كان من بلخ، ويحفظُ كلامَ أبي بكر الورّاق، وأكثرُ الأوقات يَحكي عنه.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) ويقال: الصُّغدي نسبة إلى السُّغد وهي ناحية كثيرة المياه والأشجار من نواحي سمرقند.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١٣٢) أبو ذرٍّ الترمذي(*)

أبو ذر الترمذي، رحمه الله تعالى، كان من مَشايخ خراسان، وله كرامات.

قال أبو عبد الله بن خفيف: كنتُ أصحبُ مع أبي ذر، وكان معه جماعةٌ كثيرة، فما أرادَ أصحابُه شيئاً يقومُ ويصلّي الصلاةَ، فذلك الوقت يحصلُ ذلك الشيءُ.

* * *

(١٣٣) هاشم السُّغدي(**)

هاشم السُّغدي، رحمه الله تعالى، هو أيضاً من سُغْد سمرقند.

وكان من تلامذة أبي بكر الورّاق، وكان في خدمته إلى أن مات.

قال هاشم: قال أبو بكر الوراق: من كثرةِ الكلام تَحصُلُ قساوةُ القلب.

قال شيخ الإسلام: وقالوا: وكثرةُ النوم، وكثرةُ الطعام تورثُ قساوة القلب.

وقال أبو بكر: كثرةُ الكلام، وإن كان في خيرٍ أو شرٍّ.

قال هاشم: قال واحدٌ من هذه الطائفة: كنتُ في سفرٍ مع أبي بكر الورّاق، فرأيتُ في جانبِ ردائه مكتوباً حرفَ الخاء، وفي الجانب الآخر مكتوباً حرفَ الميم، فسألته: ما هذا؟. قال: كتبتُ هذا، فكلَّما أنظر الخاء أذكرُ الإخلاص، وكلَّما أُبصرُ الميم أذكر المروءة.

قال شيخ الإسلام: الإخلاصُ هو الذي في معاملته لا ينظر معه أحداً، والمروءةُ الذي لا يكون على الخلق ثقيلاً.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

وقال أبو بكر أيضاً: تصفيةُ العبودية إثباتُ المجوسية وإنكار الربوبية[1].

وأيضاً عنه قال: من تكلَّمَ بعلم المعرفة عند أبناء الدنيا لا يكون عارفاً.

قال شيخ الإسلام: قال أبو بكر الورّاق: كان محمد بن مُسلم الحصيري[2] في ضيافة مع يوسف الخياط الترمذي، والمضيف كان مشغولاً بشيء، فقال محمد بن مسلم: عجّلْ بالطعام، لي حاجةٌ. وكان زاهداً عابداً، قلبُه متعلّقاً على ورده، فقال يوسف الخياط: لك شغلٌ غيرُه حتى يرسله الله تعالى قدّامك؟، وأنتَ خرجتَ بنيَّةِ الرجوعِ إلى البيتِ، واليومَ لي ثلاثون سنة ما خرجتُ من بيتي بنيَّةِ الرجوع.

قال أبو بكر الوراق: كلمةُ يوسف أحسنُ وأفضلُ من عبادة محمد بن مسلم مئة سنة.

وأيضاً قال أبو بكر: رُبَّما أصلّي ركعتين، فأنصرفُ منهما وأنا بمنزلةِ من يَنصرفُ من سرقةٍ؛ من الحياء.

* * *

(١٣٤) أبو بكر الجوهري(*)

محمد بن الحسن الجَوهري، رحمه الله، كنيتُه أبو بكر، كان من أهل بغداد.

وكان من تلامذة ذي النون المصري، وكان رجلاً جليلاً.

والشيخ أبو بكر الواسطي كان إمام التوحيد، ومع عظمته يحكي عنه حكايات.

قال: قال محمد بن الحسن الجَوهري: جاء رجلٌ عند ذي النون المصري،

---

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع: إثبات للربوبية، وإنكار المجوسية.

(٢) في المطبوع: الحُصري.

(*) ذكر عرضاً ضمن ترجمة ذي النون في تاريخ ابن عساكر ١٧/ ٤٢٢، وضمن ترجمة الوليد بن عبيد ٦٣/ ٢٠٥.

وطلب منه الدُّعاءَ، قال ذو النون: يا فتى، إن جرى لك شيءٌ في السبقِ بتقدير الله ومشيئته، وإن لم تدعُ، فأنتَ مُستجاب عند الله، وإن لم يسبق لك شيءٌ فلا ينفعُك الدُّعاءُ، فمن غرقَ في الماء لا ينفع استغاثُه ولا صياحُه، بل يدخلُ الماء في حلقه أكثر من الأول.

قال شيخ الإسلام: قال رجلٌ لشيخٍ: ادع لي. فقال: ما جرى في تقدير الله هو أحسنُ من المعارضة.

وقال واحد من المشايخ: لو لم يكن أمره: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] **أي ليدعوني**، فما أعبده، ولا أدعوه أبداً، لكنّي أدعوه لامتثال أمره.

قال شيخ الإسلام: الدعاءُ ليس مذهبَ الصوفية؛ لأنَّهم ناظرون إلى حُكم الكتابِ السابق، إذ هو مكتوبٌ فيه ما كان، وما هو كائن إلى الأبد.

كان أبو حفص البُغاوِزْجاني يقول إلى ربع الليل: ما لم يقدّره الله تعالى، كيفَ أفعلُه ؟، وجميعُ الخلائق يقولون: كيفَ يكون ؟، والحكيمُ يقول: كيف كان ؟.

قال شيخ الإسلام: ليس مُرادُه أنَّك لا تدعوه، ولا تقرأُ الأوراد، فأنا أقرأُ في كلِّ ليلةٍ ونهار وِرداً قدر ما بين فصل[1]، ولا أُريد منه شيئاً؛ لأنَّ ذكرَ اللسان لامتثال أمره، وقصدي غيرَ هذا.

* * *

(١٣٥) أبو بكر الكِسائي الدينوري[*]

أبو بكر الكِسائي الدينوري، رحمه الله تعالى، كان من قُهستان العراق، وجلس في دِينور، وكان رجلاً عظيمَ الشأن.

---

(١) في المطبوع: قدر ما ينشئ [الكاتب] فصلاً.

(*) التعرف ١١، اللمع ٢٣٩، ٣٥٨.

وهو من قدماء أصحابِ الجُنيد، وأقرانه.

وله رياضات كثيرة، وكان مُشتهراً بالسياحة.

قال الجُنيد: إن لم[1] يكن أبو بكر الكِسائي ما كنتُ في العراق.

وبينهما مكاتباتٌ ومراسلات حسنةٌ، وماتَ قبل الجنيد.

وسأل الجُنيدَ ألفَ مسألةٍ، وعن كلِّها ردَّ الجواب، فلمَّا قَرُبَ أجلُه غسلَ ما كان عنده من رسائلَ من الجُنيد، ولمّا وصلَ خبرُ موته، قال الجُنيد: يا ليته غسلَ تلك الرسائل التي كانت منّي. فقالوا: غسلَها. ففرح الجُنيد فرحاً شديداً.

قال شيخ الإسلام: ما خافَ الجُنيد من الرسائل أن يأخذها العلماء أو السَّلاطين، بل خافَ من الصُّوفية؛ حتى لا يجعلوا منها دُكّاناً. يعني يتكلَّم لأجلِ القبولِ والجاه عند الجهَّال.

قال شيخُ الإسلام: قال الجُنيد: من ألفِ صوفيٍّ يكونُ واحدٌ عالماً، لأنَّ الصوفي يكفيه أن يسمعَ ويعلمَ من القوم، لأنَّ قلبه فصيحٌ لا لسانه.

قال شيخ الإسلام: يقولُ رُويم: إذا أخذ الحالَ من أحدٍ، وترك مقالَه فقد أهلكَهُ.

قال أبو الخير العَسْقلاني: إذا نام أبو بكر الكِسائي يُسمعُ من صدره قراءةُ القرآن.

* * *

(١٣٦) أبو علي الجُوزجاني(*)

أبو علي الجوزجاني، رحمه الله تعالى، من الطبقة الثانية، اسمه الحسنُ بن علي، وهو من أكابر مشايخ خراسان في وقته وما كان له نظير.

---

(١) في المطبوع: لو لم.

(*) طبقات الصوفية ٢٤٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٠، مناقب الأبرار ١١٨/أ، المختار من مناقب الأخيار ١٢٧/أ، طبقات الأولياء ٣٣٣، طبقات الشعراني ١/ ٩٠، الكواكب الدرية ٢/ ٨٢.

وله تصانيفُ في المعاملات، ورؤية الآفات؛ **وربَّما يتكلَّمُ في شيءٍ من علوم المعارف والحِكم.**

صحب محمدَ بن علي الترمذي، ومحمد بن الفضل البلخي، وكان قريب السنِّ بهم.

قال أبو علي الجوزجاني: **الخلقُ كلُّهم في ميادين الغفلة يركضون، وعلى الظُّنون يَعتمدون، وعندهم أنَّهم في الحقيقة يتقلَّبون، وعلى المُكاشفة ينطقون.**

وأيضاً عنه قال: الشقيُّ الذي تُستر عليه المعصية، وهو يكشفُها.

* * *

(١٣٧) محمد بن أبي الورد(*)

(١٣٨) أحمد بن أبي الورد(**)

محمد وأحمد ابنا أبي الورد، رحمهما الله تعالى، من الطبقة الثانية، من أجلاّء مشايخ العراق، وأقران الجنيد.

صحبا: السريَّ السقطي، وأبا الفتح الحمّال، والحارثَ المحاسبي، وبشراً الحافي.

وطريقُهما في الورع كان قريباً لطريق بشر الحافي.

ويكنى محمد بأبي الحسن، وكان من تلامذة بشر الحافي.

(*) طبقات الصوفية ٢٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥، تاريخ بغداد ٣/ ٢٠١، مناقب الأبرار ١٤٨/ب، صفة الصفوة ٢/ ٣٩٥، المنتظم ٥/ ٤٢، الوافي بالوفيات ١/ ١٠٥، طبقات الأولياء ٣٧٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٨، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٦.

(**) طبقات الصوفية ٢٤٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٥، تاريخ بغداد ٥/ ٦٠، مناقب الأبرار ١٨/ ب، صفة الصفوة ٢/ ٣٩٥، المنتظم ٥/ ٤٢، المختار من مناقب الأخيار ٦٦/أ، ميزان الاعتدال ١/ ١٤٨، طبقات الأولياء ٣٧٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٨، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٧.

قال محمد: لمَّا فرغتُ من صلاة المغرب، ومدّيت رجلي، هتف بي هاتفٌ، وقال: أهكذا تُجالس الملوك ؟!.

وأيضاً عنه قال: من آداب الفقير في الفقر ألاَّ يلومَ، ولا يزجر من ابتُلي بحبِّ الدنيا، بل يَرحمُهم، ويدعو لهم بالخير، حتّى يخلّصهم اللهُ مما كانوا فيه.

وأيضاً عنه قال: هلاكُ الناس في شيئين: الاشتغال بالنوافل، وتضييعُ الفرائض، وعمل الجوارح بغير حضور القلب.

وسئل عن الولي، فقال: من يُوالي أولياءَ الله، ويُعادي أعداءه.

وقال أحمد بن أبي الورد: إذا زادَ اللهُ تعالى في الولي ثلاثةَ أشياءَ فينبغي له أن يزداد ثلاثة أشياء أيضاً، إذا زادَ جاهه فيزيد في التواضع، وإذا زادَ اللهُ مالَه فيزيد في السَّخاء، وإذا زادَ اللهُ في عمره فيزيد اجتهاداً في العبادة.

* * *

(١٣٩) طاهر المقدسي(*)

طاهر المقدسي، رحمه الله، من الطبقة الثالثة، ومن أجلّة مشايخ الشام، وقدمائهم.

رأى ذا النون المصري، وصحب يحيى الجلاّء، وكان عالماً، ذا فنون.

قال الشبلي: هو حَبْر الشام.

قال طاهر المقدسي: قال لي ذو النون: الكلام[1] في ذات الحقِّ جهلٌ، والكلامُ في حقيقة المعرفة حيرةٌ، والإشارةُ عن المُشير شرك.

(*) طبقات الصوفية ٢٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣١٧، مناقب الأبرار ١٥٢/ب، المختار من مناقب الأخيار ٢١٨/ب، طبقات الأولياء ٨٧، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٠٦.

(١) في الأصل العلم. والمثبت مما بعده.

قال شيخ الإسلام: (الكلامُ في ذات الله جهل)، وليس لأحدٍ في ذات الله كلامٌ، ولا يجوزُ الكلام إلاّ بما قال الله تعالى، وقال نبيه، ولا يعلمُ أحدٌ كيفية الذات إلاّ بطريقِ التَّصديق والتسليم.

و(الكلام في حقيقة المعرفة حيرة)، لأنَّه هو الذي يعرف نفسه بحقِّ الحقيقة، وسواه عاجزٌ ومتحيّر، لأنَّ العبدَ عاجزٌ عن معرفته، إلاّ أن يتفضَّلَ اللهُ تعالى عليه، قال ﷺ في الثناء والدعاء: «لا أبلغُ مِدحتَك، ولا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ولا يعرفُ أحدٌ إلا أنَّه موجودٌ، واحدٌ لا نظير له.

و(الإشارة من المشير شرك)، يعني: الشركَ الخفيَّ، لأنَّ في الإشارة ينتفي المشار والمشار إليه، وحقيقتُهُ ألا تثبت الإثنينية، وفي الحقيقة هو موجود لا غير.

ألا كــل شـــيء مــا خــلا الله بــاطــل[2]

قال طاهر المقدسي: لو رأى الإنسانُ نورَ العارف احترق فيه، ولو رأى العارف نورَ وجوده تعالى وتقدَّس احترق.

وأيضاً عنه قال: حدُّ المعرفة التجرُّدُ من النفوس وتدبيرها فيما يجلُّ ويَصغرُ.

* * *

(١٤٠) أبو يعقوب السُّوسي[*]

أبو يعقوب السُّوسي، اسمه يوسف بن حمدان، وكان أستاذ أبي يوسف يعقوب النَّهرجُوري، ومن قدماءِ المشايخ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف ٢/ ١٥٧، والدارقطني في سننه ١/ ١٤٣ (٣٣) وأبو يعلى في المسند ١/ ٣٤٤ عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر الحاشية (١) صفحة (٧٩).

(*) التعرف ١٢، ٦٣، ٧٠، اللمع ٤٣ (انظر الفهرس)، الرسالة القشيرية ٣٥، ١٢٤، ١٨٥، ١٩٠.

وكان عالماً، وصاحبَ تصانيف.

وكان في البصرة والأُبُلَّةِ، وهي مدينةٌ أقدمُ من البصرة وأبعد من البصرة بأربعة أميال، وقيل: إنَّهما من جنان الدنيا، ومات بها.

قال أبو يعقوب: من تكلَّمَ في علمِ التوحيد بتكلُّفٍ فهو مشرك.

وقال شيخ الإسلام: من تكلَّم في علم التصوف بتكلُّفٍ فهو في شرك، ومن تحدَّثَ في المعرفة كلّ وقتٍ يقدر أن يتكلَّمَ فهو كذَّاب، ولا يجوزُ التكلُّمُ في المعرفة إلا إذا خافَ من الله. في سكوته الكلامُ جنايةٌ إلاّ في حالة الذوق والوجدان، فحينئذ يُباح له، لأنَّ كلامَ هذه الطائفة ليس ككلامِ الغير، فإن لم يكن صاحبَ حالٍ ومقامٍ فكلامه يؤدّي إلى الزندقة، وينتهي إلى الإباحة، وإن كنتَ في التفرقة لا تتكلَّمْ في الجمع ولا التَّوحيد، وإن لم يكن فمالك والتفرقة.

قال الخراز: لا يصلحُ هذا العلم إلاّ ممن يعبِّر عن وجده، وينطق عن فعله.

* * *

(١٤١) أبو يعقوب النهرجوري (*)

أبو يعقوب النَّهرجوري، رحمه الله تعالى، من الطبقة الرابعة، اسمه إسحاق بن محمد، من عُلماء المشايخ.

وصحب الجُنيد، وعمرو بن عثمان المكّي، ومن تلامذة أبي يعقوب السُّوسي.

(*) طبقات الصوفية ٣٧٨، حلية الأولياء ١٠/٣٥٦، الرسالة القشيرية ٣٥، مناقب الأبرار ١٨٢، المنتظم ٦/٣٢٦، المختار من مناقب الأخيار ٧٤/أ، سير أعلام النبلاء ١٥/٢٣٢، العبر ٢/٢٢١، الوافي بالوفيات ٨/٤٢٣، مرآة الجنان ٢/٢٩٧، البداية والنهاية ١١/٢٠٣، طبقات الأولياء ١٠٥، العقد الثمين ٣/٢٩٠، النجوم الزاهرة ٣/٢٧٥، طبقات الشعراني ١/١١١، الكواكب الدرية ٢/٥٧، شذرات الذهب ٢/٣٢٥.

وكان في مكة مُجاوراً سنين كثيرةً، ومات بها في سنة ثلاثين وثلاث مئة.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيتُ شخصاً قال: أنا رأيتُ أبا يعقوب؛ لكن ما حصلَ لي اليقينُ به.

قال أبو يعقوب النَّهرجوري: لا يتَّصلُ أحدٌ بالمقصود إلاّ بتركِ العلم والعمل والخلق. يعني: اصرف همَّتك من العلم تمضي، واترك الخبر لأنَّه ترك للعمل[1]، ولا تعبدْه لأجل الثواب؛ بل كنْ في الخلاء والملأ معه، ولا تكنْ مع الثواب والعمل.

قال إبراهيم بن فاتك: قال أبو يعقوب النَّهرجوري: **الدُّنيا بحرٌ، والآخرةُ ساحل، والمركبُ التقوى، والناسُ على سفر.**

وأنشد النهرجوري:

العِلمُ بي منك وطَّا العذرَ عندكَ لي حتَّى التقيتَ[2] فلم تَعْذلْ ولم تَلُمِ
أقامَ علمُك لي فاحتجَّ عندكَ لي مقـامَ شـاهـدِ عـدلٍ غيـرِ مُتَّهـمِ

وقال أيضاً أبو يعقوب: **أعرفُ النَّاسِ بالله أشدُّهم تحيُّراً فيه.**

وأيضاً عنه: **من أخذَ التوحيد بالتقليدِ فهو عن الطريقِ بعيد.**



(١٤٢) أبو يعقوب الزيات(*)

أبو يعقوب الزيَّات رحمه الله.

قال الجُنيد: ذهبتُ مع الجماعة، ودققتُ باب أبي يعقوب الزيات، فقال: أَما كان لكم شُغْلٌ بالله يشغلُكم عنِّي؟. قلتُ: مَجيئي عندك من جملةِ الاشتغال بالله، فما تقطعُ عن الحقِّ.

---

(١) كذا في الأصل، وفي المطبوع: وامضِ واترك الخير، لا أن تترك العمل.

(٢) في المطبوع: حتى اكتفيت.

(*) حلية الأولياء ١٠/٢٢٣، ٣٤٢، تاريخ بغداد ١٤/٤٠٨، صفة الصفوة ٢/٤١٦، الطبقات الصغرى للمناوي ١٩٣.

سأل أبو يعقوب بعضَ المُريدين: أتحفظُ القرآن ؟. فقال: لا. قال: واغوثاه بالله، إنَّ المُريد إذا لم يحفظِ القرآن مثلُه كمثل الأُترجّ، ماله رائحةٌ، فبأيِّ شيءٍ يتنعَّم ؟ وبأيِّ شيءٍ يترنَّم ؟ وبأيِّ شيءٍ تظهرُ أسرارُه مع الحقِّ سبحانه ؟!.

* * *

(١٤٣) أبو جعفر بن وهب الصوفي (*)

أحمد بن وهب، رحمه الله، كنيتُه أبو جعفر، وكان من البَصرة.

صحب أبا حاتم العطّار، وكان أستاذاً وشيخاً لأبي يَعقوب الزَّيات.

وكان في مسجد الشُّونيزية زماناً طويلاً على طريقِ التوكُّل.

قال: من قامَ لطلبِ القوت أزالَ اسمَه من ديوان الفقراء.

ومات في سنة سبعين ومئتين.

* * *

(١٤٤) أبو يعقوب المَزابلي (**)

أبو يعقوب المَزابلي، رحمه الله تعالى، كان بغداديَّ الأصل، ومن أقران الجُنيد.

سُئل: ما التَّصوف ؟. فقال: حالٌ تضمحلُ فيها معالمُ الإنسانية، والله أعلم.

* * *

(*) تاريخ بغداد ٥/ ١٩٠.

(**) الرسالة القشيرية ١٦٠.

(١٤٥) أبو يعقوب الأقطع(*)

أبو يعقوب الأقطع، رحمه الله، كاتَبَ الجُنيد وراسله، وكان في مكّة.

قال أبو عبد الله بن خفيف: قال أبو الحسن المُزيّن: وصلتُ مكّة، وكان أبو يعقوب الأقطع في حال النَّزع، فأردتُ أن أذهب عنده، فقالوا: إن التفتَ إليك فاعرضْ عليه كلمةَ الشهادة، وهم قد خدعوني؛ لأنيّ كنتُ صغيراً، فلمَّا جلستُ عنده نظرَ إليَّ، فقلت: **أيُّها الشيخ، أشهدُ ألاّ إله إلا الله. فقال: إيَّايَ تعني ؟! بعزَّةِ من لا يذوقُ الموتَ، ما بقي بيني وبينه إلاّ حجابُ العزَّةِ.**

قال شيخ الإسلام: حجابُ العزَّةِ له ذاتُه؛ لأنَّه هو هو، وأنتَ أنتَ.

وكان أبو الحسن المُزَيّن يقول: جاء كذَّابٌ مثلي حتى عرضَ الشهادةَ على مُحبِّ الله.

وقال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: كان رجلٌ يُمخرق في الألوهية، جاءه رجلٌ من وراء حجابِ العزَّة يَعرضُ عليه الشهادة.

قال شيخ الإسلام: كان أبو عبد الله الطاقي مُحتضراً، فقال واحدٌ: أشهد ألاّ إله إلا الله. فقال: اسكت، جاءَ قومٌ لا يعرفون الأدبَ ولا الحُرمةَ، ويَشهدونَ الشهادةَ عند أحبابه تعالى وتقدّس، أنت تقولُ ما يكون عليك، وأنا أقولُ ما كانً علي، فقال: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وكان وقتاً من الأوقات جماعةٌ عرضوا الشهادةَ على شيخٍ، فقام ذلك الشيخُ من غيرته على واحدٍ واحدٍ يعرضُ الشهادةَ، حتى قالوها كلُّهم، وحطَّ رأسَه على المخدَّة وماتَ.

ورآه واحدٌ في المنام بعد موته، فقال: كيف حالُك ؟. قال: حالٌ مليحٌ حَسن. فقال: أَمُتَّ مع الإيمان ؟. قال: نعم. قال: وقتَ النزاعِ ما ذكرتَ الشَّهادة. قال: هو سارٍ فيَّ.

(*) الرسالة القشيرية ١٠٣.

(١٤٦) أبو يعقوب بن زيزي(*)

أبو يعقوب بن زيزي، رحمه الله.

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: حضرتُ مع ابن زيزي في مجلسِ سماعٍ، فأنشدَ قوّالٌ هذا البيت:

لو أَسنَدَتْ مَيتاً إلى حِجْرِها عاشَ ولم يُنقَلْ إلى قَابِرِ(١)

فاشتدَّ وقته، فوضع يديه على الأرض من جانب ظهره، ورفعَ صدره، وكان ناظراً إلى السماء يقول: قل، والله لا يسمعُ أحدٌ غيري. وسالَ الدَّمُ من عرق رقبته كأنه فُصد، وهكذا حتّى خرَّ صعقاً، فأخذوه، وغسلوا دمَه، وربطوا الخرقة على جراحته.

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: وقع نقارٌ بين ابن زيزي، وإبراهيم الخوّاص، فقال ابن زيزي لإبراهيم الخوّاص: متى تتفاخرُ عليَّ بالتوكُّلِ، وأنتَ تدخلُ في البادية معك المَرقّعة والرَّكوة، وهذه كلُّها أسبابُ السؤال، إن كنت تدّعي التوكل، فافعل كما أنا أقول، وادخلِ البادية(٢). فغضبَ الخواص، وخرج من عنده، فتبعه ابن زيزي، فأعطاه إزاراً ورداء نفيسين، وأعطاه إبريقاً من الزجاج، وقال: اخلعِ المرقعة، والبس هذه. فلبسها، وأعطاه المرقعة والركوة، وحملَ الإبريقَ الزجاج، فقال: اذهب. فلمّا رجعَ إبراهيم من الحجِّ استقبله ابن زيزي ومعه مرقعته وركوته، وقال: الآن البس ما تريد. وقد تغيَّرَ حالُ الخواص من الرياضة والفاقة حتّى انتثرَ شعرُه، فقال لابن زيزي: قتلتني، أبعدَك الله.

(*) الرسالة القشيرية ٢٠٠، اللمع ١٩٤، ٢٧٢، سيرة عبد الله بن خفيف ١٠٤، ١٠٧ وفي (ص): المزيزي.

(١) البيت للأعشى، انظر ديوانه صفحة ٩١ طبعة دار صادر، وفي الأصول: إلى القبر.

(٢) في المطبوع: [إلى] متى تفخر علينا... وهذه كلها أسبابٌ. إن كنت [صادقاً في دعوى] التوكل فافعل كما أفعل، وادخل البادية [بلا ركوة ولا مرقعة].

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: قال أبو طالب الخزرج[1]: كان بيني وبين ابن زيزي كلام في الإخلاص، واتّفقَ الأصحابُ أن يبيتوا في بيتي، فأيُّ وقتٍ أنا أريد أتكلَّم الكلام[2]. قال: اسكت حتى يدخلَ الليل. وأنا لا أعرف مقصودَه، فلمّا قمنا قال ابن زيزي: لا تكون منتظراً إليَّ، فأنا أتأخَّرُ قليلاً من الليل. فأكلنا الطعامَ، وخلَّيتُ نصيبه، وبعد مرور الزمان جاءَ ودخلَ في مكان الخلاء، فجاءَ في خاطري: عسى أن يتوضَّأَ. ولكنّه كان معه دُفٌّ، فأخفاه، ثم جاء عندنا، وقد مضى مقدارُ ربعِ الليل، ونام الناس، وكنتُ جالساً باستراحة الطبع، ووقتي صافي، فقام ابن زيزي، وأخرجَ الدُّفَّ من هناك، وضرب الدُّفَّ وغنّى، فجميعُ جيراننا اجتمعوا لاستماعِ الدفِّ والنغمة، ثم قال ابن زيزي للحاضرين: إن كان أبو طالب معكم وحده لا يفعلُ مثل هذا، فإنّي تعلمتُ منه، وهو شيخي في هذا الفن، ويضربُ الدُّفَّ ويتغنّى ويلعب. قال أبو طالب: فقبلَ طلوع الصبح تحوَّلتُ من هناك، وذهبت في بيتٍ آخر، فلمَّا طلعَ الصُّبح تبتُ أن أتكلَّمَ بالإخلاص.

* * *

(١٤٧) أبو يعقوب المذكوري(*)

أبو يعقوب المذكوري[3]، رحمه الله.

سُئل عن التوكُّلِ، فقال: تركُ الاختيار.

وسُئل التُّستريُّ، فقال: تركُ التدبير.

وسألوا بشراً الحافي، فقال: الرِّضا.

---

(١) أبو طالب خزرج بن علي من أصحاب الجنيد، له آيات، ويحكى عنه في ذلك حكايات، رحل إلى أصبهان سنة ٣٠٣ هـ. تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٣.

(٢) في المطبوع: [فكلما أردت أن] أتكلَّمَ [في الإخلاص] قال.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣) في المطبوع: أبو يعقوب المذكر.

وسألوا أبا حفص الحداد، فقال: التبرّي من الحولِ والقوة.

وسألوا الحلاَّجَ، فقال: رؤيةُ المُسبِّب.

وسألوا فتحاً الموصلي، فقال: الملالُ من السبب.

وسألوا شقيقاً، فقال: الاعترافُ بالعجز.

وسألوا الشِّبلي، فقال: نسيانُ العوالم في رؤية القلب.

* * *

(١٤٨) أبو يعقوب الميداني(*)

أبو يعقوب الميداني، رحمه الله، كان من مَشايخ نَصِيبِين.

عزمَ الشبليُّ من بغداد إلى مصر لأجلِ ردِّ المظالم، وفي يوم خلّى فرسَه في أرض واحدٍ، فوقع نظره بأبي يعقوب الميداني[١]، فاستقبله أبو يعقوب، وكان في ابتداءِ إرادته وكان رجلاً سميناً، فالشبليُّ وضع يده على رأسه، وقال: جبركَ الله. فقال أبو يعقوب: آمين. قال[٢]: كما يُقال للأطفال. فكان لأبي يعقوب بعده ما كان.

وقال الشبلي: لمّا وضعتُ يدي على رأسه، وقلتُ: جبركَ الله، ما كان في بدنه شعره إلاّ قالت: آمين.

* * *

(١٤٩) أبو يعقوب الخرَّاط العسقلاني(**)

أبو يعقوب الخرّاط العسقلاني، رحمه الله.

قال: دخلتُ على أبي الحسين النُّوري، وكان معي محبرةٌ، فقال: يا بُنَيَّ،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في المطبوع: فنظر فإذا أبو يعقوب الميداني.

(٢) في المطبوع: قالوا.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

تُريدُ أن تكتبَ ؟. قلت: نعم. فأملى كم بيتاً بالبديهة، فكتبته، فمعناه هذا:

كلُّ شيءٍ تكتبه وتُثبته في الأوراق مَحوناه.

لا جرمَ أنتم بسبب ذلك الإدراكِ والفهم صرتم مَحجوبين عن المقصود.

ثم فتحَ الله لي أبوابَ الفهمِ والإدراك بالمقصود بسبب مَحوي الأوراق.

وباعثُ التَّذكيرِ والموعظة لأجلِ فائدتكم.

وأنا أنظركم مَحجوبين عن المقصودِ بكتابة الأوراقِ وتعدادها.

* * *

(١٥٠) أبو يعقوب الكورتي(*)

أبو يعقوب الكورتي، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيته، كان رجلاً نُورانياً، صاحبَ وقتٍ وكرامات.

كان بيده خشبةٌ مربوطٌ معها مِنشفة، فقالوا: ما هذا اللعب ؟. فقال: هذا أيضاً من الفنون.

قال شيخ الإسلام: قال لي أبو مَعْمَر المالكي: كان ماشياً فرأى جماعةً معدَّلين جالسين، فقرأ عليهم: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر: ١٤]. فمر عليهم، [وما شعروا].

* * *

(١٥١) خير النساج(**)

خير النساج، قدس الله سره، كنيتُه أبو الحسن، واسمه محمد بن إسماعيل، أصله من سامراء، وجلس في بغداد.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الصوفية ٣٢٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧، تاريخ بغداد ٢/ ٤٨، ٨/ ٣٤٥، الرسالة القشيرية ٣٣، صفة الصفوة ٢/ ٤٥١، المنتظم ٦/ ٢٧٤، وفيات الأعيان =

صحب أبا حمزة البغدادي، وكان له سؤالات مع سَريِّ السَّقطي، وكان من أقران الجُنيد، وقيل: كان مُريداً لسريِّ السقطي.

كان من الطبقة الثانية، وكان أستاذ النُّوري، وابن عطاء، والجَريري، وتابَ على يده إبراهيم الخوّاص، والشبلي.

وأرسل الشبلي إلى الجُنيد لحفظ حرمته.

وقال الجُنيد: خيرٌ خيرُنا.

طال عمره إلى عشرين ومئة سنة، ومات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

قال شيخ الإسلام: هو لا ينسجُ الكِرباس[1]، بل ينسجُ الكلام.

وقال جعفر الخُلدي: سألتُ النسَّاج: أكان حرفتك هذا؟. قال: لا. قلتُ: فلِمَ يَقولون النَّساج؟. قال: عهدتُ مع الله ألاّ آكلَ الرُّطب، فكان يوماً غلبتْ عليَّ نفسي، فاشتريت الرُّطبَ، فأكلتُ منه رطبةً واحدة، فرأيت رجلاً يبصرني، وقال: يا خير، يا شارد. وكان له غلامٌ اسمُه خيرٌ، وشردَ عنه، ووقع شَبَهُهُ عليَّ، فأخذني، فاجتمعَ الناس، وقالوا: واللهِ، هذا عبدُك خير. قال: فكنت متحيِّراً، وفهمت أنّه وقع عليَّ خيانة، وابتُليتُ بهذا، فعرفت الجناية، فذهبتُ معه إلى الدُّكان الذي كان له، وله عبيدٌ مُشتغلون بهذا الكسب، فقال لي: يا فاعل، يا تارك، اجلس، كنْ مُشتغلاً بشغلك. فمدَّيت رجلي في حفرة النسَّاجين، وأعطاني الله كأنّي كنتُ نسَّاجاً، فجلستُ في النساجة إلى أربعة أشهر، ثم قمتُ ليلةً، فتوضَّأتُ، وسجدتُ، وقلت: يا الله، تبتُ، وما عدتُ أفعل. فلمَّا أَصبحتُ زال شَبَهُ ذلك الغلامِ، ورجعتْ إليَّ صورتي الأصليةُ، وخلَّصني الله، فبقي الاسم، وابتلائي كان من سبب تلك الجناية.

= ٢/ ٢٥١، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٦٩، العبر ٢/ ١٩٣، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٥، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٤٤، البداية والنهاية ١١/ ١٨١، طبقات الأولياء ١٩٦، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ١٠٢، شذرات الذهب ٢/ ٢٩٤.

(١) الكِرباس: ثوب من القطن الأبيض، معرب. القاموس (كربس).

وكان يُحبُّ أن يُقال له: خيرُ النساج. وقال: لا يجوزُ أن أُغيِّرَ اسماً سمانيه مسلم.

وقيل: رأوه في المنام، فقالوا: ما فعلَ الله بك ؟. فقال: **لا تسألني عن هذا، ولكن استرحتُ من دنياكم القذرة.**

قال أبو الحسين المالكي: كنتُ حاضراً وقتَ نزعِ النسَّاج، فدخلَ وقتُ المغرب، فغُشي عليه، وزالَ شعورُه، فلمّا فتحَ عينيه نظرَ إلى باب البيت، فأشار، وقال: **قفْ، عافاك الله**، أنتَ مأمورٌ، وأنا أيضاً مأمور من الله تعالى، وخدمَتُك لا تفوت، وأنا في تَصرُّفِك، وقد أمرني الله بوقتٍ معين أخافُ أن يفوتَ منّي. فطلبَ الماءَ وتوضَّأ، وصلّى صلاة المغرب، ورقدَ ومات، **رحمه الله رحمة واسعة.**

* * *

(١٥٢) محفوظ بن محمود النيسابوري(*)

محفوظُ بنُ محمود النيسابوري، رحمه الله، من الطبقة الثانية، **وقيل: من الثالثة**، وهو من قدماء مشايخ نيسابور وأكبرهم.

وكان من أصحاب أبي حفص، وبعده صحب أبا عثمان الحِيري، وكان في صُحبته حتى مات في سنة ثلاثٍ أو أربع وثلاث مئة، وقبرُه بجانب قبر أبي حفص.

قال محفوظ: **التوكُّلُ أن يأكلَ العبدُ بلا طمعٍ ولا شَرَهٍ.**

(*) طبقات الصوفية ٢٧٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، مناقب الأبرار ١٥٢/ب، المختار من مناقب الأخيار ٣٣١/أ، طبقات الأولياء ٣٧٠، طبقات الشعراني ١/ ١٠٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٦٨، الطبقات الصغرى ٥٨٩.

وفي (ص) والمطبوع (ع): محفوظ بن محمد، والمثبت من مصادر ترجمته والمطبوع (ف).

وأيضاً عنه قال: من أراد أن يُبصرَ طريقَ رُشده فليتَّهمْ نفسَه في الموافقات فضلاً عن المُخالفات.

* * *

(١٥٣) محفوظ بن محمد البغدادي(*)

محفوظ بن محمد، رحمه الله، كان من بغداد، وكان أحدَ سالكي طريق التصوف.

قال: من أبصرَ مَحاسن نفسه ابتُلي بمساوئ الناس، ومن أبصرَ عيوبَ نفسه سلمَ من رؤية مساوئ الناس.

وأيضاً عنه قال: أكثرُ الناس خيراً أسلمُهم للمُسلمين صدراً.

* * *

(١٥٤) إبراهيم الخواص(**)

إبراهيم الخواص، قدس الله سره، من الطبقة الثانية، وقيل: من الثالثة، وكنيتُه أبو إسحاق، كان وحيداً في طريق التجريد والتوكل، وكان أوحدَ المشايخ في وقته.

وكان أستاذَ جعفر الخُلدي، والسيرواني، وغيرهما.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، وأقواله التي ساقها المؤلف قد نسبت في طبقات الصوفية ٢٧٣، ٢٧٤، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥١ إلى محفوظ بن محمود النيسابوري المتقدم قبل.

(**) طبقات الصوفية ٢٨٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٥، تاريخ بغداد ٦/ ٧، الرسالة القشيرية ٣١، المنتظم ٦/ ٤٥، صفة الصفوة ٤/ ٩٨، المختار من مناقب الأخيار ٣٨/أ، الوافي بالوفيات ٥/ ٣٠٣، طبقات الأولياء ١٦، النجوم الزاهرة ٣/ ١٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٩٧، الكواكب الدرية ١/ ٤٩٧، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٣٣.

وقيل: هو بغدادي، وأبوه من آمد[1].

ومن أقرانِ الجُنيد، والنُّوري، ومات قبلهما في سنة إحدى وتسعين ومئتين، وغسَّله يوسف بن الحسين، ودفنوه في المسجد، ومات بعلَّةِ البطن، وكلُّ مَجلسٍ يَغْتَسِلُ، وقيل: في اليوم الذي ماتَ فيه حضرَ سبعين مجلساً، وكلُّ مرَّةٍ يغتسل، وكان في تلك الأيام بردٌ شديد، فلمَّا دخلَ في البركة للغُسل مات بها، فقبروه تحت حِصار طَبَرَك[2].

قال شيخ الإسلام: ما رأيتُ أبداً قبرَ أحدٍ بهذه الهيبة العظيمة والشوكة مثلَ قبره، كأنَّه أسدٌ راقد.

وكان الخوَّاص يُصاحب الخضرَ عليه السلام.

قال الشيخ أبو بكر الكتَّاني: جاء الخواص وقتاً من السفر، فقلتُ: أَما رأيتَ شيئاً غريباً في البادية؟. فقال: جاءَ الخضرُ عليه السلام عندي، وقال: يا إبراهيم، أُريدُ صحبتَكَ. قلتُ: لا. قال: لِمَ؟. قلتُ: اللهُ غيور، أخافُ أنَّ قلبي يأنسُ بك.

قال شيخ الإسلام: قال لي الخرقاني: إنْ تيسَّرتْ لك صحبةُ الخضر فتبْ عنها، وإن تذهب في ليلةٍ واحدة من هراة إلى مكَّة فتُبْ عنه.

قال الخرقاني عن إبراهيم الخواص: العلمُ كلُّه في كلمتين: **لا تتكلَّفْ ما كُفيت، ولا تُضيِّعْ ما استكفيت.** يعني: لا تتعبْ فيما قدَّرَ الله تعالى لك في الأزل، ولا تضيِّعْ ما طُلب منك من الأوامر والنواهي.

قال أبو الحسن العلوي: دخلتُ في مسجد دينور فرأيتُ الخوَّاصَ في صحن المجلس في الثلج، فقلتُ: السلام عليكم يا أبا إسحاق. وأشفقت عليه،

---

(١) آمد: أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها. معجم البلدان ١/ ٥٦.

(٢) طَبَرَك: قلعة على رأس جبيل بقرب مدينة الري، على يمين القاصد إلى خراسان. معجم البلدان.

وحصار كلمة فارسية تعني: سور، قلعة، حصن. قاموس الفارسية. لعبد النعيم حسنين، دار الكتاب اللبناني.

وقلتُ له: ادخلْ في البيت. فقال: تدعوني إلى المَجوسية ؟!. يعني: الذهاب من التَّجريد إلى السَّبب، ومن الانفرادِ إلى العلاقة مجوسية.

قال شيخ الإسلام: متى كانت علامة الإثنينية موجودةٌ فالمجوسيةُ باقية.

قال أبو الحسن: أخذَ إبراهيم يدي فوضعها على بدنه، وكان قد غرقَ من العرق، فكادتْ يدي تحترقُ من حرارة بدنه، فنظرَ إليَّ وضحك، وقرأ هذين البيتين:

لقد وَضَحَ الطَّريقُ إليكَ حقًّا ... فما أحدٌ بغيرِكَ يَستدلُّ
فإنْ وردَ الشِّتاءُ فأنتَ كهفٌ ... وإنْ وردَ المَصيفُ فأنت ظلُّ

قال ممشاذ الدينوري: كنت في مسجد بين النوم واليقظة، فقيل لي: إنْ كنتَ تُريد تنظر محبًّا من أحبَّاء الله فقمْ واذهب إلى تلِّ توبة[1]. فانتبهتُ، وقد نزل الثلج، فذهبتُ ورأيتُ الخوَّاصَ جالساً متربّعاً، وحواليه الثلج مقدار المجن، ومع وجودِ هذا كان غرقاً في العرق، فقلتُ: هذا المنزلُ بأيِّ شيءٍ وجدتَهُ ؟. قال: بخدمة الفقراء.

وقيل: رآه واحدٌ في الصحراء، وكان مُحتبياً بحبوةٍ، فقال: يا أبا إسحاق، لأيش جلستَ هنا ؟. فقال: اذهبْ يا بطّال، لو أنَّ ملوكَ الأرض علموا حالي لقتلوني بالسَّيفِ من الحسد.

وكان وقتاً جالساً على السجَّادة في المسجد، فحطَّ رجلٌ على سجادته كفاً من الدراهم، فقام ونثرَ السجَّادة، فانتثرتِ الدراهم في الرَّمل والحجارة، وقال: وقعَ لي مثلُ هذا [من قبل] في هذا المجلس، وفعلت مثلما رأيت. فقال ذلك الرجل: ما رأيتُ بهذه العزَّةِ أحداً مثله، وما رأيتُ أذلَّ من نفسي، لأنّي كنتُ أرفعُ من الأرض تلك الدراهم.

قيل: حصلَ لفضل الرازي في الرَّيِّ مئةُ ألف درهم من الميراث، فنفدها

---

(1) تل توبة: موضع مقابل مدينة الموصل في شرقي دجلة متصل بنينوى، وهو تل فيه مشهد يزار، قيل إنه سمي تل توبة لأنه لما نزل بأهل نينوى العذاب ـ وهم قوم يونس عليه السلام ـ اجتمعوا بذلك التل، وأظهروا التوبة. انظر معجم البلدان.

كلَّها، فلمَّا رجع من الحال إلى العلم ما بقي عنده إلاّ عشرةُ دراهم، فقال لنفسه: تصرفُ هذه في التعلّم!. ثم قال: كيف كان هذا ؟، وقعت من الوجدان إلى العلم، فذهب عند إبراهيم الخوّاص، فقال له: حصلَ لِي ميراث مئة ألف درهم، كلُّها أنفقتُها إلاّ عشرةَ دراهم، أَصرفها في العلم. فقال الخواص: ما وقعَ هذا إلا لأنَّك شربتَ منها شربةً من الماء، فهذا جزاؤك، عُوقبت بهذا. ثم قبَّلَ الخوَّاصُ يده، وقال: أفديك بنفسي، حيثُ نزلت إلى العلم لا إلى الجهل.

سأل واحدٌ الشبلي في مئتي درهم، كم زكاتُها ؟. فقال: أقول ما يكونُ عليك، أو أقول ما يكون عليَّ ؟. فقال الرجل: فما عليكَ وما عليَّ ؟. قال الشبلي: عليك من مئتي درهم خمسةُ دراهم فرضٌ، وعليَّ من مئتي درهم مئتا درهم، وخمسةٌ تزيدُها عليها بالفرض. قال: هذا مذهب من ؟. قال: هذا مذهب أبي بكر الصديق[1]، رضي الله عنه.

* * *

(١٥٥) إبراهيم بن عيسى الأصفهاني(*)

إبراهيم بن عيسى، قدّس الله سرَّه، كان من أصفهان، وصحبَ معروفاً الكرخي.

قال إبراهيم الخوّاص: كنتُ في بغداد على طرف دجلة أتوضَّأ، فرأيتُ واحداً جاءَ من ذلك الجانب على الماء، فوضعتُ رأسي على الأرض، وقلت: بعزَّتكَ وجلالك، لا أرفعُ رأسي حتى أعرفه. فجاء إبراهيم بن عيسى فهزَّني،

---

(١) مذهب أبي بكر هو أن يتصدق بكل ما معه فلما جاء رسولَ الله ﷺ بكلِّ ما يملك، قال له رسولُ الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك ؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله.

(*) تاريخ أصبهان ١/ ١٨٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٩٣، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٢٦٨، صفة الصفوة ٤/ ٨٣، الكواكب الدرية ١/ ٥١٠، الطبقات الصغرى للمناوي ٨٠.

وقال لي: إذا أردتَ أن تعرفَ ولياً من أولياء الله فاقرأ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

مات في سنة سبعٍ وأربعين ومئتين في أصبهان.

* * *

(١٥٦) إبراهيم بن ثابت البغدادي(*)

إبراهيم بن ثابت رحمه الله، كنيتُه أبو إسحاق، وكان من مشايخ بغداد، وصحب الجُنيد.

قال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: رأيتُه، فقلتُ: ادعُ لي. فقال: ما وضعه الله لك في الأزل أحسنُ من اختيارك، لأنَّه معارضة.

وأيضاً قلتُ له: أوصني. فقال: لا تفعلْ شيئاً تندَمْ بعده.

مات في سنة تسعٍ وتسعين ومئتين، أو ثلاث مئة[1].

* * *

(١٥٧) أبو محمد الجَريري(**)

أبو محمد الجَريري، من الطبقة الثالثة، اسمه أحمد بن محمد بن الحسين، وقيل: الحسين بن محمد، وقيل: عبد الله بن يحيى.

(*) تاريخ بغداد ٦/ ٤٩.

(١) في تاريخ بغداد ٦/ ٤٩: توفي سنة تسع وستين وثلاث مئة، حدثني هلال بن الحسن الكاتب، قال: توفي أبو إسحاق بن ثابت الدعاء في صفر سنة سبعين وثلاث مئة، وقد بلغ مئة سنة.

(**) طبقات الصوفية ٢٥٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٧، تاريخ بغداد ٤/ ٤٣٠، الرسالة القشيرية ٣٠، مناقب الأبرار ١٣١/ ب، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٧، المنتظم ٦/ ١٧٤، المختار من مناقب الأخيار ٦٠/ ب، الكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٥، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٦٧، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٨، البداية والنهاية ١١/ ١٤٨، طبقات الأولياء ٧١، طبقات الشعراني ١/ ٩٤، الكواكب الدرية ٢/ ٢٣.

كان من كبار أصحاب الجُنيد، وأجلسوه بعد الجنيد في مكانه، وكان من علماء مشايخ القوم.

وصحبَ سهلَ بن عبد الله التُّستري.

ومات في سنة الهَبير[1] في مُحاربة القرامطِةِ من العطش، سنة اثنتي عشرة، وقيل: سنة أربعَ عشرة وثلاث مئة.

قال رجل: أنا كنتُ معهم في تلك المُحاربة، وخلّصني الله تعالى من يد القرامطة، فلمّا رجعوا دخلتُ في القافلة شفقةً على خلق الله، عسى أن يتيسَّرَ لي أن أَسقي أحداً شربةً من الماء، وأنظر كيف كان حالُهم، وأدور بين الجرحى، فرأيت أبا محمد الجَريري، رحمه الله، بين الجرحى، وعمره تجاوز المئة، فقلت: يا شيخ، ألا تدعو الله حتى يكشفَ هذه البلية ؟. فقال: سألتهُ، فردَّ اللهُ جوابي: أفعلُ ما أريد. قال الرجل: فرددتُ هذا الكلام عليه، فقال لي: يا أخي، ينبغي لنا الرِّضا والتسليم لا الدُّعاء. ـ يعني: الدعاء قبل نزول البلاء يجوز، وبعد نزولِ البلاء الرِّضا والتسليم ـ فقلت: لك حاجةٌ ؟. فقال: أنا عطشان. فجئته بماء، فأخذه وأرادَ أن يشربَ، فنظر إليَّ، فقال: هؤلاء عطاش، وأنا أشرب!، لا كان هذا أبداً، هذا شرٌّ. فردَّه عليَّ، ومات، رحمه الله، من ساعته.

وقال أبو محمد الجَريري: **التصوفُ عنوةٌ لا صُلح**.

قال شيخ الإسلام: التصوفُ لا تجدُه بطلبٍ ولا بصلحٍ، لأنَّه قهرٌ، فهو سهمٌ مثلُ البرق، من الدور الأعظم، ينزلُ من السماء على من يستحقُّه، فمن يكن طالباً يشردُ عنه، ومن يكن أهلَه ينزلُ عليه، وإن كان شارداً عنه.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: تلك المحاربةُ التي تهربُ منها، وهي تأخذك،

---

(١) الهبير: رمل زرود في طريق مكة، كانت عنده وقعة أبي طاهر الجنابي الزنديق بالحاج يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ هـ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم. انظر معجم البلدان، والكامل لابن الأثير ٨/ ١٤٧.

لا المحاربة باليد فلا تحصل[1]، ومن قال هذا الكلام كان عن ذوق وعيان لا عن تعلُّمٍ، فلا يجيءُ مثلُ هذا الكلام عن العلم.

قال رجلٌ لأبي محمد الجَريري: كنتُ في بساط الأُنس، ففتحوا باباً من أبواب البَسط، فوقع منّي زلَّةٌ، وصرت محجوباً، فدُلَّني طريقاً حتّى أَجدَ ما فقدتُه. فبكى أبو محمد، وقال: يا أخي، كلُّهم مُبتلون بهذه البلية، لكنْ أقرأ لك أبيات القوم:

قِفْ بالديارِ فهذه آثارُهم ... تَبكي الأَحبَّةَ حسرةً وتشوُّقا

كم قد وقفتُ بها أُسائلُ مُخبراً ... عن أهلِها أو صادقاً أو مُشفقا

فأَجابني داعي الهوى في رَسْمها ... فارقتَ من تَهوى فعزَّ المُلتقى

* * *

(١٥٨) غانم بن سعد البغدادي(*)

غانم بن سعد، رحمه الله تعالى، كان من بغداد.

وصحب أبا مُحمد الجَريري، وكان في الورع والمجاهدة كاملاً.

رأوه بعد الموت، وقالوا له: ما فعلَ الله بك؟. فقال: رحمني الله، وأَدخلني الجنَّةَ. فقالوا: من أعمالك؟. قال: لا، ولو نظرَ إلى مُعاملتي ما كنتُ كذا.

* * *

(١٥٩) غيلان السمرقندي(**)

غيلان السمرقندي، رحمه الله تعالى، هو من كبارِ المشايخ.

صحبَ الجُنيد، وأخذَ عنه الطريقة، وكان في المعارف صاحبَ كلام.

---

(١) في المطبوع: تلك [هي] المحاربة التي تأخذك، وإن هربت منها، ولا [يعني بالعنوة] المحاربة باليد، فتلك لا تحصل.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الأولياء ٣٥٠.

قال: ينظرُ العارفُ من الحقِّ إلى الحقِّ، والعالمُ من الدَّليلِ إلى الحقِّ، وصاحبُ الوجد مُستغنٍ عن الدليل.

* * *

(١٦٠) غيلان الموسوس(*)

غيلان الموسوس، رحمه الله تعالى، ويُقال له أيضاً: غيلان المجنون، وهو من قدماء مشايخ العراق، وكان لا يَختلطُ بأحدٍ، وكان في الخرابة، ولا يقبلُ شيئاً من أحدٍ، وما رآه أحدٌ يأكلُ شيئاً

قال محمد السمين: رأيتُ غيلان في خرابةٍ بالكوفة، فسألتُه: متى يخرجُ العبدُ من خطر الغفلة؟. قال: في الوقت الذي يكونُ مشغولاً بما كان مأموراً به، وغافلاً عمَّا نهاه، ومحاسباً نفسه.

* * *

(١٦١) أبو العباس بن عطاء(**)

أبو العباس بن عطاء، قدّس الله تعالى سرَّه، من الطبقة الثالثة، واسمه أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي، كان بغدادياً، وهو من عُلماء المشايخ، ومن ظُرفاء الصوفية، وله كلامٌ حسن، ولسانٌ فصيح، وفسَّرَ القرآن من أوله إلى آخره بلسانِ الإشارة.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الصوفية ٢٦٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٢، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦، الرسالة القشيرية ٣١، مناقب الأبرار ١٣٤/أ، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٤، المنتظم ٦/ ١٦٠، المختار من مناقب الأخيار ٦٣/ب، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥، العبر ٢/ ١٤٤، الوافي بالوفيات ٨/ ٢٤، مرآة الجنان ٢/ ٢٦١، البداية والنهاية ١١/ ١٤٤، طبقات الأولياء ٥٩، طبقات الشعراني ١/ ٩٥، الكواكب الدرية ٢/ ٣٤، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٧.

كان من تلامذة إبراهيم المارستاني، وكان من أصحاب الجُنيد. وأبو سعيد الخراز يعظِّمه، ويكرِّمه.

قال الخرَّاز: **التصوفُ خُلقٌ، وليس إنابةً، وما رأيت من أهله إلا الجُنيد، وابن عطاء.**

وقتل ابن عطاء بسبب الحلاّج، في ذي القعدة، سنة تسعٍ وثلاث مئة، وقيل سنة إحدى عشرة وثلاث مئة في خلافة القاهر بالله[1].

قال الوزير الذي قتلَ الحلاج لأبي العباس: ما تقولُ في الحلاّج؟. فقال: عليكَ بردُّ المظالم. قال الوزير: أتعترض[2] علي؟!. ثم أمرَ به، فقلعوا أسنانه واحداً واحداً، وغرزوها في رأسه حتى مات.

سُئل ابن عطاء: **ما أفضلُ الطَّاعات؟. فقال: ملاحظةُ الحقِّ على دوامِ الأوقات.**

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٨١]: **يميتني عنّي، ثم يحييني به.**

وأيضاً عنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]، **فقال: ثم استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى.**

وأيضاً عنه قال: **الأدبُ الوقوف مع المُستحسنات. فقيل له: وما مَعنى ذلك؟. قال: أن تعاملَ الله بالأدب سرًّا وعلانيةً، فإذا كنتَ كذلك كنت أديباً، وإن كنتَ أعجمياً.**

إذا نَطَقَتْ جاءتْ بكلِّ مليحةٍ وإن سَكتَتْ جاءَتْ بكلِّ مليحِ

وقال شيخ الإسلام: الأدب مع الله تعالى أن تعمل عملاً تخرج فيه عن الماء

(١) كذا في الأصول، وقد قتل الحلاج سنة ٣٠٩ في خلافة المقتدر بالله (٢٨٢-٣٢٠) الذي بويع بالخلافة سنة ٢٩٥، وكثرت في أيامه الفتن، وكان ضعيفاً مبذراً، استولى على الملك في عهده خدمه ونساؤه، فذهب رونق الدولة وهوى بها. انظر الأعلام ٢/ ١٢١.

(٢) في المطبوع: أتعرّض بي.

والتراب ورعونة النفس، فلا تقول: أنا وعملي، بل تقول: هو وتوفيقه وعنايته.

* * *

(١٦٢) أبو صالح المزين(*)

أبو صالح المُزيّن، رحمه الله، كان من أكابر المشايخ، وصحب ابن عطاء، واختار الخلوةَ، وما اختلطَ مع أحدٍ.

قال سهل بن عبد الله: كنت متمنٍّ صحبتَه، فرأيْته في الحرم، فأردت صحبتهَ، فقال: يا سهل، إن ماتَ أبو صالح غداً مع من تَصحب ؟. قلت: لا أعلم. قال: إذن احسبْ هذا الأمر. ثم غاب عن عيني.

* * *

(١٦٣) أبو العباس الأرزيزي(**)

أبو العباس الأرزيزي، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: قال أبو العباس الأرزيزي: قال أبو الحسن العبّاداني: أنا وفقير دخلنا البصرة، وإلى ستَّةِ أيامٍ ما أكلنا شيئاً، ففي اليوم السابع دخلَ علينا شخصٌ، وأعطاني قطعةَ ذهبٍ، وأعطاه قطعة، فأنا أعطيته رفيقي ليشتري بها طعاماً، فأكلنا، ثم عزمنا، ووصلنا إلى ساحل البحر، فأعطينا القطعة الأُخرى للملاح، وركبنا السفينة، فمشينا يومين، فرأيت صوفياً جالساً مُنكِّساً رأسه، لا يقومُ إلاّ وقت الصلاة، فإذا صلّى الصلاةَ نكس رأسه، فذهبنا عنده، وقلنا له: إنّا من جنسك، فإن كان لك حاجةٌ فقل لنا. فقال: إن كان لي حاجةٌ أقول ؟. فقلتُ: قل. قال: غداً بعد الظهرِ أموتُ، فأنتم قولوا للملاح حتى

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

يذهبَ بي إلى الساحل، فإن امتنعَ الملاحُ، فأعطوه شيئاً من ثيابي، فإذا وصلتم الساحل، وأبصرتم الأشجارَ، فتحت أكبرها تجدون ما تحتاجونه لي؛ فاعملوا بي ما أَمَرَ به الشَّرعُ، وادفنوني في ذلك المكان، ولا تضيّعوا مُرقّعتي، واحملوها، فإذا وصلتم الحِلَّةَ[1] فسيأتيكم شابٌّ ظريفٌ، فإن طلبكم فأعطوه إيّاها.

فلمّا كان الغدُ صلّى الظهرَ، وأدخل رأسَه في المُرقعة، فذهبتُ عنده، فإذا هو ميت، وحملَه الملاّحُ في السفينة إلى الساحل، فرأيتُ الأشجارَ كثيرةً، وبينها شجرةٌ كبيرة، فقربتُ من الشجرة فرأيتُ تحت الشجرة قبراً محفوراً، وجميعَ حوائج تكفينه وتغسيله حاضرةً، فدفنته، وأخذت مُرقعته، وعزمت إلى الحلّةِ، فاستقبلني شابٌّ بتلك العلامات، فقال لي: أعطني وديعتي. قلت: أجل، لكنْ أسألُكَ مسألةً، فرُدَّ جوابي بحقِّ الحقِّ وأهلِه. قال: قل. قلت: من هو، ومن أنت، وما هذه القصة؟. قال: كان شيخاً يطلبُ الوارث، فوجدني وارثاً، فأعطني وديعته. فأعطيته إيّاها، فغاب عنّي، ثم لبس المُرقعة، وأعطاني ما كان عنده من ثيابٍ وذهب، ودخلنا مسجدَ الحِلَّة، فما وجدنا شيئاً نأكله إلى يومين، فأعطيتُ بعضَ ثيابه رفيقي ليشتري به طعاماً، فرأيته بعد ساعةٍ قد جاء، ومعه خلقٌ عظيم، فأخذوني وجرُّوني، فقلت لهم: ماذا وقعَ مني؟. قالوا: اليوم ثلاثةَ أيام، وولدُ رئيس الحلّةِ غائبٌ عنّا، وثوبُه وجدناه عندك. وذهبوا إلى الرئيس، فقال: أين ولدي، وثيابُه عندك، فقل أين هو؟. فقصصتُ عليه القصَّة من أولها إلى آخرها، فبكى، ورفع رأسَه إلى السماء، فقال: الحمد لله الذي كان في صلبي، مثلُه ينبغي لك، يا الله[2].

وقال شيخ الإسلام: جميعُ الخلائق يأخذونَ الميراث من الأموات، إلاّ هذه الطائفة فيأخذون الميراثَ من الأحياء.

---

(١) الحِلَّة: عَلَمٌ لعدة مواضع أشهرها حِلَّة بني مزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد. معجم البلدان.

(٢) في المطبوع: الحمد لله الذي أخرج من صلبي مثلَه، ممن يبغيك يا الله.

وقال: ما صحبَ أحدٌ صاحبَ ولايةٍ بالصِّدقِ والإخلاص إلاّ ورثَ من أحواله شيئاً.

* * *

(١٦٤) أبو العباس الدينوري(*)

أبو العباس الدينوري، رحمه الله، من الطبقة الخامسة، اسمه أحمد بن محمد.

صحب يوسف بن الحسين، وعبد الله الخراز، والجريري، وابن عطاء، ورأى رُويماً، وكان له طريقٌ حسنٌ مع الاستقامة.

جاء نيسابور وأقامَ بها مدةً، وكان واعظاً بلسانِ المعرفة، ثم جاءَ إلى تِرمذ، وفيها محمد بن حامد تلميذُ أبي بكر الورّاق، فاستقبله، وقبّل ركابَه، فما استحسنَ تلامذتُه ذلك، وقالوا له: لِمَ فعلتَ هذا؟. قال: سمعتُه يُثني على الله بأحسنِ الثناء.

ثم جاء إلى سمرقند، ومات بها، في سنة أربعين وثلاث مئة.

سئل أبو العباس: بمَ عرفت الله؟. فقال: ما عرفتُ. يعني: الاعتراف بالعجز.

وأيضاً عنه قال: أدنى الذِّكرِ أن تنسى ما دونه، ونهايةُ الذِّكرِ أن يغيب الذَّاكرُ في الذِّكرِ عن الذكر، ويستغرقَ بمذكوره عن الرُّجوعِ إلى مقامِ الذكر، وهذا حالُ فناءِ الفناء.

* * *

(*) طبقات الصوفية ٤٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، الرسالة القشيرية ٣٨، مناقب الأبرار ٢٠٦/أ، المختار من مناقب الأخيار ٧٠/أ، طبقات الأولياء ٧٩، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، الكواكب الدرية ٢/ ٢٩.

(١٦٥) أبو العباس الشيرازي[*]

أبو العباس أحمد بن يحيى الشيرازي، قدَّس الله سرَّه، كان أستاذَ أبي عبد الله بن خفيف.

وقال الشيخ أبو عبد الله: ما رأيتُ متحقِّقاً في الوجدِ أحداً مثلَه.

وكان له سكرٌ تامٌّ، إذا ذهبَ إلى الصَّحارى يلعبُ مع الأسد.

واجتمعَ مع الجُنيد، ورُويم، وسهل بن عبد الله.

قال الشيخ أبو عبد الله: كنتُ مع أحمد بن يحيى في ليلةٍ، وكان معي صبيٌّ من أصحابه، فأرادَ الصبيُّ أن يذهبَ عند أُمِّه، وكان بردٌ عظيم، فأوقدتُ النار، وأحمدُ كان في السماع، وله وقتٌ عظيم، فقال بعضُ أصحابه: من يذهبُ بهذا الصبي إلى بيته؟. فما ردَّ أحدٌ جواباً، فأخذ أحمد بن يحيى جمرتين كبيرتين على كفِّه[1]، ووضع كمَّه عليهما، وقال للصبيِّ: قم. فذهبَ به إلى بيته، ونحن نبصرُ ضوءَ تلك الجمرتين من تحت ثوبه، فلمَّا دخلَ الصبيُّ في البيت، رمى الجمرتين، فكانتا فحماً، فدخل المسجدَ، وصلَّى الصلاة إلى أذان الصبح.

* * *

(١٦٦) أبو العباس الباوردي[**]

أبو العباس الباوردي[2]، رحمه الله تعالى، كان كبيرَ الشأن.

رأى الشبلي، وكان في نيسابور. والشيخُ أبو بكر الطمستاني، والشيخ أبو

(*) سيرة ابن خفيف ١٢ وانظر الفهرس.

(١) في (ح)، والمطبوع: على عنقه.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، وفي المطبوع: الأبيوردي.

(٢) في (ص): الماوردي.

بكر أيضاً كانا في نيسابور، واجتمعا بالشبلي.

قالا: كان الشبلي صاحبَ حالٍ، وما كان له توحيدٌ مقدارُ ذرَّةٍ.

قال شيخ الإسلام: كان الشبلي هكذا كما قالا، فالشبليُّ كان يتكلَّمُ في التوحيد بالدعوى لا متمكِّناً.

* * *

(١٦٧) أبو العباس البرذعي(*)

أبو العباس البرذعي، رحمه الله تعالى، اسمه أحمد بن محمد بن هارون البرذعي الصوفي.

يحكي عن الشيخ أبي بكر بن طاهر الأبهري، والمُرتعش.

قال: قال المُرتعش: من لا تنفعُ رؤيته لا ينفعُ كلامُه.

وأيضاً عنه قال: قال أبو بكر بن طاهر الأبهري: **لا يصلحُ الكلامُ إلاّ لرجلٍ إذا سكتَ خافَ العقوبةَ بسكوته.**

* * *

(١٦٨) أبو العباس السيَّاري(**)

أبو العباس السيَّاري، من الطبقة الخامسة، اسمه القاسم بن القاسم بن المهدي، وكان من أولاد بنت أحمد بن سيار، وكان من أهل مرو، وشيخَهم،

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ٢١٩، تاريخ ابن عساكر مجلد ١/ ٢ ورقة ١٠٠، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٧٥، والبرذعي نسبة إلى برذعة ـ ويقال بردعة بالدال المهملة ـ بلد في أقصى أذربيجان.

(**) طبقات الصوفية ٤٤٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٠، الرسالة القشيرية ٣٧، الإكمال ٤/ ٥٠٩، مناقب الأبرار ١٩٧/أ، الأنساب ٧/ ٢١٢، المنتظم ٦/ ٣٧٤، المختار من مناقب الأخيار ٣١٩/ب، اللباب ٢/ ١٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٠، العبر ٢/ ٢٦٠، طبقات الأولياء ٣٦٦، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٩، طبقات الشعراني =

ومن تلامذة أبي بكر الواسطي، وكان عالماً بحقائقِ الأحوال، وفقيهاً، ومحدثاً.

ورث من أبيه مالاً كثيراً، فاشترى بجميع المال شعرتين من شعرِ النَّبيِّ ﷺ، وببركاته أعطاه اللهُ توفيقَ التوبة، فصحبَ أبا بكر الواسطي، ووصل إلى درجةِ الكمال، حتى كان إمامَ صنفٍ من المتصوّفة يسمونها السيَّارية، ولمّا قَرُبَ أجلُه أوصى المريدين: أن ضعوا تلك الشعرتين في فمي.

وقبره في مرو، يذهبُ الناسُ لقضاء حوائجهم إليه، فيَقضي اللهُ تعالى حاجتَهم ببركته، وهذا مُجرَّبٌ.

مات في سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة.

قال: **التوحيدُ ألاّ يخطرَ بقلبك ما دونه.**

وأيضاً عنه قال: قالوا للواسطي عند الموت: أَوصنا. فقال: **احفظوا مُرادَ الله فيكم.**

* * *

(١٦٩) عبد الواحد السيَّاري (*)

عبد الواحد بن عليٍّ السياري، رحمه الله، هو ولد أُختِ أبي العباس، وتلميذه.

أوقفَ رباطاً في مرو للصوفية، وكان سببُه أنَّه دعا الصوفية، فحصلَ لهم الوجدُ والرقص، فطارَ واحدٌ منهم في الهواء، وغابَ وما رجع أبداً.

ومات في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

عنه قال: سمعتُ خالي أبا العباس السيَّاري يقول: لو كان يجوزُ أن يُقرأ في

= ١/ ١١٩، الكواكب الدرية ٢/ ٥٢، الطبقات الصغرى للمناوي ١٤٦، والسياري نسبة إلى جده أحمد بن سيار.

(*) ذكره السلمي في طبقاته (انظر الفهرس)، مجمل فصيحي ٢/ ٩١، وأنه توفي سنة ٣٧٥هـ.

الصلاة غير القرآن، لجاز أن يُقرأ هذا البيت:

أتمنّـى علـى الـزّمـانِ مُحـالاً　　أنْ تـرى مُقلتـايَ طَلْعَـةَ حُـرِّ

* * *

(١٧٠) أبو العباس السُّهروردي(*)

أبو العباس السهروردي، رحمه الله تعالى، اسمه أحمد.

كان في مكّةَ مع مشايخ الوقت مثل السيرواني، وغيره.

قال أبو العباس: كنتُ في منى يومَ النحر، والمشايخُ كانوا مُجتمعين، والشيخُ السيرواني كان حاضراً، فأنشدَ القوَّالُ شيئاً، فبكى، وذهب، فقال القوم: ما فعلَ السيرواني، أكانَ مُنكراً للسماع؟. وكان الشيخُ أبو الحسين[1] السَّرْكي حاضراً، فقال: عاهدتُ الله، إنْ كان هو منكراً للسماع ألاّ أحضرَ في مجلسِ السَّماعِ أبداً. فقال الشيخ أبو العباس السُّهروردي: وأنا أُوافقُكَ على عهدك. وفي اليوم الثاني هذان الشيخان ذهبا، ومعهما جماعةٌ إلى السيرواني، فسلَّموا عليه، وأرادوا أن يَسألوه، فقال قبل السؤال: كنتُ زماناً طويلاً أرقدُ على الرَّملِ والحجارة، ووسادتي يدي، وأثرُ الأحجارِ في جنبي، وكنت أجلسُ مع أهل السماع، والآن أجلسُ على الفرش، وأنتم باقون كما كنتم، فكيفَ يجوز لي أن أجلسَ معكم في السماع؟.

* * *

(١٧١) أبو العباس النَّهاوندي(**)

أبو العباس النهاوندي، قدس الله سره، عدَّهُ شيخُ الإسلام في الطبقة السادسة، واسمه أحمد بن محمد بن الفضل.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في الأصل: الحسن، انظر ترجمته صفحة ٣٩٦.

(**) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٠، مجمل فصيحي ٢/ ٥٤ وقال إنه توفي سنة ٣٣١هـ.

ومن تلامذة جعفرِ الخلدي، وشيخُ الشيخِ عمُّو، والشيخُ أبو العباس سمّوه عمُّو في لغتهم: سلطان.

قال شيخُ الإسلام: حكى لي عباسُ الهروي: قال أبو العباس النَّهاوندي: من تكلَّمَ في هذا العلم ولا يكون اللهُ حجَّتَه، فالله خصمُه.

قال شيخ الإسلام: الكلام عن الله ثلاثة:

- كلام عن ذاته، سمعه من أستاذه، عن كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ.
- وكلام عن دينه، سمعه من أستاذه، عن كتابٍ، وسنَّةٍ، وآثارِ الصحابة.
- وكلام عن صحبته، فمن تكلَّم به، ولم يكن الله مُوجدَه ولا سمعه ولا بصرَه، فاللهُ خصمُه.

قال شيخ الإسلام: قال النَّهاوندي: صاحبُ الهمَّةِ إن شغلته يده اليُسرى عن الله يَقطعُها بيده اليمنى.

قال شيخ الإسلام: كان رجلٌ في نهاوند يَبيعُ النَّفطَ، ويخدمُ الفقراء، ثم هجره الفقراء، فلم يقبلوا منه شيئاً، فسُئل النهاوندي عنه، فقال: هو يتفاخرُ به، فحَرُمَ على الفقراءِ مالُه.

قال النَّهاوندي: كنتُ في ابتداء إرادتي مدة اثنتي عشرة سنة مُراقباً، حتى أَراني ذرةً من القلب.

وأيضاً عنه قال: جميعُ الخلائق يتمنَّون أن يكونوا مع الله لحظةً، وأنا أتمنَّى أن أغفلَ لحظةً، حتَّى أفهمَ من أنا، ومن أَين أنا.

ومذكور في كلام الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير: أن أصلَ هذا الحديث أنَّه لاَ يكله إلى نفسه، كما قالَ رسولُ الله ﷺ: **«اللَّهُمَّ، لا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، ولا أقلَّ من ذلك»**[1].

---

(١) ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٨١: عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا تنزع مني صالح ما أعطيتني». وقال: رواه البزار، وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك.

وحكى النَّهاوندي عن عجوزٍ كانت في مرو، وسمعتْ كلامَ الشيخ أبي علي الدقاق، فقالت: يقول الشيخ: اللَّهُمَّ، لا تكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، وأنا أطلبُ منه: يا الله، كِلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ حتى أعرفَ نفسي، وأفهمَ أين أنا، وبأيِّ مكانٍ أنا.

وقال النهاوندي: اصحبوا الله كثيراً، والخلقَ قليلاً.

وقيل: سمعَ يهوديٌّ أن بين المسلمين أصحابَ فِراسةٍ، فجاء في خانقاه أبي العباس القصَّاب، فقال الشيخ: ما للأجنبي والمُحبِّين ؟!. فرجعَ اليهودي، وقال: علمت واحداً. ثم عزمَ إلى خانقاه الشيخ أبي العباس النَّهاوندي، فلمَّا دخلَ خانقاهه ما قال له الشيخُ شيئاً، فجلسَ معهم أربعةَ أشهرٍ يتوضَّأُ ويُصلِّي معهم، فبعدَ أربعةِ أشهرٍ أرادَ أن يندر[1] من الخانقاه، فقال الشيخ: لا ينبغي للفتى أن يأكلَ الخبزَ والمِلحَ ويذهبَ أجنبياً كما جاء. فأسلمَ اليهودي، وأقام عند الشيخ، وبعد الشيخ جلس مكان الشيخ.

* * *

(١٧٢) أخو فرج الزنجاني(*)

أخو فرج الزنجاني، قدس الله روحه، وهو مُريدُ الشيخ أبي العباس النَّهاوندي.

مات يومَ الأربعاء غرَّة رجب، سنة سبعٍ وخمسين وأربع مئة، وقبره في زنجان[2].

قيل: كان له هرَّةٌ، وكان عادتُها تصيحُ بعدد الضِّيفان التي تأتي إلى خانقاه الشيخ، فالخادم على قدر صياحها يزيدُ الطعامَ، وفي يومٍ زادَ واحدٌ على

---

(١) في المطبوع: يخرجَ.

(*) كشف المحجوب ٣٨٨. مجمل فصيحي ٢/ ١٥٠، ١٥٧.

(٢) زَنْجان: بلد كبير من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين، والعجم يقولون زنكان. معجم البلدان.

صياحها، فتعجَّبوا، فالهرةُ دخلت على الجماعة، وشمَّتْ كلَّ واحدٍ، ثم بالتْ على واحدٍ منهم، فتحقَّقوا أنَّه كان يهودياً.

وقيل: إن الطباخَ اشترى يوماً لبناً، وحطَّه في قِدْرٍ، فوقعَ حنشٌ في اللَّبن، فاطلعت الهرة، وجعلتْ تحوم حول القِدر وتصيحُ، والخادمُ كان غافلاً عنها، وما فهمَ مُرادَها ويزجرُها ويَطردُها، وما انتبه الخادمُ، فرمتْ نفسها في اللَّبنِ وماتت، فلمَّا صبُّوا اللبنَ من القِدر رأوا فيه حيَّةً، فبانَ سببُ صياحها، فأمرَ الشيخُ أن يدفنوها، ويجعلوا قبرَها مَزاراً؛ لأنَّها فدتْ بنفسها الفقراءَ المُحبّين لله تعالى، وإلى الآن يُزار قبرُها.

* * *

(١٧٣) أبو العباس النسائي (*)

أبو العباس النسائي، رحمه الله، واسمه أحمد بن محمد بن زكريا، كان من نيسابور، وأقامَ في مصر.

ورآه الشيخُ عباسُ الهروي في مصر، ورآه الشيخُ عمُّو في مكة.

[قال عباس الهروي]: وكان الناسُ يزورونه على الدَّوام، ويتركونَ خيلَهم وبغالهم على الباب، فقال لي يوماً: اذهبْ واحرسِ الدَّوابَّ. فجاء في خاطري: أجئتُ من خُراسان إلى مصرَ لخدمةِ الخيل والبغال؟. وكنتُ فارغَ البال، فجاءَ واحدٌ وقال: الشيخُ يُناديك. فدخلتُ عليه، فقال الشيخ: يا هروي، قريبٌ من هذا الوقت تَجلسُ في صدر المجلس، وتكونُ الدَّوابُّ ببابك، ينبغي لك أن تأمرَ مَنْ يَحرسها.

قال شيخ الإسلام: كان هكذا كما قاله شيخه، فكانتِ السَّلاطينُ والوزراء يَجيئون لزيارته.

(*) تاريخ بغداد ٥/ ٩، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٤٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ١٣٦، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/ ٣٨٠، غاية النهاية ١/ ١١٥، العقد الثمين ٣/ ١٣٦، هدية العارفين ١/ ٦٥.

(١٧٤) أبو العباس بن سُريج (*)

أبو العباس بن سُريج، رحمه الله، اسمه أحمد بن عمر[1] بن سريج.

مات في سنة خمسٍ وثلاث مئة. ويسمونه الشافعي الصغير لجلالته. وكان فقيه العراقِ، وأقامَ في بغداد.

وصحب الجنيد ورآه.

وإذا تكلَّم في الأصول والفروع يُعجبُ كلامُه أهلَ المجلس، فيقول: أتعرفونَ من أين هذا الكلام؟ من بركة مُجالسة أبي القاسم الجُنيد، رحمه الله.

جلس يوماً عبدُ العزيز البهراني[2]. في آخرِ مجلس أبي العباس بن سريج، وسألَه عن هذا الطريق، فأجابه جواباً حسناً، فصاح صيحةً، وخرَّ مغشياً عليه، فلمَّا أفاقَ، قال أبو العباس: أنا كنتُ مع شيخك الجُنيد زماناً طويلاً، والآن هؤلاء الفقهاءُ أشغلوني، فإن أحببَت أن أُكلِّمَك في مثل هذا الكلام أُعيِّنُ لك يوماً خاصاً.

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: قبل أن يدخلَ ابنُ سُريج شيرازَ كان اعتقادُ أهلِ العلم أنَّ الصوفيةَ جُهّال، فلمَّا دخلَ ابن سُريج شيراز، وبيَّنَ المراتبَ والأحوالَ، ومقامَ الصوفية، وتكلَّم موافقاً لكلامهم، وشهدَ بفضلهم، وكان كثيراً ما يقول: واللهِ، ما صرتُ آدمياً إلاَّ بواسطة صُحبةِ الصُّوفية، وما تعلَّمْتُ الأدبَ إلاَّ منهم. فمن ذلك الزمان عرفَ العلماءُ الصوفيةَ، وعزَّزوهم وأكرموهم.

* * *

(*) فهرست ابن النديم ٢٩٩، تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧، المنتظم ٦/ ١٤٩، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٥١، وفيات الأعيان ١/ ٦٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠١، العبر ٢/ ١٣٢، دول الإسلام ١/ ١٨٥، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٤٦، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢١، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٠، البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، النجوم الزاهرة ٣/ ١٩٣، شذرات الذهب ٢/ ٢٤٧.

(١) في (ح) و(ص): ابن عمران.

(٢) في المطبوع البحراني. وأشار بالحاشية وهو الصواب.

(١٧٥) أبو العباس الهروي(*)

أبو العباس حمزة بن محمد، هو من قُدماء مشايخ هَراة.

كان كاملاً في الورع، مُستجابَ الدعوة، وكان سخياً عظيماً، ومن رُفقاء أحمد بن حنبل، وعلى مَذهبه، وبسببه انتشرَ في هراةَ مذهبُه.

صحب إبراهيم ستنبه، رحمهما الله.

قال أبو العباس: من لم يُهذَّبْ بصحبةِ أولياءِ الله والمشايخ، لا يُهذِّبُهُ شيءٌ من النَّصيحة والموعظة.

ومات في سنة إحدى وأربعين ومئتين.

* * *

(١٧٦) الحسين بن منصور الحلاج(**)

الحسين بن منصور الحلاّج البيضاوي، رحمه الله تعالى، من الطبقة الثالثة، كنيته أبو المُغيث.

كان من البيضاء، مدينةٍ من مُدنِ فارس، وما كان حلاّجاً، بل يوماً ذهبَ

(*) حلية الأولياء عرضاً: ٢/ ٩٢، ٣٥٠. ٣/ ٩٣. ٥/ ١٩٥. ٦/ ١٩...

(**) طبقات الصوفية ٣٠٧، تجارب الأمم ١/ ٧٦ (حوادث سنة ٣٠٩)، الفهرست ٢٦٩ (الفن الخامس من المقالة الخامسة)، تاريخ بغداد ٨/ ١١٢، مناقب الأبرار ١٧٥/ ب، الأنساب ٤/ ٢٧٨، المنتظم ٦/ ١٦٠، المختار من مناقب الأخيار ١٢٩/ ب، الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٦، وفيات الأعيان ٢/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٣١٣، العبر ٢/ ١٣٨، ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٨، دول الإسلام ١/ ١٨٧، الوافي بالوفيات ١٣/ ٧٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٥٣، البداية والنهاية ١١/ ١٣٢، طبقات الأولياء ١٨٧، لسان الميزان ٢/ ٣١٤، النجوم الزاهرة ٣/ ١٨٢، ٢٠٢، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ٦٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٣، وانظر اخبار الحلاج جمع ماسنيون وكراوس، مطبعة المثنى بغداد ١٩٣٦، وديوان الحلاج جمع ماسنيون نشر في المجلة الآسيوية، باريس ١٩٣١.

إلى دُكَّانِ حلاَّجٍ، وكان بينهما مؤانسةٌ، فأرسلَه بخدمةٍ، ثم قال: أشتغلُ بذلك[1]. فأشار بالإصبعِ، فحلجَ البرعمَ من القطن، فسمُّوه من ذلك اليوم حلاّجاً[2].

أقام في واسط، والعراق.

وصحب الجُنيد، والنُّوري، وكان من تلامذة عمرو بن عُثمان المكي.

والمشايخُ اختلفوا في حاله، فأكثرُهم ردَّه، وقليلٌ منهم قبلوه، مثل أبي العباس ابن عطاء، والشِّبلي، والشيخ أبي عبد الله بن خفيف، والشيخ أبي القاسم النصراباذي.

وأبو العباس بن سُريج ما رضي بقتله، وقال: أنا لا أعرف ما يقوله.

وذكر في كتاب «كشف المحجوب»[3]: أنَّ المُتأخّرين كلَّهم قبلوه، وهجْرُ[4] بعضِ المُتقدّمين له ما كان هجرةً لدينه، بل هجروه للمُعاملة، وهجر المعاملة لا يكونُ هجراً من الأصل.

ومن المتأخرين سُلطان الطريقة الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير، قدّس الله سره، قال: كان الحسينُ بن منصور الحلاّجُ في الدرجة العليا، وفي زمانه ما كانَ أحدٌ مثلَه، لا في الشرق ولا في الغرب.

قال شيخ الإسلام: أنا ما أقبله بموافقة المشايخ ورعاية الشرع والعلم[5]، وأنا لا أَطردُه، وأنتم كذلك لا تطردونه، فنتوقَّفُ في حاله، وأنا أُحبُّ من يقبلُه على من يَطرده.

---

(١) في المطبوع: أنا أشتغل بدله.

(٢) اختلف في سبب نسبته، فقيل لأنه حلج قطناً، وقيل: لأنه كان يتكلم على أسرار الناس وما في قلوبهم، ويخبر عنها فسمي بذلك حلاج الأسرار، وقيل: بل إن أباه كان حلاجاً فنسب إليه. انظر الأنساب ٤/ ٢٧٩.

(٣) انظر كشف المحجوب ٣٦٢.

(٤) في الأصل: وما أفتى به بعض. والمثبت من المطبوع.

(٥) في المطبوع: أنا لا أقبله موافقةً للشرع والعلم.

وقال أبو عبد الله بن خفيف: هو إمامٌ ربّاني.

قال شيخ الإسلام: هو إمام، لكن ما حفظَ أدبَ الشريعة، وما وقع عليه شيءٌ إلاّ بسبب هذا، ومع وجود هذه الدعوى كان يُصلّي ألفَ ركعةٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، وفي اليوم الذي قُتل فيه صلّى خمس مئة ركعة.

قال شيخ الإسلام: قتلوه بسبب مسألةِ الإلهام، وكان عليه ظلمٌ وجور، وقالوا: هذا دعوى، وما كان كذلك.

ووقفَ الشبلي تحت مَصلبته، وقال: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]. فالقاضي الذي أمرَ بقتله قال: هو يدَّعي النُّبوةَ، وأنت تدَّعي الألوهية.

قال الشبليُّ: أنا أقول ما قال الحلاجُ، ولكنْ خلّصني الجنونُ، وواخذه العقل.

جاء الحلاجُ يوماً، ودقَّ بابَ الجنيد، فقال الجُنيد: من أنت؟. قال: حقٌّ. فقال الجُنيد: بل بحقٍّ. ثم قال: أيُّ خشبة تفسدها[1]؟.

وما وقع على الحلاج إلا بدعاءِ شيخه عمروِ بن عثمان المكي، لأنَّه صنَّف شيئاً في علم التوحيد وعلم الصوفية، فأخذَهُ خفيةً، ونشرَه على الناس، وكان فيه كلامٌ دقيق، فما فهموه، وأنكروا عليه وهجروه، فالشيخُ عَمرو دعا عليه، وقال: إلهي، سلّطْ عليه واحداً حتى يقطعَ يدَه ورجلَه، ويقلعَ عينه ويصلبه، فوقع عليه كلُّه بسبب دُعاء أستاذه.

* * *

(١٧٧) عبد الملك الإسكاف[*]

عبد الملك الإسكاف، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: عبد الملك الإسكاف من تلامذة الحلاّج، وكان عمره عشرين ومئة سنة، وكان مع الشريف حمزة العقيلي في بلخ، وأبي، والشيخُ

---

(١) يريد أنه يُصلب. انظر سير أعلام النبلاء ١٤/٣١٧.

(*) محنة الحلاج ٦١، سيرة عبد الله بن خفيف ١٥٨.

الفارسي، وأبو الحسن الطبري، وأبو القاسم الحنانة[1]، وكلُّهم كانوا من رفقاء الشريفِ حمزة العقيلي، والشريفُ حمزةُ يفضّلُ أبي عليهم كلِّهم.

فيوماً قال أبي: قال عبد الملك الإسكاف: قلتُ للحلاّج: أيُها الشيخ، من العارف؟. فقال: العارفُ هو الذي يومَ الثلاثاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وثلاث مئة، يذهبون به إلى بابَ الطاق[2]، ويقطعون يدَه ورجلَه، ويقلعون عينه، ويصلبونَه، ويحرقونه، وينثرون رمادهُ في الريح. قال عبد الملك: فوقع مثلُ ما قال.

وقال شيخ الإسلام: لا أعلمُ كان الحلاجُ عالماً به، أو كان قائلاً هكذا.

وكان له تلميذٌ اسمُه هيكل، فقتلوه معه، وسمُّوه تلميذَ الحسين، وأبو العباس بن عطاء قتلوه بسببه.

* * *

(١٧٨) إبراهيم بن فاتك البغدادي(*)

إبراهيم بن فاتك، وقيل: أحمد بن فاتك، كنيتُه أبو الفاتك، كان من بغداد.

وصحب الجُنيد، والنُّوري، وكان الجنيد يُكرمه، وهو أيضاً من تلامذة الحلاّج، ومنسوباً إليه.

قال إبراهيم: رأيتُ اللهَ تعالى الليلةَ التي صلبوا الحلاّجَ فيها، فقلتُ: يا الله، ما فعلتَ مع الحلاج؟. قال: أظهرتُ عليه سرًّا من أسراري، فأظهرَه على الخلائق، فتجلّيتُ عليه تجلياً، فأُعجبَ بنفسه، وجذبَ الخلائقَ إلى نفسه.

---

(١) في المطبوع: الخاني.

(٢) باب الطاق محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، بين الرُّصافة ونهر المُعلّى، وبه كان مجلس الشعراء في أيام الرشيد. معجم البلدان.

(*) طبقات الصوفية (انظر الفهرس) كتاب الطواسين ٢٠٦، محنة الحلاج (انظر الفهرس).

قال شيخ الإسلام: قتلُ الحلاجِ كان نقضاً له، وما كان كرامةً له، ولو كان كاملاً لما وقعَ عليه ما وقع، ولا ينبغي إفشاءُ السرِّ إلاّ لأهله حتَّى لا يظهرَ السرُّ، وإنْ تكلَّمَ به لغيرِ أهله وجبتْ العقوبة.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: كان الحلاّجُ ناقصاً في وقت كلامه، وما كان كاملاً، ولو كان كاملاً فيه لكانَ الكلامُ مقامَه، وتكون نفسُه حيَّةً، ولا يُنكر عليه أحدٌ، فينبغي له حالٌ غيرُ هذا الحال، فما كان مُجرَّماً لهذا الكلام، وأنا أقولُ أقوى منه عند العوام، ولا يُنكرونَ عليَّ، ويبقى السرُّ على حاله؛ لأنَّه إن لم يكن أهلَه لا يفهمه.

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: دخلتُ في السِّجن بحيلةٍ، فرأيتُ داراً حسنةً، وفراشاً مليحاً، ومجلساً مزيَّناً، وكان حبلٌ مربوطٌ، وعليه منشفةٌ مُعلَّقة، وغلامٌ حسنُ الوجه واقفٌ عنده، فقلت لعبده: أين الشيخُ؟. قال: في سقايةٍ. قلتُ: كم مدَّة كنتَ في خدمة الشيخ؟. قال: اليوم، ثمانية عشر شهراً وأنا في خدمة الشيخ. قلت: ما يفعلُ في هذا الحبس؟. قال: في رجله قيدٌ وزنه ثلاثة عشر مَنّاً[1] من الحديد، ويُصلّي كلَّ يومٍ ألفَ ركعةٍ نافلة، ويدورُ على أهلِ السجن، ينصحُهم، ويحلقُ رؤوسَهم، ويقصُّ شواربهم، وُيزيِّنُ لحاهم. فقلتُ: وماذا يأكل؟. قال: كلَّ يومٍ أُحضرُ الخوانَ بألوان الطَّعام، فينظر إليه ساعةً، ويضعُ رأسَ أصابعه عليه، ويقول شيئاً مثلَ الدَّمدمة، ولا يأكلُ شيئاً، ثم أرفعُ الخِوانَ من عنده، فكنتُ في هذا الكلام إذا بالشيخِ قد خرجَ من السِّقاية بأحسنِ وجهٍ، وقامةٍ مليحةٍ، لابساً صوفاً أبيضَ، وكان على رأسه فوطةٌ رملية، فصَعِدَ على جانب الدكَّة، وقال: من أين أنتَ يا شاب؟. قلتُ: من فارس. فقال: من أيِّ مدينةٍ؟. قلتُ: من شيراز. فسألني عن أخبارِ المشايخ، حتى وصلَ الحديثُ إلى أبي العباس بن عطاء، ثم قال: إذا رجعتَ إلى أبي العباس فقلْ له: ما كتبتُ إليكَ من الأوراقِ فاحتفظ عليها. ثم قال: كيفَ جئتَ عندي؟. قلت: بمعرفةِ بعضِ أهل العسكر، كانوا من فارس.

---

(١) المن: انظر الحاشية (٢) صفحة (١٣٠).

وبينما كنتُ في هذا الكلام إذ دخلَ عنده أميرُ السجن، وقبّل الأرضَ وقعد، فقال الحلاّج: أيش وقع ؟. قال: غمزَ الأعداءُ عليَّ عند الخليفة، فقالوا: خلّص واحداً من الأكابر، ووضعَ مكانه، وأخذَ منه عشرةَ آلاف دينار رِشوةً، والآن طَلبوني ليقتلوني. فقال: اذهب والسلام. فلمّا ولّى الأميرُ[1] جلسَ الشيخُ في وسط الدار على ركبته، ورفعَ يديه، ونكسَ رأسَه، يُشير بالسبّابة، ويبكي، حتى ابتلّتِ الأرضُ من دموعه، وغابَ عن نفسه، فوضعَ الجبهةَ على الأرض، وقبلَ أن يرفعَ رأسهَ دخلَ أميرُ السِّجن، وجلس عنده، فقال الشيخ: ما فُعِلَ بك ؟. قال: أعتقني وسَامحني. قال: كيف كان ؟. فقال: لمّا وذُوني[2] عند الخليفة، قالَ الخليفةُ: كنتُ الآن أريدُ قتلَك، فحصلَ في قلبي شفقةٌ، ورحمتُكَ فعفوت. ثم أرادَ الشيخُ أن يُنشّفَ وجهَهُ ويديه، فمدَّ يده، فرأيتُ المنشفةَ على يده، وكان بينه وبين الحبلِ مسافةُ عشرين ذراعاً، فما علمتُ أَطالتْ يدُه، أم جاءتِ المنشفة بنفسها ؟، ثم خرجتُ من عنده، وذهبت عند ابن عطاء، وأدّيتُ رسالتَه، فقال: إن رجعتَ عنده فقل له: إن وفّقني اللهُ فعلت.

وقيل: دخل يوماً في بيت المقدس سبعون مُريداً حاملين للرَّكوة، فذلك الوقتُ علّقَ الرُّهبانُ القناديل، ولم يُسرجوها، فقال الشيخ[3]: متى تُسرجون القناديل ؟. فقالوا: عند السَّحرِ. فقال: السَّحرُ بعيدٌ. ثم أشارَ بسبّابته، وقال: اللهُ نوّري. فخرجَ النُّورُ من إصبعه، فالقناديل الأربع مئة أُسرجتْ من ذلك النور، بلا ترتيبٍ وتوقف، ثم رجعَ ذلك النورُ إلى إصبعه، قال الرهبانيون: على أيّةِ مِلّةٍ أنت ؟!. فقال: على ملّة الحنيفية، وأنا أدناهم، من أمّة محمد ﷺ. ثم قال لهم: أنتم تحبُّون أن أجلسَ عندكم أو أذهب ؟. قالوا: الاختيارُ بيدك. فقال: أصحابي جياع، وليس عندهم مَصروفٌ. فأعطوه ثلاثة عشر ألف درهم، فصرفَها قبلَ الصُّبح، وخرج من المسجد.

---

(١) في المطبوع: فلما وافى أميرَ المؤمنين.

(٢) في المطبوع: لما ذهبوا بي عند الخليفة.

(٣) الحلاج.

وكان عند شخصٍ طيرٌ دُرَّة[1]، فماتت تلك الدُّرَّةُ، فقال الحلاّج: أتريدُ أن أُحييها ؟. قال: أجل. فأشار بإصبعه، فقامتْ حية.

وسئل[2]: ما التوحيدُ ؟. فقال: إفراد القدم عن الحدث.

قال شيخ الإسلام: أتعرفُ ما توحيد الصوفي ؟، نفي الحدث، وإقامةُ الأزل.

* * *

(١٧٩) فارس بن عيسى البغدادي[*]

فارس بن عيسى البغدادي، رحمه الله، كنيتُه أبو القاسم، وهو من خُلفاء الحسين بن منصور الحلاج.

وكان فارسُ البغدادي، رحمه الله، من مُتكلّمي مشايخِ القوم، والمدقِّقين في العبارات، وله كلامٌ حسن في الأحوال والإشارات.

دخل خراسان، ثم عزمَ إلى سمرقند، وأقام بها حتى مات.

وكان مُعاصراً للشيخ علم الهدى أبي منصور الماتريدي[3]، وتوفي الشيخ أبو منصور سنة خمسٍ وثلاثين وثلاث مئة.

وكان فارس أيضاً مُعاصراً لأبي القاسم الحكيم السمرقندي، وقد مرَّ تاريخُ وفاته[4]، وكان الشيخُ أبو منصور، والشيخُ أبو القاسمُ متصاحبين، وبقيت صحبتُهما إلى الموت.

وفارس كان مقبولاً عند الخلائق، صحيحَ الأحوال عندهم، وأوردوا كلامَه

---

(١) الدُّرة: بضم الدال المهملة البيغاء. انظر حياة الحيوان للدميري (ببغاء، والدرة).

(٢) الحلاج.

(*) التعرف (الفهرس)، طبقات الصوفية (الفهرس).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ـ نسبة إلى ماتريد محلة بسمرقند ـ من أئمة علماء الكلام، له جملة من الكتب، توفي سنة ٣٣٣ هـ. الأعلام.

(٤) انظر ترجمة ١٢٩.

في مصنفاتهم، فالشيخ العارف أبو بكر بن أبي إسحاق الكلاباذي البُخاري، رحمه الله، يَروي كلامَه في مُصنفاته بلا واسطة، والشيخُ أبو عبد الرحمن السُّلمي، والإمام أبو القاسم القُشيري رويا عنه بواسطةٍ واحدةٍ أو أكثر.

قال فارس: سألتُ الحلاج: من المُريد؟. فقال: **هو الرامي بأول قصده إلى الله، فلا يعرّج حتّى يصلَ.**

وأيضاً عنه قال: **خاطرُ الحقِّ هو الذي لا يُعارضه شيء.**

قال شيخ الإسلام: كذبٌ كثيرٌ نسبوه إلى الحلاج، وكلماتٌ ما لها مفهوم، وكُتبٌ مجهولات، وحيلٌ ما صحَّ شيءٌ منها عنه.

وشعرُه كان فصيحاً، **وأنشدنا للحلاّج، رحمه الله**[1]:

أنتَ بين الشَّغافِ والقلبِ تجري ... مثلَ جري الدُّموعِ في الأجفان
وتحلُّ الضميرَ جوفَ فؤادي ... كحلولِ الأرواح في الأبدان
ليسَ من ساكنٍ تحرَّكَ إلاّ ... أنتَ حرَّكتَه خفي المكان
يا هلالاً بدا لأربعَ عشر ... لثمانٍ وأربعٍ واثنتان

* * *

(١٨٠) أحمد بن الحسين الحلاج(*)

أحمد بن الحسين بن منصور الحلاج، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: سمعتُ من أبي عبد الله بن باكو، قال: سمعتُ أحمدَ بن حسين بن منصور الحلاج، قال: ليلةً آخرَ الليل قلتُ لأبي: أوصني. فقال: اشغلْ نفسك بشيءٍ قبل أن تشغلَكَ. قلت: زدني. قال: جميعُ العوالم يَسعون في خدمتك، فاسعَ أنتَ لشيءٍ، ذرَّةٌ منه تعدلُ عملَ الثقلين. قلتُ: ما هو؟. قال: المعرفة.

قال شيخ الإسلام: الثقلان: الجنُّ والإنس.

---

(١) انظر ديوان الحلاج ٦٩، جمع الدكتور سعدي ضنّاوي، دار صادر.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١٨١) أبو منصور السرخسي (*)

أبو منصور كاوكلاه، رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان أبو منصور كاوكلاه في سَرخس، ومن مشايخ أهل الملامة.

وكان في وقتٍ فارغاً بسبب سفرِ أصحابه، فدخلَ في حائطٍ واحدٍ، واشتغلَ بحفرِ بئرٍ، فلمَّا وصلَ إلى الماء، وتمَّ الأمرُ تركَه، واشتغلَ ببئرٍ أُخرى بجنبها، وطيّنها، وترابُها يرميه في البئر الأولى، فلمَّا فرغَ منها ابتدأ بحفرِ بئرٍ أُخرى، فقال له واحدٌ: لا، أنت مجنونٌ، ولاّ عبدٌ أجير، فلم تفعل هكذا[1] ؟!. قال: أشغلُ نفسي قبل أن تشغلني بشيءٍ.

والمشايخ تكلموا عليه.

كان أبو عبد الله الدينوري في البحر، فاشتغلَ بخياطةِ المُرَقّعة يَخيطُها ويشقّقها، حتى وصلَ الكوفة.

* * *

(١٨٢) أبو عمرو الدمشقي (**)

أبو عمرو الدمشقي، قدّس الله تعالى سره، من الطبقة الثالثة، كان فريدَ مشايخِ الشام، ومن أَجلِّهم.

صحب أبا عبد الله بن الجلاّء، وأصحاب ذي النون أيضاً.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في المطبوع: أأنت مجنون؟ قال: لا [بل] عبد أجير. قال: فلم تفعل هكذا.

(**) طبقات الصوفية ٢٧٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، المختار من مناقب الأخيار ٣١١/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٩/ ٧٨، العبر ٢/ ١٨٤، طبقات الأولياء ٨٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠١، الكواكب الدرية ٢/ ٤٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٧.

ومات في سنة عشرين وثلاث مئة.

قال أبو عمرو: كما فرضَ على الأنبياء إظهارَ المعجزات والآيات، هكذا فرضَ على الأولياء كتمان الكرامات حتى لا يفتتنَ الخلقُ.

وأيضاً عنه قال: **التصوفُ رؤيةُ الكونِ بعين النقص، بل غضُّ الطرفِ عن كلِّ ناقص بمشاهدة من هو مُنزَّه عن كلِّ نقص.**

وأيضاً عنه قال: **علامةُ قساوة القلب أن يَكل اللهُ العبدَ إلى تدبيره، فيألفه، ولا يسألُه حُسنَ الكلاءة والرِّعاية، والنبيُّ ﷺ يقول: «اكلأني كلاءةَ الطفلِ الوليدِ»[1].**

وأيضاً عنه قال: **إذا صفتِ الأرواحُ بالقرب، أثرت على الهياكل أنوارُ الموافقات.**

* * *

(١٨٣) محمد بن حامد الترمذي[*]

محمد بن حامد الترمذي، رحمه الله، من الطبقة الثانية، وكنيته أبو بكر، وكان من فتيان مشايخ خراسان.

رأى أحمد بن خضرويه، وغيرَه.

وولده أبو نصر محمد بن محمد بن حامد كان من فتيان خراسان.

قال محمد بن حامد: رأسُ مالك قلبُك ووقتُك، فإذا شغلتَ القلبَ بالظنِّ ضيَّعتَ الوقت بالفضول، ومن ضيَّع رأسَ المال فلا ربحَ له.

قال شيخ الإسلام: الصوفي قلبٌ، ووقتٌ، وحياة، فإذا أذهبَ الوقتَ والحياةَ والقلب، فماذا بقي ؟.

---

(١) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته ٢٧٩ بدون إسناد.

(*) طبقات الصوفية ٢٨٠، تاريخ بغداد ٢/٢٢٨، مناقب الأبرار ١٥٣/ب، المختار من مناقب الأخيار ٣١٥/ب، طبقات الشعراني ١/١٠١، الطبقات الصغرى للمناوي ٥٧١.

وأيضاً عنه قال: إذا كان سالماً وقتُك فكنْ غيوراً من آفة الغفلة، حتى إن دخلَ فيك شيءٌ فانفه؛ فإنه مخالفٌ، وهو علامة فساد الباطن.

وأيضاً عنه قال: الإنسانُ في خَلَقه أحسنُ منه في جديدِ غيره.

* * *

(١٨٤) عبد الله بن محمد الخرّاز الرازي(*)

عبد الله بن محمد الخرّاز، رحمه الله، من الطبقة الثالثة، وكنيته أبو محمد، كان من كبار مشايخ الرَّي، وكان مُجاوراً في مكَّة سنوناً كثيرة، لا يبالي في الكلام بالحقِّ، وكان متورّعاً قوياً فيه.

صحب أبا عمران الكبير، ورأى أبا حفص الحدّاد. وأصحابُ أبي يزيد يعظِّمونه.

مات قبل العشرين وثلاث مئة.

قال عبد الله: **الجوعُ طعامُ الزاهدين، والذِّكر طعامُ العارفين.**

وأيضاً عنه قال: **صيانة الأسرار عن الالتفات إلى الأغيار من علاماتِ الإقبال على الله تعالى.**

وأيضاً عنه قال: **العبوديةُ الظاهرةُ والحرية الباطنة من أخلاق الكرام.**

قال يوسف بن الحسين: ما رأيتُ أحداً مثلَ عبد الله، وأيضاً عبد الله ما رأى مثل نفسه.

قال الدُّقي: كان عبد الله الخرَّاز في مكّة يقول: الفتوة طريقي، لا طريق القراء. فلمّا قامَ من المجلس قال واحدٌ منهم: أتريدونَ أن أقولَ لكم عن فتوَّة الشيخ؟. قلنا: نعم. قال: خرجَ الشيخ من الرَّيِّ مع عشرين رجلاً إلى مكّة،

(*) طبقات الصوفية ٢٨٨، حلية الأولياء ١٠/٣٤٥ (الحداد)، الرسالة القشيرية ٣١، طبقات الشعراني ١/٩٨، الكواكب الدرية ١/٦٧٨، والطبقات الصغرى للمناوي ٣٨٤، جامع كرامات الأولياء ٢/١٠٩ (الحداد).

فلمّا وصلوا منزلاً، وبقي إلى مكّة ثمانيةَ عشرَ ميلاً، قال لأصحابه: **أستودعكم الله**. قالوا: يا أُستاذ، أين تذهبُ؟، ما بقي بيننا وبين مكّة إلا قليلٌ!. قال: من الرَّي إلى هنا جُئت لمشايعتكم، والآن أرجع من الرَّي، ثم من الرَّيّ أجيءُ بنيَّةِ الحجِّ، وألحقُكم إن شاء الله تعالى. وكان من ذلك اليوم إلى موسم الحجِّ خمسةُ أشهر.

* * *

(١٨٥) بُنان بن محمد الحمّال(*)

بُنان بن محمد الحمَّال، قدّس الله سره، من الطبقة الثالثة، كان أصلُه من واسط، وأقام في مصر، ومات فيها في رمضان سنة ستً عشرة وثلاث مئة.

وهو من كبار مشايخ مصر، **ومن القائلين بالحقّ، الآمرين بالمعروف**[1]، **وله مقالاتٌ مشهورة، وكرامات مذكورة**.

صحب الجُنيد، ومشايخَ الزمان، وكان من أساتذة أبي الحسين النُّوري.

قال شيخ الإسلام: ما كان حمّالاً؛ بل كان إماماً، احتسبَ وقتاً[2]، فرموه في بيت الأسدِ، فشمَّه الأسد ولحسَه، ولمّا أخرجوه، قالوا: كيف كان حالُك، إذ لحسَك الأسد؟. قال: كنتُ متفكّراً في اختلاف الرِّوايةِ في لُعاب السباع.

وسُئل عن أكبرِ أحوال الصوفية، فقال: **الثِّقةُ بالمضمون، والقيامُ بالأوامر، ومُراعاة السرِّ، والتخلّي عن الكونين بالتشبُّثِ بالحقِّ تعالى**.

(*) طبقات الصوفية ٢٩١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، تاريخ بغداد ٧/ ١٠٠، الرسالة القشيرية ٣١، مناقب الأبرار ١٤٧/أ، الأنساب ٤/ ٢٠٦، صفة الصفوة ٢/ ٤٤٨، المنتظم ٦/ ٢١٧، المختار من مناقب الأخيار ٨٨/أ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٨٨، العبر ٢/ ١٦٣، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٨٩، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٨، البداية والنهاية ١١/ ١٥٨، طبقات الأولياء ١٢٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٢٠، طبقات الشعراني ٢/ ٢٧١، الكواكب الدرية ٢/ ٦٠.

(١) في ص: الآمرين بالمعروف، والنهي عن المنكر، وله.

(٢) ذلك أنه أمر ابنَ طولون بالمعروف، فأمر أن يلقى بين يدي الأسد. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٢٤، وصفة الصفوة ٢/ ٤٤٨.

وأيضاً عنه قال: كنتُ قاعداً في مكّة، وكان عندي شابٌ جالسٌ، فأعطاه واحدٌ دراهمَ، فأبى، وقال: مالي حاجةٌ بها. فقال ذلك الرجل: تصدَّقْ بها على الفقراء والمساكين. فتصدَّقَ بها كلِّها، ثم رأيتُه يطلبُ في الوادي شيئاً، فقلت: لأيش ما خلّيتَ لك منها شيئاً؟. قال: ما علمتُ أن أكونَ حيًا إلى هذا الوقت.

وأيضاً عنه قال: مكثتُ أياماً، ما وجدتُ شيئاً آكله، فوصلتُ حدَّ الضرورة، فرأيتُ قطعةً من ذهب كانت في الطريق، فأردتُ أن آخذها، فجاء في خاطري: هذه لُقَطة. فخلَّيتها، ثم تذكرت حديث رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدُّنيا دماً خالصاً، لكان قوتُ المُسلم منها حلالاً»**[1]. فأخذتُها فحطّيتها في فمي، ومشيت، فرأيتُ جماعةً من الأطفال جالسين حَلقةً، ومنهم واحدٌ قاعد على أرضٍ عالية، ويتكلَّمُ معهم بكلام التصوف، فجاء في خاطري أن أَسمعَ ما يقولُ، فسألَ واحدٌ منهم: **متى يجدُ العبدُ حلاوةَ الصدق؟**. فقال: **إذا رمى القطعةَ من الشِّدق**. فرميتها.

وأيضاً عنه قال: كنت مُجاوراً في مكّة، وكان الخوَّاصُ أيضاً فيها، وما كان بيني وبينه معرفةٌ، لكني لمّا رأيتُه حصلَ في باطني هيبةٌ وعظمة، ثم مرَّتْ عليَّ أيامٌ، وما جاءني شيءٌ من الفتوح، وكان في مكّة رجلٌ حلاق، يحبُّ الفقراء، وكانت طريقتُه إذا جاءه الفقير يحلقُ رأسه، ويشتري له لحماً ويطعمه، فذهبتُ إلى دكانه، وقلت: أريدُ أن تحلقَ رأسي. فأرسل واحداً يشتري لحماً ويطبخ الطعام، وفي أثناء الحلقِ حدَّثتني نفسي: إذا فرغَ الحلق يكونُ الطعامُ مُهَيّاً. ثم فهمتُ أن هذا الخاطر ما هو بمليح، فقلتُ لنفسي: يا نفس، إما طعامٌ، وإمّا حلقٌ. فعاهدت الله ألاّ آكلَ طعامه، فلمَّا فرغتُ من الحلقِ قمتُ، فقال الحلاق: سبحان الله، أنت تعرف طريقتي!. فاعتذرتُ منه، ودخلتُ المسجدَ

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/٢٠٨: قال في «المقاصد»: لا يعرف له إسناد، لكن معناه صحيح، فإن الله لم يحرم على المؤمن ما يضطر إليه من غير معصية، وقال الزركشي: لا أصل له، وقال النجم: هو من كلام الفضيل بن عياض.

الحرام، فما وجدتُ شيئاً ذلك اليوم، واليوم الثاني كذلك، فلمَّا قمتُ بعد صلاة العصر خَررتُ على وجهي، وزالَ شعوري، فاجتمعَ الناسُ عليَّ، وظنُّوا أنّي صرتُ مجنوناً، وكان هناك إبراهيمُ الخوّاص، فمنعَ الناسَ عنّي، وقعدَ عندي وآنسني، ثم ابتدأني بالكلام، وقال: تأكلُ شيئاً ؟. قلت: الغروبُ قريب. فقال: مَرحباً أيُّها المُبتدئ، فأثبت قدمك حتى تجد الفلاحَ. وقامَ وذهب، ولمَّا صلَّيتُ العشاءَ جاء معه برغيفين وقصعةِ عدسٍ، وقال: كلْ. فأكلتُ، ثم قال: أتأكل شيئاً ؟. قلتُ: نعم. فذهبَ وجاء برغيفين وقصعة عدس فأكلتها، ثم سألني مثلَ الأوَّل، فأعطاني مثلَ الأول، ثم قال: أتأكلُ شيئاً ؟. قلت: لا، كفاني. ثم نمتُ إلى الصُبحِ، وما طفتُ بالبيت، وما صلّيتُ الصلاةَ، فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال: يا بُنان. قلت: لبَّيكَ، يا رسول الله. قال: **من أكلَ بشَرَهٍ أعمى الله عينَ قلبه**. فتنبَّهتُ، وعزمت على ألاّ آكلَ أبداً بالشبع.

قال أحمد بن مَسروق: قال بُنان الحمَّال: دعوتُ وقتاً بعضَ الأصحاب، فأنشدَ هذه الأبيات:

مَـــنْ دَعـــانـــا فـــأبينـــا ... فلـــهُ الفَضْـــلُ علينـــا
فـــإذا نحـــن أَجَبْنـــا ... رجـــعَ الفَضْـــلُ إلينـــا

* * *

(١٨٦) إسحاق بن إبراهيم الحمال(*)

إسحاق بن إبراهيم الحمّال، قدَّس الله سره، هو من كبار المشايخ، وله كراماتٌ ظاهرة، ومقامٌ عالٍ، وأقام في جبل اللُكَام.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: كنتُ في جبل اللُكَّام، وقد ضللتُ عن الطريق، فلقيتُ شيخاً مُعمَّراً لابساً فروةً، فلمَّا رآني، قال: الله أكبر! أَضللتَ عن

(*) صفة الصفوة ٤/ ٣٣٩ (الجمال)، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٤٠٧.

الطريق؟. قلتُ: نعم. فقال: اليوم لي ثلاثون سنةً ما رأيتُ إنساناً. ثم أعطاني عصاً، وقال: هذه العصا تَهديكَ الطريقَ. وقال: اذهب. وذهبتُ ساعةً، فوجدت نفسي بأنطاكية، فوضعتُ العصا حتَّى أتوضَّأ، ففقدتُ العصا، ثم حكيتُ هذه الحكاية لأهل أنطاكية، فقالوا: هو إسحاق بن إبراهيم الحمَّال، وما رآه أحدٌ. فحصلَ لي التأسُّفُ والنَّدم.

* * *

(١٨٧) بُنان بن عبد الله(*)

بنان بن عبد الله، رحمه الله، كنيتُه أبو الحسن، وهو من أجلَّةِ مشايخ مصر.

قال بنان: أيُّ صوفيٍّ قلبُه مُتعلّقٌ بالرزق، فينبغي له الكسب.

* * *

(١٨٨) شيبان بن علي(**)

شيبان بن علي، رحمه الله، هو من قدماء مشايخ مصر، مُستجابُ الدَّعوة، وأكثرُ المشايخ كانوا مُريديه، وله كلامٌ حسنٌ في علم الطريقة.

جاء مريد إليه، وطلبَ الإجازة إلى الحجِّ بالتجريد والتوكّل، فقال الشيخُ: أولاً، جرّدْ قلبَك عن السهو والغفلة، وجرّدْ نفسَك عن الهوى، وجرّدْ لسانَك عن اللَّغوِ، فإذا حصلَ لك هذا التجريدُ فسواء مسكتَ الدُّنيا أم لا.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، وقد ترجم السلمي في طبقاته ٣٨٩ لأبي الحسين بن بنان فلعله هو هو.

(**) الثقات لابن حبان ٦/٤٤٨، حلية الأولياء ٨/٣١٧، صفة الصفوة ٤/٣٧٦، المختار من مناقب الأخيار ٢١٠/أ، روض الرياحين ٥٢، ٥٣، ٣١٩ (الحكاية ٢٦٨)، الوافي بالوفيات ١٦/٢٠١، الكواكب الدرية ١/٣٢٥.

(١٨٩) أبو الحسن المُزَيّن الصغير(*)

أبو الحسن بن محمد المُزيّن، رحمه الله، من الطبقة الثالثة، اسمه علي بن محمد، وكان من أهلِ بغداد.

صحبَ الجُنيد، وسهلَ بن عبد الله، ومن كان في تلك الطبقة.

وأقامَ في مكّة، ومات بها في سنة ثمانٍ، أو سبعٍ وعشرين وثلاث مئة.

وهو الذي يَحكي عن [أبي] يعقوب الأقطع.

قال شيخ الإسلام: المُسمّى بأبي الحسن المُزيّن اثنان؛ أحدُهما الكبير، وثانيهما الصغير، فالمزين الكبير من أهل بغداد، مدفونٌ فيها(١).

حكى تلميذه أنَّه قال: **الكلامُ من غيرِ ضرورةٍ مَقتٌ من الله تعالى للعبد.**

وقال شيخ الإسلام: الزمِ الأفعالَ؛ لأنَّه من المقالِ لا يَجيءُ إلاّ القال.

والمُزيّنُ الصغير أيضاً من أهل بغداد، ولكنّه دُفنَ في مكّة.

وقال بعضُهم: إنهما كانا ابني خالتين.

قال المُزيّنُ الصغير: الطرقُ إلى الله أكثرُ من عددِ نجوم السماء، وأنا أتمنّى أن أكونَ في أحدها، وما وجدته.

قال شيخ الإسلام: إنّه ما كان مُستغرقاً مُستهلكاً؛ لكن كلامه من العطش،

(*) طبقات الصوفية ٣٨٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٧٣، الرسالة القشيرية ٣٥، مناقب الأبرار ١٨٣/ ب، الأنساب ١١/ ٢٨٨، صفة الصفوة ٢/ ٢٦٥، المنتظم ٦/ ٣٠٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٥/أ، اللباب ٣/ ١٣٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٣٢، العبر ٢/ ٢١٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٥، البداية والنهاية ١١/ ١٩٣، طبقات الأولياء ١٤٠، العقد الثمين ٦/ ٢٥٢، طبقات الشعراني ١/ ١١١، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩، الكواكب الدرية ٢/ ١١٨، شذرات الذهب ٢/ ٣١٦.

(١) بعض المؤرخين يجعله هو والمزين الكبير واحداً، قال الذهبي في السير: وما يظهر لي إلا أنهما واحد. وابن الجوزي في صفة الصفوة يقول: إن المزين الكبير جاور بمكة، وبها مات.

وحكمُ هذه الطائفة حكمُ المُستسقي، والذهبُ عَزيز، ومن رآه طلبَ الزِّيادة.

وقال المُزيّن الصغير: وقع لصوفي زلقةٌ، فانجرحت أصابعهُ، فتمنّى قليلاً من الزيت، فرأى قُدَّامه عيناً جاريةً من الزيت، فما التفتَ إليها.

وأيضاً عنه قال: كنتُ في مكَّة، فعزمتُ على السفر، فلَّما وصلتُ إلى موضعٍ يُسمّونه بئرَ مَيمون[1] رأيت شاباً في النَّزع، فقلتُ له: قل: لا إله إلا الله. ففتحَ عينيه، وقال:

أنا إنْ مِتُّ فالهَوى حَشْوُ قَلبي وبداء الهوى تَمُوتُ الكِرامُ[2]

ثم مات، فصلَّيتُ عليه، ودفنته، فانقطعَ عنّي عزمُ السفر، فرجعت إلى مكّة، وندمتُ على قولي له، وقلتُ مُتأسفاً: أنا حلاَّقٌ، وألقنُ الشهادةَ ولياً من أولياء الله؟! واسوأتاه.

قال شيخ الإسلام: وصل أبو الحسن المُزيّن إلى أسدٍ، فقرأ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ [عبس: ٢١] فماتَ الأسدُ، فلمَّا صَعِدَ الجبل قرأ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢] فقامَ الأسد حياً.

* * *

(١٩٠) أبو الحسن الصائغ الدينوري(*)

أبو الحسن الصائغ الدينوري، قدَّس اللهُ سرَّه، من الطبقة الثالثة، واسمه عليُّ بن محمد بن سهل، وهو من كبار مشايخ دينور.

أقامَ في مصر، وماتَ بها في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة.

---

(١) بئر ميمون: بئر بأعلى مكة. انظر معجم البلدان.

(٢) في الأصل: إن أمت.. وبدين الهوى. والمثبت من الكواكب الدرية ٢/ ١١٨.

(*) طبقات الصوفية ٣١٢، الأربعين في شيوخ الصوفية ١٨٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ٣٢، مناقب الأبرار ١٥٥/أ، صفة الصفوة ٤/ ٧٨، المنتظم ٦/ ٣٢٨، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٣/ب، العبر ٢/ ٢٢٧، طبقات الأولياء ٣٤٩، البداية والنهاية ١١/ ٢٤، حسن المحاضرة ١/ ٥١٣، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٦٨٣، ٢/ ١١٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٠.

وقال أبو سعد المَاليني: ماتَ ليلة السبت[1]، في نصف رجب، سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة.

وكان أستاذَ أبي الحسين القرافي، والدّقي، وأبي عثمان المغربي.

قال أبو عثمان المغربي: ما رأيتُ من المشايخ أحداً أنورَ من الشيخ أبي يعقوب النَّهرجوري، وما رأيتُ أهيبَ من أبي الحسن الصائغ الدينوري.

وكان من تلامذة أبي جعفر الصيدلاني.

قال أبو الحسن الصائغ: ينبغي أن تتبرَّأ من الدنيا مرَّتين، فإذا تركتَ الدنيا وحصلَ قبولٌ عند الخلقِ فارجعْ إلى الدنيا، لا لشغلِ الدنيا والحرص عليها؛ بل لقطعِ قبولِ الخلق، ويكون الباطنُ منقطعاً عنها حتّى لا يكونَ ذنبُ التَّرك أكبرَ من ذَنبِ الطلب؛ لأنَّ فتنةَ قبول الخلقِ أكبرُ من فتنة الإقبال على الدنيا.

وأيضاً عنه قال: **من فسادِ الطبع التمنّي والأملُ.**

وأيضاً عنه قال: **محبَّتُك لنفسك هي التي تُهلكها.**

وسُئل: من المُريد، وما صفته؟. فقرأ هذه الآية: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨].



(١٩١) أبو عبد الله الصُّبيحي[*]

أبو عبد الله الصبيحي، رحمه الله، من الطبقة الثالثة، واسمه الحُسين بن عبد الله بن بكر، وكنيتُه أبو عبد الله، وقيل: اسمه أحمد بن محمد، وكنيتُه أبو عبيد. والأول أصح. كان من أهل البصرة.

---

(١) في الأربعين في شيوخ الصوفية ١٩٠: ليلة الثلاثاء.

(*) طبقات الصوفية ٣٢٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، مناقب الأبرار ١٦٠/أ، المختار من مناقب الأخيار ١٢٨/أ، طبقات الأولياء ٣٣٤، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ٧٨.

وفي (ص): أبو الحسين، وفي طبقات الأولياء: أبو علي.

وقِيل: كان في داره بيتٌ جعلَ فيه سرداباً، وجلسَ فيه ثلاثين سنةً، ما خرجَ أبداً.

وكان مُجاهداً عابداً، قيل: إنه كان [لا] يأكل الطعام.

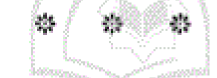
ثم إن أهل البصرة أخرجوه من البصرة، فذهبَ إلى السُّوس[1]، ومات بها، وقبرُه هناك.

قال شيخ الإسلام: إنَّه كان واقفاً يومَ الجمعة في مسجدِ البصرة الجامع، فقال لمُريده: هذه الخلائقُ كلُّهم حشو الجنَّة؛ لأنَّهم طردوني. وكان مسجدُ البصرة في تلك الأيام لا يقدِرُ أحدٌ أن يسجدَ على الأرض، بل أكثرُ الناس يسجدون على ظهورِ الخلائق؛ من كثرة اجتماعهم.

وأيضاً عنه قال: **الغريبُ هو البعيد عن وطنه، وهو مُقيمٌ فيه.**

وأيضاً عنه قال: **الغريبُ هو الذي لا جنسَ له.**

وأيضاً عنه قال مرَّةً أخرى: **الغريبُ من صَحب الأخياس**[2].



(١٩٢) أبو الحسن السيوطي[*]

أبو الحسن السيوطي، رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: كان من هذه الطائفة.

قال الشيخ أبو علي الرُّوذباري: قال هَارون: كنتُ مصاحباً سهل بن عبد الله، وأبا الحسن السيوطي في البادية، فإذا كُنَّا جياعاً، ولا نعرفُ طريق الحيِّ والحلة، فأبو الحسن يَصيحُ بصوتِ الذِّئبِ، فتنبح الكلابُ، فنعرفُ من نبح الكلاب أنَّ هناك قريةً، فيذهبُ إليها، ويأتي بالطعام، ويُطعم أصحابه.

---

(١) السُّوس: بلدة بخوزستان (عربستان).

(٢) في المطبوع: الأجناس.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

قال الشيخ أبو علي الروذباري: ما كان أحدٌ مثلَ أبي الحسن السيوطي في العطف والشفقة على الأصحاب.

قال شيخ الإسلام: الزمْ خدمةَ الأصحاب، وفي الخدمةِ تكون ناظراً للمقصود لا للمَخدوم. يعني: ينبغي أن يكونَ نظرُك في الخدمة إلى المقصود الحقيقي، وهو الحقُّ سبحانه وتعالى، لا للمَخدوم.

قال يوماً صوفيٌّ لواحدٍ في مجلس الشيخ السيرواني: افعلْ لي كذا، لا بالأمرِ والحكم؛ بل بالفضلِ. فصاح السيرواني عليه، وقال: من لم يعرفْ أنَّ خدمةَ الفقراء واجبةٌ فليس بفقير.

* * *

(١٩٣) أبو الحسن بن شعرة(*)

أبو الحسن بن شعرة، رحمه الله، اسمه عَمرو بن عثمان بن الحكم بن شعرة، وهو من مشايخ الصوفية.

والشيخُ أبو سعد المَاليني ذكره في «أربعينياته»[1]، وقال: كان الشيخُ من مشايخ مصر.

قيل: من يزورُ قبرَه يسمعُ قراءةَ القرآن.

* * *

(١٩٤) أبو حامد الزَّنجي(**)

أبو حامد الزنجي الأسود، المعروف بالزنجي، رحمه الله.

وهو من أساتذة أبي علي الرُّوذباري.

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ١٧٢.

(١) الأربعين في شيوخ الصوفية ١٧٢.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

قال شيخُ الإسلام: دخلَ ابنُ شعرة جامعَ مصر، فرأى أبا حامد الزَّنجي يُصلّي الصلاةَ، فقال ابن شعرة: يا أبا حامد، نزلتَ من المقام العالي ؟! قال: نزلتُ لشفاعةِ العصاة.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله الرُّوذباري: سمعتُ الحسن بن محمد الرازي المُكنّى بأبي عبيد يقول: كنتُ جائعاً بردان فنمتُ، فهتفَ بي هاتفٌ، فقال لي: أتحسبُ أنَّ العبادة هي الصلاة والصوم؟ لا، بل الصبرُ على أحكام الله أفضلُ من الصوم والصلاة.

قال أبو الحسن المُزيّن الصغير: كان أبو حامد الأسود ثلاثين سنةً في المسجد الحرام، وفي جلوسه كان مُتوجّهاً إلى بيت الله، وما خرجَ من المسجدِ إلاّ للطهارةِ، وما رآه أحدٌ يأكلُ أو يشرب شيئاً، وكان إذا حصلَ له الوجدُ يصيرُ أبيضَ، فإذا أفاقَ من الوجدِ يرجعُ إلى لونه الأصلي[1].

* * *

(١٩٥) أبو إسحاق القصَّار الرَّقّي(*)

إبراهيم بن داود القصَّار الرَّقّي، بالراء المهملة، رحمه الله، من الطبقة الثالثة، وكنيتُه أبو إسحاق، وهو من أجلَّة مشايخ الشام.

وكان من أقران الجُنيد، وأبي عبد الله بن الجَلاء، وغيرهما.

وأطالَ اللهُ عمرَه حتَّى وصلَ إلى الطبقة الثالثة.

والشيخُ السُّلمي ذكره في الطبقة الثالثة.

ماتَ سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة، وكانت صحبتُه مع مشايخ الشام،

---

(١) وهذه من كرامات ميمون المغربي، انظر صفحة (١٥٥).

(*) طبقات الصوفية ٣١٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، الرسالة القشيرية ٣٢، صفة الصفوة ٤/١٩٧، المنتظم ٦/ ٢٩٤، المختار من مناقب الأخيار ٤٩/ب، طبقات الأولياء ٢٩، غاية النهاية ١/ ١٤، طبقات الشعراني ١/ ١٠٢، الكواكب الدرية ١/ ٥١٦.

وكان مُلازماً للفقراء، ورأى ذا النون المصري، وله طريقٌ حسنٌ في التوكُّل والتجريد.

قال شيخ الإسلام: سافر مُدَّة ثلاثين سنة سفراً واحداً لصلاح قلوب الخلق، حتَّى تُقبل الصوفية، ويصلح ما وقع من الناقصين من أقوالهم وأفعالهم، فانظر كيف كانت همَّتُهُ وفتوَّته، صرفَ العمر إلى إصلاح حالهم، جزاه الله عن الإسلام، والطريقةِ خيراً.

قال إبراهيم القصار: **قيمةُ كلِّ إنسانٍ بقدر همَّته، فمن كانت همَّتُهُ الدُّنيا فلا قيمةَ له، ومن كانت همَّته رضا الله فلا يُمكن استدراكُ غايةِ قيمته، ولا الوقوف عليها.**

وقال إبراهيم بن المولد[1]: سأل واحدٌ إبراهيمَ القصَّار: **هل يُبدي المُحبُّ حبَّه؟، أو هل يَنطقُ به؟، أو هل يطيق كتمانه؟. فأنشأ يقولُ متمثّلاً:**

ظَفِرتُم بكتمانِ اللِّسانِ فمن لَكُم ... بكتمانِ عينٍ دمعُها الدَّهرَ يَذرفُ
حَمَلتُم جبالَ الحبِّ فوقي وإنَّني ... لأَعجزُ عن حَمْلِ القميصِ وأَضعُفُ

قال شيخ الإسلام: أنشدنا أبو عبد الله الطاقي لبعضهم، رحمةُ الله عليهم:

يَبدو فأَجهدُ أَنْ أُكاتِمَ حبَّه ... فتَبينُ فيَّ علامةُ الكِتمانِ
خفقانُ قلبي وارتعادُ مَفاصلي ... وغيارُ لوني[2] وانعقادُ لِساني
فمتى تُكذِّبُني شُهودٌ أَربعٌ ... وشهودُ كلِّ قضيةٍ اثنانِ

وأنشد أيضاً لبعضهم:

حمَّلتموني على ضَعفي لِفرْقَتِكم ... ما ليسَ يَحمِلُهُ سَهْلٌ ولا جَبَلُ

قال إبراهيم القصَّار: يكفيك من الدُّنيا شيئان: صحبةُ الفقراء، وخدمةُ أولياء الله تعالى.

---

(١) في الأصل: المرادي. والمثبت من طبقات الصوفية ٣١٩. وانظر ترجمته فيه ٤١٠.
(٢) في المطبوع: وغبار لوني.

وأيضاً عنه قال: من تعزَّزَ بشيءٍ غيرِ الله فقد ذُلَّ في عزِّه.

وأيضاً عنه قال: لمَّا حبسوا أحمد بن حنبل ليقول بخلق القرآن، جاء الخبرُ أنَّ ذا النون المصري يريدون حبسَه، حتَّى يقولَ بخلق القرآن، وكنتُ يومئذ صغيراً، فلمَّا سمعتُ أخبارَ ذي النون خرجتُ مع الخلقِ لأنظره، فلمَّا رأيتُه جاءَ في نظري مُحقَراً؛ لأنه كان في ظاهر الصُّورة حقيراً، ففكَّرتُ في قلبي: مع هذه الشهرة هذا ذو النون. فبالفور ذو النون التفتَ إليَّ من بين الخلائق، وقال: يا غلام، إذا جاءَ الطردُ من الله تعالى لعبدٍ يطولُ لسانُه على طعنِ أولياء الله. فخررتُ مَغشياً عليَّ، فصبُّوا الماءَ على وجهي حتى انتبهتُ من ذلك، فقمتُ صوفياً.

قال شيخ الإسلام: من كتمَهُ اللهُ تعالى فلا يقدرُ أَحدٌ أن يعرفه، وجميعُ الخلائق تكونُ حجابَه، وهو حجابٌ عند أولياء الله، فغداً يُبصرونَهم ولا يَعرفونهم، كما أنَّهم اليومَ يبصرونهم ولا يعرفونهم[1]، ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

ذهب محمود بن سُبكتكين[2] إلى قبرِ أبي يزيد البِسطامي، فرأى عند قبره صُوفياً، فقال محمود: ماذا عندك ممَّا قالَ شيخُك؟. قال: قال الشيخُ: من رآني لا تحرقُه النَّارُ. فقال محمود: هذا ليس بشيءٍ، لأنَّ أبا لهب[3] رأى محمداً ﷺ وتحرقُه النار. فقال الصُّوفي: أيُّها الأمير، أبو لهب ما رأى إلاّ ولد أخيه، ولو رأى النبيَّ ﷺ لم تحرقه النار.

* * *

---

(١) في المطبوع: كما أنهم اليوم يبصرونه، ولا يعرفونه.

(٢) محمود بن سُبكتكين: (٣٦١-٤٢١) فاتح الهند، وأحد كبار القادة، امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور، قاتل الترك والسامانيين، كان حازماً، صائب الرأي، فصيحاً بليغاً، يجالس العلماء، ويحثهم على تأليف الكتب. انظر الأعلام.

(٣) في الأصل: جهل.

(١٩٦) أبو جعفر الحَفّار(*)

أبو جعفر، قدس الله سره، هو من أصحاب الجُنيد، وكان قريبَ السنِّ منه، وكان الناس يعدُّونه من أقران الجُنيد، وكان يعدُّ نفسَه من أصحابه.

قال شيخ الإسلام: قال الجُنيد: كنتُ شاباً في بغداد، أدورُ في الخرابات، فرأيتُ الشيخَ أبا جعفر الحفَّار، فتعبتُ، فوقع لي الكراهيةُ منه، لمجيئي عنده، فحصلَ لي الخجلُ، فقلتُ له مع خجلي: تُحدّثني بكلامٍ حتى أَرجعَ. قال: ما أقول؟. قلتُ: كيف يكونُ الطَّريقُ إلى الله؟. قال: أُبشِّرُكَ، إن لم يُحبَّك فلن تحبَّه، وإن لم يَأنسك فلن تأنَسَ به.

* * *

(١٩٧) أبو جعفر السوماني(**)

أبو جعفر السوماني[١]، قدس اللهُ سرَّه.

قال شيخ الإسلام: هو من هذه الطائفة.

قال أبو جعفر، رحمه الله: صديقُكَ من حذَّرَكَ الذُّنوبَ، ورفيقُك من بصَّرَكَ العيوبَ، وأخوك من سايرك إلى علاَّمِ الغيوب.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. ولعله الذي يأتي صفحة ٢٥١.

(١) كذا في الأصول السوماني، ولا يوجد في كتب الأنساب، وإنما هو الشوماني بالشين المعجمة.

(١٩٨) أبو جعفر الصيدلاني(*)

أبو جعفر الصيدلاني، رحمه الله، كان أستاذَ أبي الحسن بن الصائغ الدينوري، بغداديٌّ.

من أقران الجُنيد، وأبي العباس بن عطاء.

وكان مُجاوراً بمكَّة، ومات في مصرَ، وقبرُه إلى جنب الزَّقاق المصري الكبير.

صحب أبا سعيد الخرَّاز، وكان من أساتذةِ ابن الأعرابي.

قال شيخ الإسلام: قال أبو الحسن الصائغ الدينوري: قال أُستاذي أبو جعفر الصيدلاني: في ابتداء إرادتي رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، كأنَّه جالسٌ في صدر المجلس، وحواليه عصابةٌ من المشايخ، والنبيُّ ﷺ ينظرُ إلى السماء، ففُتح بابُ السماء، ونزل مَلَكٌ بطستٍ وإبريق، ووضعَ الطَّستَ لغسلِ أيادي المشايخ كلِّهم، فلمَّا وصلوا إليَّ، قالوا: ارفعوا الطَّستَ، فليس هو من هذه الطائفة. فقال حاملُ الإبريق: أليس هو منهم؟. ورفعَ الطَّستَ، وذهب، فقلتُ: يا رسول الله، إنْ لم أكنْ منهم، لكنّي أُحبُّهم. فقال ﷺ: من يُحبُّهم فهو منهم. ثم جاء بالطَّستِ ثانيةً، فغسلتُ يدي، والنبيُّ ﷺ يراني، ويضحك، ويقول: إن كنتَ تُحبُّني فأنتَ معي. قال أبو جعفر: في تلك الأيام ما كنتُ مُصاحبَهم.

قال إبراهيم بن أدهم: رأيتُ رؤيا ليلةً، كأنَّ ملكاً في يده دفترٌ يكتبُ شيئاً، فقلتُ: ما تكتب؟. فقال: أسماء أولياء الله. قلتُ: كتبتَ اسمي؟. قال: لا. قلتُ: إن لم أكن منهم، ولا من أحبَّائهم لكنّي أُحبُّ من يحبُّهم. فجاء مَلَكٌ آخر، وقال: خذْ هذا الدفتر، فاكتبْ اسمَه فوقهم، لأنَّه يُحبُّ من يُحبُّ الله.

قال أبو العباس: إن لم تقدرْ أن تحبَّه فأَحبَّ من يُحبُّ الله، وإن لم تصلْ إلى درجتهم ومقامهم؛ لكي يكونوا شفعاءك.

(*) اللمع ١٨٠، ٢١٥، تاريخ بغداد ٤١٦/١٤.

(١٩٩) أبو جعفر بن سِنان النيسابوري(*)

أبو جعفر أحمد بن حمدان بن عليٍّ بن سنان، رحمه الله، من الطبقة الثالثة، وهو من كبارِ مشايخ نيسابور.

صحب أبا عثمان الحِيري، ورأى أبا حفص.

وكان وحيداً في الخوف والورع والزهد.

مات في سنة إحدى عشرة وثلاث مئة.

قال أبو جعفر: **تكبُّرُ المطيعين على العصاة بطاعتهم شرٌّ من معاصيهم وأَضرُّ عليهم.**

وأيضاً عنه: **جمالُ الرَّجلِ في حُسن مقاله، وكمالُه في صدقِ فعاله.**

وأيضاً عنه: **علامةُ من انقطعَ إلى الله على الحقيقة ألاّ يردَ عليه ما يشغلُه عنه.**

(٢٠٠) أبو جعفر الفرغاني(**)

أبو جعفر الفرغاني، رحمه الله، نزيلُ بغداد، ومن أصحاب الجُنيد، وراوي كلامه، اسمه محمد بن عبد الله.

قال أبو جعفر: **التوكُّلُ باللِّسان يُورثُ الدعوى، والتوكُّلُ بالقلب يُورث المعنى.**

(*) طبقات الصوفية ٣٣٢، تاريخ بغداد ٤/١١٥، مناقب الأبرار ١٦٠/أ، المنتظم ٦/١٧٦، المختار من مناقب الأخيار ٥٥/أ، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٩٩، العبر ٢/١٤٧، تذكرة الحفاظ ٢/٧٦١، طبقات ابن عبد الهادي ترجمة ٧٣٠، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٦٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٦٤، طبقات الأولياء ٤٨، طبقات الحفاظ ٣٢٠، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٦، شذرات الذهب ٢/ ٢٦١.

(**) تاريخ بغداد ٥/ ٤٥٠، الأنساب ٩/ ٢٧٦، اللباب ٢/ ٤٢٢.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله باكو: كان أبو جعفر الفَرغاني خادماً لأبي عُثمان الحِيري، فيوماً في نيسابور كان أبو جعفر في ركاب الشيخ، وكان ذلك اليوم مطرٌ عظيم، والأرضُ كلُّها طينٌ، فخطر في خاطر أبي جعفر: الشيخُ راكبٌ على الفرس، ولا يَعرفُ حالي كيف يكونُ في هذا الطين؟. فنزل أبو عثمان بعد ساعة عن فرسه، وقالَ له: اركبْ. فقال: أيُها الشيخ، ما هذا؟. وكان له اضطرابٌ في باطنه، فقال: اركبْ. فبالضرورة ركب الفرسَ، وأبو عثمان حملَ الغاشيةَ على كتفه، ومشى قدَّامه، وأبو جعفر على الفرسِ يخجلُ ويتعبُ، ثم نزل عن الفرس، فقال الشيخ: يا فرغاني، كيف كان حالُك؟. فقال: لا تَسألني يا شيخي. فقال الشيخ: كنتُ راكباً وأنتَ حَملتَ الغاشية، وكنتَ تمشي قدَّامي، فكنتُ خجلاً مثلَكَ. فأدَّبه بهذا الفعل[1].

* * *

(٢٠١) أبو جعفر الساماني[*]

أبو جعفر الساماني رحمه الله.

قال أبو جعفر: كنت في وقت من الأوقات أمشي، فوقعت على جبل لبنان، فوصلتُ إلى مكانٍ هناك، فوجدت قوماً من الأبدال، وكان معهم شاب يخدمُهم، ويطبخ طعامهم، فقعدت عندهم ثلاثة أيام، في صبيحة اليوم الرابع قالوا: أرأيت معيشتنا؟ اذهب فلا تقدر أن تصحبنا. فودّعوني، فذهبت من عندهم. فبعد مدَّةٍ دخلت بغداد، فرأيت ذلك الشابَّ دلالاً، ويقول: من يزيد؟ فعجبت، ونظرت إليه، أيكونُ هو أم لا؟ فقال: مالك تنظرُ إليَّ؟ فقلتُ له: بحقِّ الحقِّ وأهلِهِ، أنتَ ذلك الشاب الذي كنت في خدمةِ الأبدال في جبل لبنان؟ قال: نعم. قلت: بأيِّ سببٍ جئتَ هنا، وما حالُك؟ قال: طبخت السَّمك يوماً، فوقتُ القسمةِ، وضعت ما كان أحسنَ لنفسي، فنزلتُ إلى هذا الحال.

---

(١) هنا ينتهي المطبوع العربي.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. وانظر صفحة ٢٤٨ ترجمة (١٩٧).

(٢٠٢) أبو جعفر الحداد(*)

أبو جعفر الحداد رحمة الله عليه، قال شيخ الإسلام: أبو جعفر الحداد اثنان كبير وصغير، فالكبير أبو جعفر بن بكير الحداد، بغدادياً كان، ومن أقران الجنيد ورويم، والصغيرُ كان مِصرياً، ومن أصحاب أبي جعفر الكبير، وجلس مع ابن عطاء، وتلمذَ له، واجتمعَ بأبي تُراب النَّخشبي، وصحبه.

قال شيخ الإسلام: كان أبو جعفر الحداد في مِصر، وكان مُشتغلاً بالحدادة إلى سبع عشرة سنة، كان له في كلِّ يومٍ دينارٌ وعشرةُ دراهم يتصدَّقُ بها، ولا يأكلُ منها شيئاً، وفي الليالي يدورُ على بيوت الناس لأجلِ قوام الصُّلب، ويأكلُ منه، ويدخل المسجد فلا يرقد، ولا يسأل من المشايخ شيئاً، وينظر إليهم.

وقال أبو جعفر: **إذا رأيت ضرَّ الفقير ـ أي العلامة ـ في ثوبة فلا ترجُ فلاحَه.**

قال شيخ الإسلام: دخل أبو جعفر الحداد البادية، ووصل إلى بئر، وكان ناظراً إلى الماء، فجاءه أبو تراب ـ قال شيخ الإسلام: أبو تراب هذا ليس أبا تراب النخشبي ـ وقال له: يا أبا جعفر، ما تفعل هنا؟ قال: مذ ستة عشر يوماً ما وجدتُ الماء، والآن لقيت الماء، وجلست بين العلم واليقين، فأيُّهما يغلب فأعملُ به. قال أبو تراب: يا أبا جعفر، كان لك[1] شأن عظيم، وذهب.

قال شيخ الإسلام: معنى يقينه كأني الآن لستُ عطشان، وليس لي حاجة بالماء، وأقدر على الصبر، والعلم هو الذي[2] يعبده سبحانه وتعالى لا يجوز

(*) حلية الأولياء ١٠/٣٣٩، تاريخ بغداد ١٤/٤١٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢١٤، الطبقات الصغرى للمناوي ١١٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٦٨.

(١) في (ح): كان حالك، وفي حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٠: سيكون لك.

(٢) في (ح) على الصبر والعلم. والذي

أن يهلك النفس، فيحمل الماء لاحتمال أن لا يوجد الماء، فعلم أبو تراب سره، فلاجرم إن أظهره أبو جعفر عنده.

* * *

(٢٠٣) أبو جعفر معاذ المصري(*)

أبو جعفر معاذ المصري رحمة الله عليه، أستاذ أبي الحسين السيرواني الكهين.

قال أبو جعفر معاذ: سألتُ أبا جعفر الحداد المصري وابنَ البرقي وكانا في مصر: ما التصوف ؟ قالا: التصوف أثرٌ منه على الأرض، مرَّةً يُظهره، ومرَّةً يُخفيه.

قال شيخ الإسلام: لو يعطي الله أحداً حياة ألف سنة لا يسمع أحسن من هذا الكلام من مخلوق، لأنَّ الله تعالى أظهرَ صنائعه من السماء والأرض، وما أظهر على أحدٍ كما أظهر على المحبّين، والطلب والأسفار والزيارات لأجله، فينبغي لصاحب المرقعة أن يبدل الليل بالنهار ليعرف رؤيته، فبرؤيته يصير صاحبَ روحٍ، وبرؤية أحبابه تصير روحه روح الروح.

* * *

(٢٠٤) أبو عبد الله البرقي(**)

أبو عبد الله البرقي رحمه الله كان من كبار مشايخ مصر، ومن مُتفرستهم.

قال شيخ الإسلام: قال أبو علي بن الكاتب لأبي عثمان المغربي: مرض ابن البرقي، فأُعطي شربة من ماء فما شربها، ثم قال: وقعت حادثة في المملكة، إن لم أعرفها بالتفصيل ما أشربُ إلى ثلاثة عشر يوماً. فما أكل شيئاً

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) روض الرياحين ١٨٦ (الحكاية: ١١٢).

ولا شرب حتى جاء الخبر بأن القرامطةَ دخلوا الحرم، وقتلوا ناساً كثيراً، وكسروا الحجرَ الأسود، فأكل وشرب.

قال أبو عثمان المغربي لأبي علي بن الكاتب: هذا ما هو أمر عظيم. فقال أبو علي بن الكاتب: إن لم يكن هذا أمراً عظيماً، فأنت تقولُ ما وقع اليوم في الحرم؟ قال أبو عثمان المغربي: حصل اليوم في الحرم غيمٌ عظيم حتى أظلَّ أهل مكة، ووقعت مُحاربةٌ بين الطلحيين والبكريين، ومقدمة الطلحيين اليوم رجلٌ راكبٌ على حصان أبهم، وعلى رأسه عمامةٌ حمراء، فكتبوا التاريخ، فلمّا تحققوا كان كذلك كما قاله.

قال أبو عثمان المغربي: من أجاب الحقَّ، فالمملكة كلُّها تجيبه.

قال الشريف حمزة العقيلي وهو في بلخ: لا يكون عارفاً من لم يعرف ما وقع في الممالك، أو يتولد، أو يتحرك.

قال شيخ الإسلام: هذا باطل؛ لأن العبودية لا تحمله إلاّ من اختصه الله تعالى، ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، فلا يعلم الغيب إلاّ الله، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

* * *

(٢٠٥) أبو جعفر المجذوم(*)

أبو جعفر المجذوم قدس الله سره، كان من أقران أبي العباس بن عطاء، وكان غوثاً، والغوث يتستَّرُ بخيرٍ أو شرٍّ.

قال ابن الخفيف: سمعت من أبي الحسين الدرَّاج أنَّه قال: كنتُ في سفرٍ، وحصل لي التعبُ من الرُّفقاء؛ لأنهم وقع بينهم نقار، فعزمت أن أُسافرَ وحدي، فلمّا وصلتُ مسجدَ القادسية رأيتُ شيخاً مجذوماً، وعليه بلاءٌ عظيم،

(*) حلية الأولياء ١٠/٣٣٣، تاريخ بغداد ١٤/٤١٥، صفة الصفوة ٢/٤٦٣، الطبقات الصغرى للمناوي ١١٤، جامع كرامات الأولياء ١/٢٦٩.

فلمّا رآني قال: السلام عليك يا أبا الحسين، عزمت على الحج ؟ قلت: بالإكراه. قال: تريد الرَّفيق ؟ فقلتُ في نفسي: شردتُ من رفقاء صحيحي البدن، فابتُليتُ بمجذوم ! قلت: لا. قال: كن رفيقي. قلتُ: والله ما أُرافقك. فقال: يا أبا الحسين: **يصنعُ اللهُ سبحانه وتعالى بالضَّعيف حتى يتعجَّبَ القويُّ**. قلتُ: هكذا. فتركتُ صحبتَه بالإنكار.

فلمّا وصلتُ مرحلةً أخرى رأيته في وقت الضحى جالساً بالاستراحة، فقال: يا أبا الحسين، **يَصنعُ الله بالضعيف حتى يتعجَّب القويُّ**. فما قلتُ له شيئاً، فتعدّيتُ، لكن حصلَ في قلبي تردُّدٌ ووسواس بنسبته، فمشيتُ بالتعجيل حتى وصلتُ وقتَ الصبح بمنزلةٍ أُخرى، فدخلتُ المسجدَ، فرأيتهُ جالساً بالاستراحة، فقال: يا أبا الحسين، **يَصنع الله بالضعيف حتى يتعجَّبَ القويُّ**. فقربتُ عنده، وخررتُ على الأرض، فقلتُ: **المعذرة إلى الله وإليك**. قال: ما مُرادك ؟ قلتُ: وقعَ منّي الخطأُ، وأريدُ رفقتَك. قال: أنتَ قلتَ ما أُريد، وحلفت عليه، وأكرهُ أن أجعلَكَ كذّاباً. فقلتُ: أريد أن أبصرك كلَّ يومٍ. قال: قبلت. فزال مني تعبُ الطريق والجوع، وما بقي لي غمٌّ ولا همٌّ، بل كنت مشتاقاً لرؤيته، فأعجل في المشي حتى ألحقَ به، فلمّا وصلتُ مكَّة حكيت الحكاية عند الصوفية، فقال أبو بكر الكتاني، وأبو الحسن المزين: هو أبو جعفر المجذوم، اليوم ثلاثين سنة أتمنّى رؤيته، يا ليتني أبصره.

فذهبت، فلمّا دخلت الطواف رأيته، فجئت عندهم، وقلتُ لهم: رأيته. فقالوا: إن تُبصره مرةً أُخرى فأمهله وأخبرنا. قلت: أي والله. فلمّا خرجتُ إلى منى وعرفات ما وجدته، فيوماً كنت في رمي الجمار، قال واحدٌ: **السَّلامُ عليك يا أبا الحسين**. فنظرته، فإذا هو إيّاه، فلمَّا رأيته حصل لي حالٌ ووجدٌ، فصحتُ صيحةً ليعلموا به، وخررتُ مغشياً، فذهبَ، فلمّا دخلتُ مسجدَ الخيف[1] ذكرتُ قصَّته عند الصوفية، فيوم الوداع كنتُ أُصلّي خلف المقام،

---

(١) مسجد الخيف: الخيف ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخيف من منى. معجم البلدان ٢/ ٤١٢.

فجاء واحدٌ من خلفي وقال: يا أبا الحسين، أتنادي ؟ قلت: أبداً يا أيُّها الشيخ، فقلت: أطلب منك الدعاء ؟ قال: أنا ما أدعو، أنت تدعو وأنا أقول آمين. فدعوت بثلاث دعوات، وهو يقول: آمين. أحدها: سألت أن يرزقني الله قوتَ يوم بيوم، فكان كذلك، فمرَّ علي سنون كثيرة ما خلّيتُ شيئاً للغد، وثانيها: سألْتُ أن يكونَ الفقر أحبَّ إليَّ، فما كان شيءٌ أحبَّ إليَّ من الفقر، وثالثها: سألت أن يحشرني في صفِّ أوليائه وأحبائه، وأرجو من الله أن أكون كذلك.

قال شيخ الإسلام: حكى لي محمد شكرف أنَّ سُبُكتُكين أبو محمود الغزنوي لما جاء لهراة مرَّةً أُخرى، فاشترى واحدٌ من عساكره حشيشاً من أعرابي، ووفّاه ثمنه وعززه، وقال: إن تجيء بالحشيش مرَّةً أُخرى فتجيء به عندي. لذلك الأعرابي، فذهب إليه مع العسكري، وتواخا مع العسكري، فاتفق يوم عرفة، فقال أبو الأعرابي: اليوم يحجُّون الحجَّاج، يا ليتني كنتُ معهم. قال العسكري: أتريدُ أن نذهبَ بك إلى عرفة ؟ بشرط أن لا يظهر عندك أحد. قلت: لا أقول. فذهب به ذلك اليوم إلى عرفات فحجَّ ورجع، فقال أبو الأعرابي: عجبتُ، لك هذا الحال والقدرة، وتكون بين العساكر ؟ قال: إن لم أكن في هذا العسكر فمثلك ضعيف أو عجوزةٌ ضعيفة يجيء ويُريد الاستعانة[1] من يعينه، ومن يغيثه ؟ وإن أسروا امرأةً من يخلّصها منهم ؟ فإقامتي في هذا العسكر لأجل هذه الخدمة، لا تقل عند أحدٍ أبداً.

قال شيخ الإسلام: لا ينبغي أن ينظر إلى أحدٍ بنظرِ الحقارة، لأنَّ المحبِّين يكونون مخفيين، وإن لم تكن حدَّة البصر والبصيرة والفراسة الصحيحة لا يجوز التعرف[2] في الخلق، وإلا ظلمت نفسك.

قال الخرقاني: لما زالت الأمانة من الخلائق أخفى الله تعالى أولياءه.

وقال: من أنا ؟ ما أقدر أن أحبَّكَ، لكن أحبُّ أحبَّاءك.

* * *

---

(١) في (ح): الاستغاثة.

(٢) في (ح): التفرق.

(٢٠٦) أبو جعفر الدَّامَغاني(*)

أبو جعفر الدَّامَغاني رحمه الله تعالى.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: كنتُ في المدينة المنورة، فرأيتُ رجلاً أعجمياً، عظيمَ الرأس، يودِّعُ رسولَ الله ﷺ، فلمَّا خرجَ ذهبت في أثره إلى مسجد ذي الحُلَيْفة(١)، فصلَّى ولبّى، وكنتُ على أثره، فالتفتَ إليَّ، وقال: ما تريد؟ قلت: أُريدُ أن أكونَ معك. فمنعني، فألححتُ عليه، فقال: إن كان ولا بدَّ لك أن تذهب معي فحطَّ قدمَك موضعَ قدمي. فقلت: أجل. فاختار غير الطريقِ المعهودة، فلمّا مضى قليلٌ من الليل رأيتُ أنوارَ السُّرج، قال: هذا مسجد عائشة، تتقدم أنت أو أنا؟ قلت: أنت تتقدّم. فتقدَّمَ ونمت، فوقت السَّحر دخلتُ مكّة، فطفت وسعيت، وجئت عند أبي بكر الكتاني رحمه الله ومعه عصابةٌ من المشايخ كانوا جالسين حوله، فسلّمتُ عليهم، فقال أبو بكر الكتاني: متى وصلتَ؟ قلت: ذا الحين. قال: من أين جئتَ؟ قلت: من المدينة. قال: متى خرجت؟ قلتُ: أمس. فتناظروا بينهم، فقال الشيخ أبو بكر الكتاني: مع من خرجت؟ قلت: مع رجل كان حاله وقصَّته كذا وكذا. فقال: هو أبو جعفر الدامغاني، وهذا في جنب حاله ليس بشيء. فقال: قوموا تجسَّسوا له، ودوروا له. وقال لي: يا ولدي، أنا أعلم هذا الحال لا يكون لك. وسألني: كيف وجدتَ الأرضَ تحت قدمك؟ قلت: كما يكون الموجُ تحتَ السفينة.

* * *

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ١٩٨، روض الرياحين ١٦٤ (الحكاية: ٨٣).

(١) ذو الحُلَيْفة: بالتصغير، قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، ومنها ميقات أهل المدينة. معجم البلدان ٢/ ٢٩٥.

(٢٠٧) أبو الحسين الوراق(*)

أبو الحسين الورّاق قُدّس سرُّه، من الطبقة الثالثة، اسمه محمد بن سعد.

من كبار مشايخ نيسابور وقدمائهم، ومن أصحاب أبي عثمان الحِيري.

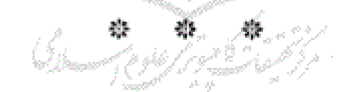
كان عالماً بعلوم الظاهر، وله كلام في دقائق العلوم، والمعاملات، وعيوب الأفعال.

مات قبل العشرين وثلاث مئة.

وقال أبو الحسين: الكرمُ في العفو[١] الذي لا يذكرُ جنايةَ أحبابه بعد العفو.

وأيضاً عنه، قال: حياة القلب في ذكر الحيِّ الذي لا يموت، والعيش بالراحة أن تكون حياتُهُ معه لا غيره[٢].

وأيضاً عنه، قال: علامة حبِّ الله تعالى اتِّباعُ حبيبه رسولِ الله ﷺ.



(٢٠٨) أبو الحسين الدرّاج(**)

أبو الحسين الدراج من الطبقة الثالثة، كان بغدادياً، وكان خادمَ إبراهيم الخوّاص.

(*) طبقات الصوفية ٢٩٩، مناقب الأبرار ١٥٤/أ، المنتظم ٦/ ٢٤٠، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٦/أ، البداية والنهاية ١١/ ١٦٧، طبقات الأولياء ٣٨٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠١، الكواكب الدرية ٢/ ١٥١.

(١) من الأصل: العوف، والمثبت من طبقات الصوفية ٢٩٩.

(٢) في طبقات الصوفية ٢٩٩: .... والعيش الهنيءُ مع الله لا غير.

(**) تاريخ بغداد ٩/ ١٠٥، الأنساب ٥/ ٢٩٢، اللباب ١/ ٤٩٥، واسمه سعيد بن الحسين.

ومات في السماع سنة عشرين وثلاث مئة مع الشيخ أبي بكر الدمشقي، وأبي عمران المزيّن الرازي.

قال شيخ الإسلام: جاء أبو الحسين الدرّاج من بغداد إلى الرَّيِّ لزيارة يوسف بن الحسين، فقال له يوسف: لِمَ جئتَ؟ قال: لزيارتك ورؤيتك. فقال يوسف: وإن أعطاكَ أحدٌ جاريةً حسنةً، وداراً مُزينة، أيمنعُكَ هذا عن زيارتي؟ قال: ما أعرف، فالله تعالى ما امتحنني بهذا.

قال شيخ الإسلام: جوابه أحسن من سؤاله، وما كان ينبغي ليوسف أن يسألَه مثلَ هذا.

* * *

(٢٠٩) بُكير الدرّاج(*)

بكير الدراج رحمه الله هو أخو أبي الحسين الدراج، وكان في بغداد، وبكير أفضلُ وأزهدُ منه، وكان أكبر منه شأواً.

قال بكير: مذ دخلتُ في هذا الطريق ما جاءني خاطرٌ فاسدٌ أبداً.

* * *

(٢١٠) أبو الحسين السَّلاَّمي(**)

أبو الحسين السَّلامي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: هو رجلٌ كبيرُ الشأن، وكان صاحبَ تاريخ.

قال أبو الحسين: إنَّ عيسى الموصلي كان راهباً.

وقال أيضاً: إذا أنزل اللهُ على المسلمين آية: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة: ٧] كيف يؤذون الله تعالى؟

(*) تاريخ بغداد ٧/ ١١٢.

(**) وفيات الأعيان ٦/ ٤٢٠، وفي معجم الأدباء ٣/ ١٠٢٩ اسمه: الحسين بن أحمد السلاّمي أبو علي بقرينة: (صاحب التاريخ) والكتاب هو: «التاريخ في أخبار ولاة خراسان». قال علي بن زيد البيهقي في تاريخ بيهق ص ١٥٤: توفي سنة ٣٠٠هـ.

(٢١١) أبو الحسين المالكي (*)

أبو الحسين المالكي رحمه الله، اسمه أحمد بن سعيد المالكي، كان بغدادياً فصيحاً.

وصحب: الجُنيد، والنُّوري، ومن كان في طبقتهم.

وكان في طَرَسوس، ومات بها.

* * *

(٢١٢) أبو الحسين الهاشمي (**)

أبو الحسين الهاشمي رحمه الله تعالى.

قال أبو الحسين: سألوا الجُنيد: متى يكونُ القلبُ مَسروراً؟ فقال: في الوقت الذي يكون الله في قلبك.

قال شيخ الإسلام: كان مُتكلّماً مع الفتيان فيكون في القلب ذكره وحبه ومحبته. وقال: قلت متى يكون مسروراً؟ قال: إذا كان ناظراً متى يكون مسروراً؟ قال: إذا كان حاضراً.

* * *

(٢١٣) أبو بكر الواسطي (***)

أبو بكر الواسطي قدس الله تعالى سرّه، اسمه محمد بن موسى، وكان يعرف بابن الفرغاني، وهو من قدماء أصحاب الجُنيد، والنُّوري.

(*) تاريخ بغداد ٤/ ١٧٢.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(***) طبقات الصوفية ٣٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٩، الرسالة القشيرية١/ ١٥١، مناقب الأبرار ١٥٠/أ، المنتظم ٦/ ٢٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٦١/أ، الوافي بالوفيات ٥/ ٨٥، طبقات الأولياء ١٤٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٩، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٩.

وكان من علماء مشايخ القوم، وما تكلّم أحدٌ في أصول التصوف مثله، وكان عالماً بالأصول، وعلوم الظاهر.

قال شيخ الإسلام: كان الواسطي إمامَ التوحيد، وإمامَ المشرق في علم الإشارة، فجاء أيام الشباب من العراق إلى مرو، وما تكلّم في العراق إلا قليلاً، وقال: أدور من بلدٍ إلى بلد؛ لعلّي أجد واحداً يفهم الكلام. قالوا: لِمَ أقمت في مرو ؟ قال: وجدتُ فيهم حدَّةَ الفهم.

ومات بها قبل العشرين والثلاث مئة، وقبره هناك معروف مشهور.

وقال شيخ الإسلام: نظرتُ إلى مقامات الصوفية، فبعضُهم أعلى منّي، وبعضهم مثلي، وبعضهم دوني، فالواسطي فوقي، والنصراباذي مثلي، ويحيى بن معاذ الرازي دوني.

قال شيخ الإسلام: قال الواسطي: أنا وهو، وهو وأنا، والأفعال مني، والعوض منه، والدُّعاء منّي، والإجابةُ منه، كلُّها ثنوية وإثنينية.

قال شيخ الإسلام: ما قال أحدٌ من أهل خراسان في التوحيد كما قال الواسطي. ولمّا خرجَ من العراق إلى نيسابور مات أبو عثمان الحيري قبل وصوله، فاجتمع بأصحابه، وسمع منهم كلامه، فسئل: كيف وجدتهم ؟ فقال: صاحبُهم ما علّمهم إلا المجوسية المحضة والإثنينية، يعني أنا وأنت.

قال شيخ الإسلام: كان أبو بكر القحطبي من تلامذة أبي عثمان الحيري. سأل واحدٌ القحطبي في بغداد: بأيِّ شيءٍ شيخك يدلّك ؟ قال: بإتيان العبادة، ورؤية التقصير. قال: هذه يهودية محضة، وفي التصوف ينبغي التوحيد.

قال شيخ الإسلام: التقصير أن تنظر إلى نفسك وأفعالك، فلِمَ لا تنظرُ إليه وأفعاله ؟

قال شيخ الإسلام: قال أبو الطيب المصري: **من لم يندرج له وفاء العبودية في عزّ الرُّبوبية لم تصفُ له العبودية.**

قال شيخ الإسلام: للواسطي أستاذٌ واحد، وتلميذٌ واحد، فالأستاذ الجُنيد، والتلميذ أبو العباس السيَّاري، وكتب الجُنيد له مكتوباً وابتداه بهذا:

بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليك يا أبا بكر، ورحمة الله وبركاته، وعافانا الله وإيّاكَ بالكرامة، وقال في آخره: العلماء والحكماء رحمةٌ من الله على الخلق، فكن متكلّماً بكلامٍ يكون رحمةً للخلق، وبلاءً لنفسك، واخرجْ من حالك، وادخلْ في حالهم، يعني تكلّم معهم مع حسب[1] طاقتهم وحالهم، وضع الخطاب على قدر حالهم ومقامهم، فهذا أبلغُ لك ولهم، ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] . قال شيخ الإسلام: فهم الجنيد أن كلامه ليس في طاقة بشرٍ، فأمره بالرفق والرحمة.

قال شيخ الإسلام: قال الواسطي: من قال أنا قريب منه فهو بعيد، ومن قال أنا بعيد، وفنيَ في وجوده فهو المتصوف.

* * *

(٢١٤) أبو بكر الزقّاق الكبير(*)

أبو بكر الزقّاق الكبير قدس الله سره، عدّه شيخُ الإسلام في الطبقة الثالثة، اسمه أحمد بن نصر، كان مصرياً، وكان أستاذ أبي بكر الزقاق الصغير، وأستاذ أبي بكر الدقي، ولمّا مات الزقاق الكبير قال الشيخ أبو بكر الكتاني: **انقطعت حجة الفقراء في دخولهم مصر.**

وكان من أقران الجنيد، وأصحابه.

قال أبو بكر: **ثمن هذا الطريق روحُ الإنسان.**

وأيضاً عنه، قال: هذا الكلام ينبغي لمن طهَّرَ المزبلةَ بروحه سنيناً بالصدق.

* * *

---

(١) كذا في الأصول.

(*) طبقات الصوفية (الفهرس)، اللباب ٢/ ٧٢، مسالك الأبصار ٨/ ٣٦٣، طبقات الأولياء ٩١، النجوم الزاهرة ٣/ ١٣١، حسن المحاضرة ١/ ٢٩٣، طبقات الأولياء ٩١.

هذا وتختلط أخبار أبي بكر الزقاق الكبير أحمد بن نصر مع أبي بكر الزقاق الصغير محمد بن عبد الله.

(٢١٥) أبو بكر الزقّاق الصغير(*)

أبو بكر الزقاق الصغير قدس الله سره.

قال شيخ الإسلام: الزقاق الصغير كان بغدادياً، ومن تلامذة الزقاق الكبير، وكان أولاً في تحصيل علم الحديث، ويكتب الحديث، ثم صار في طريقة أهل الحقيقة.

وكان له عينٌ واحدة، قال أبو بكر الرازي: سألته بأيِّ سببٍ قُلعت عينك؟ فقال: دخلت البادية بالتوكل، وعاهدت الله لا آكل شيئاً من أهل المنازل من الورع، فنزلت عيني من الجوع.

وقال: سمعت من الجنيد كلمةً واحدة في الفناء، فاليوم أربعين سنة مازال ذوق تلك الكلمة التي سمعتها منه.

* * *

(٢١٦) أبو بكر الكتاني(**)

أبو بكر الكتّاني قدّس الله سره، من الطبقة الرابعة، اسمه محمد بن علي بن جعفر الكتاني، كان من أصحاب الجنيد، ومجاوراً بمكة سنوناً كثيرة، ومات

(*) تاريخ بغداد ٥/ ٤٤٢، الأنساب ٦/ ٢٩١، صفة الصفوة ٢/ ٤١٥، المنتظم ٦/ ٤٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٥١/ب، طبقات الأولياء ٣١١، بستان العارفين ٦٨، البداية والنهاية ١١/ ٩٧، الكواكب الدرية ٢/ ٤٧.

(**) طبقات الصوفية ٣٧٣، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٧، تاريخ بغداد ٣/ ٧٣، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٦، مناقب الأبرار ١٧٩/ب، الأنساب ١٠/ ٣٥٤، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٥١/أ، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٧١، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٣، العبر ٢/ ١٩٤، الوافي بالوفيات ٤/ ١١١، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٦، طبقات الأولياء ١٤٤، العقدالثمين ٢/ ١٤٩، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٨، طبقات الشعراني ١/ ١١٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٥، شذرات الذهب ٢/ ٢٩٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٠٤.

بها في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة في السنة التي انتقل فيها عبد الواحد الأصفهاني في طرسوس، وكنيته أبو الغريب.

قال المرتعش: كان الكتاني سراجَ الحرم.

قال الكتاني: **الصوفية عبيد الظواهر، أحرار البواطن.**

قال شيخ الإسلام: الكتاني كان يصاحب الخضر عليه السلام، فيوماً قال الخضر: يا أبا بكر، كلُّ الناس يعرفونني وأنا لا أعرفهم.

قال أبو بكر: قال الخضر: كنت في مسجد صنعاء اليمن، والناس يقرؤون الحديث عند عبد الرزاق، وكان شابٌ في ركن المسجد مُلتفاً مُنكَّس الرأس، فقلت له: الناس يقرؤون الحديث عند عبد الرزاق، وأنت هنا معتزلٌ! لم لا تقرأُ عنده؟ قال: أنا هنا أسمع من الرزاق، وأنت تُرسلني إلى عبد الرزاق! قلت: إن كنتَ صادقاً في هذا الكلام فقل من أنا؟ قال: أنت الخضر. ونكس الرأس.

قال شيخ الإسلام: إنْ سمع من عبد الرزاق كما كان يسمع من الرزّاق يكون أحسن، وكان من المشايخ أفضل منه، وكان ظاهرهم مع العوام وباطنهم بواطن الخواص، فالشريعة على البدن، والحقيقة على الروح والسر.

وقال الكتاني: **من لم يتأدَّب بأستاذ فهو بطّال.**

وأيضاً عنه، قال: **كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك.**

قال الشيخ أبو بكر الرازي: إن الشيخ أبا بكر الكتاني رأى شيخاً كبيرَ السنِّ قد اشتعل رأسُه شيباً يسألُ الناس، قال الكتاني: **هذا رجلٌ أضاع أمرَ الله في صغره، فضيّعه الله تعالى في كبره.** يعني إن لم يضيّعه في أيام الشباب لم يذلَّه الله تعالى في كبر السن بذُلِّ السؤال؛ لأنَّ مشايخ أهل السنة لمّا كبروا عزّوا عند الخلائق.

قال شيخ الإسلام: قالوا: الكتاني من تلامذة محمد رسول الله ﷺ، لأنه إذا أرادَ شيئاً سأل النبي ﷺ في المنام، وكان يعلم الليلة التي يرى فيها النبي ﷺ، فوقتٌ قال له النبي ﷺ: من يقرأ كلَّ يومٍ إحدى وأربعين مرّةً هذه الأسماء

لا يموت قلبه يوم تموتُ قلوب الناس كلّها، وهي هذه: **يا حيُّ يا قيوم، لا إله إلا أنت**.

قال شيخ الإسلام: قال أبو القاسم الدمشقي: سأل الأستاذ السالميُّ الكتانيَّ: ما التصوف؟ قال: أدناه لا تدركه.

وسأل واحدٌ أبا حفص: من الصوفي؟ قال: الصوفيُّ لا يسألُ من الصوفيُّ.

قال شيخ الإسلام: هذا العلم سرُّ الله، وهذا القوم أصحاب الأسرار، فالحرميين ينبغي لهم أن لا يسألوا عن أسرار الملوك، وأصل هذا العلم وجداني لا إدراكي، ولا يحصل هذا العلم لمن طلبه بالإنكار، ولا بالجهل؛ بل برعاية الحرمة والأدب، فسؤال السائل عن هذا العلم من الإنكار، ومن شمَّ رائحةً من هذا العلم فما له بالسؤال، فلا ينكر؛ لأنَّ الإنكار شؤمٌ، والمنكرُ محروم، فقومٌ مشغولون بهذا العلم، وقومٌ مشغولون عن هذا العلم، وقوم مشغولون بالإنكار، فالمشغولُ عن هذا العلم مغرور، والمُنكرُ له مردود، والمُستغرقُ فيه مستغرقٌ في النور.

* * *

(٢١٧) أبو بكر بن عطاء الجحفي (*)

أبو بكر بن عطاء الجحفي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: قال عطاء: كنتُ جالساً على ربوةٍ، فرأيت سيلاً جاء، وحمل سمارية[1]، وعليها رجلٌ، وهو يقول بأعلى صوت: **لبّيك اللهم لبّيك، لبيك وسعديك، لئن ابتليتَ فلطالما عافيت**، فالسيل ودّاه إلى البحر، والجُحفة موضعُ السيل؛ ولهذا يسمونها الجُحفة؛ لأنَّ السيل يدخل فيها، وما يكون فيها يكنسه ويوديه إلى البحر.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) السمارية: ضرب من السفن. وفي (ب): همارية.

(٢١٨) أبو بكر الشقاق(*)

أبو بكر الشقاق[١] رحمه الله، اسمه محمد بن عبد الله، وصحب أبا سعيد الخراز.

قال أبو بكر: قال أبو سعيد الخراز: كنت ماشياً في الصحراء، فوصلت إلى مكان، فحملَ عليَّ عشرةٌ من كلاب الراعي، فلمَّا وصلوا إليَّ، اشتغلتُ بالمراقبة، وكلبٌ منهم أبيضُ خرجَ منهم، ومنعهم عنّي، فكان عندي ذلك الكلب حتى غابوا عنّي كلُّهم، ثم هذا الكلبُ غابَ من عندي.

وأيضاً قال: قال أبو سعيد الخراز: **كن بذكر الله، فإن قويت حالُك غبت عن ذكر الله، وذكر الله إيَّاك.**

قال شيخ الإسلام: كان اللسان في الذكر، والذكر في المذكور، والقلب في المحبة، والمحبة في النور، والروح في العيان، والعيان بعيد من البيان، وصلْ نتيجةَ الحقِّ بالحقِّ، ونتيجة الإنسان بالإنسان، يعني انعدم الماء والتراب، وانعدمت الاثنينية، **ورجع الحقُّ إلى أصحابه، وبقي المسكين في التراب رميماً.**

* * *

(٢١٩) أبو بكر الشبلي(**)

أبو بكر الشبلي قدس الله تعالى سره، من الطبقة الرابعة، اسمه جعفر بن يونس، وقيل دلف بن جحدر، وكتبوا على قبره في بغداد جعفر بن يونس.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) الشقاق نسبة تقال لمن يشق الخشب (اللباب).

(**) طبقات الصوفية ٣٣٧، حلية الأولياء ١٠/٣٦٦، تاريخ بغداد ١٤/٣٨٩، الرسالة القشيرية ١/١٥٩، مناقب الأبرار ١٦١/أ، الأنساب ٧/ ٢٨٢، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٦، المنتظم ٦/ ٣٤٧، المختار من مناقب الأخيار ١٤٢/أ، اللباب ٢/ ١٠، الكامل في =

قال شيخ الإسلام: هو مصري، جاء بغداد، وتابَ في مجلس خير النسّاج، وكان من تلامذة الجُنيد، وكان عالماً فقيهاً مذكّراً، يعظ الناس، وكان مالكي المذهب، وحفظ «الموطأ»، وأبوه كان رئيس بواب الخليفة.

وفي «طبقات السلمي»[1] أنه خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، وأصله من أَشْرُوسنَة[2] من فرغانة، ومولده كما قيل سامراء.

وقال الجُنيد: **لا تنظروا إلى أبي بكر الشبلي بالعين التي ينظرُ بعضُكم إلى بعض؛ فإنَّه عين من عيون الله**. وكان عمره سبعاً وثمانين سنة، ومات في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة في شهر ذي الحجة.

وقال الجنيد: **لكلِّ قومٍ تاج، وتاج هذا القوم الشبلي**. وأُدخل الشبلي المارستان اثنتين وعشرين مرّة.

قال الشبلي: **الحرية هي حرية القلب لاغير**.

قال شيخ الإسلام: قال أبو سعد الماليني الحافظ الصوفي حكايةً عن الشبلي: احفظ الوقت، وغداً تكون في حفظه، وإلى الأبد تصحبه.

قال شيخ الإسلام: احمل الزاد من هذه الدار، فغداً يُقال للمنافقين: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣].

قال شيخ الإسلام: هذه الحكاية وصيةٌ من الشبلي، فاكتبوها واحفظوها، لأنه لا يوجد عن الشبلي أحسنُ من هذه الحكاية، وهي الوقتُ الذي أنت فيه أفضل من وقت غداً.

= التاريخ ٨/ ٣٥٠، وفيات الأعيان ٢/ ٢٧٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٦٧، العبر ٢/ ٢٤٠، مرآة الجنان ٢/ ٣١٧، الوافي بالوفيات ١٤/ ٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢١٥، الديباج المذهب ١١٦، طبقات الأولياء ٢٠٤، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٨٩، طبقات الشعراني ١/ ١٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ٨٣، شذرات الذهب ٢/ ٣٣٨.

(١) طبقات الصوفية ٣٣٧.

(٢) أشروسنة: مدينة بما وراء النهر، بين سيحون وسمرقند. انظر معجم البلدان.

قال واحد للشبلي: ادعوا لي. فقرأ هذا البيت:

مضى زمنٌ والنَّاسُ يستشفعون بي فهل لي إلى ليلى الغداة شفيعُ[1]

وقيل له: نبصرك جسيماً، ومدعي المحبة هزيل! قال:

أحبَّ قلبي وما درى بدني ولو درى ما أقام في السِّمَنِ

وسأله رجل: عمن يكون في السماع، ولا يعلم ما يسمع، فما هذا؟ فرد جوابه بهذه الأبيات، وقال:

ربَّ ورقاءَ هتوفٍ بالحمى ذاتِ شدوٍ صَدَحَتْ في فننِ
ولقد أشكو فما أفهِمُهَا ولقد تَشكو فما تُفْهِمُني
غير أني بالجوى أَعرِفُها وهي أيضاً بالهوى تعرفني
ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً فبكت شجواً فهاجت شجني[2]

قال شيخ الإسلام: هذه الأبيات للمجنون لا للشبلي، لكن أنشدها الشبلي.

قال الشبلي لعبد الرحمن الخراساني: يا خراساني هل رأيت غير الشبلي أحداً يقول الله قطُّ؟ قال: فقلتُ: وما رأيت الشبلي يوماً يقول الله. قال: فخرَّ الشبلي مغشياً عليه.

قال عبد الرحمن الخراساني: جاء واحد، ودقَّ باب الشبلي، فخرج الشبلي حافياً مكشوف الرأس، وقال: من تريد؟ قال: الشبلي. قال: أنت ما سمعت أنه مات كافراً، فلا رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: قال الشبلي لنفسه يوماً، وجماعةٌ كانوا في بيته، فنظر الشبليُّ إلى الشمس، فرآها قريبةً من الغروب، فقال: وقت الصلاة. فقاموا، وصلّوا صلاة العصر، فضحك الشبلي وقال: لله درُّ القائل:

---

(١) ديوان مجنون ليلى صفحة ١٩١، (جمع وتحقيق وشرح عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر)، وفي الأصل: فهل لي إلى ليلى الغداة دليل، والمثبت من الديوان، وطبقات الصوفية ٣٤٢.

(٢) الأبيات ذكرها السُلمي في جوامع آداب الصوفية ٢٧٥ تحقيق سليمان آتش، الناشر للطباعة والنشر ١٩٩٣ م. بزيادة بيتين.

نسيتُ اليومَ من عشقي صلاتي | فلا أدري غدائي من عشائي
فذكرُكَ سيِّدي أكلي وشربي | ووجهُكَ إن رأيت شفاءُ دائي

وقال واحد من هذه الطائفة: كنت واقفاً في حلقة الشبلي في مسجد المدينة، فجاء سائل وقال: يا الله يا جواد. فصاح الشبلي، وقال: كيف أقدر أن أمدحه سبحانه وتعالى لنفسه؟ فالمخلوق يمدح لمخلوق، ويقول[1]:

تعوَّدَ بسطَ الكفِّ حتى لو انَّه | أرادَ انقباضاً لم تُجِبْهُ أنامِلُهْ
تراه إذا ما جئتَه مُتهلِّلاً | كأنَّكَ تُعطيه الذي أنتَ سائلُهْ
ولو لم يكن في كفِّهِ غيرُ رُوحِهِ | لجادَ بها فليتَّقِ اللهَ آملُهْ
هو البحرُ من أيِّ النَّواحي أتيتَهُ | فلجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحلُهْ[2]

فبكى وقال: [بلى] يا جواد، فإنَّك أوجدت تلك الجوارح، وبسطت تلك الهمم، ثم مننت بعد ذلك على أقوام بالاستغناء عليهم[3]، وعمّا في أيديهم بك، فإنك الجواد كل الجود، فإنهم يُعطون عن محدود، وأنت عطاؤك لا حدَّ له، ولا صفة، فيا جواداً يعلو كلَّ جواد، وبه جاد من جاد.

قال الشبلي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]: أبصار الرأس عن المحارم، وأبصار القلوب عمّا سوى الله تعالى.

وقيل: إنه سمع قائلاً يقول: الخيار عشرة بدانق. فصاح وقال: إذا كان الخيارُ عشرة بدانق فكيف الشرار؟

---

(١) كذا في الأصل، وفي طبقات الصوفية ٣٤٦: كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود، ومخلوق يقول في شكله.

(٢) هذه الأبيات ملفقة، فالبيت الثاني والثالث لزهير بن أبي سلمى، انظر شرح ديوانه صفحة ١٤٢ (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤)، والبيت الأول والرابع لأبي تمام، انظر ديوانه صفحة ١٩٣ (طبعة دار الكتاب العربي) من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله مطلعها:

أجل أيها الربع الذي خف آهله | لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله

(٣) في طبقات الصوفية ٣٤٦: ثم مننت ـ بعد ذلك ـ على أقوامٍ بعزِّ الاستغناء عنهم.

قال الشبلي: عهدتُ أن لا آكل إلا حلالاً، وكنت أدور في الهيجاء والصحراء، فوصلت إلى شجرة تين، فمددتُ اليد لآخذ التينَ وآكله، فسمعت صوتاً من أصل الشجرة: احفظ عهدك، ولا تأكل منّي؛ لأنّي في ملك اليهودي.

وسألوه: أيُّ شيءٍ يكون أعجبُ العجائب؟ فقال: قلبٌ يعرفُ الله، ويعصيه.

قال بُكير الدِّينوري خادمُ الشبلي: قال الشبلي: قربَ الموتُ، عليَّ حقُّ الناس درهمٌ واحد، فتصدّقتُ بدله بكم ألوف من الدراهم، وإلى الآن لا يكون عليَّ شيءٌ أثقلَ منه.

وأيضاً قال بُكير: أمرني الشبلي في ذلك المرض بتوضئته، فوضّأته، ونسيتُ تخليلَ اللحية، وكان لسانه مقبوضاً، فأخذ يدي وأدخلها في لحيته، فمات. فسمع هذا الخبر واحدٌ من الأكابر، فقال: ما تقول في حقِّ رجلٍ إلى آخر عمره ما فاته أدبٌ من آداب الشريعة!

وقال بُكير: حصل للشبلي خفّةٌ يوم الجمعة من ذلك المرض، فقال: اذهب بي إلى المسجد الجامع، فاتّكأ على يدي، ومشى، فاستقبلني رجل، فقال الشبلي: يا بُكير. قلتُ: لبّيك. قال: إن الغد يكون لي احتياجٌ إلى هذا الرجل. فذهبتُ وصلّيت ورجعت إلى البيت، فمات الشبلي تلك الليلة، فقالوا: في محلّةِ فلان رجلٌ صالحٌ يغسّل الأموات. فوقتَ السحر ذهبتُ إلى بيت ذلك الصالح، فدققتُ بابه، وقلت: السلام عليكم. فردَّ الجواب من داخل بيته، وقال: مات الشبلي؟ قلت: نعم. فخرج، فعرفته أنّه كان ذلك الرجلَ الذي استقبلني بالأمس، وقلت متعجّباً: لا إله إلا الله! قال: لِمَ تتعجَّبُ؟ قلت له: بحقِّ الذي خلقني وخلقك، من أين فهمتَ موتَ الشبلي؟ فقال: يا أبله، قول الشبلي:يا بُكير إن الغد يكون لي احتياجٌ إلى هذا الرجل.

* * *

(٢٢٠) أبو بكر بن يزدانيار الأُرْمَوي(*)

أبو بكر بن يزدانيار الأُرمويِ رحمة الله عليه، من الطبقة الرابعة، اسمه حسين بن علي بن يزدانيار، وله طريق مخصوص في التصوف، وبعض المشايخ أنكروا عليه مثل الشبلي وغيره، وكان يُنكر على بعض مشايخ العراق أقاويلهم، وكان عالماً بعلوم الظاهر، وعلوم المعاملات، والمعارف.

قال شيخ الإسلام: أبو بكر بن يزدانيار رأى الله تعالى في المنام، فقال: يا الله، لي حاجة. فقال: ما حاجتُك، وما تريد، أيكون شيءٌ أَفضلَ ممّا أعطيتك ؟ خلّصتك من قيد الصوفية.

قال شيخ الإسلام: رأيت في كتابٍ سألوه: ما قيد الصوفية ؟ فقال: الحال المحال، والإشارات الباطلة. وله قصة طويلة كانت مع الصوفية وأنكروا عليه، وفيه إشكالٌ قوي.

وكان رجلاً كبيرَ الشأن، وصاحبَ التلبيس في الظاهر والمحقق، ومحققاً في الباطن.

وقال أبو بكر بن يزدانيار: الملائكة حرَّاسُ السماء، وأصحابُ الحديثِ حرَّاسُ السنة، والصوفية حرَّاسُ الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: رأى أبو العباس النهاوندي يوماً بعد صلاة الصبح الفقراء راقدين، فقال: ارقدوا، هو في طلبكم ـ يعني أمره ـ وصحبته وحبُّه يكفيكم.

وأيضاً عنه قال: انتظرني أتكلم مع الفقراء، والله لا أُكلّمهم إلاّ بالغيرة؛ لأنهم يُظهرون أسرارَ الله تعالى إلى غيرِ أهلها، وإلاّ فهم ساداتُ أهل العالم، فبمحبَّتِهم أطلب القُربةَ إلى الله تعالى.

(*) طبقات الصوفية ٤٠٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٣، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٥، مناقب الأبرار ١٨٨/ب، المختار من مناقب الأخيار ١٢٨/ب، طبقات الأولياء ٣٣٥، طبقات الشعراني ١/ ١١٤، الكواكب الدرية ٢/ ٨٠.

وأيضاً عنه قال: المعرفة تحققُ القلب بوحدانية الله تعالى.

وأيضاً عنه قال: المحبّةُ أصلُها الموافقة، والمحبُّ هو الذي يُؤثر رضا محبوبه على كلِّ شيء.

وأيضاً عنه، قال: من استغفرَ وهو ملازمٌ للذنب حرَّمَ الله تعالى عليه التوبةَ والإنابة إليه.

* * *

(٢٢١) أبو بكر الصيدلاني(*)

أبو بكر الصيدلاني رحمه الله تعالى، من أجلِّ المشايخ وأعلامِهم، وكان الشِّبلي يعظِّمُه ويكرّمه، وكان من فارس، ومات في نيسابور.

قال أبو بكر الصيدلاني: اصحبوا الله، وإن لم تطيقوا فاصحبوا من يَصحبُ الله تعالى، فببركة صحبته تصلوا إلى الله تعالى.

وأيضاً عنه قال: العاقلُ هو الذي يتكلَّمُ بقدر الضرورة، ويتركُ الفضول.

وأيضاً عنه: اصحبوا الله كثيراً، والخلقَ قليلاً.

قال واحد من تلامذته بعد موته: جعلتُ لوحاً على قبره، فكتبت عليه اسمه، فالناس محوه، ثم نقشْتُهُ، فمحوه مرّة أُخرى، وهكذا وقع مِراراً كثيرة، وما فعلوا ذلك بقبرٍ آخر، فسألتُ مرّة من الأستاذ أبي علي الدقّاق، فقال: اختارَ ذلك الرجل أن يُخفي حاله في الدنيا، فأخفى الله تعالى حالَه بعد مماته أيضاً، وأنت تريدُ أن تظهره، هذا لا يكون.

* * *

(*) المختار من مناقب الأخيار ١/ ٥٠٠، ضمن ترجمة أبي بكر الطمستاني.

(٢٢٢) أبو بكر الخباز البغدادي(*)

أبو بكر الخباز البغدادي رحمه الله، هو من أساتذة الجريري.

قال الخباز: **العيال عقوبة تتقيد[1] شهوات الحلال.**

* * *

(٢٢٣) أبو بكر بن عيسى المُطَّوعي(**)

أبو بكر بن عيسى المطوعي رحمه الله، كان من أبهر[2]، ومن أقران أبي بكر وأكبر منه.

فلمّا كان محتضراً دخل عليه أبو بكر بن الطاهر، وقال: أحسن ظنَّك بربِّك. فقال: يجوز أن يتكلَّم لمثلي هذا الكلام؟ فإن يحييني أعبده، وإن يطلبني أقبل أمره.

ومات سنة خمس وثلاث مئة.

* * *

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ح): بتقيد، وفي المطبوع (ف): تنفيذ. ولعلها: تُقَيِّدُ.

(**) الطبقات الصغرى للمناوي ٩٩.

والمُطَّوعي نسبة إلى المطَّوعة، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو ومرابطة الثغور، وقصدوا جهاد العدو في بلادهم لا إذا قصد العدو بلاد الإسلام. اللباب ٣/ ٢٢٦.

(٢) أبهر: مدينتان: مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل. والثانية بليدة من نواحي أصبهان. معجم البلدان.

(٢٢٤) أبو بكر بن الطاهر الأبهري(*)

أبو بكر بن الطاهر الأبهري رحمه الله تعالى، من الطبقة الرابعة، اسمه عبد الله بن طاهر بن الحارث الطائي، كان من كبار مشايخ الجبل، ومن أقران الشبلي، وكان عالماً متورعاً.

وصحب يوسف بن الحسين، وكان رفيقاً لمظفر كرمان شاهي.

قال الشيخ مهلب المصري، وهو مهلب بن أحمد بن مرزوق: ما كان أنفع من صحبة الشيخ أبي بكر بن الطاهر.

ومات في سنة ثلاثين وثلاث مئة.

ومرَّ يوماً أبو بكر بن الطاهر على دكانِ بزازٍ، وكان ولده محبًا له، فلمَّا رأى الشيخ قامَ ومشى على آثاره، فلمَّا جاء البزَّازُ ما وجد ابنه في الدكان، فغضب عليه، فذهب على أثر ولده، فوجده، وذهب به من عند الشيخ إلى الدُّكان، فما نام الشيخُ تلك الليلة من تعبه. فصباحه ذهبَ الشيخُ إلى بيته، وقال للبزَّاز: ما عندي من الدنيا شيءٌ إلاَّ هذه الجارية، فإن تقبلها للكفَّارة، وإلا أعتقتها. فالبزاز قبَّلَ رجلَ الشيخ، واعتذر منه، فقال: وقع منّي الذنب، وأنتَ تَطلب العذر! قال الشيخ: وإن وقع منك الذَّنبُ؛ لكن الله يضربني.

سأله واحد: ما الحقيقة؟ قال: كلُّها علم. فسألوه: ما العلم؟ فقال: كلُّه حقيقة.

وأيضاً عنه قال: الجمع جمعُ المتفرقات، والتَّفرقةُ تفرقة المجموعات، فإذا جمعت قلت: الله، وإذا فرَّقتَ نظرت إلى الكون.

(*) طبقات الصوفية ٣٩١، حلية الأولياء ١٠/٣٥١، الرسالة القشيرية ١/١٧٢، مناقب الأبرار ١٨٥/ب، المنتظم ٧/ ٣٢٤، المختار من مناقب الأخيار ٢٦٥/ب، معجم البلدان ١/٨٣ (أبهر)، طبقات الأولياء ٢١٦، طبقات الشعراني ١/١١٢، الكواكب الدرية ٢/١١٢.

وأيضاً عنه قال: رأيت رجلاً يودّع البيت ويبكي، ويقرأ هذا البيت:

ألا رُبَّ من يدنو ويَزعمُ أنَّه يُحبُّك والنائي أودُّ وأقربُ

* * *

(٢٢٥) أبو بكر بن أبي سعدان(*)

أبو بكر بن أبي سعدان رحمه الله، من الطبقة الرابعة، اسمه أحمد بن محمد بن أبي سعدان، بغدادي الأصل، ومن أصحاب الجنيد قدس الله سره، ومن أقران الرُّوذباري، وكان أعلمَ مشايخ زمانه بعلوم هذه الطائفة.

قال أبو الحسن الحُديق[1]، وأبو العباس الفرغاني: ما بقي أحدٌ من هذه الطائفة إلا اثنين[2] في هذا الزمان، أبو علي الرُّوذباري بمصر، وأبو بكر بن أبي سعدان بالعراق، وأبو بكر أفضل من أبي علي.

وقال أبو بكر: من يريدُ صحبةَ الصوفية ينبغي أن لا يكون له نفسٌ ولا قلب ولا ملك، بل لا ينظر لشيءٍ من الأسباب فيزلَّ عن المقصد ولا يصل إليه.

وأيضاً عنه، قال: **الصوفي هو الخارج عن النعوت والرسوم، والفقير هو الفاقد للأسباب، ففقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهَّل له الطريق إلى المسبِّب.**

وأيضاً عنه، قال: **من لم يتظرَّف في التصوف فهو غبي. أي جاهل.**

قال أبو عبد الله بن الخفيف: قال لي رُويم في بغداد بعد صلاة العيد: أنت تعرف ابن أبي سعدان؟ قلت: نعم. قال: اذهب عنده، وقل له اليوم أُريد الاجتماع بك. فذهبت عنده، وأدّيت رسالته، فما رأيت عنده شيئاً إلا قطعةَ

(*) طبقات الصوفية ٤٢٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، تاريخ بغداد ٤/ ٣٦١، مناقب الأبرار ١٩٢/أ، المختار من مناقب الأخيار ٦٣/ب، طبقات الأولياء ١٥٠، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٧.

(١) في (ص): أبا الحسن بن الصديق.

(٢) كذا في الأصل.

حصيرٍ عتيق جالساً عليها. فقال لي: خذ هذه السفرة، وفي خارج الدهليز رجلٌ، فأعطه إيّاها؛ ليشتري طعاماً. قلت له: ما قبلت دعوة أبي محمد رُويم ؟! قال: قبلت، لكن رُوي عن عليٍّ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ دُعي إلى مائدةٍ، وهي التي يُسمّونها الوليمة، فقال: «قم بنا يا علي إلى البيت نأكلْ كُسيرةً، لتحسن مؤاكلتُنا مع الناس»[1]. فأعطيتُ السفرة لذلك الرجل، فجاء بثلاثة أرغفةٍ وكامَخ، فأكلنا، وذهبنا عند الشيخ.

* * *

(٢٢٦) أبو بكر العَطُوفي[*]

أبو بكر العَطُوفي رحمه الله، اسمه محمد بن علي بن الحسين بن وهب[2] العطوفي، من تلامذة الجُنيد، قدّس الله سره، توفي برَملة سنة خمسٍ وأربعين وثلاث مئة.

قال أبو بكر العطوفي: قال لي أُستاذي الجنيد: إذا رأيت أحداً يَعتقدُ في هذه الطائفة ويقبلُ كلامَها، فاللهَ الله، اطلبْ لي منه الدُّعاء.

قال شيخ الإسلام: قال الحلاجُ في آخرِ كتاب «عين الجمع»: من يؤمن بكلامنا، فسلموا عليه مني؛ لأن له ذوقاً منا.

قال الشيخ عمّو: قال السيرواني: إن تقدر، تسافر إلى خُراسان لزيارة من يحبُّني.

قال الشيخ عباس: قال السيرواني: أُوصيكم بخيرٍ، أحسنوا إلى من يُحبُّ هذه الطائفة.

* * *

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(*) تاريخ بغداد ٣/ ٧٩ (العطوي)، الأنساب ٨/ ٤٧٩، اللباب ٢/ ٣٤٦، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/ ٧٥.

(٢) في اللباب: محمد بن علي بن وهيب بن وهب، وفي مختصر تاريخ دمشق: محمد بن علي بن الحسن بن وهيب.

(٢٢٧) أبو بكر السكاك(*)

أبو بكر السكاك رحمة الله عليه.

قال: المشتاقُ يجد اللذَّة عند الموت ألذَّ من العسل في الحياة.

قال شيخ الإسلام: والذي نفسي بيده، لا يكون لأهل السعادة يومٌ أحبَّ وأحلى وأسرَّ من اليوم الذي جاء عنده ملك الموت.

وقال: لا تخف، تواجه أرحمَ الراحمين، وتتَّصلُ بالوطن الأَصلي وبالعيد الكبير، هذه الدار سجن المؤمنين، والجلوس في هذه الدار عارية، فهذه حيلة، وإن انقطعتِ الحيلةُ انفتحَ بابُ الحقيقة، والرجل يصل الحياة الأبدية.

موتُ التُّقاةِ حياةٌ لا انقطاعَ لها قد ماتَ قومٌ وهم في النَّاسِ أَحياءُ

* * *

(٢٢٨) أبو بكر السقاء(**)

أبو بكر السقاء رحمه الله.

قال: كنت في سفينةٍ، فهاجت الرِّيحُ، وتموّج البحرُ، فتوجَّه الخلقُ للدعاء، وكان في السَّفينةِ رجلٌ صوفيٌّ، مُلتفٌّ بصوفٍ، فذهبوا عنده، وقالوا: أنت لست بمجنون ؟! لم لا تدعو كما يدعو الخلق ؟ فأخرج رأسه من الكساء، وقرأ هذا البيت:

عجبت لقلبك كيف انقلب . . . .

ثم لفَّ وجهَهُ، فقالوا: يا مجنون، نقولُ لك ادعوه وأنت تقرأُ البيتَ، ينبغي الدُّعاء. فأخرجَ رأسَه من الصوف، وقرأَ المِصراعَ الثاني وأنشده:

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

سعيدُ حبُّك لي لِمْ ذهبْ

فسكتَ الرِّيحُ والأمواج. ثم قالوا له: ادعوه. ثم أخرج رأسه فقرأ البيت الثاني:

وأَعجبُ من ذا وذا أنني ... أراكَ بعينِ الرِّضا في الغَضبْ

فزال الموج، وسكن الريح.

قال شيخ الإسلام: كان عنده بيتان، ولقيتُ لهما ثالثاً، وهو هذا:

فإنْ جدتَ بالوصل أحييتني ... وإلاّ فهذا طريقُ العطب

* * *

(٢٢٩) أبو بكر المصري(*)

أبو بكر المصري رحمه الله، اسمه محمد بن إبراهيم، كان أستاذ أبي بكر الدقي، والقرافي، وتلميذَ الزقاق الكبير، وصحب الجُنيد، والنوري.

توفي في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثلاث مئة مع أبي بكر العَطُوفي.

قال أبو بكر المصري: كنتُ مع الجُنيد، وأبي الحسين النُّوري وجماعةٍ من الصوفيين، والقوَّالُ يقرأ شيئاً، فقام النُّوريُّ، ورقص، والجُنيد كان قاعداً، فقربُ النُّوريُّ من الجُنيد، وقال: قم، وقرأ هذه الآية: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦]. فقال الجنيد: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨].

* * *

(*) انظر المختار من مناقب الأخيار ٦/ ٥٤.

(٢٣٠) أبو بكر الدُّقِّي(*)

أبو بكر الدُّقِّي قدس الله سره، من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن داود الدمشقي، وقيل كان دينوري الأصل، وسكن الشامَ، وطال عمرُه إلى مئةٍ وعشرين سنة.

وكان من أقران أبي علي الرُّوذباري وغيره، وصحب ابن الجلاء، ويُنسب إليه، وكان تلميذَ الزَّقاق الكبير، ورأى الجُنيد، وصحب أبا بكر المِصري.

وكان من المجرّدين، ومن كبار المشايخ، وأحسنِهم حالاً.

توفي سنة تسع وخمسين وثلاث مئة.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله الباكو: قال غلامُ الدُّقي: قال الدّقي: **العافيةُ والتَّصوفُ لا يكون.**

وقال الحصري: **ما للصوفيِّ والعافية؟**

وكان الشيخ أبو عبد الله الروذباري يتوضّأ على طرف البحر، وكان به وسوسةٌ، وكان ريحٌ قوي، فانتفضت يداه ورجلاه، وخرج الدم، فحصل له التعب، فقال: **إلهي، العافيةَ**. فسمع صوتَ هاتفٍ: **العافيةُ في العلم. يعني الشريعة.**

قال شيخ الإسلام: قال أبو بكر الدقي: وصلتُ نصيبين، وكنت ضيفَ السميعي، وكان وقتٌ طيِّبٌ، وقوّالٌ مليحٌ حسنُ الصوت، وما كان بينهما

(*) طبقات الصوفية ٤٤٨، تاريخ بغداد ٥/٢٦٦، الرسالة القشيرية ١/١٨٠، مناقب الأبرار ١٩٨/ب، الأنساب ٥/٣٢٧، المنتظم ٧/٥٦، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٥/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/١٥٢، سير أعلام النبلاء ١٦/١٣٨، الوافي بالوفيات ٣/٦٣، البداية والنهاية ١١/٢٧١، طبقات الأولياء ٣٠٦، طبقات الشعراني ١/١١٩، الكواكب الدرية ٢/١٢٨.

أجنبي، فما حصلَ لأحدٍ وجدٌ ولا حالٌ، فقال السميعي: **وقتٌ طيِّبٌ، وقوالٌ طيب، وما فينا ضدٌّ، فما هذا الجمود؟** قال الدُّقي: قلت:**وقتُنا فوق السماء.** قال السميعي: ما تقول؟ قلت: فما يقرأُ القوَّالُ كلمةً مني ومنك، وأذناي تسمع، وكذا أنت، ولا يَنبغي في التصوف أنا وأنت، لا يكون الصوفي إلا واحداً. فحصلَ الحالُ والوجد، فكلُّهم خرقوا الثياب، وصاحوا، وما بقيَ أحدٌ إلا خرق الثياب.

قال شيخ الإسلام: بكى الدقيُّ يوماً في البادية، وقال: إلهي، الحقيقة الذي أعطيتني، أظهرْ نتيجتها على قلبي حتى يطمئنَّ قلبي. ففُتح له شيءٌ، فانقطع البكاء، وكان قريب الهلاك. فقال: يا إلهي، غطِّ حالي؛ مالي طاقة، فغطاه.

قال شيخ الإسلام: ستر الغيبِ وأهلِ الغيب رحمةٌ من الله؛ لأنه لاتسعُ هذه الدار ما تسعُ الدارُ الآخرة، ولو ظهر على أحدٍ لزالَ عقله، وانقطعَ وقتهُ، فلا يحمله عقلُه، فتتغير أحوالُه ورسومه، وما يكون غيباً وحقيقة فستره أولى[1] حتى تطلعَ عليه في دار الغيب والحقيقة، لأنَّ الدنيا حيلةٌ وسجن مظلم، فإذا تمَّتِ الأيام، واستوفتِ الأرزاق تُفتح أبواب الحقائق والغيوب.

قال الدُّقي: **علامةُ القربُ الانقطاعُ عن كلِّ شيءٍ سوى الله تعالى.**

وأيضاً عنه قال: **كلامُ الله تعالى إذا جاء على السرائر بإشراقه، زالت البشريةُ برعوناتها.**

وسئل عن سُوءِ أدبِ الفُقراء مع الله تعالى في أحوالهم، قال: ذلك انحطاطهم[2] من حقيقةِ العلم إلى ظاهرِ العلم.

* * *

---

(١) في (ص): فسيزول.

(٢) في (ح): ذلك الخطأ ظلهم.

(٢٣١) أبو بكر الطَّمَسْتاني(*)

أبو بكر الطَّمَسْتاني قدس الله سره، من الطبقة الخامسة، وكان من فارس، وتلميذَ الشبلي، وإبراهيم الدَّباغ الشيرازي، ومن كبار المشايخ، وصاحب الآيات والكرامات.

وكان فريداً في وقته وحاله، وكان الشبلي يعظِّمُهُ، وفي المجالس يُقدِّمه، وصحبَ مشايخَ فارس وعظَّموه.

وكان صاحبَ سكرٍ، وغلبت عليه المحبَّةُ، وله كلام عالٍ في الرُّموز حتى ما كان لأحدٍ قوةُ استماعِ كلامه، فمشايخُ الوقت رأوا الصَّوابَ أن يذهبَ هذا الرجلُ إلى خراسان، فوصل نيسابورَ، فمات بها بعد الأربعين والثلاث مئة.

وأيضاً عنه قال: **ما الحياةُ إلاّ في الموت. يعني ما حياةُ القلب إلاّ في إماتة النفس.**

قال شيخ الإسلام: ما كان أحدٌ حيًّا بحياةٍ حتى تموت نفسه.

قال واحدٌ لأبي بكر الطمستاني: أوصني. قال: **الهمَّةَ الهمة؛ فإن عليها مدارَ الأمر، وإليها يرجعُ الأمر.**

وأيضاً عنه قال: أكبرُ النِّعمةِ النِّعمةُ التي تخرج عن النفس؛ لأن النفسَ الحجابُ الأكبرُ بينك وبين الله.

وأيضاً عنه قال: لا يمكن الخروجُ من نفسه بنفسه، بل به وصحَّة إرادته.

* * *

(*) طبقات الصوفية ٤٧١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٢، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٨، مناقب الأبرار ٢٠٥/ب، المختار من مناقب الأخيار ٩٠/ب، طبقات الأولياء ٣٥٣، طبقات الشعراني ١/ ١٢١، الكواكب الدرية ٢/ ٤٣.

(٢٣٢) أبو بكر الفراء(*)

أبو بكر الفراء قدس الله سره، من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن أحمد بن حمدون الفراء، وكان من أجلّة مشايخ نيسابور، وله فِراسةٌ عظيمة، رأى الشيخ عمو.

قال الشيخ عمو: لو لم أر أبا بكر الفراء لما كنتُ صوفياً.

وصحب أبا علي الثقفي، وعبد الله المغازلي، وأبا بكر الشبلي، وأبا بكر بن طاهر الأبهري، والمرتعش، وغيرَهم.

وكان فريد عصره، وله طريقٌ حسن، توفي سنة سبعين وثلاث مئة.

قال الشيخ عمو: عزمت على الحجِّ مع الجماعة، فلمّا وصلتُ نيسابور قال أصحابي: لا تزور أبا بكر الفراء؛ فإنّه يمنع عن الحج، ويقول: اذهب في خدمة الأبوين. فأنت ترجع، ففكَّرتُ فيه، فجاء في خاطري: عسى أن لا أجده وقتَ الرُّجوع، فذهبت إليه، فما وجدته في المسجد، فرأيتُه بعد ساعةٍ دخلَ المسجدَ، وكان له حالٌ عجيب، وفي يده قطعٌ من جلد كان يشتغله، فسلّمتُ عليه، فقال: **وعليك السلام**، من أين أنت؟ فقلت: من الهراة. قال: إلى أين؟ قلت: إلى القبلة. قال: أبوكَ حيٌّ؟ قلت: نعم. قال: فارجع لخدمة الأبِ. قلت: أيْ واللهِ، أرجعُ. فجئت عند الأصحاب، فبالغوا حتى أردت مصاحبتهم، فأخذتني حمّى عظيمةٌ، فصباحه جئتُ عند الشيخ أبي بكر، قال: **نقضتَ العهد**. قلت: يا أيُّها الشيخ، تبتُ. فقال: **من لم يُؤْثِرِ اللهَ على كلِّ شيءٍ، لا يَصلُ إلى قلبه نورُ المعرفةِ بحال**.

وأيضاً عنه قال: **كتمان الحسناتِ أولى من كتمانِ السيّئات؛ فإنَّك بذلك ترجو النَّجاة**.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٧، مناقب الأبرار ٢١٣/أ، طبقات الأولياء ٢١٤، طبقات الشعراني ١٢٥/١، الكواكب الدرية ١٢٦/٢.

(٢٣٣) أبو بكر الشبهي (*)

أبو بكر الشبهي قدس سره، من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن جعفر الشبهي، كان من فتيان وقته في نيسابور.

صحب أبا عثمان الحيري، وتوفي سنة ستين وثلاث مئة.

قال أبو بكر: **الفتَوَّةُ حسنُ الخُلق، وبذلُ المعروف.**

* * *

(٢٣٤) أبو بكر الطرسوسي الحرمي (**)

أبو بكر الطرسوسي الحرمي قدس الله تعالى سره، عدَّهُ شيخُ الإسلام في الطبقة السادسة، اسمه علي بن أحمد بن محمد الطرسوسي، كان مجاوراً في مكة سنين كثيرة، وكان كثيرَ العبادة حتى سُمِّي طاوس الحرمين، وكان كبيرَ الشأن، من تلامذةِ أبي الحسين[1] المالكي، وصحب إبراهيم بن شيبان الكرمان شاهي، ويُنسب إليه.

توفي سنة أربع وسبعين وثلاث مئة في مكة.

واجتمع به الشيخ السُّلميُّ؛ لكن ما ذكرَهُ في «تاريخه».

وكان من أقرانِ الشيخ السيرواني.

قال شيخ الإسلام: قال لي الشيخُ عباس الفقير: قال الشيخ أبو بكر الحرمي: كنت ضيفَ واحدٍ في مكَّةَ، وكان للمضيف جاريةٌ مُغنِّية، فقرأت الجاريةُ هذا البيت:

لامنـــي فيـــكَ مَعشـــرٌ فـــأقلّـــوا وأكثـــروا

(*) لعله أبو بكر محمد بن جعفر بن أحمد البشتي الفقيه الأديب المذكور في تاريخ نيسابور ص ١٨٠.

(**) حلية الأولياء ١٠/ ٢٢٩، ٣٦٠، ٣٦١.

(١) في (ح): أبي الحسن.

فقام أبو بكر، وصاحَ صيحةً، فقال: لامني في حبِّك. فخرَّ ميتاً.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله باكو: كان أيوبُ النَّجارُ في مكَّة في بيت القزويني في السَّماعِ فقرأ القوَّالُ شيئاً، فقامَ معتدلاً، وقال: النفير منك.

قال شيخ الإسلام: كان أبو القاسم السائح ضيفَ واحدٍ مع الجماعةِ، فقرأ القوَّالُ هذه الأبيات[1]:

كلُّ بيتٍ[2] أنتَ ساكنُهُ غيرُ مُحتاجٍ إلى السُّرجِ
وجهُكَ الميمونُ[3] حُجَّتُنا يومَ تأتي النَّاسُ بالحُجَجِ
لا أتاحَ اللهُ لي فرجاً يومَ أَدعو منك بالفرجِ

فرفع الشيخ أبو القاسم السَّائحُ يدَه، وصاحَ، وخرَّ ميتاً.

قال شيخ الإسلام: قال واحدٌ من هذه الطائفة: وقعت حادثةٌ في نيسابور، فخرجَ الناسُ من المدينة، وكنتُ في المسجد، وكان في جانبٍ آخر من المسجد صوفيٌّ، فدخلَ المُغنّي، فقال الصوفي: اقرأ شيئاً. فقرأ:

ألقيتُ[4] بيني وبين الحبِّ معرفةً لا تنقضي أبداً أو يَنقضِي الأَبَدُ
لأخرجنَّ من الدُّنيا وحبُّكم بين الجوانحِ لم يشعرْ به أَحدُ

فخرَّ ذلك الصوفي، وتمعَّطَ ساعةً، وسكن، فلمَّا نظروا إليه فإذا هو ميت.

قال شيخ الإسلام[5]: كان صوفيٌّ في مدينة أُبُلَّة، وهي مدينةٌ بين البصرة والكوفة، فذهب إلى دارٍ، وكان في تلك الدَّار رجلٌ كبيرُ الشأن، وعنده جاريةٌ تُغنّي، فسمعَ صوتَ النغمةِ ذلك الصُّوفيُّ، فقرأتْ هذا البيت:

---

(١) تنسب الأبيات لديك الجن. انظر ديوانه صفحة ٢٠٧، جمع وتحقيق مظهر الحجي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٧.
(٢) في الديوان: إن بيتاً.
(٣) في الديوان: وجهك المأمول.
(٤) في (ح): ألفيت.
(٥) الحكاية في روض الرياحين ٢٠٦ (الحكاية: ١٢٥).

كــــلُّ يـــومٍ تتلـــوَّن　　غيـــرُ هـــذا بـــك أحســـنْ
كــــلُّ يـــومٍ تتحـــوَّل　　غيـــرُ هـــذا بـــكَ أجمـــلْ[1]

فأعجبَ الصوفي، فقال: يا جاريةُ، بالله وبحياةِ مولاك لأعدتِ عليَّ هذا البيت. فجعلت الجاريةُ تكرّره، فقال لها مولاها: لم تكرريه؟ قالت: تحتَ بيتك صوفيٌّ، حصلَ له حالٌ قوي، فلأجله أكرِّره. فنظر مولاها إلى أسفلَ، فرأى رجلاً غريباً يرقص، ثم صاحَ صيحةً وخرَّ ميتاً. فلمّا رآه صاحبُ الدَّار تغيَّرَ حالُه، فأعتق الجاريةَ، ثم نادى صُلحاء أهل المدينة، فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه، فقال: أنتم تعرفوني، أنا فلان بن فلان، فأُشهدكم ما كانَ من الضياع والأملاكِ والنقود وقفته لله تعالى. فتصدَّقَ بالدَّراهم، ونزع الثيابَ، ولبس المُرقعة، وتوجَّه إلى البادية، وذهب، والناسُ ينظرون إليه حتى غاب عن عيونهم، فبعد هذا ما سمعوا خبرَه، وما رآه أحدٌ.

وحكى أبو الحسين الدرّاج، والقوطي قالا: قال الدرّاجُ: ما رأيتُ أحسنَ من ذلك اليوم.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الجلاء: رأيتُ في بلاد المغرب شيئين عجيبين، أَحدُهما رأيتُ في مسجد جامع القيروان رجلاً يَدخلُ في صفوف المصلّين[2] ويسألُ منهم، ويقول: أيُّها النَّاسُ، كنت رجلاً صوفياً فضعفتُ، وثانيهما[3] رأيتُ شيخين معمَّرين، اسم أَحدهما جبلة والآخر زُريق[4]، ولكلٍّ منهما تلاميذُ ومريدون، فيوم عزم جبلةُ لزيارة زُريق مع المريدين، فواحدٌ من أصحاب زُريق قرأ القرآن، فحصل لواحد من أصحاب جبلة حالٌ، وصاح

---

(١) في روض الرياحين:

فــــي سبيـــــل الله ود　　كـــان منّـــي لـــك يُبـــذل
كـــــل يـــــوم تتلـــــون　　غيـــر هـــذا بـــك أجمـــل

(٢) في (ح): المسلمين.
(٣) روض الرياحين ٣٣٤ (الحكاية: ٢٨١).
(٤) في (ح) رزيق

وماتَ فدفنوه، واليوم الثاني جاء جبلة عند زُريق وقال: أين ذلك الرجل الذي قرأ القرآن، بالأمس؟ فنادوه، فقرأ القرآن، فصاح الشيخ جبلة صيحةً، فمات القارئُ.، فقال الشيخ جبلة: واحدٌ بواحد، والبادي أظلم.

* * *

(٢٣٥) أبو بكر السوسي (*)

أبو بكر السوسي قدس الله سره، اسمه محمد بن إبراهيم السوسي الصوفي.

كان برملة الشام.

ورآه الشيخ عمو، وأحمد الكوفاني.

توفّي بدمشق في ذي الحجة سنة ستٍّ وثمانين وثلاث مئة.

قال شيخ الإسلام: قال أبو بكر ليلةً: ينبغي لي قوّال، فدوّروا وتجسَّسوا وتفحَّصوا. فما وجدوا قوالاً، فقال واحدٌ: أيُّها الشيخ، ما لقينا قوّالاً، لكنْ في جيراننا شابٌّ مُطربٌ، إن أردتَ أطلبه. فقال الشيخ: ينبغي. فاذهبوا ونادوه. لكنَّه كان سكرانَ، فجاء وقرأ هذا البيت:

القومُ إخوانُ صِدقٍ بينهم نسب

فحصل الفرحُ والسرور لكلِّ واحدٍ، وحصلَ الذَّوقُ للشيخ كذلك، فلمَّا فرغوا من السماع قذفَ المُطربُ، فوقع قذفُه على سجَّادة الشيخ، فقال الشيخ: لا تقولوا له شيئاً، ولفّوه بالسجادة على حاله، وأنتم تفرَّقوا، وناموا في مكان آخر. فانتبه المُطربُ، فوجد نفسَه مَلفوفاً في سجَّادة الشيخ، مُعلَّقاً على صفة القنديل، فصار مُتحيّراً، وصاح وقال: قولوا بالله، ما هذا الحال، وأنا لأيشٍ جئت هنا؟ فجاء واحدٌ عنده، فذكر: حالُكَ كان كذا وكان كذا. فتفكَّر في نفسه، وتاب، ونزع الثياب، ولبس المُرقعة، وصار من جملة أصحاب الشيخ، فلمّا ماتَ الشيخُ، أجلسوه مكان الشيخ، وكانت معاملته حسنة.

(*) تاريخ ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق ٢١/ ٣٢٦.

قال شيخ الإسلام: اسمه محمد بن الطبراني، رأيتُ ولدَهُ في الهراة بخانقاه الشيخ عمّو، وكان شاباً ظريفاً.

ومحمد بن الطبراني كان شيخاً مُعمَّراً، والمشايخ جاؤوا عنده، فقالوا: قصَّ لنا تلك القصة، واقرأ لنا ذلك البيت. قال الشيخ عمُّو لأحمد الكوفاني: ما تحفظ الأبيات كلَّها؟ قال: لا، بل نصف البيت. قال شيخ الإسلام: فجاء واحدٌ وتمَّمَ تلك الأبيات، وأنا كذلك وجدتها في كتاب:

القومُ إخوانُ صدقٍ بينهم نَسَب ... من المودَّةِ لم يعدلْ به سَبَبُ
تراضعوا درَّةَ الصَّهباء بينهم ... وأوجبوا لرضيعِ الكأسِ ما يَجِبُ
لا يَحفظونَ على السَّكران زلَّتَه ... ولا تريبك من أخلاقهم رِيَبُ

قال شيخ الإسلام: ذو النون المصري، والشبلي، والخراز، والنوري، والدرّاج كلُّهم ماتوا في السماع رحمهم الله، فثلاثةٌ منهم عاشوا إلى ثلاثةِ أيامٍ وماتوا، وغيرُهم من المشايخ والمريدين ماتوا في السماع، بعضهم في سماع القرآن، وبعضُهم في غير القرآن، وكان زُرارة بن أوفى[1] قاضي البصرة جالساً في المحراب، والنَّاسُ يَقرؤون القرآن، فقرأ واحدٌ هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ الآية [المدثر: ٨]، فالقاضي صاح صيحةً، وخرَّ ميتاً.

قال شيخ الإسلام: السَّماعُ الذي يكون المَدَدُ في رؤيته، فتكون أُذنُ الرجال، والنظر معه، فكيف يكون له طاقة؟

قال صاحب كتاب «كشف المحجوب»[2]: أنا رأيتُ عياناً صوفياً ماشياً في جبلِ أذربيجان، ويقرأ هذه الأبيات[3]:

واللهِ ما طَلَعتْ شَمْسٌ ولا غربتْ ... إلاّ وأنت مُنى قلبي ووسواسي
ولا جَلستُ إلى قومٍ أحدِّثهم ... إلا وأنت جليسي[4] بين جُلاّسي

---

(١) في الأصل: بن أبي أوفى. انظر تهذيب الكمال.

(٢) كشف المحجوب ٦٥٨.

(٣) الأبيات للحلاج، انظر ديوانه صفحة ٩١ مع اختلاف في الرواية.

(٤) في كشف المحجوب، وديوان الحلاج: إلا وأنت حديثي.

ولا تنفَّسْتُ مَحزوناً ولا فرحاً | إلاّ وذِكرك مَقروناً بأنفاسي
ولا هممتُ بشربِ الماءِ من عَطَشٍ | إلا رأيتُ خيالاً منك في الكاسِ

فخر ميتاً.

* * *

(٢٣٦) أبو بكر شكير(*)

أبو بكر شكير(١) رحمة الله عليه.

قال شيخ الإسلام: كان في نيسابور كبير الشأن، وصاحبَ الوقت، وصافي القلب. ومن قرابة الشيخ [أبي] سهل الصُّعلوكي.

قال [أبو] سهل يوماً لأبي بكر: أنت من قرابتي، لم لا تجيء عندي؟ قال: أَجيءُ عندكم بشرطٍ، أن تقومَ لي، وتلتفت إلي، ولا تتكبَّرَ عليَّ؛ لأنّي رجلٌ فقير. فقال: أنا أقوم لك. فلمَّا دخلَ في دارِ [أبي] سهل قام له [أبو] سهل، فلمّا ذهب ما قام له، فرجع أبو بكر، وقرأ هذا البيت:

إنّي وإنْ كنتُ ذا عيالٍ | قليلَ مالٍ كثيرَ دينِ
لمستعفٌّ برزقِ ربّي | حوائجي بينه وبيني

ثم ما جاءَ عنده أبداً.

* * *

(٢٣٧) أبو بكر الجَوْزَقي(**)

أبو بكر الجَوْزَقي رحمه الله، قبرُه في نيسابور.

قال أبو بكر: دخلتُ يوماً في البادية، فيبِسَ فمي من العطش، وزالتْ

(*) ذكره أبو نعيم عرضاً في الحلية ٢/٢٠٨ ضمن ترجمة مطرف بن عبد الله.

(١) في (ح): شكبر.

(**) الأنساب ٣/٣٦٥، معجم البلدان ٢/١٨٤، اللباب ١/٣٠٩، سير أعلام النبلاء =

طاقتي، فرأيت شاباً مُقبلاً، فسلَّمتُ عليه، فردَّ جواباً حسناً، وقال: أيُّها الشيخ، ما لك ؟ قلت: عطشان، أُريد الخيارَ؛ أرطِّبُ به الفم. فقال: تقدَّم قليلاً. وكان لي اعتقادٌ في صدق كلامه، فتقدَّمتُ، فرأيتُ بستاناً فيه خيار وبطيخ، فدخلتُ فيه، فأخذتُ منه مرادي.

قال أبو سعيد بن أبي الخير[1] قدس الله روحه: ذهبتُ يوماً إلى دار أبي بكر الجوزقي، و كان شيخاً مُعمَّراً، صاحبَ شوكة وعظمة، فدخلتُ وسلَّمت عليه، وقلت له: يا شيخ، أملِ عليَّ الحديث. ففتح الكرَّاسَ، وقال: قال رسول الله ﷺ: «لله تعالى عسكران، عَسكرٌ في السَّماء، وعسكرٌ في الأرض. فالذي في السماء هي الملائكة، ولهنَّ علامةٌ خضراء، والذي على الأرض عَسكرُ خُراسان، وليس ذلك العسكرُ عسكرَ الظَّلمةِ، بل عسكرُ الصُّوفية، يتصرَّفون في خراسان، بل في جميع البلاد، أما ترى جماعةَ الصُّوفية إذ يمشونَ في طريقٍ من بعيدٍ تحسبُهم عَسكراً، وفي الحقيقةِ ليسوا بعسكرٍ؛ لأنَّهم فتيان، يَطلبون الله تعالى، ويحبُّونه، ومعرضون عن الدنيا، ومُشتغلون بالله، ولا يَطلبون غيرَ الله، والطائفةُ الصوفية لا يُريدون ولا يحبُّون إلاّ الله تعالى، فهم أمراءُ العالم، وسلاطين الأرض، وهذه الطائفة مُختفون عن أكثر الخلائق».

* * *

(٢٣٨) أبو بكر الرازي(*)

أبو بكر الرازي رحمة الله عليه، كان رجلاً مُتورّعاً مجتهداً.

قال المشايخ: ما كان أحدٌ أكثرَ منه بكاءً، ومن رآه من المُبتدئين والمُريدين

= ١٦/ ٤٩٣، العبر ٣/ ١، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٣، الوافي بالوفيات ٣/ ٣١٦، طبقات السبكي ٣/ ١٨٤، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٩، طبقات الحفاظ ٤٠١، شذرات الذهب ٣/ ١٢٩. واسمه محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا.

(١) أسرار التوحيد ٢٨٧

(*) انظر الترجمة رقم (٢٨٩)، فلعله هو هو.

كان أسيرَه من جهة كثرةِ عبادته وبُكائه، وكثرة حرقته واضطرابه في السماع.

وفي ابتداء الترك والتوبة عزم إلى مكة، واجتمعَ بالمشايخ الذين كانوا في مكة، وأقامَ في مكَّةَ سنةً كاملة.

وقال أبو بكر: ضاقَ وقتي في مكَّة، فذهبتُ إلى اليمن، فحصل لي فتوحٌ دينار واحد، وكانت ثيابي خَلَقةً، فأردتُ أن أشتري قميصاً، فلمَّا رجعت إلى مكة، وأردتُ دخولها دفنتُ الدِّينارَ بين حجرين، وجعلتُ عليه علامةً، ودخلت مكة، فلمَّا فرغتُ من الطواف، عزمتُ إلى أبي عمرو الزَّجَّاجي، فسألته مسألةً، فقال: اذهب، واصرفِ الدينار المدفون. فذهبت وصرفته، فجئت عنده، فردَّ جوابَ المسألة.

* * *

(٢٣٩) أبو بكر المُفيد[*]

أبو بكر المفيد رحمه الله، اسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم، كان كبيرَ الشأن، من مدينة جَرْجَرايا[1].

ورأى الجُنيد، ويوسفَ بن الحسين، وصحبَ أبا عُثمان الحيري.

وتوفي سنة أربعٍ وستين وثلاث مئة،[2] وطوَّلَ الله عمره[3].

وكان حسنَ الأدب، وشريفَ الهمَّةِ، ومستقيمَ الحال، والشيخُ عمّو رآه،

(*) تاريخ بغداد ١/٣٤٦، العبر ٣/١٠، سير أعلام النبلاء ١٦/٢٦٩، تذكرة الحفاظ ٣/٩٧٩، ميزان الاعتدال ٣/٤٦٠، لسان الميزان ٥/٤٥، طبقات الحفاظ ٣٨٨، شذرات الذهب ٣/٩٢.

(١) جرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي. معجم البلدان. وفي الأصل: جرجرآباد.

(٢) في سير أعلام النبلاء ١٦/٢٧١، والعبر ٣/١٠، وشذرات الذهب ٣/٩٢: توفي سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة.

(٣) عاش أربعاً وتسعين عاماً. انظر العبر، والشذرات.

وله كتابٌ ذكر فيه أنَّهم سألوا أبا سعيد الخراز عند الموت: ما تتمنَّاه؟ فقال: حسرةً على الغفلة.

وأيضاً عنه قال: قال يوسف بن الحسين: أنا في مقامٍ لا يُسمعُ غير الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: في النهاية يكون هكذا كما قاله الشيخ.

* * *

(٢٤٠) أبو بكر القصري(*)

أبو بكر القصري رحمه الله تعالى، كان من قصر ابن هبيرة(١)، لكّنه أقام في شيراز، وكان من أهل التحقيق، ويرى أهلَ الغيب.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: يوماً قال لي أبو بكر القصري: قم نذهب إلى الصحراء. فذهبتُ، فرأيت أقواماً يلعبون على سطح بيتٍ في السوق، فالشيخ أبو بكر ذهب، وجلس، واشتغل باللعب معهم، وأنا خجلان من فعله؛ لأنَّ الناسَ ناظرون إليه، فنزلَ من السطح، وذهبنا قليلاً، فرأينا قوماً يلعبون الشُطرنج، فذهب إليهم، وأخذ بساط الشطرنج منهم فقطعَها وكسرَ آلاتهم، فجرَّدوا السكاكين عليه، فقال: أعطوني السكاكين حتى آكلها. فهابوا وسامحوا، فخاصمته: ما ذاك، وما هذا الاحتساب القبيح؟ قال: ذلك الوقتُ كنتُ ناظراً بالنَّظرِ اللَّدنّي، فما كان لي تمييزٌ، والآن أنظرُ بالنظر العلمي، فرأيتُ الأمر هكذا.

* * *

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٤٩. وانظر الترجمة رقم (٣١٨) صفحة ٣٦٦.

(١) قصر ابن هبيرة منسوب إلى أبي المثنى عمر بن هبيرة أمير العراق لبني أمية، على فرات الكوفة، واستتم بناءه السفاح وسماه الهاشمية. انظر معجم البلدان، واللباب (القصري).

(٢٤١) أبو بكر الموازيني(*)

أبو بكر الموازيني[١] رحمه الله تعالى، كان في مصر، وأستاذه الشيخ السيرواني.

قال: سمعتُ من ابن الخباز، قال: كنتُ يوم عيدِ النحر قريبَ الجمرة[٢]، فرأيت فقيراً واقفاً، وفي يده ركوةٌ أو كُوز، وهو يقول: يا سيِّدي، **تقرَّبَ الناسُ إليك بذبائحهم وقرباناتهم، ولستُ أملك إلاّ نفسي. فشهقَ شهقةً، ومات.**

* * *

(٢٤٢) أبو بكر الأُشناني(**)

أبو بكر الأُشناني رحمه الله.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: أخبرني واحدٌ من المريدين أنَّ الشيخ أبا بكر طاحَ من السطح، وكُسرت رجلُه، ومات، وقصَّتُهُ أنَّ شاباً جاء عنده، فأمره أبو عبد الله أن يقرأ شيئاً خفيةً، فسمعه الشيخ الأُشناني، وحصل له حالٌ قويٌّ، فطاح من السطح، ومات.

قال الشيخ: ذهبتُ في بيت الشيخ أبي بكر الأُشناني، وقلت: ما كان يقرأ؟ قالوا: كان قارئاً هذين البيتين:

دَنِـــفٌ يَـــذوبُ بـــدائـــه ... والمـــوتُ دونَ بَـــلائِـــهِ
إنْ عـــاشَ عـــاشَ مُنغَّصـــاً ... أو مـــاتَ مـــاتَ بـــدائِـــهِ

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ح): الموازني.

(٢) جمرات المناسك ثلاث جمرات يرمين بالجمار، والجمرة الحصاة، وموضع الجمار بمنى فسمي جمرة؛ لأنها ترمى بالجمار. وقيل: لأنها مجمع الحصى التي ترمى بها من الجمرة. اللسان.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ١٠٩، ١٥٧.

فرخَّص الشيخُ لذلك الشاب، وأمره أن لا يجيءَ عند هؤلاء القوم. وكان أبو عبد الله إلى أربعةِ أيامٍ غائباً. قال: ومات أبو بكر الأُشناني ودفنَ. والشيخُ أبو عبد الله ما كانَ له خبرٌ عن نفسه.

قال شيخ الإسلام: راحة العطشان في الماء.

وقال: وفاء المحِبّ للمُحَبّ أن يذهبَ عنده.

* * *

(٢٤٣) أبو بكر المغازلي (*)

أبو بكر المغازلي رحمة الله تعالى عليه، كان أُستاذَ السيرواني في مصر.

فإنه قال: أَردتُ أن أُجرّبَ أبا الحسن المزين، فجئتُ عنده، فدققتُ بابَه، وقلتُ: يا أهل الدار، واسوني بشيءٍ. فقال لأهله: يا مؤمنة، أعطه شيئاً، ولو عرفَ الله تعالى ما جاءَ عندي. يعني ليُجرّبني، فلمَّا سمعت هذا الكلام ذهبت.

* * *

(٢٤٤) أبو بكر القطيعي (**)

أبو بكر القطيعي رحمه الله، كان حافظَ القرآن، وإماماً في بغداد، وقرأ الحديثَ عند عبد الله بن أحمد بن حنبل، ورأى الجُنيد.

قال المغازلي: سمعت من الجُنيد قال: يا من هو كل يوم في شأن، اجعلني[1] من بعض شأنك.

ومات القطيعيُّ ببغداد في ذي الحجة سنة ثمان وستين وثلاث مئة.

(*) حلية الأولياء ١٠/٣٠٦.

(**) تاريخ بغداد ٤/٧٣، الأنساب ١٠/٢٠٣، طبقات الحنابلة ٢/٦، المنتظم ٧/٩٢، اللباب ٣/٤٨، العبر ٢/٣٤٦، ميزان الاعتدال ١/٨٧، سير أعلام النبلاء ١٦/٢١٠، الوافي بالوفيات ٦/٢٩٠، البداية والنهاية ١١/٢٩٣، غاية النهاية ١/٤٣، لسان الميزان ١/١٤٥، النجوم الزاهرة ٤/١٣٢، شذرات الذهب ٣/٦٥.

(١) في الأصول: اجعل لي.

(٢٤٥) أبو بكر الهمذاني(*)

أبو بكر الهمذاني رحمه الله.

قال شيخُ الإسلام: قال الحسين الفقير: سمعت من أبي بكر الهمذاني قال: التصوفُ ثلاثةُ أشياء، تركُ الطمع، والمنع، والجمع.

* * *

(٢٤٦) أبو بكر الكفشيري(**)

أبو بكر الكفشيري رحمة الله تعالى عليه، كفشير قريةٌ من قُرى الشام.

قال أبو بكر: كنتُ ذاهباً في تيه بني إسرائيل، فتمنَّتْ نفسي خبزاً وباقلاء، فبالفور سمعتُ صوتَ بائع الباقلاء، فجاء به عندي[١].

قال شيخ الإسلام: ليس هذا كرامة، بل هذا في التصوف غيرُ مُستحسن.

كان رجل عطشان في البادية، فنزل له قدحٌ من ذهب مملوء من الماء، فقال الرجل: وعزَّتك، لا أشربنَّ إلاّ بيد أعرابي، يُلقمني ويَسقيني الماء، ولا أشربُ الماءَ بالكرامة؛ من خوفِ الغرور. ثم قال: يا الله، أنت قادرٌ أن تُظهرَ في جوفي الماء. يعني كرامات الظاهر لا تكون خاليةً من المكر.

قال شيخ الإسلام: لا تصحُ الحقيقةُ بالكرامات، بل الحقيقةُ بنفسها كرامات، فالكراماتُ تكون للزُّهاد والأبدال، ولا تكونُ الكرامات خاليةً من الغرور والمكر، وإن أعطى عطاء، ونظرت إليه، واستمرَّ العطاء، فينبغي أن تنظر من العطاء إلى المُعطي، ومن الكرامات إلى المُكرم.

وقال: الكرامات تُخرجُ الرجل من هذا الشُّغل كما تُخرج الشعرة من العجين، فالصوفية تردُّ الكرامات إيثاراً لإبائهم.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) انظر روض الرياحين ١٦٢ (الحكاية: ٧٩).

(٢٤٧) أبو بكر بن داود الدِّينوري(*)

أبو بكر بن داود الدينوري رحمه الله، كان في الشام، وصحب ابن الجلاء.

وقال أبو بكر: إنَّ المعدةَ مَحلُّ الطَّعام، فإنْ ملأتَها بطعامِ حلالٍ، فتجد فيك قوَّة العبادة، وإنْ ملأتها بطعامِ شُبهةٍ فيستر طريقَ الحقِّ عنكً، وإن ملأتها بحرامٍ فتزيد المعصية.

وكان عمره مئة سنة، ومات في دينور سنة خمسين(1) وثلاث مئة.

* * *

(٢٤٨) أبو علي الرُّوذْباري(**)

أبو علي الرُّوذْباري قدس الله سره، من الطبقة الرابعة، اسمه أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور، وكان من أبناء رؤساء الوزراء، ويتَّصلُ نسبهُ إلى كسرى.

(*) طبقات الصوفية ٤٤٨، تاريخ بغداد ٥/٢٦٦، الرسالة القشيرية ١/١٨٠، مناقب الأبرار ١٩٨/ب، الأنساب ٥/٣٢٧، المنتظم ٧/٥٦، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٥/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/١٥٢، سير أعلام النبلاء ١٦/١٣٨، الوافي بالوفيات ٣/٦٣، البداية والنهاية ١١/٢٧١، طبقات الأولياء ٣٠٦، طبقات الشعراني ١/١١٩، الكواكب الدرية ٢/١٢٨. واسمه محمد بن داود الدقي.

(1) في (ص) و (ح): سنة خمس وثلاث مئة، والمثبت من المطبوع (ف). وفي مصادر ترجمته: مات بدمشق سنة ستين وثلاث مئة.

(**) طبقات الصوفية ٣٥٤، حلية الأولياء ١٠/٣٥٦، تاريخ بغداد ١/٣٢٩، الرسالة القشيرية ١/١٦٢، مناقب الأبرار ١٧١/أ، الأنساب ٦/١٨٠، صفة الصفوة ٢/٤٥٤، المنتظم ٦/٢٧٢، المختار من مناقب الأخيار ٦٩/أ، اللباب ١/٤٨٠، سير أعلام النبلاء ١٤/٥٣٥، العبر ٢/١٩٥، دول الإسلام ١/١٩٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/٤٨، طبقات الشافعية للإسنوي ١/٥٧٦، مرآة الجنان ٢/٢٨٦، البداية والنهاية ١١/١٨٠، طبقات الأولياء ٥٠، حسن المحاضرة ١/٢٢٥، النجوم الزاهرة ٣/٢٤٧، طبقات الشعراني ١/١٠٦، الكواكب الدرية ٢/١٨، شذرات الذهب ٢/٢٩٦.

وكان الجُنيد يتكلَّمُ يوماً في المسجد الجامع مع الناس فمرَّ الرُّوذباري على مجلسِ الجُنيدِ، والجنيدُ كان مُشتغلاً برجل، فقال له الجُنيد: **اسمع يا هذا**. فحسبَ أبو علي يَعنيه، فوقفَ، وسمعَ كلامه، فحصل التأثيرُ في قلبه من كلام الجنيد، فتصدَّقَ بكلٍّ ما عنده من الدنيا، ودخلَ في طريق القوم.

وكان مُحدّثاً فقيهاً، عالماً، أديباً، إماماً، وسيِّدَ قومٍ، وكان خالَ أبي عبد الله الرُّوذباري.

قال الشيخ أبو علي بن الكاتب: **ما رأيت أجمعَ لعلمِ الشريعة والحقيقة من أبي علي الروذباري رحمه الله**.

وكان أبو علي بن الكاتب إذا ذكر اسمَه يقول: سيِّدُنا. وتلامذتُهُ تغارُ عليه. فقالوا: لأيِّ شيءٍ أنتَ تقول له يا سيِّدَنا؟ فقال: نعم، هو جاء من الشَّريعة إلى الطريقة، وأنا من الحقيقة إلى الشريعة.

قال شيخ الإسلام: إذا وضعوا رجلاً من فوق إلى أسفل، أو رفعوه من أسفل إلى فوق ولا يعلم يكونُ بارداً. يعني مقامَ المُخلص، ومقامُ المخلص ورجوعه من العجز إلى الاستغناء ومن الوضوء إلى الصلاة.

وصحب أبو علي الروذباري الجُنيدَ، والنُّوريَّ، وأبا حمزة، والمسوحي ومَنْ كان في تلك الطبقة من المَشايخ قدَّس الله تعالى أسرارهم، وصحب في الشام أبا عبد الله بن الجلاء.

وكان بغدادياً، وأقام في مصر، وكان شيخَهم وصوفيهم، وكان من شعراء الصوفية، وقال هذا البيت في وقت النزع:

وحقِّكَ لا نَظَرتُ إلى سِواكا بعينِ مودَّةٍ حتَّى أَراكا

توفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة[1].

وأيضاً عنه:

من لم يَكنْ بك فَانياً عن حظِّهِ وعن الهوى والأُنسِ بالأَحبابِ

---

(١) في طبقات الصوفية: توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

أو تيَمّنَـهُ صبابـةٌ جَمعـت لـه ما كـان مُفترقـاً مـن الأسبـابِ

فكـأنّـه بيـن المَـراتـب قـائـمٌ لِمَنـالِ حـظٍّ أو جَـزيـلِ ثَـوابِ

قال شيخ الإسلام: حسدتُهُ على هذا البيت؛ لأنه ما خلّا شيئاً إلا قاله.

وعنه قال: **والاهم قبلَ أعمالهم، وعاداهم قبل أعمالهم، ثم جازاهم بأعمالهم.**

قال شيخ الإسلام: جميعُ العلوم[1] في هذه، والخلقُ عنها غافلون، فالخلقُ مَشغولون بالقشر، ويَنبغي الاشتغالُ باللبِّ. يعني الحقيقة.

وأيضاً عنه، قال: **أضيقُ السجون مُعاشرةُ الأضداد.**

وأيضاً عنه، قال: **فضلُ المقال على الفعال منقصةٌ، وفضلُ الفعال على المقال مَكرمة.**

وأيضاً عنه، قال: **علامةُ إعراضِ الله تعالى عن العبد أنْ يشغلَه بما لا ينفعه.**

وأيضاً عنه، قال: ما لم تخرجْ من كُلِّيتك لم تدخلْ في حدِّ المحبَّة.

وعزم أبو علي الرُّوذَباري إلى الحمام، فلمَّا دخلَ موضعَ خلعِ الثياب رأى مُرقَّعةً، فتفكَّر: من يكون من الصوفية فيه؟ فدخلَ الحمَّام، فرأى دَرويشاً واقفاً على رأسِ أمردَ حسنٍ يَخدمه الحمَّاميُّ، فما قالَ له الشيخُ أبو علي الروذباري شيئاً، فلمَّا قامَ الأمردُ صبَّ عليه الماءَ ذلك الفقير، وخدمه خدمةً مَليحةً حسنةً، فخرجَ الشابُّ من الحمَّام، وخرجَ معه الفقير، وأبو عليٍّ أيضاً معهما ليتفرَّجَ عليهما، فالفقير وضعَ رداءً على رأسِ الأمرد، وصبَّ عليه ماءَ الورد، وبخَّره بالعود، وروَّحه بالمروحة، وأعطاه المِرآة، فما قصَّرَ في خدمته على حسب الطاقة والوسعة، فما نظرَ إليه الشابُّ، فقام الشابُّ ليخرجَ، فزالَ الصبرُ من الفقير، فقال: يا غلام، ما أفعلُ حتى تَنظرَ إليَّ؟ فقال الشاب: مت حتى أنظرَ إليك. فخرَّ الفقيرُ، وماتَ، وذهبَ الشابُّ، قال أبو علي: فحَملوا الفقيرَ إلى

---

(١) في المطبوع (ف): كل عين العلم.

الخانقاه، وغسَّلوه ودفنوه. فبعدَ زمانٍ عزمَ أبو عليٍّ إلى الحجِّ، فرأى ذلك الشابَّ في البادية، وقد لبسَ المُرقّعة الخشنةَ، فنظرَ إليه أبو علي، وقال: أنتَ ذلك الشاب الذي قلتَ لفقيرٍ مُتْ حتَّى أنظرَ إليك؟ قال: نعم أيُّها الشيخ، وقعَ منِّي ذنبٌ. فقال الشيخ: ما أدخلَكَ البادية؟ قال: رأيتُ تلك اللَّيلةَ ذلك الفقير في الرؤيا، فقال: يا غلام، متُّ، وما نظرتَ إليَّ، فالآن انظر إليَّ، فانتبهتُ، وتبتُ، وذهبتُ إلى تربته، وحلقتُ رأسي، ولبستُ المُرقّعةَ، وعاهدتُ الله تعالى مدَّةَ حياتي كلَّ سنةٍ أحجُّ وأذهبُ إلى قبره حتى يكونَ كفَّارتَه.

* * *

(٢٤٩) أبو علي الثقفي (*)

أبو علي الثقفي من الطبقة الرابعة، اسمه محمد بن عبد الوهاب، رأى أبا حفص الحدَّاد، وحمدونَ القصَّار.

وكان في نَيسابور إماماً ومقتدى، وكان عالماً في جميع العلوم الشرعية، فتركها واشتغلَ بعلمِ الصُّوفية.

وكان أبو عثمان الحيري يَستحسنه.

وكانَ أَحسنَ المشايخ كلاماً في عيوب النفس، وآفات الأعمال.

مات في سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة.

وقال أبو علي: العلم بالله حياةُ القلب من الجهل، ونور العين من الظُّلمة.

وأيضاً عنه قال: من صحبَ الأكابر وما حفظَ حُرمتهم حرَّم اللهُ تعالى عليه فائدةَ صُحبتهم، وما ينتفعُ من بركاتِ نظرهم وأنوارهم.

(*) طبقات الصوفية ٣٦١، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٤، مناقب الأبرار ١٧٤/أ، الأنساب ٣/ ١٣٥، المختار من مناقب الأخيار ٣٥١/ب، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠، الوافي بالوفيات ٤/ ٧٥، مرآة الجنان ٢/ ٢٩٠، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٩٢، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٣٢٥، طبقات الأولياء ٢٩٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٧، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٤، شذرات الذهب ٢/ ٣١٥.

وسألوه: لمن يكونُ العيشُ أصعبَ؟ قال: القانط.

قال شيخ الإسلام: القنوطُ بابٌ من أبواب الكفر ﴿لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

وكان يوماً يذكر المحبة وأحوال المحبين وفي أثنائه قرأ هذين البيتين:

إلى كم يكونُ الصدُّ في كلِّ ساعةٍ   وكم لا تَملّينَ القطيعةَ والهجرا
رويدكِ إنَّ الدَّهرَ فيه كِفايةٌ   لتفريقِ ذاتِ البَيْنِ فانتظري الدَّهرا[1]

وكان في أثناء المجلس يذكر هذه الكلمات وهي:

يا هذا بعتَ الكلَّ بالمجَّانِ واشتريتُ المجَّانَ بالكُلِّ

* * *

(٢٥٠) أبو علي بن الكاتب المصري[*]

أبو علي بن الكاتب المصري قدس الله سره، من الطبقة الرابعة، وكان من كبار مشايخ مصر.

وصحب أبا بكر المصري، وأبا علي الرُّوذباري، وكان شيخ أبي علي المشتولي.

وله كرامات ظاهرة.

وكان أبو علي عثمان المغربي يعظِّمُهُ ويقول: أبو علي بن الكاتب أفضلُ من الرُّوذباري؛ لكثرة علمه.

---

(١) في طبقات الصوفية، والكواكب الدرية: فارتقبي الدهرا.

(*) طبقات الصوفية ٣٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٠، مناقب الأبرار ١٨٤/ب، صفة الصفوة ٤/ ٣٢٣، المنتظم ٦/ ٣٧٥، المختار من مناقب الأخيار ١٢٤/أ، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٨، طبقات الأولياء ٥٧، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٠، طبقات الشعراني ١/ ١١٢، الكواكب الدرية ٢/ ٧٩.

وقال أبو علي بن الكاتب: إذا أشكلَ عليَّ شيءٌ أسألُهُ من النَّبيِّ ﷺ في الرؤيا، فيردُّ النبيُّ ﷺ جوابي.

قال شيخ الإسلام: كان له مُريدٌ في مصر يقضي حاجته، فلمَّا ماتَ المريدُ ذهبَ إلى قبره، وقال: إلهي، هذا المريد كان بيني وبينك واسطةً وشركاً، فمات وصحَّ توحيدي، فبحقِّ الذي أثبت توحيدي بموته أَحسنْ إليه، واغفر له.

وأيضاً عنه قال: قال الله تعالى: وصلَ إلينا من صبرَ علينا.

قال الشيخ أبو القاسم النصراباذي: سألوا أبا عليٍّ بن الكاتب: أيُّ شيءٍ أنتَ مائل إليه، وراغب للفقر أو للغنى؟ فقال: إلى ما يكون له درجة رفيعة. وقرأ هذين البيتين:

ولستُ بنظَّارٍ إلى جانب الغنى إذا كانتِ العلياءُ في جانب الفقرِ
وإنّي لصبَّارٌ على ما يَنوبُني وحَسبُكَ أنَّ الله أثنى على الصَّبر

* * *

(٢٥١) أبو علي المَشْتولي (*)

أبو علي المشتولي اسمه حسن[١] بن علي بن موسى، من تلامذة أبي علي بن الكاتب، وأبي يعقوب السوسي، ومَشتول قريةٌ من قُرى مصر، على عشرةِ فراسخ منها.

ومات بها في سنة أربعين وثلاث مئة.

وعنه قال: رأيت النَّبيَّ ﷺ في المنام، فقال: يا عليُّ، أَظنُّ أنَّك تُحبُّ الفقراءَ، وتحبُّ صحبتهم؟ قلت: أجل يا رسول الله صلى الله عليك وسلم.

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ١١٨، الأنساب ١١/ ٣٢٧، معجم البلدان ٥/ ١٣٢، اللباب ٣/ ٢١٥.

وقيد ياقوت مشتول بفتح الميم، واللباب بضم الميم.

(١) في (ص) و (ح): حسين.

فتوجَّه إليَّ، وقال: تُريدُ أن أجعلَكَ وكيلَ الفقراء، وتكفي مُهماتهم؟ فخفت أن يقعَ منّي شيءٌ خلافَ مُراده، أو يكونَ الأمرُ عليَّ مُتعسّراً فما أقدرُ، فتفكَّرتُ، وقلت: يا رسولَ الله، بشرطِ العِصمة والكفاية. فسكتَ، فبعد ذلك صارَ مَرجعَ الفقراء، يأتون إليه لحاجاتهم وشهواتهم، ويَقضي حاجتهم على مُرادهم؛ لأنَّه أراد الكفاية، فلمَّا جاء عند شيخه أبي علي بن الكاتب، وذكرَ ما جرى عليه، قال أبو علي: ما وقعَ لك من ذنبٍ حتى أخرجوكَ من الفقراء. يعني أنَّ الفقر والاحتياجَ أحسنُ من الكفاية والغِنى.

قال شيخ الإسلام: ما اختارَه لنفسه؛ بل كان مأموراً من النبي ﷺ، فكُفِيَ مُهمَّهُ بإمداد النبيِّ ﷺ، فلا تكنْ غافلاً، ولا آمناً من المكر والغرور.

قيل: جاء يوماً واحدٌ من هذه الطائفة عنده، فأعطاه ديناراً، فقال له: أنا ما جِئتُ لأجل الدينار. قال: خذه، أنا ما أُعطيك، إنَّما أنا واسطةٌ لأداء صاحب الحقِّ. فحكى ذلك الرجل الحكاية عند أبي علي بن الكاتب، فقال أبو علي بن الكاتب: ما كان ظنّي أن يكونَ أحدٌ في هذا الزمان يقولُ مثلَ هذا الكلام. ثم قصَّ قصَّة رؤياه عند الشيخ، فقال الشيخ: رحم الله أبا علي، مثلُه يَرى هذه، ويوفَّق للقيام بحقِّها.

قال شيخ الإسلام: إنَّ أبا علي المشتولي سافر من مشتول إلى البصرة لزيارة الشيخ أبي يعقوب السوسي، وكان يدور في البصرة، ولا يَسألُ أحداً عن بيته[1]، فيوماً وصلَ إلى زقاقٍ، فرأى دكَّانَ الحلاّج، وتلميذُ الحلاج قاعداً على دكّانه، فذهب عنده، وسأله عن بيته، فقال الشاب: تُريده؟ قال: نعم. قال الشاب: إن ذهبتَ عنده يقول لك: ارجع اعبده؛ لأنَّ من يزوره يقول له: ارجع اعبد الله. فلمَّا وصلتُ إليه، ودققتُ باب حجرته، قال: ادخل. فدخلتُ، وقال: اجلس، ما أقول لك حم حول الأفعال. يعني هذا الطريق ما هو كلُّه عبادة؛ بل شيءٌ أحسنُ منها.

* * *

---

(١) في (ح): عن نيته.

(٢٥٢) أبو علي الرازي(*)

أبو علي الرازي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عليٍّ الرَّازي: **إذا رأيت الله عزَّ وجلَّ يُوحشُك من خلقه، فاعلم أنَّه يُريد أن يُؤنسك بنفسه.**

* * *

(٢٥٣) أبو علي ابن خَيْران(**)

أبو علي خيران اسمه حسين[1] بن صالح بن خيران، كان فقيهاً شافعيَّ المذهب، وكان جامعاً بين الفقه والورع، كلَّفوه أن يكونَ قاضيَ القضاة فأبى.

وقيل: إن علي بن عيسى وزيرَ المقتدر بالله صاحبَ البلد أمرَ حاكمَ البلد: أن اطلب أبا علي بن خيران حتى يفوّض إليه أمرُ القضاة. فلمَّا سمع أبو علي ذلك اختفى عن الناس، فوكَّلوا على بابه عشرةَ أنفارٍ، فإذا خرجَ لحاجةِ الماء أو غيرها اقبضوه، فما خرجَ إلى عشرةِ أيامٍ، فأخبروه، فقال: خلّوه؛ لأن مقصودي أنَّ يعرف الناس أنَّ مثلَ هذا الرجل في مملكتي، لأنَّ قضاةَ الشرق والغرب يتعرَّضون له وهو لا يقبله.

وأيضاً عنه، قال: **إذا اشتدَّ[2] الرجل نام عقله.**

قال شيخ الإسلام: إذا كان القلب يقظاناً يكون الرجل معلقاً.

(*) حلية الأولياء ٨/ ١٠٠.

(**) تاريخ بغداد ٨/ ٥٣، صفة الصفوة ٢/ ٤٥٠، المنتظم ٦/ ٢٤٤، الإكمال ٣/ ٣٠٩، وفيات الأعيان ٢/ ١٣٣، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٨، العبر ٢/ ١٨٤، الوافي بالوفيات ١٢/ ٣٧٨، مرآة الجنان ٢/ ٢٨٠، طبقات الشافعية ٣/ ٢٧١، طبقات الشافعية لابن صلاح ١/ ٤٥٩، البداية والنهاية ١١/ ١٧١، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٣٥، شذرات الذهب ٢/ ٢٨٧.

(١) في الأصل: حسن، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٢) في (ص): إذا استند.

(٢٥٤) أبو علي السِّيرجاني(*)

أبو علي السِّيرجاني[١] رحمه الله تعالى.

حكوا عنه: أنه جاء مُسافراً[٢] عنده، فأرسله لإبرةٍ إلى السوق، فكلُّ مَرَّةٍ يقول: أريد أحسنَ منها. ومع سنِّ الشيخوخة، والضعف ذهب إلى السوق، ورجعَ سبعين مرَّةً، وبعد السبعين جاء ببائع الإبر، وقال: اشترِ ما يُعجبك. فقال الشيخ: كنتُ أُريدُ أَن أجربك كيف الخادم، لو لم تُنادِ بائعَ الإبر لأَرسلتُكَ إلى السوق سبع مئة مرة.

* * *

(٢٥٥) عبد الله بن محمد المعروف بالمرتعش(**)

عبد الله بن محمد المعروف بالمرتعش رحمه الله، من الطبقة الرابعة، كنيته أبو محمد، كان نيسابورياً من محلة الحيرة، وكان بغدادياً.

وكان وحيدَ مشايخ العراق وأئمَّتهم، ومن أصحاب أبي حفص الحداد، ورأى الجُنيد.

وقيل: عجائبُ بغداد ثلاثة: زعقة الشبلي[٣]، ونكتة المرتعش، وحكايات الخُلدي.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) السِّيرجاني نسبة إلى مدينة سيرجان مدينة من بلاد كرمان مما يلي فارس.

(٢) كذا في الأصل، والمسافر في اللغة التركية: الضيف.

(**) طبقات الصوفية ٣٤٩، حلية الأولياء ١٠/٣٥٥، تاريخ بغداد ٧/٢٢١، الرسالة القشيرية ١/١٦١، مناقب الأبرار ١٦٩/ب، الأنساب ١/٢٣٧، المنتظم ٦/٣٠١، صفة الصفوة ٢/٤٦٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٢/ب، سير أعلام النبلاء ١٥/٢٣٠، العبر ٢/٢١٥، مرآة الجنان ٢/٢٩٥، طبقات الأولياء ١٤١، البداية والنهاية ١١/١٩٢، النجوم الزاهرة ٣/٢٦٩، طبقات الشعراني ١/١٠٥، الكواكب الدرية ٢/١٠٩، شذرات الذهب ٢/٣١٧.

(٣) كذا في الأصول، وفي طبقات الصوفية ٣٤٩: إشارات الشبلي.

وكان المرتعش في بغداد في مسجد الشُّونيزية، ومات بها في سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة، وقيل ثلاث وعشرين.

وأمره أبو حفص الحداد بالسِّياحة، وكان يَدورُ في كلِّ سنةٍ ألفَ فرسخٍ حافياً، مكشوفَ الرأس، وما أقامَ في مدينةٍ عشرةَ أيام، وفي بعض المدن ثلاثة أيام.

قال إبراهيم بن المولد: جاء المُرتعش إلى الرَّقة، وإبراهيمُ القصَّار أرسل له طبقاً من العنب والخبز، وللمرتعش فروة ومئزر، فجعل المِئزر إزاراً وباع الفروة، واشترى عنباً وخبزاً، وأرسله لإبراهيم القصّار، وقال: بدلُ العنبِ عنبٌ، وبدلُ الخبز خبز.

وقال له: إن كان لك حالٌ مع الله تعالى اخرج. قال: إبراهيم بن المولد: أمرني إبراهيم القصار: لا تذهب عنده، ولا تُسلِّمْ عليه، ولو أقام في الرَّقَّةِ مدَّةً طويلة. قال إبراهيم: فيوماً اجتمعت به، فقلت: يا أبا محمد، أنت هنا مع هذه الإهانة والذلَّة الواقعة لَك مني ؟ قالَ: لأجلِ هذا أقمتُ هنا، وإلاّ فما أُقيمُ في المدن إلا أياماً قلائل.

قال المرتعش: ما رأيتُ نفسي في الباطن من الخواص إلا رأيتُ ظاهري من العوام.

وسألوه: ما التَّصوف ؟ قال: إشكالٌ وتلبيس وكتمان.

وسألوه أيضاً: أيُّ الأعمال أفضل ؟ قال: رؤيةُ فضل الله. وقرأ هذا البيت:

إنَّ المَقادِيرَ إذا ساعدتْ ... ألحقتِ العَاجزَ بالحازم

وأيضاً عنه، قال: أفضلُ الأرزاقِ تَصحيحُ العبودية، وملازمةُ الخدمة على السُّنة.

وأيضاً عنه، قال: ابتداءُ شُغلي كنتُ ولدَ رجلٍ من الأعراب، وكنتُ جالساً على باب البيت في نيسابور، فجاءَ شابٌّ وعليه مُرقعةٌ، وخرقةٌ على رأسه، فأشارَ إليَّ بوجهٍ لطيف، وأرادَ مني شيئاً، فقلتُ في نفسي: رجلٌ شابٌّ، صحيحُ البدن، ولا يَستحي أن يسألَ الناس ؟ وما ردّيتُ له جَواباً، فزعقَ زعقةً

حتى خفتُ من زعقته، فقال: أَعوذُ بالله ممّا خامر سرَّك، واختلجَ به صدرُك. فخررتُ مَغشياً على وجهي، فجاءني خادمٌ، وأخذ رأسي، وحطَّهُ على حِجره، فاجتمع عليه ناسٌ كثير، فلمَّا أفقتُ بعد مدَّةٍ فما وجدتُ ذلك الشابَّ، فحصلَ لي الحيرةُ العظيمة بما فعلت به، فلمّا جنحَ الليل نمتُ بالغمِّ والحزن، فرأيتُ أميرَ المؤمنين علياً رضي الله عنه في المنام، وذلك الشابُّ مع الأمير يُشير إليَّ بالعنفُ، ويقول: إنَّ اللهَ لا يُجيبُ مانعَ سائله. فانتبهتُ، وقمت، وما كان لي من الدنيا كلُّه تصدَّقتُ به، واخترتُ السفر، وبعد خمسةَ عشرَ سنةً[1] سمعت الخبر أنَّ أبي ماتَ، فرجعت إلى نيسابور، وطلبتُ من الله تعالى أن يُخلّصني من مالِ الميراث، فبعناية الله تعالى خلصتُ من مالِ المِيراث، فانظر سخط ذلك الرجل عليَّ، وما خرجتُ من خجلِ ذلك الفعلِ، وما أخرج منه إلى الموت.

* * *

(٢٥٦) عبد الله بن محمد بن مُنازل(*)

عبد الله بن محمد بن مُنازل قدس الله روحه، من الطبقة الرابعة، وكنيته أبو محمد، وكان من أكابر المشايخ في نيسابور، وله طريق، وهو مُنفردٌ بذلك الطريق.

وصحب حمدون القصار، وأخذَ منه الطريقة، وكان عالماً بعلوم الظاهر.

قال واحدٌ من المشايخ الكبار: أنا أعرفُ رجلاً تامًّا ورجلاً نصفاً، فالرَّجلُ النصف هو النصرآباذي الذي أمال الخلقَ إلى الملامة، والرَّجلُ التامُّ هو عبد الله ابن المنازل الذي لا يرى الناس.

---

(١) كذا في الأصل.

(*) طبقات الصوفية ٣٦٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٣، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٣/ب، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٩٧، العبر ٢/ ٢٢٦، مرآة الجنان ٢/ ٣١٠، طبقات الأولياء ٣٤٥، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٦، شذرات الذهب ٢/ ٣٢٠.

وأيضاً عنه، قال: من يدخل في هذا الطريق بتكلُّفٍ يفتضح، ومن يَدخل بالعجز يصير قوياً. يعني يدخلُ بالعجزِ والحرمةِ والإرادة، لا بالدَّعوى والقوَّة.

وأيضاً عنه، قال: من لم يذق ذُلَّ الكسبِ، وذلَّ السؤال، وذلَّ ردِّه لا خير فيه.

وأيضاً عنه، قال: من ألزمَ نفسه ما لا يكونُ مُحتاجاً إليه[1] ضيَّعَ من أَحوالِ نفسه ما كان محتاجاً إليه، وما لا بدَّ منه.

وأيضاً عنه، قال: إن سلمَ أَحدٌ في عمره نفساً واحداً من الرِّياء والشِّرك، كفاه في آخرِ عمره[2].

* * *

(٢٥٧) عبد الله الحداد الرازي(*)

عبد الله الحداد الرازي رحمه الله.

قال شيخُ الإسلام: قال عبد الله الرازي: من تركَ حقَّ الله في أيَّامِ الشباب يتركُهُ اللهُ تعالى في أيام شيخوخته فلا ينصره.

* * *

(٢٥٨) عبد الله بن عصام المقدسي(**)

عبد الله بن عصام المقدسي قدس الله سره.

قال شيخ الإسلام: إن عبدَ الله رأى النبي ﷺ في الرؤيا، فقال:

---

(١) في (ح): ضيع من أموال نفسه مثل ما كان محتاجاً إليه.

(٢) في طبقات الصوفية ٣٦٨: لو صح لعبد في عمره نفسٌ من غير رياء ولا شرك لأثرت بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر.

(*) طبقات الصوفية ٢٨٨، حلية الأولياء ١٠/٣٤٥، الرسالة القشيرية ١/١٤٨، طبقات الشعراني ١/٩٨، الكواكب الدرية ١/٦٧٨، جامع كرامات الأولياء ٢/١٠٩.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

يا رسول الله، ما حقيقة هذه الأفعال، وما أنا فيه مشغول؟ قال: استحي من الله تعالى إذا كنت مع الخلق، ولا تكن غافلاً عن الله ـ يعني: ينبغي لك أن تكون في الظاهر مع الخلق، وفي الباطن مع الله سبحانه وتعالى ـ ولمَّا قال ﷺ هذا وراح، ذهبتُ على إثره، فقلت: زدني يا رسول الله. فقال: إذا كنت في الباطنِ مع الله سبحانه وتعالى، فينبغي أن تكون في الظاهر مع الخلقِ، وتؤدِّي حقوقَهم.

* * *

(٢٥٩) عبد الله النباذاني(*)

عبد الله النباذاني رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: قال عبد الله: رأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، مع أيِّ قومٍ أجلس؟ قال: القوم الذين يكونون ضيوفاً لا مُضيفين. يعني الفقراء.

* * *

(٢٦٠) أبو الخير التِّيناتي الأقطع(**)

أبو الخير التِّيناتي الأقطع قدَّس الله سره، من الطبقة الرابعة، اسمه عبَّاد[1]، وكان غُلاماً في قرية تينات، وهي قريةٌ على عشرةِ فراسخ من مصر، وقيل:

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) طبقات الصوفية ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية ١/ ١٦٥، مناقب الأبرار ١٧٧/ب، الأنساب ٣/ ١٢١، صفة الصفوة ٤/ ٢٨٢، المنتظم ٦/ ٣٧٦، المختار من مناقب الأخيار ١٣٦/ب، معجم البلدان ٢/ ٦٨، اللباب ١/ ٢٣٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ٥١٤، طبقات الأولياء ١٩٠، حسن المحاضرة ١/ ٥١٤، طبقات الشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ٤٤.

(١) في الأصل: حماد، والمثبت من مصادر ترجمته.

تينات من مَصيصة، من ولاية المغرب[1].

وكان يَشتغلُ الزنبيل[2]، ولا يَعرفُ أحدٌ كيف يشتغل الزنبيل، وإذا لم يكن عنده أَحدٌ رآه كثيرٌ من الناس يشتغلُ بيديه.

وكان يأنس بالأسد، قيل له: بلغنا أنَّ السِّباعَ تأنسُ بك. قال: نعم، الكلابُ يأنسُ بعضُها ببعض.

وكان مَلجأً أهلِ الأرض في وقته، وكان مشرفاً على أحوالِ الخلق.

وتوفي سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة.

وله كراماتٌ وآيات كثيرةٌ في الظاهر.

وصحبَ أبا عبد الله بن الجلاء، والجُنيد، وغيرَهما من المشايخ.

وفي طريقة التوكُّلِ كان مُنفرداً.

قال أبو الخير: من أظهرَ العملَ فهو مُرائي، ومن أظهرَ الحالَ فهو مدَّعي.

وكان أبو الخير على ساحل البحر، فرأى واحداً يمشي على الماء، فقال له: ما هذه البدعة؟ تعالَ إلى البرِّ، وامشِ على الأرض.

ومرَّةً أُخرى كذلك رأى واحداً يطيرُ في الهواء، فقال: ما هذه البدعة؟ فصاحَ عليه: انزل وامشِ. فنزل، فقال: أين تروح؟ قال: إلى الحجِّ. قال: الآن سر.

قال شيخ الإسلام: بائع الكرامات إن قبلوه فمغرور، ومشتري الكرامات كلبٌ، وإنْ لم ينبح. يعني أنَّ الحقيقة ليست الكرامات، بل هي شيءٌ آخر، فالكرامات تُعجب الزهَّادَ والأبدال، والصوفيُّ العارفُ أفضلُ من الكرامات، بل هو كراماتُ الكرامات.

---

(١) كذا في الأصل، وفي معجم البلدان: تينات كأنه جمع تينة من الفواكه، فرضة على بحر الشام قرب المصيصة، تجهَّز منها المراكب بالخشب إلى الديار المصرية، قال الذهبي في السير ١٦/ ٢٢: تينات قرية من أعمال حلب.

(٢) الزنبيل: القفة، الجراب: الوعاء الذي يحمل فيه. متن اللغة (ز ب ل).

قال شيخ الإسلام: قال عبّاس بن محمد الخلال في مرو: قال لي أبو الخير التِّيناتي: يا عباس، حطَّيتَ المُرقَّعةَ على كتفك، فأين تروح؟ قلت: طَرَسوس، وبيت المقدس. قال: لِمَ لا تجلس في هراة[1]؟ ولِمَ لا تتوجَّه إليه؟ قال شيخ الإسلام: فأين تلك العزلة؟ فالعزلةُ أن لا تكون أنت.

قال شيخ الإسلام: قال أبو صالح الحدثاني واسمه هارون: ذهبتُ لزيارة أبي الخير التيناتي في بيته، فقال لي: إلى أين تُسافر؟ قلت: إلى طَرَسوس. قال: إلى أين نيَّتك هذه السنة؟ قلت: مكّة. فقال: أعطاك الله تعالى شيئاً فما فهمت قدره، وحقه، وما حفظته، فشتتك في البر والبحر. فقال أبو صالح: أيُّها الشيخ، تقولُ للحجِّ والغزو؟! قال: نعم، فلم لا تغنم وقتَكَ وتحرسه؟

قال شيخ الإسلام: مريدٌ جاء إلى أبي القاسم الخلال المَروزي، فطلب منه الرُّخصةَ للسفر، قال الشيخ: لِمَ تُسافرُ؟ قال: إذا سكن الماء يتكدَّر وينتن. قال الشيخ: لِمَ لا تكن بحرٌ[2] لا يجري ولا يتكدَّر؟

قال واحدٌ من أصحاب أبي الخير التيناتي: إنَّ الشيخَ كان جالساً فقال: عليكم السلام. فقلنا: أتَردُّ السَّلامَ على الملائكة؟ قال: لا، بل واحدٌ من بني آدم كان مارّاً في الهواء، فسلم عليَّ، فردّيتُ جوابه.

قال أبو الحسين القَرَافي: ذهبتُ لزيارة أبي الخير التيناتي، فلمّا ودَّعته خرج إلى باب المسجد، وقال: يا أبا الحسين، أعلم أنَّك لا تحملُ المعلومَ، لكن، تحملُ هاتين التفاحتين؟. فقبلت، وحطيتهما في الجيب، وسافرتُ ثلاثة أيام، فما جاء الفتوح، فأخرجتُ واحدةً منهما وأكلتها، وأردتُ أن أُخرجَ الثانية، فرأيتُهما بحالهما في جيبي، وكنتُ آكلُ كلَّ يومٍ من هذه التفاحتين، ولم ينقطعْ من جيبي التفاح، فلمَّا وصلتُ الموصل جاءَ في خاطري: هذه التفاحتان صارا معلوماً، ففسدَ منّي التوكُّلُ، فأخرجتهما، فرأيتُ فقيراً ملففاً بعباءٍ يتمنَّى تفاحاً،

---

(١) في (ح): لم لا تجلس في عزلة.
(٢) كذا في الأصول.

فأعطيتُهما إيَّاه، فلمَّا عدلتُ[1] عنه خطر في قلبي: لعلَّ الشيخَ أبا الخير أرسلَ هاتين التفاحتين لهذا الفقير، فوقع مني الخيانة، فرجعتُ، وما لقيت ذلك الفقير.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: كنت عند الشيخ أبي الخير التيناتي، فبدأ عندي حكايات بداية حاله، فسألته: ما السَّببُ لقطعِ يدك؟ فقال: وقع منها ذنبٌ فقُطعت. فظننته في أيام الشبابِ وقعَ منه شيءٌ، فقطعوا يده، فسكتُّ، وما قلتُ شيئاً إلاّ بعد مرور الزمان، اجتمعنا مع المشايخ عنده، فوقع الكلام في المواهب والكرامات التي أعطاها الله تعالى، حتى وصل الكلام إلى طيِّ الأرض، فتكلَّموا بينهم كلاماً كثيراً، فضاقَ منه صدرُ التيناتي، فقال: إلى متى تقولوا فلان ذهبَ في ليلةٍ واحدةٍ إلى مكَّة، وفلانٌ كذا وكذا؟ وأنا أعرفُ عبداً حبشياً في مسجدِ جامع طرابلس كان جالساً مُلتفًّا بمرقعةٍ، فجاءَ في خاطره: لو كنتُ في المسجدِ الحرام كان أولى. ثم قال في سرِّه: لو كنتُ في هذا الوقت في مكَّة كان أحسن. فأخرجَ رأسَه من المُرقَّعة، فكان في مكة. فتناظرَ الجماعةُ، وأشاروا بينهم أنَّه يَعني بذلك الحبشيِّ نفسَه.

فسأل واحدٌ من الجماعة: ما كان سببُ قطعِ اليد؟ فقال: وقعَ منه ذنبٌ فقُطع. قالوا: نسأل منك سببَ قطعه، وأنت من زمانٍ تقول هكذا. فقال: أنا رجل من المغرب، فأردتُ السَّفرَ، فوصلت الإسكندرية، وأقمتُ بها اثنتي عشرة سنة، فعزمتُ على السفر، وأقمتُ بين الشطِّ ودمياط اثنتي عشرة سنة، فقالوا: الإسكندرية بلدٌ معمور يمكن الإقامةُ فيها، وبين الشطِّ ودمياط ليس بمعمورة، فكيفَ كان مَعاشك؟ قال: على ساحل خليج دمياط بنيت عشَّةً من القصب، وفي ذلك الزمان يَعبرُ الناس كثيراً إلى دمياط، وإذا تعشُّوا ينفضون السُّفَرَ خارجَ السور، وما يَطيحُ من كُسيراتِ الخبز أُزاحمُ الكلبَ، وآخذ ما كان نصيبي، فكانَ قوتي في الصَّيفِ، وفي أيام الشتاء كان قربَ بيتي نبتُ البُرديِّ، فأقلعُه، وما كان من أصوله طرياً أبيضَ آخذه وآكله، وما كان يابساً أخضر

---

(١) في (ص): عدتُ.

أرميه، وكان هذا قوتي في تلك الأيام، فنُوديتُ يوماً في سرّي: يا أبا الخير، أتحسبُ أنَّك لستَ شريكاً في قوت الخلائق، وتدَّعي التوكُّلَ، وأنت في عين المعلوم؟ فقلتُ: إلهي وسيدي ومولاي، بعزَّتك لا أمدُّ يدي إلى ما تُنبتُ الأرض، ولا آكلُ إلاّ ما تُطعمني. فمرَّ عليَّ اثنا عشر يوماً أُصلّي الفرائضَ والسُّنَنَ والنوافل، فعجزتُ عن أداءِ النوافل، فصلَّيتُ إلى اثني عشر يوماً آخذ الفرائضَ والسُّنن، فعجزتُ عن السُّنن أيضاً، فصلَّيتُ إلى اثني عشر يوماً الفرائض، فعجزتُ عن القيام، فصلّيتُ الفرائضَ إلى اثني عشر يوماً قاعداً، فعجزتُ عن القعود، فخفتُ من فوتِ الفرائض، فالتجأتُ إلى الله، وقلتُ في سرّي: إلهي وسيدي ومولاي، فرضتَ عليَّ خدمتك، وإن فاتت سألتني، وضمنتَ رزقي، فالرزقُ الذي كنتَ ضامناً لي تفضَّلْ به عليَّ، ولا تؤاخذني بما عهدت. فرأيتُ قدّامي قرصين، وبينهما شيء[1] ـ و لم يذكرْ ما كان ذلك الشيء، ولم يسأله أحدٌ ـ فكلُّ يومٍ آخذ القرصين بلا انقطاع، فحصلَ لي الإشارة: أن سافرْ إلى ثغرٍ. فعزمتُ إلى الثغر للغزو، ووصلتُ إلى قريةٍ يومَ الجمعة، وكان رجلٌ في صحن المسجد يقرأُ قصَّة زكريا عليه السلام، ودخوله في الشجرة، ونشره بالمنشار، وصبره، فقلتُ في نفسي: إلهي وسيدي، كان زكريا عليه السلام رجلاً صبَّاراً، وإن ابتليتني ببلاءٍ أصبر له. فسافرتُ منها حتى وصلت أنطاكية، فلقيني بعضُ أحبائي، وفهموا أنّي عازمٌ إلى ثغرٍ، فأعطوني سيفاً، ومِجنًّا، وحربةً، فوصلتُ الثغر، فاستحييتُ من الله تعالى أن أنزلَ داخلَ السُّور من خوف العدو، فخارج السورِ كانت هيجا، فأقمتُ، وذهبتُ في الليل إلى ساحل البحر، وركزتُ الحربةَ، وعلَّقتُ المجنَّ والسيف على عاتقي، وجعلتها مِحراباً، وأُصلّي طولَ الليل، وبعد صلاة الصبح أدور في الهيجا، فيوماً من الأيام وقع نظري على شجرةٍ، وكان بعضُ ثمرِها أحمرَ، وبعضُها أخضرَ، وعليها ظلٌّ، فأعجبني ذلك الثَّمر، فنسيتُ العهد، ومددتُ يدي إلى الشجرة، وأخذتُ بعضَ ثمرها، فحطيته في فمي، فذكرتُ العهد، فرميتُ ما كان

---

(١) في (ص): وشيء بينهما.

في فمي وفي اليد، فقلت لنفسي: جاءَ وقتُ الابتلاء والمِحَن. فرميتُ بالحربة والمجن، وجلستُ في مكانٍ، وضربتُ يدي على رأسي، وكنت فيه، فاستقبلني جندٌ، وأحاطوا بي، وقالوا: قم. فردُّوني إلى الساحل، فرأيتُ أميرَهم قائماً، وعسكره حواليه قائمون، فبعضُ العساكر كانوا متفرّقين في طلب الحراميين، فأتوا بهم، فلمّا وصلتُ عندهم قالَ الأمير: من أنت ؟ قلتُ: عبدٌ من عباد الله تعالى. ثم قال الأميرُ للحرامية: أنتم تعرفونه ؟ قالوا: لا. فقال: هذا رئيسكم[1]، وأنتم تَفدونه بحياتكم. فحكموا أن تُقطعَ الأيدي والأرجل، فقطعوا من كلٍّ يداً ورجلاً، فلمّا جاءت نوبتي[2]، قالوا: تقدَّمْ، ومدَّ يدك. فمدّيت يدي، فقطعوها، ثم قالوا: مدَّ رجلَك. فمددتُها، ورفعت نظري إلى السَّماء، وقلت: إلهي وسيدي ومولاي، وقعَ الذنبُ من يدي، وما وقعَ من رجلي ؟ فبعد قطع يدي كان رجلٌ من العساكر عرفني، فنزلَ عن الفرس فزعاً، وقال: ما تفعلون ؟ تريدون أن تنزلَ السماء على الأرض، هذا رجلٌ صالحٌ. وذكر اسمي، فالأميرُ أيضاً نزل عن الفرس، وجاء عندي، وأخذ يدي المَقطوعة، وقبّلها، وبكى، وطلب العذر والعفو، فقلتُ: عفوتُ قبل عذرك وكان يدي وقع منها ذنب فقطعت، وبعد ذلك بكيت، وقلت: لا تكون مصيبة أعظمَ من هذه المصيبة، قطعت يدي، ومنعت القرصان[3].

قال شيخ الإسلام: كان شيخٌ اسمُه زهير بن بكير، وكان عالماً، وصاحبَ التصانيف، يقول: ما كنتُ أرى الموالي مدَّةً مديدةً إلا من العرب، فرأيتُ ليلةً من الليالي طوائفَ حلقاً حلقاً[4]، وجماعة جماعة إلى السماء، وقالوا: يا ولد بكير، كل ما رأيتَ من موالي العجم إلاّ رجلاً واحداً من العرب.

---

(١) في (ص): ريسكم.

(٢) في (ص): فلما جاؤوا بي.

(٣) في (ص): عفوت قبل عذرك، وبعد ذلك؛ لأنَّ يدي وقعَ منها ذنبٌ، فقُطعت، وبعد ذلك قُطعت يدي، ومُنعتُ القرصان بكيتُ، وقلتُ: لا يكون مصيبة أعظمَ من هذه المصيبة.

(٤) في (ح): خلقاً خلقاً.

قال شيخ الإسلام: أنا أعرفُ من هذه الطائفة ثلاثة عشر نفراً يُسمّون أبا الخير، وكلّهم كانوا من الموالي، وسادات الممالك. فسمّى فعدَّ أسماءَ بعضهم: أبو الخير التيناتي، وأبو الخير العسقلاني، وأبو الخير الحمصي، وأبو الخير المالكي، وأبو الخير الحبشي، وأبو الخير الحبشي آخرهم.

* * *

(٢٦١) أبو الخير الحبشي [*]

أبو الخير الحبشي رحمه الله تعالى، كان الشيخ عمو، والشيخ عباس يتفاخران برؤيته.

وكان مُجاوراً في مكَّة، فدخلَ واحدٌ في المسجد الحرام، وقال: أين هؤلاء الذين يدّعون الفتوة؟ وأشار إلى طائفةِ الصوفية بطريق الحقارة بقوله: هذه الفتيان، فبعد ساعةٍ جاء الشيخ أبو الخير الحبشي مع الهيبة والعظمة، وكان غضبان، حتَّى ظهرت الصُفرةُ على وجهه، فقال: من يقول أين الفتيان؟ ينبغي الفتيا حتى يُبصر الفتيان.

وقيل هو الذي قبره في أبرقوه[1]، واسمه إقبال، ولقبه طاووس الحرمين، وكنيته أبو الخير، وكان عبداً حبشياً لبعض أكابر جرجان، وفي أيام العبودية كان أيضاً مجتهداً في عبادة الله، وبعض الأوقات قال مولاه: تُريد منّي شيئاً؟ وهو ما يُريد منه شيئاً. فيوماً بالغ مولاه، فقال: إن تريدَ أعتقني خاصةً لوجه الله. فقال مولاه: أنا أعتقتُكَ قبلَ هذا بسنين كثيرة، في الحقيقة أنت المولى وأنا العبد. فأذن له مولاه، وعزم إلى بغداد لزيارة واحدٍ من المشايخ، فلمّا وصلَ كان ذلك الشيخ مُحتضراً، فسلّم عليه، فردَّ جوابه: وعليك السلام يا أبا الخير، كنتُ مُشتاقاً إليك، ولك لقب شريف في الحجاز تتشرف به. فأوصاه بمجاورة الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً. فقال: يحصل مرامُكَ في

(*) هو إقبال بن عبد الله كما هو في مجمل فصيحي، وفيه أنه توفي سنة ٤٢٠هـ وله من العمر ١٢٠ سنة، ودفن بأبرقوه.

(١) أبرقوه: بلد بأرض فارس، من كورة اصطخر. معجم البلدان.

المجاورة بمكّة. وأقام في الحرمين إلى ستين سنة، لم يسألْ شيئاً من أحد.

وقال أبو الخير: أقمتُ في الحرمين ستّين سنةً، وكان عيشي ضيّقاً ضنكاً، وإن أردتُ أن أطلبَ من أحدٍ شيئاً أسمعُ صوتَ هاتفٍ يقول لي: أما تستحي، الوجهُ الذي سجدتَ به لي تُذلُّه عند غيري؟

وقيل: لمَّا دخلَ في الروضة المقدسة المطهّرة المصطفوية على ساكنها الصَّلاةُ والسلام، قال: السلام عليك يا رسول الثقلين. فأُجيبَ من الروضة المُقدّسة: وعليك السلام يا طاووسَ الحرمين.

وأيضاً عنه، قال: الحرُّ من يُوجب على نفسه خدمةَ الأحرار، والفتى من لا يرى لنفسه على أحدٍ منَّةً، ولا يرى لنفسه استغناءً عن أحدٍ.

وأيضاً عنه، قال: البرُّ تجارةُ الأحرار، والتَّواضعُ ربحهم.

توفي سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة.

* * *

(٢٦٢) أبو الخير العسقلاني(*)

أبو الخير العسقلاني رحمه الله، دخل بغداد، وأقام بها مدة، وصحب المشايخَ الذين كانوا في ذلك الوقت، وذهب إلى قرية من قرى بغداد، وتزوج، ومات بها.

* * *

(٢٦٣) أبو الخير الحمصي(**)

أبو الخير الحمصي رحمه الله، هو الذي قطع بادية مكة مراراً بقدم التوكل، وتوفي بعد العشر والثلاث مئة.

(*) الطبقات الصغرى للمناوي ١٣٣.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢٦٤) إبراهيم بن شيبان الكرمان شاهي القزويني(*)

إبراهيم بن شيبان الكرمان شاهي القزويني قدَّس الله سره، من الطبقة الرابعة، كنيته أبو إسحاق، وكان شيخ جبال همذان في وقته، وله مقامات في الورع والتقوى الذي يعجز عنه الخلق، وكان من أصحاب أبي عبد الله المغربي، وإبراهيم الخواص.

وسألوا عبد الله بن منازل[1] ما تقول في حقِّه؟ فقال: **إبراهيم حجَّةُ الله على الفقراء وأهل الأدب والمعاملات.**

توفي سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة.

قال إبراهيم: من لم يحفظ حرمة المشايخ، يبتليه الله تعالى بدعوى الكذب والتُّرهات فيفضحه الله تعالى به.

وأيضاً عنه قال: إذا قال الفقير: النعلين لي. لا ينبغي لأحدٍ أن ينظرَ إليه. يعني في المصاحبة لا ترى لك ملكاً.

وأيضاً عنه قال: أوصاني أبي: تعلَّمِ العلم لأدب الظاهر، والورعُ يكون حرفتك لأدب الباطن، وأبعِدْ نفسَك من الذي يشغلك عن الله تعالى؛ لأن قليلاً من وقع له الردُّ ثم رجع.

* * *

(*) طبقات الصوفية ٤٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٤، مناقب الأبرار ١٨٧/أ، الأنساب ١٠/ ١١٠، المنتظم ٦/ ٣٩٠، المختار من مناقب الأخيار ٥٠/أ، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ٦٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٣٩٢، الوافي بالوفيات ٦/ ٢٠، مرآة الجنان ٢/ ٣٢٥، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ٢١، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ٩، شذرات الذهب ٢/ ٣٤٤.

(١) في (ص): عبد الله المنادلي، والمثبت من المطبوع (ف)، وطبقات الصوفية.

(٢٦٥) أبو زيد المرغزي الخراساني (*)

أبو زيد المرغزي الخراساني رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: إن الخواجه أبو [1] زيد المرغزي الفقيه الخراساني عزم إلى الحجِّ، ووصل إلى كرمان شاه، واجتمع بإبراهيم الشيباني، فتلك السنة ترك الحجَّ، ولزم صحبته لعمارة القلب، فبعده حجَّ ثلاث حجج. وفي اليوم الذي مات أبو زيد كان المطرُ عظيماً، فما أخرجوه من بيته، فدفنوه في بيته عاريةً، فلمَّا فتحوا قبره يريدون نقله إلى المقبرة ما وجدوه في القبر.

قال شيخ الإسلام: ما حصل له هذه الولاية من الفقه؛ بل من صحبة ذلك الشيخ.

* * *

(٢٦٦) إبراهيم بن أحمد المُولَّد الرَّقِّي (**)

إبراهيم بن أحمد المُولَّد الصوفي الرَّقِّي رحمه الله، من الطبقة الرابعة، كنيته أبو إسحاق، وهو من كبار مشايخ الرَّقةِ وفتيانهم.

صحب: أبا عبد الله بن الجلاء، وإبراهيم القصار الرقي.

توفي سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئة، ورآه أخوه أبو الحسن علي بن أحمد بعد موته في المنام، فقال: أوصني. فقال: **عليك بالقلَّة والذلَّة إلى أن تلقى ربَّك.**

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) كذا في الأصل.

(**) طبقات الصوفية ٤١٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٤، الأربعين في شيوخ الصوفية ١٩٣، مناقب الأبرار ١٩٠/ب، المختار من مناقب الأخيار ٤٠/ب، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٣، العبر ٢/ ٢٥٩، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٨٧، مرآة الجنان ٢/ ٣٣٤، البداية والنهاية ١١/ ١٢٠، طبقات الأولياء ٨٣، طبقات الشعراني ١/ ١١٥، الكواكب الدرية ٢/ ٨، شذرات الذهب ٢/ ٣٦٢.

قال إبراهيم: حقيقة الفقر أن لا يستغني العبد بشيء سوى الحق سبحانه وتعالى.

وأيضاً عنه، قال: أنا أعجب من الذي يعرف طريقاً إلى الله، كيف يعيش بغير الله تعالى؟ قال الله تعالى ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال إبراهيم الرقي: في ابتداء الإرادة عزمتُ على زيارة مسلم المغربي، فلمَّا وافيت مسجده، وكان إماماً، فقرأ الفاتحة، فغلطَ كثيراً، فقلتُ في نفسي: ضيَّعتُ المشقة. فبتُّ هناك، فصباحه خرجتُ من عنده بقصد الطهارة إلى الفرات[١]، فرأيتُ أسداً نائماً، فرجعت، فجاء أسدٌ آخرُ عندي، فعجزتُ، وفزعت، فخرج مسلم المغربي من صومعته، فلمّا رآه الأُسدُ تواضعوا له، فأخذَ أذنَ كلٍّ واحدٍ واحدة يعركها[٢]، وقال: يا كلاب الله عز وجل، ما قلتُ لكم لا تؤذوا ضيفاني. ثم قال لي: يا أبا إسحاق، أنتم مشغولون بتصحيح الظاهر من خوفِ الخلق، وأنا مشتغلٌ بتصحيح الباطن، حتى الخلق يخافون مني.

* * *

(٢٦٧) إبراهيم الجِيلي(*)

إبراهيم الجِيلي رحمه الله تعالى، كان من جِيل[٣]، وكان رجلاً عظيماً ذا هيبة، وكان له وقت صاف.

قال الشيخ أبو الأزهر الإِصْطَخْري: إن إبراهيم الجِيلي ابتُلي بعشق بنت عمِّه، فتزوَّجها، فمن المحبَّةِ والشغف لا يقدر أن يقربها، فقال في نفسه: كيف

---

(١) في (ص): القراة.
(٢) في (ح): يفركها.
(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(٣) جيل: بلاد متفرقة وراء طبرستان، يقال لها: كيل وكيلان، فعربت إلى جيل. انظر معجم البلدان، واللباب ١/ ٣٢٣.

هذا الحال؟ وإن أموت في هذا الحال، كيف يكون حالي؟ فقام ليلةً، واغتسلَ، وصلّى ما شاء الله، وقال: يا إلهي، أنت الأولُ، أرجعْ لي حالي الأول. فبالفور أخذتِ الحمّى بنتَ عمِّه، وماتت بعد ثلاثة أيام، فدفنها، وصار واجداً للوقت، ودخل البادية حافياً مكشوفَ الرأس.

* * *

(٢٦٨) إبراهيم الدِّهِسْتاني [*]

إبراهيم الدِّهِسْتاني [1] رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: في قرية دامغان [2]، قال لي الشيخ محمد القصاب: الأيام التي ظهرت فيها طائفةٌ من أهل الكلام كنت تعباناً، فذهبتُ إلى الشيخ إبراهيم الدِّهِسْتاني حتى أسألَه عنهم ـ يعني عن مذهبهم وكلامهم ـ فلمّا وافيته، فقبلَ أن أسأله، قال: يا محمد، ارجع؛ لأنَّ الله تعالى لا يعرفه أحدٌ غيره، كما قال ذو النون: **العلم في ذات الله جهل**.

قال شيخ الإسلام: لا يعرف الله إلا به، وبكلامه، ومن عرف الله بالقرآن والسنة فقد عرفه ـ يعني بالمعرفة التصديقيّة والتسليمية ـ ولا يُعرف بمجرد العقل؛ لأنَّ العقلَ مخلوق، ولا يدلُّ إلا على مخلوق، ومن يتكلَّمُ فيها عنه بك فاقبل كلامه، ومن يتكلم فيه بالعقل والقياس لا تقبله؛ لأن الإيمان سمعي لا عقلي.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) الدِّهِسْتاني نسبة إلى دِهِستان: مدينة عند مازندران قرب خوارزم وجرجان. انظر معجم البلدان.

(٢) الدَّامَغان: بلد كبير بين الري ونيسابور، وسط الجبال، كثيرة المياه، كثيرة الفواكه، انظر معجم البلدان.

(٢٦٩) إبراهيم المَرْغِيناني (*)

إبراهيم المَرْغِيناني[١] رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: قال إبراهيم المرغيناني: ما أدركته الأذنُ هو العلم، وما أدركَهُ الفهمُ هو الحكمة، والذي نسمع به وندرك به هو الحياة.

* * *

(٢٧٠) إبراهيم نازويه (**)

إبراهيم نازويه رحمه الله، كنيته أبو إسحاق، من مشايخ نيسابور.

ورأى: أبا حفص، وصحب أبا عثمان الحِيري.

وله في الفتوة شأن عظيم، واسمه إبراهيم بن محمد بن سعيد، لكن من جهة حسنِ الصورة وحسن الألحان لقَّبوه بنازويه.

* * *

(٢٧١) مُظَفَّر الكرمان شاهي القرميسيني (***)

مُظفَّر الكرمان شاهي القرميسيني قدس الله سره، من الطبقة الرابعة، وكان من كبار مشايخ الجبل، ومن الفقراء الصادقين[٢].

وصحب عبد الله الخراز، ومن كان أكبر منه، وكان وحيد المشايخ في طريقته، وأستاذَ عباس الشاعر.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) المَرْغِيناني نسبة إلى مَرغِنان: بلدة بما وراء النهر، من أشهر البلاد من نواحي فرغانة.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(***) طبقات الصوفية ٣٩٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٧١، مناقب الأبرار ١٨٦/أ، المختار من مناقب الأخيار ٣٧١/ب، الكواكب الدرية ٢/ ١٦٩.

(٢) في (ص): الصالحين.

قال شيخ الإسلام: إن مظفراً قسَّمَ اللَّيلَ ثلاثة أقسام: ثلثه للصلاة، وثلثه للقرآن، وثلثه يدعو ويبكي ويتضرَّع، ويقرأ هذين البيتين:

قد لسعتْ حيَّةُ الهوى كَبدي ... فلا طبيبَ لها ولا راقي

غيرُ الحبيبِ الذي شُغفتُ به ... فعنده رُقيتي وتِرياقي

وله أيضاً قال: **العارفُ من جعل قلبه لمولاه، وجسده لخلقه.**

وأيضاً عنه قال: **من صحب الأحداث على شرط السلامة والنصيحة أدّاه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن صحبهم على غير شرط السلامة؟**

وأيضاً عنه قال: ينبغي أن يكونَ نظرُك في الدنيا للاعتبار، وسعيُك فيها لحدِّ الاضطرار، وتركها على سبيل الاختيار.

وسألوه: ما الفقير؟ قال: الفقير هو الذي لا يكون له حاجةٌ إليه تعالى.

قال شيخ الإسلام: لا يكون إليه احتياجٌ؛ لأن جميعَ الاحتياج عينُه.

* * *

(٢٧٢) أبو الحُسين بن بُنان(*)

أبو الحسين بن بُنان رحمه الله تعالى، من الطبقة الرابعة.

صحب أبا سعيد الخرَّاز، وصحح نسبته إليه، ومات في التِّيهِ[1].

قال أبو عثمان المغربي: قال أبو علي بن الكاتب: إن أبا الحسين بن البُنان كان وقتاً في وجدٍ ورقصٍ، وأبو سعيد الخرَّاز يُصفِّق.

(*) طبقات الصوفية ٣٨٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٣، مناقب الأبرار ١٨٥/أ، المختار من مناقب الأخيار ١٣٢/ب، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٣٦، طبقات الأولياء ٣٨٤، طبقات الشعراني ١/ ١١٢، الكواكب الدرية ٢/ ٤٩.

(١) التيه: أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم (الأحمر) وجبال السراة من أرض الشام، والغالب على أرض التيه الرمال، وفيها مواضع صلبة، وبها نخيل وعيون قليلة. انظر معجم البلدان.

قال أبو الحسين بن البُنان: كلُّ الخلائق في البادية كانوا عطاشى، وأنا [عطشان] على ساحل النيل[1].

وأيضاً عنه. قال: لا يحفظ قدر أولياء الله إلا من يكون كبير القدر.

* * *

(٢٧٣) أبو الحسين بن هند الفارسي(*)

أبو الحسين بن هند الفارسي رحمه الله تعالى، من الطبقة الرابعة، اسمه علي بن هند القرشي، وكان من كبار مشايخ فارس وعلمائهم.

وصحب جعفر الحذّاء، وكان أكبر منه، ومثل عمرو بن عثمان، والجنيد ومن كان في طبقتهم.

وقال أبو الحسين: من أعطاه الله بساطَ القُرب يكون راضياً عنه[2] بما يجري عليه؛ لأنَّ بساطَ القرب لا يعطيه إن لم يكن راضياً.

وأيضاً عنه، قال: حسن الخلق بالله بترك الشكاية، وانبساط القلب، وطيبُ النفس بإقامة أوامره، وبحُسن المعاملة مع الخلق[3].

وأيضاً عنه، قال: اجتهد أن لا تفارق باب سيِّدك بحال؛ فإنه ملجأ الكلِّ، فمن فارق تلك السدَّة لا يرى بعدها قراراً ولا مقاماً.

وقال:

---

(١) كذا في الأصل، وفي طبقات الصوفية ٣٨٩: الناس يعطشون في البراري، وأنا عطشانُ وأنا على شط النيل.

(*) طبقات الصوفية ٣٩٩، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٢، مناقب الأبرار ١٨٦/ب، المختار من مناقب الأخيار ٢٩٦/ب، طبقات الأولياء ١٤٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٣، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٠.

(٢) في (ص): راضياً معه.

(٣) كذا في الأصل، وفي طبقات الصوفية ٤٠١: حسن الخُلق على معانٍ ثلاثة: مع الله بترك الشكوى، ومع أوامره بالقيام إليها بنشاط وطيب نفس، ومع الخلق بالبر والحلم.

كنتُ من كُربتي أفرُّ إليهم فهم كُربتي فأينَ المَفرُّ

قال الشيخ أبو عبد الله: كان الشيخ أبو الحسين بن هند في شيراز في دعوة، وكنت في سفر، فقال: خلُّوا نصيبَ أبي عبد الله. فقالت الجماعة: إنه مسافر! فقال مرَّةً أُخرى: خلُّوا نصيبَه البتة. فحطوا نصيبي، فلمَّا وصلتُ إليهم، فدخلت، وسلَّمتُ عليهم، فقام أبو الحسين يرقص، وثيابُه في إبطه، ويقول: **قلوبُ المؤمنين لا تكذب**. فقلت: هل عندك شيءٌ؛ فأنا جائع؟ فأطعموني ما خلَّوا لي.

* * *

(٢٧٤) أبو الأديان(*)

أبو الأديان رحمه الله، كنيته أبو الحسن[١]، واسمه علي، واشتهر بأبي الأديان؛ لأنه كان يباحث في جميع أهل الأديان، ويغلبهم، وكان بصريَّ الأصل، وفي زمان الجُنيد، وصحب أبا سعيد الخرَّاز، وكان عالماً وصاحبَ لسان.

وكان له عبدٌ اسمه أحمد، فقال أحمد: يوماً وقعتِ المناظرةُ بينه وبين مجوسيٍّ، فقال أبو الأديان: النار تحرقُ بإذن الله تعالى. فقال المجوسي: بل بالطبع، ثم قال المجوسي: إن تُرني أنَّ النار تفعل بإذن الله أدخل في دينك. واتفقا على أن تُوقدَ النارُ، ويدخل فيها أبو الأديان، فجمعوا الحطبَ، واجتمع الخلقُ، فتوقَّدتِ النار، حتى صارتْ جمراً، وبسطوها، وفرش أبو الأديان السجّادة عليها، وصلّى، وبعد السلام مشى على الجمرِ، وبعده التفتَ إلى المجوسي، وقال: يكفيك، أو أدخل مرَّةً أخرى؟ فأسلمَ المجوسي. قال عبدُه أحمد: فلمَّا دخلَ الليلُ كنتُ أغمزه، فرأيتُ في أسفل إصبع رجله نفطةً قدر التفاحة، فقلت: يا سيدي، ما هذا في رجلك؟ قال: لمّا كنتُ على النار كنت

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٧٩، ٢٢٠ واسمه علي بن هند.

(١) في (ص): أبو الحسين.

غائباً، فلمَّا وصلتُ إلى آخرها حضرتُ، وتكلَّمتُ تلك الكلمة مع المجوسي، فاحترق إصبعي، ولو كانت هذه الإفاقةُ في النار لاحترقتُ بتمامي.

قال شيخ الإسلام: كان إذا أراد الحجَّ يلبي ربَّه من بيته، ويُحرم منه، ففي آخر حجَّةٍ بعد رجوعه ووصوله أهله قال: لبيك. قالوا: أيش هذه البرودة، الآن وصلتَ وتُلبّي؟ فقال: هذه التلبية ليست للحج، بل أُلبّي له. فمات قبلَ الأُسبوع.

* * *

(٢٧٥) أبو جعفر النسوي بن عَلْيَان(*)

أبو جعفر محمد بن علي النَّسوي المعروف بمحمد بن العَلْيَان من الطبقة الرابعة، وكان من كبار مشايخ نسا، وأجلَّة أصحاب أبي عثمان الحِيري.

قال محفوظ: هو إمام المعارف.

وجاء أبو جعفر من نسا إلى أبي عثمان الآمدي ليسأله عن مسائل، وما أكلَ في الطريق شيئاً، وما شربَ الماء، وما نام، ويمشي على طهارة، وإذا انتقض الوضوء، يتوقَّفُ حتى يتوضَّأ ويمشي.

قال شيخُ الإسلام: إذا كان ذاهباً إلى أبي عثمان يجوز أن يأكلَ، ويشرب، ويمشي بلا طهارةٍ، لكن ما كان عزمه إلى أبي عثمان، بل كان مقصودُهُ غيرَه.

وقال أبو جعفر: من أظهرَ الكرامة على اختياره فهو مدَّعي، ومن ظهرت[1] الكرامةُ بلا إرادته واختياره فهو الولي.

وأيضاً عنه، قال: لِمَ لا تُحبُّ من لم تَخلُ من إحسانه طرفةَ عينٍ؟ ولم لا تكن مُوافقاً لمن تحبُّه طرفةَ عين؟

(*) طبقات الصوفية ٤١٧، حلية الأولياء ١٠/٣٧٦، الإكمال ٦/٢٦٨، مناقب الأبرار ١٩١/ب، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٥/ب، طبقات الأولياء ٣٧٣، تبصير المنتبه ٣/٩٦٥، طبقات الشعراني ١/١١٦، الكواكب الدرية ٢/١٤٨.

(١) في (ص): ومن أظهر.

وأيضاً عنه قال: من لم يستأنسْ بالله تعالى، يتركْهُ الله تعالى، ومن يستأنس به، يقطع الله أنسَه بغيره.

* * *

(٢٧٦) أبو سعيد الأعرابي(*)

أبو سعيد الأعرابي رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، اسمه أحمد بن محمد، بصريُّ الأصل سكنَ مكة، وكان عالماً فقيهاً، وله مصنَّفاتٌ في علوم القوم.

وصحبَ: الجُنيد، وعمرو بن عثمان، وأبا الحسين النُّوري، وحسن المُسوحي، وأبا جعفر الحفار، وأبا الفتح الحمّال، وطبقتُهُ قريبةٌ من الطبقة الرابعة.

وتوفي سنة أربعين أو إحدى وأربعين وثلاث مئة.

وكان شيخ الحرم في وقته.

قال شيخ الإسلام: له رسائل في نكات التوحيد ذكر فيها: **لا يكونُ قُربٌ إلاّ وثمّة[1] مسافة.**

قال شيخ الإسلام: إن في القرب إثنينية؛ لأنه يطلب قربَ واحدٍ إلى واحد، فإن تنظر بنظر التعمُّق فالقربُ بعدٌ، والتصوف وحدة.

(*) طبقات الصوفية ٤٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٦، تاريخ ابن عساكر ٧/ ٣٠٥، المنتظم ٦/ ٣٧١، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٦٣أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٦١، العبر ٢/ ٢٥٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٠٧، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٥٢، مرآة الجنان ٢/ ٣٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٢٦، طبقات الأولياء ٧٧، لسان الميزان ١/ ٣٠٨، العقد الثمين ٣/ ١٣٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٠٦، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، الكواكب الدرية ٢/ ٢٧، شذرات الذهب ٢/ ٣٥٤، معجم المؤلفين ٢/ ١٠٣.

(١) في (ح): إلا وفيه.

قال أبو سعيد: التصوف كلُّه تركُ الفضول، والمعرفةُ كلُّها الاعترافُ بالجهل.

وأيضاً عنه، قال: لا يكون الشوق إلاّ إلى غائب.

قال شيخ الإسلام: قالوا لداود الطائي: أنتَ مُشتاق؟ قال: الغائب مشتاق، ومحبوبي معي.

وأيضاً قال أبو سعيد الأعرابي: أعطى اللهُ تعالى بعضَ أخلاقِ المُحبّين لعدوه، حتى إن العدوَّ يتعطَّفُ على المحبِّ؛ بسبب تلك الأخلاق.

* * *

(٢٧٧) أبو عمرو الزُّجَاجي(*)

أبو عمرو الزُّجَاجي رحمه الله، من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن إبراهيم، وقيل اسمه إبراهيم، نيسابوري الأصل.

وصحب: أبا عثمان الحيري، والجُنيد، ورُويماً، والخوّاص.

وقيل: أربعون سنةً كان مُجاوراً في مكَّة، فما بالَ، وما رمى شعره في حرم الله تعالى لتعظيم حرمه تعالى، وحجَّ قريبَ ستين حجَّة.

قال أبو عمرو [بن] نُجيد: كنتُ في مكَّة، ومشايخ الوقت أيضاً كانوا في الحرم، مثل الكتّاني، وأبي الحسن المُزيّن الصغير، والكبير، وغيرهم من المشايخ يجتمعون، ويجلسون حلقة، وكان أبو عمرو الزُّجَاجي صدرَهم، وإن يقع الكلامُ يكون حكماً، ومفوضاً إليه الأمر، وكان أكثر الأوقات يقول: أنا لي ثلاثين سنة طهَّرتُ خلاءَ الجُنيد بيدي. وكان يتفاخر به.

(*) طبقات الصوفية ٤٣١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٧، مناقب الأبرار ١٩٣/ب، المنتظم ٦/ ٣٩١، المختار من مناقب الأخيار ٣٣٢/ب، الوافي بالوفيات ١/ ٣٤٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٥، طبقات الأولياء ١٥٦، العقد الثمين ١/ ٤٠٨، طبقات الشعراني ١/ ١١٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٤.

توفي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة .

وأيضاً عنه قال: لئن ينتقصُ من البشرية شيءٌ أحبَّ إليَّ من أن أمشي على الماء .

وأيضاً عنه قال: لمَّا ماتت أُمي حصل لي من ميراثها خمسون ديناراً، فعزمتُ على الحجِّ، فلمَّا وصلتُ إلى بابل استقبلني رجلٌ، وقال لي: هل عندك شيءٌ ؟ ففكَّرتُ في نفسي، فقلت: الصدقُ أَحسنُ. فقلت: عندي خمسين[1] ديناراً. فقال: أعطني. فأعطيتُه الصُّرَّةَ، فعدَّها، فوجدها كما قلتُ، فقال: خذها؛ لأنَّ صدقك غلبَ علي. فنزلَ من المركب، وقال: اركبْ. فقلت: ما أُريد. فقال: لابدَّ. وألحَّ كثيراً، فركبتُ، وقال: أنا على أثرك أجيءُ. فالسنة الثانية وصلَ إليَّ في مكَّة، وكان معي حتى مات.

وقيل: إنَّ في موسم الحجِّ جاء أعجميٌّ عنده، وقال: أعطني براءة حجّي؛ لأنَّ أصحابك قالوا لي: براءتُكَ عنده. ففهم الشيخُ أنَّه رجلٌ أبله، وأنَّ الأصحاب مزحوا عليه، فأشارَ الشيخُ إلى الملتزم، وقال: رح إلى المُلْتَزم، وقل يا ربُّ، أعطني البراءة. فبعدَ لحظةٍ رجعَ ذلك العجميُّ إلى الشيخِ وفي يده قرطاسٌ مكتوب عليه بخطٍّ أخضرَ: بسم الله الرحمن الرحيم، هذه براءةُ فلانِ بن فلان من النار.

* * *

(٢٧٨) إبراهيم بن يوسف بن محمد الزُّجَاجي(*)

إبراهيم بن يوسف بن محمد الزُّجَاجي رحمه الله تعالى، كنيته أبو إسحاق، ووالد أبي عمرو الزُّجَاجي، وعَدّوه في التواريخ من المشايخ.

وكان من كبار أصحاب أبي حفص، وكان صاحب المذهب في طريق الملامة، ومخالفة النفس.

---

(١) كذا في الأصل.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

ويحكى عنه أنه قال: في خلاف النفس على دوام الأوقات بركةٌ، وقد ساعدت نفسي مرَّةً في خطوة فما أمكنني تداركها إلى سنين.

* * *

(٢٧٩) جعفر بن محمد بن نصير الخُلْدي الخواص(*)

جعفر بن محمد بن نصير الخُلْدي الخوّاص رحمه الله، من الطبقة الخامسة، كنيته أبو محمد، بغدادي الأصل، والخُلْدُ محلٌ ببغداد[1]، وكان يَصنعُ الحصر.

ومن تلامذة: الجُنيد، وإبراهيم الخوّاص، وصحبَ النُّوري، ورُويماً، وسمنونَ، والجَريري، وغيرهم من مشايخ الوقت.

وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة، وجمعَ الكتبَ والتواريخ والحكايات، وسير المشايخ.

قال جعفر الخُلْدي: عندي متي[2] ديوانٍ من المشايخ، وأعرف ألفي شيخ من هذه الطائفة.

(*) طبقات الصوفية ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٦، الرسالة القشيرية ١/ ١٧٨، مناقب الأبرار ١٩٤/ب، الأنساب ٥/ ١٦١، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٨، المنتظم ٦/ ٣٩١، المختار من مناقب الأخيار ٩٩/ب، معجم البلدان ٢/ ٣٨٢، اللباب ١/ ٣٨٢، سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٥٨، مرآة الجنان ٢/ ٣٤٢، الوافي بالوفيات ١١/ ١٤٢، البداية والنهاية ١١/ ٢٣٤، طبقات الأولياء ١٧٠، غاية النهاية ١/ ١٩٧، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٢، طبقات الشعراني ١/ ١١٨، الكواكب الدرية ٢/ ٦٥، شذرات الذهب ٢/ ٣٧٨.

(١) الخُلد: أشرف المواضع التي ببغداد كلها، قيل: إن جعفر الخُلدي لم يسكن الخُلد قط، وإنما سأل الجُنيدُ مسائل أجابه جعفر، فقال: يا خُلدي، من أين لك هذه الأجوبة؟! فبقي عليه.

(٢) كذا في الأصل.

وأيضاً عنه قال: إن عجائب العراق ثلاث: شطح الشبلي، ونكتة المُرتعش، وحكاياتي.

وهو شيخ الشيخ أبي العباس النَّهاوندي.

توفي في بغداد سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة، وقبره بالشُّونيزية، قريب من قبر السَّري السَّقطي، والجُنيد.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيت من رآه، وكان عنده منه حديث. واجتمع به القاضي أبو منصور الهَرَوي في بغداد.

قال جعفر الخُلْدي: الفتوةُ احتقارُ النفس، وتعظيمُ حُرمة المسلمين.

وأيضاً عنه قال: كُنْ شريفَ الهمَّة، فإن الهمَّةَ تبلغ بالرجل لا المجاهدات.

وأيضاً عنه قال: كنت في بيتِ المقدس، فرأيت رجلاً[1] طول النهار ملفوفاً بعباء، فقامَ فزعاً، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: أيُّما تحبُّ أن تُعطيني الفالوذج واللبنية، أو أكسرَ قناديلَ بيتك؟ ثم رجع إلى المكانِ الذي كان فيه ونام، فقلت في نفسي: هذا الرجل رستاقي، وليس[2] من أولياء الله. وكنت متفكِّراً فيه، فرأيت رجلاً دخل المسجد، وفي يده زنبيل كبير، وينظرُ إلى اليمين والشمال حتى رأى ذلك الفقير، وقعد عند رأسه، وقال له: قم، فأخرج من الزنبيل فالوذجَ ولبنيةً، فجلس ذلك الفقير، وأكل منهما ما شاء، وقال: ما بقي ردَّه لأطفالك. فقام الرجل، وأخذها، وذهب، ومشيت على أثره وقلت له: بالذي نفسك بيده، أتعرف هذا الرجل؟ قال: لا، ما رأيتُه أبداً إلا اليوم، وأياماً كان أهلي وأطفالي يطلبون منّي الفالوذج واللبنية، وأنا رجل فقير حمَّالٌ ليس عندي شيءٌ، فقلت لهم: أيُّ وقتٍ أعطاني الله شيئاً أعمل ما تريدون. فاليوم أعطاني الله من كسبي ديناراً، فاشتريتُ الحوائج على ما كان اشتهاؤهم، فجئت به، وغلبَ عليَّ النوم، فنمتُ، فهتف بي هاتف: أيُّها الرجل، قم ودَّ[3] إلى

---

(١) انظر ترجمة محمد الساخري (٣٤٣) صفحة ٣٩٧.
(٢) في (ص) و (ح): ولياً.
(٣) في (ص): وردَّه.

المسجد ما طبخت، وأطعمِ الرجل الملفوف بالعباء؛ لأنك سوّيت هذه لأجله، وما يفضل منه أطعمه لأولادك. فانتبهت من النوم، فلمَّا أحضر أهلي المطبوخ شلتُهُ، وجئتُ به كما رأيت.

قال شيخ الإسلام: سألوا جعفر الخُلْدي: مَنِ العرفاء؟ فقال: هم ما هم، ولو كانوا هم لما كانوا هم.

قال شيخ الإسلام: قال لي المعتز: إنَّ الصوفي لم يكن، وإن كان فلم يكن الصوفي. وهو هكذا على ما قاله، لكن ما كان على حسب حاله ومقامه، ولا أعرف ممن سمعه.

قال شيخ الإسلام: سبحان الله، هذا أعجبُ العجائب في العالم، في الوجود مخفي شخص ذاهب في القميص يقال ليس هو بدنه، بل البدنُ غائبٌ في القلب، والقلب غائبٌ في الروح، والروح في الفؤاد، فهو حيٌّ بهذا الاعتبار حياةً أبدية.

* * *

(٢٨٠) أبو الحسن الصوفي الفُوشَنجي(*)

أبو الحسن الصوفي الفُوشَنجي[١] رحمه الله، من الطبقة الخامسة، واسمه عليُّ بن أحمد بن سهل، هو واحدٌ من فتيان خراسان.

ورأى أبا عثمان الحِيري، وصحب أبا العباس بن عطاء، والجريري في

(*) طبقات الصوفية ٤٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٩، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٣، المنتظم ٦/ ٣٩١، مناقب الأبرار ٢٠١/أ، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٨/ب، مختصر تاريخ دمشق ١٧/ ١٧٨، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٤٤، طبقات الأولياء ٢٥٢، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢٠، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٢/ ٣١.

قال ابن الأثير في اللباب ٢/ ٤٤٦: الفُوشَنجي: هذه النسبة إلى فُوشنج، ويقال لها: بوشنك، وهي مدينة قريبة من هراة، وينسب إليها بوشنجي وفوشنجي.

(١) هنا ينتهي الخرم في نسخة (ب) والذي ابتدأ من ترجمة أبي يزيد البسطامي صفحة ٨٦، عند قوله: قال: إذا انقطعت عن نفسك وصلت.

العراق، وفي الشام طاهر المقدسي، وأبا عمرو الدمشقي، ووقع الكلام بينه وبين الشبلي في مسائل.

وهو من أعلم[1] مشايخ وقته بعلوم التوحيد، وعلوم المعاملات، وأحسنِهم طريقةً في الفتوة والتجريد، وكان خلقاً، ديِّناً، متعهِّداً للفقراء.

مات سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة.

وكان من فُوشَنج، وقعد في نيسابور، وكان يعرف طريقة الصوفية أحسنَ من غيره، وكان يسافر.

وهو الذي عهد: إن وقعَ لي احتلامٌ، أتصدَّقُ بشيءٍ؛ لأنه لا يكون احتلامٌ إلاّ من خلل اللقمة، أو من التفكير الفاسد. وكان في البادية، ووقع له احتلام، وكان وحده، فنزع الإزارَ من تحته، وعلَّقه على شجرةِ السَّلْمِ لوفاء العهد؛ من يجده يأخذه.

وسألوه: ما التصوف؟ فقال: **اسمٌ ولا حقيقة، وقد كان قبلُ حقيقةً ولا اسم.**

قال أبو عثمان: سألوه: من الظريف؟ قال: **الخفيف في ذاته وأخلاقه وأفعاله وشمائله، من غير تكلُّفٍ.**

قال أبو بكر الرازي: سمعت أبا الحسن الفُوشَنجي قال: المرءُ على ثلاثة أقسام: فالأولياء هم الذين باطنُهم يكون أحسنَ من ظاهرهم، والعلماء هم الذين ظاهرُهم وباطنُهم يكون سواء، والجهَّالُ هم الذين ظاهرهم أحسنُ من باطنهم، فلا يعطون الإنصاف، ويطلبون الإنصاف من الغير.

وأيضاً عنه، قال: ليس في الدنيا شيءٌ أَسمجَ من محبٌّ لسببٍ وعِوض[2].

* * *

---

(١) في (ص): أعظم.

(٢) في المطبوع الفارسي: وغرض.

(٢٨١) بُندار الشيرازي(*)

بندار بن الحسين بن محمد بن المهلب الشيرازي رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، كنيته أبو الحسين، وكان من أهل شيراز، وجلس في بارْجان[١]، وتربيته هناك.

وكان عالماً بأصول الدين، وله لسانٌ حسن في علوم الحقائق.

وكان تلميذ الشبلي، وصحب جعفر الحذاء، وكان الشبلي يعظِّمُ قدره، وكان أستاذَ أبي عبد الله بن الخفيف، وكان بينهما مفاوضات في المسائل.

توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة، في السنة التي مات فيها أبو علي بن الكاتب، وغسَّله الشيخُ أبو زرعة الطبري.

وقال بندار: لا يكون من الأدب أن يسألَ من صاحبه: من أين؟ وبأيِّ شغل كنتَ مشغولاً؟

وسألوه: ما التصوف؟ قال: الوفاء بالعهد.

قال شيخ الإسلام: الوفاء بالعهد هو الذي ما خطر في بالك أن أفعل لفلان كذا فيفعل. قال ذو همَّةٍ لصوفي: ما الفرقُ بيني وبينك، الذي أقول أفعل، وأنت ما يَخطرُ في قلبك تفعل.

قال شيخ الإسلام: قال المشايخ: الخاطر الأول من الحق. قال الشيخ أبو الحسن بن الجهضم الهمذاني: قال بندار الأرجاني: إذا أعطى الله تعالى لعبد من العباد من المعرفة فذلك العبد لا يعمل بموجبه، فالله تعالى لا يأخذ

(*) طبقات الصوفية ٤٦٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٤، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٦، مناقب الأبرار ٢٠٤/أ، المنتظم ٧/ ٢٢، المختار من مناقب الأخيار ٨٩/أ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٠٨، طبقات الشافعية ٣/ ٢٢٤، الوافي بالوفيات ١٠/ ٢٩٢، طبقات الأولياء ١٢٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢١، الكواكب الدرية ٢/ ٦٢.

(١) بارجان: قرية من أعمال أصبهان. انظر معجم البلدان.

عنه تلك المعرفة للحجَّةِ يوم الحساب، لكن يسدُّ عنه باب الترقي[1].

قال شيخ الإسلام: من لم يكن في ترقٍّ[2] فهو في النقص، وهذا أصعبُ العقوبة لهؤلاء القوم.

وأيضاً قال: **من لم يترك[3] الكلَّ رسماً في جنب الحقِّ، لا يحصل له الكل حقيقةً، وهو الحقُّ سبحانه.**

* * *

(٢٨٢) أبو عمرو بن نجيد[*]

أبو عمرو بن نجيد قدس الله سره، من الطبقة الخامسة، اسمه إسماعيل بن نُجيد بن أحمد السلمي، جدُّ الشيخ [أبي] عبد الرحمن السلمي من جانب الأم.

وكان من كبار أصحاب أبي عثمان الحِيري، وآخر من مات منهم.

توفي سنة ستٍّ أو خمس وستين وثلاث مئة.

ورأى الجُنيد، وكان من كبار مشايخ وقته، وله طريقٌ خاصٌّ في حفظ الوقت، وتلبيس الحال، وكان ثقةً في الحديث، ومكثراً فيه.

طلب أبو عثمان لثغور المسلمين شيئاً فما أعطوه، فتضايق قلبه، وبكى في المجلس، فلمَّا دخل الليل جاءه أبو عمرو ومعه ألفي درهم، وقال: اصرف

---

(١) في (ب): باب التوقي.

(٢) في (ح) و(ب): في شرف.

(٣) في (ح): من لم يرث.

(*) طبقات الصوفية ٤٥٤، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٢، الإكمال ١/ ١٨٨، مناقب الأبرار ٢٠٠/ب، الأنساب ٧/ ١١٢، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/ ٤٣٠، المنتظم ٧/ ٨٤، المختار من مناقب الأخيار ٧٥/أ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦، العبر ٢/ ٣٣٦، دول الإسلام ١/ ٢٢٦، طبقات السبكي ٣/ ٢٢٢، الوافي بالوفيات ٩/ ٢٣١، البداية والنهاية ١١/ ٢٨٨، طبقات الأولياء ١٠٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٧، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٢/ ٥٥، شذرات الذهب ٣/ ٥٠، الرسالة المستطرفة ٨٧.

هذه الدراهم لما تشاء. فحصل به البَسطُ، ودعا له بالخير، فلمَّا أصبح أبو عثمان، وجلس في المجلس شكر أبا عمرو، فقال: أيُّها المؤمنون، حصل لي رجاء من استعداد أبي عمرو، لأنه أعطاني البارحة ألفين[1] درهم لجهة ثغر المسلمين، جزاه الله خيراً. فقام أبو عثمان، وقال في المجلس عند الناس: يا شيخ، هذه الدراهم كانت لأمي، وهي لا ترضى به، فردَّها إليَّ. فأعطاه الشيخ صُرَّته، فلمَّا دخل الليل جاء أبو عمرو وقال: يا شيخ، اصرف هذه الدراهم، حتى لا يعرف أحد. وأعطاه تلك الدراهم، فبكى أبو عثمان.

وقال أبو عثمان: **ربَّ سكوتٍ أبلغُ من كلام.**

وأيضاً عنه، قال: **من كرمت عليه نفسه، هان عليه دينه.**

وأيضاً عنه، قال: **تربية الإحسان خيرٌ من الإحسان.**

وسألوه: ما بدُّ للناس[2]؟ قال: **ملازمة العبودية على السُّنة، ودوام المراقبة.**

وأيضاً عنه قال: **الأنسُ بغير الله تعالى وحشة.**

* * *

(٢٨٣) عبد الله الرازي الشعراني[*]

عبد الله بن محمد بن عبد الرَّحمن الرَّازي الشعراني رحمه الله، من الطبقة الخامسة، وكنيته أبو محمد، وأصله من الرَّيِّ، وكان في نيسابور.

صحبَ: الجُنيد، وأبا عثمان، ومحمد بن الفضل، ورُويماً، وسمنون، وأبا علي الجرجاني، ومحمد بن حامد، وغيرهم من كبار المشايخ.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) في (ف): ما بدُّ الناس؟.

(*) طبقات الصوفية ٤٥١، الرسالة القشيرية ١/ ١٨١، مناقب الأبرار ٢٠٠/أ، المختار من مناقب الأخيار ٢٧٢/أ، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٦٥، طبقات الأولياء ١٣٩، طبقات الشعراني ١/ ١١٩، الكواكب الدرية ٢/ ١٠٨.

وكان من كبار أصحاب أبي عثمان، وأبو عثمان يعظِّمُهُ.

وله رياضات عجيبة، وكان عالماً بعلوم هذه الطائفة، ومحدِّثاً، وثقة في الحديث.

توفي في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة.

وقال عبد الله: العارف لا يعبد الله على مُوافقة الخلق؛ لأن أفعاله على موافقة الخالق.

وأيضاً عنه، قال: المعرفة تقطع الحجابَ بين الله وبين عبده.

وقال أيضاً: الدنيا تحجبُكَ[1] عن الله.

وأيضاً عنه، قال: الشكاية، وضيقُ القلب تتولَّدُ من قلَّةِ المعرفة.

* * *

(٢٨٤) أبو الحسين السِّيرواني[*]

أبو الحسين السِّيرواني قدس الله سره، اسمه علي بن محمد السِّيرواني، كان أستاذَ أبي الحسين السِّيرواني الصغير، وكان من سِيْرَوان المغرب، وكان كبير الشأن، وجلس في دمياط.

وذكره الشيخ أبو سعد الماليني في «أربعينات المشايخ»[٢]، قال: قال أبو الحسين السيرواني الكبير: قال سهل بن عبد الله التُّستري: **كلٌّ من لم يكن لحركته وسكونه إمامٌ يَقتدي به في ظاهره، ثم يرجع إلى باطنه، قطع به.**

---

(١) في (ب): الدنيا التي تحجبك.

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ١٨٢.

(٢) الأربعين في شيوخ الصوفية ١٨٣.

وأيضاً عنه قال: الرضا فوق الموافقة مع ما يبدو من الغيب.

طلب الوصية من الخوَّاص. قال: الزم الفقراء؛ فإن الخيرَ فيهم.

* * *

(٢٨٥) أبو الحسين القرافي(*)

أبو الحسين القرافي رحمه الله، اسمه علي بن عثمان بن نصر القَرَافي ـ والقَرَافة(١) قريةٌ من مصر، وقيل كان من دِمياط ـ ومن تلامذة أبي الخير التيناتي، وأبي الحسن الصائغ الدينوري، وكان عمره إلى عشرة ومئة سنة، وتوفي في سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة(٢).

قال شيخ الإسلام: القَرَافي كان وحيدَ الدنيا في وقته، وما كان له نظير، وكان حادَّ البصر، وحاضرَ الوقت، وكان مع العوام سنياً، ومع الخواص عارفاً، وفي نفسه موحداً وفاقداً نفسه وما كان له أثر(٣).

قال شيخ الإسلام: في آخر عمره اختار من المشايخ المتأخرين عشرةً: الشيخ أبو الخير التيناتي، والقرافي، والحصري، وعلي بن بندار الصيرفي، والنصراباذي، والسيرواني الصغير، والنهاوندي، والقصاب، والخرقاني، والطاقي، وقال: هؤلاء أعلى المشايخ درجةً.

وكان القرافي احتسب في السفينة، فربطوا رجليه ويديه، ورموه في البحر، فلمَّا حضرَ وقتُ الصلاة رأوه في الصفِّ الأول واقفاً، وما ابتلَّ ثوبُهُ.

قال شيخ الإسلام: من أحياه الله لا يقدر أحدٌ أن يقتله؛ لأنَّه حيٌّ بروح أُخرى.

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ٢١٤ (أبو الحسن)، إكمال الإكمال لابن نقطة ٤/ ٤٢٠.

(١) القرافة: خطة بالفسطاط من مصر، وهي مقبرة أهل مصر، وبها أبنية جليلة، وقبر الإمام الشافعي، وهي من نزه أهل القاهرة ومتفرجاتهم. انظر معجم البلدان.

(٢) في (ح) و(ب): سنة ثمانين وثلاث مئة.

(٣) قوله: وما كان له أثر ليست في (ب).

قال شيخ الإسلام: قال سيِّدُ السادات القرافي: إذا أُعطيتَ شيئاً بخلاف الشريعة فيجب عليك إخفاؤه.

* * *

(٢٨٦) أبو سليمان النيلي(*)

أبو سليمان النِّيلي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: جاء أبو سليمان النيلي إلى القَرَافي، وقبَّلَ رأسَه، وكان ثوبُه خلقاً متقطِّعاً، فنظر إليه القرافي، وقال: يا أبا سليمان، ثوبُك خلق، وأُبصرُ بين حاجبيك حكومةً، وتحت رأسك آجرتين، وأنت حاكمٌ بينهما. فبعد التصوف تولّى في بلادِ المغرب.

جاء أبو بكر الدُّقّي عند القَرافي[١]، فقال القرافي له: يا أبا بكر، النَّاسُ يقولون لك أنتَ مُجرَّدٌ في زماننا، لكن أنا أبصرك جالساً بين مهدين. فبعد زمان قليل تزوَّجَ أبو بكر، فحصل له ولدان، وجلس بين المهدين، وكان يذكر كلام القرافي. وكان للقرافي فراسةٌ عجيبةٌ.

* * *

(٢٨٧) أبو سليمان الخواص المغربي(**)

أبو سليمان الخواص المغربي رحمة الله عليه، كان من هذه الطائفة، ومن مشايخ المغرب، وهو الذي كان يمشي في الهيجاء، وكان راكباً على الحمار، فقرص الذباب حماره، فافتجع الحمار، ووقعت رجله على شجر الأثل[٢]،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): فإن أبا بكر الدقي جاء عند القرافي.

(**) الرسالة القشيرية ٢١٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٤٥٩.

(٢) الأثل: شجر جيد الخشب، تسوى به الأقداح الصفر الجياد، ومنه تسوى الأبواب، =

فضربَ سوطاً على رأس الحمار، فحوَّلَ الحمارُ رأسه، وقال بلسانٍ فصيح: اضرب، تُضرب على رأسك.

وهو من أقران أبي الخير، مات بدمشق.

* * *

(٢٨٨) أبو القاسم النَّصراباذي(*)

أبو القاسم النَّصراباذي قدس الله سره، من الطبقة الخامسة، اسمه إبراهيم بن محمد بن مَحْمَويه، وكان مولده، ومقامه في نيسابور.

وكان من أهل الإشارة والحقائق، وله لسان في التصوف، وكان في زمانه عالماً بأنواع العلوم من: حفظ السنن، وعلم التواريخ، وكان مختصًا بعلوم الحقائق.

وكان من تلامذة إبراهيم الشيباني، ورأى الشبلي، والواسطي، وصحب أبا علي الرُّوذباري، والمرتعش، وأبا بكر طاهر الأبهري، وغيرهم.

وفي آخر العمر عزمَ إلى مكَّةَ، فاستقبله أبو عثمان المغربي، فقال بطيبة النفس: إن مكَّةَ لا تكون مكانك. فقال: بل لا تكون مكانك، بل مكاني. فبعد مرورِ زمان وقع سببٌ حتى خرجَ أبو عثمان من مكَّةَ، وذهب إلى نيسابور، ومات بها، فأقام النَّصراباذي بمكة، ومات بها في سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة.

= ورقه عبل، وقيل: هَدَبٌ طوال دقاق، وليس له شوك، ومن الأثل اتخذ منبر رسول الله ﷺ. انظر اللسان.

(*) طبقات الصوفية ٤٨٤، تاريخ بغداد ٦/ ١٦٩، الرسالة القشيرية ١/ ١٩٣، مناقب الأبرار ٢٠٨/ب، الأنساب ١٢/ ٨٩، المنتظم ٧/ ٨٩، المختار من مناقب الأخيار ٥٣/أ، مختصر تاريخ دمشق ٤/ ١٠٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٦٣، دول الإسلام ١/ ٢٢٧، العبر ٢/ ٣٤٣، الوافي بالوفيات ٦/ ١١٧، مرآة الجنان ٢/ ٣٨٧، طبقات الأولياء ٢٦، العقد الثمين ٣/ ٢٣٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٢٩، طبقات الشعراني ١/ ١٢٢، الكواكب الدرية ٢/ ١٣، شذرات الذهب ٣/ ٥٨.

قال شيخ الإسلام: قال إسماعيل ولد النَّصراباذي: قال النصراباذي لي: **إذا بدا لك شيءٌ من بوادي الحقِّ، فلا تلتفتْ بها إلى جنَّةٍ ولا إلى نارٍ، ولا تخطرْهما ببالك، وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظِّمْ ما عظمه الله تعالى.**

وأيضاً عنه، قال: **الراغب في العطاء لا مقدار له، والراغب في المعطي عزيز.**

* * *

(٢٨٩) أبو بكر الرازي البجلي(*)

أبو بكر الرازي البجلي رحمه الله تعالى، اسمه محمد بن عبد الله الرازي، كان في نيسابور، وكان من كبار مشايخ خراسان، وكان مرزوقاً من لقاء المشايخ.

وكان أستاذَ أبي عبد الرحمن السلمي، وصنف السُّلميُّ كتابَ «التاريخ»[1] لأجل ذكره.

وكان من تلامذة أبي بكر البيكندي.

قال شيخ الإسلام: كان له ودٌّ عظيم، وقبولٌ في نيسابور، فابتليَ بأمردَ، فاتَّهموه، وهجروه، فلمَّا تُحقِّقَ كان خلافَ ذلك، ثم حصلَ له القبول مرَّةً أخرى.

(*) طبقات الصوفية (انظر الفهرس)، تاريخ بغداد ٥/ ٤٦٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٨٥، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٦٤، العبر ٣/ ٣، الوافي بالوفيات ٣/ ٣٠٨، لسان الميزان ٥/ ٢٣٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٥٠، شذرات الذهب ٣/ ٨٧. وانظر الترجمة رقم (٢٣٨).

(١) ألف أبو عبد الرحمن السلمي كتابين في التاريخ:

١ـ تاريخ أهل الصفة: كسره على أهل الصفة، وذكر فيه فضائلهم وأسماءهم، نقل عنه أبو نعيم في حلية الأولياء. انظر ٨/ ٢٥.

٢ـ تاريخ الصوفية: ألفه قبل كتابه «طبقات الصوفية»، وكثيراً ما ينقل عنه الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد».

وكان يوماً جالساً في الجامع، فقال له علي[1] بن بندار الصيرفي: يا أيُّها الشيخ، ما كان هذا الواقع؟ ومن أين وقع عليك؟ فقال: أيُّها الشيخ، إذا أَعطى اللهُ أحداً عزمَ إبراهيم، وصدقَ موسى، وعصمةَ عيسى، وهمَّةَ وصبر أحمد العربي صلوات الله عليهم أجمعين، وهبَّتْ ريحُ الفتنة، ولم يكن محفوظاً ما نفعه ذلك.

قال شيخ الإسلام: سألَ واحدٌ أبا بكر الرازي: ما تقولُ في السَّماعِ؟ فقال: هو مُختلطٌ بالفتنةِ، والحذرُ من الفتنة أَولى. فقال: ما سمعه المشايخ؟ قال: يا مُحبِّي، إذا حصلَ لك وقتٌ مثل وقتهم فاسمع كما سمعوا.

* * *

(٢٩٠) أبو بكر فاليزبان[*]

أبو بكر فاليزبان[2] رحمه الله، كان من بُخارى، وكان شأنُه عظيماً، ورأى الجُنيد، وطالَ عمره.

قال شيخ الإسلام: قال لي الشيخ عمو: ذهبتُ إلى بخارى في سنة سبعين وثلاث مئة لزيارة الشيخ أبي بكر فاليزبان، فدخلتُ عليه، وكان لبيته بابٌ واحد، فسلَّمتُ عليه، فأجلسني، وأحضر سفرةً كان فيها خبزٌ وجوز وملح، وكنتُ جائعاً، فمدّيتُ يدي إلى الطعام لآكله، وفي أثناء أكلِ الطعام نظرتُ إليه وهو يبكي، فمسكتُ يدي، فقال لي: كُلْ، لأنَّ بُكائي من السُّرور والراحة، لأنَّه قال لي الجُنيد: يكون زماناً لو تكلَّمَ أحدٌ بهذا الكلام في خلوةٍ، وفي جنبه صاحبُ خلوةٍ أُخرى لا يسمعُ ذلك الكلام، ولا يَجيءُ إليه لسماعه، فأنا أحمدُ الله تعالى أنه إلى الآن يَجيءُ واحدٌ من هَراة إلى بُخارى لطلبِ هذا الأمر، فهذا الزَّمنُ أَحسنُ.

* * *

---

(١) في الأصل: أبو علي.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في (ص): فاليزبان.

(٢٩١) أبو الحسن الحُصْري (*)

أبو الحسن الحُصْري رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، اسمه علي بن إبراهيم البصري، وكان بصريَّ الأصل، وأقام في بغداد، وكان شيخ العراق.

قال السُّلمي: ما رأيتُ أحداً أحسنَ حالاً، ولا أفصحَ لساناً، ولا أعذبَ كلاماً منه.

وكان لسانَ وقته، ووحيدَ مشايخ زمانه، ومَخصوصاً بعلم التوحيد، وما تكلَّمَ أحدٌ في التوحيد والتفريد مثله. وكان حنبليَّ المذهب.

قال شيخ الإسلام: كان من تلامذة الشبلي، وما كان للشبلي غيره، لأن مُستمعين الكلام كانوا كثيرين، لكنه هو وارثُ مِيراث الشبلي، وما كان للحُصْري أستاذٌ غيرَ الشبلي، وكان الشبليُّ أقوى حالاً منه، وكان يقول له: أنت مجنون مثلي، بيني وبينك تأليف أزلي.

والحصْري، وأبو عبد الله بن الخفيف مُتساويان، أما ابن الخفيف فكان له آلات كثيرة، والحصْري كان بالباطن أقوى.

قال شيخ الإسلام: إن الشيخ عمّو ما رأى الحصْري.

وقال عمّو: أنا ما رأيت الحُصْري، ووصلت مكَّةَ في سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة، وكنت عازماً أني لما أرجع أزور الحُصْري وأبا عبد الله بن الخفيف، فتلك السنة جاء الخبر بموتهما؛ الحُصْري ببغداد، وأبو عبد الله بن الخفيف بشيراز.

توفي الحُصْري رحمه الله تعالى يوم الجمعة من شهر ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وثلاث مئة.

(*) طبقات الصوفية ٤٨٩، تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠، الرسالة القشيرية ١/ ١٩٥، مناقب الأبرار ٢١٠/أ، الأنساب ٤/ ١٥٢، المختار من مناقب الأخيار ٢٨٧/ب، طبقات الأولياء ٢١٣، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢٣، الكواكب الدرية ٢/ ١١٣. في الأصول: أبو الحسين، والمثبت من مصادر ترجمته.

ومن قوله: **الصوفي لا ينزعجُ في انزعاجه، ولا يقرُّ في قراره.**

ومن قوله أيضاً: **الصوفي الذي لا يوجد بعد عدمه، ولا يُعدم بعد وجوده.**

وأيضاً عنه قال: كنت في سَحَرٍ أُناجي وأدعو، فقلتُ في دُعائي: إلهي، أنتَ راضٍ عني، وأنا راضٍ عنك. فجاء النداء: يا كذّاب، إنْ كنتَ راضٍ عنّي لا تطلب رضائي!

وقيل له: أوصنا. فقال: **عليكم في أول الأمر بالانفراد، ثم تزورون المشايخ في المعارف، ثم تقفون على التفريد بإسقاط الحدثان.**

وأيضاً عنه قال: إذا ضاقت الأوقاتُ والأنفاسُ عليَّ، لا أستريح ولا أستطيب بشيءٍ إلاّ بتذكر الأنفاس الماضية التي مضت عليَّ وقتَ صفاءِ الأُنس والمودَّة بغير اختلاط الكدورات.

وقرأ هذا البيت:

إن دهراً يلفُّ شملي بسَلمى — لزمانٌ يهمُّ بالإحسان

* * *

(٢٩٢) أبو الحسين بن سمعون(*)

أبو الحسين بن سمعون رحمه الله تعالى، اسمه محمد بن أحمد بن إسماعيل بن سمعون، وكان يلقب بالناطق بالحكمة، وكان من مشايخ بغداد، وله لسانٌ حسن في هذا العلم، وكان يعظ الناس.

قال أبو بكر الأصفهاني خادمُ الشبلي: في يوم الجمعة في المسجد الجامع

(*) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤، الإكمال ٤/ ٣٦٢، طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥، تبيين كذب المفتري ٢٠٠، المنتظم ٧/ ١٩٨، صفة الصفوة ٢/ ٤٧١، المختار من مناقب الأخيار ٣٣٣/أ، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٤، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٥، العبر ٣/ ٣٦، مرآة الجنان ٢/ ٤٣٢، الوافي بالوفيات ٢/ ٥١، البداية والنهاية ١١/ ٣٢٣، توضيح المشتبه ٥/ ٣٦٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٨، الكواكب الدرية ٢/ ١٣٥، شذرات الذهب ٣/ ١٢٤.

كنتُ جالساً عند الشبلي، وكان أبو الحسين ابن سمعون صغيراً، وعلى رأسه كفية[1] مكلفة بغاية التكليف، فمرَّ وما سلَّمَ علينا، فنظر الشبلي إلى ظهره، وقال: يا أبا بكر، انتظر ما أودعَ الله في هذا الولد من خزانته.

قال رجل من هذه الطائفة: كنت في مجلس ابن سمعون، وكان واحدٌ من هذه الطائفة جالساً متصلاً بالمنبر، فغلبَ عليه النوم، فسكتَ ابن سمعون عن الوعظِ حتى أيقظه اللهُ تعالى من النوم، فقال ابن سمعون له: رأيت النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم. فقال ابن سمعون: كان سكوتي لأجل هذا حتى لا تحصل تفرقةٌ عمّا كنت فيه.

وقيل له: أنت تأمرُ الناسَ بترك الدنيا، وأنت تلبس أحسنَ الثيابِ، وتأكلُ أحسنَ الأطعمة، كيف يكون هذا؟ قال: إذا كان حالُكَ بالله تعالى فلا يتضرر بحسن الثياب ولا الطعام.

قال شيخ الإسلام: أنا لا أحبُّ أبا الحسين ابن سمعون؛ لأنه كان يؤذي أستاذي، الذي هو الحُصْري، ومن يؤذي أستاذك إن لم تترك حبَّه فالكلب أحسنُ منك.

قال شيخ الإسلام: ابنُ سمعون كان صاحبَ الكلام، والحصريُّ كان صاحبَ الألم.

ومن قول ابن سمعون: أيُّ كلامٍ كان خالياً عن الذكر فهو لغوٌ، وكلُّ سكوتٍ كان فارغاً عن الفكرة فهو سهو، وكلُّ نظرٍ كان خالياً عن العبرة فهو لهو.

توفي ابن سمعون سنة ستٍّ أو سبع وثمانين وثلاث مئة، فلمَّا مات دُفن في داره، ولمَّا أرادوا نقل بدنه إلى المقابر بعد سبعٍ وثلاثين[2] سنة، وجدوا كفنه كَما كفَّنوه، جديداً غير مستعمل، وهو كما دفن.

* * *

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها كوفية.

(٢) في (ب): بعد تسعٍ وثلاثين.

(٢٩٣) أبو نصر الخباز[*]

وصاحبه

(٢٩٤) أبو الحسن السوهان الأثرن[**]

أبو نصر الخباز، وأبو الحسن السوهان الأثرن ـ يعني من ينقش المبرد ـ رحمهما الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان من مشايخ كازركاه[1] اثنان، أقدمَ أحدهما الشيخ أبو النصر الخباز، كان رجلاً كبير الشأن، وكان جماعةٌ من تلامذة الخباز أرادوا الحجَّ، فوصلوا إلى الحُصْريِّ، فقال لهم الحُصْريُّ: أنشدوني شيئاً إن تقدروا. فأنشدَ واحدٌ منهم، فتغيّر حالُ الحُصْري، وقال في حالة السماع: مالكم طريقٌ في هذه السنة إلى مكة، ارجعوا. ثم قال: أنتم من تلامذة الخباز؟ قالوا: نعم. قال: خرجتم بلا دستوره، فارجعوا إليه، فمن رجع كان سالماً، ومن لم يرجع أحرقه السموم.

وكان شيخٌ آخر من كازركاه اسمه الشيخ أبو الحسن سوهان أثرن يجلس في المسجد الجامع.

قال شيخ الإسلام: قال لي واحدٌ من تلامذته: كان شيخي يسجدُ في آخر الليل من رمضان إلى الصبح، يتضرَّعُ ويبكي، ويقول: يا الله، الصوم الذي صمت لك، والحجُّ الذي حججت لك، والقرآنُ الذي قرأت لك، فتبْتُ منها كلِّها، فاغفر لي برحمتك وفضلك.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) كذا في الأصول، ولم أجدها في معجم البلدان. ولعلها كازياركاه: جبل وقرية في هراة، فيها مقبرة.

(٢٩٥) أحمد الحَرَّاني(*)

الشيخ أحمد الحرَّاني رحمه الله، هو الذي جاورَ في مكَّة ثلاثين يوماً وليلة، ولم يأكل شيئاً وخرج على الرِّيق.

قال الشيخ أحمد: قال أبو الحسن المعمّر: كنتُ جالساً عند الحُصْري، فقال له رجل: أوصني. قال: افرد همَّتك. وكان جهمُ الرقي رحمه الله حاضراً، فقال: يا شيخ، أبعدته. فقال له الحُصْريُّ: **أكيلُ له كما كالوا عليّ.**

* * *

(٢٩٦) جهم الرَّقِّي(**)

جهم الرَّقِّي رحمه الله، هو من متأخري الفتيان والمشايخ، وكان من الفقراء الصادقين، وكان مشتهراً بالسماع، والهاً فيه، مات بين السجدتين.

قال شيخ الإسلام: كان جهمُ الرَّقِّي يوماً في الحمام، فخرج من الحمام، وقال لمن كان في الحمام: اخرجوا كلُّكم. فلمَّا خرجوا كلُّهم، انهدمَ الحمام.

وهو الذي كان يوماً عنده رجل، فقام في السماع بالتكلف، فقامَ الشيخ حطَّ رأسَه بين فخذيه، ورفعه، وضرب به من جدار إلى جدار آخر حتى زالَ شعورُه.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢٩٧) أبو الحسن الأُرْمَوي(*)

أبو الحسن الأُرْمَوي رحمه الله تعالى، كان من كبراء هذه الطائفة، وكان في أيام الحُصْري، وأبي عبد الله الرُّوذباري، وابن الخفيف، وكان في مدينة أُرمي[1]، وقبرُه فيها.

وسئل: ما الوفاء؟ قال: هو إذا خرجتَ عن شيءٍ فلا ترجع إليه. قالوا: هذا للعوام، فما للخواص؟ قال: هو أن تعرف لِمَ جئتَ في هذه الدار.

* * *

(٢٩٨) أبو عبد الله بن الخفيف الشيرازي(**)

أبو عبد الله بن الخفيف الشيرازي من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن الخفيف بن اسْفكْشاد الضبّي، كان في شيراز، وأُمُّه من نيسابور، وكان شيخَ المشايخ في وقته.

وهو من تلامذة الشيخ أبي طالب الخزرجي البغدادي.

ورأى رُويماً، وصحب الكتاني، ويوسفَ بن الحسين الرازي، وأبا

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) أرمي: كذا في الأصول. وفي معجم البلدان: أُرْمِيَة مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان.

(**) طبقات الصوفية ٤٦٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥، الرسالة القشرية ١/ ١٨٤، مناقب الأبرار ٢٠١/ب، الأنساب ٧/ ٤٥١، تبيين كذب المفتري ١٩٠، المنتظم ٧/ ١١٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٤٤/ب، معجم البلدان ٣/ ٣٨١، اللباب ٢/ ٢٢٢، طبقات الشافعية لابن الصلاح ١/ ١٥٤، مختصر تاريخ دمشق ٢٢/ ١٤٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣٤٢، العبر ٢/ ٣٦٠، دول الإسلام ١/ ١٧٨، الوافي بالوفيات ٣/ ٤٢، طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ١٤٩، طبقات الشافعية للإسنوي ١/ ٤٧٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، طبقات الأولياء ٢٩٠، النجوم الزاهرة ٤/ ١٤١، طبقات الشعراني ١/ ١٢٠، الكواكب الدرية ٢/ ١٤٠، شذرات الذهب ٣/ ٧٦، هدية العارفين ٢/ ٤٦.

الحسين[1] المالكي، وأبا الحسن المزين، وأبا الحسين الدّراج، وطاهر المقدسي، وأبا عمرو الدمشقي، وغيرهم.

وكان مرزوقاً من المشايخ.

وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق.

قال شيخ الإسلام: ما كان لأحدٍ مُصنَّفات في هذا العلم مثله، وله سيرةٌ حسنة، واعتقاد ظاهر، وكان شافعيَّ المذهب، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة.

قال شيخ الإسلام: أحفظ منه كلامين، ينبغي أن أذكرهما؛ سألوه: ما التَّصوفُ؟ قال: **وجود الله في حين الغفلة**. وثانيهما: سألوه عن الشيخ عبد الرحيم الإِصْطَخْري: لِمَ يدخلُ الصحراء مع الكلاب، ويلبسُ القباء؟ فقال: **يتخفَّفُ من ثقل ما عليه**.

قال شيخ الإسلام: معناه ما كان اللَّذَّةُ في الوجود، بل في الوجود دهشة وصدمة تسدُّ الحواس.

وأنشدنا لغيره[2]:

أُريدُ لأنسى ذِكرَها فكأنَّما ... تَمثَّلُ لي ليلى بكلِّ مكانِ

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: جاءتني امرأةٌ يوماً، فقالت: إنَّ امرأةً من نساء رؤساء نواحي نيسابور تَسألُكَ عن مسألةٍ، ولا تقدرُ أن تجيءَ بنفسها. قال الشيخُ: أنا أذهبُ إليها. فذهبتُ إليها، فقالت: وقعَ لي قصَّةٌ عجيبةٌ أنا في حيرةٍ منها، كان في قبيلتنا صبيٌّ لا يفطر في النهار، ولا يتكلَّم مع أحدٍ[3]، وكان يَرعى الغنمَ، فيخلّي الغنمَ جانباً، ويذهبُ إلى جانبٍ آخر، ويشتغلُ بالصلاة، فابتُلي بمرضٍ، فضربوا الخيمة في الصحراء لتمريضه، فيوماً جاءه رجالُ القبيلة، وتفرَّقوا من عنده، فرأيته طلع من الأرض، ودارَ في الهواء كما

---

(١) في (ب): أبا الحسن.

(٢) البيت لكثير عزة ديوانه ١٠٨، برواية . . . بكل سبيلِ.

(٣) في (ف): ولا يتكلم الكلام مع أحد.

تدور الرَّحى، فلمَّا رأته أمُّه مشتْ لتأخذه، وهو يطلع إلى فوق حتى غاب عنَّا، فأخبرنا رجالَ القبيلة بذلك، فانتشروا إلى الأودية والجبال، فما وجدوا أثره. قال الشيخ: كنتُ متأمّلاً ومتفكّراً، ففهمت تلك المرأةُ أنّي ما صدَّقتُ كلامَها، فقالت: أنت لم تصدّقني. فطلبتْ بعضَ نساء القبيلة، فكلُّهنَّ شهدن لها على ذلك، فكان الشيخ يوماً يحكي هذه الحكاية، فقال واحدٌ: **أيُّها الشيخ**، يمكن هذا. قال الشيخ: يا أبله، هنا من يكون منتظراً لهذا المعنى.

وقال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: جاء شابٌّ خراساني إلى شِيراز مع الحاجِّ، ومرضَ مرضاً شديداً، وكان عندي رجلٌ صالحٌ، وكانت له امرأةٌ صالحة، فأرسلتُ للمريض، وجئت به إلى بيت ذلك الصالح ليخدمه، فجاء ذلك الصالح يوماً متغيِّرَ اللون، وقال: **عظَّم الله أجرَكم**، مات ذلك الشابُّ المريض. فقلت: لم تغيَّر لونك؟ فقال: البارحةَ قال ذلك الشابُّ لي: **يا أيُّها الصالح**، كنْ حاضراً عندي؛ فأنا مالي إلا هذه الليلة. فقلت لامرأتي: أول الليل أنت تكوني حاضرةً عنده، ثم تُنبِّهيني، وارقدي أنت. فنبَّهتني امرأتي، وكنتُ حاضراً عنده إلى السحر، فغلب عليَّ النَّومُ، فسمعت صوتاً يقول: أنت تنام، والله نزلَ في دارك. فقمتُ وجميعُ أعضائي ترتعدُ، ثم رأيتُ نوراً عظيماً، وسمعتُ صوتاً وحركةً، وذلك الشاب في النزع، فغمضتُ عينيه، ومدّيت رجليه ويديه، فخرجتْ روحُه، فقلت لذلك الرجل: لا تقلْ لأحدٍ. فتوجَّهتُ إلى تجهيزه وكفنه.

* * *

(٢٩٩) أبو الخير المالكي(*)

أبو الخير المالكي رحمه الله تعالى، اسمه بندار بن يعقوب المالكي رحمه الله، كان من عُظماء المشايخ، وجمعَ أنواعَ العلوم.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٥٨، ١٧٠.

قال أبو عبد الله بن الخفيف: في أيام الشبة[1] كنتُ أصوم الوصال[2]، وأبيتُ في المسجد الجامع، ويَسرجون لي قنديلاً واحداً، فاتفق ليلةً أنَّه جاء المطرُ، وطفأ القنديل، فدقَّ واحدٌ باب المسجد، فخادمُ المسجد ما ردَّ الجواب، فضاقَ صدري، فذهبت إلى الباب، فرأيتُ أبا الخير المالكي واقفاً، فدخل المسجدَ، وقعد، وأخرجَ منديلاً كان فيه طعام، فقال: كل، فإنّي كنتُ عند أهلِ البيت، فأحضروا هذا الطعام، فما قبلَ طبعي أن آكلَه وحدي، وخاطري كان متعلّقاً بك. فما قدرتُ أن أُظهرَ صومَ الوصال عنده من هيبته وعظمته، فأكلتُ معه، فلمَّا فرغت من الطعام قلت: يا أيُّها الشيخ، لي سؤال. قال: سل. قلت: متى يَصفو العيشُ مع الله؟ قال: إذا رُفعتِ المُخالفة. فتعجَّبتُ من هذا الكلام، فذكرتُ ذلك الكلام عند بعضِ المشايخ، فأعجبهم هذا الكلام، فقالوا: نُريد أن نسمعه منه. فسألوه عنه، قال: ما يجري في الليل لا يذكر في النهار، وما أقرَّ به.

* * *

(٣٠٠) أبو بكر الشعراني(*)

أبو بكر الشعراني رحمه الله.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: ما رأيتُ زاهداً متخلّياً من الدنيا أصدقَ ظاهراً من أبي بكر الشعراني.

وقال أبو عبد الله بن الخفيف: عزمتُ يوماً لزيارته إلى إصْطَخْر، فدخلتُ عليه ليلاً، فقال: يا أبا عبد الله، ببركة صحبتك آكلُ الطعام الدَّسم هذه الليلة. فقام وركّبَ البُرمةَ[3] على الموقد، وحطَّ فيها ماءً، وملحاً، ولحماً قديداً، وفوَّرها، وكان شخصٌ في ذلك الرباط، فقال له: أعندك خبز؟ فجاء بكُسيرات

---

(١) كذا في الأصل ولعلها في أيام الشبيبة، أو الشباب.

(٢) صيام الوصال: هو ألا يفطر يومين أو أياماً. وقد نهى رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم. انظر النهاية (وصل).

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١١٨، ١٣٦.

(٣) البُرْمَة: القِدْر مطلقاً. النهاية (برم).

الخبز، فجعلها ثريداً، وحطَّ فوقها اللحم، وقال: كلْ. فأكلتُ الثريد، وقال لي: كُلِ اللحم. وأخذ قطعةً من اللحم، وأرادَ أن يلقّمني، فقلت: ما أريده. فقال: لعلّكَ تُريد الطعام الفلاني والفلاني؟ هو يتيسر غداً، أدخلُ المدينة وأَشتريه لأجلك. فصباحه دخلَ المدينة، فاجتمعَ الفقراءُ وأحضروا الطعام، فأخذتُ قليلاً منه، فوديت إليه، فقال: ما فعلتَ؟ قلت: إلى الآن ما أكلتُ شيئاً، والتمسُ منك أن تأكلَ الطعام معي[1]. فأكلنا الطعام، ثم ذهبَ إلى شيراز.

* * *

(٣٠١) أبو محمد العتايدي[*]

أبو محمد العتايدي رحمه الله تعالى، هو من جملة مشايخ أبي عبد الله بن الخفيف.

وقال ابن الخفيف: ما رأيتُ أحداً من الكاسبين يُراعي حقيقةَ الكسب كما ينبغي إلاّ أبا محمد العتايدي، كان كلَّ يوم يكسبُ نصفَ دانق[2]، وكان قوتُه منه، يشتري بحبَّتين نخالة، فيجعلها قرصين، يُفطرُ بواحدٍ، ويتصدَّق بواحد.

وأيضاً عنه، قال: يوماً دخلتُ عليه، وكان عنده كُرَّاسٌ من كتابٍ مقطوع، فقلت: ما هذا؟ قال: إن الفئران قطَّعوه، وأنا تعبان من الفأر؛ لأنها في الليالي تَدور على وجهي ورأسي. قلت: لِمَ لا تُسرجُ السِّراجَ؟ قال: اليوم أربعين سنة ما أَسرجتُ السِّراج، وأخاف من حسابه، لأنه يَنبغي لي شيءٌ حتى يتيسَّرَ السراج، وللكلِّ حساب.

* * *

---

(١) في (ب): الطعام مني.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥، ١١٨، ١٣٤، ١٤١، ٢٠٨.

(٢) الدانق: سدس الدرهم. القاموس (دنق).

(٣٠٢) جعفر الحذاء(*)

جعفر الحذَّاء قدس الله سره، كنيتُه أبو محمد.

صحب الجُنيد، ومن في طبقته.

وكان الشبلي يذكرُ مناقبه، ويقول بفضله.

ويُروى عن بُندار بن الحسين قال: ما رأيتُ أحداً أتمَّ حالاً من جعفر الحذاء، وهو عندي أفضلُ من الشبلي.

وقال بُندار: كان جعفرُ محتضراً، فدخل عليه واحدٌ بزيِّ الصوفية، قال الحذاء: خرَّبتْ هذه الطائفةُ بواطنَهم، وزيَّنوا ظواهرهم.

توفي سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة، وقبره في شيراز.

قال أبو عبد الله بن الخفيف: قال لي مؤمل الجصَّاص: اذهب عند جعفر الحذاء، وانظر ما حاله. فدخلت عليه، فرأيته جالساً على بساطٍ، والمخدَّات حواليه، وكان عليه ثوبٌ شيرازي، وكوفيَّةٌ على رأسه، وله دارٌ بغايةِ اللطافة، فسلَّمتُ عليه، وجلستُ عنده، فسألني وسألته، فدخل الحمَّالُ بحوائج الطبخ، فأردت أن أخرج، فقال: اقعد حتى آكل الطعام معك. فقلت: أنا صائم. فخرجتُ من عنده، فلمَّا وصلتُ مؤملاً قال: كيف رأيتَ جعفراً؟ فذكرتُ حاله كما رأيتُ، فرفع مؤملٌ يده، وقال: يا الله، سلِّمني وعافني. فبعد مرور وقتٍ قال مؤمل: اذهب عند الحذَّاء، وانظر حاله. فدخلتُ داره، فسألتُ عن الحذّاء، قالوا: داخلَ[1] هذا البيت، وله اليوم ثلاثة أيام ما أكل شيئاً، وما شربَ. فدخلتُ عليه، فرأيته واضعاً جبهته على التُّراب، وعليه ثوبٌ مقطَّع، فسلَّمتُ عليه، فرفعَ رأسه، وجميعُ أطراف وجهه مبلولةٌ من الدموع، فقال: يا أبا عبد الله، كيف تراني؟ فرفقت به، وتلطَّفت، فسكن قلقه، فقال

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٤١، ١٤٣ وانظر الفهرس. شد الإزار ٢٢٥.

(١) في (ب): دخل.

أهلُ بيته: بالله أطعمه الطعام، فبالغت عليه حتى أكلَ قليلاً من السَّويق، فلمَّا رجعتُ عند مؤمل ذكرتُ حاله، فقال: لو كانتْ تلك النعمة متأخرةً ما ابتُلي بهذه البلية.

* * *

(٣٠٣) هشام بن عبدان(*)

هشام بن عبدان رحمه الله، كنيته أبو محمد.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: كان هشام بن عبدان إذا قام في الصلاة يحصلُ له حالٌ ووجد، فيدور في المحراب إلى اليمين والشمال، ويقرأُ القرآن.

وكان في بعض الأوقات تجتمع اليهود والنصارى والمجوس تنظرُ حُسنَ صلاته.

وكان له غنمٌ يرعاها بنفسه، وكان قوته لبنَها، فغلبَ عليه النومُ يوماً، فلمّا انتبه رأى الغنمَ تَرعى زراعةَ واحدٍ، فودَّاها إلى صاحبِ الزرع، وقال: غنمي أكلتْ زرعَك فخذْها. وقال: أنا سامحتك. فقال: مالي حاجةٌ. فبالغ فيه، فما قبلَ، فتركها وذهب.

قال أبو عبد الله بن الخفيف: كنت حاضراً في دعوة مع هشام، فجاءَ صاحبُ البيت بصحن حلوى، فأكله، فقلت: أعطني نصيبي. فقال: مالي الأذن أن أعطيك. فما أعطاني شيئاً، فخطفتُ من عنده، وأكلت، وحصل له دهشةٌ وحيرة، حتى تركَ الصلاة سنةً كاملةً، ونسبه النَّاسُ بذلك إلى الكفر، وانتشر خبرُه لأهل مسجد الجامع، فجاؤوا يوماً كلُّهم عنده، وابنُ سعدان المحدّثُ أيضاً كان معهم، فقال ابن سعدان له: أتعرفني؟ فقال: نعم، أنتَ ابنُ سعدان. فقال: لِمَ لا تُصلي الصلاة؟ فقال: لي عذرٌ يمنعُ من الصلاة. قال ابن

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٤٤، ١٤٧.

سعدان: ما هو؟ فسكتَ وما ردَّ الجواب. وسُئل أبو عبد الله بن الخفيف عن سبب تركه للصلاة، فقال: كُشفَ له الغطاء، وطالعَ أمورَ الغيب على الدوام، فصار متحيِّراً، فمنع من إعمال الظواهر.

واجتمع المشايخُ في مسجد الجامع يوماً من الأيام، وطلبوا هشاماً، وقالوا: سمعنا أنَّكَ قائلٌ بالمشاهدة، ومن يكون قائلها يجب عليه التعزيرُ إن لم يتب. فقال هشام: لقِّنوني التوبة. فلقَّنوه التوبة، وتاب. فجاء هشام اليومَ الثاني عند المشايخ، ووقفَ، وقال: اشهدوا عليَّ أني تبتُ من توبةِ الأمس. فقام المشايخ، وجرُّوا برجله، وأخرجوه من المسجد.

* * *

(٣٠٤) أبو محرز(*)

أبو محرز رحمه الله، كان من نواحي شيراز، ومن أصحاب ذي النون المصري.

قال أبو عبد الله بن الخفيف: قال أبو محرز: عزمت من نيسابور إلى شيراز، ووقع لي المرافقة بقائد السلطان وأتباعه، فلمَّا وقفتُ على أفعالهم وأقوالهم حصلَ لي الإنكارُ عليهم في سرِّي، فاتخذتهم[(١)] عدواً، وأردت أن أفارقَهم، فسمعتُ صوتَ المُنادي يقول: فُقِدَ حزامُ الذَّهبِ من قائد السلطان. فحلف القائد أن تفتَّشَ جميعُ القافلة كلهم، ففتَّشوا أهلَ القافلة كلَّهم. فقالوا للقائد: فتَّشنا كلَّ واحدٍ من القافلة إلاّ هذا الشيخ، ومثلُه كيف يُتَّهم؟ فقال القائد: أنا حلفت، فلا بدَّ لي أن أُفتِّشه. فرفعوا مرقعتي، فشافوا الحزامَ عليَّ. فقلت: واللهِ، مالي خبرٌ من هذا. فقال القائد: هذا أكثرُ من السرقة. فقال: ما أفعل به؟ فقالوا: افعل كذا وكذا. فقال القائد: لا، أجلسوه في أول

(*) حلية الأولياء ١٠/١٣٨، ١٥٨، سيرة عبد الله بن خفيف ١٤٣، ١٤٧، ١٤٩، الطبقات الصغرى للمناوي ١٨١.

(١) في (ص): فاتخذتهما.

القافلة، فمن يمرُّ عليه يلعنُهُ ويزجره، ثم خلّوه، ولا ترافقوه. فهجروه.

وقصَّةُ تطهير الخلاء[1]، واجتماعِ أبي حفص بأبي مُزاحم، وما مضى في مقامات الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف، نسبوه إلى الشيخ أبي محرز، لا لأبي مُزاحم، والله أعلم.

* * *

(٣٠٥) عبد الرحيم الإصطخري(*)

عبد الرحيم الإصْطخري رحمه الله، كنيته أبو عمرو، وسافر إلى الحجاز، والعراق، والشام.

وصحب رويماً، ورأى سهلَ بن عبد الله التُّستري.

وكان طريقه السترَ، وإظهار الشَّطارة، يلبس لباس الشَّاطر، ويخرجُ للصيد بالكلاب، ويلعب بالحمام.

قال أبو عبد الله بن الخفيف: لمَّا دخلتُ على رُويم، سأل عن أحوال عبد الرحيم الإصطخري، فقلت: مات في هذه السنة. فقال: يرحمه الله، صحبتُ قوماً في جبل لُكام، فما رأيت أحداً أصبرَ منه.

ويقال: يوماً خرجَ للصيد، فذهبتُ في أثره خفيةً، فلمَّا وصلَ الجبلَ أطلقَ الكلاب، ولبسَ درعه التي كانت معه، فوقفَ على رجله، واشتغلَ بذكر الله تعالى، فخرج صوتٌ من شِعب الجبل، فحسبتُ أنَّه لا يكون حجرٌ ولا شجر ولا حيوان إلاّ أن يذكر الله بموافقته.

وقيل: كان في بيته جلدُ بقرةٍ مع القرون، فإذا كان أيام الصيف يأخذُ قَرنها، ويجرُّه إلى صحن الدار، وإذا كان الشتاء يجرُّه في البيت.

قال جعفر الحذاء: ذهبتُ إلى إصْطَخر لزيارة عبد الرحيم، فلمَّا وافيتُ بابَ داره رأيتُها خراباً، فدخلت، فرأيتُه في زاوية البيت جالساً، وعليه خرقةٌ عتيقةٌ،

---

(١) انظر الصفحة ٩٠.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٤٩، ١٥٣ وانظر الفهرس، شد الإزار ٥٠.

وهو مبتلىً ببلاء، فتحيَّرتُ، فترحّمت عليه، فقال لي: مالك ؟ قلت: ويحك، الآن تموت. فقام فزعاً، ونزل من الدار، وكان هناك حجرٌ عظيم، فرفعه فوق السطح، وقال: قم يا قوي، أنزل هذا الحجر من السطح. فعجبتُ، فقال: لي اليوم سبعةَ عشرَ يوماً ما أكلتُ شيئاً، اذهب إلى السوق واشتر ما تُريد؛ عسى أن يحصلَ لي الاشتهاء، وآكل معك. فذهبتُ إلى السوق، فما وجدتُهُ في السوق اشتريته، وجئت به، فوضعته بين يديه، فنظرَ إليه، وقال: اقعد وكل، لعلَّ تحصل لي الرغبة. فقعدتُ وأكلت، وكان فيه بطيخ أصفر، فقطعته، فقال: أعطني منه شيئاً. فأعطيته، فحطَّ في فمه، فلم يقدر أن يبلعه، فرماه، فقال: شيلوه، الباب مسدود.

ويقال: حصل له من ميراث أبيه عشرون ألف درهم، كلُّها كانت[1] في ذمَّة جماعة، فناداهم، وقال لهم: أعطوني عشرة آلاف، وأنتم في حلٍّ من عشرة آلاف. فأعطوه، فجعلها في مخلاة، فحصل له وسواس، مرة يقول: أتَّجرُ به، وربحه أتصدَّقُ به على الفقراء. ومرّة يقول: أحطُّه في مخزن، وكلَّ يومٍ أنفقه على قدر الحاجة. فقام في نصف الليل، وطلع السَّطح، وأخذ معه ذلك المخلاة، فصار يأخذ منه كفاً ويرميه إلى هذا الجانب، وكفاً إلى جانب آخر حتى فرَّغَ مخلاته كلَّها، فلمَّا طلعَ الصبحُ قال الجيران: كأن البارحة أمطرت الدراهم؟ ثم نفضَ المخلاة، فخرج منها نصف درهم، فقال لأصحابه: أُبشّركم، أعطاني الله ثمنَ الخبز والباقلاء. فقالوا: انظروا إلى هذا المجنون، بذّرَ البارحة[2] عشرة آلاف درهم، واليوم يَفرحُ بنصف درهم.

ذهب الشيخ عبد الرحيم إلى عبّادان مرة، وأقامَ بها أحد وعشرين[3] يوماً، وما أكلَ شيئاً في هذه الأيام، فأهلُ عبادان صاروا معتقدين[4] ومشغوفين به، فلمّا رأى اعتقادَهم عزم إلى سهل التُّستري، وقال له: أنا ضيفُك. فقال سهل:

---

(١) في (ب): لكنها كانت.

(٢) في (ب): بدل البارحة.

(٣) كذا في الأصل.

(٤) في (ب): متقيدين.

كيفَ أفعل ؟ قال: اطبخِ السُّكْباج[1]. فقال سهل: كيف أفعل، أصحابي لا يأكلون اللحم ؟ فقال: لا أعلم، ينبغي لي سكباج. قال سهل لخادمه: اطبخ سكباجاً. فلمَّا طبخ السكباج قال: هاتوا البُرمة. فلمَّا أحضروا البُرمة[2] سأل سائل: أعطوني شيئاً لله. فقال: أعطوه البُرمة. فأعطوه، وما أكل منه شيئاً. ففي اليوم الثاني قال سهل: ما تأكلُ اليوم ؟ قال: ذلك الطعام. فلمّا طبخَ الطعام، قال: هاتوا الطعام بالبُرمة. فلمّا أحضروه، وقف على الباب عبدٌ من عبيد سهل، فقال: يا سهل، امنع عبدك لا يمنع السائل. فمنع العبد، فسأل سائلٌ، فقال: أعطوه كلَّها بالبُرمة. فاليوم الثالث فعل ما فعل قبله، فما أكلَ شيئاً إلى شهرٍ كامل، فبعد هذا رأى رجلاً على ساحل الشطِّ يأكلُ كِسرةَ خبزٍ يابس، فناداه، فذهب وجلسَ، وأكل معه.

* * *

(٣٠٦) مؤمل الجصاص(*)

مؤمل الجصاص رحمه الله تعالى، هو من كبار مشايخ شيراز، سافر الحجاز، والعراق.

وكان حسنَ اللِّسان في علم التوحيد، وعلوم المعارف، مع أنه أُميٌّ لا يكتب.

وهو الذي ردَّ الجوابَ عن مسائل سهل الأصفهاني.

وكان إذا فرغ من صلاة الصبح يَشتغلُ بدرسِ القرآن إلى الضحى، فيُصلي الضحى، ويخرج من المسجد.

وقال واحدٌ من هذه الطائفة: خرج يوماً من المسجد، فمشيتُ على إثره إلى باب بيته، فرأيتُ عنده أرباب الحاجة إلى ثلاث مئة نفر، فقضى الحاجةَ لكلِّهم في ساعةٍ واحدة، ثم قال لعبده: ودّي الحوائجَ والبساط إلى المكان الفلاني،

---

(١) السُّكْباج: لحم يُطبخ بخل.

(٢) البُرمة: انظر الحاشية (٢) صفحة (٣٤٨).

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٥٣، ١٥٥، وانظر الفهرس، شد الإزار ١٣٣.

وأنا أجيء في إثرك. فصرتُ متحيّراً فالتفتَ إليّ، وقال: يا ولدي، وقتَ الصبح رأيتني في المسجد، وأنا الآن أذكر الله كثير من ذلك الوقت.

وكان إذا اشتغلَ بشغلِ أحدٍ لا يتكلّمُ كلاماً إلاّ بردِّ جواب السلام، ويقول: أنا عبدٌ أجير، وإن لم يكن ردُّ السلام واجباً لا أَردّه.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: لمّا جاء مؤمل مكّةَ دخل على أبي الحسن المُزيِّن، وسلّم عليه وجلس، وقال: أيُّها الشيخ، أنا رجل أعجمي، وأُريدُ أَسألُك مسألةً، فارفق بي. قال: اسأل ما تُريد. فقال: **هل ترتقي الفهومُ ارتقاء المَواجيد**؟ فنظر إليه أبو الحسن، وقال: من أين أنت؟ قال: من شيراز. فقال: أنت مشهور بأيِّ لقبٍ؟ قال: بمؤمل. فقال: قم من هنا، ذاك ليس مكانك. فأجلسه إلى جنبه، وكان يمزح معه كثيراً، ويقول: **أنت رجلٌ أعجميٌّ أُمّي**. ويضحك. وبعد هذا كان إذا جاء واحدٌ يسأل مسألةً يُشير إلى مؤمل، ويقول: اسأل من الشيخ.

وقال أبو عبد الله بن الخفيف: عزمت على الحجِّ، وكنتُ صغيراً، فأوصاني مؤمل، وقال: إذا وقفت بالموقف فاعزم إلى وراء جبل عرفات، واطلبْ هناك أولياءَ الله؛ لأنَّ مكانهم هناك. فلمّا وصلت الموقف ذهبت وراءَ الجبل. فلمّا تعدّيت عن الناس ما رأيت أحداً، فخفتُ، وأردت أن أرجع، فغلبت عليَّ الإرادةُ، فتقدّمت قليلاً، فوصلت إلى شعبٍ، فرأيتُ فيها عشرةً من الرجال جالسين، وكلُّهم كانوا مطرقين، وكان بينهم شيخٌ كبير الشأن، وشيخي أبو محمد العتايدي معهم، فلمّا رأوني أشاروا إلى شيخي، فذهبت وسلّمتُ عليهم، فردّوا جواب السلام، فأجلسني شيخي إلى جنبه، فلمّا فرغوا قاموا، ومشوا على هيئة ما كانوا عليه، وأنا كنت بينهم وبين شيخي، فقالوا لشيخي: احفظ هذا الصبي. وأنا أسمع منهم، كأنَّهم يخرج من لسانهم حرف السين، فحسبت أنهم يستغفرون، فلمّا وصلنا المزدلفة قال شيخي: نادِ أصحابك. فناديتهم، فردُّوا الجواب، فذهبتُ عندهم، والجماعة ذهبوا إلى المشعر الحرام، واشتغلوا بالصلاة، فلمّا قضيت الحاجة، ذهبت عندهم، وهم يصلّون الصبح، فلمّا فرغوا من صلاة الصبح، غابوا عن نظري، فما رأيتهم بعده.

(٣٠٧) علي بن شلويه(*)

علي بن شلويه رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: وقع بين علي بن شلويه ورجلٍ آخرَ كلامٌ، فقال ابن شلويه: أنا أعرف رجلاً كان على جبل، فجاء وقت الصلاة، وما كان الماء على ذلك الجبل، وكان الماء على جبلٍ آخر، فأرادَ أن يتوضّأ، فاجتمع الجبلان، فوضع رجله على الجبل الثاني وتوضأ وصلّى.

وأيضاً قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: كان علي بن شلويه أكثرَ أوقاته في الصَّحارى والجبال؛ فإنَّ الأكراد يحبُّونه غايةَ الحبِّ، فجاء شخصان من رؤساء الأكراد عنده يوماً، وقالا: لكل منّا بنتٌ، ولكل منّا أربعة آلاف شاة، فنريد أن نزوّجهما لك، وهذه الشياه مصروفُ الفقراء، فتزوّجهما، واجتمع به مؤمل يوماً، فقال مؤمل: الآن لا تفضل عليَّ؛ لأنَّكَ صرت مثلي. فقال: أنا تزوّجتهما حسبةً لله. فقال مؤمل: أنا أيضاً تزوّجتُ حسبةً لله تعالى. فقال علي بن شلويه: طلقتُهما ثلاثاً، فإن كنتَ صادقاً فطلّقْ زوجَك. فقال مؤمل: يا ميشوم، ليست السُّنَّةُ في الطلاق.

* * *

(٣٠٨) أبو بكر الإسكاف(**)

أبو بكر الإسكاف رحمة الله تعالى عليه.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: صام أبو بكر إلى ثلاثين سنة، فلمَّا جاءَ وقتُ نزعه بلّلوا القُطنَ في الماء، ووضعوه على فمه، فرماه، وماتَ صائماً.

* * *

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٠٧، ١١١ وانظر الفهرس.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ١٥٨.

(٣٠٩) أبو الضحّاك(*)

أبو الضحاك رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: سمعتُ من [أبي] الضحاك قال: كنتُ جالساً على سطح البيت، فرأيتُ إبليسَ يمشي في زُقاقٍ، فقلتُ: يا ملعون، ما تفعلُ في الزقاق؟ فرفعَ رجله من الأرض، وطلع السَّطحَ، فتلازمتُ أنا وإيَّاه، فلطمتُهُ وطرحته. فمرَّتْ عليَّ سنونٌ كثيرةٌ، فعزمتُ الحجَّ، فلمَّا رجعتُ من الحجِّ وصلت نهراً، وكان ماؤه قوياً، وما كان له جسرٌ، فعجزتُ عن مروره، فرأيتُ شيخاً مُعمَّراً ضعيفاً دخل الماء، فقلتُ في نفسي: لستُ أنا أضعفَ منه. فدخلتُ الماء لأذهبَ على عقبه، فلمَّا وصلتُ إلى وسط النهر رفعَ ذلك الشيخ رجلهَ، ووقف على طرف النهر، فغلبَ عليَّ الماءُ، وغرقت، وتبلَّلتِ الثياب، ودار بي الماءُ، حتى أغاثني الله، ورماني الماء على الساحل، وذلك الشيخُ كان واقفاً، وينظرُ إليَّ، فجاء ذلك الشيخ وقال: يا أبا الضحاك، تبتَ، بعد هذا تلطمني(١)؟

* * *

(٣١٠) أبو محمد الخفَّاف(**)

أبو محمد الخفَّاف رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: كتب لي أبو الحسن المزيِّن ورقة فيها: إن لك مُريداً في البحر إن نجّاه الله يهدي إليك جوهرة. وأراد به [أبا] محمد الخفَّاف.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٦٠ وانظر الفهرس.

(١) في (ب): بعد هذا لا تلطمني.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ١٦١ وما بعدها.

قال أبو عبد الله: كان أبو محمد الخفَّاف جالساً مع مشايخ شيراز، فوقع الكلام بينهم في المشاهدة، فقال كلٌّ واحدٍ على قدر حاله. وكان الخفَّاف ساكتاً، فقال له مؤمل: تكلَّمْ. فقال: الكلام المليح القوي هو الذي قلتم. فقال مؤمل: قلْ على كلِّ حال. فقال: ما قلتم كان حدَّ العلم، وما كان حقيقةَ المُشاهدة، وحقيقةُ المشاهدة أن ينكشفَ الحجابُ كلُّه، وتنظرَه عياناً. فقالوا له: من أين تقول هذا؟ ومن أين علمته؟ فقال: كنت في باديةِ تبوك، وحصل لي فاقةٌ ومشقَّةٌ كبيرة، وكنتُ داعياً، فانكشفَ الحجاب، فرأيتُ الله تعالى على عرشه، فسجدتُ وقلت: **يا مولاي، ما هذا مكاني وموضعي منك**. فلمّا سمعوا هذا الكلام سكتوا كلُّهم، فقال مؤمل له: قم نزور بعضَ المشايخ. فقام مؤمل، وأخذ يده، ودخل في بيت ابن سعدان المحدّث، وسلَّما عليه، فرحَّبَ بهما، وعظَّمهما، فقال مؤمل: **أيُّها الشيخ، نريدُ أن تروي لنا الحديثَ المرويَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض، إذا أرادَ بعبدٍ فتنةً كشفَ له عنه»**. فقال ابن سعدان: **حدَّثني فلان عن فلان، وأسند أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض، إذا أراد بعبد فتنة كشف له عنه»**[1].

فلمّا سمع أبو محمد هذا الحديث قال: أعِدْه. فعاده مرَّةً أُخرى، فقام باكياً، وغاب أيّاماً، وما رآه أحدٌ، فجاء فقلنا: أين كنت في هذه الأيام؟ فقال: الصلاة التي صلَّيتها في تلك الأيام أعدتُها؛ لأنّي كنتُ عابداً للشيطان. فقال: لا بدَّ لي أن أرجعَ إلى ذلك المكان الذي سجدت له فيه ألعنه في ذلك المكان. فغاب وما سمعت خبره.

* * *

(١) لم أجده في الكتب التي بين يدي. وقد روى مسلم (٢٨١٣) في صفات المنافقين، باب تحريش الشيطان عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عرش إبليس على البحر».

(٣١١) حسن بن حمويه(*)

وصاحبه

(٣١٢) أبو جعفر الخراز الإصطخري(**)

حسن بن حمويه، وصاحبه أبو جعفر الخرّاز الإصطخري رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: جاء أبو جعفر الخراز صاحبُ حسن بن حمويه من إصْطَخْر عندي، وقال ابن زيدان: إن مُرادي أن تحضرَه[1] في هذه الليلة عندي. يعني ابن حمويه، فأحضرته، فقال ابن زيدان للخرّاز: أحبُّ أن تذكرَ لي حكايات نفسك. فقال الخرّاز: ليس عندي حكايات، إن أردت أحكي لك ما رأيتُ من المشايخ. فقال ابن زيدان: أنا أُريدُ مثل هذا. فقال الخرّاز: كنتُ وجماعة جالسين عند حسن بن حمويه، وكان مُطرقَ الرأس، فصاحَ صيحةً، وغابَ عن نظري، فنظر بعضُنا إلى بعض، وقلنا: لا نظهر هذه القصة عند أحدٍ؛ لأنَّ الناس يقولون جئت بنوادر أخرى. قال: فإلى ثلاثة أيام ما رأيته، وما سمعت عنه خبراً، ومن سألني عنه قلت: هو مشغول. فبعد ثلاثة أيام دخل من باب المسجد، مُتغيِّر اللون، ذا هيبةٍ وشوكة، ما يقدرُ أحدٌ أن يتكلّم من عظمته وصدمته، وكان بيني وبينه صحبةٌ وانبساط، فقلت له: أيُّها الشيخ، عندي قليل من الجبن الجديد، هل تأذن لي أحضره؟ وكان هو يحبُّ الجُبنَ الجديد، فقال: تجيء به. فجئتُ به، فأكلَ منه لقمةً واحدةً، وأشار إلينا باليد: أن نأكله. قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: التفت ابن زيدان إليَّ، وقال: لا ريبَ فيه، إنه رجلٌ صادق، فكيف تصدّق هذه الحكاية؟ فاجعل حيلةً حتى نصدق كلامه. فقلت: ابسط الفراش حتى يستريح الشيخ، ويزولَ

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٦٣.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ١٦٣ وفيه: الجرار.

(١) في (ب): وقال: أين زيدان؟ مرادي أن تحضره.

عنه تعبُ السفر. فرقدَ، وأنا جلست مع ابن زيدان، وبيّنتُ له حتى قال: صدقت. وسئل أبو عبد الله: كيف كان هذا الحال؟ فقال: ما بعد من مكانه الذي كان فيه، لكن ألبسوه لباساً حتى غاب عن نظرك.

* * *

(٣١٣) عبد الله القصَّار(*)

عبد الله القصار رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: إنه قال عبد الله القصار: خرجتُ وقتاً إلى الحجِّ، فقال مشايخ شيراز: إن تدخل على سهل بن عبد الله التُّستري فسلّمْ عليه السلام منّا، وقل له: نحن معترفون بفضلك، ونصدّق كلامك، ونطلب الجواب منك عن كلامٍ سمعناه عنك، وهو أنَّك تخرجُ يومَ عرفة عن مكانك، وتذهبِ إلى موقفِ عرفات مع الحُجَّاج، فإنْ كان هذا صدقاً، فأخبرنا حتى نصدّقه. قال عبد الله القصَّار: فعزمتُ إليه، ودخلتُ وسلَّمتُ عليه، وكان جالساً ملففاً بإزار، وقدَّامه قبقابٌ، وعيناه كانتا مفتوحتين كزي الوله والحيرة، واستولتْ عليَّ هيبتُهُ، فما قدرتُ أن أتكلَّمَ معه، وكنتُ جالساً، فجاءت امرأةٌ وقالت: أيُّها الشيخ، لي ولدٌ مُقعدٌ؛ فجئتُ لتدعو له. قال سهل: لم لا تحمليه إلى عند ربِّه؟ فردَّتْ جوابَه: أنت من عند ربِّه. فأشارَ إليَّ سهلٌ بيده، فقمتُ وأخذت يده، وقامَ ولبسَ القبقاب ومشى، فودَّتْهُ المرأةُ إلى ساحل الشطِّ، فرأى الشيخ الصبي في سمّارية[1]، فقال له: أعطني يدك. فقال: لا أقدر أن أُعطيك يدي. فقال سهل لها: ابعدي عنه. فأعطاه الصبيُّ اليد. فقال سهل: قم يا ولد. فقام الولد، ونزلَ عن السمَّارية، قال سهل لراعي السمارية: اذهب. ثم قال سهل للصبيِّ: توضَّأ، وصل ركعتين. ففعل، فرخَّصهما وذهبا. قال عبد الله: لمَّا رأيتُ هذا، زالتِ الدهشةُ عني، فأدَّيتُ رسالة المشايخ، فأطرق ساعة

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٣٥، ١٦٥، ١٦٦.

(١) السمارية: ضرب من السفن (متن اللغة).

فقال: يا حبيبي، هؤلاء القوم يُؤمنون بالله يفعل ما يشاء ؟ قلت: نعم. قال: فما سؤالهم عن ذلك؟.

* * *

(٣١٤) إبراهيم بن المتوكل(*)

إبراهيم بن المتوكِّل رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: قال لي واحدٌ من هذه الطائفة: كنتُ ماشياً في الصحراء، فرأيتُ إبراهيم بن المتوكل غسَّلَ ثيابه، ونشرها في الشمس، فقلتُ له: تعالَ نذهبْ إلى مكانٍ نأكلُ الطعام معك. فلبسَ القميص مبلولاً، ومشينا قليلاً، فرأى عنبَ الثعلب[١] مَطروحاً، فأخذه وغسله وأكله، وجلس وقال: اذهب أنت، فهذه كافيةٌ لي. فبالغتُ[٢]، فما قام.

قال واحدٌ من المشايخ لإبراهيم بن المتوكل: أريدُ أن تُفطر في هذا الشهر عندي. فقبل، فقال في ليلة: قم نتسحَّر. فقام، فقلت: أنزل هذه السفرة. قال: أنا ما أفعلُ هذا، لأنَّ هذا حركةٌ في الأسباب، وأنا لا أتحرَّكُ في الأسباب. فليلة رأى قدامه سفرةً يأكلُ منها، قلتُ: ما قلتَ أنا لا أتحرَّكُ في الأسباب، فما هذا ؟ قال: واللهِ، ما تحرَّكتُ في الأسباب، لكن قمتُ فلحقَ رأسي السفرة، وطاحت قدَّامي بنفسها، فأكلته.

* * *

---

(١) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥٢.

(١) عنب الثعلب: نبات ذكر وأنثى، وكل منهما بستاني يستنبت وبري ينبت بنفسه لا إقامة له (موسمي)، يميل إلى الخضرة السوداء، زهره أبيض، وحبه بين أوراقه مستدير، رخو يحمرُّ إذا نضج. يقال إنه أشدُّ تنويماً وتسبيتاً من الخشخاش، له استخدامات طبية. انظر تذكرة أولي الألباب لداود الأنطاكي (عنب الثعلب).

(٢) في (ب): فبالغته.

(٣١٥) أبو طالب خزرج بن علي(*)

أبو طالب خزرج بن علي رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: إن أبا طالب خزرج كان من أصحاب الجُنيد، وجاء إلى شيراز، وكان مريضاً بمرض البطنِ، فقال المشايخُ: من يَختارُ خدمته؟ فاخترتُ خدمته، فليلةً قام إلى ستة، أو سبعةَ عشر مرَّة.

وليلةً من الليالي كنتُ جالساً، ومضى أكثرُ الليل، فغلب عيني النوم، فصاح لي، وما سمعت، فصاحَ مرَّة أُخرى، فقمت، وحطَّيتُ الطشت قدَّامه، فقال: يا ولدي، إن لم تقدر على خدمة مخلوق مثلك، فكيف تقدرُ على خدمة الخالق؟

وأيضاً عنه قال: كنت غائباً، فصاح، وقال: يا شيرازي. وما سمعتُ صوتَه، فمرَّةً أُخرى صاح، وقال: يا شيرازي: هيْ، لعنكَ الله. فودّيتُ الطشت، قال أبو عبد الله: سألني عليُّ بن دَيْلم: كيفَ سمعتَ حين قالَ الشيخُ **لعنك الله**؟ قلت: سمعتُ مثلَ **رحمك الله**.

قال شيخ الإسلام: إن المريد الذي لم يحمل ذُلَّ الشيخ والأستاذ، ولم يصبرْ على جفائه، ولم يسمع **لعنك الله** مثل **رحمك الله**، ولم يكن له أَلمٌ وغمٌّ **فلا يفلح**، فإن رجلاً بلا شيخ كرجلٍ بلا أَبٍ.

وليلةً سمع مني صوت قضمٍ فقال الشيخ أبو طالب: يا شيرازي، ما هذا الصوت؟ فقال أبو عبد الله بن الخفيف: قلتُ: أنا كل يومٍ آكلُ حبَّة باقلاء يابسة، وكلَّ يومٍ أَنقصُ ربعها، فبقي كلَّ شهرٍ تسعة عشر باقلاء. فقال الشيخ أبو طالب: يا شيرازي، احفظها مليحاً؛ لأنّه ما وقعَ لي شيءٌ إلا بترك هذا.

(*) الأربعين في شيوخ الصوفية ١٤٧، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٣، سيرة عبد الله بن خفيف ١٦٧، ١٦٨ وانظر الفهارس، صفة الصفوة ٢/ ٤٦٦.

قال أبو طالب: كنت مع أبي الحسن المزين في دعوةٍ، فأحضروا لحماً مشوياً، وكان عليَّ عهدٌ لا آكلُ لحماً مشوياً، فأمسكت اليد من الطعام، فقال أبو الحسن المزين: **كلْ بلا أنت**. فحسبتُ يكون الحالُ هكذا، فأكلت لقمةً واحدة، فأحسستُ كأنَّه خرجَ إيماني مني، فمن ذلك اليوم أنا في تنزُّلٍ.

قال شيخ الإسلام: حصل له استتار؛ لأن إيمانه كان مُعاينة، وإيمانك شهادي، وإنَّ إيمانَ العارف مشاهدة.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: لا يكونُ شيءٌ أضرَّ للمريد من مسامحة النفس، وقبول التأويلات، وطلب الرخص.

وقال أبو عبد الله بن الخفيف أيضاً: إن أبا طالب لمَّا أرادَ أن يتكلَّمَ على الناس في أول مجلسٍ بشيراز كان لباسُه خيشةً، وفي يده عصاً، فجاء وجلس على الكرسي، وأنا كنت إلى جنبه، فنظرَ إلى الناس، وقال: ما أعلمُ ما أقول، أنا رجل مُذنبٌ بين المذنبين. وبكى، وبكى الناس، فحصلَ له القبولُ، حتى أخذ النَّاسُ ترابَ قدمه للتبرُّك والشفاء، ثم وقع عليه شيءٌ، ففرَّ الناس، وأعرضوا عنه، فعزم من شيراز إلى نسا، وما التفتَ إليه أحدٌ، ثم عزم إلى أصفهان، وأنا كتبتُ إلى عليِّ بن سهل شرحَ حاله ومقامه، فوقعَ بينهما كلامٌ، فأعرضَ عنه علي بن سهل، فعزمَ إلى جبال العراق، فدخل همذان، وكان في همذان أبو علي الوارجي عاملُ همذان، فسأله: ما حاجتك؟ قال: عليَّ دينٌ. فقضى دينه، ثم سأله: ألكَ حاجةٌ أُخرى؟ فقال: ابنِ لي رباطاً في الموضع الفلاني. فبناه، ثم دخلَ فيه، وسوَّدَ ذلك الرباط، ولبس خيشةً سوداء، وكان هناك حتى مات.

قال شيخ الإسلام: إن أفتى الفتيان هو الذي إن وقعت عليه مُصيبةٌ، أو فاته شيءٌ يتداركه بالندامة والحسرة، فلا ينبغي لصاحب المعصية أن يخفيها، ويظهر الدعوى، ويكونَ مغروراً.

قال الشيخ أبو عبد الله: قال أبو طالب: جاء شابٌّ من خراسان لزيارة الجنيد، فأخذَ الجنيد عصاةً، وركوة وذاها البيت، ووضعها في مخزنٍ وقفله،

وتلك الليلة كان لأصحابِ الجُنيد اجتماع، فقال الشيخ لجماعته: ودّوا هذا الغريب[1]. فلمّا فرغوا من الطعام، فبطريق الطيبة والمزاح أرادوا أن يلعبوا الخاتم، فقال الشبلي للشابّ: توافقني فيه؟ فأبى وعابهم، فنظر إليه الشبلي، وقال: اسكت، وإلا أقطعُ رأسك. فسكتَ الشابُّ، وقام وذهب، فاليوم الثاني حكوا هذه الحكاية عند الجُنيد، فقام الجُنيد، ودخل البيت، فما وجد العصا والركوة في ذلك المكان، فخرج، وقال لأصحابه: كم مرةٍ أُوصيكم إن دخل غريبٌ لا تذلُّوه، واللهِ لقد أخذ العصاة والركوة وذهب، وما أعطيته، وما طلب مني.

* * *

(٣١٦) أبو علي الوارجي[*]

أبو علي الوارجي رحمه الله تعالى.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: دخل أبو علي الوارجي شيراز بالحكومة والسلطنة، وكان يخدم الفقراء والمُسافرين، ويجعل المائدة، وبعد صلاة كلِّ مغربٍ كان يجيء عندي ونتكلّم بيننا[2]، فليلة وقع ذكر الإرادة، فرفع ذيلَ القميص، فكان على رقبته علامةٌ على قدر طوق، قلت: ما هذه؟ قال: كنت في جبل لُكام، ولبست خيشةً، فأكلت رقبتي، فلمّا رجعتُ بقي أثرها. فقلت: ما كان سببُ هذه الحكومة والعمل؟ قال: كانت أمي عجوزةً ضعيفة مديونة، فللاحتياجِ اخترتُ هذا.

* * *

---

(١) في (ب): القريب.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ٦٦، ٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ٢٥٢.

(٢) في (ب): ونتكلم شيئاً.

(٣١٧) أبو الفضل جعفر الجعدي(*)

أبو الفضل جعفر الجعدي رحمه الله.

قال الشيخ أبو عبد الله: قال بعضُ الناس عند جعفر الجعدي: إنه قال أبو عمرو[1] الإصطخري: كنت أغتسلُ، وانفكَّ إزاري، فرأيت يدين ظهرا من وراء ظهري، وأحكما ربطَ إزاري. فقام جعفر الجعدي وعزمَ إلى الإصطخر، ودخل بيتَ أبي عمرو، وأخذ برجله، فقام أصحابُ أبي عمرو يريدون أن يفكّوه، فقال أبو عمرو: خلّوه حتى يسكنَ غضبُه؛ لأنه جاء من اثني عشر فرسخاً غضباً لله تعالى. فاعتذر أبو عمرو، وقال: ما قلتُ ما سمعت، بل قلتُ كذا وكذا. فأمرَ أصحابه أن يكونوا حاضرين في خدمته.

* * *

(٣١٨) أبو القاسم القصري(**)

أبو القاسم القصري رحمه الله، كان من كبار أصحاب الجنيد.

قال الشيخ أبو عبد الله بن الخفيف: قال لي يوماً: ودّني إلى الصحارى. فخرجت معه، فوصلت إلى موضعٍ كان فيه رباطٌ، وهناك جماعة يلعبون النرد، فجلسَ يلعبُ معهم، فخجلت، وتغيّر حالي، فلمّا رجعنا رأينا جماعةً يلعبون الشطرنج، فتغيَّرَ، وأخذ رقعةَ الشطرنج، وقطَّعَها قطعةً قطعة، فسلُّوا السكاكين، فقال لهم: أعطوني السكاكين آكلُها. فتعجَّبتُ من حالتيه، فسألته، فقال: إذا نظرت بالنظر اللدنّي يكون كذلك، وإذا نظرت بغير اللَّدنّي يكون هكذا. ومرَّ هذا الكلام قبل هذا، لكن هناك نسبه شيخ الإسلام إلى أبي بكر القصري[2].

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٣١، ١٥٤، ١٥٥، ٢٥٣.

(١) في (ب): أبو عمر.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) انظر صفحة ٢٩١.

وفي مقامات أبي عبد الله ذكرَ كنيته أبو القاسم القصري، ويحتملُ أن يكون له كنيتين، أو وقعَ أحدُهما بطريق السهو، والله تعالى أعلم.

وأيضاً قال الشيخ أبو عبد الله: كان أبو القاسم القصري كثيرَ الإطراق، فسألوه عن سببه، فقال: قبلِ هذه الأيام كنت آكلُ الطعام في كلِّ أسبوع مرَّةً، وكان جنّياً يجيءُ عندي، ويسلّمُ عليَّ، وأنا ما أبصره، فقلت له يوماً: ما يكونُ منك إن تُريني نفسك؟ فيوماً ظهر عليَّ بصورةٍ حسنة، فقلت: من أنت؟ قال: أنا من جان المؤمنين، فإذا أنظرُ مثلَكَ أحبُّه وأزوره. فقلتُ: بعد ذلك[1] أريدُ تظهر عليَّ كلَّ وقتٍ أريدك. وكان يأنسُ بي، ويجيئني ويعلّمني أشياء، فقلت له يوماً: تعال، اذهب إلى المسجد، واجلس به. فقال: إذا جلسنا في المسجد وتكلّمنا لا يَنظرني أحدٌ، فينسبونك إلى الوسواس. قلت: أَجلسُ بعيداً من الناس. فدخلتُ المسجدَ، وجلستُ بعيداً من الناس، فقال: كيف تشوف هذه الرجال؟ فقلت: أرى بعضَهم في النوم، وبعضَهم بين النومِ واليقظة، وبعضهم في اليقظة. فقال: تُبصرُ ما على رؤوسهم؟ قلت: لا. فمسح عيني، فرأيتُ على رأس كلِّ أحدٍ غراباً جالساً، فبعضُهم أنزل جناحه على عيونهم، وبعضُهم جالسٌ على رؤوسهم، وبعضهم ينزل ويركب، فقلت: ما هذا؟ قال: ما قرأتَ كلامَ الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] هؤلاء كلُّهم شياطين، وعلى قدر غفلتهم مُسلّطين عليهم.

وكان ذلك الجنّيُّ يجيء ويذهب، ويظهر عندي، فيوماً غلبَ عليَّ جوعٌ شديد، وكان عندي من خُبزِ الصوفية شيءٌ[2]، وبقي من عادتي في الإفطار أربعةُ أيام، فأكلتُ منه شيئاً، فسكن الجوع، فحضر الجنّيُّ، وسلّم عليَّ، وما ظهر، فقال: كنتُ أحبُّك لأجل هذه الرياضات والصبر عليها، فامتحنتك فما كنت صابراً عليها. وذهب ثم ما جاء بعد ذلك، هذا سبب إطراقي.

* * *

---

(١) في (ب): بعد هذا.

(٢) في (ب): من خبز الصدقة شيء.

(٣١٩) عبد العزيز البحراني (*)

عبد العزيز البحراني رحمه الله.

قال الشيخ أبو عبد الله: إن عبد العزيز البحراني في أيام الشتاء دخلَ شيراز، وكان له ثياب عتيقة، وكلَّما يجيئُه فتوحٌ، يتصدَّق به على الفقراء، فجلسَ في شيراز إلى ثلاثة أيام، فتكلَّموا عليه من هذا الباب، فقال: نفسي تنفرُ من ثيابكم. فقال لي: يا أبا عبد الله، أخرجني من هذه المدينة؛ لأنه ليس لي نيةٌ أن ألبسَ في هذه المدينة ثوباً جديداً. قلت: فأينَ تذهب؟ فقال: إلى ناحية البحر. فذهبتُ لمشايعته إلى باب السور، فرأيت أبا الخير المالكي راكباً على بغلةٍ، ويهزُّ الرِّكاب ويناديني، وكان معه طعام، فلمَّا وصل قال: تفضَّل علي بأكل هذا الطعام. فجلسنا، وأكلنا الطعامَ، فقام البحرانيُّ، وحطَّ السجادة على كتفه، فقال أبو الخير: لعلَّك تحمل من هذا الطعام شيئاً. فقال: مطبخي قدَّام. فقال أبو الخير: فكيف أفعلُ بهذا الطعام؟ قال: ارمه عند الكلاب. وذهب.

* * *

(٣٢٠) أبو الحسن الحكيمي (**)

أبو الحسن الحكيمي رحمه الله تعالى.

قالَ: سمعت من الجنيد أنه قال يوماً: كنتُ في مجلس السَّريِّ، وعنده عصابةٌ من الرجال، وأنا كنتُ أصغرَهم، فقال السَّريُّ: من أيِّ شيءٍ يطيرُ النوم؟ فقال بعضهم: من الجوع. وقال واحد: من قلَّة الماء. فلمَّا وصلتْ نوبتي قلت: علمُ القلوب باطِّلاعِ الله على كلِّ نفسٍ بما كسبت. قال: أحسنت يا بُنَي. وأجلسني إلى جنبه، فأنا من ذلك اليوم مقدَّمٌ على الناس.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ١٧٠، ١٧١، ١٧٦.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ٥٦، ١٨٢، ١٨٤.

وأيضاً قال الحكيمي: سألت الجُنيد عن حالِ واحدٍ من المشايخ، هل يجوزُ الإقتداءُ به، أم لا ؟ قال: إن تجدْ فيه الاجتنابَ، وطلبَ القوتِ الحلال، فيجوز الإقتداء به، وإلاّ فاتركه.

* * *

(٣٢١) أبو علي حسين بن محمد الأكار(*)

الشيخ أبو علي حسين بن محمد الأكار رحمه الله تعالى، هو من أصحاب الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف، وشيخُ الشيخ أبي إسحاق الكازروني قدّسَ الله تعالى أرواحهم.

قيل: إن الشيخ حسين الأكار وصل إلى كازرون[١]، فاجتمع المشايخ عنده، وكان أبو إسحاق في تلك الأيام صغيراً، فجاء أبو إسحاق مع المشايخ، وهو يقرأُ القرآن بلحنٍ مليح، فأمرَهُ أن يقرأ القرآن، فأعجبه قراءته، وحصل له التواجد، فلمَّا فرغ طلبَهُ من المشايخ، فذهب معه إلى شيراز، وأمره أن يسمعَ الحديث من المشايخ، ومن أصحاب الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف، وسافر معه إلى العراق والحجاز، فحصلَ له ببركة صحبة الشيخ ما حصل، فتوفّي الشيخُ حسين بعد الثلاث مئة، وقبره في شيراز على باب قبر الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف.

* * *

(٣٢٢) إبراهيم بن شهرياز الكازروني(**)

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن شهرياز الكازروني قدس الله تعالى روحه، هو فارسي الأصل، ومولده ومنشؤهُ قريةُ نُوَرْد[٢] من قرى كازرون.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥٨.

(١) كازرون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز. معجم البلدان.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥٩. شد الإزار ٤٩.

(٢) نُوَرْد: قصبة من نواحي كازرون بأرض فارس. معجم البلدان.

وأبوه شهرياز أسلَمَ، وتولَّدَ جميعُ أولاده بعد إسلامه.

وانتساب الشيخ في التصوف بالشيخ أبي علي الحسين بن محمد الفيروزابادي الأكار.

وصحب كثيراً من المحدّثين، وكان يَروي الأحاديث والآثار عن مشايخ كازرون، وشيراز، والبصرة، ومكة، والمدينة.

ورأى في مكة الشيخ أبا الحسن علي بن عبد الله بن جهضم الهمذاني، وروى عنه.

قال: قال ذو النون: **عليك بالقصد[1]؛ فإنَّ الرضا بقليل الرزق يزكّي يسيرَ العمل، فإنَّ العملَ المزكّى يستحقُّ أن يقبله الله تعالى.**

كان واحدٌ من الأمراء مُريداً للشيخ، ويُريد أن يخدمَهُ، والشيخ لا يقبل منه شيئاً، فأرسلَ المندوب إلى الشيخ، وقال: يا أيُّها الشيخ، أنا بالغت كثيراً، واجتهدتُ فيه فما قبلتم منّي شيئاً، فأعتقتُ عبيداً، ووهبْتُ ثوابَهم لك. فردَّ الجوابَ: جزاك الله خيراً، وشكر إحسانك[2]، لكن ليس في مذهبي أن تُعتقَ العبيد؛ بل مذهبي أن تصيرَ الأحرارُ عبيداً باللُّطف والإحسان.

رأى الشيخ ليلةً النبيَّ ﷺ في النوم، فسأله: **يا رسول الله، ما التصوف؟** قال رسول الله ﷺ: **التصوف تركُ الدَّعاوي، وكتمانُ المعاني.** ثم سأله: **ما التوحيد** يا رسولَ الله ﷺ؟ قال: **كلُّ ما هجسَ ببالك، وخطر في خيالك، فالله سبحانه بخلاف ذلك، التَّوحيدُ أن تنزّهه عن الشكِّ والشرك والتعطيل.** ثم سأل: **ما العقل**، يا رسول الله ﷺ؟ قال: **أدناه تركُ الدنيا، وأعلاه ترك التفكّر في ذات الله تعالى.**

توفي رضي الله عنه في شهر ذي القعدة سنة ستٍّ وعشرين وأربع مئة.

* * *

---

(١) في (ب): عليك بالوصل.

(٢) في (ص): وشكراً لإحسانك.

(٣٢٣) روزبهان البَقلي(*)

الشيخ روزبهان البقلي قدس الله تعالى سره، كنيته أبو محمد بن أبي نصر البقلي الفسوي، ثم الشيرازي، كان سلطان العرفاء، وبرهان العلماء، وقدوة العاشقين، وكان في بداية الحال سافر العراق، والحجاز، والشام.

وكان شريكاً في استماع «صحيح البخاري» مع أبي النجيب السُّهروردي في الصغر في الإسكندرية.

ولبس الخرقة من الشيخ سراج الدين محمود بن خليفة بن عبد السلام بن أحمد بن سالبه.

واشتغل بالرياضات الشديدة في أطراف شيراز وجبالها.

وكان صاحبَ ذوقٍ واستغراقٍ، ووجدٍ دائمٍ، لا تسكنُ لوعته، ولا ترقأُ دمعته، ولا يطمئن في وقت من الأوقات، ولا يسلُو ساعةً من الحنين والزفرات، يتأوّه كلَّ ليلةٍ بالبكاء والعويل.

وله كلامٌ صَدَرَ في غلبة حاله، ولا يفهمه إلا قليل.

وهذا من جملة أشعاره:

كلُّ من لم تسمعه أذنٌ ولم تُبصره عينُ الزَّمان في العالمين
هو في طينتي القديمة قم وانظر إلى طينتي تقرَّ باليقين

وله مصنفات كثيرة مثل: «تفسير العرائس»[1] وشرح «الشطحيات» العربي

---

(١) شدّ الإزار ٢٤٣، مجمل فصيحي ٢/ ٢٢٩، ٢٨٤، كشف الظنون ١٩٦، ١٠١١، ١٠٧٩، ١١٣١، إيضاح المكنون ٥٦٧، هدية العارفين ١/ ٣٧١، معجم المؤلفين ١/ ٧٢٨.

(١) عرائس البيان في حقائق القرآن: تفسير على طريقة أهل التصوف، قال: صنفته موجزاً مخففاً لا إطالة فيه ولا إملال، وذكرت ما سنح لي من حقيقة القرآن، ولطائف البيان، بألفاظ لطيفة، وعبارات شريفة، وربما ذكرت تفسير آية لم يفسرها المشايخ، ثم أردفت بعد قولي أقوال مشايخي بما عبارتها ألطف، وإشارتها أظرف، وتركت كثيراً منها ليكون أخف محملاً وأحسن تفصيلاً. كشف الظنون ١١٣١.

والفارسي، وكتاب «الأنوار في كشف الأسرار» وغيرها، وفي تعداد مُصنَّفاته يطولُ الذكر.

وذَكَرَ في كتاب «الأنوار في كشف الأسرار»: ينبغي أن يكونَ القوَّالُ صبيحاً، حسنَ الوجه؛ لأنَّه ينبغي للعرفاء في مجمع السماع لترويحِ القلوب ثلاثةُ أشياء: الروائح الطيِّبة، والوجه الصبيح، والصوت المليح.

قال بعضهم: اجتناب هذا القول أولى؛ لأنه أسلم، وهذا يَنبغي للعارف، لأنَّ قلبَه وصلَ إلى غايةِ الطهارة، وغمضَ عينه عن ما سوى الله تعالى.

وقيل: إنه كان يذكر، ويعظُ الناس في جامعِ عتيقٍ بشيراز إلى خمسين سنة.

وفي ابتداءِ دخوله شيراز كان ذاهباً ليعظَ النَّاسَ، فسمع امرأة تنصح بنتها، تقول: يا بنتي، لا تُظهري حُسنَك عند أحدٍ؛ لأنَّه يصيرُ ذليلاً، ولا يبقي لك اعتبار. قال الشيخ: يا امرأة، إنَّ الحُسنَ لا يَرضا أن يكونَ وحده مُنفرداً، ومراده أن يكون قريباً بالعاشق، فإنَّ الحُسنَ والعشق تعاهدا في الأزل أن لا يتفارقا. فباستماع هذا الكلام حصلَ لأصحابه وجدٌ شديد حتى إن بعضَهم ماتَ على الفور.

قال الشيخ أبو الحسن كردويه: كنتُ حاضراً في بعض دعوة الصوفية مع الشيخ روزبهان، وأنا لا أعرفه، فجاء في خاطري: أنا في العلم والحال أكبرُ منه[1]، فاطَّلعَ على سرّي، وقال: يا أبا الحسن، انفِ هذا الخاطر؛ لأنَّ اليومَ لا يكون أحدٌ يُساوي روزبهان، وهو وحيدُ زمانه، وأشار بهذين البيتين:

أنا في الزمان صراطُ ربي قائداً من جاور الأَدنى لأقصى مسجد
والكلُّ طالبُ صيده من بحره أنّى يحيط وإنْ أصابَ بمقصد

وكان صاحبَ سماع، وفي آخر عمره ترك السماع، فقيل له، قال: **إنّي أسمعُ الآن من ربِّي عزَّ وجل، فأستعرضُ مما سمعت من غيره.**

وقيل: في آخر عُمره حصلَ له مرضُ الفالج، فبعضُ المُريدين ذهبوا إلى

---

(١) في (ص): أكثر منه.

مصر بلا اطِّلاعه، فأخذوا من خزائن السلطان دُهنَ البشام[١] ليداووه به، فلمّا أحضروه عنده قال: جزاكَ الله عن نيتك. وقال: اذهبوا به على باب الخانقاه، هناك كلبٌ أجربُ نائم، ادهنْه به، واعلم أن روزبهان لا يصحُّ باستعمال الدهن، لأن هذا قيدٌ من قيود العشق، وضعه الله تعالى في رجلي حتى ألقى الله تعالى.

قال الشيخ أبو بكر بن طاهر، وهو من أصحابه: كنتُ أقرأ القرآن معه مُدارسةً؛ عشراً أنا، وعشراً هو، فلمَّا تُوفِّي الشيخ رحمه الله ضاقتِ الدنيا عليَّ، فقمتُ آخر الليل، وتوضَّأتُ، وصلّيتُ ما شاء الله، فذهبتُ إلى قبره، وجلستُ أقرأُ القرآن، وأبكي من وحشة الانفراد، فلمَّا فرغتُ من العشر سمعتُ صوتَ الشيخ يقرأ العشر من القبر[٢]، فلمّا اجتمع الأصحاب انقطعَ الصوت، وكان هكذا إلى زمان طويل، فيوماً حكيتُ هذه الحكاية عند واحدٍ، فانقطعتْ تلك المُدارسة.

ذكر الشيخ ابن عربي في «فتوحاته المكية»[٣] قال: كان الشيخ روزبهان مُجاوراً في مكّة، **وكان كثير الزَّعقات في حال وجده في الله، بحيث أنه كان يُشوّشُ على الطائفين بالبيت، [في زمن مجاورته] فكانَ يطوفُ على سطوح الحرم، وكان صادقَ الحال.**

فابتُلي بمحبّة مُغنيّة، ولا يعلم أحدٌ بذلك، وتلك الزَّعقات والوجدُ بحالها كما لو كان الوجدُ في الله، ولكن أولَ كان بالله ولله، والآن لفراقِ المغنية، فخطر في خاطره أنَّ الخلق يحسبون هذا الصياح والوجد لله تعالى أيضاً، فجاء في مجلس صوفية الحرم، ونزعَ الخرقة من بدنه، ووضع تلك الخرقة عندهم، وذكر القصّة عند الخلق، وقال: أنا ما أُريدُ أن أكون كاذباً في الحال. فذهب ولزم خدمة المُغنّية، فالجماعة شرحوا حاله عند المغنية، وقالوا: هو وليٌّ من أولياء الله، وأكابر الدين. فتابتِ المُغنّية، والتزمت خدمته، فزال محبّةُ المُغنّية

---

(١) البشام: شجرٌ عَطِرُ الرائحة، ورقه يُسوّد الشعر، ويستاك بقُضُبه. القاموس (بشم).

(٢) في (ص): سمعت صوت الشيخ من القبر يقرأ القرآن.

(٣) الفتوحات المكية ٢/ ٣١٥.

من قلبه، فدخل في مجلسِ الصُّوفية، ولبس الخرقة.

توفي رحمه الله في مُنتصف محرّم الحرام سنة ست وست مئة.

* * *

(٣٢٤) أبو الحسن الكردويه(*)

الشيخ أبو الحسن الكردويه رحمه الله تعالى، كان صاحبَ علمٍ وفتوى، واختار العُزلةَ، وجلس في بيتٍ كان له في شيراز إلى ستين سنة، لا يخرجُ إلاّ لصلاة الجمعة، أو لبعض قضاء الحاجة بالندرة(١).

وكان الخضر عليه السلام في بعض الأحيان يجيء عنده، ويصاحبه.

قيل: كان سببُ موته أنه جاء واحدٌ عنده، وقال: ههنا رجل يقول: نفسي مثلُ نفس عيسى عليه السلام؛ فإنه يُحيي الموتى، وأنا أُحيي القلوبَ الساهية والغافلة. فصاح الشيخ، وقال: يا ربِّ، أعطيتني عمراً طويلاً حتى أدركتُ زماناً أسمع فيه مثل هذا الكلام، فما بقي في الحياة حلاوةٌ، وما أُريد الحياة. فمشى بطنه، ومات بها في آخر محرم سنة ستٍّ وستٍّ مئة.

فلما مرضَ الشيخ روزبهان البقلي ذهب الشيخ أبو الحسن الكردويه، والشيخ علي السراج الرجل العارف الكبير الشأن ـ وكان خالَ أولاد الشيخ روزبهان ـ لعيادته، فالتفتَ روزبهان لهما، وقال: تخرجا من قيد الحياة الجسمانية الفانية إلى الحياة الأبدية الروحانية؟ فقبلا، فقال الشيخ: أنا أتقدَّمُ عنكما، وأنت يا أبا الحسن تجيء بعد خمسة عشر يوماً، وأنت يا علي بعد شهر. فمات الشيخُ في منتصف المحرم، والشيخ أبو الحسن في أواخرها، والشيخ علي في منتصف صفر، رحمهم الله تعالى.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في المطبوع (ف): على سبيل الندرة.

(٣٢٥) عبد الله البلياني (*)

الشيخ عبد الله البلياني قدس الله سره، لقبه أوحد الدين، ومن ذريات الشيخ أبي علي الدَّقاق، ويتَّصلُ نسبه إلى أبي علي الدقاق هكذا: عبد الله بن مسعود بن محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن إسماعيل بن أبي علي الدقاق، قدس الله أرواحهم.

وكان لأبي علي ولد واحد اسمه إسماعيل، وبنتٌ اسمها فاطمة بانو، وكانت في نكاح الشيخ أبي القاسم القشيري رحمه الله تعالى.

ونسبةُ خرقته هكذا: لبس الخرقةَ من أبيه ضياء الدين مسعود، ويقال أيضاً إمام الدين مسعود، لبسه من الشيخ أصيل الدين الشيرازي، لبسه من الشيخ ركن الدين الشيرازي[١]، لبسه من الشيخ ركن الدين السنجاني[٢]، ولبسه من الشيخ قطب الدين أبي[٣] رشيد الأبهري، لبسه من الشيخ جمال الدين عبد الصمد الزنجاني وهما لبسا من الشيخ أبي نجيب السُّهروردي، قدس الله أسرارهم.

قال البلياني: كنتُ في بداية الحال متنفِّراً عن الخلائق، وشارداً عنهم، فأقمتُ في الجبال إحدى عشرة سنةً، فلمّا خرجتُ من الجبال، اخترتُ صُحبة الزاهد أبي بكر الهمذاني رحمه الله تعالى، وكان صاحبَ كرامةٍ، وله فراسةٌ صادقة، وكان وظيفته كلَّ يومٍ يقومُ بعد العشاء، ويتوكَّأ على عصا حديد، ويكون واقفاً إلى طلوع الصبح الثاني، وأنا كذلك لمتابعته[٤] أكون واقفاً، وهو

(*) كشف الظنون ١٧٧٠، هدية العارفين ١/ ٤٦٣، معجم المؤلفين ٢/ ٢٩٧، واسمه عبد الله بن مسعود.

(١) قوله: لبسه من الشيخ ركن الدين الشيرازي ليس في (ف).

(٢) في المطبوع الفارسي السنجاسي. انظر صفحة ٤٦٥، ٤٦٦، ومجمل فصيحي ٢/ ٢٧٣.

(٣) في (ب): ابن رشيد.

(٤) في (ب): لمبايعته.

في بعض الأوقات يلتفتُ خلفه، فإذا رآني واقفاً يغار علي، ويقول: اذهب إلى مكانٍ ونم. وأنا بامتثال أمره أقعد، ثم لمّا يعود لحاله أقومُ لموافقته حتى اتَّصفتُ بحاله، فاخترتُ العزلةَ.

وكان الزاهد يحبني كثيراً، وبغاية الانبساط يقول لي: يا مطرب. فيوماً سمعتُهُ يقول: جاءني المطرب، وأخذَ منّي شيئاً وذهب، فما أعرفُ أين ذهب. فبعدَ أيامٍ دخلتُ عليه، فقال: أين كنتَ، وما جئتَ؟ فأظهرتُ الانكسار والتواضع، وما قلتُ شيئاً، وقعدت ساعة، فسألَ مني سؤالاً، فقلت في جوابه: لستُ أنا غير الله. قال الزاهد: كلامُك يُشبه كلامَ [ابن] منصور. فقلتُ: إن أُخرج صوتاً أقدر أن أخلقَ مثل [ابن] منصور مئة ألف. فبعد كلامي أخذ العصا، ورماها عليَّ، فتحوَّلتُ من ذلك المكان، وردَّ الله تعالى عصاه، فشتمني شتماً غليظاً وقال: صلبوا [ابن] منصوراً وما شرد، وأنت من خوف العصا تشرد؟ فقلت: عدمُ شرود [ابن] منصور كان من نقصه، وإلاّ كان يشردُ؛ لأن عند الله تعالى الكلُّ سواء. فلمّا قلتُ هذه الكلمة قال: يا هذا أكلتَ الحشيش؟ قلت: نعم، لكن حشيش الحقيقة. فقال الزاهد: مرحباً بك، أكلتَ المليح، تعالَ اقعد على سجادتي، واحفظ حالك. ثم قال الزاهد: الذي قلت هو من نقص [ابن] منصور ما شرد، فبأيِّ دليل؟ قلت: هذا الذي يدعي أنه يركبُ الفرس كما ينبغي، فيركبها ثم لم يقدر على تحريفها، بل تشردُ به أعرف، وإلاّ من يقدرُ على تحريفها؟[1] فقال: صدقت، من لم يقدر أن يحوّل عنانَ الفرس فهو ناقصٌ في الركوب. فقال: أنت صادق، وما رأيت أحداً مثلك في حدة النصرة.

وأيضاً قال البلياني: سمعتُ أنّه جاء واحد إلى شيراز من أصحاب الشيخ شهاب الدين [السُّهروردي][2] اسمه نجيب الدين بزغش[3]، فحصل لي الفرح؛ لأن ما رأيته وما علمته من مقامات الصوفية وأحوالهم، وكان حاصلاً لي، كنت أريد الزيادة عليه، وكان أبي يقول: أيشٍ ما أردتَ من الله، فإن الله تعالى أعطاه

---

(١) في (ص): بل تشرد به، وإلا من عرف يقدر على تحريفها.

(٢) ما بين معقوفين مستدرك من المطبوع (ف).

(٣) في (ب): برعش.

لعبد الله، وما فتح لي على قدر الخوخة إلاّ وفتح الله تعالى لعبد الله على قدر الباب. فعزمت إلى شيراز، ودخلت على الشيخ نجيب الدين، وذكرتُ بعضَ الأحوال والمقامات، فسمع الشيخ بالتوجُّه التامّ، لكن ما ردَّ الجواب، فجلستُ ساعةً، وخرجت من عنده، فبعدَ أيام حصل لي ضرورةٌ حتى أرجع، فجاء في خاطري: أذهب إلى الشيخ نجيب الدين، أُبصر ما يقول، فلمّا وصلت إلى بابه قالوا: إن الشيخ عند أهله، وأنتَ اجلس في ذلك المكان الذي يجلس فيه الشيخ حتى يَجيء، فقعدتُ، ورأيت عند سجّادة الشيخ كُرَّاساً، فنظرت إليه، فكل ما قلته من الأحوال والمقامات كتبَهُ الشيخ فيها، فجاء في خاطري: أن الشيخ كان مُحتاجاً إليه، ففهمتُ مقامه، فما جلست وخرجت، فلما وصلت كازرون صحت على نفسي من الغيرة، فحصل لي الطلبُ، وتجدَّد لي الشوق، فاخترتُ الخلوة، فما كان مرادي أعطاني الله تعالى في خمسة أيام.

ويُروى أنه كان البلياني في شيراز، فيوماً عزمَ إلى خانقاه الشيخ سعدي، فالشيخ سعدي خرجَ بكفٍّ فلوس، ووضعها عنده، وقال: أيُّها الدرويش، خذها تبركاً لسفرة الفقراء. قال: يا سعدي، جئتَ بالفلوس، هات ظرف الدراهم الذي وضعت فيه اثنين وستين بالعدد حتى أعطي السفرة للفقراء. فقام الشيخ سعدي، فجاء بالظرف الذي كان فيه الدراهم، فإذا عدده ما قاله البلياني، فأرسله إلى السوق، واشتروا أسباب السفرة.

ويُروى أن الشيخ كان له مُريد في السوق يطبخُ الطعام ويبيع، فلمّا يذهبُ الشيخ عند دكانه يُعطي الطباخ للشيخ طعاماً في فنجان، والشيخُ يأكله قائماً، فيوماً كان على يد الشيخ زبدية الطعام، فوصل إليه درويشٌ آخرُ بخرقةٍ بيضاءَ كان في خياطتها تكليف كثير، فسلّم عليه، وقال: أُريد أن تدلّني إلى الله تعالى، وترشدني إلى أمرٍ تكون فيه الفائدة، وأكون مشغولاً به. فأعطاه الزبدية التي كانت في يده، وقال: هذا ابتداء الاشتغال، فخذ، وكلْ ما فيه. فأخذها من يد الشيخ، وأكلها، فلّما فرَغَ من الطعام أمره الشيخ: أن امسح يديك بخرقتك، وهكذا تأكل الطعام، وامسحِ اليد بالخرقة. قال: لا أقدر يا أيُّها الشيخ، تأمرني بأمرٍ آخر. قال الشيخ: إن لم تقدر على هذا فبما آمرك لا تقدر

عليه أيضاً، أنت اذهب، مالك بالاستحقاق[1] في هذا الأمر.

ويروى أنه كان له مُريدٌ، فاختار العُزلةَ في الجبال، فجاء حنشٌ، فأخذه بيده، فقرصه الحنش، وورمت أعضاؤه، فأخبروا الشيخَ، فأرسل الشيخ الجماعةَ حتى جاؤوا به، فقال الشيخ: لِمَ أخذتَ الحيَّة حتى قرصتك ؟ قال: يا مولاي وسيدي، أنت قلت لا غير الله موجود، فما رأيتُ غيرَ الله تعالى، فأخذته. قال الشيخ: إذا رأيت الله بلباس القهر فاشردْ عنه، ولا تَقربْ منه، وإلاّ يقع هكذا كما وقع الآن. فوضعَ يده تحت رأسه، وأجلسه، وقال له: من بعد هذا لا تفعل، مثلُ هذا سوءُ أدب حتى تعرفه بأحسن المعرفة. ثم دعاه، ونفخَ على جرحه، فشفاه الله تعالى.

وقال البلياني: ليس التصوُّف الصلاةَ والصوم وإحياءَ الليل، هذه كلُّها أَسبابُ العبودية، والصوفية التي لا تتأذّى من أحدٍ، ومتى حصلت وصلت.

وأيضاً عنه قال: كن عالماً بالله، فإن لم تكن عالماً بالله، لا تكن عالماً بنفسك، لأنك[2] إن لم تكن عالماً بنفسك لا بدَّ أن تكونَ عالماً بالله. فقال: أقول لك أحسنَ من هذا؛ كن [مع] الله، وإن لم تكن [مع] الله فلم تكن أنت.

ويوماً عزم إلى زيارة الشيخ روزبهان البقلي، والشيخُ صدر الدين روزبهان كان قاعداً على تربة أبيه، فلمّا قامَ الشيخ عبد الله محاذي قبره، فقام الشيخ صدر الدين لتعظيمه، وكان واقفاً مدَّةً طويلة، ثم قعد، ثم قام مدَّةً طويلة، فما التفتَ إليه عبد الله، فلمّا فَرغَ من الزيارة قال صدرُ الدين: أيُّها الشيخ، كنتُ مدَّةً طويلة قائماً، وأنت ما التفتَّ إليَّ. فقال: إنَّ الشيخ روزبهان أعطاني رمانة، كنتُ مشغولاً بأكلها.

وهذا من جملة أشعاره:

أنـا مـع الكـل إلـه واحـد منـزَّهٌ عـن اللَّظـى[3] والمـاء

---

(١) في (ب): الاستحقاق.
(٢) في (ص): كأنك.
(٣) في (ص): الظاء.

والتـرب عـارف وجـودي كلّـه وعـدمـي مشقَّـقُ الكسـائـي

غيره :

لا تجـور عـنِ الحقيقـةِ إن لـم تـره بـل لا ريـبَ ليـسَ سِـواه
لا تقـلْ صـارَ العـالـمُ الله مـن نسبـة لا تجـزيهـا مُقتضـاه
ولا العـالـم الـذي صـارَ إن كنـت مثلـي لا بـأس منـك تـراه[1]

غيره :

إن لم أرَ وجهاً قديماً ما سكن طلبي وقلبي ما استقرَّ وما اطمأن
إن يمنعوا بالعين رؤيته الورى فأنا الذي جوَّزتها أذني علن
والكـلُّ معـذورٌ بمبلـغ علمـه يقضـي فينكـرُ أو يقـرُّ علـى سنـن

توفي يوم عاشوراء سنةَ ستٍّ وثمانين وستٍّ مئة، قدّس الله تعالى روحه وسرَّه.

* * *

(٣٢٦) جمال الدين محمد باكلنجار(*)

الشيخ جمال الدين محمد باكلنجار رحمه الله، **كان شيخاً وجيهاً، بهيَّ المنظر، زكيَّ المخبر، ذا مُجاهداتٍ وخلوات، وأورادٍ كثيرة من العبادات والطاعات، وله كلماتٌ روحانية، وإشاراتٌ رحمانية.**

قال الشيخ عبد الله البلياني قدّس الله سره: أنا في زمنه كنتُ صغيراً، وكان الشيخ جمال الدين باكلنجار رحمه الله تعالى في صحبة أبي الخواجه ضياءِ

---

(١) الأبيات في (ب):

لا تجـوز عيـن الحقيقـة إن لـم تـره بـلا ريـب ليـس سـواه
لا تقـل صـار العـالـم الله هـذي نسبـة لا تجيـزهـا مقتضـاه
لا ولا العـالـم الـذي صـار إن كنـت كمثلـي لا بـأس منـك تـراه

(*) شد الإزار ٨١.

الدين مسعودٍ رحمه الله تعالى، وكنت مشغولاً بذكر الله بلا انقطاع، وكان لي صوتٌ حسن، فبعض الأوقات لجمعية الخاطر في أثناء الذكر أقرأ بعض الأشعار بترنُّمٍ، وكان الشيخ جمال الدين يسمعُ نغمتي، ويحصل له الفرحُ وينبسط وقته، وكنت غافلاً عنه أنه يسمع صوتي، فتارة أسكت وأشتغل بذكر الله تعالى، فيوماً جاء الشيخ جمال الدين عندي، وقال: يا شيخ عبد الله، لِمَ تفعلُ هكذا ؟، أنت في أثناء الذكر تقرأ شيئاً بحُسن الصوت، وأنا أتوجَّهُ إلى صوتك، ثم تسكتُ وتخلّيني مثل المذبوح، فبعد هذا لا تفعل ذلك، واشترِ قلوبَ المحبِّين؛ لأنهم يشترون منك الصوت الحسن. وأمرني أبي كذلك، فقبلت كلامه.

قال الشيخ جمال الدين في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] : ليس اليقين إلا معاينة عينَ القديم، ونيَّةُ مُعاينة عين القديم بلا صُورةِ عملٍ عبادة، والنيَّةُ التي هي أبلغ من الأعمال هذه النية، فإنَّ صورة العمل بلا نية معاينة القديم لا تكون عبادة، بل هو رسمٌ وعادة، فالطالب هو الذي لا يكون له مطلبٌ غيرَ عين القديم، وكلَّما يكون غير عين القديم عنده محال[1] وباطل.

توفي رحمه الله تعالى سنة نيِّفٍ وخمسين وسبع مئة، وكان قبره في شيراز.

* * *

(٣٢٧) موسى بن عمران الجِيرَفْتي[*]

موسى بن عمران الجِيرَفْتي رحمه الله تعالى، كان كبيرَ الشأن في جِيرَفْت[2]، وكان شيخَ الشيخ عبد الله الطاقي.

---

(١) في (ب): عبده محال.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) جِيْرَفْت: مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان، وأنزهها وأوسعها، بها خيرات ونخل كثير وفواكه. معجم البلدان، قال السيوطي في لب اللباب: الجيرفتي: =

قال شيخ الإسلام: وقعَ النقار بين أبي عبد الله بن الخفيف والشيخ موسى بن عمران، فإن عبد الله بن الخفيف كتب ورقةً، وأرسل رسولاً: إنَّ في شيراز لي ألفَ مُريدٍ، ولو أردتُ من كلِّ واحدٍ ألفَ دينار أعطوني بلا توقُّفٍ ولا مُهلة. قال الشيخ موسى بن عمران في جوابه: إن في جِيرَفْت لي ألفَ عدوٍّ، إن يَجدوني يقتلوني بلا توقُّفٍ ولا إهمالٍ، أأنتَ صوفيٌّ أم أنا؟

* * *

(٣٢٨) علي بن حسن بن حسين الكرماني(*)

الخواجه[1] علي بن حسن بن حسين الكرماني رحمه الله، كان من متأخّري مشايخ كرمان، وكان له دارٌ في كرمان، وكان له شغلٌ عظيم، ومريدون كثيرون، ومعاملة حسنة.

وكان يدّعي أنه مُريدُ الشيخ عمّو الكردي، وأنه في حياة شيخه ما جلسَ في مسند الإرشاد.

وقال شيخ الإسلام: وقع النقار بين الخواجه علي بن حسن وبين خليل الخازن؛ لأنَّ خليل أرسل مكتوباً إلى الخواجه علي، وكتب فيه: أنت من الصُّبح إلى الضُّحى تأكلُ الجوارشَ[2] والأدوية حتى تقدرَ تأكل الطعام بالتنعُّم، وأنا من الصُّبح أدورُ في بيوت الناس حتى يتيسَّرَ لي لقمةٌ يقوم به[3] الصلب، أأنت الصوفي أم أنا؟

= بالكسر، وضم الراء، وسكون الفاء.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) الخواجه: بتفخيم الخاء المفتوحة، وترسم بالواو ولا تُقرأ، وإنما هي علامة التفخيم، وهو فارسي، ومعناه الشيخ، ويجمع على خواجكان بكاف فارسية، وألف، ونون، والكاف بدل الهاء التي في المفرد، والألف والنون علامة الجمع. الحدائق الوردية ٣٥٣.

(٢) الجوارش: معجون هاضم من معاجين الفرس، مولد من كلام الأطباء، معناه الملطِّف المسخِّن، أو المقطع للأخلاط، وفصيحه الهاضوم. متن اللغة (جرش).

(٣) في (ص): لقمة تقوم بالصلب.

والمشايخ لم يقبلوا هذا الكلام، ولم يحسّنوا قبولَ الخلقِ ولا طلبه[1]، لأنه يحصلُ فيه الغرورُ، والكِبر، والعُجب فيزول الإيمان، وهذه عقبةٌ عظيمة إن لم يكن حفظ الله تعالى يكونُ متعسّراً على العباد.

* * *

(٣٢٩) ميرة النيسابوري[*]

ميرة النيسابوري رحمه الله تعالى، كان من كبراء[2] الصُّوفية، ومن أهل الملامة.

ذهب إلى نيسابور للزِّيارة، أو لشُغلٍ آخر، ومعه خادم، فحصل له قبولٌ عظيم، ومريدون كثيرون، وما أعجبه هذه الجمعية، وكان يزيدُ في شُغل القلب، فلمّا رجع خرج معه ناسٌ كثير، فسأل الخادم: من هؤلاء؟ قال: كلُّهم يريدوكم، وعازمين في خدمتكم. فسكت، وما قال شيئاً، حتى وصلَ إلى تلٍّ، فطلع عليه، وكان ريحٌ قوي، ففكَّ دكَّة السراويل، وبال حتَّى نجّس ثياب الناس وثوبه، فقال القوم: [ما] أحسنتَ. فكلهم أنكروا عليه، وكان خادمُه يمشي على عقبه بالإنكار والغضب حتى وصل إلى ماءٍ، فدخل الماءَ بالمرقعة والثياب فغسلها، وغسلَ بدنه[3]، فتوجّه إلى الخادم، وقال: لا ينبغي لك أن تُنكر هذا العمل، لأن آفةً عظيمة، وفتنةً كبيرة دُفعتُ بهذا البول، لا يكون نفعٌ منهم، بل يحصل للنفس عجبٌ وكِبر، فيذهبُ رأسُ المال، وتزيدُ تفرقةُ القلب.

قال شيخ الإسلام: أتعرف لِمَ فعل هذا؟ لأنه أعجب نفسه هذه الجمعيةُ والإقبال، فكان عليه واجبُ دفعه.

* * *

---

(١) في (ح): والطلبة.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في (ب): كان من أجل.

(٣) في (ب): وغسل يديه.

(٣٣٠) أبو عبد الله التُّرُوغْبَذي(*)

أبو عبد الله التُّرُوغْبَذي رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن محمد بن الحسين[1]، كان من أجلِّ مشايخ طوس.

وصحب أبا عثمان الحِيري، والمشايخ الذين كانوا في طبقته.

وكان وحيد المشايخ في طريقه، وله كرامات ظاهرة، وكان رفيع الحال والهمَّة.

وتوفي بعد سنة خمسين وثلاث مئة.

قال أبو عبد الله: **طوبى لمن لم يكن له وسيلةٌ إليه غيره.**

وأيضاً عنه قال: **ترك الدنيا للدنيا من جميع الدنيا.**

وأيضاً عنه قال: **إن الله تعالى يُعطي المعرفة لعبده بقدر ما ينزل عليه البلاء، حتى يحمَّل البلاء على قدر معرفته.**

وأيضاً عنه قال: **ابعد من التميز في الخدمة؛ لأن المتميِّزين بالخدمة ظاهراً ما بقي منهم أحد، فاخدم الكلَّ حتى يحصل لك المقصود.**

* * *

(٣٣١) أبو عبد الله الرُّوذْباري(**)

أبو عبد الله الرُّوذْباري قدس الله تعالى روحه، من الطبقة الخامسة، اسمه أحمد بن عطاء، كان شيخاً في الشام، وأقام بالصور، وهو على ساحل البحر، وقبره هناك، والآن صار في البحر.

(*) طبقات الصوفية ٤٩٤، مناقب الأبرار ٢١٢/أ، المنتظم ٧/ ٢٢، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٧/ب، طبقات الأولياء ٢٤٢، طبقات الشعراني ١/ ١٢٤، الكواكب الدرية ٢/ ١٥٠.

(١) في طبقات الصوفية، وطبقات الأولياء، والكواكب الدرية: الحسن.

(**) طبقات الصوفية ٤٩٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، تاريخ بغداد ٤/ ٣٣٦، الرسالة =

وكان ولدَ أخت أبي علي الرُّوذباري وكان صوفياً، ذا حالٍ، على صورة القراء.

واسم أمه فاطمة أخت الشيخ أبي علي الروذباري، وكانت تقول لولدها: هكذا كان طريق خالك.

وكان صوفياً عالماً بعلم القرآن، والشريعة، والحقيقة، وله أحاديث.

وكان ذا خلقٍ، وحسنَ الشمائل، وكان موصوفاً بتعظيم الفقراء، وحبهم، ومرافقتهم.

وتوفي في شهر ذي الحجَّة سنة تسعٍ وستين وثلاث مئة، وله كتاب في آداب الفقر[1].

قال شيخ الإسلام: أبو عبد الله الرُّوذباري هو الذي ساخت رجلُ جمله في الرمل، فقال: جلَّ الله. فقال الجملُ بلسانٍ فصيح: جلَّ الله.

قال شيخ الإسلام: أنا أعرفُ رجلين رأياه، أحدُهما أبو عبد الله باكو، والشيخ أبو القاسم بن أبي سلمة الباوردي، فإن الشيخ أبا عبد الله باكو قال: قال الشيخ أبو عبد الله الروذباري: **التصوّف تركُ التكلف، واستعمالُ التظرّف، وحذف التشرف**. والشيخ أبو القاسم بن أبي سلمة الباوردي قال: قال أبو عبد الله الروذباري: إن كتابة الحديث ترفعُ الجهلَ، والتصوّف يرفعُ الكِبر، **فإذا اجتمعا فناهيك به نبلاً**.

قال شيخ الإسلام: قال أبو سعيد المقرئ: كنت مع الشيخ أبي عبد الله

= القشيرية ١/١٩٦، مناقب الأبرار ٢١١/أ، المنتظم ٧/١٠١، الكامل في التاريخ ٨/٧١٠، معجم البلدان ٣/٧٧، المختار من مناقب الأخيار ٥٧/أ، مختصر تاريخ دمشق ٣/١٦٨، سير أعلام النبلاء ١٦/٢٢٧، ميزان الاعتدال ١/١١٩، الوافي بالوفيات ٧/١٨٤، مرآة الجنان ٢/٤٩، البداية والنهاية ١١/٢٩٦، طبقات الأولياء ٥٤، طبقات الشعراني ١/١٢٣، النجوم الزاهرة ٤/١٣٧، الكواكب الدرية ٢/٣٨، الطبقات الصغرى ٣٢٣، شذرات الذهب ٣/٦٨.

(١) في (ب): آداب الفقراء.

الرُّوذباري نأكل الباقلاء، فما أعجبه الباقلاء، فوضعته في أُجَّانٍ[1]، فقال الشيخ: لا تضع في أُجَّان، لأنَّ ما لم تحبَّه لنفسك لا تحبَّه لغيرك، فضعه على طريقِ الفقراء، ربَّما يأكلونه[2].

قال شيخ الإسلام: قال محمد شكرف: ينبغي الإنصاف، ولو في إعطاء المدر.

* * *

(٣٣٢) أبو عبد الله بن مانك[*]

أبو عبد الله بن مانك رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان أبو عبد الله بن مانك بأرغان[3] فارس، واسمه أحمد بن إبراهيم بن مانك، ومن تلامذة بندار الأرغاني، ورأى الشبلي، وكان عمره بضعاً ومئة سنة، وكان إذا تكلَّمَ يخرجُ الرِّيقُ من فمه، وكان له مُريدان يمسحان الريق؛ لأنه ما كان له سنون.

قال شيخ الإسلام: كان أبو نصر القباني شيخي رأى أبا عبد الله بن مانك، وكان صاحبَ الحديث، وأنا قرأتُ الحديث عليه.

قال: قال الشيخ أبو عبد الله بن مانك: قال الشبلي يوماً علي المنبر حق. فقال الجُنيد وكان حاضراً: فالغيبة حرام.

قال شيخ الإسلام: جاء أبو سعيد الخراز إلى مصر، وقالوا له: لِمَ لا تُكلِّم الناس؟ فقال: هؤلاء غافلون عن الحقِّ، وذكر الحقِّ مع الغافلين غيبة.

* * *

---

(١) الأجان: وعاء تغسل فيه الثياب.

(٢) انظر ترجمة أحمد نساج الخيش صفحة ٣٩٨.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣) أرَّجان وعامة العجم يسمونها أرْغان: مدينة كبيرة، كثيرة الخير، بها نخيل وزيتون وفواكه، وهي برية بحرية، سهلية جبلية بينها وبين شيراز ستون فرسخاً، وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً. انظر معجم البلدان.

(٣٣٣) أبو عبد الله الدُّوني(*)

أبو عبد الله الدُّوني رحمه الله تعالى، هو من المتأخّرين، وكان في دُون[١]، وكان له قلقٌ واضطراب عظيم.

قال شيخ الإسلام: قال لي الخرقاني: قال لي بعضُ تلامذة عبد الله الدُّوني: قال أبو عبد الله: شيخي عاشَ سكراناً، ومات سكرانا[٢].

قال شيخ الإسلام: كان هو صادقاً. أي التلميذ. قال الخرقاني: ذاك أبو بكر الشبلي، عاش سكراناً ومات سكراناً، لأني رأيت الشبلي يرقص في الهواء، ويشكرني.

قال شيخ الإسلام: سألوا أبا عبد الله الدُّوني: ما الفقر؟ قال: **اسم واقعٌ، فإذا تمَّ فهو الله**.

قال شيخ الإسلام: كان الدُّوني أكثرَ أوقاته يقرأُ القرآن، ويحبُّ سماع القرآن، فإذا قرأ آيةَ الزَّكاة، أو الصدقة يستريح ويتصدَّق بشيءٍ يأمر به أحداً أن يؤدّيه إلى خارج الباب، ويتركه حتى يجيء واحدٌ يأخذه.

* * *

(٣٣٤) أبو عبد الله المولى(**)

أبو عبد الله المولى كان في هراة في زمان بير[٣] أبي سعيد الدُّوني الزاهد، فيوماً دخلَ أبو عبد الله في المسجد قبل دخول أبي سعيد الدوني، وابتدأ بالكلام، فقال: التوحيد الصِّرف ما قلت لكم، وإن تريدوا العلم بالقيل والقال فيجيء أبو سعيد يتكلَّمُ لكم.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) دون: قرية من أعمال دينور. انظر معجم البلدان.

(٢) كذا في الأصل.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣) بير: الشيخ باللغة الفارسية.

قال شيخ الإسلام: كلامُ جميع المشايخ واحد، لكنْ واحدٌ يتكلَّم بالترتيب والقانون، فيخلصه الله تعالى، وواحدٌ بلا ترتيب ولا اصطلاح، فيؤخذ. كما كان يقول أبو عبد الله المولى، والصبيان يدورون خلفه ويقولون: أبو عبد الله مولى. فيقول: اتركوا عبد الله، وقولوا مولى.

قال شيخ الإسلام: أورد أبو عبد الله جميعَ الكلام في كلمةٍ واحدة، وكانت قصَّته هكذا[1]: كان جائعاً، وتمنَّت نفسه خبزاً حاراً ودبساً، فرقدَ في مسجد الجامع، فرآه واحدٌ من المريدين، وهو نائم، فجاء في خاطره: عسى أن يكون الشيخ جائعاً. فاشترى خبزاً ودبساً، فحطَّه تحت سجادته، فوجدَ ريحَ الخبز، فاستيقظ وجلسَ، فرأى ما كان اشتهت نفسه، فرفع رأسَه إلى السماء، وقال: أنت قادر تفعل ما تريد. يعني أنَّ لك عنايةً وكرماً، فتُعطي للمحبين بلا سببٍ وبلا جهد.

فقال شيخ الإسلام: لا يحصل شيء بالجهد والطلب إلا بعنايته وفضله.

* * *

(٣٣٥) أبو عبد الله المقرئ(*)

أبو عبد الله المقرئ رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، واسمه محمد بن أحمد بن محمد المقرئ.

وصحبَ: يوسف بن الحسين، وعبد الله الخرَّاز الرَّازي، ومظفَّر الكرماني، ورُويماً، والجَريريَّ، وابن عطاء.

وكان من فتيان المشايخ، وأسخيائهم، فإنه حصلَ له ميراثُ خمسين ألف دينار، غير العقار والضياع، فتصدَّقَ بها كلِّها إلا الضياع والعقار، وعزمَ إلى الحجِّ بالتجريد والانفراد، وكان حديثَ السنِّ.

---

(١) في (ب): قضيته هكذا.

(*) طبقات الصوفية ٥٠٩، مناقب الأبرار ٢١٣/أ، طبقات الأولياء ٧٥، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٧.

ومات في سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة.

قال المقرئ: الفقير الصادق الذي يملكُ كلَّ شيءٍ، ولا يملكه شيء.

وأيضاً عنه، قال: من تعزَّزَ عن خدمة الفقراء إخوانه، أورثه اللهُ تعالى ذلاً لا انفكاكَ منه أبداً.

وأيضاً عنه قال: ما قبلَ منّي أحدٌ شيئاً إلا رأيتُ له منَّةً عليَّ، لا يمكنني القيام بواجبها أبداً.

وأيضاً عنه قال: إن الفتوَّةَ أن تحبَّ الخيرَ لعدوك، والعطاءَ لمن يكرهُهُ قلبُك، وتُحسنَ الخُلُقَ، والمصاحبةَ، والمجالسة، لمن يكون طبعُك متنفِّراً عنه.

وأيضاً عنه قال: لما دخلتُ على عبد الله الخراز قلت: أيُّها الشيخ، بم تأمرني؟ قال: بثلاثة أشياء؛ الحرصِ على أَداء الفرائض بأقصى الجهد والطاقة، وحفظِ حرمة المسلمين، وباتهامِ الخواطر إلا أن تكون موافقة الحق.

* * *

(٣٣٦) أبو القاسم المُقرئ(*)

أبو القاسم المقرئ رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، واسمه جعفر بن أحمد بن محمد المقرئ أخو أبي عبد الله المقرئ.

وكان من أكابر مشايخ خراسان، ووحيدَ وقته وطريقته، وكان حاله قوياً، وهمَّته شريفة.

قال الشيخ السُّلمي: لم نلقَ أحداً من المشايخ في سمته ووقاره وجلسته.

صحب: ابن عطاء، والجَريري، وأبا بكر بن أبي سعدان، وأبا بكر ممشاذ، وأبا علي الرُّوذباري.

(*) انظر الترجمة رقم (١٢٨) صفحة ١٨٥، ومصادرها. فكأنه هو هو.

ومات في سنة ثمانٍ وسبعين وثلاث مئة في نيسابور.

وقال المُقرئ: إن العارف هو الذي يشغله معروفه أن ينظر إلى الخلق بالردِّ أو القبول.

وأيضاً عنه قال: **أوائلُ بركة الدخول في التصوف أن تُصدِّقَ الصالحين في الأخبار عن أنفسهم، وعن مشايخهم.**

* * *

(٣٣٧) أبو محمد الرَّاسبي(*)

أبو محمد الرَّاسبي رحمه الله، من الطبقة الخامسة، اسمه عبد الله بن محمد الراسبي البغدادي، كان من كبار مشايخ بغداد.

وصحب: ابن عطاء، والجَريري.

وذهب إلى الشام، ثم رجع إلى بغداد، ومات بها في سنة سبعٍ وستين وثلاث مئة.

قال أبو محمد: **أعظمُ حجابٍ بينك وبين الحقِّ اشتغالُكَ بتدبير نفسك، أو اعتمادُكَ على عاجزٍ مثلِك في أسبابك.**

وأيضاً عنه، قال: **الهمومُ عقوباتُ الذنوب.**

وأيضاً عنه، قال: **لا يكون الصوفي صوفياً حتى لا تُقلَّه أرضٌ، ولا تُظلّه سماء، ولا يكون له قبولٌ عند الخلق، ويكون مرجعُهُ في كلِّ الأحوال إلى الحقِّ تعالى.**

وجرى يوماً عنده ذكرُ المحبّة، فقال: **المحبّةُ إذا ظهرت افتضحَ فيها المُحبُّ، وإذا كُتمت قُتل المحبُّ كمداً.**

(*) طبقات الصوفية ٥١٣، مناقب الأبرار ٢١٣/ب، المختار من مناقب الأخيار ٢٧١/أ، طبقات الأولياء ٧٦، طبقات الشعراني ١/ ١٢٥، الكواكب الدرية ٢/ ١١١.

وأنشد:

ولقد أفارقُهُ بإظهارِ الهوى عَمداً ليسترَ سرَّه إعلانُه
ولربَّما كتمَ الهوى إظهارُه ولربَّما فضحَ الهوى كتمانُهُ
عِيُّ الحبيبِ لدى الحبيبِ بلاغةٌ ولربَّما قتلَ البليغَ لسانُهُ
كم قد رأينا قاهراً سلطانُهُ للناسِ ذلَّ لحبِّه سلطانُهُ

* * *

(٣٣٨) أبو عبد الله الدِّينوري (*)

أبو عبد الله الدِّينوري رحمه الله تعالى، من الطبقة الخامسة، اسمه محمد بن عبد الخالق الدينوري **وهو من أجلِّ المشايخ، وأكبرهم حالاً، وأفصحهم في علوم هذه الطائفة**، وكان رجوعه إلى صحبة الفقراء، والتزامِ آدابهم ويحب أهله، وأقامَ سنيناً كثيرة في وادي القرى، ثم رجع إلى دينور، ومات بها، هكذا ذكره في «طبقات السلمي»[1].

وقال شيخ الإسلام: في آخر العمر دخلَ في وادي القرى[2]، في مسجدٍ، وما أضافه أحدٌ، فماتَ من الجوع، فلمّا رأوه ميتاً كفَّنوه ودفنوه، فاليوم الثاني لمّا دخلوا المسجدَ رأوا في المحراب كفناً طائحاً وقرطاساً، كُتِبَ فيه: نزل فيكم من أحبَّائي، وما أطعمَه أحدٌ طعاماً، وقتلتموه بالجوع، فما نُريد كفنكم.

قال شيخ الإسلام: قال أبو عبد الله الدِّينوري: إن الله يُسلِّمُ على الفقراء،

(*) طبقات الصوفية ٥١٥، مناقب الأبرار ٢١٤، المختار من مناقب الأخيار ٣٥٠/ب، روض الرياحين ٢٨٦ (الحكاية: ٢٢٤)، طبقات الأولياء ٢٩٦، طبقات الشعراني ١/ ١٢٦، الكواكب الدرية ٢/ ١٢٩.

(١) طبقات الصوفية ٥١٥، والعبارة فيه: من جلة المشايخ وأكبرهم حالاً وأعلاهم همة وأفصحهم في علوم هذه الطائفة مع ما كان يرجع إليه من صحبة الفقراء والتزام آدابه ومحبة أهله، أقام بوادي القرى سنين ثم رجع إلى دينور، ومات بها.

(٢) وادي القرى: واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، كثير القرى، فتح الرسول ﷺ قراه سنة سبع، وكان سكانه من اليهود ـ قاتلهم الله ـ انظر معجم البلدان.

قال في القرآن: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقيل: إنه كان في سفينة، وانقطع الرِّيحُ مدَّةً، فكان يشتغلُ بخياطة المَرْقعة، ويفكّها، ويَخيطها حتى وصل إلى الكوفةَ، وقال: أنا أَشغلُ نفسي قبل أن تشغلني.

وأيضاً عنه قال: إن صُحبة الصبيان للأكابر من جملة توفيق الله تعالى، ومن غاية لطافة طبعهم، ورغبةُ الشيوخ إلى الصبيان علامةُ الخذلان وحماقتهم[1].

وأيضاً عنه قال لبعض أصحابه: **لا يعجبنَّكَ ما ترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم، فما زيَّنوا الظواهرَ إلاّ بعد أن خربوا البواطن.**

قال شيخ الإسلام: علَّمتُ أصحابي عمارةَ الباطن، لا تعميرَ الظاهر، ومن تزيَّنَ بظاهره لا يكون اللهُ عنه راضياً، والذين كانوا مقيَّدين بزينة الثياب، والمرقعة، والسجادة، والكنف وأمثالها، ولا يكون لهم المعاني وصفاء الباطن، فمن رآهم حسب المشايخ هكذا، والذين كانوا أصحاب المعاني وبواطنهم نور وصفاء لم يقدروا على شغلٍ بغيره تعالى وتقدَّس.

وأيضاً عنه قال: رأيتُ في بعض الأسفار رجلاً أعرجَ، يمشي برجلٍ واحدةٍ، فقلت له: ليس لك آلةُ السفر، لأيِّ شيءٍ اخترتَ السفر؟ قال: أنت مسلم؟ قلت: نعم. فقال: اقرأ هذه الآية ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠] فإذا كان الحامل هو الله تعالى، فيقدر أن يحملَ بلا آلة.

ودخل عليه واحدٌ، وقال: **كيف أمسيت؟** فقرأ هذا البيت:

إذا الليلُ ألبسني ثوبَه ... تقلَّبَ فيه فتًى مُوجَعُ[2]

* * *

---

(١) قوله في طبقات الصوفية ٥١٥: صحبة الصغار مع الكبار من التوفيق والفطنة، ورغبة الكبار في صحبة الصغار خذلان وحمق.

(٢) البيت لأشجع بن عمرو السُّلمي ديوانه صفحة٢٢٧. ومختصر تاريخ ابن عساكر ٤/٤٠٤.

(٣٣٩) أبو الحسين السِّيرواني الصغير(*)

أبو الحسين السِّيرواني الصغير قدس الله سره، من الطبقة السادسة، اسمه علي بن جعفر بن داود، وكان من سيروان المغرب، من تلامذة السيرواني الكبير.

صحب الخوّاص بمصر، وجاور بمكّة، ومات بها.

وكان من تلامذة: معاذ المصري، ورأى أبا بكر الموازيني، والجُنيد، والشبلي، وأبا الخير التيناتي، والكتاني، وأبا علي بن الكاتب، وأبا بكر المصري وغيرهم من مشايخ وقته.

وكان شيخَ الحرم في وقته، ووحيد المشايخ، ذكره الشيخُ السُّلمي في «تاريخ الصوفية»، وذكر فيه أنَّ عمرَه كان أربعاً وعشرين ومئة سنة، وفي آخر العُمر صارَ مُقعداً، فإذا قال المؤذن: **قد قامت الصلاة**، يقومُ فزعاً، ويصلّي الصلاة، ويعودُ كما كان مقعداً، وفي حالةِ السماع والرَّقصِ كان هكذا.

وكان الشيخ عمّو، والشيخُ عباس يتفاخران برؤيته، ولا بدَّ لهما أن يتفاخرا به؛ لأنَّ التفاخرَ برؤيته كان عليهما فرضاً.

سُئل: ما التصوف؟ قال: **الإفراد والانفراد.**

وأيضاً عنه قال: **الصوفية مع الواردات لا مع الأوراد.**

قال شيخ الإسلام: قال فتح حاجي: الصوفي هو الذي تعدّى المقامات والأحوال كلّها، وكانت تحت قدمه، وكلها في حالة مجتمعة.

قال شيخ الإسلام: قال الشيخ عمّو: إنه قال الشيخ السيرواني: **آخرُ ما يخرجُ من رؤوس الصدّيقين حبُّ الرئاسة.**

وقال العباس: قال السيرواني: **أنا أُوصيكم بمحبّةِ من يُحبُّكم.**

(*) معجم السفر للسلفي ٤/ ١٩٥، ٢٢٢ تحقيق عبد الله عمر البارودي طبع مكة المكرمة.

وقال عمُو: قال السيرواني: إن كان لي رجلٌ جئت إلى خُراسان لزيارةِ من يحبُّكم.

قال فتح حاجي: قال السيرواني: قد يكون شخصاً، بعض المشايخ ينظرون حالَه ومقامه، وهو لا يَعرفُ حاله ولا مقامه.

قال الشيخ السيرواني: من طلب عزًّا بباطل، أورثَه اللهُ ذلاً بحقٍّ.

وأيضاً عنه قال: التصوُّفُ تركُ الخلقِ، وإفرادُ الهمّةِ. ثم قال: الخلقُ مِحنةٌ، ما دخلوا في شيءٍ إلاّ أفسدوه.

وأيضاً عنه قال: من ترك تدبيرَه عاشَ طيّباً.

وأيضاً عنه قال: ما آفةُ الناسِ إلاّ الناس.

وأيضاً عنه قال: الفقراءُ هم مُلوكُ الدنيا والآخرة، استعجلوا الراحة.

وأيضاً عنه قال: الفقير ابنُ وقته، فإذا تطلَّعَ إلى وقتٍ ثانٍ فقد خرجَ من الفقر.

وأيضاً عنه قال: سمعتُ من الجُنيد قال: من حصلتْ له الفاقة، وله ثوبٌ زائد عن حاجته؛ فإنه من بخله.

وأيضاً عنه، قال: حثُّونا على الطلب، وهو لا يجيء بالطلب.

وأيضاً عنه قال: قال المُرتعش: لو لعبَ الفقيرُ عشرين سنةً، ثم صدقَ ساعةً لنجا. ثم قال السيرواني: حاشاهم من اللعب، إنَّما أرادَ به قلَّةَ اليقين.

وأيضاً عنه قال: سمعت من أبي الخير التيناتي أنه قال: أشرفني اللهُ تعالى على سقر، فرأيت أهلَها أَصحابَ المُرقّعات، والركوة. فقال السيرواني: هذا الاستحقاق حصل لهم من قلَّةِ اليقين.

* * *

(٣٤٠) أبو الحسن بن جَهْضَم الهمذاني (*)

أبو الحسن بن جهضم الهمذاني قدس الله سره، من الطبقة السادسة، اسمه علي بن عبد الله بن الحسن بن جهضم الهمذاني، كان كبير الشأن، من تلامذة الكوكبي، وجعفر الخلدي.

وكان شيخَ الحرم، وله كتابٌ مُعتبرٌ مُسمّى «بهجة الأسرار»[1] وفيه ذكرُ أحوال الصوفية، ومقاماتهم، وحكاياتهم.

وفي «تاريخ اليافعي»[2] أنه تُوفي سنة أربعَ عشرة وأربع مئة.

رآه الشيخ أحمد الكوفاني.

قال شيخ الإسلام: أنا أعرفُ من زار أبا الحسن بن الجهضم بمكّة، وتركَ[3] الحجَّ لأجل كبرياء عظمته، وقال: أنا جئتُ لزيارته، وما كان حجَّ حجَّةَ الإسلام.

قال شيخ الإسلام: زيارةُ المشايخ، وخدمتُهم فرضٌ على هذه الطائفة.

(*) المنتظم ٨/ ١٤، تاريخ الإسلام (وفيات ٤١٤ هـ)، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٥، العبر ٣/ ١١٦، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٧، المغني في الضعفاء ٢/ ٤٥١، ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٦، العقد الثمين ٦/ ١٧٩، لسان الميزان ٤/ ٢٣٨، شذرات الذهب ٣/ ٢٠٠. وكنيته في (ح): أبو الحسين.

(١) سمى ابنُ خير في «الفهرسة» ٢٩٥ كتابه: «الأنوار وبهجة الأسرار» وقال: أربعون جزءاً. قال الزركلي في الأعلام ٤/ ٣٠٤: قلت: كتاب «بهجة الأسرار» لابن جهضم - عليّ بن عبد الله المتوفى سنة ٤١٤ هـ - غير كتاب «بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار» المطبوع لعلي بن يوسف الشافعي الشطنوفي أبو الحسن نورُ الدين المتوفى سنة ٧١٣ هـ، وقد جعلهما صاحب كشف الظنون صفحة ٢٥٦ شخصاً واحداً، وبينهما ثلاث مئة عام، وتابعه في خطئه بروكلمان، وسركيس في معجم المطبوعات ١١٢٦، ومشتبه النسبة للأزدي ٧٨-٧٩.

(٢) مرآة الجنان ٣/ ٢٨.

(٣) في (ص): وتركت.

قال شيخ الإسلام: إن عقيل البستي خرج من بُست[1] للحجِّ، فعزم لزيارة الشيخ أبي العباس، وطلبَ منه سراويل؛ لأنَّه ما كان عنده سراويل، فأعطاه سراويلَ، وقال: البس السراويل، وارجع فوراً. وبالغ في رجوعه، فرجع، وفي كلِّ منزلٍ يحصلُ له سراويل.

وكان لأبي الحسن بن الجهضم ولدٌ، وما كان راضياً عن أفعاله، فيوماً كان ولد [أبي] الحسن تعدّى من المسجد، فقال واحدٌ للشيخ السيرواني: هذا الشاب ولدُ الشيخ أبي حسن بن الجهضم، والشيخ يتعب من أفعاله. فقال السيرواني: التَّعبُ للولد من الأب؛ لأنَّ باشتهاره صار الولد مَطعوناً.

* * *

(٣٤١) أبو الحسين الطرزي(*)

أبو الحسين الطرزي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: طرز مكانٌ بفارس. كان كبيراً، ويعظِّمُ الصوفية، وأصحابُه كانوا مؤدّبين ومصونين.

قال شيخ الإسلام: قال لي أبو نصر الحاجي: رأيت أبا الحسين الطرزي أخذَ خرقةً من خُفِّ بعضِ الصوفية، فكان يمسحُ بها وجهَه ورأسه.

قال شيخ الإسلام: كان معي قومٌ من كواشان[2]، كانوا كلهم منوّرين أصحابَ قلوب، قالوا: تودّينا إلى الشيخ [أبي] عبد الله الطاقي؟ فودّيتهم، وقلتُ له: هؤلاء يُريدون الوصيَّة منك. قال: هم ذوو عيال؟ قلت: نعم. قال: ذوو كسب؟ قلت: نعم. قال: هذا حسن، يكتسبون ويرضون لأهلهم،

---

(١) بُست: مدينة بين سجستان وغزنَين وهراة، وأظنها من أعمال كابل، كثيرة الأنهار والبساتين. انظر معجم البلدان.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) لم أجد كواشان في معجم البلدان، وكأنها محرّفة عن كُوشان: مدينة في أقصى بلاد الترك. معجم البلدان.

ويجتمعون ويأكلون معهم ويتفرَّقون. فدعا لهم، وقمنا، فذكرت ذلك للشيخ عمُّو، فقال الشيخ عمُّو: إن أصحابَ أبي عبد الله الدوني، وأبي الحسين الطرزي كانوا يفعلون هكذا.

* * *

(٣٤٢) أبو الحسين السَّرْكي(*)

أبو الحسين السَّرْكي[١] رحمه الله، كان مُجاوراً في مكّة مع المشايخ، مثل الشيخ السيرواني، وأبي العباس السُّهرودي، والشيخ أبي أسامة، وأبي الخير الحبشي، وأبي سعيد الشيرازي، والشيخ محمد الساخري، كلُّهم كانوا رفقاء بينهم، والمشايخ كلُّهم يعزِّزونه.

قال شيخ الإسلام: إن أبا الحسين السَّرْكي كان في البادية مع جماعة؛ مثل الشيخ أبي سعيد الشيرازي، والشيخ أبي أسامة الهروي، والشيخ محمد الساخري، وجماعة أخرى، فجاء السموم، فقال أبو الحسين: لا تخافوا، هذا كلُّه عليَّ، أنا أفديكم بروحي، وأنتم كلُّكم سالمين إن شاء الله تعالى، فوقعَ كما قاله، ثم جاء مطرٌ عظيمٌ وسيل، فودّى جثته. قال شيخ الإسلام: لا يُعطي الماء في الحياة للمحبّين، ويغرقهم بعد الممات، هذه معاملته مع المحبّين.

قال شيخ الإسلام: كان الشيخ أبو الحسين المقرئ يوماً في المسجد الحرام، فوقع كلامٌ بينهم في الصوفية، فقال أبو الحسين: كلكم يقول: أنا صوفي، أنا صوفي، والصوفيُّ هو الذي لو نُقشت صورتُه على جدارٍ لا يقدرُ أن يمرَّ أحدٌ منّا عليه، لعظمته وهيبته. فقالوا من التعب: نحن لسنا صوفية ؟ ! نساجٌ يريد يخرجنا من الصوفية ؟ ! إلا من كان منهم من أهل التحقيق، قال: هو صادق. فارتفع المخاصمة والنقار.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) السَّرْكي نسبة إلى سَرْك، وهي من قرى طوس. اللباب ٢/ ١١٣.

ويوماً جاء وقتُ العمرة، فأبو الحسين السَّرْكي عزم إلى العمرة، وجاء بها، فصلى وجماعة من المشايخ كانوا حاضرين، فبعد السلام، قام يُقَبِّلُ رأسَ كلِّ واحدٍ، ويعتذر، وكان له أخٌ في الله، قال له: كلامُك كان حقاً، والمشايخ كلُّهم قبلوا كلامك، والآن رجعت[1] إلى قول السفهاء؟ قال: أنا أعرف ما تركته[2]، لكن كان وردي لما أذهب العمرة أقرأ القرآن، واليوم كنت في الطريق، كان في خاطري: قال فلان كذا، وأنا أقول كذا تمام درب العمرة صرفت فيه، فتبت عن ذلك، الآن أفرغ قلبي، فما لي الآن خصومة، إن كانوا على حقٍّ أو باطل.

* * *

(٣٤٣) محمد السَّاخري(*)

الشيخ محمد الساخري رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: إنَّ الشيخ محمد السَّاخري هو الذي جاء إلى قبر رسولِ الله ﷺ وقال: أنا ضيفُك يا رسول الله، أطعمني، وإلا أَكسرُ قناديل مسجدك. فجاء واحدٌ وأطعمه تَمراً وطعاماً آخر، فقال: ما قلت لرسول الله ﷺ؟ وهو يضحك وذكر ما قاله. فقال محمد: أنت من أين تقول هذا؟ قال: كنت نائماً، فرأيت النبيَّ ﷺ في الرؤيا، فقال لي ﷺ: إن لي ضيفاً سيّئ الخلق، اذهب به إلى البيت وأشبعه، وقل له: بدل مكانك، هذا ليس مكان اشتهاء النفس.

* * *

(١) في (ص): والآن ما رجعت.

(٢) في (ص): أنا ما تركته.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي وانظر الخبر صفحة ٣٢٨.

(٣٤٤) أحمد نسّاج الخيش(*)

الشيخ أحمد نساج الخيش(١) رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: إنه كان من رفقاء الساخري، وبينهما صحبة، وكان من فرغانة، مجاوراً في حرم الله.

قال شيخ الإسلام: قال عمّو: إذا تضيَّقَ المعاشُ في مكّة فإن المشايخ اختاروا التزويج، ويعملون الوليمة، فيُبسط الرُّزق، وصار طعامهم معلوماً، والشيخ أحمد أيضاً تزّوج، فصباحه قال: هذا لا يكون فيه المسامحة مني؛ لأنه ما كان هذا أمر مستحسن، فلم لا أخبرتموني؟

قال شيخ الإسلام: كان الشيخ أحمد يأكل الطعام وحده، وقال: سببُهُ أني كنت يوماً آكل الطعام مع الشيخ في قصعةٍ واحدة، فحملتُ قطعة لحمٍ وما أعجبتني(٢) تلك القطعة، فوضعتها، فصاح ذلك الشيخ، وقال: أيها الشيخ، ما لا تستحسنه لنفسك كيف تَستحسنُهُ لغيرك؟ فمن ذلك اليوم لا آكلُ الطعام إلاّ وحدي، حتى أصير مؤدباً. قال الشيخ عمّو: فبعد هذا رأيته(٣) في خراسان لا يأكل إلا وحده(٤).

* * *

(٣٤٥) أبو الحسين الحداد الهروي(**)

أبو الحسين الحداد الهروي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: كان كبير الشان، وكان مجرداً وظريفاً من ظرفاء الصوفية، وكان مجاوراً في مكّة مع المشايخ، وجاء عند أبي العباس القصاب،

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) اسمه بالمطبوع الفارسي: أحمد جوالكر.

(٢) في (ص): قطعة لحم واحدة وما أعجبتني.

(٣) في (ص): فبعد هذا ما رأيته.

(٤) انظر الخبر صفحة ٣٨٤ـ ٣٨٥.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

وسأله: ما الفتوة؟ فقال: الفتوة أن لا تبرد الهريسة لهوى نفسك. وكان يوماً أبو الحسين مشغولاً بشغلٍ، وأصحابه كانوا ينتظرونه حتى فرغ من شغله، وبردت الهريسة لأجل شغل نفسه.

قال شيخ الإسلام: إن في جعبتي حكاية لها قيمة من الشيخ أحمد الكوفاني، هي هذه: كان الشيخ أبو الحسين في أَسْتَرآباذ[1] في آخر عمره، فقال له واحدٌ: إن لم يكن عندك الليلة ضيفٌ، فأنت ضيفي. قال: هذا لا يكون إلا قليلاً؛ لأن الليلة الخالية عن الضيف تكون لنفسي.

وقال أحمد: كان أبو الحسين في آخر عمره يشكي من بعض أحوال الصوفية الرسمية، ويقول: يا الله ما بقي لي طاقة، فاطلبني عندك. فمات بعد ثلاثة أيام.

* * *

(٣٤٦) أبو المظفر الترمذي[*]

أبو المظفر الترمذي، رحمه الله، من الطبقة السادسة، اسمه جبال بن أحمد، كان إماماً زاهداً، حنبليَّ المذهب، وكان واعظاً في ترمذ، ويحضر في وعظه الخضر عليه السلام، وكان شيخَ وقته.

ومن تلامذة: محمد بن حامد الواشكردي، وأبو بكر الوراق، وكان شيخَ الشيخ الخوجه عبد الله الأنصاري.

وله كلامٌ كثير، وحكايات حسنة في المعاملات والزهد والورع والتقوى.

قال شيخ الإسلام: كان أبو المظفر الترمذي، وأستاذُهُ محمد بن حامد، وأستاذه أبو بكر الورَّاق الترمذي لا يطيّرون الذُّبابَ عن أبدانهم.

---

(١) أَسْتَراباذ: بلدة كبيرة مشهورة، من أعمال طبرستان، بين سارية وجرجان. معجم البلدان.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

قال أبو بكر الورَّاق: إذا كان المسلمون جالسين لا ينبغي أن يُطيِّرَ الذُّباب؛ لأنه يجلس على الغير فيؤذيه. فعلم أنه لا يطير الذباب في المجلس.

وقيل: ما رأى أحدٌ الذُّبابَ يجلس عليه، فكفى الله تعالى شغلَهم ببركة نيّتهم.

* * *

(٣٤٧) أميرجه بياع الفخار(*)

أميرجه بياع الفخار، رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: قال أبي: كان عادةُ أميرجه لا يقتلُ الحيوان حتَّى العقرب، يأخذُها، ويرميها في البئر.

قال شيخ الإسلام: وأبي كذلك، لا يقتلُ حيواناً، وهذا مذهب الأبدال، وكان أبي من الأبدال وأهل الكرامات.

كان رجلٌ في بسط الوقت رأى ملكاً، فسأله: ما يفعلُ الشخص حتَّى يُبصرَ الملائكة؟. فقال: لا يؤذي الحيوانات. فالتزمَ أن لا يقتلَ شيئاً، فكان يُبصر الملائكة، فيوماً قرصته نملةٌ، فقتلها، فبعد هذا ما رأى ملكاً.

قال شيخ الإسلام: يوماً كان أميرجه على دكّانه، وعنده رجلٌ جالس، فجاءت عجوزةٌ، وقالت: يا كذّاب، مات فلان فلا تجيء لجنازته. وذهبت، فدخل الدُّكان، وما خرج، فذلك الرجلُ دخلَ في دكَّانه وما رآه، فبعد ساعةٍ خرجَ أميرجه من دُكانه، فقال ذلك الرجلُ: أين كنت؟. قال: كنتُ في دُكّاني. قال: أنا دخلت في دكانك فما رأيتك. فقال: رأيتَ تلك العجوزَ التي قالت ماتَ فلان، كان في اليمن، فذهبتُ للصلاة على جنازته، ورجعت. وكان معه قليل من الجزع اليماني، فقال: هذا كان طائح في طريقي، أتريده؟.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. واسمه في المطبوع الفارسي: أميرجه سفال فروش.

قال أميرجه: كنتُ ماشياً بمدينة بلخ، وكان قبةٌ في الهواء، يُغني فيها مطربٌ بآلةٍ، ويقرأ هذا البيت:

همجـــون علـــم شيـــري بـــركـــرده زبـــاد
كـــونـــي عشقـــم وسيـــم تـــوانـــي داد

معناه: علم فيه صورة أسدٍ مملوء من الهواء، وأنت قلت عشقي بالدَّراهم ما يشتري. وأنا حفظته، ووقت جاء واحدٌ عنده، وقال: أنت تبيعَ هذه القرب، أتعرفُ ما يفعلون بها؟. فقال: أنت تذهب في عقبهم، انظر ما يفعلون.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيت ولده.

* * *

(٣٤٨) حمزة العقيلي (*)

الشريف حمزة العقيلي رحمه الله، كان هروياً، وأقام ببلخ، وكان صاحبَ كراماتٍ ومقامات، وصَاحَبَ الخضر عليه السلام، وكان مُستجابَ الدعوة. وشيخَ الشيخ الخواجه عبد الله الأنصاري.

وله مُريدون كثيرون، كلُّهم كانوا أكابرَ وأصحاب كرامات، مثل بير فارسي، وعبد الملك إسكاف، وأبي القاسم حنانة، وحسن الطبري، وعارف العيار، وأبي شيخ الإسلام أبي منصور محمد بن علي الأنصاري، رحمهم الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: قال أبي: إنه قال أبو مظفر الترمذي: من أَحسنَ إليك إحساناً قَيَّدَكَ لنفسه، ومن جفاك فقد فكَّكَ من نفسه، والمطلقُ أحسنُ من المحبوس.

قال شيخ الإسلام: بقدر قطعِكَ العلائقَ مما في السماء و الأرض يكون ربحك.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

فقال شيخ الإسلام: حكى لي شيخٌ عن محمد بن عبد الله، كان إذا أرادَ السفر في ابتداء إرادته، فوصل إلى نيسابور، فكان يوماً في مسجدٍ، ودخل فيه شيخٌ ذو هيبة، فقال: أين تروح ؟. قال: سفراً. قال: أعندك معلوم ؟. قال: لا. قال: كيف تفعل ؟. قال: وقت الضَّرورةِ أسألُ الناس. فقال: من تحبُّ ؟ من يُعطيك أو من لا يُعطيك ؟. قال: أحبُّ من يعطيني. قال: أنت ناقص، يَنبغي أن تحبَّ من لا يعطيك شيئاً؛ لأنه من أعطاك شيئاً صرتَ عبدَ إحسانه، ومن لم يُعطك ردَّكَ إلى الله تعالى، فهذا أحسن أو هذا ؟. فقال: أرجعُ حتى يحصلَ لي هذا الاستحقاق. فجلس في هراة، وكان ما كان.

وأيضاً حكى ذلك الشيخ عن شيخٍ آخر، قال: جاءَ رجلٌ كبير السن من قهندز إلى نيسابور، وقال: درتُ بلداناً كثيرة ما رأيت أحداً بلا تعلّق، وأنا قطعت[1] التعلق.

* * *

(٣٤٩) عارف العيَّار(*)

عارف العيَّار رحمه الله تعالى، كان في بلخ، من أصحابِ الشريف العقيلي، اسمُه منصور.

قال يوماً: يقولُ الناس: عليٌّ رضي الله عنه قلعَ باب خيبر، وإن كان لي نصرةُ الله، ومشاهدةُ رسول الله ﷺ، وذو الفقار، إن لم أقلع جبل قاف، فعليَّ جرمٌ.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا نقصٌ لعليٍّ، بل يمدحه بهذه الثلاثة الأشياء.

* * *

---

(١) في (ب): وأنا ما قطعت.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣٥٠) أبو الحسين سالبة بن إبراهيم(*)

أبو الحسين سالبة بن إبراهيم رحمه الله تعالى، كان يقالُ له: شيخ الشيوخ في شيراز، وكان كبيراً وحيداً في أيامه.

وكان شيخَ الشيخ أبي العباس الهروي، وكان أكثرَ المشايخ في خانقاه، وكان من أصحاب أبي مسلم النسوي.

وكان له خانقاه في شيراز، وإلى ثلاثين سنة كان في خدمةِ الفقراء من الطعام، واللباس، وكثيرٌ من العلماء كانوا مجاورين في خانقاهه.

توفي سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة، ودفن في خانقاهه.

فلما احتُضر الشيخُ، أرسل خادمه عبد الله بن عبد الرحمن إلى السوق لكفنه وتجهيزه، فلمَّا دخل عبد الله في السوق اشترى كفنين وجهازين، فلمَّا رجعَ وجدَ الشيخ ميتاً، فعانقه، وقال: الله. ومات، ودفنوه إلى جانبه.

قال أبو الحسين: ينبغي للمُريد أن يكون محكوماً للهرة، أحسن من أن يكون تابعَ هواه؛ لأن صحبتَه مع الغير لله، وصحبته لنفسه لتربية هوى نفسه.

* * *

(٣٥١) عمران الثلثي(**)

الشيخ عمران الثلثي رحمة الله عليه، ثلث قريةٌ من قرى مصر، وكان منها.

قال شيخ الإسلام: كان طريقُ سيدنا إبراهيم عليه السلام لا يأكلُ الطعامَ بلا ضيفٍ، ويقال له[1] أبو الضيفان.

قال الشيخ عمو: كان الشيخ نهاونديّ لا يطبخ الطعام حتى يجيء الضيف.

(*) سيرة عبد الله بن خفيف ٢٥٩ (أبو الحسن)، كشف المحجوب ٣٨٧.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في الأصول: يقال لبيته.

قال الشيخ عباس الفقير الهروي: إن عمران الثلثي لا يأكل الطعام في النهار إلا مع الضيف، وإن لم يجئ الضيفُ يصوم، فيوماً من أول النهار ما جاءَه ضيفٌ فنوى الصوم، وعند غروب الشمس جاءَ الضيفُ، فأشغله بالكلام حتَّى يُتِمَّ الصوم، فتلك الليلةَ رأى اللهَ تعالى في المنام، فقال اللهُ له: يا عمران، كان لك بي عادةٌ حسنة، وكان لي معك سُنَّةٌ حسنة، فأنت بدَّلتَ عادتك، وأنا بدَّلتُ سُنتي. فاستيقظَ محزوناً مغموماً، فما مضى زمانٌ إلا أرسلَ والي مصرَ عاملَه إلى قريةِ الشيخ، فطلبَ من الشيخ الحساب، وكان ذلك العاملُ يهودياً ظالماً، فظلمَ الشيخَ حتى خرجَ الشيخُ من البلاد.

قال شيخ الإسلام: قال لي الشيخ عباس الفقير: كنتُ في شيراز عند الشيخ أبي الحسين سالبة قاعداً في خانقاهه، فدخلَ واحدٌ، وما عرفته من هو، فنظرَ إليه الشيخ أبو الحسين سالبة، وقال: أنت عمران ؟. قال: أجل. فقام الشيخُ، واستقبله، وعانقه، وجلسا، وكان في عينه حيوانٌ من الحشرات يدور، فقال الشيخ: ما هذا الذي يدور في عينك. قال: وفي عيني شيء ؟ وما كان له خبرٌ من هذا، فقال الشيخ لي: يا هروي، ودِّيه في الحمام. فنزعَ الثياب، ودخل الحمام، فأرسل الشيخ له ثوباً، فلمَّا خرجَ من الحمَّام لبسَ ثوبَ الشيخ، فدخل الخانقاه، فجعل الشيخ دعوة كبيرة؛ لأن الشيخ كان في بيت عمران مدَّةً طويلة، والمشايخ كانوا يجتمعون في كلِّ سنةٍ في بيته مرَّةً، فلمَّا أراد عمرانُ السَّفرَ قال الشيخ: اجلس أياماً حتى أخدمك، وتستريحَ من تعب السفر. فقال: لا، أنا رجلٌ معاتب، إن رآني في راحةٍ وتنعُّمٍ لا يكون رضاؤه، فأختارُ المحنة حتى يظهرَ لي شيءٌ. قال عباس: فرأوه في خربةٍ بمصر ميتاً، وأكل أحد أذنيه الفأرة.

* * *

(٣٥٢) أبو الحسين المَرْوالرُّوذي(*)

الشيخ أبو الحسين المَرْوالرُّوذي[١] رحمه الله، رأى الشبلي.

وسُئل الشبليُّ: من أكرمُ الأكرمين؟ قال: الذي إن عفا عن أحد ذنباً لا يؤاخذ أحداً بذلك الذنب. ويقول: عفوتُ تلك المعصية لعبدي فلان.

قال شيخ الإسلام: إنَّ في غدٍ يُفرشُ بساطُ الكرم، فتضمحلُّ ذنوبُ الأوّلين والآخرين كلُّها.

* * *

(٣٥٣) أبو حامد المُحب(**)

أبو حامد المحب[٢] رحمه الله تعالى، كان في مرو.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيتُ واحداً رآه، وهو أحمد الجشتي.

وذكرَ في وقتٍ آخرَ: قال أحمد الجشتي: قال: إنه أبو سعد الماليني، وهذا صحيح؛ لأنَّ أبا سعد الماليني رأى أبا حامد، وسأله: **متى تسقطُ الحِشمةُ؟**. **قال: إذا قدمتِ الصُّحبة سقطت الحشمة.**

قال شيخ الإسلام: إنَّ الحشمةَ شيءٌ بين الهيبة والوحشة، فإذا قدمتِ الصحبة تسقطُ الوحشة، وتبقى الهيبة.

قيل: إن شيخ الإسلام رأى أبا سعد الماليني؛ لكنَّه ما عرفه لأنَّه كان صغيراً، وما عرَّفَهُ أحدٌ به؛ لكنه رأى من رأى أبا حامد.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) المَرْوالرُّوذي، ويقال أيضاً المروذي نسبة إلى مرو الروذ أشهر مدن خراسان، والنهر بالعجمية الروذ. اللباب ٣/ ١٩٨.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في المطبوع الفارسي اسمه: أبو حامد دوستان.

قال شيخ الإسلام: قال أحمد الجشتي: إن أبا حامد المحبَّ كان جالساً على باب دُكّانٍ في مرو، فجاءه السقاء، وأعطاه ماء، فاستمرَّ الماءُ على يده ساعةً، فقال السقَّاءُ: أيُّها الشيخ، لم لا تشرب الماء ؟. قال: ذبابٌ يشربُ الماء، أصبرُ حتى يفرغَ؛ لأنَّ المحبّين لا يأكلون شيئاً بالمُزاحمة.

قال شيخ الإسلام: إنَّ الآكلَ بالمُزاحمة هو الذي يأكل شيئاً، ويؤثر لغيره إيثار الظاهر، حتى يتكدَّرَ الغير، والذي يأكل زائداً عنه هذا يكون شره، استرِ الإيثار، وكن متوسطاً.

ذكر في «شرح التعرف»: أن تعظيم الله تعالى كان غالباً على أبي حامدِ المحبّ، فلمّا يقومُ للصلاة، ويقول: الله، قبل أن يقول: أكبر يخرُّ مغشيًا، وكان حاله هكذا إلى الموت.

وقيل: لم يلبس الثوب أبداً بيده، وإنَّما مريدوه يُلبسوه، وإن كان لأحدٍ بثوبه حاجةٌ، ولم يكن عنده أحدٌ ينزعُ ثوبَه ويأخذه، وهو ما قال أبداً لأحدٍ لم تنزع أو لِمَ تلبس ؟.

وكان أبو حامد المحبُّ في سفرٍ مع رفيقٍ، فقال رفيقه: أنت قف، حتى أزورَ لواحدٍ صلةَ الرحم. فذهب، وأبو حامد جلس هناك، فما خرجَ ذلك الرجل في تلك الليلة، وجاء ثلجٌ عظيم، فاليوم الثاني خرجَ الرجل، ورأى أبا حامد، كان في الثلج يتحرَّكُ وينفضُ الثلج، فقال: أنت كنتَ هنا ؟!. قال: أنتَ ما قلتَ أقف هنا، إن المحبّين يُوفونَ بعهد المحبِّ.

❊ ❊ ❊

(٣٥٤) باب الفرغاني(*)

باب الفرغاني رحمه الله، اسمه عمر، كان بفرغانة، وكان فقراءُ تلك البلاد يسمُّون كبارَ المشايخ باب، وكان صاحبَ كراماتٍ ظاهرة.

(*) كشف المحجوب ٤٧٢.

قال صاحب «كشف المحجوب»[1]: إنه كان من أوتاد الأرض.

قال شيخ الإسلام: رآه الشيخ عمُو. فقال الشيخ عمو: كنتُ يوماً قاعداً عنده، فدخل عليه واحدٌ، فقال: ادعُ، لأنَّه رجع سركبُ. وسركبُ كان أميراً، جاء لمحاربة أهل الإسلام، وكان عند باب فرغان نارٌ وإبريقٌ، وفي رجله جوربٌ، فدفرَ الإبريق، وقال: رميتُ رأس سركب. فبالفور طاح سركبُ من على الحصان، وكُسرت رقبتُه.

وقال الشيخ عمُو: دخل واحدٌ على الفرغاني، وقال: ادعُ، حتى يجيءَ المطرُ. فدعا، فجاء مطرٌ عظيم، ثم جاء ذلك الرَّجلُ في الأُسبوع الآخر، وقال: ادعُ حتى يُمسك المطر؛ لأنَّه انهدم البيوت والجدران. فدعا، فانقطع المطر.

قال صاحب «كشف المحجوب»[2]: وكان لفرغانة عجوزة اسمها فاطمة[3]، فلمَّا عزمت لزيارة الفرغاني، قالتْ: لِمَ جئت؟. قلت: حتى أزورَ الفرغاني، وينظرَ إليَّ بنظرِ الشفقة. فلمَّا جئته، قال: يا ولدي، أنا من اليوم الفلاني أنظرك، وما غبتَ إلى الآن عنّي. فلمَّا حسبتُ التاريخ كان ذلك ابتداء توبتي، فقال: يا ولدي، طيُّ مسافة الأرض أفعالُ[4] الصبيان، بعد هذا زُرْ بالهمَّة؛ لأنَّ زيارة حضور الأشباح لا يكون نافعاً. فقال الفرغاني: يا فاطمة، ما كان عندك أحضري حتى يأكل هذا الفقير. فجاءت بعنب، وما كان وقته، ورطبٍ وما كان بفرغانة شجرُ الرُّطب.

* * *

---

(١) كشف المحجوب ٤٧٢.

(٢) كشف المحجوب ٤٧٢.

(٣) كذا في الأصول، وفي كشف المحجوب: . . . وكانت له ـ أي لباب الفرغاني ـ زوجة عجوز تدعى فاطمة. وقصدت زيارته من أوزكند، ولما دخلت عليه قال: فيم جئت؟ قلت: لأرى الشيخ بصورته ولينظر إلي. . . .

(٤) في (ص): أقفال.

(٣٥٥) أبو منصور معمر بن أحمد الأصفهاني(*)

أبو منصور معمر بن أحمد الأصفهاني رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان شيخَ أصفهان، جليلَ الشأن، وكان إماماً عالماً بعلومِ الظاهرِ وعلومِ الحقائق، ووحيد المشايخ، وحنبليَّ المذهب، ورآه الشيخ أحمد الكوفاني.

قلت له: تحفظ عنه كلاماً؟ قال: قال يوماً في أثناء كلامه: الفقير عزيز. قلت له: يكفي من كلِّ شيخٍ كلمةٌ واحدة.

* * *

(٣٥٦) أبو نصر السرَّاج(**)

أبو نصر السراج قدّس الله سره، يُقال له طاووس فقراء الحرمين، وكان كاملاً في فنون العلم، وله شأن عظيم في الرياضات والمعاملات، وكان صاحب كتاب «اللمع»[١]، وله تصانيف كثيرة أيضاً في علم الطريقة والحقيقة، وكان مسكنه طوس، وقبرُه هناك.

وكان مريد أبي محمد المُرتعش، ورأى السَّريَّ السقطي، وسهل التُّستري.

وقيل: إنه دخل في بغداد في شهر رمضان، فأعطوه حجرةً في مسجد الشُّونيزية، وفوَّضوا الإمامة إليه إلى يوم العيد، وختم في شهر رمضان خمس ختمات، وكلُّ يومٍ يُعطيه الخادم رغيفاً، فلمَّا صلَّى صلاة الفطر، وسافر، دخل

(*) العبر ٣/ ١٣١، مرآة الجنان ٣/ ٣٣، شذرات الذهب (وفيات سنة ٤١٨ هـ).

(**) كشف المحجوب ٥٦٧، ٥٨٧، العبر ٣/ ٩، مرآة الجنان ٢/ ٤٠٨، شذرات الذهب ٣/ ٩١، كشف الظنون ١٥٦٢، إيضاح المكنون ٢/ ٥٥٢، هدية العارفين ١/ ٤٤٧.

(١) كتاب اللمع في التصوف وقد طبع أكثر من طبعة، طبعة بتحقيق المستشرق نيكلسون، وطبعة بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور.

الخادم حجرتَهُ فوجدَ فيها جميعَ الأقراص، ما أكلَ منها شيئاً.

وكان يوماً عند النارِ في أيام الشتاء، وابتدأ الكلامَ في الحقائق والمعارف، فحصل له حالٌ ووجد، فدخل في النار، وسجدَ لله تعالى، وما احترقَ منه شيءٌ، فسُئل عنه، فقال: من أذلَّ وجهه على باب الله فلا تحرقُ النارُ وجهَه.

قال أبو نصر السرَّاج قدَّس الله سره: الناسُ في حفظِ الأدب على ثلاثةِ طبقات:

الطبقة الأولى: أهلُ الدنيا، وأدبُهم في البلاغة، والفصاحة، وحفظ العلوم، وأسماء الملوك، وأشعار العرب.

والثانية: أهل الدين، وأدبُهم في رياضةِ النفوس، وتأديب الجوارح، وحفظ الحدود، وترك الشهوات.

والثالثة: أهل الخصوصية، وأدبُهم في طهارة القلوب، ومُراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود[1]، وحفظ الأوقات، وقلَّةِ الالتفات بالخواطر، واستواءِ السرِّ والعلانية، وحسنِ الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور، ومقامات القرب.

ويحكى عنه قال: أيُّ جنازةٍ تمرُّ قدَّام تربتي يكون مغفوراً لها. فلأجلِ هذه البشارة يذهب أهلُ طوس بالجنازة، ويتركونها ساعةً، ثم يدفنونها.

* * *

(٣٥٧) أبو الفضل بن الحسن السرخسي[*]

الشيخ أبو الفضل بن الحسن السرخسي، رحمه الله تعالى، اسمه محمد بن الحسن، كان مريدَ أبي نصر السرَّاج، والشيخ أبو سعيد بن أبي الخير مريدَ أبي الفضل، وكان الشيخ أبو سعيد إذا كان مقبوضاً يزور قبر الشيخ أبي الفضل فينبسط.

---

(١) في (ص): المعهود.

(*) أسرار التوحيد (انظر الفهرس)، كشف المحجوب ٣٨٠، ٤١٨، ٤٦١.

قال الخواجه أبو طاهر ولد أبي سعيد بن أبي الخير: كان يوماً لأبي قبضٌ، فبكى في المجلس، فبكى أهلُ المجلس أيضاً، فقال: إذا كنتُ مقبوضاً أذهبُ إلى قبرِ الشيخ، فيتبدَّلُ بالبسط. فأحضروا الدَّوابَّ، وركبَ، ومشى مع الأصحاب، فلمَّا وصلَ إلى الصحراء، زالَ القبضُ، وبُدِّلَ بالبسط، فحصل الحالُ للمُريدين، حتى صاروا يضجُّون، ويصيحون، ويفزعون، والشيخُ يتكلَّم في كلِّ معنًى بكلام، حتى وصل بسرخس، فرجع من الطريق إلى قبر الشيخ، وأمرَ القوَّالَ أن يقرأ هذا البيت:

قبلتـــــي وجـــــهُ محبِّـــــي قبلـــــةُ النَّـــــاسِ الحَـــــرم
منـــــزلُ الأفضـــــالِ هـــــذا معـــــدنُ السِّـــــرِّ الأتـــــمّ
معـــــدنُ الجـــــودِ وفضـــــلٌ لا يُضـــــاهيـــــه فخـــــم

وقام الشيخ يطوفُ بقبر الشيخ، والمريدون أخذوا يده، والشيخ يدور ويصيحُ، والمريدون حفاةً مكشوفي الرؤوس، يتمرَّغون في التراب، فلمَّا سكنَ الحال، قال الشيخُ: اجعلوا تاريخاً لهذا اليوم، لأنَّه لا يوجد مثل اليومِ يوماً آخر[1]. فبعد هذا لمن يكون إرادة الحج من المريدين يُرسله الشيخ إلى قبرِ الشيخ أبي الفضل، ويقول: اذهبْ، طفْ سبعَ مرَّات بقبرِ الشيخ، يحصل مرامُكَ.

ذكر صاحب كتاب «كشف المحجوب»[2] عن واحدٍ أنه قال: سمعتُ في سرخس شخصاً يقول: كنتُ صغيراً، وذهبتُ إلى شجرة التوت، لأجل دُودِ الحرير[3]، فطلعتُ الشجرةَ أقطعُ أوراقها، فمرَّ الشيخُ أبو الفضل من تحت الشجرة، وما رآني، وكان غائباً عن نفسه، فقال من الانبساط: يا الله، اليومَ سنة كاملة ما أعطيتني فلساً حتّى أحلقَ رأسي، هذا فعلُكَ مع المحبّين؟ فرأيت

---

(١) في (ص): لأنه لا يوجد يوم مثل هذا اليوم يوماً آخر.
(٢) كشف المحجوب ٤٦١.
(٣) في (ص): شجرة التوت، لأوراق التوت لأجل دود الحرير.

جميع أغصانها وأوراقها صارَ ذهباً، فقال: عجبٌ، ما أقدرُ أن أتكلَّمَ معك كلاماً !.

وقال أيضاً صاحب «كشف المحجوب»[1]: إن يوماً جاء لقمان السرخسي إلى أبي الفضل، ورأى في يدِ أبي الفضل جزءاً من كتابٍ، فقال: يا أبا الفضل، ما تُريد من هذا الجزء ؟ قال: هو الذي أنتَ تركته[2]. قال: فمن أين هذا الخلاف ؟. قال: إن الخلافَ في نظرك أن تسألَ منّي ما تُريد فيه، قم اخرج من السُّكر إلى الصحو حتّى يذهبَ الخلاف.

ونزل الشيخ أبو الفضل بن حسن السرخسي يوماً من الهواء على شجرةٍ، وجلس، فرآه واحدٌ، فقال الشيخ أبو الفضل: ما تنظره، تُريده لك ؟. قال: نعم. قال: لأجل هذا لا تجده. يعني أنا ما طلبت، وأعطاني الله.

قال الشيخ أبو سعيد: إن بينما أبو الفضل كان يوماً ماشياً، فقالوا: أيُّها الشيخ، أين ندفنك ؟. فما ردَّ الجواب، قالوا: بالمقبرة الفلانية ؟. قال: الله، الله، لا تدفنوني هناك. قالوا: لم ؟. قال: لأن هناك قبورَ الأكابر والأئمة والمشايخ. قالوا: فأين ندفنك ؟. قال: على التلِّ، لأن هناك قبور المقامرين، والعاصين، والفسّاق، فادفنوني هناك؛ لأن لي تناسباً بهم، وما لي طاقةٌ بقبور المشايخ، لأنَّهم ـ أي العاصين ـ قريبٌ من رحمة الله تعالى.

قال الشيخ أبو سعيد: **سمعت أبا الفضل محمد بن الحسن [شيخ وقته بسرخس] يقول: الماضي لا يذكر، والمستقبل لا ينتظر، ما في الوقت يعتبر، وهذا صفة العبودية.**

ثم قال: حقيقة العبودية، شيئان: الافتقار إلى الله تعالى، وهذا من أصل[3] العبودية، وحسنُ القدوة برسول الله ﷺ، وهو الذي ليس للنَّفس فيه نصيبٌ ولا راحة.

ولما تُوفّي الشيخ أبو الفضل كفَّنه أصحابُه بمرقعةِ أجنبي، فصباحه كانوا

---

(١) كشف المحجوب ٤١٨.
(٢) في كشف المحجوب: فقال: عما تبحث في الكتاب ؟ فقال: عما تبحث عنه أنت في تركه.
(٣) في المطبوع الفارسي: وهو من أجلِّ.

جالسين في المسجد، وما فتح[1] باب المسجد، فرمى واحدٌ المرقعة، وقال: هذه مرقعةُ أجنبي، لا أُريدها.

* * *

(٣٥٨) خالوي النيسابوري(*)

خالوي النيسابوري رحمه الله تعالى، اسمه أحمد، كان من سرخس، ومات بها، وكان صاحبَ الكرامة، والولاية الظاهرة، وكان له مُريدٌ اسمه محمد بن حسن بذلَ جميعَ ماله على شيخه.

قال شيخ الإسلام: للشيخ مُريدٌ وافي كافي[2]، وللأذن كلمةٌ واحدة كافية، وصبحٌ تام يكفي لتنوير جميع العوالم.

قال خالوي النيسابوري لمحمد بن حسن: ما صبَّه الله تعالى في صدري جديداً، أصبُّه في صدرك جديداً.

قال شيخ الإسلام: المحقِّقُ الذي ما يُصبُّ في صدره جديداً، يصبُّه في صدورِ المُريدين جديداً.

ولما احتُضر خالوي النيسابوري كان يدورُ الناسُ لكفنه، فقال: أنا ما أُريد كفنكم؛ لأنِّي معتنق برحمته. ومات.

* * *

(٣٥٩) أبو العباس القصاب الآملي(**)

الشيخ أبو العباس القصاب رحمه الله تعالى، اسمه أحمد بن محمد بن عبد الكريم، وهو شيخ آمل طبرستان[3]، وكان مريدَ محمد بن عبد الله

---

(١) في (ص): فلما فتح.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) كذا في الأصل.

(**) كشف المحجوب ٣٧٥، أسرار التوحيد (انظر الفهرس).

(٣) في الأصول: آمل وطبرستان، والمثبت من معجم البلدان، واللباب.

الطبري، وهو مريدُ أبي محمد الجريري، وكان صاحبَ الكرامات والفِراسة العظيمة، وكان غوثَ الزمان وقبلتَهم، وكان مرجعَ الخَلق في حياته.

قال أبو العباس السوقي: هذا يقعُ على باب الخرقاني، فبعده صارَ الخرقاني مرجعَ الخلائق.

وقالوا عنده: إن الشيخَ السُّلمي صنَّفَ كتاباً، وجعله في طبقات المشايخ. قال: ذكر فيه اسمي ؟. قالوا: لا. قال: فما فعل شيئاً.

وكان أُمياً، لكن له كلامٌ عجيب، ونكتٌ غريبة.

قال واحدٌ من أئمة طبرستان: انظروا إلى فضلِ الله، أعطى لواحدٍ علماً بلا تعليم ولا تعلُّم، حتى إذا كان لنا مُشكلٌ في أصول الدين، ودقائق التوحيد نسأله عنه. يعني أبا العباس القصاب.

قال شيخ الإسلام: هو كان في زماني، وأنا كثيراً أقولُ للشيخ عمُّو: أُريدُ أن أزورَ ثلاثةَ شيوخٍ، الشيخُ أبو العبَّاس القصَّاب في الآمل، والشيخ أحمد بن نصر في نيسابور، والشيخ أبو علي الأسود في المرو. فقال الشيخ: أنا أذهبُ معكَ في أيام الرَّبيع. فماتَ الشيخُ عمُّو، لكن كان ورودُ النَّاسِ إلى خانقاه الشيخ عمُّو كثيراً، وأنا أسألُهُ عن حالِه وأقوالِه كثيراً، ولا يعرفُ أحدٌ أحوالَهُ وكلامَهُ أكثرَ منِّي. ويقولُ: وقتي وقتُ الكيمياء.

قال الشيخ أحمد الكوفاني: كان يصيحُ طولَ الليل، ويتكلَّمُ كلاماً، وفي آخره يقول: **ما بكي شيءٌ، ما بكي شيء،** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] **يعني ما بقي شيء.**

قال شيخُ الإسلام: أنا رأيتُ رجلين ينقُلان عنهُ الكلامَ بالتَّمام، أحدُهما، الشيخ أبو علي كازر، كان يحكي حكايةَ الشابِّ والكلب، حكايةَ مَنْ رأى، وقالوا: الشُّغلُ من المُبصرِ لا مِنِّي، المُبصرُ كان ينقلُه عنه[١]. والثَّاني الشيخ محمد قصاب الآملي من تلامذته.

قال شيخُ الإسلام: إنَّ أبا فارس الكرمان شاهي أرسلَ إلى أبي العبَّاس

---

(١) في (ب): الشغل من المبصَّر لا من البصر. والثاني. . . .

رجلاً، يذكرُ عندَهُ وَقْعَ القَحْطِ في هذه البلاد، فاذعُ، فأرسلَ لهُ الشَّيخُ تفاحةً، فجاءَ المطرُ وارتفعَ القحط[1].

وكان الشيخ أبو العبّاس كثيرَ الصلاة، وكان هناك فقيرٌ يخيطُ الثَّوبَ بتكلُّفٍ، فإن لم تُعجبْهُ الخِياطةُ يفكُّها، فلمَّا رآهُ الشيخُ، قال له: هذا صنمُكَ، هذا صنمك. يعني هو معبودك.

قال الشيخُ أبو سعيد بن أبي الخير: جاءَ واحدٌ عندَهُ، فطلبَ منه الكرامات، قال الشيخُ أبو العبّاس: أليسَ هذا من الكرامات، إنِّي كنتُ ولدَ القصَّاب، وما علَّمني أبي إلاّ السلاخة، فأُريتُ شيئاً، فذهبتُ إلى بغداد عند الشبلي، ومن بغداد ذهبتُ إلى مكّة، ومن مكّة إلى المدينة، ومن المدينة إلى القدس، ثم رأيتُ الخَضِرَ[2] عليه السلام، وألهمَ اللهُ الخضر حتَّى قَبِلَني، وصاحبتُه، ثم ردَّني إلى هنا، حتى صارَ العُلماءُ يجيئوني ويسألوني المسائلَ، والفُسَّاق يتوبون، ويخرجون من الظُّلمة إلى النور، ويهدون الهدايا إليَّ، ومن أطراف العالمِ العُشَّاق والمُحبين والمريدين[3] وجهَ الله، يطلبون الوصول منِّي إلى الله تعالى، أتكونُ كرامةٌ فوق هذا ؟. فقال ذلك الرجل: ينبغي كرامةٌ أُبصِرُها بحاسَّةِ البصر. قال الشيخ: انظر بحدَّة البصر، لا تكون هذه كرامة[4] ؟! وَلَدُ القصَّاب يجلسُ في صدر المجلس على العلماء، ولا تُخسف به الأرضُ، ولا يطيحُ عليه جدار، وبلا ملك وملك يكون له ولايةُ البلاد، وبلا كسبٍ وآلة الكسب يُطْعَمُ ويُطْعِمُ الناس، أليس هذه كرامة ؟.

قال أبو سعيد: كنتُ في آمل، وجاءَ واحدٌ من مصر، سمعَ أحوالَ الشيخِ أبي العبّاس، وكان ذا فِتْنَةٍ وفساد، يُظهر أنّه صوفي؛ ليُحوّلَ الشيخ عن مكانه، فلمّا دخلَ ما سلَّمَ على أحدٍ، ودخلَ في المبرز وكسرَ ما كان من إناءِ الماء كلِّها، فقال: قولوا لشيخكُم يُعطيني الإبريق. قال الشيخ: أعطوه الإبريق.

---

(١) في (ب): وانقطع القحط.
(٢) في (ب): ثم أريت الخضر.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) في (ب): قال الشيخ: بحدَّة البصر، لا تكون هذه كرامة ؟!.

قالوا: ما كان هناك كسرهُ كلَّه. قال الشيخ: اشتروا من السوق. فأبطأ الخادمُ، فخرج من المبرز، وقال: إن لم يكن إبريقٌ، فقولوا لشيخكم أعطِني لِحْيَتَكَ حتى أَسْتَنْجي بها. فلما سمعَ الشيخُ هذا الكلامَ قامَ سريعاً، وكان له لحيةٌ طويلةٌ بيضاء، فأخذَها بيدَيه، ومشى إليه، ويقولُ: سُبْحانَ الله، وَلَدُ القَصَّابِ وَصَلَ إلى أن صارَتْ لِحْيَتُهُ للاسْتِنْجاءِ! فكسرَ اللهُ تعالى قلبَهُ، وجاءَ، وقَبَّلَ رِجْلَ الشيخِ وتاب.

ويوماً كان صبيٌّ أخذ زِمامَ جملٍ مُحَمَّلٍ، وهو يمشي في سوقِ آمل، وكان في السوق طين، فزلقَ الجملُ، وانْكَسَرَتْ رِجْلُ الجملِ، فعزمَ الناسُ أن يُنْزِلوا حِمْلَهُ، فمرَّ الشيخُ عليهم، فقال: ما هذا الاجتماعُ والغَوْغاء؟. فذكروا حالَهُ، فأخذَ الشيخُ زِمامَ الجملِ، ورفعَ رأسهُ إلى السماءِ، وقال: يا الله، أصلِحْ رِجْلَ الجملِ، وإن لم تُصْلِحه فلِمَ أحرَقْتَ قَلْبَ وَلَدِ القَصَّابِ بِبُكاءِ الصَّبي؟. فقامَ الجملُ مع الثِّقَل.

وقال: كلُّ العالَم يَنْبَغي أن يكونوا مُتوجِّهين إليه قَبِلَ أو لم يَقْبَلْ، وإلاَّ يكونوا في التَّعب؛ لأنَّك إذا أَنِسْتَ به ففي البلاءِ تنظرُ المَبْلي، فلا يكون البلاءُ بلاءً، فلا يكونُ تعبٌ ولا مِحْنَةٌ؛ لأنَّ الله تعالى لا يُغيِّرُ القضاءَ والقدرَ بالرضا ولا بالسخط، فالرضا يُوجبُ الراحةَ، فمَن أَنِسَ به يكون في راحةٍ، ومتى يُعرِضُ[1] عنه فبورود القضاءِ يَتعبُ ويَنزعج.

* * *

(٣٦٠) أحمد بن نصر[*]

الشيخ أحمد بن نصر رحمه الله تعالى، كان من كبار المشايخ، ومعاصر الشيخ أبي العباس القصاب، ورأى الحُصْري.

---

(١) في (ب): ومن يعرِضُ.

(*) أسرار التوحيد ٥٨، ٥٩، ٣١٦.

في الوقت الذي عزم الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير إلى الآمل[1] لزيارة الشيخ أبي العباس القصاب، والشيخ أحمد بن نصر، كان في نسا في الخانقاه التي بناها الشيخ أبو علي الدقاق بإشارة النبي ﷺ، فلمَّا وصلَ أبو سعيد نسا ما دخلَ في المدينة، ونزل في قرية بسمة، وهي القريةُ التي فيها قبرُ الشيخ محمد العلياني، فإنَّ الشيخ أحمد بن نصر أخرجَ رأسَه من الصومعة التي كانت في تلك الخانقاه، وقال لجماعة الصوفية: من يريد أن ينظرَ إلى باز الطريقة ينظر إلى هذا الذي نزل في بسمة.

وكان الشيخ أحمد بن نصر حجَّ عشرينَ حَجَّةً، وأكثرها أحرمَ من خُراسان، فيوم في الحرم ذكر بعضَ أسرارِ حقائق هذه الطائفة، وقال عبارة من أصحاب الطامات. وفي تلك الأيام كانوا في الحرم ثمانين ومئتين من المشايخ، قالوا: أنت، لِمَ قلتَ هذا الكلام؟. وأخرجوه من الحرم، وتلك الساعة خرج الحُصري من بيته، وقال لأصحابه: إذا جاءَ ذلك الشابُّ الخُراساني الذي يجيءُ كلَّ سنةٍ، امنعوه. فلما وصلَ أحمدُ ببغداد، وذهبَ إلى بيت الحصري، قال الخادم: في اليوم الفلاني خرجَ الشيخُ من بيته، ووصاني: إن يجئ ذلك الرجل تمنعه. فلمَّا سمعَ هذا الكلام خرَّ مغشياً إلى أيامٍ، فخرجَ الحُصري، وقال له: وقعَ منك سوءُ الأدبِ، كفارتُهُ أن تذهبَ إلى الروم، وسنةً كاملةً ترعى الخنازير، ولياليها تروحُ إلى طَرَسُوس الذي أخذها الكفار من المسلمين، تُصلِّي الصلاةَ فيها، ولن ترقدَ أبداً، فيحتملُ أن يَقبلك المشايخُ. وكان أحمدُ صادقاً، فقبلَ كلامَه، وعملَ بما أَمره الحصري، ثم رجعَ، وجاء إلى بيت الشيخ، فقال خادم الشيخ: مرحباً بك، اليوم سبعَ مرَّات خرجَ الشيخُ لأجلك. فخرج الشيخُ، وقال: يا أحمدُ، ولدي، وقرَّة عيني. فمن الفرح قال: لبَّيك. وعزم إلى الحرم، فالمشايخ استقبلوه، وقالوا: يا ولداه، وقرة عيناه.

❁ ❁ ❁

---

(١) في (ص): إلى الأهل.

(٣٦١) أبو علي الأسود(*)

الشيخ أبو علي الأسود رحمه الله تعالى، من كبار مشايخ مرو، وكان مُعاصراً لأبي العبَّاس القصاب، وأحمد بن نصر، وغيرهما من هذه الطائفة، وصحب أبا علي الدقاق.

وقيل: في ابتداء الحال كان من الزرّاعين.

وقيل: إنه صام ثلاثين سنة، وما أَطلعَ أحداً على صومه، وكان في كلِّ يومٍ يَخرجُ من البيت، ويحمل القرصين، ويقول: نأكلُ مع الشُّركاء في الصحراء. ويتصدَّقُ على الفقراء في الطريق، وإن قال الشُّركاء: تأكلُ شيئاً ؟. يقول: أكلتُ في البيت.

وقال أبو علي: كنتُ في الصحراء، إذا ضربتُ بالمساحي يخرجُ بالمساحي تُراب، وهو في قلبي نور.

قال شيخ الإسلام: قال له واحدٌ: أيكون أحدٌ يعرف عيب الخلق ؟. قال: نعم. فقال: فلا يكون الله تعالى ساترَ العيوب. قال الشيخ أبو علي: استرْ نفسكَ مني. ففي الحال ورم بدن ذلك الرجل، حتى صار ثوبُه قطعةً قطعة، وبقي عُرياناً، فبكى وتضرَّعَ عند الشيخ، فدعا له الشيخ، فرجع بدنه على حاله.

وفي وقتٍ من الأوقات رأى شخصاً كان من قريته، وفي يده قِرطاس، قال: ما هذا ؟ قال: هذا فتوى من الإمام أبي علي المفتي، الذي ردَّ الجواب. قال: ارجع ودّي هذه الفتوى إلى الإمام، وقل له: أخطأتَ في الجواب. فودّى الفتوى إلى الإمام، فلما تأمَّلَ الإمام علم الخطأ، فسأله: أعطيت هذه الفتوى للشيخ وقرأها ؟. قال: إن الشيخ أمي، لا يقدر أن يقرأ. فقام الإمام أبو علي وجاء عنده، وقال: لو لم يكن أبو علي، لدخل أبو علي النار.

توفي في شعبان سنة أربعٍ و عشرين وأربع مئة.

(*) أسرار التوحيد ١٩٣، ٢٦٩ (أبو علي سياه)، كشف المحجوب ٤٣٦، ٤٤١، ٥٦٨.

(٣٦٢) أبو علي الدقاق(*)

أبو علي الدقاق رحمه الله، اسمه حسن بن محمد[١] الدقّاق، كان لسانَ وقته في نيسابور، وإماماً في فنه، وله لسانٌ فصيحٌ، وبيان صريح، وليس له نظيرٌ في زمنه.

ورأى مشايخَ كثيرة، وكان مُريد النصراباذي.

وكان واعظاً في نيسابور، ومات بها في شهر ذي القعدة[٢] سنة خمس وأربع مئة[٣].

قال شيخ الإسلام: كان في كلِّ سنةٍ يُسافر، ويُقيم في بعض المدن، ثم يرجعُ إلى مكانه، وكان الإمامُ أبو القاسم القشيري ختنه[٤]، وتلميذه، وجمع مجالسه، وكان له اضطرابٌ وقلقٌ واحتراق.

قال الدَّقاقُ: ينبغي إن أصبح بممشِ هري[٥]؛ لأن حالَه كان أَقوى من حال أهل الهري. فقالوا: إن تذهب إلى الهري يقتلونك بصياحهم. لأنه كان عادته إذا صاح أحدٌ، يصيح بموافقته.

(*) كشف المحجوب ٣٧٧، تبيين كذب المفتري ٢٢٦، الكامل في التاريخ ٩/ ٣٢٦، العبر ٣/ ٩٥، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٦٤، مرآة الجنان ٣/ ١٧، طبقات السبكي ٤/ ٣٢٩، الوافي بالوفيات ١٢/ ١٦٥، طبقات الإسنوي ١/ ٥٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٤/ ٢٥٦، طبقات ابن قاضي شهبة ١/ ١٦٩، الكواكب الدرية ٢/ ١٧٩، شذرات الذهب ٣/ ١٨٠، كشف الظنون ١٤٣٤، معجم المؤلفين ٣/ ٢٦١.

(١) واسمه في مصادر ترجمته الحسن بن علي. وفي كشف المحجوب: حسن بن محمد بن علي.

(٢) في العبر ٣/ ٩٥، وفيات سنة ست وأربع مئة: توفي في ذي الحجة.

(٣) قال المناوي في الكواكب ٢/ ١٨٢: مات سنة خمس أو ست وأربع مئة.

(٤) في (ص): حبيبه.

(٥) في (ب): بممشاه هري.

قال شيخ الإسلام: قال عمّو: كنتُ في مجلسِ الدقاق، فسألَ واحدٌ عن النزول، فردَّ جوابَه بهذين البيتين:

خليليَّ هل أبصرتُما وسَمعتُما ... بأكرمَ من ربٌّ تَمشّى إلى عبدِ
أتى زائراً من غيرِ وعدٍ وقالَ لي ... أصونك من تعليقِ قلبِكَ بالوعدِ[1]

وأيضاً عنه قال: إذا رأيتم المُدَّعي، فالزموا ذيلَه؛ لأنَّه ما بقي محقَّقٌ، ولا صاحبُ معنى.

قال صاحب كتاب «كشف المحجوب»[2]: سمعت من الشيخ، قال: دخلتُ في مجلس الدَّقاق أسأله عن التوكُّلِ، وكان على رأسه عمامةٌ طبرية، فمالتْ إليها نفسي، فقلتُ: أيُّها الأستاذ، ما التوكّلُ؟. قال: قطعُ الطبع عن عمامة الناس. وأعطاني العمامة.

قال أبو علي الدقاق: إن لم يرجع المردود، يكونُ الميدانُ خالياً.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا ردٌّ، بل استعزاز ودلال، فارجعْ؛ لأنَّ قصته طويلة.

قال أبو علي الدقاق: شجرةٌ تنبتُ في الصحراء، ما ربَّاها أحدٌ لا تثمر، وإن أثمرتْ فلا يكون لها لذَّةٌ ولا حلاوة. ثم قال: أنا أخذتُ هذا الطريق من النصرآباذي، وهو من الشِّبلي، وهو من الجُنيد، وما ذهبت أبداً عند النصرآباديِ إلا اغتسلتُ أولاً.

ويوماً من الأيام وصلَ بموضع ري، فعرفه واحدٌ، وقال: هذا الأُستاذ أبو علي الدقاق. فاجتمع الأكابرُ عنده، والتمسوا التَّدريسَ، فأبى، وبالغوا، وألحُّوا عليه، ووضعوا المنبرَ حتى يَعظَ الناس، فطلعَ المنبرَ، وأشارَ إلى جانبِ الأيمن، وقال: الله أكبر. وحوَّلَ الرَّأس إلى القبلة، وقال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ

---

(١) في (ب): أصوتك من تعليق قلبك بالرعد.
(٢) كشف المحجوب ٣٧٧.

أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] ثم أشار إلى الجانب الأيسر، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣] ففزعَ الناسُ فزعاً شديداً، فماتَ بعضُهم، فنزل الأستاذُ عن المنبر، وغابَ عنهم، فما وجدوه بعد.

وكان له مريدٌ من التجار، فمرضَ يوماً، فذهب الشيخ لعيادته، وقال: ما حالك، وما وقع عليك؟. قال: قمتُ البارحةَ أتوضَّأُ، فظهر وجعٌ وألمٌ في ظهري، وأخذتني الحُمّى. قال الأستاذ: ما لكَ في هذه الفضولات، أن تُصلّي صلاةَ الليل، ينبغي لك أن تتركَ هذه الجيفة؛ لأنَّه من كان له صداعٌ، وطلى الدَّواءَ على رجله لا يُفارقه الصُّداع، وإن تنجَّستِ اليَدُ، ويغسل الكمَّ لا تطهرُ اليدُ.

وأيضاً قال أبو علي الدقاق في مناجاته: إلهي، لا تفضحني، وإن فَضحتني فلا تَفضحني عند من يَعرفني، لأنّي تكلَّمتُ كلاماً كثيراً على المنبر، وبيَّنْتُ رحمتك، فإن تعذّبني فألبسني مرقعةَ الصُّوفية، وأَعطني الرَّكوةَ بيدٍ، والعصا بيدٍ أُخرى، فإنِّي أُحبُّ طريقةَ الصوفية، وإنْ تُعذِّبني فأدخلني في النار مع الرَّكوةِ والعَصا والمرقعة، حتى أنوحَ أبدَ الآبدين من الفراق، وأتضرَّع وأبكي على إفلاسي وشقاوتي.

وأيضاً عنه قال: يا الله، أنا سوَّدْتُ الدِّيوان بالذنب، وأنتَ بيَّضْتَ شعري، فيا خالقَ البياض والسَّوادِ بفضلك تفضَّلْ عليَّ، وبدّل سوادي ببياضك.

ورآه الإمام أبو القاسم القُشيري في المنام بعد وفاته، وكان مُضطرباً ويبكي، فقال: يا أُستاذ، ما حالُك، أتريد الرُّجوع إلى الدنيا؟. قال: نعم، لكن لا لمصلحةِ الدُّنيا، ولا لمصلحة الوعظ، لكن لآخذَ العصا، وأدورَ على بيوت الناس، وأدقَّ بابهم، وأقول: أتعرفون عمَّن أعرضتم[1]؟.

وقيل: حصل للأستاذ آخرَ العُمر ألمٌ، وقلقٌ كثير، حتى في آخرِ النهار يطلعُ على السطح، وينظر إلى الشمس، ويقول: يا مدبِّرَ المملكة، يا سياحَ العالم، كيف كنت اليوم؟ وكيف كان حالك؟ ألقيتَ أحداً مغموماً مَهموماً ذليلاً مُنكسرَ الخاطر في

---

(١) في (ب): اعترضتم.

طلب الله تعالى ؟. ويتكلَّمُ أمثالَ هذا الكلام حتى تغيبَ الشمس عن نظره.

وقيل: لمَّا ارتفعَ مقامُه لم يفهمْ أحدٌ كلامه، فما بقي في مجلسه أحدٌ إلاّ سبعةَ عشرَ أو ستَّةَ عشر نفراً.

قال شيخ الإسلام: لمَّا صارَ كلامُه عالي[1]، صار مجلسُهُ من الخلقِ خالي.

* * *

(٣٦٣) أبو علي الشبُّويي المروزي(*)

أبو علي الشبويه المروزي رحمه الله تعالى، اسمه محمد بن عمر بن شبُّوَيه[2]، كان لسانَ الوقت بناحيته، وعديمَ النظير بها، وكان من أصحاب أبي العباس السيَّاري.

وفي «تاريخ الصوفية»: القاسم بن القاسم أبو العباس بن بنت الإمام أحمد ابن سيَّار المروزي، له لسانٌ في علوم الحقائق، وأحدُ من بقي من جلَّةِ من صحبه محمد بن محمد بن عمرو بن شبويه، وفي «أنساب السمعاني»[3]، أبو علي الشبُّويي، يَروي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفِربري[4].

قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدَّسَ اللهُ سرَّه: إنَّ أبا علي الدقاق جاء عند الشيخ الشبويي، وكنت في مرو، والشيخ الشبويي يحفظ «البخاري»، وأنا سمعت «البخاري» منه، والشيخ الشبويي كان حاضرَ الوقت، والشيخ أبو علي الدقاق اختار هذا الطريق من نصيحته.

---

(١) كذا في الأصل.

(*) الإكمال لابن ماكولا ٥/ ١٠٧، الأنساب ٧/ ٢٨٥ (الشبوي)، اللباب ٢/ ١٨٣، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٤٢٣، مشتبه النسبة ٢/ ٣٩٠.

(٢) في الأصل: محمد بن محمد بن عمرو بن شبويه، والمثبت من الإكمال، ونسخة كوبرلي من الأنساب، وسير أعلام النبلاء، والمطبوع الفارسي، وفي باقي نسخ الأنساب، واللباب: أحمد بن عمر بن شبويه.

(٣) الأنساب ٧/ ٢٨٥.

(٤) في الأصول: العزيزي، والمثبت من الأنساب.

قال الشيخ الشبوبي: قال الأستاذ أبو علي الدقاق: ادعُ لي. قال أبو علي: هذا الباب مسدودٌ عليَّ. قال: كيف يجوز؟ أنا أظهر العجزَ والانكسار حتى يفتح لك بانكساري، فإن ذلك المعنى نار، وعجزي وانكساري محروق. فقبل أبا علي، وطلعَ المنبر، فما فتح الله على لسانه، لأن أهلَ المجلس ما كانوا أهلاً، فدخل الشيخ الشبوبي من باب المسجد، فوقع نظرُ الشيخ عليه، فطال لسانه، وفي آخر المجلس قال الشيخ شبويه: أنت كنت ذاك وأنا، هذا ينبغي الانكسار والعجز، لا يكون طريقاً أقرب إلى الله تعالى من العجز والانكسار، وإن يقع على الصخر الصلد ينبع عينُ ماءٍ منه.

ويوماً في أيام الصيف رأوا الشيخ أبا علي الشبويه، كان ذاهباً في الغبار والتراب، قالوا: أيُها الشيخ، أين تذهب؟. قال: إلى خانقاه فلان، لأن فيه صوفيين، فإني رأيتُ مكتوباً: أنَّ كلَّ يومٍ تنزل مئةٌ وعشرون رحمة من السماء على الصوفية بالتخصيص وقت القيلولة، فإذا أذهب هناكَ أقيلُ بها؛ عسى أن أدخلَ في تلك الرحمة، فقد قال: الأكابرُ تشبَّهْ بهم، وادخل معهم، وإن كنتَ تعرفُ مالك الاستحقاق، لكنْ «من تشبَّه بقومٍ فهو منهم»[1] مصراع[2]. معناه: تزيّا بزيِّ العاشقين وإن لم تكن منهم، فإن يُقال[3] يوم القيامة: من أنت؟. فقل: أنا من محبّيهم، وإن تسمع كلامهم ولا تفهم معناه فحرِّكْ رأسَك حتى تقول يوم القيامة: أنا كنتُ حرَّكتُ رأسي على كلامهم، فيغفرُ اللهُ لك بهذا السبب.

اجلسْ مع العَاشقينَ مُنتحباً من سَائغِ العِشْقِ زبدةُ الشَّغَفِ
وجـامـدُ الطَّبـعِ لا تُقـارِبْـهُ ولـو بـدا النَّجـمُ منـه فـي شـرف

* * *

(١) رواه أحمد في «مسنده» ٥١١٤، ٥٦٦٧، وأبو داود ٤٠٣١، وإسناده حسن. قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٣١٤: رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر رفعه، وفي سنده ضعف.

(٢) في الطبعة الفارسية شطر بيت لم يترجمه، وإنما اكتفى بمعناه.

(٣) في (ب): فإن تسأل يوم القيامة.

(٣٦٤) أبو القاسم البشر بن ياسين[*]

الشيخ أبو القاسم البشر بن ياسين رحمه الله، كان من مَشاهير عُلماء عصره، وكبارِ مشايخ دهره.

وكان إقامته في قرية مَيْهنة[١]، وماتَ بها في سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة.

قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير: أنا كنتُ صغيراً، وأقرأُ القرآن، وأبي يذهبُ بي لصلاة الجمعة، فاستقبلنا الشيخ أبو القاسم بشر بن ياسين، وقال: يا أبا الخير، هذا الصبيُّ لمن؟ فقال: ولدي. فجلس عندي، ورفع رأسه إلى السماء، فخرجت الدموعُ من عينيه، فقال: يا أبا الخير، أنا كنت مُتحيِّراً كيف أخرجُ من هذه الدار، والبلادُ خالية، فيضيع الطالبون؟ فالآن رأيتُ ولدك، فحصل الاطمئنان، لأن اللهَ يُعطي لهذا الولد ولاية. فقال: يا أبا الخير، بعد فراغ الصلاة تجيء عندي مع الولد. فذهبنا عند أبي القاسم، ودخلتُ في صومعته، وجلسنا، فقال الشيخ: يا أبا الخير، احمل هذا الولد على كتفك حتى ينزل من ذلك الطاق قرصٌ. فوجدتُ فيها قرصَ شعيرٍ كان حاراً، فأخذَ الشيخُ ذلك القرص من يدي، وخرجتِ الدموع من عينيه، وكسر القرص نصفين، فأعطاني نصفه، وقال: كل، والنصف الآخر أكله الشيخ، وما أعطى شيئاً منه لأبي، فقال أبي: يا أيُّها الشيخ، لم لا أعطيتني من هذا؟. فقال أبو القاسم: يا أبا الخير، اليوم يكون ثلاثين سنة هذا القرص بهذا الطاق[٢]، وعدني الله أنَّ من أخذ هذا القرص، ووجده حاراً ينوِّرُ الله منه العالم، ويختمُ اللهُ هذا الحديث به، فالآن يكون لك بشارة أنه هذا الولد.

قال الشيخ أبو سعيد: كنتُ يوماً عند الشيخ أبي القاسم، فقال الشيخ: يا ولدي، تريدُ أن تكلِّمَ الله؟. قلت: أريد، لِمَ لا أُريد؟ فقال: في الخلوة

(*) أسرار التوحيد ٢٣٢، ٣٤٣، ٣٥٤، مجمل فصيحي ٢/ ٩٥.

(١) ميْهَنة: في قرى خابران، وهي ناحية بين أبيورد وسرخس، وفي الأصل: مهنة.

(٢) في (ص): الطاقة.

اقرأ هذين البيتين، ولا تزدْ عليهما:

معي أنتَ عنكَ الصَّبرُ لو بنتَ لحظةً بعيدٌ فلا أُحصي لفضل تقرَّرا
ولو أنَّ لي في كلِّ مَنبتِ شَعْرةٍ لساناً يبثُّ الشُّكرَ كنتُ مقصِّرا

* * *

(٣٦٥) لقمان السرخسي(*)

الشيخ لقمان السرخسي قدس الله سره، كان في بدايةِ الحالِ كثيرَ المُجاهدة، وكان صاحبَ الاحتياط في المعاملة.

ثم كُشِفَ له شيءٌ حتى زالَ عقلُه. قالوا: يا لقمان، ما كان ذاك، وما كان هذا؟. قال: خدمتُ كثيراً، ويَنبغي أكثرُ منه، فعجزتُ، فقلتُ: يا الله، عادةُ السَّلاطين إذا شابَ العبدُ في خدمتهم يعتقوه، يا الله، أنتَ السُّلطان الحقيقيُّ، وأنا صرتُ شيبةً في خدمتك، فأعتقني. قال لقمان: فسمعتُ نداءً: يا لقمان، أعتقتُكَ. وعلامة إعتاقه زوالُ عقله، فهو من عقلاء المجانين.

وكان الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير يقولُ كثيراً: إن لقمان من عُتقاء الله تعالى من الأمر والنهي.

وأيضاً قال أبو سعيد بن أبي الخير: ليلةً كان جماعةٌ نائمين في خانقاه، وباب الخانقاه كان مقفلاً، وأنا مع الشيخ أبي الفضل كنتُ جالساً على دكَّةٍ[1]، والشيخُ يتكلَّمُ في المعارف، فاستشكلَ مسألةً، فرأيتُ لقمان من سطحِ الخانقاه طارَ كما يَطيرُ الطير، وجلسَ عندنا، وحلَّ مُشكلتَنا، ثم طارَ وذهب على السطح، فقال أبو الفضل: رأيتَ يا أبا سعيد مَرتبته؟. قلتُ: نعم. فقال: لكن لا يجوز الاقتداءُ به. قلت: لِمَ؟. قال: لأنَّه لا علمَ له.

سُئل أبو سعيد: من الظَّريفُ في سرخس؟. قال: لقمان. قالوا:

(*) أسرار التوحيد ٢٢٧، ٢٥٥، ٢٥٦، كشف المحجوب ٤١٨.
(١) في (ب): تكة.

سبحان الله، في مدينتنا لا يكون أوسخ منه. قال الشيخ: أنتم ما فَهمتم معنى الظَّريف، إنَّ الظريفَ الذي لا يكون له تعلُّقٌ بالأمور، واليومَ لا يكون أحدٌ مثلَه في عدم التعلق، ليس له تعلُّقٌ بالدنيا ولا بالآخرة ولا بنفسه.

وقال الشيخ أبو سعيد أيضاً: كنت في سرخس عند أبي الفضل بن حسن، فدخل واحدٌ، وقال: إن المجنونَ مرضَ مرضاً شديداً، وقال: حوّلني إلى رباط فلان. واليوم ثلاثة أيام هناك ولا يتكلَّم، وقال اليوم: اذهبوا عند أبي الفضل، وقولوا له: إن لقمان يسافر. فلمَّا سمعَ الشيخ أبو الفضل قال: أذهبُ إليه. فمع الجماعة دخلَ عليه، فلمَّا رآه لقمان تبسَّمَ، فجلس أبو الفضل عند رأسه، ولقمان ينظرُ إليه، ونَفَسُه يخرجُ حاراً، ولا يحرِّكُ شفتيه، قال واحدٌ من الجماعة: لا إله إلا الله. فتبسَّمَ لقمان، وقال: يا فتى، أنا أدَّيتُ الخراج، وأخذتُ البراءة، وباقٍ على التوحيد. فقال ذلك الرجل: يَنبغي أن تَذكره. قال: تأمرني بالعَربدة في حضرة الحقِّ سبحانه وتعالى؟. فأعجبَ الشيخَ كلامُهُ، وقال: هكذا. فبعد ساعةٍ انقطعَ نفَسُه، وكان نظره إلى أبي الفضل كأنَّه كان حياً، فقال بعضهم: مات. وقال بعضهم: هو حي، نظرُه على حاله. قال أبو الفضل: هو مات، لكن من الحياءِ لا يُغمضُ عينه. فقامَ أبو الفضل فغمَّضَ عينه.

* * *

(٣٦٦) محمد القصاب الآملي (*)

الشيخ محمد القصاب الآملي رحمة الله عليه، كان في دامغان.

قال شيخ الإسلام: كان الشيخُ محمد القصاب من تلامذة أبي العباس القصاب، وكان واعظاً، والشيخُ أبو العباس منعه عن الوعظ؛ لأن كلامَه كان عالياً، وكانَ كبيرَ الشأن، وكان جميعُ أهل دامغان جيفةً، وهو رُوحهم.

(*) أسرار التوحيد ٢٩٥.

قال شيخ الإسلام: لو كان الخرقاني، ومحمد القصاب حيين[1]، لأرسلتكم إلى محمد القصاب لا إلى الخرقاني؛ لأنَّ صحبته كانت أنفعَ من صُحبة الخرقاني، لأن الخرقاني كان في نهاية النهاية، لا يَنتفع به المريد.

قال شيخ الإسلام: قال لي محمد القصاب: أهل الهوى كلهم صفاتيون. يعني ملتفتين إلى الكرم والعفو والرحمة، وفوق الصفات لا يَعرفون شيئاً، ومعاملةُ الصوفية بالذات، وبالعطاء لا بالمُعطى[2]، فما سواه حجاب.

* * *

(٣٦٧) أبو الحسن الخَرْقاني[*]

الشيخ أبو الحسن الخَرْقاني[3] قدس الله سره، اسمه علي بن جعفر، كان وحيدَ زمانه، وغوثَ عصره، وقبلةَ الوقت، وكان مرجعَ الخلائق في وقته.

والشيخ أبو العباس قال له: بعدي ستكونُ مرجعَ الخلائق. فكان كما قاله.

وكان انتسابه في التصوف إلى سُلطان العارفين الشيخ أبي يزيد البِسطامي، قدَّسَ اللهُ سره، وكان تربيته في السلوك بروحانية أَبي يزيد البسطامي، وولادته بعد وفاة أبي يزيد البسطامي بمدَّةٍ.

وتوفي الشيخ أبو الحسن الخرقاني ليلةَ السبت سنة خمس وعشرين وأربع مئة.

قال أبو الحسن يوماً لأصحابه: أيُّ شيءٍ يكون أحسن؟. قالوا: أنتَ تقول يا شيخ. قال: القلب الذي يكون ذكرُه على الدوام.

وسألوه: ما الصُّوفي؟. فقال: لا يكون الصوفي بالمُرقعة والسجّادة، ولا بالرسوم والعادات، إن الصوفي هو الذي لا يكون.

---

(١) في (ص): خبير.

(٢) كذا بالأصول، ولعل الصواب: وبالمعطي لا بالعطاء.

(*) أسرار التوحيد (انظر الفهرس)، كشف المحجوب ٣٧٧، رشحات عين الحياة ١٤.

(٣) الخرقاني: نسبة إلى خَرْقان، وهي من قرى سمرقند. اللباب.

وأيضاً عنه قال: الصوفي هو الذي لا يكون مُحتاجاً في نهاره إلى شمس، وفي ليله إلى قمرٍ ونجم، وهو في فناءٍ، ليس له حاجةٌ بوجود.

وسألوه: بِمَ يَعرفُ الصوفيُّ يقظتَه[١]؟. قال: هو الذي إذا ذَكَرَ الله يكونُ حاضراً من قرنه إلى قدمه.

وأيضاً سألوه: ما الصدق؟. قال: هو الذي يتكلَّمُ قلبُه. يعني لسانُه يُوافق قلبَه.

ثم سألوه: ما الإخلاص؟. قال: ما علمتم[٢] لأجل الله هو الإخلاص، وما علمتم[٣] لأجلِ الخلق هو الرياء.

قال: ثم سألوه: لمن يجوز أن يتكلَّمَ بالفناء والبقاء؟. قال: من يكونُ مَربوطاً بخيطِ[٤] حريرٍ إلى السماء، ثم تهبُّ الريح التي تقلع الأشجار والجبال، وتهدُّ البنيان، وتنشِّف البحار، ولا تحرِّكه من مكانه.

وأيضاً عنه قال: لاتُصاحبوا من يقول غير الله، إذا قلتم الله.

وأيضاً عنه قال: اطلبوا الغمَّ حتى تخرج الدموع؛ لأن الله تعالى يحبُّ أهلَ البُكاء.

وأيضاً عنه قال: إن يتغنَّى واحدٌ، ويُريد اللهَ تعالى به، يكونُ أحسنَ وأفضلَ من أن يقرأ القرآن، ولا يُريد اللهَ به.

وأيضاً عنه، قال: إن وارثَ النبيِّ ﷺ الذي يَقتدي بفعله، لا الذي يُسوِّدُ وجهَ القرطاس.

قال الشبلي: أريدُ أن لا أُريد. قال الخرقاني: هذا أيضاً مراد.

وأيضاً عنه قال: اليوم يكون أربعين سنة أنا في وقتٍ واحدٍ، وإن الله تعالى

---

(١) في (ب): بفضلته.
(٢) في (ب): ما عملتم.
(٣) في (ب): ما عملتم.
(٤) في (ص): بخط.

ناظرٌ على قلبي، لا تجد غيره، ما بقي فيَّ لغيرِ الله شيءٌ، ولا في صدري لغيره قرار.

وأيضاً عنه قال: اليوم أربعين سنة تطلبُ نفسي ماءً بارداً، أو رائباً حامضاً، وإلى الآن ما أسقيتها.

وأيضاً عنه قال: إن العلماءَ والعبَّادَ كثيرون في العالم، ويَنبغي لك أن تُصبحَ وتُمسي في رضا الله تعالى.

وأيضاً عنه قال: أنورُ القلوبِ هو الذي لا يكونُ فيه الخَلْقُ، وأفضلُ الأعمال هو الذي لا يكون فيه فكرُ الخلق، والرزق الحلالُ هو الذي يكونُ بجهدك، وأحسنُ الرفقاء الذي كان حياته به تعالى.

* * *

(٣٦٨) أبو عبد الله الداستاني (*)

الشيخ أبو عبد الله الداستاني رحمه الله تعالى، اسمه محمد بن علي الداستاني ولقبه شيخ المشايخ.

وكان عالماً بأنواع العلوم، وكان مُحتشماً على باب الله، وله كلامٌ مُهذَّبٌ، وإشاراتٌ لطيفة، وكان من أقران الشيخ أبي الحسن، ونسبةُ إرادته تتصل بثلاث وسائط، الشيخ عمي البسطامي ولد أخي سُلطان العارفين، وكان مُريدَه.

وتوفي في رجب سنة سبع عشرة وأربع مئة، وكان عمره تسعٌ وخمسون[1] سنة.

قال صاحب «كشف المحجوب»[2]: سمعتُ عن الشيخ السهلكي، وكان من أصحابه، قال: يوماً جاء الجراد في بسطام، وعمَّ جميعَ الأشجار والمزارع

(*) كشف المحجوب ٣٧٨، أسرار التوحيد ٦٩ (الدستاني).

(١) كذا في الأصل.

(٢) كشف المحجوب ٣٧٨-٣٧٩.

حتى صارت سوداء من كثرته، والناس يصيحون ويبكون، فقال لي شيخي: ما هذا الصياح، والشغل؟. قلت: من كثرة الجرادِ ضاقَ قلوبُ الناس. فقام، وطلع السطح، وتوجَّه إلى السماء، فالجرادُ كلُّه طار، فوقت العصر ما بقي واحدٌ منه، وما أكلوا شيئاً حتى ما وقع النَّقصُ لورقةٍ واحدة.

* * *

(٣٦٩) أبو سعيد بن أبي الخير(*)

الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس الله سرهما، اسمه فضل الله بن أبي الخير، كان سلطانَ الوقت، وجمالَ أهل الطريقة، والمشرفَ على القلوب.

وجميعُ المشايخ كانوا مسخَّرين له، وكان في أتباع الشيخ أبي الفضل بن حسن السَّرخسي.

قال الشيخ أبو سعيد: كنت يوماً من الأيام ماشياً في مدينة سرخس، وكان هناك كثبانٌ من الرماد، ولقمانُ المجنون جالساً عليها، فعزمت لزيارته، وطلعتُ عليها، وهو يَخيطُ المرقعة على الفروة، وأنا كنتُ ناظراً إليه، وكان أبو سعيد واقفاً، ووقع ظلُّه على فروته، فلمَّا خيَّط المرقعة، قال: يا أبا سعيد، خيَّطتُ اسمَكَ مع هذه المرقعة والفروة. وقامَ وأخذ بيدي، ومشى حتى وصل خانقاه الشيخ أبي الفضل، وأخبر الشيخ، فخرج الشيخ، فقال: يا أبا الفضل، احرس هذا، إنه منكم. فالشيخُ أخذ بيدي، وأدخلني في الخانقاه، وجلس على دكَّةٍ، وأخذ كرَّاساً من الكتاب، وجعل يُطالعُ فيه، فجاء في خاطري بحسب عادةِ طلبةِ العلم أن أنظر ما فيه، فعلم الشيخ، وقال: يا أبا سعيد، أرسل الله

(*) الأنساب ١١/٥٨٠ (الميهني)، اللباب ٣/٢٨٥، طبقات السبكي ٥/٣٠٦ (فضل الله بن أحمد بن محمد)، سير أعلام النبلاء ١٧/٦٢٢، طبقات الأولياء ٢٧٢ (فضل الله بن أحمد بن علي)، النجوم الزاهرة ٥/٤٦، كشف المحجوب ٣٦٢، ٣٧٧، ٤٧٣، ٥٦١، ٥٩١، دائرة المعارف الإسلامية ١/١٤٥، جامع كرامات الأولياء ٢/٢٣٥، وانظر كتاب: «أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد» لابن منور، ترجمه من الفارسية إلى العربية: د. إسعاد عبد الهادي.

تعالى أربعاً وعشرين ومئة ألف نبي إلى دعوة الخلق، حتى يقولوا الله، ومن قال هذه الكلمة استغرق فيها. قال الشيخ: فمن استماع هذه الكلمة ما جاءَ النوم، فقمتُ قبل طلوع الشمس، وجئتُ عند الشيخ، وطلبت الرخصة، فذهبتُ عند أبي علي الفقيه لأقرأ التفسير، وابتداء التدريس كان هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] فباستماع هذه الآية فتحَ اللهُ تعالى باباً في صدري، وزال شعوري، فلمَّا رأى الفقيه حالي، قال: أين كنت البارحة؟. قلت: عند أبي الفضل. قال: قم اذهبْ عنده، يكون حراماً عليك الرُّجوعُ من ذلك المعنى إلى هذا المعنى. فجئتُ عند الشيخ متحيِّراً، ومتولِّهاً، فلما رآني الشيخ، قال: يا أبا سعيد.

إذا صرتَ ملآناً من السُّكرِ لا تَعي أمامَكَ مِنْ خَلفكْ فلا تنسَ نهجكا[1]

قلتُ: أيُّها الشيخ، ما تقول؟. قال: ادخلْ، واقعد، وكن بهذه الكلمة، لأن لهذه الكلمة بك شغل. قال: فلمَّا ماتَ الشيخ ما بقي أحدٌ يحلُّ مشكلاتي إلا الشيخ أبو العباس الآملي، فذهبتُ عنده، وقعدتُ في خدمته سنة كاملة.

وقيل: إن للشيخ [أبي] عباس كان مكانٌ في المكان الذي كانوا الفقراء فيه، فجلس فيهم إلى إحدى وأربعين سنة، وإن قامَ أحدٌ للصلاة الزوائد، فيقول الشيخ: يا ولدي، أنت نم؛ لأنِّي ما أفعل إلاَّ لأجلكم، لأني ليس لي حاجة بها. وما قال لأبي سعيد في تلك السنة: ارقد، ولا تصلِّ الصلاة، كما كان عادته لغيره.

وأعطاه أبو الخير بيتاً صغيراً على محاذاته، وفي ليلة خرج الشيخ أبو العباس من صومعته، وكان قد فصد عِرقه، وامتلأ ثوبُه بالدم، وكان الشيخ أبو سعيد واقفاً، فنزع أبو سعيد ثيابه، وألبسه ثوبه، وأبو سعيد غسلَ ثياب الشيخ، ونشرها على الحبل، فلمَّا جفَّت الثياب ودَّاها عند الشيخ، فأشار الشيخ، يعني تلبسها، فلبسها أبو سعيد، وعزم إلى بيته، فلمَّا أصبح جاء جماعةٌ، ورأوا على الشيخ أبي سعيد ثيابَ الشيخ، وثيابَ أبي سعيد على الشيخ أبي عباس،

---

(١) في (ب): أمامك من خلف فلا تنس مهجكا.

فتعجَّبوا، فقال الشيخ أبو العباس: في البارحة صار إيثار لهذا الشاب الميهني[1] بارك الله فيه.

قال أبو سعيد: يوماً دخلَ رجلان على أبي العباس، وجلسا، ثم تذاكرا، فقال أحدهما: غمٌ الأزل والأبد تامٌ. وقال الثاني: إن الفرح والسرور في الأزل والأبد تام، فما تقول؟. فالشيخ مسح وجهَه باليد، وقال: الحمد لله، منزل ولد القصاب لا غمّ ولا فرح، ليس عند ربكم صباح ولا مساء، إن الفرحَ والحزن صفتكم، وما كان صفتكم فهو محدث. يعني لا يكون للمحدث طريق إلى[2] القديم، فقال ولد القصاب: عُبدَ اللهُ في الأوامر والنواهي، ومتابعة رسول الله ﷺ، وإن يدّعي أحدٌ طريقَ الفتيان فشاهده هذا. فلمّا خرجا سألته عنهما، قال: أحدهما أبو الحسن الخَرْقاني، والثاني عبد الله الداستاني.

وقال أبو سعيد: فلمّا أكملتُ السنة في خدمته، قال لي: ارجع إلى قرية مَيْهنة، فبعد أيامٍ يُنشر هذا العلم على بابك. فرجعتُ بإشارته بألفِ خلعةٍ وفتوح.

وكان شيخ من مشايخ ما وراء النهر اسمه محمد بن أبي نصر الحبيبي[3]، ما رأى الشيخ أبا سعيد أبداً، والخوجه أبو بكر الخطيب كان من أئمة مرو، وكان اجتماعه بالشيخ أبي سعيد في دروس القفّال، فعزم إلى نيسابور بغرضٍ، فجاء عنده محمد الحبيبي، وقال: سمعتُ أنك عازم إلى نيسابور، ولي سؤالٌ أُريدُ أن تسأله من الشيخ أبي سعيد، وتجيء بجوابه، لكن تسألُ هكذا حتى لا يَعرفَ هذا السؤال مني. قال: تسألَه: أيكون للآثار محو؟. قلت: أنا لا أقدرُ على حفظه، اكتبه في قرطاس. فكتبه، وأعطانيه. قال الخوجه أبو بكر

---

(١) في (ص): المهتني، وفي (ب): المهتني.

(٢) في (ب): إلا القديم، وانظر أسرار التوحيد ٦٩.

(٣) في أسرار التوحيد ١١٣: محمد بن أبي نصر الختني. وبداية الخبر في أسرار التوحيد: كان في مرو شيخ يقال له محمد الختني، وكان واحداً من شيوخ ما وراء النهر، وعند اعتزام بغراخان قتل صوفية ما وراء النهر، جاءت جماعة من شيوخهم، واختفوا في مرو، وكان محمد الختني هذا من بين هؤلاء، ولم يكن قد رأى شيخنا....

الخطيب: فلمّا دخلتُ نيسابور، ونزلت في رباط العوام[1]، دخل عليَّ صوفيان، سألا الناس عن أبي بكر الخطيب: أين ينزل؟. فناديتهما، قالا: إن الشيخ أبا سعيد يسلم عليك، وقال: لستُ ميتاً حتى تنزلَ في الرباط، ينبغي أن تجيء عندي. قلت: أدخلُ الحمام، وأجيء في خدمتكم. ومن هذا الخبر والسلام حصل لي حالٌ عظيم، لأنه ما قال له أحد، فدخلتُ الحمام، فلمّا خرجتُ من الحمام رأيت هذين الصوفيين قائمين بالعود وماء الورد، وقالا: نحن جئنا في خدمتكم بأمر الشيخ. فلمّا دخلت على الشيخ، ورآني الشيخ، قال:

أهلاً لسُعدى والرَّسولِ وحبذا ... وجهُ الرَّسولِ لحبِّ وجهِ المُرسِلِ

فسلَّمتُ عليه، فردَّ جواب سلامي، وقال: إن كان سؤال ذلك الشيخ عندك حقير، لكنَّه عندي عزيزٌ مُحترم، فمن اليوم الذي خرجتَ من مرو وأنا أعدُّه منزلاً منزلاً، أعطني ما جئت به، وما قال الشيخ. فمن هيبة الشيخ نَسيتُ السُّؤال، فأخرجتُ القِرطاس، وأعطيته، فقال الشيخ: أنا أُعطيك الجواب الآن، فيلزم عليك الرجوع، فافرغْ من حاجتك، فأُعطيك الجواب. فمدَّة إقامتي في نيسابور كنتُ كلَّ ليلةٍ أذهبُ عند الشيخ، فلمَّا قضيتُ الحاجة، طلبتُ منه جواب السؤال، قال: قل لذلك الشيخ ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨] فنكست الرأس، وقلت: ما فهمت. فقال: هذا لا يجيء في بيان العلماء، اقرأ هذه الأبيات:

بدني دموعٌ كلُّه وبه عيونٌ جاريه
فبقيتُ لا أثري[2] ولا أثر وعشقك مائيه[3]
فمَنِ الهوى ومن الذي أَهوى وأَين هوائيه

قلت: يا أيُّها الشيخ، مُرْ لأحدٍ حتى يكتب. فأمرَ الشَّيخُ الحسنَ المؤدّب أن يكتبَ، فلمَّا وصلتُ بالمرو بالفور جاء الشيخُ محمد حبيبي، فذكرتُ ما جرى،

---

(١) في أسرار التوحيد ١١٤: رباط القوافل.
(٢) في (ب): فبقيت لا بدني.
(٣) في (ص) و(ب): ذائبة.

وقرأتُ تلك الأبيات، فلمَّا سمعَ، صاحَ صيحةً، وخرَّ مغشياً عليه، فحملوه، وودُّوه إلى بيته، فبعد سبعةِ أيامٍ كان في التُّراب، وهذا البيت من الشيخ:

صــاحــبُ القَيْــدِ نَــاقــص سَــالــم القَيْــدِ كــامــل

فما يتعلَّقُ بالعلوم يَجيءُ بتقرير اللسان، وتمسكهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] ومن يكن مَربوطاً بالحياة العارية[1] يمدَّ بتحريك اللسان، ويغترَّ بالحياة كالمُغترِّ بالشرابِ، فإذا جاء ملكُ الموت تزولُ الحياة العارية[2]، ويرتفع بتقريرِ[3] اللسان، ويُظهرُ فضيحته، وما يتعلَّقُ بالقلب هو غير مربوطٍ، ومنه يتوقع الثمرات الكثيرة في الدين و الدنيا.

ويوماً جاء قوَّالٌ، وقرأ هذا البيت:

ماذا تَقولُ إنِ اختفيتُ عشيةً في سربِ غزلانٍ فقبَّلْنَا فَمَك[4]

فقال الشيخ: لمن هذا البيت؟. قالوا: لعمارة. فقال: قوموا نذهبُ لزيارته. فذهب الشيخ مع الجماعة، وفي الطريق قال الشَّيخُ هذين البيتين:

لا كُفرَ لا إيمانَ في مَذهبِ الهوى فعَدِّ عن مُقتضى حَدْسِك
واقعــدْ مــع الثُّعبــانِ مُستــأنسـاً ولا تَقْعُــدْ مــع نفســك

وأيضاً قال الشيخ[5]:

ما ثَمَّ في الآفاقِ من فعلٍ يُرى هو أَحسنٌ من أَحْسَنِ الأَشياءِ
كتعــاهــدِ بيــن الأخِــلاَّءِ واقــعِ فيــه جــلا أحــزانهــا بصفــاءِ

---

(١) في (ص): العادية.
(٢) في (ص): العادية.
(٣) في (ب): ويرتفع تقرير اللسان.
(٤) ترجمة البيت في أسرار التوحيد ٣٠٢:
سوف أختفي في غزلي
حتى أقبل شفتيك عندما تقرأه.
(٥) في (ب): قال الشيخ أمام جنازتي.

سألوا الشيخ: ما معنى هذا الخبر، «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادة سنة»[1]؟
قال الشيخ: التفكُّرُ ساعة في عدمية أفضلُ من عبادة سنةٍ تكونُ في تفكُّرِ وجودِهِ.

وبعد هذا قال هذين البيتين:

رؤيتي وجهك صَومي وقُربتي وهي في جِيْدِ وجودي كالطِّراز
فـإذا كُنْـتَ مَجـازي قُـربـةٌ وإذا غِبْـتَ صـلاتـي كـالمَجـاز

والأستاذ أبو صالح المقرئ كان مريضاً، فنادى الشيخ أبا بكر المؤدب الذي كان يؤدِّبُ أولاد الشيخ، فقال الشيخ: هاتِ الدَّواةَ والقلم والقِرطاس، حتى أكتبَ لأبي صالح شيئاً. فأمرَه الشيخ أن أكتب هذه الأبيات:

لتنظـر العيـنُ مُشتهـاهـا وقفـن حُـورُ الـرِّضـا صفـوفـا
رضـوانُ مـن غبطـةٍ تَـراه متـأسفـاً ضـاربـاً كفـوفـا
وليـل خـالٍ بصبـح خـدٍّ عـادَ بتفـاحـة عَطـوفـا
مـؤذنـاً قـد أبحـتُ لثمـاً فـاقطفـوا مـا تَـروا مَخـوفـا

فأبو بكر المؤدب ذهب عند أبي صالح، وربطَه على رقبته، بالفور حصلَ له الصِّحةُ، وخرج من البيت ذلك اليوم.

ويوماً خرج الشيخُ، وجلس تحت الشجرةِ، وكان أوراقُها صُفراً، فقرأ هذه الأبيات:

الشمـسُ قـد صفَّـرتـك لمـا صفـرَ فـي العِشـق فيـك قهـرا
فصـرت بـالشَّمـسِ أنـت بـدرا وصـرتُ بـالعِشـقِ فيـك بـدرا

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٤٢٣، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٤٤، ورواه الديلمي في مسند الفردوس ٢/ ٧٠ (٢٣٩٧) من حديث أنس بلفظ: «ثمانين سنة» وإسناده ضعيف جداً، ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ: خير من قيام ليلة. اهـ.
قال العجلوني في كشف الخفا ١/ ٣١٠: ذكره الفاكهاني بلفظ: فكر ساعة. وقال: إنه من كلام سري السقطي.

وقالوا: عبد الشيخ فلان يَمشي على الماء. قال: سهلٌ؛ الصَّعوةُ[1] أيضاً تمشي على الماء. قالوا: فلانٌ يطيرُ في الهواء. قال: سهلٌ؛ الغرابُ والذُّبابُ أيضاً يطير في الهواء. قالوا: فلان في لحظةٍ يذهبُ من بلدٍ إلى بلد. قال: سهلٌ؛ الشيطان أيضاً يمشي في نَفَسٍ واحدٍ من المغرب إلى المشرق، لمثل هذا لا يكون قيمةٌ [قيمةُ] الرَّجل الذي يجلسُ مع الخلق، ويَبيعُ ويشتري، ويتزوَّجُ ويختلطُ مع الخلق، ولا يكون غافلاً عن الله تعالى.

وسألوه: ما التَّصوف؟. قال: ضع ما يكون على رأسك، واعط ما يكون على كفك، والذي يقعُ عليك لا تنفجعُ عليه.

ثم قال الشيخ: **الله وبس، وما سواه هوسٌ، وانقطع النفس**.

وأيضاً قال الشيخ: ليس الحجابُ بين الله وبين عبده أرضاً ولا سماءً ولا عرشاً ولا كرسياً إلاّ نفسك، دع نفسَكَ وتعالَ.

قال الشيخ: كنتُ في سفرٍ، فوصلتُ إلى قرية، فقلت: كان هنا واحدٌ من المشايخ اسمه داد[2]، قلت: أبقيَ أحدٌ ممن اجتمع به؟. قالوا: هنا رجلٌ مُعمَّرٌ رآه. فناديته، وكان رجلاً ذا هيبة وشوكةٍ، فسألته: أنت رأيت داد؟. قال: رأيتُه في صغر السِّنِّ. قلتُ: سمعتَ عنه شيئاً؟ قال: ما كان لي قوةُ حفظِ كلامه، لكن أحفظُ كلمةً واحدة، كان يوماً دادُ جالساً، فدخل عليه رجلٌ ذو مرقعة، وسلَّمَ، فقال: أيُها الشيخ، أُريد أَستريح عندك؛ لأنِّي دوَّرتُ جميع العالم ما رأيتُ أحداً منقطعَ العلائق ومستريحاً، وأنا أيضاً ما استرحتُ. قال: لِمَ لا قطعتَ العلائقَ عنك، حتى تستريحَ، ويستريحَ منك غيرُك[3]؟ قلت: هذا

---

(١) الصَّعوة: جمعٌ، مفردها صعو: طائر صغير. القاموس (صعو). وفي الأصل: الصفوة، والمثبت من أسرار التوحيد ٢٢٨.

(٢) في أسرار التوحيد ٢٧٢: دادا.

(٣) في أسرار التوحيد ٢٧٢: قال دادا: أيها الغافل، لماذا لم تسعد الآخرين لتستريح أنت، ويستريح بك الناس أيضاً.

الكلام ـ يعني كلام داد ـ تمام، ولا يكون فوق هذا الكلام كلام.

وقال الشيخ أيضاً: وأصلُ هذا الحديث لا يكله إليه، كما قال ﷺ: «**اللَّهُمَّ، لا تَكلني إلى نفسي طرفةَ عينٍ، ولا أقلَّ من ذلك**»[1].

وكنتُ في مرو، فزرتُ الشيخ الصوَّاف، فقال: يا شيخ، إن الله لا يترك الخلائق، أنْ تسقيني شربةً من ماءٍ، أو يسلمون علي، وتريدُ الخلائقُ أن يحضروا مع الله ساعة؟! وأنا أُريد أن يَكلني إلى نفسي حتى أعرفَ من أنا. وفي آخر عمره زادتْ عليه نارُ العشق واحترق.

وأيضاً قال الشيخ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] يعني لست تذكره أكبر، بل هو يذكرك أكبر، فظاهرُ ذكرك أين يكون؟ فينبغي لك أن تطلبه جداً وجهداً. فقال ذلك الرجل: أين أطلبه؟. قال: أين طلبته ما وجدته، فاطلبه في كلِّ مكان، وكلُّ شيءٍ تجده، **من طلب شيئاً وجَدَّ وجَدَ**.

وأيضاً قال الشيخ: دخل شابٌّ عند الشيخ، فقال: أيُّها الشيخ، تُحدِّثني؟. فالشيخ سكت، ونكَّس الرأس، وكان متفكِّراً، فرفع الرأس، وقال: يا شابُّ، تبغي الجواب؟. قال: نعم. فقال الشيخ: فما يكون غير الله تعالى لا يستحقُّ أن أتكلَّمَ به، وممّا يكون حق فلا يجيء بالعبارة، **إن الله أجلُّ من أن يُوصف بوصفٍ أو يُذكر بذكر**.

وقال واحدٌ من هذه الطائفة: كنتُ مدَّةً في خدمة الشيخ أبي سعيد، فأردتُ أن أذهب إلى بغداد، فقال الشيخ: إذا دخلتَ بغداد وسألكَ الناسُ: ما رأيت؟ وما حصل لك؟ فما تردُّ الجواب؟ تقول: رأيتُ وجهَه ولحيته. قال: فأنت تقول أيُّها الشيخ. فقال: من يعرفُ لسانَ العرب فاقرأ عنده هذه الأبيات:

قالوا خراسانُ أَخرجتْ شيئاً ... ليسَ له في جمالِهِ ثانِ
فقلتُ لا تُنكِروا محاسنَهُ ... فمَطلعُ الشَّمسِ من خُراسان

---

(١) تقدم تخريجه صفحة (٢٢١).

فمن لم يعرف العربي، اقرأ هذا الرباعي:

خضـرةُ[1] الجنَّـةِ والجنَّـةُ قـد كُسيـت منـك بهـاءً واكْتَسَبَـتْ

والـذي يُـذكـرُ فـي الخُلـد لنـا مـن نعيـمٍ ومـيـاهٍ انْسكبَـتْ

ونقـوش الصيـن والكسـب الـذي للعـراقيـن منـه قـد رَبَـتْ

إنَّمـا كـان جميعـاً منـك لا ريـب لا شبهـةٌ فيهـا قطـع بَـتْ

سأل الشيخ أبو سعيد أبا علي الدقاق: هذا الحديثُ يكون دائماً ؟. قال: لا. فالشيخ نكس الرأس، فرفع الرأسَ، وقال: يا أستاذ، هذا الحديث يكون دائماً ؟. فقال الأستاذ: إن كان دائماً فيكونُ نادراً. فصفَّق الشيخ، وقال: هذا من جملة النوادر.

وتوفي الشيخ ليلة الجمعة بعد صلاة العَتَمة، رابع شعبان سنة أربعين وأربع مئة، وكان عُمُره ألفَ شهر.

* * *

(٣٧٠) الشيخ أبو القاسم الكركاني(*)

الشيخ أبو القاسم الكركاني قدّس الله سره، اسمه علي، وما كان له نظيرٌ في وقته، ونسبة خرقته تتصل إلى سيِّد الطائفة الجُنيد بثلاث وسائط: أبي عثمان المغربي، وأبي علي بن الكاتب، وأبي علي الروذباري، وكان له حالٌ قويٌّ، وكان مرجعَ الخلائق، وكان في كشفِ وقائعِ المُريدين آيةً، وله كرامات ظاهرة.

قال صاحب «كشف المحجوب»[2]: حصلَ لي حالٌ في الطريق، فكان جلُّه

---

(١) في (ص): قصده.

(*) كشف المحجوب ٣٨٣، أسرار التوحيد ٨١، ١٤٤، ٢٠٧، رشحات عين الحياة ١٥. وهو في المصادر أبو القاسم الجرجاني.

(٢) كشف المحجوب ٤٧٢.

عليَّ متعسّراً، فذهبت إلى أبي القاسم الكركاني، فوجدته في المسجد الذي كان عند داره، وكان في المسجد واحدٌ يذكر واقعتي على أسطوانة المسجد، فوجدتُ الجوابَ بلا سُؤال، فقلت: أيُّها الشيخ، هذه واقعتي. فقال: يا ولدي، إن الله سبحانه أنطقها عليَّ حتى سألتني[1].

والشيخ أبو سعيد، والشيخ أبو القاسم قدَّس اللهُ سرَّهما، كانا جالسين في طوس على كرسيٍّ، وجماعةٌ واقفين من الصوفية حولهما، فخطرَ في خاطر أحدهم: كيف يكون منزلتهما ؟. فالتفت الشيخ أبو سعيد إلى ذلك الرجل، وقال: من يُريدُ أن ينظرَ إلى سلطانين في وقتٍ واحدٍ، ومكانٍ واحدٍ، وكرسيٍّ واحدٍ فلينظر. فلما سمع ذلك الرجل رفعَ اللهُ تعالى الحجابَ عن بصره، حتى يظهرَ عليه صدقه، فتحقق له كبرياؤهما، ثم خطرَ في باله: أيكون واحدٌ أكبرَ منهما على وجه الأرض ؟. فالتفت أبو سعيد إليه، وقال: يا ولدي، يكون الملك مُحتقراً[2] إن لم يكن كلَّ يومٍ مثلُ أبي سعيد، وأبي القاسم سبعين ألف رجلٍ يظهر، وسبعين ألف يموت، وإلا فيكون ملكُه محتقراً[3].

* * *

(٣٧١) مظفر بن أحمد بن حمدان[*]

خوجه مظفر بن أحمد بن حمدان قدس الله سره، كنيته أبو أحمد، والله تعالى فتحَ له بابَ المعرفة في الرئاسة، ووضعَ له تاجَ الكرامة، وكان له بيانٌ واضح، وعبارةٌ عالية في الفناء والبقاء.

قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير، قدَّس اللهُ سرَّهما: أدخلني اللهُ في هذا

---

(١) في كشف المحجوب: لقد أنطق الله عز وجل لي هذا العمود في هذه الساعة فسألني هذا السؤال. والعبارة في (ب): حين سألتني.

(٢) في (ص): مختصراً.

(٣) في (ب): مختصراً.

(*) كشف المحجوب ٣٨٤، أسرار التوحيد ١٣٨، ٢٢٠، ٣١٣.

الطريق بطريق العبودية، وأدخل الله تعالى المظفّر بالسيادة، يعني وجدت المُشاهدةَ بالمجاهدة، والمظفر رجع من المشاهدة إلى المجاهدة.

قال صاحب «كشف المحجوب»[1]: سمعته، قال: ما أعطى اللهُ العبادةَ من قطع البوادي والمفاوز والفيافي، أعطاني اللهُ ذلك على العزّ والجاه، فإنَّ أصحابَ الرعونة يحملون هذا القول على الدعاوي، وهذا الاعتقاد من نقصهم، وصدقُ الحالِ لا يكون بالدعوى.

قال الخوجه مظفر يوماً في قرية نُوقان[2]: نسبةُ الشيخ أبي سعيد إليَّ كنسبةِ كحبة دخنٍ[3] إلى كيلة[4]، فلمَّا سمع مريدُه ذكرَه عند الشيخ، قال: قل له: تلك الحبة أنت، وأنا لست بشيء.

* * *

(٣٧٢) معشوق الطوسي[*]

معشوق الطوسي قدس الله روحه، اسمه محمد، وهو من عقلاء المجانين، وكان في طوس صاحبَ الحال والكمال، وكبيرَ الشأن، وقبرُه هناك.

فلمَّا عزمَ أبو سعيد من مَيْهنة إلى نيسابور، فوصلَ إلى قريةٍ من قُرى طوس، ندب مُريدَه إلى معشوق، وقال: اطلب منه الأذن. فلمَّا ذهبَ ذلك الفقير أمرَ الشيخ أن تُسرجَ الدابة، ومشى على أثره مع الأصحاب، فلمَّا وصلَ إلى موضعٍ يُمكن أن يرى طوس، وقف حصانُ الشيخ، فلمَّا وصلَ مندوبُ الشيخ، وأدّى

---

(١) كشف المحجوب ٣٨٤.

(٢) نُوقان: إحدى قصبتي طوس، لأن طوس ولاية ولها مدينتان، إحداهما طابران، والأخرى نوقان. معجم البلدان.

(٣) في (ب): كحبة دهن.

(٤) في أسرار التوحيد ٢٢٠، أنا والشيخ أبو سعيد مثل مكيال من الذرة، والشيخ أبو سعيد حبة منه.

(*) كشف المحجوب ٣٩٠، أسرار التوحيد ٧٧.

الرسالة، تبسَّم معشوق، وقال له: ادخل. فلمّا قال معشوق هذه الكلمة مشى حصانُ الشيخ من هناك، وأصحابُه معه، فجاء ذلك الفقير، وذكر جوابَ معشوق، فعزمَ الشيخُ من هناك إلى زيارة معشوق، ومعشوق استقبلَه وعانقه، فقال: كن مستريحاً، هذا العلمُ بعدي يركزونه على بابك.

وإن عين القضاة الهمذاني كتب في بعض رسائله: إن معشوق لا يُصلِّي الصلاة.

وسمعت من الخواجه محمد حمويه، والخوجه الإمام أحمد الغزالي أن الصدِّيقين يومَ القيامة يقولون: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠] حتى يضعَ معشوقٌ قدميه عليه.

وكان محمد معشوق تركيٌّ، يلبسُ القباء، فجاء يوماً في جامع طوس، وكان الشيخُ أبو سعيد يعظُ الناس، فعقد بنداً من قبائه، فسكتَ الشيخ أبو سعيد، وصارَ لسانُه معقوداً، فبعد ساعةٍ، قال أبو سعيد: يا سلطان العصر، ويا سرَّ الوجود، فكَّ بندَ قِبائك؛ لأنَّك ربطتَ العقدةَ في السبع الأرضين، والسبع السموات.

(٣٧٣) علي عبو(*)

أمير علي عبو رحمة الله عليه.

قال عين القضاة في بعض مَكتوباته: إن الذي لا يكونُ له الحضور والغيبة على السوية، بل القلب بوجود قربِ القلوب يقتضي قرب الأبدان.

قال: الأمير علي[١] عبو كان رجلاً عظيماً، وكان له مُريدٌ اسمه محمد شهر آبادي، فأرسله إلى السوق حتى يشتري شيئاً من الطعام، وما كان عنده

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في الأصل: الأمير أبو علي عبو.

شيءٌ، فباع نفسه، واشترى ما كان اشتهى شيخُه، وأرسله إليه، فبعدَ أيام عرفه من اشتراه، فرخَّص له، فلمَّا وصلَ إلى الشيخ، قال أمير علي عبو: يا مُناي، كم ألف سنة احترقَ قلبي في فراقك قبل خلقتك، فما كان كافياً حتى يَنبغي الفراق الظاهر، ينبغي أسبوع واحد قرب الأبدان.

وأيضاً قال في بيان حال الجماعة الذين سلكوا الطريق غير المعهود بلا دليلٍ، فبعضٌ منهم كان مغلوبيتُهم حافظتَهم، وسكرُهم كان ظلَّهم، ومن كان بالتميز قطع رأسه، ومن جملة المغلوبين تركمانيان يحكي عنهما حسين القصاب، قال: كنتُ في سفرٍ مع قافلة عظيمة، فخرج تركمانيان من تلك القافلة، واختارا طريقاً غير مسلوك، فقلتُ في نفسي: عسى أن يعرفَ هذان التركمانيان طريقاً أقربَ من الطريق المعهود، فاتبعتُهما، وتركتُ القافلة، فجنح الليل، فلمَّا مشيتُ قليلاً من الطريق غطى وجهَ القمرِ غيمٌ أسود، فعدلتُ عن الطريق، لكن ما كان لي بدٌّ إلاَّ المشي، فلمَّا وصلَ نصفُ الليل انكشفَ وجهُ القمر، فوجدت أثرَ قدمهما، فمشيت، فلمَّا طلعَ الصبحُ بدا جبلٌ، فالتركمانيان حطَّا القدمَ بذلك الجبل، ففي ساعةٍ واحدةٍ طلعا عليه، وأنا كذلك أمشي مع التعب والمشقَّة وأخدُّ، وأقومُ وأمشي، فطلعت عليه، ثم طلعتِ الشمسُ، ورأيت عسكراً عظيماً ضربوا خيماً بلا نهاية، وبينهم خيمةٌ عظيمة، فسألت: لمن هذه الخيمة العظيمة؟. قالوا: للسُّلطان. فأخرجتُ رجلي اليمين من الركاب، فسمعت صوتاً: إنَّ السُّلطان ليس في خيمته وخرجَ للصيد، فزال عقلي، فبقيتْ الرجل اليسرى في الرِّكاب، والرجلُ اليمنى كما كانت أنتظر أن يرجع السلطان. قال عين القضاة: ذلك التركمانيان أحدُهما محمد المعشوق، وثانيهما أمير علي عبو قدس الله أسرارهما.

* * *

(٣٧٤) أبو عبد الرحمن السُّلمي النيسابوري(*)

الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري رحمه الله تعالى، اسمه محمد بن حسين بن محمد بن موسى السُّلمي، صاحب «تفسير الحقائق»(١) و «طبقات المشايخ»(٢) وغيرهما، وله تصانيف كثيرة، وكان مُريدَ أبي القاسم النصرآباذي، ولبس الخرقة عنه، والنصرآباذي مريد الشبلي، وذهب الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير بعد موت أبي الفضل عنده، ولبس هذه الخرقة منه.

قال الشيخ أبو سعيد: ذهبتُ أول مرَّةٍ إلى الشيخ أبي عبد الرحمن السُّلمي فرأيته، فقال: اكتب لك تذكرةً بخطِّي؟. فقلت: اكتبْ. فكتب بخطه:

سمعتُ جدِّي أبا عمرو بن نُجيد السُّلمي، يقول: سمعتُ أبا القاسم الجُنيدَ بن محمد البغدادي، يقول: التَّصوفُ هو الخُلُقُ، من زادَ عليك بالخُلُقِ زادَ عليك بالتصوف.

(*) تاريخ بغداد ٢/٢٤٨، الأنساب ٧/١١٣، المنتظم ٨/٦، الكامل لابن الأثير ٩/٣٢٦، اللباب ٢/١٢٩، المختصر في أخبار البشر ٢/١٦٠، العبر ٣/١٠٩، سير أعلام النبلاء ١٧/٢٤٧، ميزان الاعتدال ٣/٥٢٣، دول الإسلام ١/٢٤٦، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٤٦، الوافي بالوفيات ٢/٣٨٠، مرآة الجنان ٣/٢٦، طبقات السبكي ٤/١٤٣، البداية والنهاية ١٢/١٢، طبقات الأولياء ٣١٣، النجوم الزاهرة ٤/٢٥٦، لسان الميزان ٥/١٤٠، طبقات الحفاظ ٤١١، طبقات المفسرين للسيوطي ٣١، طبقات المفسرين للداوودي ٢/١٣٧، الكواكب الدرية ٢/١٩٩، كشف الظنون ٢/١١٠٤، شذرات الذهب ٣/١٩٦، هدية العارفين ٢/٦١، وانظر مقدمة كتاب طبقات الصوفية التي كتبها الأستاذ نور الدين شريبة، ومقدمة كتاب: تسعة كتب في أصول التصوف والزهد للدكتور سليمان إبراهيم آتش.

(١) حقائق التفسير: تفسير له أهمية بالغة من ناحية تاريخ التصوف، ويمكن من خلاله الوقوف على نظرات الصوفية للتفسير، وعلى أفكارهم وأحوالهم وعواطفهم. قال المستشرق آربري: أهم خصائص السلمي تفسيره الذي كتبه بالنظرة الصوفية، ولم يدرس هذا التفسير بعد، انظر مخطوطات الكتاب في مقدمة طبقات الصوفية، ومقدمة تسعة كتب للدكتور سليمان إبراهيم آتش.

(٢) هو كتاب طبقات الصوفية.

وأحسنُ ما قِيل في تفسير الخُلُق ما قال الشيخُ الإمام أبو سهل الصُّعلوكي: **الخُلُقُ هو الإعراض عن الاعتراض.**

قال صاحبُ كتاب «الفتوحات المكية»[1] قدَّسَ الله تعالى سرَّه، في الباب الحادي والستين ومئة: دخلتُ في المقام الذي بين الصدِّيقية والنبوة في المحرم، سنة سبع وتسعين وخمس مئة، وكنتُ في بلاد المغرب، فغلبَ عليَّ الحيرةُ، فمن الانفراد حصل لي وحشةٌ عظيمة، ومع وجود ما حصل لي ما أعرفُ اسمَ ذلك المقام، فتحوَّلتُ من تلك المنزلة مع الحيرة والوحشة، فنزلتُ في بيتِ واحدٍ من أحبابي، وكنتُ أتكلَّمُ معه لرفع الوحشةِ، فرأيتُ ظلَّ شخصٍ، فنطَّيتُ من مكاني إليه، عسى أن يحصلَ لي الفرج، فعانقني، فلمَّا تأمَّلتُهُ فهمت أنه روح الشيخ أبي عبد الرحمن السُّلمي، تمثَّلَ بالصورة الجسمانية، فأرسله اللهُ تعالى إليَّ من رحمته، فقلتُ له: أنا أبصرُكَ في هذا المقام! قال: قُبضتْ روحي في هذا المقام، واستمرَّيتُ في هذا المقام. فشكوت له الوحشةَ، وعدمَ المؤانسة، فقال: **الغريبُ مُستوحش. فقال: بعد أن سَبقت لك العنايةُ الإلهية بالحصول في هذا المقام، فاحمدِ الله يا أَخي، وكنْ راضياً؛** لأنَّك مشاركُ الخضر عليه السلام، في هذا المقام. فقلت: يا أبا عبد الرحمن، لا أَعلمُ اسمَ هذا المقام حتَّى أُسمِّيه باسمٍ. قال: **هذا يسمَّى: مقام القربة، فتحقَّق به.**

قال الشيخ أبو عبد الرحمن: **الذي لا بدَّ للصوفي منه شيئان: الصِّدقُ في الأحوال، والأدبُ في المعاملات.**

وفي «تاريخ اليافعي»[2] أنَّه: توفي السُّلمي، رحمه الله تعالى، سنة اثنتي عشرة وأربع مئة.

* * *

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ٢٦١، وساق المؤلف قول ابن عربي بتصرفٍ.

(٢) مرآة الجنان ٣/ ٢٦.

(٣٧٥) حسين بن محمد بن موسى السُّلمي(*)

حسين بن محمد بن موسى السلمي، وأبو الشيخ أبي عبد الرحمن السُّلمي(١)، وهو من كبار المشايخ.

وصحب: عبد الله بن منازل، وأبا علي الثقفي، ورأى الشبلي.

وكان مُجاهداً على الدوام، وكان في علوم المعاملات كاملاً.

فلمَّا وِلِدَ أبو عبد الرحمن تصدَّقَ بما كان في ملكه، فقالوا: حصل لك ابنٌ، ما تركتَ له شيئاً(٢)؟! فقال: إن هو كان صالحاً ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، فإن كان مفسداً فما أُخلِّفُ له آلةَ الفساد.

توفِّي رحمه الله سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة.

* * *

(٣٧٦) أبو سهل الصُّعلوكي(**)

أبو سهل الصُّعلوكي رحمه الله، اسمه محمد بن سُليمان الصُّعلوكي الفقير، **كان إمامَ وقته في علوم الشريعة، وواحدَ زمانه، والمتَّفق على تقدُّمه على لسان الولي والعدو.**

(*) تاريخ الإسلام مخطوط، ورقة ٢/ ١٢٤، أياصوفيا رقم ٣٠٠٩ (عن تسعة كتب).

(١) في الأصل: وأبوه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي.

(٢) في (ب): ما تركت له شيئاً ما؟!.

(**) يتيمة الدهر ٤/ ٤١٩، طبقات الشيرازي ١١٥، الأنساب ٨/ ٤٣، تبيين كذب المفتري ١٨٣، اللباب ٢/ ٢٤٢، طبقات الفقهاء الشافعية ١/ ١٥٨، وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٤، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٢٤١، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٣٥، دول الإسلام ١/ ٢٢٨، العبر ٢/ ٣٥٢، الوافي بالوفيات ٣/ ١٢٤، طبقات السبكي ٣/ ١٦٧، طبقات الإسنوي ٢/ ١٢٤، طبقات الأولياء ٢١٥، طبقات المفسرين للداوودي ٢/ ١٤٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٣٦، الفلاكه والمفلوكون ١٣٧، مفتاح السعادة ٢/ ١٧٧، الكواكب الدرية ٢/ ١٣٤، شذرات الذهب ٣/ ٦٩.

وصحب: الشبلي، والمُرتعش، وأبا علي الثقفي، ورافقَ أبا الحسن البوشنجي، وأبا نصر الصفَّار النيسابوري.

وكان حسنَ السماع، طيِّبَ الوقت.

قال الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمي: سُئل أبو سهل الصعلوكي عن السَّماعِ، قال: يُستحبُّ لأهل الحقائق، ويُباح لأهل العلم، ويُكرهُ لأهل الفِسقِ والفجور.

وأيضاً عنه، قال: ما أَدخلتُ اليدَ في الجيب، وما عقدتُ شيئاً، وما كان عندي قِفلٌ ولا مفتاح.

وأيضاً عنه، قال:

قد تعدَّى من تمنَّى ... أن يكون كمن تعنَّى

قال أبو عبد الله الختني: كان الخواجه مشغوفاً[1] بالكلام المُسجَّعِ، لِمَ لا قال هذا أحسن منه:

قد تجنَّى من تمنَّى ... أن يكون كمن تعنَّى

قال شيخ الإسلام: هذا أحسن منه، وما قال أحدٌ كما قلت[2]: لا تجده بالطلب، لكن ينبغي الطلب.

توفي أبو سهل الصُّعلوكي في نيسابور في ذي القعدة سنة تسعٍ وستين وثلاث مئة، وتوفي ابنه أبو الطيب سَهلُ بن محمد بن سليمان الصُّعلوكي الإمامُ في رجب سنة أربعٍ وأربع مئة.

قال شيخ الإسلام: قال سهل الصُّعلوكي: من تصدَّرَ قبل أوانه فقد تصدَّى لهوانه.

قال سهل الصُّعلوكي يوماً في درسه: محمية ـ يعني: أهل[3] ـ في جميع

---

(١) في (ص): كان الخواجه معشوق.

(٢) في (ص): وما قال أحد كما أنا قلت.

(٣) في الأصل: يعني قال أهله. والمثبت مترجم عن الفارسية.

القرآن أعجبني آية، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١].

قال شيخ الإسلام: حسدتُهُ على هذه الكلمة.

* * *

(٣٧٧) أبو القاسم القشيري(*)

الشيخ أبو القاسم القشيري رحمة الله عليه، اسمه عبد الكريم بن هوازن القشيري صاحب «الرسالة»(١) و تفسير «لطائف الإشارات»(٢) وغيرهما، وله لطائفٌ كثيرةٌ في كلِّ فنٍّ، وتصانيف لطيفة، وكان مُريدَ أبي علي الدقاق، وأستاذَ أبي علي الفارمذي.

توفي في ربيع الآخر سنة خمسٍ وستين وأربع مئة.

قال صاحبُ «كشف المحجوب»(٣): سألتُ الإمامَ القُشيري عن ابتداءِ

(*) تاريخ بغداد ١١/ ٨٣، دمية القصر ٢/ ٩٩٣، الأنساب ١٠/ ١٥٦، تبيين كذب المفتري ٢٧١، كشف المحجوب ٣٨٢، المنتظم ٨/ ٢٨٠، الكامل ١٠/ ٨٨، اللباب ٣/ ٣٨، طبقات ابن صلاح ٢/ ٥٦٢، إنباه الرواة ٢/ ١٩٣، وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٥، تاريخ أبي الفدا ٢/ ١٩٠، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧، العبر ٣/ ٢٥٩، دول الإسلام ١/ ٢٧٤، مرآة الجنان ٣/ ٩١، طبقات السبكي ٥/ ١٥٣، طبقات الإسنوي ٢/ ٣١٣، الوافي بالوفيات ١٩/ ٩٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٠٧، فوات الوفيات ٢/ ٣٧١، طبقات الأولياء ٢٥٧، النجوم الزاهرة ٥/ ٩١، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٣٨، طبقات المفسرين للسيوطي ٢١، مفتاح السعادة ١/ ٤٣٨، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٨، الكواكب الدرية ٢/ ١٨٦، كشف الظنون ٥٢٠، ١٢٦٠، ١٥٥١، شذرات الذهب ٣/ ٣١٩، هدية العارفين ٦٠٧.

(١) الرسالة القشيرية: وهي على أربعة وخمسين باباً، وثلاثة فصول، وهي عمدة في هذا الفن، ولها عدة شروح، وترجمت إلى لغات عدة. انظر كشف الظنون ٨٨٢.

(٢) لطائف الإشارات: تفسير كبير، صنفه قبل العشر وأربع مئة. انظر كشف الظنون ١٥٥١.

(٣) كشف المحجوب ٤٦١.

حاله، قال: كان لي احتياجٌ إلى حجرٍ، كلَّما مَددتُ اليدَ لأخذه فأيُّ حجرٍ أخذته صارَ جوهراً فأرميه. فلأجل هذا كان عنده على السويَّةِ الحجرُ والجوهر، بل كان عنده الجوهرُ أذلَّ من الحجر؛ لأنَّ مرادَه حجر لا جوهر.

وأيضاً قال صاحب «كشف المحجوب»[1]: سمعتُه، قال: **مَثَلُ الصُّوفي كمثل البرسام[2]، أوَّلُهُ هذيان، وآخرُه سكون، فإذا تمكَّنَتَ خَرِستَ.**

وقال القُشيري: **التَّوحيدُ سقوطُ الرسم عند ظهور الاسم، وفناءُ الأَغيارِ عند طلوع الأنوار، وتلاشي الخلائق عند ظهور الحقائق، وفقد رؤية الأغيار عند وجد قربة الجبار جل ذكره.**

ومما أَنشدَ لنفسه:

سقَى اللهُ وقتاً كنتُ أَخلو بوجهِكُم ... وثغرُ الهَوى في روضةِ الأُنسِ ضَاحكُ
أَقمنـا زمـانـاً والعيـونُ قَـريـرةٌ ... وأَصبحتُ يوماً والجُفونُ سَوافِكُ

* * *

(٣٧٨) أبو العباس الشقاني(*)

الشيخ أبو العباس الشَّقَّاني رحمة الله عليه، اسمه أحمد بن محمد، كان صاحبَ الفنون في العلوم، وفي الأصول والفروع، وكان إماماً، ورأى مَشايخ كثيرة، وكان من كُبراءِ أَهلِ التصوف.

قال صاحبُ «كشف المحجوب»[3]: كان لي به أُنسٌ عظيم، وله عليَّ شفقةٌ صادقة، وكان أستاذي في بعض العلوم، وما رأيتُ أحداً من جميعِ صنفِ

---

(١) كشف المحجوب ٣٨٢.
(٢) البرسام: معرب، علة، وهي ورم حار في الحجاب الذي بين الكبد والأمعاء، ثم يتصل بالدماغ، فيهذي منها المريض، ويقال لهذه العلة المُوم. متن اللغة (برسم).
(*) كشف المحجوب ٣٨٢، الأنساب ٧/ ٣٦١، أسرار التوحيد ٢٤٧، اللباب ٢/ ٢٠٢.
(٣) كشف المحجوب ٣٨٣.

الإنسان يعظِّمُ الشَّرعَ أحسنَ منه؛ لأنَّه كان له نفورٌ من الدنيا والعقبى.

ويقول: أشتهي عدماً لا عود له[1]، لأنَّ الكرامات والمقامات كلَّها حجابٌ وبلاء، والإنسان عاشقُ حجابه، فالعدمُ أحسن من الحجاب والرَّاحةِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى موجودٌ حقيقة دائماً، والعدمُ عليه مُحال، فلا يكونُ الضَّررُ والنقصُ في العالم إن لم أكن أنا.

وأيضاً قال صاحب «كشف المحجوب»[2]: دخلتُ يوماً على الشيخ أبي العباس، وهو يَقرأُ ﴿ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾ [النحل: ٧٥]، ويبكي ويصيح، فحسبتُ أنَّ روحه خرجت، فقلت: أيُّها الشيخ، ما هذا الحال؟. قال: اليوم إحدى عشر سنة، وصلَ وردي إلى هنا، ولا أقدرُ أن أتجاوزَ عنها.

كان الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير يوماً جالساً في خانقاهه، والسيدُ أجل الذي كان من أكابر سادات نيسابور جاءَ للسلام عليه[3]، وجلسَ إلى جانبه، فجاءَ الشيخ أبو العباس الشقاني، فأجلسه أبو سعيد فوق السيد أجل، فحصل التعب للسيد أجل[4] لتقدّمه عليه، فتوجَّه إلى سيد أجل وقال: حبُّكَ لأجل النَّبيِّ ﷺ، وحبُّ هذه[5] الطائفة لله تعالى.

قال أبو العباس الشقاني: دخلتُ يوماً بيتي فرأيتُ كلباً مصغراً نائماً، فحسبتُ أنَّه دخلَ من هذه المحلَّة، فعزمتُ لأطرده، فدخلَ في ذيلي، وغاب عني.

* * *

---

(١) كذا في الأصول، وفي كشف المحجوب: لا عود فيه

(٢) كشف المحجوب ٦٤٢.

(٣) في أسرار التوحيد ٢٤٧: وكان سيد نيسابور الأجلُّ قد جاء لتحيته.

(٤) قوله: فحصل التعب للسيد أجل ليس في (ص).

(٥) في (ب)ـ عن حب هذه.

(٣٧٩) أبو الفضل محمد بن الحسن الختلي(*)

الشيخ أبو الفضل محمد بن الحسن الختلي رحمة الله عليه، هو غير أبي الفضل حسن السرخسي، وماتَ في بيتِ الجن[١]، وهي قريةٌ على رأس العقبةِ من دمشق.

قال صاحب «كشف المحجوب»[٢]: اقتديتُ به في الطريقة، وكانَ عالماً بعلم التَّفسير والرِّوايات، وكان مُريداً للحُصْري، وصاحبَ سرِّه، ومن أقران أبي عمرو القزويني، وأبي الحسن بن سالبة، وكان معتزلاً إلى ستين سنة، وكانَ يَشردُ عن الخلقِ، وكان أكثر ما يكون في جبل لُكَّام، وله كراماتٌ وآياتٌ كثيرة، ولكن لم يتلبس برسوم الصوفية، ويتشبَّهُ بأهلِ الرسوم، وما رأيتُ أحداً أشدَّ هيبةً منه.

فسمعتُ عنه، قال: الدنيا يوم، ولنا فيها صوم.

وقال: كنتُ يوماً أصبُّ الماءَ على يده، فجاءَ في خاطري: إن كانت الأُمورُ بتقدير الله وقسمته ووقته، فلِمَ يخدمُ الفتيان للشيوخ لرجاء الكرامة؟. فقال: يا ولدي، علمتُ ما فكَّرتَ، فإنَّ لكلِّ أمرٍ سبباً، فإذا أرادَ الله تعالى أن يُعطي لأحدٍ تاجَ المملكة، فأولاً يُعطيه اللهُ تعالى توفيقَ التوبة، ثم يشتغلُ بخدمة ولي، حتى تصيرَ هذه الخدمةُ سببَ كرامته.

ووقتٌ آخر عزمَ من بيت الجن إلى دمشق، في أيام الشتاء، وجاء مطرٌ عظيم، فكنتُ أَمشي في الطين بالتَّعب والمشقَّة، فنظرتُ إليه يمشي ونعلاه يابستان، فقلت له، فقال: نعم، أنا رفعتُ اتِّهام طريقَ التوكل، وحفظتُ الباطنَ

(*) كشف المحجوب ٣٨٠.

(١) بيت جن: قرية في سفوح جبل الشيخ، تتبع ناحية مزرعة بيت جن، منطقة قطنا، جنوب غربي دمشق بحوالي ٦٠ كم. تقع عند أعالي نهر الأعوج، فيها خرب قديمة، ومزارات، ومغاور. المعجم الجغرافي في القطر العربي السوري.

(٢) كشف المحجوب ٣٨٠، ٣٨١.

من طريق الوحشة، فحفظَ اللهُ تعالى قدميَّ عن الطين.

وأيضاً قال صاحب «كشف المحجوب»[1]: إنه قال محمد بن الحسن: حصلَ اجتماعُ أولياء الله في البادية، فودَّاني شيخي الحصريُّ، فرأيتُ الجماعةَ راكبين على جمالٍ بُخْتٍ، فما التفتَ الحصريُّ إليهم، فرأيتُ شاباً في يده عصاً مكسورة، ونعلاه مقطوعتان، ورجلُه مَجروحة، ومنكشفَ الرأس، وبدنه مَحروقٌ وهزيل، فهرول الحصريُّ إليه، وأجلسه على درجةٍ عاليةٍ، فتعجَّبتُ، فسألتُ الشيخ عنه، فقال: هو وليٌّ من أولياء الله، ليس هو تابعَ الولاية، بل الولايةُ تابعة له، ولا يلتفتُ إلى الكرامات.

* * *

(٣٨٠) علي بن عثمان بن أبي علي الجُلاَّبي الغَزْنوي[*]

علي بن عثمان بن أبي علي الجُلاَّبي[2] الغزنوي رحمة الله عليه، كنيته أبو الحسن، كان عالماً عارفاً، مريداً للشيخ أبي الفضل بن حسن الختلي، وصحبَ مشايخ كثيرة غيره، ومن تصانيفه «كشف المحجوب»، وهو من الكُتبِ المُعتبرة في هذا الفن، وجمعَ فيه معارفَ الحقائق، ولطائفها.

قال علي: سألتُ شيخَ المشايخ أبا القاسم الكركاني رضي الله عنه، عن أقلِّ ما ينبغي للفقيرِ حتى يَستحقَّ أن يُقالُ له الفقير. قال: ثلاثة أشياء، لا أقل منها: أَحَدُها: يعلم أن يخيطَ المرقعة. وثانيها: يعلم أن يقدر أن يتكلَّمَ كلامَ الصدق ويسمع كذلك. وثالثها: يعلم أن يضربَ الرِّجلَ على الأرض بصدق.

فلمَّا رجعنا إلى منازلنا اجتمعنا بمن كان حاضراً في ذلك المجلس، فقلت

---

(١) كشف المحجوب: ٦٢٣.

(*) هدية العارفين ١/ ٦٩١، وانظر مقدمة كتاب كشف المحجوب بقلم الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل.

(٢) الجلابي: نسبة إلى جُلاب محلة من محلات مدينة غزنة مسقط رأسه. انظر مقدمة كشف المحجوب ٤٥.

لهم: يا أيُّها الرُّفقاء، قولوا معنى ما قاله الشيخ. فقالوا ما شاء الله، فلما جاء نوبتي، قلتُ: المُرادُ بخياطة المرقعة الذي يَخيطُها بالفقر لا بالزينة، فإن خيَّطها بالفقر، وإن لم يكن مُستقيماً فهو صحيح، والكلام الذي يقول ويسمع بالحال لا بالأمنية[1]، ويتصرَّف بالحقِّ والجدِّ لا بالهزل، ويفهمَ بالذوق والوجدان لا بالعقل والتصوّر، والرَّجل هو أن يضربَ بالوجد لا باللهو. فذكروا هذا الكلام عند الشيخ بعينه، فقال: أصابَ عليٌّ، جَبَره الله تعالى.

وأيضاً عنه، قال: كنت جالساً يوماً عند قبر الشيخ وحدي، فرأيت حماماً أبيضَ دخلَ في غلافِ القبر، فلمَّا قمتُ ونظرت إلى ذلك الغلاف، فما كان هناك شيءٌ، فرأيتُ في اليوم الثاني مثلَه، واليومَ الثالثَ كذلك، فتعجَّبتُ، وتحيَّرتُ فيه، فليلةً رأيتُهُ في المنام، فسألتُه عن ذلك الواقع، فقال: الحمامُ الذي رأيته كان صفاءَ مُعاملتي، ويَجيءُ كلَّ يومٍ لمُنادمتي في قبري.

* * *

(٣٨١) أحمد بن حماد السرخسي(*)

خواجه أحمد بن حمَّاد السَّرَخْسي رحمه الله تعالى.

قال صاحب «كشف المحجوب»[2]: كان من مبادري العباد في وقته[3]، وكنتُ رفيقَه، فرأيت عجائب منه، فيوماً سألته: كيفَ كان بدايةُ حالك؟. فقال: خرجتُ من سرخس إلى البادية التي كانت إبلُنا فيها، وأحبُّ أن أكون جائعاً، وما كان حصَّتي من الطعام أَتصدَّقُ به على الفقراء، وأحتج بكلام الله ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، وكان لي اعتقادٌ لهذه الطائفة، فيوماً خرجَ الأسدُ من الهيجاء، فقتل جملي، وطلعَ على أرضٍ عاليةٍ،

---

(١) في (ب): لا بالإثنينية. وفي كشف المحجوب ٢٤٧: لا بالمنية.

(*) كشف المحجوب ٣٩٠، ٤٢٤، ٦١١.

(٢) كشف المحجوب ٤٢٤.

(٣) في كشف المحجوب ٣٩٠: مبارز الوقت.

وصاح، فاجتمعتِ السِّباعُ بأنواعها، فلمَّا اجتمعوا عنده، قطَّعَ الجملَ قطعةً قطعةً، وما أكلَ منه شيئاً، فطلع على مكانٍ عالٍ، فجاءَ السِّباعُ من الذئب، والثعلب، وابن آوى، فأكلوا ما شاء الله، فلمَّا شبعوا رجعوا، ثم جاءَ وأكلَ من اللَّحم شيئاً قليلاً، فرأى ثعلباً أعرجَ، ثم طلع على ذلك المكان، وجاء الثعلب، وأكل منه، فنزلَ الأسدُ، وأكل منه، وأنا كنتُ ناظراً إليه، فوقتَ الرُّجوع قالَ بلسانٍ فصيح: يا أحمد، إنَّ الإيثارَ باللقمة فعلُ الكلاب، وإيثارُ رجال الدِّين ببذلِ الروح. فلمَّا رأيتُ هذه المعاملة من الحيوان تركتُ جميعَ الأشغال، وكان هذا ابتداء توبتي.

* * *

(٣٨٢) أديب كمندي(*)

أديب كمندي رحمه الله تعالى، كان معاصراً لصاحب كتاب «كشف المحجوب».

وقيل: إلى عشرين سنةً كان قائماً، ما جلسَ إلاَّ في تشهُّد الصلاة.

وسألوه: لِمَ لا تجلسْ؟. قال: الآن ليس لي درجةٌ أن أجلسَ في مشاهدة الحقِّ.

* * *

(٣٨٣) أبو الحسن بن المثنى(**)

أبو الحسن بن المثنى رحمه الله تعالى، اسمه علي بن المُثنى.

قال أبو سعيد بن أبي الخير: دخلتُ عليه وكنتُ شاباً، وهو شيخٌ ذو هيبةٍ وفضل.

وصحبَ الشبلي، ووقعَ بينهما نقار.

(*) كشف المحجوب ٤٨٩، ٥٨١.

(**) أسرار التوحيد ٢٩٥.

قال الشيخ أبو سعيد: كان واحدٌ عندي، فقال لي: سلْ من الشيخ أبي الحسن حتى يُحدِّثني عن الشبلي حديثاً. قلتُ: أيُّها الشيخ، حدِّثني عن الشِّبلي. قال: لِمَ لا تسأل أولاً عن النبيِّ ﷺ؟. قلت: أسألُ عن الاثنين. فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن لم ينزل على أُمّتي سورةٌ إلاّ سورة الكهف كان تماماً»[1].

وأيضاً قال أبو سعيد: سمعتُ أبا الحسن، قال: كنتُ جالساً في مجلس الشبلي في جامع بغداد، فدخلَ واحدٌ من هذه الطائفة، وقال: **أيُّها الشيخ، ما الوصل؟**. فالتفتَ الشِّبليُّ إليه، وقال: **أيُّها السائل عن الوصل، أسقط العطفتين وقد وصلت**. فقال السائل: **يا أبا بكر، ما العطفتان؟**. قال: **قامَ ذروةٌ بين يديكم، فحجبتكم عن الله**. فقال السائل: **يا أبا بكر، ما تلك الذَّروةُ؟**. قال: **الدُّنيا والعقبى، كذا قال ربُّنا: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾** [آل عمران: ١٥٢]، **فأين من يريد الله؟**.

ثم قال الشبلي: **إذا قلتَ الله فهو الله، وإذا سكتَّ فهو الله، يا الله، يا الله، يا الله، يا من هو هو، ولا يعلمُ أحدٌ ما هو إلاّ هو، سبحانه سبحانه، وحده لا شريك له**. وبعده خرَّ مغشياً عليه، فحملوه إلى البيت.

* * *

(٣٨٤) أحمد النجار الإستراباذي

الشيخ أحمد النجار الإستراباذي[2] رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: هو شيخُ خُراسان، وصحبَ الشبليَّ والمُرتعش، فإن الشبلي وقتاً قصَّ شاربه، وبعده ما نبت شعر شاربه.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور، في تفسير سورة الكهف، الآية ١١٠، وقال: أخرجه الطبراني، وابن مردويه عن أبي حكيم بلفظ: «لو لم ينزل على أمتي إلا خاتمة سورة الكهف لكفتهم».

(*) كشف المحجوب ٣٩٠، أسرار التوحيد ٣٨٩، ٣٩٩.

(٢) الإستراباذي: نسبة إلى إستراباذ، بلدة من بلاد مازندران، بين سارية وجرجان.

(٣٨٥) أبو زُرعة الرازي(*)

أبو زرعة الرازي رحمه الله تعالى، اسمه أحمد بن محمد.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيتُ ثلاثة عشر نفراً ممَّن رآوه.

وهو من تلامذة الشبلي.

قالوا: كلُّ يومٍ يكون في طيبةٍ. يقول: ما لي رأس مال غير أن يضحك الفقراء على كلامي.

قال شيخُ الإسلام: رأوه في المنام بعد موته، فقالوا له: ما فعلَ اللهُ بك ؟. قال: دعاني وقال: أنت الذي لبست الدرع في ديني مع الخلق ؟. قلتُ: نعم. قال: هلاّ وكلتَ خلقي إلي، وأقبلتَ بقلبك عليَّ. يعني: لم لا خلَّيتَ خلقي إليَّ، ولم لا التفتَّ بقلبك إليَّ ؟.

* * *

(٣٨٦) أبو زُرعة الأردبيلي(**)

الشيخ أبو زرعة الأَرْدُبيلي[١] رحمه الله، اسمه عبدُ الوهاب بن محمد بن أيوب الأردُبيلي، كان عالماً زاهداً سيَّاحاً، وكان طويل العمر، وكان في سفرِ الحجاز من رفقاء أبي عبد الله بن الخفيف، وجاء إلى المدينة.

وقيل: إن الشيخ أبا عبد الله بن الخفيف عزمَ على السفر، فجاء عند أبي زُرعة، وأبو زرعة أحضرَ لحماً نتناً، فما أكلَه، فلمَّا خرج إلى السفر، ووصلَ إلى الوادي، فما أعطاه الله تعالى طعاماً إلى أربعةِ أيام، فقال الشيخ لأصحابه: قوموا اصطادوا، عسى أن تَجدوا شيئاً. فخرج كلبٌ، وجعلوا له الحيلة،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) سيرة عبد الله بن خفيف ٤٤.

(١) الأردُبيلي: نسبة إلى أردُبيل من أذربيجان. انظر الألباب.

فصادوه، وذبحوه على مذهب الإمام مالك[1]، وقسموه، فجاء حصَّةُ الشيخ رأسه، فكلُّهم أكلوا، والشيخُ كان متفكِّراً في أكله إلى السَّحَر، فتكلَّمَ الرَّأسُ بإذن الله، وقال: هذا جزاؤك؛ لأنَّك ما أكلتَ اللحم المُنتن من سفرة أبي زرعة. فقامَ الشيخ، وقيَّمَ الأصحابَ، وقال: تعالوا نذهب عند أبي زرعة، ونعتذرُ منه. فوصلَ إلى شيراز، واعتذر منه، وسافر.

وقيل: إن أبا زرعة في آخرِ عمره خرجَ عن الصوفية، وتخاصمَ معهم، ويحتملُ أن يكون استحقاقُ هذه النسبة لبعضهم.

توفي سنة خمسَ عشرةَ وأربع مئة.

* * *

(٣٨٧) أبو عبد الله المشتهر ببابوني[*]

أبو عبد الله المشتهر ببابوني رحمه الله، قبره من مشاهيرِ قبورِ شيراز.

وقيل: هو الذي قال: أمسيتُ كردياً، وأصبحت عربياً.

وقصَّته: إنَّه كان كردياً، فيوماً دخل ببعضِ مدارسِ شيراز، فرأى الطلابَ يتذاكرون، ويتباحثون بينهم، فسألهم، فضحكوا كلهم، فقال: أريدُ أن أقرأ من علمكم. فقالوا: إن تريدُ أن تكون عالماً، فخذ حبلاً، وعلِّقْ رجلك بسقف البيت، واقرأ أي مقدارٍ تقدر، وهي: كزبرة وعصفرة، يفتح اللهُ أبوابَ العلوم. وما فهم الكرديُّ أنَّ هذا استهزاء، فرجع، ففعل ما قالوه بحسن النيَّةِ والصدق واليقين، وطولَ الليل يكرِّرُ ذلك الكلام، فالله تعالى وقتَ السحرِ أعطاه علماً لدُنِّيّاً، حتى صارَ قلبُه ينبعُ بالحكمة، وانشرح صدره بأنوارِ القدس، فصارَ ولياً وعالماً في ردِّ الجواب عن المسائل الغامضات، ويغلبُ على كلِّ معاندٍ ومعارض.

* * *

---

(١) المعتمد عند المالكية أن الكلب الإنسي مكروه. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي ٣/٥٠٨.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣٨٨) أبو عبد الله الباكو(*)

أبو عبد الله الباكو[١] رحمه الله تعالى، اسمه عليُّ بن محمد بن عبد الله المعروف بابن باكويه، وكان متبحِّراً في العلوم.

وفي أيام الشباب رأى أبا عبد الله بن الخفيف، ثم سافرَ من شيراز، وأقام في نيسابور، واجتمع بالأستاذ الإمام القُشيري، والشيخ أبي سعيد.

وكان مُصاحباً لأبي العباس النهاوندي، ووقعَ بينهما كلامٌ كثير في الطريقة، فاعترفَ الشيخ أبو العباس بفضلِهِ وسبقه، فرجع إلى شيراز، واختارَ العزلة، وجلسَ في مغارةِ جبلِ شيراز، وكان مشايخ الصوفية، والعلماء، والفقراء يَزورونه.

توفي سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة، في الأيام التي كان الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير في نيسابور.

قال الإمام أبو القاسم القشيري لأبي سعيد: في كلِّ أسبوعٍ مرَّةً عظِ الناس في خانقاهي. فوضع المنبر، ولبسوه الثوب، واجتمع الناس، وجاءَ الشيخ أبو عبد الله الباكو لزيارة الإمام، فقال أبو عبد الله الباكو: ما هذا ؟. فقال الأستاذ: إن الشيخ أبا سعيد اليومَ يتكلَّمُ مع الناس، اقعد فاسمعْ كلامَه. قال أبو عبد الله الباكو: أنا منبلم[٢] ـ يعني ليس لي اعتقادٌ له ـ فقعد أبو عبد الله، قال الإمام: يا أبا عبد الله، اسمعْ كلامَه؛ فإن هذا الرجل يُشرفُ على الخواطر، فلا تتخيَّلْ شيئاً؛ لأنه بالفور يظهره. فدخل الشيخُ أبو سعيد، وطلع على المنبر، فقرأ قارئٌ القرآن، فدعا الشيخ، وابتدأ الكلام، فالشيخ باكو نفخ[٣] فمه، وقال في

(*) أسرار التوحيد ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٧، ٢٣٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣٢٩/٤.

(١) في (ص): باكويه.

(٢) في (ب): مسلم، وفي أسرار التوحيد ١٠٦: إنني أنكره.

(٣) في (ص): فتح فمه.

نفسه: ريحٌ كثيرةٌ في ذرباد[1]، فقبلَ أن يتمَّ هذا الخاطر، حوَّلَ الشيخُ أبو سعيد وجهَه إليه، وقال: نعم، ذرباد معدنُ الريح[2]. ثم رجعَ إلى الكلام، فلمَّا استغرقَ الشيخُ في الكلام، ورأى الشيخُ باكو كمالَ كشفه، وإشرافَ خواطره، فقال في نفسه: سبحان الله، زرت المشايخ بقدم التجريد من صغر سنِّي، ما السببُ يظهر عليه ما لا يظهرُ عليَّ؟. ثم التفت الشيخ أبو سعيد إليه، وقال:

سلطنةُ الحبِّ والمَلاحةِ لك ودولةُ العشقِ والصبابةِ لي
لبختك السَّعدُ أنتَ فيه مليء والبختُ لي العشقُ فيك يا أملي

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله أجمعين. ومسح اليد على الوجه، ونزل عن المنبر، فجاء عند الإمام، وأبو[3] عبد الله الباكو، فلمَّا جلسوا قال الشيخ أبو سعيد: يا أيُّها الإمام، قل لهذا الخوجه يصفِّي قلبَه عليَّ. فقال أبو عبد الله: أنا أطهِّرُ القلبَ بهذا الشرطِ، ألاَّ تجيءَ في كلِّ خميسٍ لزيارتي. فقال أبو سعيد: وقعَ عليك نظرُ المشايخ والأكابر[4]، فأنا أجيءُ لذلك النَّظرِ لا لك. فلمَّا قال الشيخ هذه الكلمة، بكى جميعُ الناس، وفزعوا، والشيخ باكو أيضاً بكى، وارتفع النقارُ من بينهما، وصفت قلوبُهما، وقاما بغاية الحبِّ والمودَّةِ.

فبعد انقماعِ النقار، يذهبُ الشيخ باكو لزيارةِ الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، لكن بواسطة الرقص والسَّماع كان مُنكراً عليه، فليلةً رأى في الرُّؤيا كأنَّه هتفَ به الهاتفُ، وقال: **قوموا وارقصوا لله**. فتنبَّه، وقال: **لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ العظيم**، فقال: هذه الرؤيا أضغاثُ أحلام. ثم نامَ، فرأى مثله، وقال هاتفٌ: **قوموا وارقصوا لله**. ثم انتبه، وقال: **لا حول**... إلى آخره، وذكرَ الله تعالى، وقرأ بعضَ سورٍ من القرآن، ثم نام، فرأى تلك الرُّؤيا وسمعها، ثم

---

(١) في (ب): درباد، وفي المطبوع (ف): زباد.
(٢) في أسرار التوحيد ١٠٦: فنفخ الشيخ عبد الله بفمه في الخفاء، وقال لنفسه في صوت منخفض: كثير من الأنفاس في الريح، ولم يكد يتم كلامه حتى التفت الشيخ إليه، وقال: في الريح معدن الأنفاس.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) في (ب): المشايخ والأكابر كثيراً.

انتبه، وقام وذهب إلى أبي سعيد، وكان الشيخُ داخلَ بيته، فقال أبو سعيد: **قوموا وارقصوا لله**. فانشرحَ قلبُه، وقامَ خالصاً مخلصاً.

* * *

(٣٨٩) مؤمن الشيرازي(*)

الشيخ مؤمن الشيرازي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: قال إسماعيل الدبَّاس: نويتُ الحجَّ، فلمَّا وصلتُ شيراز دخلت مسجداً، ورأيتُ الشيخ مؤمن يَخيطُ، فسلَّمتُ عليه، وقعدت، فقال: ما نيَّتُكَ ؟. قلت: الحجَّ. قال: تعيشُ أمُّك ؟. قلت: نعم. قال: ارجع اخدمِ الأم. وما أعجبني كلامُه؛ بل حصلَ التَّعبُ لي، قال: ما هذا التردُّدُ ؟ أنا حججتُ خمسين حجَّةً بلا زادٍ، وحافياً وثائرَ الرأس، وثوابُ الخمسين كلّها أهبُها لك، وأنتَ تهبُ لي رضا أمِّك.

* * *

(٣٩٠) أبو إسحاق الشامي(**)

الشيخ أبو إسحاق الشامي رحمه الله تعالى، كان أكبرَ المشايخ، وقبره في عكَّةٍ من بلاد الشام، وكان من أصحاب الشيخ علوي الدينوري، وهو من أصحاب الشيخ هبيرة البصري، و هو من أصحاب حذيفة المرعشي، وهو من أصحاب إبراهيم بن أدهم قدس الله أسرارهم.

والشيخ أبو إسحاق الشامي وصل إلى قرية جشت، وكان الخوجه أبو أحمد أبدال أقدم مشايخ جشت، فصحبه وكان في تربيته.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣٩١) أبو أحمد أبدال الجشتي(*)

الخواجه أبو أحمد أبدال الجشتي رحمه الله تعالى، هو ولد السلطان فرسنافة، من الشرفاء الحسينيين، وكان أميراً لتلك البلاد، وكان له أختٌ حسنةٌ في غاية الحسن والصلاح، والشيخ أبو إسحاق الشامي يَجيءُ في بيتها، ويأكلُ طعامها.

وقال الشيخ. يوماً:يعطي الله تعالى لأخيك ولداً كبير الشأن ينبغي لك أن تَحرسي زوجةَ أخيك في أيام الحمل، لا تأكلْ شيئاً من الحرام والشبهة. فتلك الضعيفةُ الصالحة بموجبِ أمر الشيخ اختارتْ كسبَ الغزل، وتبيع الغزل[1]، وتطعم زوجة الأخ. فولدت الخوجةَ أباأحمدَ سنة ستين ومئتين، في زمان المعتصم بالله، وتلك الصالحة تطعمه الطعام الحلال، وتربِّي الولدَ وأمَّه.

وفي بعض الأوقات أبو إسحاق يَجيء عند أبي أحمد في أوان الصِّبا، ويقول: خوجه [أبا] أحمد، يجيء من هذا الولد رائحة، حتى يظهرَ منه عجائبُ وغرائب كثيرة، ويتشرَّفُ به سلاسل المشايخ.

فلمَّا وصلَ عمرُه إلى عشرين سنة خرجَ يوماً مع أبيه سلطان فرسنافة لقصد الصيد، فوقع التَفريقُ له من الأب والعسكر، فوصل إلى جبل، فرأى هناك أربعين رجلاً واقفين على صخرةٍ، ومعهم أبو إسحاق الشامي، فتغيَّرَ حالُه، ونزل عن الفرس، ووقع على رجله، وخرجَ عن الخيل والسلاح، وما كان معه، ولبسَ الصوف، وذهب معهم، وانتشر الناسُ لطلبه، فما وجدوه، فبعد أيامٍ جاءَ الخبرُ أنَّه مع الشيخ أبي إسحاق في الموضع الفلاني، في مغارةِ جبل، فأبوه أرسلَ الجماعةَ، ونصحوه نصيحة عظيمة بالموعظة الحسنة، وما قبل نصائحهم، واختارَ صحبةَ المشايخ.

وقيل: إنه كان لأبيه بيت من الخمر، فيوماً دخل البيت، وسدَّ بابه، وكسر ظروف الخمر، فأخبروا أباه، فطلع السطح، وكان غضباناً[2]، ومن غاية

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): وتبيع المغزل.

(٢) كذا في الأصل.

الغضب أخذَ حجراً كبيراً، رمى به ولدَه من المنور، فضاقَ المنورُ على الحجر، ولزمه أو وقفَ الحجرُ معلَّقاً في الهواء فما أصابه، فلمَّا شاهدَ أبوه هذا الحال والكرامات، وخرق العادات، حصل له الاعتقادُ، فتاب على يديه.

وظهر منه أمثالُ هذه الكرامات، والخوارق للعادات شيءٌ لا يُحصى.

توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

* * *

(٣٩٢) محمد بن أبي أحمد الجشتي(*)

الخواجه محمد[١] بن أبي أحمد الجشتي رحمه الله تعالى، قام بعد موتِ أبيه في مقامه بأمره، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة، وكان فارغاً عن تحصيل علوم الدين، وكان زاهداً متورِّعاً وعارفاً، وكان مجتنباً عن الدنيا وأهلها، ويحرِّضُ الناسَ على ترك الدنيا والزهد. ويقول: أولنا وآخرنا تركُ الدنيا، فاحذروا من غُرورها وفِتنها.

ولمَّا أرادَ محمودُ بن سُبُكْتُكين غزوَ السومنات[٢] رأى الخواجه الرُّؤيا أن يمدَّ محموداً، فتوجَّه الخواجه مع المريدين، وكان عمره سبعين سنة، فجاهدَ بنفسه مع المريدين المشركين والكفارَ، فالكفارُ يومئذٍ غلبوا على أهل الإسلام، فرجع المؤمنون، ودخلوا في الهيجا، وكان قريباً أن يشرد عسكرُ أهل الإسلام، وكان للخواجه مريدٌ في جشت، وكان في خدمة رحا الشيخ اسمه محمد كاكو، فناداه

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص) والمطبوع (ف): أبو محمد.

(٢) سومنات: صنم عظيم عند الهنود، على الساحل الشرقي للهند، وهو عندهم يحيي ويميت ويرزق وينصر، كانوا يحجون إليه، ويقدمون له نفائس أموالهم، فيتجمَّع عنده مال يتجاوز الوصف، وهو على عرش بديع علو خمسة أذرع، وطول الصنم عشرة أذرع، وفي خدمته من البراهمة ٣٠٠ رجل يحلقون رؤوس حجَّاجِهِ ولحاهم، و٨٠٠ رجل وامرأة يغنون ويرقصون عند بابه. ويجتمع عنده في عيدهم نحو مئة ألف كافر. استطاع محمود الغزنوي عام ٤١٦هـ بعد جهد ومشقة من حرقه بعد تحطيمه، وغنم مغانم كثيرة ولله الحمد والمنة. انظر ص ٧٩٥ من كتابنا هذا. ووفيات الأعيان ٥/ ١٧٩، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٩٠.

الشيخ، فرآه كأنَّه يُحارب ويضرب، حتى شرَّدَ عسكر الكفار، وكان ذلك الوقت في جشت، وبيده خشبةُ الرحا، ويضربها على الجدار، فسألوه عن سببه، فقصَّ القصَّة.

وقيل: كان رجلٌ اسمه أستاذ الرجال، وهو من قرية سنجان خواف[1]، وكان مريدَ الخواجه محمد وكان شغوفاً في خدمة الخوجه، يهيىءُ حجرَ الاستنجاء، وماء الوضوء، فاليوم الذي رخَّصه[2] الخواجه إلى الوطن بكى، وقال: يا خواجه، مالي طاقةُ مفارقتكم. فترفَّقَ به الخواجه، وقال: أيُّ وقتٍ تُريدُ أن تنظر لي إن شاء الله تعالى، يرفعُ الله تعالى جميعَ الحُجب الجسمانية عنك، وترتفعُ المسافة البعيدة، فتنظرني من هناك. وكان كذلك، كان يرى الشيخ من سنجان في جشت.

توفي رحمه الله سنة إحدى عشر وأربع مئة.

* * *

(٣٩٣) يوسف بن محمد بن سمعان(*)

الخواجه يوسف بن محمد بن سمعان رحمه الله، هو ولد أخت الخواجه محمد بن أبي أحمد، وكان مريدَه، وفي تربيته، والخواجه محمد ما تزوَّج إلى خمسٍ وستين سنة، وكانت له أختٌ تخدمه، وكان طعامه ولباسه من غزلها، و هي أيضاً في عبادة الله تعالى، وما تزوَّجت إلى أربعين سنة.

ثم رأى الخواجه محمد أباه في الرؤيا الخواجه أبا أحمد، وقال له: في بلاد شما فلانٌ رجلٌ اسمه محمد بن سمعان، مشغولٌ بتحصيل علوم الدِّين مع الصلاح، زوِّجْهُ أختَك. فطلبه وزوجَّه، فتوطَّن في جشت، وجاءت منه بالخواجه يوسف. وبعد ستين سنة تزوَّج الخواجه محمد، وأما أولاده فما وصلوا حدَّ البلوغ، فرباه الخواجه كما يربون الولد، ودلَّه على طريق الله، وتحصيل علوم الدين، فبعدَ موته قام مقامه.

والخواجه يوسف اختارَ العزلةَ بعد خمسين سنة، وكان له انقطاعٌ تامٌّ عن

---

(١) في (ب): سنجازخاف.

(٢) في (ص) رخص.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

الخلق، وأراد الانزواء قريب تربةِ الخواجه حاجي مكي، وهو كان رجلاً كبيرَ الشأن، والشيخ أبو إسحاق الشامي يذهب إلى زيارته، فأخذَ المساحي، وتوجَّه يحفرُ حفرةً يجلسُ فيها، وكانت أرضاً صلبة، لا يقدرُ واحدٌ أن يحفرها، فالشيخ ضربَ المساحي وحفرها، من ضحوةِ النهار إلى صلاةِ الظهر، وجلسَ فيه إلى اثنتي عشرة سنة، فغلبَ عليه السكرُ والوله والدهشة والتحيُّر، حتَّى إنَّ وقتَ الوضوء إذا جاء الخادم يصبُّ الماءَ يصيرُ غائباً عن نفسه ساعةً أو ساعتين حتى يتمَّ وضوءه، ولما جاء شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري قدس الله سره لزيارةِ قبورِ مشايخِ جشت اجتمع بالخواجه يوسف، وبعد المعاودة إلى هراة كان يمدحُهُ، ويستحسنه في محافله ومجالسه.

توفِّي رحمه الله سنة تسعٍ وخمسين وأربع مئة، ووصل عمرُه إلى أربعٍ وثمانين سنة.

ووصّى وقتَ الموت ولده الخواجه قطب الدين مودود بتحصيل علوم الدين، وجعله قائماً مقامه.

* * *

(٣٩٤) مودود الجشتي (*)

الخواجه قطب الدين[1] الجشتي رحمه الله تعالى، ولمَّا وصل عمرُه إلى سبع سنين حفظَ القرآن، وتوجَّه لتحصيل العلم، فلمَّا وصلَ ستَّةً[2] وعشرين سنة انتقل أبوه الخواجه يوسف وأقامَه مقامه.

وكان مَوصوفاً بالخصال الحسنة، والأفعال الحميدة، وأهلُ ذلك البلاد كانوا معتقدين ومحبين ومنقادين له، وكلُّهم كانوا تحت إرادته، وحصل له اجتماعٌ بشيخ الإسلام أحمد النامقي الجامي، ولمَّا قدمَ الشيخُ أحمدُ النامقي

(*) الحدائق الوردية ٣٤٩، مجمل فصيحي ٢/ ٣٦٩.

(١) كلمة قطب الدين ليست في (ص) ولا في (ب)، مستدركة من المطبوع (ف).

(٢) كذا في الأصل.

إلى بلاد هراة أظهرَ خوارقَ عاداته وكراماته عند العوام والخواص، فكلُّ أهلِ البلاد صاروا مُعتقدين ومُريدين له.

وهذه القصة انتشرت في أطرافه وأكنافه، لمَّا توجَّه الشيخُ النامقي من نواحي هراةَ إلى مزارات جشت، جاء الخبر إلى الشيخ مودود الجشتي، فجمعَ الشيخُ مودود المريدين حتى يُخرجَ الشيخَ أحمد من بلاده، وأصحابُ الشيخ أحمد يُخفون هذا الخبر عن شيخه، والشيخُ يعرفُ أحسنَ منهم، فلمَّا أحضروا له السفرة، قال: اصبروا ساعةً، لأن جماعة الرُّسل في الطريق. فبعد ساعةٍ دخلَ خادم الشيخ، وقال: وصلوا جماعة الرسل. فأدخلوهم، وسلَّموا عليهم، وسمعوا جوابه، وأكلوا الطعام[1]. ورفعوا السفرة، فقال شيخ الإسلام: أنت تقولُ، أو أنا أقول، لأيِّ حاجةٍ جئتم؟. قالوا: أنت تقول، يا شيخ. فقال: أرسلكم الشيخ مَودود، أن تقولوا لأحمدَ النامقي: أنت لِمَ جئتَ بلادنا؟، ارجع وإلاّ نرجعك كما ينبغي. فأقرَّ الرُّسلُ كلامَ الشيخ، وصدَّقوه، فقال الشيخ أحمد: إن كان مراده من الولاية هذه القرايا فهي للناس لا لي ولا له، وإن كان مرادُه من الولاية هذه الناس، فهي رعايا السلطان سَنْجر[2]، فشيخُ الشيوخ ينبغي أن يكونَ سلطان سَنْجر، وإن كان مرادُه من الولاية التي أعرفها ويعرفها أولياء الله، فأُريكم غداً ما هي. فلمَّا قال هذا الكلام ظهرَ غيمٌ عظيمٌ، ومطرٌ عظيم ليلاً ونهاراً، وما انقطع، فصباحه أمرَ الشيخُ بسرجِ الخيل والبغال للسفر، قالوا: أيُّها الشيخ لا يمكن السفر إلى ثلاثة أيام، إن لم يمطر بعده؛ لأنه لا يقدرُ ملاحٌ أن يمرَّ من الماء. قال شيخ الإسلام: هذا سهل، اليومَ أكونُ ملاحاً. فمشى، فلمَّا دخل الصحراء رأى الشيخ جماعةً واقفين مع السلاح، فسألهم: من أنتم؟. قالوا: أحباؤك وأولياؤك، سمعنا أن جماعةً متوجِّهون إليك

---

(١) في (ص): واسمعوا جوابه وكلوا الطعام.

(٢) هو سنجر بن ملك شاه ناصر الدين (٤٧٩ـ٥٥٢ هـ) سلطان سلجوقي، فتح تركستان، انتصر على ابن اخيه في معركة ساوى (٥١٣ هـ) مستخدماً فيها الفيلة، اشتبك مع أمير خوارزم في حرب طويلة، مني بالهزيمة، وخسر بلاد ما وراء النهر، الموسوعة العربية الميسرة ١/ ١٠٢١.

بالعداوة. فقال: امنعوهم، لأن السيف والسهم أفعال السلطان سَنْجر، وسلاحُ هذه الطائفة غيرها. فعزم الشيخ مع أصحابه قليلاً، فلمّا وصل إلى الماء، والماءُ كان عظيماً شديداً، قال الشيخ: اليوم أنا ملاَّحُكم. فابتدأ بالمعارف، وحصلَ الذوق في قلوب المحبِّين، حتى صاروا والهين ومتحيِّرين، فقال الشيخ: غمِّضوا عيونكم، وقولوا: بسم الله الرحمن الرحيم. وكرَّر الشيخ إلى ثلاث مرات، ومن فتح العين سرعةً ابتلَّ رجلُه، ومن لم يفتحِ العين وجدَ نفسه في الساحل، ورجلاه يابستان، فلمَّا شاهدَ الرُّسلُ هذه الكرامة، عجَّلوا إلى الشيخ مودود، وأخبروه، فما صدَّقهم.

وتوجه الخواجه مودود إلى الشيخ مع ألفي نفرٍ بالسلاح، واجتمعوا للشيخ في الطريق، فلمَّا وقعَ نظرُ الشيخ على الشيخ مَودود نزلَ عن الحصان، وجاءَ وقبَّل رجل الشيخ، والشيخُ يضربُ اليدَ على ظهره، ويقول: كيف رأيت الولاية؟، أوماعلمت أنَّ ولايةَ الرجال لا تكونُ بالسلاح، اذهب، واركب، أنت صبيٌّ لا تعرفُ ما تفعل.

فلمَّا وصلوا القريةَ نزل الشيخ في محلٍّ، والخواجه مودود في محلٍّ آخر، ففي اليوم الثاني قال المريدون: نحن جئنا أن نُخرج الشيخ أحمد من البلاد، ونحن اليوم نازلين في قريةٍ واحدة، فينبغي تفكّروا، وتدبّروا معنى أحسن من هذا. قال مودود: عندي صواب، هكذا أن وقت الصبح نقوم ونذهب إليه، وأطلبُ الدستور، فأرجع إلى البيت؛ لأنَّ دفعه متعذّرٌ. قال المريدون: أيُّها الشيخ نحن شاورنا، ورأينا الصواب فيه، أرسل إليه الجاسوس، وتخبروا وقتَ قيلولته، ولا يكون عنده أحدٌ، فذلك الوقت نذهبُ معكم، ونجعلُ السماعَ والرقص، ففي ذلك الوقت يضربُهُ واحدٌ. قال الخواجه مودود: ليس هذا صواب[1]؛ لأنه صاحب الولاية والكرامة. فما قبلوا كلامه، وعزموا إلى الشيخ، وكان وقتَ قيلولته، فأراد خادمه أن يفرشَ فراشه حتى يَقيلَ الشيخ، قال الشيخ: اصبر ساعةً لي أمرٌ حتى يظهر. فدقَّ واحدٌ بابه، فالخادم فتح

---

(١) كذا في الأصل.

الباب، فدخل الشيخ مودود مع الجماعة، وسلَّموا عليه، وابتدؤوا بالسماع والصياح، فالشيخ أحمد رفع الرأس، وقال: هي، هي سهلاً، أين أنت ؟. وسهلٌ كان رجلاً من سرخس من عقلاء المجانين، وله كرامة ظاهرةٌ، وكان في خدمة الشيخ أحمد لا يُفارقه أبداً، ففي تلك اللَّحظةِ حضرَ في مجلس الشيخ، وصاحَ صيحةً عظيمة، فشردوا كلُّهم، حتى خلَّوا عمائمَهم ونعالَهم، إلاَّ الشيخ مودود كان خجلاً، فقام مستغفراً، وحسرَ الرأس، وقال: أنتَ تعلمُ يا أيُّها الشيخ، ما كنت راضياً به. قال شيخ الإسلام أحمد: أنتَ صادق، لكن لا ينبغي أن توافقهم. قال مودود: فعلتُ قبيحاً، العفو. قال الشيخ أحمد: عفوت، ارجع بهذه الجماعة، وأنت تجلسُ عندي إلى ثلاثة أيام مع الخادم. ففعل، وجاء عند الشيخ، قال: عملتُ بما أمرتموني، والآن أفعلُ ما تقول. قال الشيخ أحمد: أولاً ضع سجَّادة الرئاسة، وتعلَّم العلم؛ لأنَّ الصوفي الجاهل مسخرة الشيطان. قال: قبلتُ، ثمَّ بِمَ تأمرني ؟ قال: إذا فرغتَ من تحصيل العلم اجتهدْ في إحياء سلسلتك؛ لأنَّ سلسلة آبائك وأجدادك كانت عظيمةً، وهم أصحابُ الكرامات. قال: فلمَّا أمرني بإحياء السلسلة أجلسوني بطريق التبارك. قال الشيخ أحمد: ادنُ منِّي. فدنوتُ منه، فأخذ بيدي، فأجلسني في مجلسٍ حوله أربع[1] مخادع، وقال ثلاث مرات: بشرط العلم، بشرط العلم، بشرط العلم.

فكان إلى ثلاثة أيام في خدمة الشيخ، وحصل له فوائد كثيرة، فرجعَ، وبعد مدة قليلة توجَّه لتحصيل علوم الدين، وتكميلِ المعارف والحقائق إلى بلخ وبُخارى، وإلى أربع[2] سنين كان مجتهداً فيه على حسب الطاقة والوسعة، فظهرَ منه كرامةٌ وخرقُ عادات لا تُعدُّ ولا تُحصى في تلك البلاد، ثم رجعَ إلى جشت، وجلسَ في مقام التربية وإرشاد المُريدين، فتوجَّه إليه المريدون من كل جانب وديار.

وجاء الشيخ المُلقب بشاه سنجان المُسمَّى بركن الدين محمود من

---

(1) كذا في الأصل.
(2) كذا في الأصل.

سنجان[1] إلى جشت وأقام بها، واختار صحبةَ الشيخ مودود.

قيل: إنه في أيام إقامته في جشت ما نقضَ الطهارة، فإذا أراد أن يتوضَّأ يركبُ، ويخرج من أرض جشت، ويتوضأ، ثم يرجع، ويقول: قبورُ جشت منزلٌ مبارك، ومقامٌ متبرك، لا يجوز لأحدٍ أن ينقضَ الوضوء فيه.

وقيل: كان يُقال له الخواجه سنجان، والشيخ مودود لقَّبَهُ بشاه سنجان، وهو يتفاخرُ بهذا اللقب.

ومات الخواجه مودود سنة سبع وعشرين وخمس مئة.

وتوفي شاه سنجان في سنة سبع وتسعين وخمس مئة.

❊ ❊ ❊

(٣٩٥) أحمد بن مودود بن يوسف الجشتي[*]

الخواجه أحمد بن مودود بن يوسف الجشتي رحمه الله تعالى، كان له شأنٌ عظيم، وجلسَ في مقام أبيه بعد موته، وكان مقبولاً عند جميع الطوائف، وكان مشفقاً على خلق الله.

وقيل: إنه رأى النبي ﷺ في المنام، فقال ﷺ: يا أحمد، إن لم تكن مُشتاقاً إليَّ، فأنا مشتاقٌ إليك. فلمَّا أصبحَ عزمَ إلى المدينة مع ثلاثة أنفار موافقين مشربه بطريق الخفية مجهول اللباس؛ حتى لا يعرفه أحد، فلمَّا أدَّى الحجَّ مع الأركان والشرائط عزمَ إلى الحرم المحترم المدينة، والروضة الشريفة المصطفوية، على زوَّارها تحفُ التحية، وأقامَ بها إلى ستة أشهر.

وقيل: إن مجاورته ومداومته ثقل على الخدام، وأرادوا أن يُخرجوه، فخرجَ صوتٌ من الروضة المباركة حتى سمعَه كلُّ الحاضرين: لا تؤذوه؛ فإنه من المشتاقين.

---

(١) سنجان ـ بفتح السين وكسرها ـ قرية على باب مدينة مرو. انظر معجم البلدان.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

فبعد رجوعه من المدينة وصلَ بغداد، ونزل في خانقاه الشيخ شهاب الدين السُّهروردي، وكان الشيخُ يعظِّمه ويحترمه، وطلبه خليفةُ بغداد لموجب الرؤيا التي رآها قبل، فأعزَّه وأكرمه، وخدمه خدمةً بليغة، والشيخُ نصحَ الخليفةَ نصيحةً طيبة، وموعظة مقبولة، ثم جاء بالفتوح، وأخذ منه شيئاً يسيراً؛ لأجلِ استمالة خاطر الخليفة، فخرجَ، وقسَّمها على الفقراء، وتوجَّه إلى خراسان.

وكانت ولادته في سنة سبع وخمس مئة[1]، وتوفي سنة سبعٍ وسبعين وخمس مئة.

* * *

(٣٩٦) أبو الوليد أحمد بن أبي الرجاء[*]

أبو الوليد أحمد بن أبي الرجاء قدس الله روحه، هو من قرية آزاذان[2]، وهي متَّصلةٌ بهراة.

وكان عالماً بعلوم الظاهر والباطن، ومن تلامذة أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وصاحبُ «البُخاري» يَروي عنه الأحاديث.

وكان له مالٌ كثير صرفه في أوائل حاله في تحصيل الحديث، والحج، والغزو، وبأيِّ موضعٍ يَنقطعُ مصروفُه يرجعُ إلى هراة، ويبيعُ بعضَ أملاكه، ويسافر، هكذا حتى أنفَقَ المال كلَّه.

وقيل: كان له مُحبٌّ، وكان مُحتاجاً إلى أربعة آلاف درهم، فذكر عنده، فلمَّا دخل البيتَ حطَّ أربعة آلاف درهم في صُرَّةٍ، وأرسلها إليه، فلمَّا قضى

---

(١) في (ب) و(ح): سنة أربع وخمس مئة.

(*) التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٥، الجرح والتعديل ١/ ٥٧، الثقات لابن حبان ٨/ ٢٨، المعجم المشتمل لابن عساكر (الترجمة ٤٣)، معجم البلدان ١/ ٥٢، تهذيب الكمال ١/ ٣٦٣، تهذيب التهذيب ١/ ٣٠ (طبعة مؤسسة الرسالة). واسمه: أحمد بن عبد الله بن أيوب.

(٢) آزاذان: من قرى هراة. معجم البلدان.

حاجته جعلَ الدراهم في صُرَّةٍ وأرسلها إليه، فأبو الوليد أبى أن يقبلها، فجاء محبُّه وسلَّمَ عليه، فقال: إن لم يكن ردُّ السلام واجباً ما أردُّ جوابَ سلامك، لأنَّه لا يكون القدرُ لأربعة آلاف درهم، فتردَّها إليَّ.

توفي رحمه الله سنة اثنتين وثلاثين ومئتين[1]، وقبره في قرية آزاذان، يُزار، ويُتبرَّكُ به.

* * *

(٣٩٧) أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري الهروي[*]

أبو إسماعيل عبد الله بن أبي منصور مت محمد الأنصاري الهروي قدس الله تعالى روحه، لقبه شيخ الإسلام.

وكلَّما وقعَ شيخُ الإسلام مُطلقاً في هذا الكتاب فمرادي شيخُ الإسلام عبدُ الله الأنصاري كما مرَّت الإشارة إليه في صدر الكتاب[2].

وهو من أولاد أبي منصور مت الأنصاري، ومت الأنصاري ولد أبي أيوب الأنصاري، وكان صاحبَ رحل رسول الله ﷺ، فلمَّا وقعتِ الهجرةُ من المدينة في إمارة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، خرج متُّ الأنصاري في تلك الأيام مع الأحنف بن قيس، ودخلَ في خراسان، وسكن في هراة.

---

(١) في (ص) و (ب): اثنتين ومئتين. والمثبت من المطبوع (ف)، ومصادر ترجمته.

(*) دمية القصر ٢/ ٨٨٨، طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٧، المنتظم ٩/ ٤٤، الكامل ١٠/ ١٦٨، دول الإسلام ٢/ ١٠، العبر ٣/ ٢٩٧، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٣، تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٨٣، طبقات السبكي ٤/ ٢٧٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥، النجوم الزاهرة ٥/ ١٢٧، طبقات الحفاظ ٤٤١، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٥، طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٢٤٩، تاريخ ابن خميس ٢/ ٣٦٠، كشف الظنون ٥٦، ٤٢٠، ٨٢٨، ١٨٢٨، ١٨٣٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٥، هدية العارفين ١/ ٤٥٢، تاريخ الأدب العربي ٤/ ٣٣١.

(٢) انظر الصفحة ٤٤.

قال شيخ الإسلام: كان أبي أبو منصور في بلخ عند الشريف حمزة العقيلي، فقالت امرأةٌ يوماً للشريف حمزة العقيلي: قل لأبي منصور يتزوَّجني. قال: إني أنا لا أتزوَّجُ أبداً. قال الشريف حمزة: لا بدَّ أن تتزوَّجَ، ويحصلَ لك ولدٌ لا يكون له نظير. فلمَّا دخلَ هراة، وتزوَّج أمي وولدت، فقال الشريف حمزة في بلخ: جاء لأبي منصور ولد مثلُ هن.

قال جامع مقامات شيخ الإسلام: معنى هذه الكلمة: يعني جميع الخصال الحسنة التي لا توصف فيه.

وأيضاً قال شيخ الإسلام: ولدتُ بقَهَنْدَز[1]، وبلغت فيه، وكان ولادتي يومَ الجمعة وقتَ غروب الشمس، الثاني من شعبان سنة ست وتسعين وثلاث مئة.

وأيضاً عنه قال: ولدتُ في أيام الربيع، وأنا أحبُّها، فإذا وصلتِ الشمسُ إلى سبع عشرة درجة في النور يكملُ سنِّي، وذلك في وسط نهار أيام الورد والزهر والرياحين.

وأيضاً عنه قال: دخلتُ على أبي عاصم، وكان من قرابتي، فأحضر لي خبزاً، وفنجان كامَخ، وقرأ شيئاً[2] بتغن، وامرأتُه كانت عجوزةً، وصاحبةَ ولاية، ومحتشمة، قالت: قال شيخي ـ تعني الخضر عليه السلام ـ لمَّا رأى عبد الله الأنصاري: من هذا؟. فقلت: ولد فلان. قال: يملأ من هذا الولد المشرق والمغرب. يعني ينتشر ذكره.

قال شيخ الإسلام: إن السؤال كان شأنه؛ لأنَّه يعلمُ ويسأل.

وكانت امرأة اسمها بانو عالية، قالت: قال شيخي ـ تعني الخضر عليه السلام ـ: في مدينتك ولدٌ سِنُّهُ سبع عشرة سنةً لا يَعرفُ أبوه من هو، ولا يعرفُ نفسَه من هو، ولا يكونُ أحدٌ على وجه الأرضِ أفضلَ وأحسنَ منه. وقال: يملأ عنه من المشرق والمغرب.

---

(١) قَهَنْدَز: (وتعني القلعة الحصينة)، وتضاف إلى مواضع كثيرة منها: قهندز سمرقند، وقهندز بخارى، وقهندز بلخ، وقهندز نيسابور، وقهندز مرو. انظر معجم البلدان.

(٢) في (ص): وفراشاً بتغنٍ.

وتلك العجوزة كان حالها هكذا، وكانت لها بنتٌ عمرها سنة ونصف، وتركتها وعزمت إلى الحج، والشيخ أبو أسامة كان شيخَ الحرم، فلمَّا وصلت، استقبلها؛ لأنَّه كان عمَّها، وكان عندها محبرةٌ وقرطاس، فإذا زارها المشايخ، تقول: اكتبوا فيها شيئاً لله[1].

قال شيخ الإسلام: أول ما أرسلني إلى مكتبِ المرأة. فقالوا: يضرُّ مكتب النسوان. فلمَّا وصلَ عمري إلى أربع سنين أرسلوني إلى مكتب ماليني، فلمَّا وصل عمري إلى تسع سنين جعلوني أكتبُ الحديثَ[2] من القاضي أبي منصور والجارودي، ثم لمَّا وصلَ عمري إلى أربع عشرة سنة، أجلسوني في المجلس، وكنتُ صغيراً[3] في مكتب الأدب أُنشئُ الشعر، حتى حسدوني.

وأيضاً قال شيخ الإسلام: كنتُ مع بعض أولاد الخواجه يحيى بن عمَّار في مكتبٍ واحدٍ، وأنا أقول الشعر العربي بديهة، وما يُريد الصبيانُ من الشعر أقول ما يكون مرادهم، وبعضُ الأيام قال ذلك الولد عند أبيه:فلان بن فلانةُ يقول الشعر، ومهما يريدُ كلُّ واحدٍ يقوله. وكان أبوه عالماً فاضلاً، فجاء إلى المكتب، وقال: اجعل يا عبد الله لهذا البيت الفارسي شعر، وهي هذه:

روزى كه بشادى كذرد روز همانست   وآن روز دكر روز بدا نديشان است

أنا قلتُ بديهةً شعر:

ويومُ الفتى ما عَاشَه في مَسرَّةٍ   وسائره يومُ الشَّقاءِ عَصيبُ

رمِ الوصلَ ما رمتَ السَّعادةَ فالدُّجى   بتنغيصِ عيشِ الأكرمين رَقيبُ

وهذا المصراع أرادوا أن يعرِّبَهُ:

آب آيد باز درجوئي كه روزي رفته بود

عهدنا الماءَ في نهرٍ فنرجو   كما زَعموا رجوعَ الماءِ فيه

---

(١) في (ص): فلما زارها المشايخ تقول: اكتبوا منها شيئاً لله.
(٢) في (ب): أكتب ولما املأ الحديث.
(٣) في (ص): ولما كنت صغيراً.

وأيضاً عنه قال: كان في مكتبنا صبيٌّ صبيحٌ، حسنُ الوجه، اسمه أحمد، وقال واحدٌ: قل فيه بيتاً. فقلت هذه:

لأبـــي أحمـــد وجـــهٌ قمـــرُ اللَّيـــلِ غـــلامُـــهُ
ولـــه لَحْـــظُ غـــزالٍ رشـــقَ القلـــبَ سهـــامُـــه

وأيضاً قال: أنا أحفظُ أكثرَ من ستَّةِ آلاف بيت شعرٍ عربي، بالوزنِ الصحيح.

وأيضاً عنه قال: فكَّرت وقتاً أيُّ قَدْرٍ أحفظُ من أشعارِ[1] العرب؟ فكان أكثرَ من سبعين ألف بيت.

وقال وقتاً آخر: أحفظُ مئة ألف بيت عربي، من المتقدِّمين والمتأخِّرين.

وأيضاً عنه قال: في وقتٍ كنتُ أقرأُ القرآن مع المُقرئين مُدارسةً، فإذا رجعتُ أذهبُ إلى الدَّرس، وبعضُ الأوقات كنتُ أكتبُ سِتَّ ورقات وأحفظها، فلمَّا أفرغُ من الدرس وقتَ الضُّحى أذهبُ إلى المكتب، وأكتب هناك، وكانت أوقاتي مقسومةً، وما كان لي راحةٌ في كلِّ وقتٍ، وكنتُ مَشغولاً بشيءٍ، وفي بعض الأوقات إلى صلاةِ العشاءِ كنتُ على الرِّيق.

وأيضاً عنه، قال: في الليل كذلك كنتُ أكتبُ الحديث بضياءِ السراج، وما كان لي وقتٌ أن آكل الطعام، حتى أُمِّي تلقِّمني اللقمة في فمي حين الكتابة.

وأيضاً قال: أعطاني الله تعالى حفظ ما يجيء تحت قلمي فلا أَنساه.

وأيضاً قال: أحفظُ ثلاث مئة حديث بألف ألف إسناد.

وقال أيضاً: حصل لي المشقَّةُ والمحنة كثيراً في تحصيل الحديث، وما حصل لأحدٍ هذه المشقَّة، حتى كنتُ في سفرٍ، وجاء المطرُ، فالتصقتْ أوراقُ الحديث في بطني، ومشيتُ بهيئة الركوع من نيسابور إلى دزبار[2].

---

(١) في (ص): أي قدر أحفظ فيه من أشعار.

(٢) دزبار: قرية خارجة من نيسابور على طريق هراة. معجم البلدان.

وأيضاً قال: تكفيني نيتي في بداية قراءةِ العلم؛ لأنّي ما قرأتُ بنيّةٍ تحصيل الدنيا، بل لله، ونصرة سنة المصطفى ﷺ.

وأيضاً قال: أيُّ فعلٍ فعلتُ، لو قال واحدٌ: لِمَ فعلت؟ لكان لي دليلٌ من الحديث.

وأيضاً قال: أنا كتبتُ الحديثَ عن ثلاث مئة محدث، كلُّهم كانوا من أهل السُّنة، وأربابِ الحديث، وما كان أحدٌ منهم مُبتدعاً ولا صاحبَ الرأي.

وأيضاً قال: تركتُ أسانيدَ عالية؛ لأنَّ بعضَهم كانوا أصحابَ الرأي، أو أهل الكلام. قال محمد بن سيرين: **إن هذا العلم دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذونه.**

ولقيت القاضي أبا بكر الحيري في نيسابور، وما كتبتُ عنه الحديث؛ لأنَّه كان مُتكلِّماً في مذهب الأشعرية، وكان عنده أسانيدُ عالية.

وأيضاً عنه قال: كان أستاذي في التذكير، والتفسير الخواجه الإمام يحيى بن عمّار، وإذ لم أره لم أفتحْ فمي في الموعظة، وكنت في سنٍّ أربعة عشر، قال يحيى بن عمار لأهل قَهَنْدَز: عزِّزوا عبد الله، لأنه يجيء منه رائحةُ الأمانة.

❊ ❊ ❊

(٣٩٨) يحيى بن عمار الشَّيباني(*)

الخواجه يحيى بن عمَّار الشَّيباني رحمه الله تعالى، وهو الذي رآه الشيخ أبو عبد الله[1] بن الخفيف في شيراز، ووضع له ابنُ الخفيف مجلساً.

قال شيخ الإسلام: انتشرت علومُ الرُّسوم في هراة من الخواجه يحيى على وفق دين محمد المصطفى ﷺ، وجدد الدين في هراة، وجاء القاضي أبو

(*) العبر ٣/١٥٣، سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٨١، مرآة الجنان ٣/ ٤٢، شذرات الذهب ٣/٢٢٦.

(١) في (ب): وهو الذي رأى الشيخ عبد الله.

عمر[1] البِسطامي إلى هراة، وحضر في مجلس يحيى، فلمّا فرغَ من الوعظ ونزل، وجاءَ عند القاضي، وقام له القاضي، وقال: طفتُ المشرق والمغرب، والبر والبحر، فما وجدت الدِّين غضاً إلا في هراة.

وتكلم هذا الكلام عند الأكابر في نيسابور أيضاً، وقال: **طفت الدنيا شرقاً وغرباً، فوجدت الدين غضاً بهراة.** وكان القاضي أبو عمر جليلاً وإماماً، ووحيد العالم.

وفي «تاريخ الإمام اليافعي»[2] رحمه الله تعالى: إن في سنة ثمانٍ وأربع مئة توفي أبو عمر البسطامي محمد بن حسين الشافعي، قاضي نيسابور، وشيخُ الشافعية بها، رحلَ وسمعَ الكثير، ودرَّس المذهب، وأملى على الطبراني وطبقته.

وأيضاً قال شيخ الإسلام: فلمّا مرضَ الخواجه يحيى بن عمار وأعطاه الله الشفاء، فوضع المجلس، وأطلعه على المنبر عبدان، وقال: وجدتُ العزَّ على هذا ـ يعني المنبر ـ ولكن الآن ما أقدرُ أن أتكلَّمَ. ثم قال: سمعتُ أنَّه توفي المصطفى ﷺ فخلفه في مقامه أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضوان الله عليهم أجمعين، ثم أموتُ فيجيءُ عبدُ الله، ويجلسُ مقامي، ويضرب على رأس الملحدين والمبتدعين.

وقال شيخ الإسلام: أنا كنتُ جالساً ذلك اليوم تحت الكرسي، فأشار الخواجه يحيى إليَّ، فقال لي الشيخُ عمُو: أنت كنت عبدَ الله المُشار إليه. وكان هكذا.

وفي «تاريخ الإمام اليافعي»[3] رحمه الله: في سنة اثنتين [وعشرين] وأربع مئة توفي الإمامُ الواعظ يحيى بن عمار الشيباني السِّجستاني نزيلُ هراة.

قال شيخ الإسلام: رؤية المشايخ الكبار نسبةٌ لهذه الطائفة، أولُ مرتبةٍ

---

(1) في الأصل: عمرو، والمثبت من سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٢٠، ومرآة الجنان ٣/ ٢٢.
(2) مرآة الجنان ٣/ ٢٢.
(3) مرآة الجنان ٣/ ٤٢، وما بين معقوفين مستدرك منه، ومن مصادر ترجمته.

تكون لهؤلاء القوم، يُقال: رأى الشيخَ فلان، أو صحب الشيخ فلان.

وقال أيضاً: تعدُّ ملاقاتهم غنيمةً؛ لأنه إذا فاتت ملاقاة المشايخ فلا تُستدرك، ولا يكون هذا إلا قليلاً، فعرفاتُ موجودة، ورؤيتُهم لا توجد، إذا فاتت لا يمكن تدراكها.

وقال قدَّس سره: إن مشايخي في الحديث والعلم والشرع كثيرون، لكنَّ شيخي في التصوف والحقيقة الشيخ أبو الحسن الخِرقاني رضي الله عنه، لو لم أر الخرقاني ما عرفتُ الله تعالى، واختلطتِ الحقيقة بالنفس.

وقال الشيخ: هو شيخي في كلمةٍ واحدة، وهي هذه، قال: من يأكلُ ويشربُ وينام هو أمرٌ آخر. بعده ما بقي شيءٌ في الحقيقة إلا عرفته.

وقال الشيخ: عزمتُ على حجِّ الإسلام، فوصلت إلى الرَّيِّ، وما كان للقافلة تلك السنة طريق، فرجعتُ، فصبحت الخرقاني فلمَّا رآني، قال: ادخل يا من ما شوكة أنت ـ يعني أنت معشوق ـ جئت من البحر، جئت من البحر، جئت من البحر لا يعرفه إلا الله. وما كان هو، وما قاله كان من الغيب.

قال الشيخ: كانت لي من كراماته، قال لي: أنت جئتَ من البحر. ومن علمه أنَّه قال: من يأكلُ وينامُ هو شيءٌ آخر.

قال الشيخ: إذا سمعتَ هذا الكلامَ ما كنت إلا الخرقاني وهو يعظمني[1]، وفي أثناء الكلام، يقول: تباحثني؛ لأنَّك عالمٌ وأنا جاهل. وأنا ما رأيتُ وما سمعتُ أحداً أحسنَ من هذين الرجلين: الخرقاني في خرقان، والطاقي بهراة، وما رأيتُ وما سمعتُ أحسنَ من هذين الرجلين، كانا يعظِّماني. قال لي مُريدُ الخرقاني: أنا اليوم لي ثلاثون سنةً أصاحبه، وما رأيتُه يعظِّم أحداً إلا أنت. قال شيخ الإسلام: لأني أرسلني الله تعالى إليه.

قال الشيخ: قلت: يا أيُّها الشيخ، لي سؤال. قال: سل، يا من ما شوكة أنت. فسألت منه خمسةَ أسئلةٍ: ثلاثاً باللسان، واثنين بالقلب، فردَّ الجوابَ،

---

(١) في (ب): وهو يعلمني.

ووقتَ الجواب جعلَ يدي بين فخذيه، وما كان له خبر، يَصيحُ، وتجري الدموع من عينيه مثل العين، وكان متكلِّماً معي.

* * *

(٣٩٩) أبو عبد الله الطاقي(*)

الشيخ أبو عبد الله الطاقي قدس الله سره، اسمه محمد بن الفضل بن محمد الطاقي السجستاني الهروي، وهو مُريدُ موسى بن عمران الجِيرُفْتي، وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الباطن.

قال شيخ الإسلام: هو شيخي وأستاذي في اعتقاد الحنابلة، لأني إن لم أجتمع به ما عرفتُ اعتقاد الحنابلة، وما رأيتُ أحداً ذا هيبة من الطاقي، ولمَّا اجتمعت به كان أعمى، والمشايخ تعظِّمه، وكان ذا كرامات وآيات، وله فراسةٌ عظيمة، وهو يعظِّمني فوقَ الحد، ولا يعظِّمُ غيري.

قال شيخ الإسلام: قال لي عبد الله بن منصور: ما هذا النور الذي أودعه الله في قلبك.

قال شيخ الإسلام: ينبغي أن أرتاض وأزكِّي النفس إلى أربعين سنة، حتى أفهم ما قاله الطاقي من ذلك النور.

توفي الشيخ أبو عبد الله الطاقي قدس الله روحه، في غرَّةِ صفر سنة ست عشرة وأربع مئة.

قال شيخ الإسلام: عظَّمني الله على قلب محمد القصاب وعينه، والخرقانيُّ عرفني، ولمَّا دخلتُ السوق مع رفيقي الذي أراد أن يشتري عمامةً لأبيه، فدخل الشيخ محمد القصاب معي، وقال: اليوم ثلاثين سنة أنا جالس في هذه المحلة، وما رأيتُ أبداً هذه السوق.

قال شيخ الإسلام: إن أبا عبد الله بن الباكويه الشيرازي كان له سفر حسن،

(*) أسرار التوحيد ٥٧.

ويزورُ المشايخ في السفر، ويحكي عنهم حكايةً طيبةً مُفيدة، وما أعجبني أنتخبتُهُ وكتبته، فكانت ثلاثين ألف حكاية، وثلاثة آلاف حديث.

وقال شيخ الإسلام: هو كان سلطانٌ في لباس الصوفية، وكان عالماً بجميع العلوم، وهو يعظِّمني أكثر مما يعظِّمُ غيري، وكان يقوم لي كلَّ وقتٍ دخلتُ عليه، ولا يقومُ لمشايخ نيسابور مثل ابن أبي الخير وغيره، وكانت له فِراسةٌ عظيمة.

قال شيخ الإسلام: فلمّا رجعتُ من الرَّيِّ، ودخلتُ في خانقاه عبد الله الباكو، وكان في خانقاهه ثلاثة نفرٍ من المحبِّين: مكي الشيرازي، وأبو الفرج، وأبو النصر الطرشيزي، فنادى الشيخ: يا أبا الفرج. فخرج أبو الفرج من الخانقاه، وقال: لبيك. قال الشيخ لمَّا خرجَ العالم من الخانقاه: ما قلت لك؟ قال: قلتم هو يريد السفر، ولا ينبغي له السفر؛ لأنه ينبغي له أن يجلس، والناسُ حوله، وهو يقول عنه. فقلت: ليتك قلت هذا الكلام قبله حتى ينقضي[1] هذا السفر والمشقة، لكنْ أُريد أن أبصرَ الخرقاني. يعني يكون السفر لزيارة الخرقاني.

* * *

(٤٠٠) أبو الحسن البشري السِّجزي(*)

الشيخ أبو الحسن البشري السِّجزي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: هو من شيوخي، وأفضلُ المشايخ الذين رأيتهم ثلاثةٌ: الخَرقانيُّ، والطاقي، وكانا جاسوسا القلوب، وأبو الحسن البشري، كان ثقةً في روايات الصوفية، ورأى المشايخَ كثيراً كما ينبغي، وروى عنهم كلامهم.

وقال: ورأى مشايخ الحرم، مثل الشيخ السِّيرواني، والسَّركي، وأبو[2]

---

(١) في (ب): حتى ينفعني.

(*) طبقات الصوفية ١٠٩ (السنجري) وهو كذلك في المطبوع (ف).

(٢) كذا في الأصول.

الحسن بن جهضم، وأبو بكر الطرطوسي، وأبو عمرو [بن] نُجيد، وغيرهم، وكان من تلامذة أبي عبد الله بن الخفيف، والحُصْري، والنُّوري، ورأى أبا زرعة الطبري.

* * *

(٤٠١) أبو القصر البستي(*)

كاكا أبو القصر البستي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان رجلاً كبيرَ الشأن في زماننا، وما كان مثل أبي، وأبي ما ودَّاني إليه، وكنتُ صغيراً، ويومَ الجمعة كان أبي يودِّيني عند المشايخ، وكانوا يمسحوا رأسي، ويدعوا لي، ولا يودِّيني عند كاكا.

وأيضاً هو كان في المسجد؛ لأنه كان من أهل الملامة، وأبي من القرَّاء، أما الشيخ أبو الحسن القدّومي، وأخوه أبو محمد كانا خادمين ومريدين لكاكا، وكان لهما زعقةٌ، وباطنُهما نورانيٌّ، وجميع مُريدي أبي القصر مثلهما في الزعقة، وهما حكيا عنه حكايات.

* * *

(٤٠٢) أحمد سنبل(**)
وأخوه
(٤٠٣) محمد خورجه(***)

كاكا(١) أحمد سنبل، وأخوه محمد خورجه رحمهما الله.

قال شيخ الإسلام: كاكا أحمد كان أفضلَ من أخيه محمد خورجه وكان باطنُه أحسنَ.

وأخوه كان ذا آلةٍ في الظاهر، وكان ذا كرامات وولاية.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(***) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(١) كاكا بالفارسية تعني الأخ، الأخ الأكبر.

(٤٠٤) أبو منصور محمد الأنصاري(*)

أبو منصور محمد الأنصاري رحمه الله، هو أَبُو شيخ الإسلام، وكان مريدَ الشريف حمزةَ العقيلي، وخدم أبا مظفر الترمذي.

قال شيخ الإسلام: قال لي الشيخُ أحمدُ الكوفاني: درتُ في البلاد، ورأيتُ المشايخ، وما رأيت أحداً أحسنَ من أبيك.

قال شيخ الإسلام: كنتُ في تحصيل العلم إلى بضعٍ وسبعين سنة في اعتقاد الأول، وكلها علمت عند أبي، لكن كان من القرّاءِ صادقاً ومُتقياً ومتورعاً لا يقدرُ أحدٌ مثلَه.

وقال شيخ الإسلام: كان لأبي فيَّ سرٌّ عظيم، وقال لي: يا عبدَ الله، إلى متَى تقول فُضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم؟ يجيء منك الفضيل، وإبراهيم بن أدهم. لأنَّه رأى حالي في المنام، ولم يذكر عندي، وقال: كلَّ يومٍ أُعبِّرُ تلك الرؤيا، فيجيء موافقاً.

قال شيخ الإسلام: كان أبي صافي الوقت، وفارغَ القلب في أيام التَّجريد، فلمَّا وقعَ التأهُّلُ والأولاد زالَ ذلك الصفاءُ والنور، وكثيراً ما يشكي عندي من قبض القلب، حتى قال يوماً: ليت يقع بيني وبينك بحرُ النار، بأيِّ ذنبٍ وقع هذا، تزوَّجت المرأةَ، وجاء الأولاد!؟. ومن غاية تضيق القلب قامَ من الدُّكان، وقال: **سُبحانك اللَّهُمَّ**. وترك التِّجارة، وعزم إلى بلخ عند شيخِهِ الشريفِ حمزةَ العقيلي.

وتوفي في شعبان سنة ثلاثين وأربع مئة، ودفنوه عند قبر شيخه في بلخ.

* * *

(*) انظر مصادر ترجمة ابنه رقم (٣٩٧).

(٤٠٥) أبو منصور سوخته(*)

أبو منصور سوخته، يعني المحروق رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: كان مع [أبي] منصور شيخٌ في قَهَنْدَز، فحصل حريقٌ، فلم يفرَّ الشيخُ، ولا خرجَ من بيته، فحفظه الله تعالى، فصار اسمُه محروقاً، وكان صادقاً ذا عظمة.

* * *

(٤٠٦) أحمد الجشتي(**)

وأخوه

(٤٠٧) إسماعيل الجشتي(***)

الشيخ أحمد الجشتي، وأخوه الشيخ إسماعيل الجشتي رحمهما الله تعالى.

والشيخ أحمد الجشتي غيرُ أبي أحمد الأبدال، وهو مُتقدمٌ عليه، وما رآه غيرُ الخواجه أحمد بن مودود؛ لأنه متأخرٌ عنه، وما رآه شيخ[1] الإسلام أيضاً.

قال شيخ الإسلام: ما رأيتُ أحداً أقوى في مذهبِ الملامة من أحمد الجشتي، وجميعُ أكابر الجشتي كانوا بالظاهر بلا تقييدٍ، وفي الباطن كانوا ساداتِ العالم، والشيخُ أحمدُ ثلاث مرات دخلَ البادية، ورجع؛ لأنَّه ما وجدَ في الباطن إخلاصاً، وجميعُ أعمالهم بالإخلاص، وتركِ الرياء، وكان صاحبَ عزيمةٍ، وما كان متهاوناً بالشرع، ولا يتَّبعُ الرُّخص، واجتمعَ بالشيخ أحمد النجَّار، وغيره.

قال شيخ الإسلام: الشيخُ أحمد الجشتي كان كبيرَ الشأن، ويحترمني

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(***) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): وما رأى غير الخواجه أحمد بن مودود، لأنه متأخر عنه، وما رأى شيخ.

ويعظِّمني أكثرَ مما يحترمُ ويعظمُ غيري، وكان أقدمَ من الذي مسحَ الشعر على رجلي، وهو ذهبَ لزيارة الشيخ أبي نصر الطالقاني[1]، وسمع عنه هذا:

حسابي الذي كنتُ حسبتُهُ تنوَّعَ بي فلهذا ندمتُ
فيا حيفَ، قد أوهمتني الظُّنون إني عَلمتُ وما قد علمتُ

قال شيخ الإسلام: ما رأيتُ أحداً في الفراسة مثلَ أحمد الجشتي، وهو يخدمني ويعظِّمني، وأنا أعظُ الناس في قَهَنْدَز، وكان له صاحبٌ من أهل المجلس يَذكرُ كلامي عنده، وهو يقول: هو من حارتنا، الله أعلم، لي مطمعٌ في كلامِه، وكلامُه كان رأسَ مالي. وبعده دعاني، وجميعُ ما عنده من الدنيا نثرَه عليَّ، فبعده في أيام الشتاء، ووقتِ البرد والثلجِ، عزمنا إلى قريةِ نازان، وكنا هناك ما شاء الله، وأبو نصر نقاش المبرد من أصحابه، وهو كان صاحبَ الفراسة، وفي الأيام الذي ذهبتُ إلى نازان كان بردٌ شديدٌ، وكان اثنان وستون شيخاً، كانوا مجتمعين فيه، وكنتُ أتكلَّمُ على الناس بضعاً وأربعين يوماً، وأَبسطُ وأفشي علم الحقائق، وما كان أحدٌ منهم يُساويني، وكانوا أصحابَ الولاية والكرامة والفراسة، وفي حياته ما كان أحدٌ من التركمان بخراسان، مثل أبي حفص بغاوردان[2]؛ لأنه وقت كلامي كان أذنه وعينُه إليَّ، وكان صاحبَ الكراماتِ الظاهرة، التي لا تُعدُّ.

قال شيخ الإسلام: إن كان أبو حفص بغاوردان حيًّا كلُّكم تشقُّوا الثَّوب، ولا تنظروا إليه، وأنا أعتقده، وهو سيِّدٌ، وكبير، وصاحبُ كرامةٍ ظاهرةٍ، وفراسةٍ باهرة، وكان محبٌّ من أحبابه وأوليائه تحت قبائه، ومن غيرته لم يكن وليٌّ يعرف أولياءه[3] مثل أبو بشر الكوشاني كان الحمام ينزلُ لاستماع كلامه. وأحمد مرجانة، وأحمد كاه الدستاني رحمهما الله يرقصُ على غصنِ التوت في حالةِ السماع، وأقمتُ هناك بضعاً وأربعين يوماً، وكنتُ كلَّ يوم ضيفَ واحدٍ.

---

(١) تقدم صفحة: ٤٩.
(٢) في (ح): غاوردان. وفي (ب): بماوردان.
(٣) في (ص): لأوليائه.

وحصل لي الفتوح ألفٌ ومئتا ثوب، وما بقي منها شيءٌ إلا سجادةً عتيقة.

ويوماً كنت في السماع، وأصيح فيه، وأشقُّ الثوب، فلمَّا خرجتُ من السماع، دخلتُ المسجدَ الجامع، وفي حالةِ خماد السماع جاءَ واحدٌ منهم، وقال: من كان ذلك الشاب الذي كان معك يرقص في السماع؟. قلت: من هو؟. قال: شابٌ في حداثة السنِّ، وفي يده نرجسٌ طويل، ويرقصُ معك، فلمَّا رأيت ذلك النرجس غلب حالك[1]، واضطربت في السماع، قلتُ: لا تقول عند أحدٍ. فمن ذلك اليوم ما اجتمعتُ بأحد إلا أبا حفص؛ لأنَّه جاء لوداعي، ووداع المحبِّين لمَّا أرادَ أن يخرجَ من الدنيا، ومات في ذلك الأسبوع.

قال لي أبو بشر الكواشاني[2] في مجلس إملاء إسحاق الحافظ: يا حبر[3]، جئت من هنا، اقعد لأنني أيضاً أجلسُ عندك. فمسك عليَّ بابَ الكلام، حتى لا أَقدرُ أن أتكلَّمَ حرفاً واحداً، فقلت في نفسي: ما كان ذاك، وما كان هذا، وما كان أبداً مثلُ هذا. حتى وصلَ الورد إلى هذه الآية: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ١٦٥] ففتح الله تعالى باب الكلام.



(٤٠٨) أحمد الحاجي[*]

الشيخ أحمد الحاجي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: إنَّ الشيخَ أحمدَ الحاجي من مشايخي، ورأى الحُصْريَّ، وأبا الحسين الطرزي، وغيرَهما، وكان يحكي عنهم، فقلتُ له: أَتحفظُ شيئاً من الحصري؟. قال: دخلتُ مع بعض المشايخِ على الحُصري،

---

(١) في (ص): ذلك النرجس غليظ لك.
(٢) في (ص): الكورستاني.
(٣) في (ب): يا خير.
(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

وما كان عنده شيءٌ من الطعام، وكان يقول: **نحن دوابك يا سيدي، اعلفْ دوابَّكَ يا سيدي**. ويضربُ اليد على اليد.

قال شيخ الإسلام: لا تظنَّ أنَّه كان له حاجةٌ بعلفٍ، بل ما كان له حاجةٌ إلى غير الله.

* * *

(٤٠٩) أبو سلمة الباوردي(*)

الشيخ أبو سلمة الباوردي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: أبو سلمة الباوردي الخطيبُ الصوفي السيَّاحُ كان من مشايخنا، ورأى المشايخَ كثيراً مثل أبي عبد الله الرُّوذباري، والعباس الشاعر، وأبي عَمرو [بن] نجيد، وأبي يعقوب النهرجوري.

* * *

(٤١٠) أبو علي الكيال(**)

أبو علي الكيال رحمة الله عليه.

قال شيخ الإسلام: رأيتُ أبا علي الكيَّال في صِغر السنِّ، وما عرفته، وكان كبيراً، وكان شيخ سَيْسَبان(١)، وفي طريق الملامة، ولا يمدح بالكرامات؛ بل هو كان أحسنَ من الكرامات.

كان الشيخ أبو علي، والشيخ أحمد [بن] نصر، والشيخ أبو سعد المالِيني في دكَّةٍ واحدةٍ في رباط الصوفيين، وأنا كنت عنده.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. وانظر الخبر ص ١٠٦ وفيه: أبو القاسم سلمة.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) سيْسَبان: بلد من نواحي أرّان بينها وبين بيلقان أربعة أيام من ناحية أذربيجان. انظر معجم البلدان، وفي (ح) و(ص): سيستان.

(٤١١) أبو علي الصائغ(*)

أبو علي الصائغ رحمة الله عليه.

قال شيخ الإسلام: أبو علي الصائغ من شيوخنا، وأكبرِهم، وكان صوفياً، ومن تلامذة أبي العبَّاس القصَّاب الآملي، ويحكي عنه.

* * *

(٤١٢) أبو علي البوطي(**)

أبو علي البوطي(١) رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: هو أيضاً من شيوخنا، كان رجلاً جواداً، ورأى الحُصْريَّ، ويَحكي عنه.

* * *

(٤١٣) أبو نصر القباني(***)

أبو نصر القباني رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: كان سيَّاحاً، ويزور المشايخَ، ورأى مشايخ كثيرةً، ورأى أبا عمرو اكاف، وخدمه في باوردان، ورأى أبا عمرو [بن] نجيد(٢)، وأبا عبد الله بن مانك(٣) أيضاً بأرغان فارس(٤)، وكان من تلامذة الشِّبلي، ويحكي لي عنه.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص) البويطي.

(***) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في (ب): ورأى أبو عمرو اكاف، وخدمه أبا عمرو [بن] نجيد في باوردان.

(٣) في الأصول: أبا نصر عبد الله، والمثبت من ترجمته صفحة ٣٨٥، والمطبوع الفارسي.

(٤) لم أجدها في معجم البلدان، وكأنها بارجان، وهي من قرى خانلنجان، من أعمال أصبهان. انظر معجم البلدان.

(٤١٤) أبو إسماعيل النصرآباذي(*)

الشيخ أبو إسماعيل النصرآباذي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: هو أحسن أولاد الشيخ أبي القاسم النصرآباذي، وعندي منه حديثٌ وحكايات عن أبيه.

* * *

(٤١٥) أبو منصور الغسَّال(**)

الشيخ أبو منصور الغسَّال رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: كان شيخاً ذا هيبة، ورأى المشايخَ كثيراً، وكان أحسنَ من عمّو، ورأى الشيخ أحمد النجَّار الاستراباذي، وأبا نصر السرَّاج صاحب «اللمع».

* * *

(٤١٦) إسماعيل الدباس الجِيرُفْتي(***)

إسماعيل الدباس الجيرفتي رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: هو من مشايخنا، وكان شيخاً نورانياً ومحدثاً، ورأى الشيخ مؤمن الشيرازي، ويحكي عنه.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(***) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤١٧) أبو سعيد المعلم(*)

أبو سعيد المعلم رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: أبو سعيد كان شيخاً نورانياً صادقاً، ويلبس المرقَّعة، ورأى إبراهيم الكيال.

* * *

(٤١٨) محمد أبو حفص الكورتي(**)

الشيخ محمد أبو حفص الكورتي رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: محمد أبو حفص كان كبيراً، صاحبَ الوقت، ومن مشايخنا، ولما وقع له المرضُ، جاء القومُ عنده، فوقع الكلام، فقال واحدٌ شيئاً حتَّى تعبَ، وزالتْ طاقته، وقام بالغيرة، وقال: حقٌّ، حقٌّ، حق. فلمَّا مضى ساعةٌ، وأفاق، قال: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله. ضعفتُ، واعتذر منهم.

* * *

(٤١٩) الشيخ عمو(***)

الشيخ عمو رحمه الله تعالى، كنيته أبو إسماعيل، واسمه أحمد بن محمد بن حمزة الصوفي.

قال شيخ الإسلام: الشيخ عمّو كان خادم خراسان، وهو شيخي في آداب رسوم الصوفية، وأنا شيخه أيضاً، وأكلتُ وإيَّاه من قدحٍ، وإن لم يكن هو أنا

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(***) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

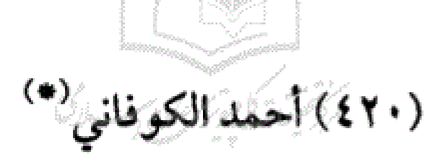
كنتُ على مقامه، وهو كان على مقامي، وفي أيام المفارقةِ كان بيننا مُكاتباتٌ.

ورأى أكثرَ المشايخِ، والشيخُ أبو العباس النهاوندي لقبه عمّو كما مر[١]، ورأى الشيخ أبا بكر في نيسابور، وكان سفرُه الأول لحجِّ الإسلام مع الشيخ أحمد الطالقاني، ورأى الشيخ أبا بكر زرَّاع البطيخ، ورأى الجنيد، وأبا بكر المفيد.

وصحبَ الشيخ السِّيرواني، ومشايخَ الحرم أيضاً، مثل أبي الحسن بن الجهضم الهمذاني، وأبي الخير الحبشي[٢]، ومحمد الساخري، والشيخ خياط الخيش، والشيخ أبي أسامة، وأبي الحسين[٣] السَّرْكي، وأبي العباس النَّسائي، وأبي العباس القصَّاب، وغيرهم، ومن كان في زمانه، وقبلوه، وخدمهم بوفق رضاهم، ورأى الشيخ أبا الفرج الطرسوسي.

ومات في رجب سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، وكان عمره اثنتين وتسعين سنة.

* * *



(٤٢٠) أحمد الكوفاني(*)

الشيخ أحمد الكوفاني رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان الشيخ أحمد الكوفاني خادماً لعمُّو، ورأى مشايخَ كثيرةً، وكان سيَّاحاً، وقال لي: أنا علمتُ منك من رأيت. يعني أنت عرفتهم بحقيقتهم.

* * *

---

(١) انظر الصفحة (٢٢١).

(٢) في (ص): أبي الخير الجشني.

(٣) في الأصل: الحسن، وانظر ترجمته صفحة ٣٩٦.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤٢١) أبو الحسن النجار(*)

أبو الحسن النجار رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان نجاراً في قَهَنْدَز، وكان رجلاً ذا عظمةٍ وهيبة، ولا يعرفه أحدٌ، ورأوه في مكَّةَ مع خمسين مريداً صاحبَ الركوة.

وهو يحكي عن هلال خادم الحُصْري، قال: قال الحُصْري: **لا تطلع الشمس إلا بإذني**.

قال شيخ الإسلام: قال لي القاضي إبراهيم الباخرزي: رأيتُ الله في المنام، فقلت: يا الله، متى يصلُ العبدُ إليك؟. قال: إذا لم يكن له مانعٌ يشغله عني.

قال شيخ الإسلام: ما رأيت الشيخ أبا علي الأسود، لكن لمَّا رجعتُ من عند الخرقاني وبقضاء الله كان الشيخ عمّو راجعاً من عنده، فكان يحكي عنه، وأنا أحكي عنه أيضاً، وكان أبو علي الأسود رجلاً كبيرَ الشأن، صاحبَ الكلام والكرامات والولايات العظيمة في مرو.

قال شيخ الإسلام: كان الشيخ محمد كشّور صادقاً، وله رياضاتٌ وصومُ وصالٍ، وكان يوماً في الوصال، وأنا كنت عنده إلى أربعين يوماً، قالوا: وأتمَّها إلى ثمانين يوماً. وقيل: مئة يوم. والله أعلم. وقال لي: إن تصوم مثلي لا يكونُ في الشرق ولا في الغرب أحدٌ مثلَك.

قال شيخ الإسلام: كان الشيخ محمد شكرف[1] رجلَ أعجوبة الزمان، ذا الهيبة والدعوى والقوة والملامة، وحكى لي حكايةً.

قال شيخ الإسلام: أنا دخلتُ على أبي سعيد بن أبي الخير مرتين، وكان على رأسه عِمامةٌ، فأنزلها، وأعطاني كساء من صوفٍ مصري، ولفتاً مطبوخاً، ووضعه في فمي، وكلَّما أَدخلُ عليه يقومُ قياماً عدلاً ويعظِّمني، وما يعظِّمُ لأحدٍ

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في الأصل: شقرف، وانظر الفهرس.

مثلي، لكن لي نفارٌ منه في الاعتقاد، والثاني ما كان مَسلكُ طريقِهِ طريقَ المشايخ، وبعضُ المشايخ أيضاً لا يَستحسنُهُ، بل يذمُّه.

قال شيخ الإسلام: قال أحمد بن خضرويه: قلتُ يوماً عند أبي يزيد البِسطامي: يا ربِّ، لا تقطعْ رجائي منك. فقال أبو يزيد: يا ربِّ، اقطع جميعَ رجائي منك.

قال شيخ الإسلام: ما قال أحمدُ هو للعوام، وما قال أبو يزيد للخواص، لأنَّ الرَّجاء علَّةٌ، والرَّجاءُ على العدم، وعلى الوجود لا يكون الرجاء.

قال أبو بكر الدقي: العافيةُ والتصوُّفُ لا يكونان.

قال شيخ الإسلام: إن كنتَ صوفياً فاتَّهم أحوالك؛ لأنَّها دعوى، واتَّهم أفعالك؛ لأنَّها رياء، واتَّهم أقوالك؛ لأنَّها بلا معنى.

وكان فتى مضطرباً في البادية قال: إن تخرجني بالسَّلامةِ لن أذكرك. فلمَّا خرجَ عن البادية ضيَّفه واحدٌ، فأكلَ بالشبع، ومات.

قال شيخ الإسلام: لو عاشَ ولم يذكره يبطل الشريعة، وإن يذكره يُبطلُ عهدَه، فلمَّا كان صادقاً كُفي شغله، وهو ما قالها بالاستهزاء والذلة بل بناموس ذكره.

قال أبو علي الأسود في مرو: كلُّ ما يفوتُ يبقى عنه شيءٌ إلا الشريعة، إذا فاتت لا يبقى عنها شيء.

قال شيخ الإسلام: ما أحسنَ كلامَه وهو هكذا، لأن الشريعةَ تريدُ[1] الزيادة، وفي الشريعة النُّقصان نقصان، والشريعةُ مثلُ الماء لأن الماء ينبغي على قدره، وإنْ زادَ يخرِّبُ البلاد، وإن نقصَ لا يَروي.

قال المرتعش: ما رأيتُ نفسي أبداً في الباطن مع الخواص، حتى ما رأيتها بالظاهر مع العوام.

قال شيخ الإسلام: معناه ما تحقَّقْتُ حقيقتي حتى تصفَّتْ شريعتي.

---

(١) في (ص): تزيد الزيادة.

وكان عادةُ شيخ الإسلام ما سمعَ من الخصالِ الحميدة، والأفعالِ المرضيّة من الأحاديث وحكايات المشايخ يعملُهُ.

وعنه قال: إذا وصلتْ لك سُنَّةٌ من سنن رسول الله ﷺ، إن لم تقدرْ أن تجعلَه ورداً، فاعمله مرَّةً واحدةً، حتى يعدُّوا اسمك من زمرة السُّنيين، وهكذا كلُّ معاملة حسنة، وأحوال أخلاق المشايخ كنت مأموراً به، فينبغي تقليدهم، فتذهب على أثرهم، وخذ سيرتهم، وإن لم تقدر عليها خذ شيئاً منها.

كنت في وقتٍ في طريقٍ، فحلَّفني فقير، وقال: أعطني سراويل. فذكرتُ حكايةً عن إمامٍ كان راكباً، وحلَّفه فقير، وقال: أعطني سراويل. فنزل من الدابّة، وأعطاه السراويل، فقالوا: لِمَ فعلت هذا؟، هذه الفقراء كذابون. قلت: أنا أعرفُ حالَهم، لكن لا يجوز لي وهو يُحلِّفني بالله، وما أعطيه! قال شيخ الإسلام: أنا فعلت مثلَ هذا، فأعطيتُ السراويل الفقير، ووعظتُ الناس بلا سراويل.

قال شيخ الإسلام: أنا أكثرُ الأوقات كنتُ في التدريس بثوب عارية، وكان طعامي بعضَ هذه الخضر، وكان مخدّتي الآجر، وأكثرُ أصحابنا وأحبابنا وتلامذتنا كانوا أهلَ المال، إن أريد منهم شيئاً يُعطوني، لكن ما أردتُ شيئاً منهم؛ بل ما أظهرتُ عندهم الفقرَ والاحتياج، لكن أقولُ في نفسي: لِمَ لا يفهمون، ليس لي شيءٌ، وما أُريد من أحدٍ شيئاً. وأنا كنتُ صغيراً، وأبي تركَ الدنيا، وما كان عنده تصدَّقَ به على الفقراء، وحمَّلني التعبَ والشدة، فابتداءُ فقري ومحنتي كان من تلك الأيام.

قال شيخ الإسلام: ما كانَ لي جبّةٌ في أيام الشتاء، وكان شدة البرد، ومن جملة متاع بيتنا كان حصيرٌ عتيق، ولبَّاد مقطوع، إذا غطَّيت به الرأس انكشفَ الرِّجل، وإذا غطَّيت الرِّجلَ ينكشفُ الرأس، وكان مخدَّتي من الآجر وكان وتدٌ أضع عليه ثياب المجلس، فدخل واحدٌ يوماً ورآني بهذه الحالة، فعضَّ الأصابع، وبكى، وكان على رأسه عِمامةٌ، فأخذها ووضعها، وذهب.

قال شيخ الإسلام: ما كان لي قدرةٌ أن أُعطي الفقراء[1] شيئاً، ولا أطلبُ شيئاً من أحدٍ، وما كان على قلبي أثقلُ من هذا، فرأى رجل في المنام دانيال[2] عليه السلام، فقال له: الدُّكانُ الفلاني أعطه عبد الله، حتى يُعطي حاصلَه للفقراء. فدانيال كفاني ذلك الشغل، وكان ذلك الرجل صاحبَ المال.

قال شيخ الإسلام: ستة أَمنان الخبزِ بدانق، وأنا آكل خضرةَ الاسفاناخ.

وقال شيخ الإسلام: في جميع عمري ما رآني الله تعالى إلى نصف النهار في طلب الدنيا، والآن فتح الله تعالى باب الدنيا، لكن مالي فيه فائدة، وإن لم أقبله أكون كافراً، وإن كان في قلبي قدرٌ منها فأكون كافراً، وإن لم أنقطع عنها ما فتح لي، وإن كان لي ملك سليمان فما لي به نفعٌ ولا راحة، وفي تلك الأيام ما رأيتُ أحداً يُعجبني أو أردته إلا ويُعطينيه.

وكان تركيٌّ ملازمَ الشيخ، ويقف على عقب الشيخ، وهو يبصر نوراً مقدار مِجنٍّ، قال يوماً الشيخ أحمد الكوفاني: أنت تبصر لذلك النور؟. قال: نعم. قال شيخ الإسلام: لا يرى، لكن ما أراد أن يقول لا، وذهب ذلك التركيُّ إلى الحجِّ، ورجع فما رأى ذلك النور، قال شيخ الإسلام: قال التُّركي: الآن بأيِّ سببٍ ما أرى النور؟. قلت: الآن تحسبُ نفسَك من المغفورين، وترى نفسَك كبيراً، وتقول إني حججتُ، وأنا رجل حاجي، وفي تلك الأيام ترى نفسك مفلساً ومتعطِّشاً.

قال شيخ الإسلام: لكلِّ واحدٍ صنم ـ يعني معشوق ـ وصنمي أيام بهار؛ لأني أحبُّ بهار ـ والبهار هو الربيع ـ وكان الزمان حاراً، وكمل جميع الأزهار،

---

(١) في (ح): القراء.

(٢) دانيال: فتى إسرائيلي، عاش في القرن السادس ق.م، وقع في الأسر، ونقل إلى بابل من أورشليم بعد استيلاء نَبوخَذنُصَّر عليها، حاول الكلدانيون تغيير عقيدته هو ورفقاؤه، فلم ينجحوا، مشهور بالحكمة وتأويل الأحلام، ويروي سفر دانيال في العهد القديم نجاته وأصحابه من أتون النار. الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٧٧٩.

وأرادت نفسي أن تتفرَّج، حتى تفرح العين، فذهبت كازاركاه[1]، فرأيت في بستانٍ زهرةَ لاله[2] على قدر سُكرّجةٍ[3]، في غاية الطراوة والحسن وما رأيت مثلها.

قال شيخ الإسلام: كنتُ مقبوضاً في غاية القبض، وكنتُ جالساً على باب الدار، ولا أعرف سببَ القبض، فهبَّ الهواء، ونزل عليَّ قرطاسٌ مُثمَّنٌ من فوق، ومكتوب فيه بخطٍّ أحمرَ: فرج، فرج.

قال شيخ الإسلام: كان الشيخ أبو الخير التيناتي مجاوراً في مكَّة إلى ثماني سنين، وما سأل من أحد، وهذا صعب، إن لم يكن شيءٌ في ملكه ولا يسأل، فوقت إلى ثمانية أيام ولياليها ما أكلَ شيئاً، وكان مريضاً، فحصل الضعف قوياً، فذهب إلى المقام، فوصلَ بحيلةٍ إلى مقام إبراهيم حتى يُصلي الركعتين، فمن الضعفِ غلبَ عليه النوم، فرأى الله تعالى في الرُّؤيا، قال الله تعالى له: ما تريد ؟. قال: إشرافٌ على المملكة. قال: أُعطيتَ، ثم ما تُريد ؟. قال: الحكمة. قال: أُعطيتَ. فانتبه، قال شيخ الإسلام: الإشرافُ على المملكة هو أن تنظرَ على الرؤوس بخطٍّ أبيضَ أنه سعيد، وعلى بعض الرؤوس أنه شقي. وقال آخر: من يتوجَّه إلى الحج أنظره.

قال شيخ الإسلام: لا ينبغي لي أن أعرف من الشقي؛ لأنه ما فيه كرامة، فأكون مغموماً محزوناً للغير، وأنا في القبيح لا أنظرُ، أمَّا في الخير أنظر، وأقولُ مقام الرجال بنظرة واحدة، وأما الشقاوة ما أعلم، ولا أُريد أن أعلم، يعني إن أردته أعلم.

---

(١) انظر الحاشية (١) صفحة (٣٤٣).

(٢) لاله: كل زهرة تنبت بنفسها في المناطق الرطبة، وخاصة شقائق النعمان. المعجم الذهبي (فارسي ـ عربي) تأليف محمد التونجي.

(٣) السُّكُرُّجة: قصاع صغار يؤكل فيها، وهي كبرى تحمل ست أواق، وصغرى ثلاث أواق. وكانت العرب تستعملها في الكوامخ وأشباهها من الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتشهي والهضم. متن اللغة (سكرج).

قال شيخ الإسلام: لا يُخلُّوني أفرِّق بين أهلِ الولاية وغيرها، فأردتُ وقتاً أن أفرِّقَ فمنعني.

قال شيخ الإسلام: من يقول بالفِراسة، ويعلم ما يقول، وينظر ما يقول، فهذه الرؤية بالفراسة تكون مستمرةً، ومن تكون له هذه الرؤية مرةً، ولا تكون مرة، ووقت الغلبة والصولة يقولُ، وذلك الكلام يجري على لسانه، فهو الحقيقة والفِراسة الصحيحة، لا يكون له شعور بها، فعندكم أيُّهما أحسن؟.
فقال الأول: الذي يكونُ له الفراسة على الدوام، فهو أهل الولاية، وأكثر ما يكون للأبدال والأبرار والزهاد. والثاني: الذي ما كان له الاستقرار، فوقتٌ كان، ووقت ما كان، ووقتٌ يستره، ووقتٌ يكشف، فمثل هذا إن قال بطريق الهزل يكون حقيقة، و إن قال بالغفلة وحفظه الناس كان كما قال.

قال جامع مقامات شيخ الإسلام: إن شيخَ الإسلام كان هكذا.

قال شيخ الإسلام: كان أبو الحسين الدرَّاج يتمنَّى زيارة يوسف بن الحسين، وجاء بقرية الرَّي واحدٌ، وكلُّ من سأله عنه، قال: هو زنديق، مالك به. فبعد شهرٍ كاملٍ جاء عنده، فقال يوسف: أتحفظُ من الأبيات شيئاً؟. قال: نعم. فكان يحفظُ بيتاً عربياً، فقرأ ذلك البيت، فاضطرب يوسف بن الحسين في السماع، وبكى، فخرج من عينه دموعٌ كأنها طوفان، قال: يا أبا الحسين، لا يعجبك، لأنك اليوم شهر كامل تدور في قرية الرَّي، وتسأل حالي من الناس، ويقولون هو زنديق، مالك به، فإنِّي وقت الصبح قرأتُ القرآن، وما رقَّ قلبي، من قراءة بيتٍ واحدٍ نظرت كيف كان حالي؟. قال شيخ الإسلام: ما أعلم هل يعرفه، أو لبس عليه. و قال في غلبة الحال: وهذا أقوى من الأول.

وتفصيل الحكميات[1] والنكت التي جرت على لسان شيخ الإسلام كان متعسّراً بل متعذراً، فأكثرها مضى، وبعضُها عسى أن يجيء إن شاء الله تعالى، وهنا وقع الاقتصار والاختصار.

---

(١) في (ب): والحكايات.

وتوفي يوم الجمعة ثاني عشرين ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربع مئة، وكان عمره أربع وثمانون سنة.

* * *

(٤٢٢) أبو الليث الفُوشنجي[*]

الشيخ أبو الليث الفُوشنجي[1] رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: أبو الليث الفُوشنجي كان كبيراً، وعارفاً، ويمشي حافياً.

قال أبو الليث: جئتُ من فُوشَنْج[2] إلى هراة، ووقفتُ هناك مدةً طويلة، بسبب هذا كنت ماشياً على قبور، وكانت عجوزة جالسةً على قبرٍ، وتقول: فؤاد الأم، ووحيد الأم. فحصلَ لي حالٌ من استماع كلامها.

قال شيخ الإسلام: كان أبو وائل شقيقُ بن سلمة الكوفي من كبار التابعين، وكلَّما يسمعُ النوح يَبكي.

قال واحدٌ من هذه الطائفة: التلذُّذُ بالبكاء ثمنُ البكاء.

قال شيخ الإسلام: إنَّ المُفارق لصحبتك يلتذُّ من بكاء الحسرة، وصاحبُ الوجد ما يعرفُ اللذَّة.

وقبر أبي الليث الفُوشنجي في ممشى بستان، فلمَّا مات الفُوشنجي، بنى أصحابُه بيتاً على قبره، وجعلوا فيه أربعَ طاقات، وكانوا فيه، و إذا ماتَ واحدٌ منهم يدفنونه عند قبره، حتى ماتوا كلُّهم رحمهم الله تعالى.

وكان الشيخ عمّو يقول: هذا قبرُ فلان، وهذا قبر فلان. ويورّيني قبورَهم

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في المطبوع (ف): القوشنجي.

(٢) فُوشَنْج: ويقال بالباء بُوشنج، والعجم يقولون بوشنك، وهي بليدة بينها وبين هراة عشرة فراسخ، في واد كثير الشجر والفواكه، وأكثر خيرات مدينة هراة مجلوبة منها.

وقبرَه، فكان شيخ الإسلام يُعجبه طريقتُهم، ويحبُّهم لاستقامتهم.

وقال: إنه قال محمد بن عبد الله كازر[1]: ما كان فيَّ حسناتٌ كلُّها من أبي الليث الفُوشنجي، الذي قال: عندي سرُّه، وكان في حلقي لذَّتُهُ باق.

قيل: إن وقتاً أبو الليث الفُوشنجي غرق في هراة، وكان يَضطربُ، ويقول: يا الله، الآن أخذتني، ليس لي قدرةٌ أن أجيء، وإن تُخرجني بالسلامة، أقرأُ ثلاث مرَّات ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. قال: فخلَّصني الله تعالى منها، واليوم تسع سنين أجتهد ليلاً نهاراً أن أقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فما أقدرُ أن أقرأ، فكلَّما أقول ﴿أحد﴾ يقول المولى: أنا هو الذي أنت تقول، وتعرفُ من الأحد؟ فأرجعُ إلى أولها.

* * *

(٤٢٣) محمد بن عبد الله الغسَّال الهروي(*)

محمد بن عبد الله الغسَّال الهرويِ[2] رحمه الله تعالى، كان أكبرَ من كان في هذه الطائفة في هراة، وكان صاحبَ كرامات، وذُكر في التاريخ أنه محمد بن عبد الله القصار الهروي.

من فتيان مشايخ هراة، من أفتى المشايخِ في وقته، وأحسنِهم هدياً، وخُلقاً، وطريقةً، وكان الخواجه أبو عبد الله بن أبي ذهل يعتقده، ويخدمه خدمةً كثيرة.

وقال مرَّةً: يا خواجه، تخدمني مثل هذه الخدمة، لكنَّكَ في الآخر تخرجني من المدينة! قال: أنا؟. قال: أنت. فبعد مدَّةٍ، كان أبو عبد الله رئيسَ الهري[3] ومحمد بن عبد الله الغسَّال يتكلَّمُ كلاماً حسناً في المعاملة، وتركِ

---

(١) كازر بالفارسية: الغسَّال، القصار. وهو صاحب الترجمة التالية.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في (ص): العساب.

(٣) رئيس هراة.

الدنيا، وكلامه يؤثِّرُ في قلوب الناس، فأكثرُ الناس تركوا الدنيا، وخرجوا من أملاكهم، واختاروا الخلوة والعزلةَ، فأخرجه الخواجه أبو عبد الله، وقال: ينبغي الخروج من المدينة إلى خارج المدينة، لأن كلامك يتضرَّرُ به النّاس. يعني إذا تركوا الناس الدنيا ينتقصُ مالُ السلطان.

والخواجه أبو عبد الله إلى أربعِ سنين خدمَ الشبلي، ولم يسأله مسألةً، وأنفق مالاً كثيراً عليه، وكان الشبلي يقول له: جوادُ خُراسان.

وكان حافظاً، وثقةً، ومكثراً.

* * *

(٣٢٤) قربنج (*)

قربنج رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: كان شيخاً فقيراً كبيراً، وصاحبَ الولاية والفراسة، وقبره في كازركاه[1].

وصل إليه الخواجه [أبو] عبد الله بن أبي ذهل، وقال: يا ولدي ابن أبي ذهل، متى يكون جلساؤك تحت جلسائي؟. قال الخواجه [أبو] عبد الله: يا خواجه، هذا لا يمكن[2]. وقال: يا ولد ابن أبي ذهل، لا تتعب، كيف تكون اللذة لمّا يجلسوني فوق ويجلسونك تحت؟. فما مضى أسبوعٌ حتى أمره سلطان خراسان: أن تبّنوه في القلعة الفلانية. وخلّوه في طاقٍ، وبنوا حواليه، وخلُّوه حتى مات.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) انظر الحاشية (١) صفحة (٣٤٣).

(٢) في (ب): هذا لا يكن.

(٤٢٥) خيرجه(*)

خواجه خيرجه رحمه الله.

قال شيخ الإسلام: كان خيرجه عبداً مملوكاً، وقبره في كازركاه[1]، ولمَّا رأى مولاه له كراماتٌ عظيمة، أعتقه، وجاء به إلى كازركاه، وبنى بيتاً صغيراً، وجلس فيه حتى مات.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيتُ ولد مولاه وهو يحكي لي عنه حكايات، وقال: وقت جاءَ السيلُ، فطلع على صخرةٍ، يقول: إلهي، من يُريد الدراهم تُعطيه، ومن يُريد الذهب تعطيه، ومن يُريد العبيد والأرض تعطيه، وممَّا يريد، وما تريد تعطيه، وأنت تكفي خيرجه.

قال شيخ الإسلام: حاله محلُّ الغيرة، أمَّا الاختيار اختيار الله، فالعبدُ لا يكون له سببٌ، ولا علَّةٌ، بلالُ الذي كان عبداً حبشياً جذبه، وأبو جهل، وعُتبة، وشيبة، كانوا من ساداتِ مكَّة فردَّهم، وهو ما فعل، وهم ما فعلوا، فكلُّها على عنايته وقسمته، ولا يقدرُ أحدٌ أن يتكلَّم به.

قال شيخ الإسلام: إذا مرضَ واحدٌ أو ابتُلي أحدٌ ببلاء يذهبُ عنده، فيقرأُ الفاتحة، وينفخُ عليه، ويعطيه الله تعالى الصِّحة بالفور.

وكان عالمٌ فاضلٌ أوجعه ضرسُه، فجاء عند خيرجه، وخيرجه لا يقدرُ أن يقرأ الفاتحة صحيحاً، فقرأ، ونفخ، فزال وجعُ ضرسه، قال العالم: يا خيرجه، لا تقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ صحيحاً، فأعلمكها صحيحاً؟ قال: لا. وقال له: أنت تصلح قلبك.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(1) انظر الحاشية (1) صفحة ٣٤٣.

قال شيخ الإسلام: أنا سمعت من الخرقاني يقرأ: الهمد لله؛ لأنَّه كان أميًا، لا يقدرُ أن يقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وهو كان سيداً، وغوثَ زمانه.

* * *

(٤٢٦) أحمد بن عبد الرحمن الماليني(*)

أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن بن نصر الماليني رحمه الله تعالى، هو من أشرافِ مشايخ هراة، ومن أقران الشيخ عمّو، وحجَّ حجة الإسلام معه، وزارَ مشايخَ الحرم، وصحبهم.

وكان عالماً بعلوم الظاهر والباطن، وكان وحيدَ زمانه في الزهد والورع، وله شأنٌ في التجريد وترك الدنيا، وكلامُه كان مؤثِّراً في قلوب الناس، وذو كرامة وولاية.

ومن أصحابه عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم.

قال عبد الله بن محمد: قال شيخي أبو عبد الله أحمد بن نصر: يا عبد الله، اذهب إلى مكَّة، وقل لفلان افعل كذا وكذا. فلمَّا مشيتُ أقداماً، وجدتُ نفسي في مكة، وقلتُ له ما قال شيخي، ثم وجدتُ نفسي عند الشيخ قبل صلاة الظهر، ولمَّا ودَّيت كلامَ الشيخ أردتُ أن أحجَّ، فقال ذلك الرجل: ارجع عند شيخك، ولا تخالفْ أمره، وإلا لا تقدرُ أن تتَّصلَ بشيخك إلا بعد ثلاثة أشهر.

وقبره في مَالين[1] الهراة.

وكان شيخ الإسلام قدس سره، في بداية الحال يزوره كثيراً.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. في المطبوع الفارسي: أحمد بن أبي عبد الرحمن بن نصر.

(١) مالين: كورة ذات قرى مجتمعة على فرسخين من هراة. معجم البلدان.

(٤٢٧) أبو نصر بن أبي جعفر بن إسحاق الهروي الخانجه بادي(*)

أبو نصر بن أبي جعفر بن إسحاق الهروي الخانجه بادي قدّس سرُّه.

وقيل: أبو نصر محمد بن أحمد بن أبي جعفر، كان عالماً بعلوم الظاهر والباطن، وكان أفقهَ أهلِ زمانه، وأصلُه من كرمان.

وكانَ سببُ توبته أن يوماً جاء رجلٌ يستفتي، وقال: ما يقول أئمَّةُ الدين في هذه المسألة؛ كان رجلٌ في حداثةِ السنِّ، وضرب عصاً بالغضب على وجه الحمار، فالحمار حوَّل الوجهَ، وقال: يا شاب، صيَّرتَ الغضب على المظلوم، أما يوم الحساب والجزاء كيف تردُّ الجواب ؟ وكيف تخرج من هذه العهدة ؟، فاليوم عشرين سنة يبكي ذلك الرجلُ، وصارت دموعُه دماً، فكيف يكون حكم طهارته وصلاته ؟ فلمّا قرأ أبو نصر تلك الفتوى، خرَّ من هيبته مغشياً عليه، فلمَّا أفاقَ، تابَ واستغفرَ، واختار صحبتَهُ، فلمَّا وصلَ منزله مات ذلك الرجل، فرأى شيخاً نورانياً، وشعرَه أبيضَ، ودماً سائلاً يابساً على خدِّه، لكنَّه كان ضاحكاً، فأعجبَ أبا نصر ضحكُهُ، وجهَّزوه، وكفَّنوه، وصلُّوا عليه، ودفنوه، فرجع أبو نصر باكياً، فاستقبله شيخٌ، وقال: يا شاب، ما يُبكيك، أقرأتَ آيةً من كتاب الله وما علمت بها، أم شيء آخر ؟ لأن بكاءك يُشبه بكاءَ محروق الذيل[1]، لا محروق القلب. ولما قال الشيخ ذلك غاب عنه.

وزاد على الشيخ أبي نصر نارُ الطلب والعشق والمحبّة، فخرج من الأسباب وغيرها، واختار السفرَ والسياحة.

وقيل إنه خدم ثلاث مئة شيخ، وصحب الخضر عليه السلام في حرم مكَّة

(*) مجمل فصيحي ٢/ ٢١٤ حوادث سنة ٥٠٠هـ وفاة أبي نصر محمد بن أحمد بن أبي جعفر بن أبي إسحاق الهروي المعروف بالشيخ أبي نصر الطبسي. ويعرف أيضا بشيخ إبراوه.

(١) في (ص) المحروق الذليل.

والمدينة وبيت المقدس، وكان مرتاضاً وعبَّاداً، ورجع في آخر عمره إلى هراة، وكان عمره أربعاً وعشرين ومئة سنة.

وتوفي في سنة خمس مئة، وقبره في خانجاه بآد بهراة يُزار ويُتبرَّكُ به.

* * *

(٤٢٨) سلطان مجد الدين طالبه (*)

سلطان مجد الدين طالبه قدس الله سره، قيل: كان عَسكرياً، فتركها، وكان وحيدَ عصره في الترك والتَّجريد والتوكُّل.

والشيخ محمد الدولابي كان من الأبدال، وكان ساكناً في جامع هراة، فيوماً كان نائماً، وصَبَّ ماءَ ركوته، فجاء خادمُ المسجد، وحسبَ أنَّه بالَ، فضربه، حتى جميع أعضائه صارت مجروحةً، فمحمد الدُّولابي صاح صيحةً وذهب، وكان ذلك المسجد من خشبٍ، فظهرت نارٌ وأحرقت المسجدَ، ووصلتِ النارُ إلى سوق جملة فروشان، فأخبروا السلطان مجدَ الدين طالبه فتعقَّبه، فلمَّا وصل إليه، قال: يا دُولابي، لِمَ تحرقُ بلادَ المسلمين؟. فرجع الدولابي، ودموعُ العين منه تصبُّ على النار، فتنطفئُ النار، وأنشد هذا الرباعي:

إن نـاراً رأيتُمـوهـا عشـاءً تتلظَّـى لـولا انسكـابُ دمـوعـي
أحـرقـتْ سـائـرَ البـلادِ ومـرَّت بـأجـاريـع سـوقكـم والـربـوعِ
وهـي مـع فعلهـا تعلَّمـتِ الإحـراق مـن نـارِ قلبـي المـوجـوعِ

وقيل: إن وقتاً جاء سيلٌ عظيم، وكان قريب أن يأخذ هراة، فأخبروا السلطان مجد الدين، فقال: خذوا خِرقتي، وضعوها على سُبل السيل. فعملوا ما أمرهم، فانقطع السيلُ في الحال.

وكان الإمام فخرُ الدين الرازي في زمانه، ويتفاخرُ بصحبته، ويطلب

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

التقرُّبَ منه، فلمَّا توفي دفنوه في داخل هراة، بين درب خُشْك[1]، وفيروزآباد[2].

والشيخ محمود الأشنوي رحمه الله تعالى، صاحبُ رسالة «غاية الإمكان في معرفة الزمان والمكان»[3] مدفونٌ في قبَّته، ومحمود الأشنوي من أصحابِ وتلامذة مولانا شمس الدين محمد بن عبد الملك الديلمي رحمه الله، وكان الشيخ محمود من أكابرِ المشايخ ومحققيهم، وكلامُه في حقيقةِ الزمان، وتحقيقه في مصنفاته لا يوجد مثلُه في غيرها.

* * *

(٤٢٩) المختار بن محمد بن أحمد الهروي[*]

أبو عبد الله المختار بن محمد بن أحمد الهروي رحمه الله تعالى، هو من أكابر مشايخ هراة، وكان جامعاً بين علم الباطن والظاهر، وكان صاحبَ كرامةٍ وولاية.

وقيل: إنهم وجدوا في اللوح الذي كان على قبره؛ مات في سنة سبع وسبعين ومئتين.

من كلامه، قال: كُلِ الطَّعامَ، لا يأكلْكَ الطَّعامُ، فإن أكلتَه يكون نوراً وصفاء، وإلاَّ يكون دخاناً، ويكون لباسك يحرق[4] التفاخر والرعونة والخيلاء، ولا تلبس اللباس الذي يَزِيدُ غَمًّا[5].

---

(١) خُشْك: باب من أبواب هراة، يقال له: دَرخُشْك. معجم البلدان،

(٢) فِيرُوزآباد: موضع بظاهر هراة، فيه خانقاه للصوفية، ومعناه أتمُّ دولة. انظر معجم البلدان.

(٣) كشف الظنون ١١٩٠.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤) في (ص): بخرق.

(٥) في (ب): يزيدهما.

وأيضاً عنه قال: بأيِّ شغلٍ تكون مشغولاً، فكن هكذا حتى لو جاء عزرائيل عليه السلام، فلا ينبغي لك أن تتوجَّهَ بشغلٍ آخر، فجميع حالاتك يكون حالك، إن كان الطعام، أو أمر مباح، ينبغي أن يكون باطنُك خالصاً لله، ونيَّتُكَ في جميع الأفعال رضا الله، وحفظ الشرع.

وأيضاً عنه، قال: إن أصلَ العبودية أن تكون أعمالُك كلُّها ظاهرُك موافق الشرع، وباطنك فارغاً عن غير الله تعالى.

وكان له أصحابٌ كثيرةٌ، كلُّهم أصحابُ الولاية والكرامة، ومنهم:

أبو يعلى بن مختار العلوي الحسيني[1] رحمه الله تعالى، يُنقلُ عنه الكراماتُ، وخرقُ العادات كثيراً، وكان مشهوراً بالسيد الإمام. وقبره أسفل من قبر أبي عبد الله المختار، إلى جانب رجله.

وأبو عثمان الفقيه المرغزي رحمه الله تعالى ومن غاية الشوق، واحتراقِ الباطن، صار لقبه مَحروقاً، وله وقائع غريبة عجيبة.

وقيل: إن اليوم الذي مات السيد الإمام في هراة، وأبو عثمان كان في مروالرُّوذ، فوقع عليه مصيبةٌ عظيمة، حتى اضطربَ، وجاء هراة، قالوا في ذلك الوقت: مات السيدُ الإمام. فكان اضطرابه وقلقه من موت الإمام، فلمّا ماتَ أبو عثمان، دفنوه في خانجه باد، تحت قبر عبد الواحد بن مسلم.

* * *

(٤٣٠) أبو ذر البوزجاني(*)

الشيخ أبو ذر البُوزْجاني[2] رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام: أنا رأيت من رأى أبا ذر البوزجاني.

---

(١) في (ب): الحسني.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) البوزجاني: نسبة إلى بُوزْجان: وهي بليدة بين هراة ونيسابور من بلاد خراسان.

قال صياد حمار الوحش: وقع لي في بُوزجان مصيبةٌ عظيمة، فوجدته بعد الطلب والمشقة الكثيرة.

وكان أبو ذر صاحبَ كرامات ظاهرة.

وقيل: كان في بُوزجان مدرسةٌ، ويقال: إن الشيخ أبا ذر ساكن فيها، وكان يقول لخادم المدرسة: أولياء. وكان يوماً راقداً على باب المدرسة، فجاء خادمُ المدرسة عنده، فقال: الأولياء بأيِّ شغل مشغولين؟. قال خادم المسجد: اليوم ما وجدنا الطعام. وكان في تلك المدرسة شجرةُ التوت، فقال لخادم المدرسة: اذهب، حرّك شجرةَ التوت. فلما هزَّها فما طاح من ورقها شيءٌ إلا كان ذهباً خالصاً، فجاء به عند الشيخ، فقال الشيخ: بعه، واجعل الطعام للأولياء.

ومات سُبكتُكين أبو السلطان محمود في سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، فجاء في تلك السنة لزيارة الشيخ، فالشيخ نصحَه نصيحةً شديدة، وكان السُّلطان محمود في تلك الأيام صغيراً، وجاء مع الوالد، فالشيخ التفت إليه كثيراً، وأجلسه إلى جنبه.

وهذه الأبيات من أشعاره:

يَعرفنا من كان من جِنْسنا وسائرُ النَّاسِ لنا مُنكِرُون

وأيضاً له:

إنِّي على عَيبي القديمِ الذي رأيتَني فيه بعينِ الأزلْ
فابتعتني عبداً أشراً فلا تردَّنِّيَ بعد قبولٍ حصلْ
لأنَّ عَيبي هو يا سيدي وعلمُكَ العلمُ الذي لم يَزلْ

* * *

(٤٣١) أحمد النامقي الجامي(*)

شيخ الإسلام أحمد النامقي الجامي(١) قدس الله سره، كنيته أبو نصر- أحمد بن أبي الحسن(٢)، وهو من أولاد جَرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله تعالى عنه، أسلم في السنةِ التي مات فيها رسولُ الله ﷺ. قال رضي الله عنه: **ما حجَبَني رسولُ الله ﷺ مذ أسلمتُ، ولا رآني إلاَّ تبسَّم في وجهي**(٣).

وكان طويلَ القامة، ذا جمالٍ، وكان أميرُ المؤمنين عمر رضي الله عنه، يقول له: إن جريراً يوسفُ هذه الأمة.

وأعطى الله تعالى الشيخ أحمد اثنين وأربعين ولداً، منهم تسعٌ وثلاثون ذكوراً، وثلاثٌ منهم إناث، فبعد موت الشيخ بقي له أربعة عشر ولداً، وثلاث بنات، والأربعة العشر كانوا عاملين كاملين، وأصحابَ الكرامات والولايات، وأصحاب التصانيف والمقتدى.

وكان الشيخ أحمد أمياً، وأعطاه الله توفيقَ التوبة والانقطاع، وكان عمره يومئذ اثنتين وعشرين سنة، ودخلَ الجبالَ، واختار الرِّياضة إلى سبع عشرة سنة، ولمَّا بلغَ الأربعين، جلس لإرشاد الخلق، وفتحَ الله له أبوابَ العلم اللَّدنّي، حتى صنفَ أزيدَ من ثلاث مئة فرخ(٤) قرطاس في علم التوحيد،

(*) كشف الظنون ١٩٧، ٢٢٠، ٨٧٢، ٩٨٩، ١٧٧١، إيضاح المكنون ١/ ٥٩٦، ٢/ ٧، هدية العارفين ١/ ٨٣، معجم المؤلفين ١/ ١٢٤.

(١) النامقي: نسبة إلى نامه، وهو الكتاب بالعجمية، فعرب، فقيل: نامق، وهو الذي يقرأ المناشير والكتب. اللباب ٣/ ٢٩٢.

الجامي: نسبة إلى جام، وهي قصبة بنواحي نيسابور. اللباب ١/ ٢٥٣.

(٢) في (ص): أبي الحسين.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» ٤/ ٣٥٨، ومسلم في صحيحه ٢٤٧٥ في فضائل الصحابة، باب من فضائل جرير، والترمذي ٣٨٢١ في الفضائل، باب من مناقب جرير، وابن ماجه ١٥٩ في المقدمة، باب فضل جرير.

(٤) الفَرَخُ: هو الصغير من كل شيء. وفي (ب): المرخ.

والمعرفة، وعلم السر، والحكمة، وطريق الطريقة، وأسرار الحقيقة، وما اعترضَ أحدٌ من العلماء والحكماء على مُصنفاته، بل لا يقدرُ أحدٌ أن يعترضه، وهذه المصنفات كلُّها كانت مؤيَّدةً بالكتاب والسُّنة.

وذكر الشيخ قدس الله سره في كتاب «سراج السائرين»: في سنة اثنتين وعشرين سنة أعطاني اللهُ توفيقَ التوبة، ولمَّا وصلَ عمري إلى أربعين سنة، أمرني الله تعالى بهدايةِ الخلق، فاليوم عمري اثنتين وستين سنة، أجمعُ هذه الكتب بأمر الله تعالى، وتابَ على يدي مئة وثمانون ألف رجل.

وبعد هذا، كان حيًّا زماناً طويلاً.

وذكر ولده الشيخ ظهير الدين عيسى في كتاب «رموز الحقائق»: أنه تاب على يد أبي ست مئة ألف نفر.

وكان عند الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير خرقةٌ يعبدُ اللهَ فيها، ويذكرُ أنَّها كانت خرقةَ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وورثها بطريق الوراثة من شيخٍ إلى شيخ، حتى وصلتْ إلى الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، فأمره الله تعالى أن يُسلِّمَ هذه الخرقة للشيخ أحمد النامقي، فوصَّى الشيخُ عند موته ولدَه الشيخَ أبا طاهر: أن بعد موتي يَجيءُ شابٌّ أمردُ، مخطط، طويلُ القامة، أزرقُ العين، اسمه أحمد، ويدخل من قبال الخانقاه، وأنت جالسٌ مع الجماعة على مكاني، فسلِّم له هذه الخرقة. فلمَّا جاءَ وقت وفاة الشيخ، كان ولده الشيخ أبو طاهر منتظراً أن يُقيمه مقامه، فالشيخ فتح العين، وقال: إن الولاية التي كنت مُتمنِّيها، أعطاها الله تعالى لغيرك، وعلمَ الشيخوخة[1] ضربوه على باب شارب الخمر، ومنصبي سلِّموه له. فعلم أبو طاهر ما كان، فبعد مضي سنين من موت الشيخ، رأى الشيخُ أبو طاهر في الرؤيا أن الشيخَ أبا سعيد ذاهباً مُستعجلاً مع الأصحاب، فسأله أبو طاهر: ما هذا التعجيل؟. قال الشيخُ: أنت أيضاً اذهب إليه؛ لأنه قطب الأولياء. فأراد الشيخ أن يذهب إليه، فانتبه من النوم، واليوم الثاني، كان الشيخ أبو طاهر جالساً مع الجماعة في خانقاه، فرأى الشيخ أبو

---

(١) في (ص): الشيخوخية، وانظرها صفحة (٣٠١)، الحاشية (٣).

طاهر شاباً دخل بالصِّفة التي وصفها أبوه، فعرفه أبو طاهر وعزَّزه، لكن بمقتضى البشرية صارَ محزوناً؛ لأجلِ مُفارقة الخرقة، فقال الشاب: يا شيخ، لا تجوز الخيانة في الأمانة. فانبسطَ وقتُ الشيخ أبي طاهر، فقام، وأنزل الخرقة من المكان الذي وضعها أبوه، فألبسه إياها.

وقيل: إنه لبس الخرقةَ اثنين وعشرين من المشايخ، آخرُهم الشيخ أحمد النامقي، فبعد هذا، لا يَعرفُ أحدٌ أين راحت تلك الخرقة.

وقال المشايخ: أربعون رجلاً وصلوا بمرتبة الولاية بإرادة الشيخ، منهم الشيخ أحمد النَّامقي، والخواجه أبو علي الفارمذي، وهما مشهوران.

وقال واحد من هذه الطائفة: كان الخواجه أبو علي مشرفاً على الخواطر وما كان مأذوناً بإظهاره، والشيخ أحمد النامقي كان مُشرفاً على الخواطر، وكان مأذوناً بإظهاره.

قالوا: يا أيُّها الشيخ، نحن قرأنا مقامات المشايخ، وسمعنا أحوالَ المشايخ من الثقات، فما وقفنا على حالِ أحدٍ ممَّا يظهر منك!. قال الشيخ: عملتُ في أيام الرياضة بما سمعتُ من رياضةِ المشايخ، وزدتُ عليها، فالله تعالى أكرمني بكلِّ ما أكرمَهم، وبعد أربع مئة سنة، يظهرُ واحدٌ مثلُ أحمد، ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠].

وذكر جامع مقامات الشيخ: سألتُه عن بداية حاله. قال الشيخ: كنت في اثنتين وعشرين سنة، أعطاني الله تعالى توفيقَ التوبة، وسببُ التوبة؛ أني كنت مع جماعة على اللهو والشرب بالدور، فلمَّا جاء نوبتي، طلبوا مني ذلك، وكان أحدُ الجماعة غائباً، وهو ولد رئيس العسس[1]، فقلت: حتى يرجعَ. فقالوا: لا يمكن، لعلَّه يمكثُ كثيراً. قلت: هذا سهلٌ، إذا رجع أُعطي دوراً آخر. ففعلت، فلما جاء ولد رئيس العسس، وطلب الدور، جاؤوا كلُّهم، وأكلوا الطعام، فأرسلتُ الخادم للبيت الذي فيه الخمر، فرجع الخادمُ، وقال: وجدتُ جميعَ الجرار فارغةً، ليس فيها خمر. فتعجَّبتُ، وأخفيت ذلك الحال عن

---

(١) في (ص): ولد رييس العسـسي.

الرفقاء، وطلبتُ الخمرَ من بيت واحدٍ، وأعطيتُ لهم، وتوجَّهتُ إلى قرية رذٌ[1]، وكان هناك خمرٌ، فركبتُ الحمارَ، وذهبتُ سريعاً حتى أرجع بلا توقُّفٍ، فوقف الحمار، فضربته، فلم ينفع، فتعبتُ وتعبَ الحمار، فسمعتُ صوتاً يقول: يا أحمد، لا تضربِ الحمار، فهو لا يمشي إلا بإذني، تطلبُ العذرَ من الحاكم، ولا يقبلُ عذرك، لِمَ لا تطلبُ العذر منّي، وأنا أقبلُ عذرك ؟. فخررت ساجداً، وقلت: تبتُ يا الله، وما أشربُ الخمرَ أبداً، لكن لا تُخجلْني عند أصحابي، وتأمر دابتي أن تمشي. فمشى الحمارُ بالفور، وأحضرت الخمر عندهم، فأعطوني كاساً، قلت: أنا تبت، ولا أشربُ الخمر. قالوا: يا أحمد، تسخرُ بنا، وتضحك علينا. فلحُّوا كثيراً، فسمعت صوتاً: يا أحمد، خذ وذق وذوِّقهم. فأخذتُ الكأسَ وذقته، فإذا هو عسلٌ بأمر الله تعالى، وذوَّقْتُ جميع الحاضرين، فتابوا كلُّهم، وانتشروا، فكلٌّ واحدٍ منهم اختارَ شيئاً، وأنا كنتُ متحيِّراً والهاً، فدخلتُ الجبالَ، واخترتُ الرياضة والمجاهدة، فلمَّا مضى زمانٌ، ألهمني الله تعالى: يا أحمد، ليس هذا طريقَ الحقِّ كما أنت تسلك، تركتَ أصحابَ الفروض، وما أدَّيتَ حقَّهم، وكان حقُّهم عليك واجباً. فخطرَ في خاطري أن أقول لهم: أربعين جرة خمر بيعوها، واصرفوها على نفقتكم، فإذا فرغت، تبيعوا أمراً آخر، فألهمني الله تعالى: يا أحمد، أنت أحسنُ الطالبين السالكين، توكُّلك على الخمر، لِمَ لا تتوكَّلُ على الله، حتى ترزقَ أصحابَ حقوقك ؟ فزال شعوري، فنزلت من الجبل والهاً، فدخلتُ في بيت الخمر، وأخذتُ العصا، وكسرتُ جميعَ جرارِ الخمر، فأخبروا الحاكم، أنَّ أحمدَ نزل من الجبل، وله جنون، يكسرُ جرار الخمر. فأرسل الحاكم خدّاماً، فأخرجوني من ذلك البيت، وحبسوني في اصطبل الخيل، وكنتُ مستريحاً، وأضرب اليد على اليد، وأقول هذا البيت:

مئة مرة بالرَّحا الجمل يدور فدرْ مثلها للحبيب

فالخيلُ تركت العلفَ، وصارت تضربُ رؤوسها على الجدران، وتخرجُ

---

(١) الرَّذُّ: قرية بماسبذان، بها قبر المهدي بن المنصور. معجم البلدان.

الدموع من عيونها، فجاء صاحبُ الخيل عند الحاكم، وقال: ربطتم مجنوناً في طويلة الخيل، وجميعُ الأفراس صاروا مجانين، لا يأكلون العلف، ويضربون الرأسَ على الجدران. فجاء الحاكم، وطلب مني العذر، وأخرجني منها، فذهبتُ إلى الجبال، وما خرجت منها سنوناً، إن الله تعالى بخزانة الجود والكرم، أعطى لكلِّ صاحبِ حقٍّ واحد منا من برٍّ يجده تحت مخدَّته، وكان يكفي كلَّ واحدٍ، وإن نزلَ ضيفٌ جاء ما يكفيه أيضاً.

قال الخواجه أبو القاسم كرد، وكان كثيرَ المال، وأهل الخير: وقع عليَّ حادثٌ، ذهب مالي وأسبابي كلُّها، حتى صرت مُضطراً للقمة، وكنتُ كثيرَ العيال، ولا يعرفُ أحدٌ حالي، وأزور المشايخ والعلماء والقبورَ، وأستمدُّ منهم، ويوماً كنت في غايةِ التَّضيق، فجلستُ في المسجد، فدخلَ شيخٌ نورانيٌّ وركعَ ركعتين، فجاء عندي وسلَّم عليَّ، فحصل لي تخشُّعٌ، حتى ارعدتُ من الفرقِ حتى القدم، فسألني: لِمَ أنتَ مقبوضٌ، متضيِّقُ القلب؟. فقصصتُ القصَّة على ما كان، فقال: أنت تعرفُ أحمد بن [أبي] الحسن، هو مقيم في ظاهر هذا الجبل؟ قلت: نعم، بيني وبينه مودَّةٌ قوية قديمة. قال: قم اذهب عنده، لأنَّه صاحبُ الكرامة، عسى أن يوسع رزقَكَ. فذهبتُ، وسلَّمت عليه، فردَّ جواب السلام، وسألني: كيف حالك؟. قلت: لا تسأل. فذكرتُ الحال من أوله إلى آخره، فقال: خاطري كان مُنجذباً إليك. ففهمتُ أنَّه وقعَ عليك شيءٌ، فقال: قم اذهب، لا تشغل خاطرك، يسهِّلُ الله تعالى، إن شاء الله تعالى، أدعو لك الليلةَ، وانتظرْ مجيءَ الجواب. فصباحه جئتُ عنده، فلما رآني، قال: ادن منِّي، كفى اللهُ تعالى حاجتك، فقال: كلَّ يومٍ أيَّ قدرٍ يكون كفايتك؟. قلت: أربع دوانق. قال: خذ كلَّ يومٍ من هذا الحجر أربعَ دوانق، قد أحالك الله عليه. قال بعض أفاضل الزمان:

صدقُ[1] اضطرار العبد اسم أعظم أبداً يُجيبُ به العظيمُ ويَفتحُ
بابُ الكرامة باضطرارٍ فتحُها فاضطرَّ يُكرمْكَ المُجيبُ ويَمنحُ

---

(١) في (ص): صر اضطرار.

باب الكرامة قد فتَحها أحمدٌ للصَّادقِ الكرديِّ فاضطرَّ تربحُ

فذهبتُ عند ذلك الحجر، فرأيت دراهم عنده، فأخذتُها، وجئت عند الشيخ، وقلت: يا شيخ أنا رجل كبيرُ السن، وأولادي أكثرهم صغار، وبعدي كيف يكون حالُهم ؟. فقال: يكونُ هذا باقياً، إن لم تقعِ الخيانة. فكان هذا مُستمراً، فلمَّا وقع من أحدٍ من أولاده خيانةٌ، انقطع.

فلمَّا عزم الشيخ إلى هراة، ووصل بقرية شكيبان، ومن كان مع الشيخ من الأكابر سألوا الشيخ: تدخل في هراة ؟. قال: إن لم يُدخلني فلا أدخلُ، لأن المشايخَ الماضية قالوا: هراة حديقةُ الأنصار. فأُخبرَ بهذا الخبر جابرُ بنُ عبد الله، قال: أنا أذهبُ، وأحمله على كتفي، وأُدخله في مدينة هراة. فأخرجوا محفَّةَ أبيه شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس الله سره، فنادى المنادي: أن تخرجَ جميعُ الأكابر لاستقبال الشيخ أحمد النامقي، فلمَّا وصلوا بقرية شكيبان، ودخلوا عليه، ووقع نظرُ الشيخ عليهم، زالَ شعورهم من هيبته وعظمته، فاليوم الثاني، أحضروا المحفَّة، وقالوا: يا شيخ، نوينا أن نحملَ محفَّتكم إلى مدينة هراة. فأجابَ الشيخُ، وركبَ المحفَّةَ، وحملوه، وكان من جانب مقدّم المحفَّة جابرُ بن عبد الله، والقاضي أبو الفضل يحيى، وجانب عقبها الإمام ظهير الدين، والإمام فخر الدين علي بن هيصم، ولم يعطوا غيرهم، والشيخ كان ساكتاً، فبعد ساعةٍ قال الشيخ: ضعوا المحفَّةَ حتى أتكلَّمَ معكم، فقال الشيخ: أتعرفون ما الإرادة ؟. قالوا: أنت تقولُ يا شيخ. قال: الإرادة الانقياد للحكم. قالوا: نعم. فقال الشيخ: أنتم تركبوا حتَّى يحملَ المحفَّةَ غيرُكم. فركبوا، وحمل المحفَّةَ جماعةٌ أُخر بالنوبة، وبعضهم ما وجدوا النوبة، فأنزلوه في خانقاه الخواجه عبد الله الأنصاري.

وكان في هراة رجل اسمه عبد الله الزاهد، وكان مدة ثلاثين سنة يصومُ الوصالَ، وكان مقبولاً عند الخلائق، فأعطاه واحدٌ بنتَه، فمضى عليه اثنتا عشرة سنة، ولا تصرُّف فيها، وما زالت بكراً، فلمَّا وصلَ الشيخ أحمد النامقي إلى هراة، قال الزاهد لزوجته: هاتي ثيابي، أذهب إلى هذا الشيخ، الذي يقول الناس رجل كذا وكذا، أبصرُ كيف حاله. قالت: يا سيدي، بطريق الامتحان

لا تذهب عنده، لأنَّه صاحبُ كشفٍ وكرامات، ما هو كما أنت حسبت، وإن كان تنقادُ لأمره فيها، وإلا تتضرَّر. قال الزاهد: هاتي ثوبي، أنت لا تعرفي. فلبسَ الثياب، ودخل على الشيخ، وسلَّم عليه، فالشيخُ ردَّ سلامَه، وقال: يا زاهد، إذا عزمتَ لزيارتي احفظ ما قالت امرأتُك، تنقادُ لأمري أم لا ؟. قال الزاهد: إن كان كلامُكَ صحيحاً لِمَ لا أقبل ؟! قال الشيخ: ادخل السوق، واشتر لحماً من دكان محمد القصاب المروزي، وعلِّقه على خطَّافٍ، واشترِ دبساً، وسمناً، واحمل؛ لأن من حملَ سلعته فقد بَرِئَ من الكِبر، وقلْ لزوجتك تطبخه، ومن الدبسِ تجعل الحلاوة، وتأكل معها[1]، وما كان عليك واجب اقضه، وادخل الحمام، ويكشف الله ما كنتَ طالبه، وإن لم يحصل مقصودك، فخذ ذيلي حتى أخرجَ من عهدتك. فخطرَ في خاطرِ الزاهد: يأمرني الشيخ بشيءٍ لا يكون في وسعي وطاقتي، وأنا ما وجدتُ أبداً فيَّ قوةَ هذه المدة. ففهم الشيخ ما تفكَّر فيه الزاهد، فقال الشيخ: لا تخف يا زاهد، يسهِّل الله تعالى، وإن كان لك حاجةٌ فاطلب المددَ من أحمد. فقام الزاهد، وعمل ما أمره الشيخُ، فحضَّر الطعام، وفي أثناء الطعام، حصلَ الانعاظ[2] للزاهد، فقالت امرأته: اصبر حتى أفرغ من الطعام. فلما توجَّه الزاهد، ما وجدَ القوَّةَ في نفسه، وتوجَّه إلى الشيخ، وكان الشيخُ مع الجماعة، فتبسَّم، وقال: كن مشغولاً، ولا تخف. فقضى اللهُ حاجتَه، ودخل الحمام، ولمَّا فرغَ من الغسل، انكشفَ له ما كان داخل جدران القلعة، فلمَّا جاءَ عند الشيخ، قال الشيخ: ما عليَّ شيءٌ، ما كانت همَّتُكَ إلاَّ هذا المقدار، وإن كان عوضُ جدران القلعة الأربع، يكشفُ لك جدران الدنيا كلِّها.

ويوماً دعا الشيخَ واحدٌ لضيافةٍ، فلمَّا وضعَ خادمه نعليه عند قدميه، قال الشيخ: قف ساعة. فبعد ساعةٍ دخلَ رجلٌ تركماني مع زوجته، ومعهما ابن اثنتي عشرة سنة، وفي غاية الحسن والجمال، ما كان له نظير، وكان أعمى،

(١) في (ب): وتأكل منها.
(٢) في (ص): حصل التقاضي.

فقالا: يا أيها الشيخ، أعطانا[1] الله تعالى مالاً كثيراً، ونعمةً بلا نهاية، وما أعطانا من الأولاد إلاَّ هذا الأعمى، ودرنا عند المشايخ، والعلماء، والأطباء، فما رأينا النفع، وحصلَ الاعتقادُ واليقين بك أنَّ ما تطلبه من الله يعطيك، إن تنظر إليه، فانظر إليه بعينِ الشفقة، حتى ينوِّرَ اللهُ تعالى بصره، فنحن عبيدُك ومواليك، والأموالُ كلُّها نتصدَّق عليك بها، وإن لم يحصل مقصودنا، نهلك على بابك. قال الشيخ: هذا عجيب، إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص لعيسى عليه السلام، ولا يقدرُ أحمدُ على مثل هذا. ثم مشى، فالأبوان ضربا الرأس على الجدار وغيره، فلمَّا وصلَ الشيخ إلى باب الخانقاه، حصل له حالٌ عظيمٌ، فجرى على لسانه: أنا أفعل، أنا أفعل، فسمع هذا الكلامَ من كان عنده، فرجعَ الشيخُ، ودخل الخانقاه، وجلس على دكَّةٍ، وقال: هات الولد. فأحضراه، فوضع الإبهام على عينيه، وجرَّه مثلَ الميل، وقال: انظر، بإذنِ الله عزَّ وجلَّ، فأعطاه الله البصرَ، فبعد هذا سأل الجماعةُ الشيخَ: أنت قلت أولاً هذه معجزةٌ لعيسى عليه السلام، والوقتُ الثاني قلتَ أنا أفعل، أنا أفعل، فكيف يجتمع هذان الكلامان؟ قال الشيخ: أول ما قلتُ كان كلامَ أحمد؛ لأن غير عيسى لا يقدر عليه، ولمَّا وصلت الباب، نوديت في سري: بأمري يا أحمد عيسى يحيي الموتى، ويبرئُ الأكمه، والأبرص، بل أنا أفعل، أنا أفعل. وقال: ارجعْ، فقد وضعتُ نورَ بصره في نفسِك. فغلب عليَّ هذا الحديث حتى جرى على لساني، فذلك القولِ والفعل كان من الله، لكن ظهر من نفس أحمد ويده.

ويوماً أكابرُ هراة اجتمعوا عند الشيخ، ووقعَ الكلامُ في التوحيد والمعرفة، قال الشيخ: كلامُكم بالتقليد. فتغيَّروا كلُّهم من هذا الكلام، وقالوا: كلُّنا على وحدانية الله تعالى نحفظ ألفَ دليلٍ، وتقول لنا مُقلِّدين!. قال الشيخ: وإن حفظتم عشرةَ آلاف دليل، فلا تكونوا إلاَّ مُقلِّدين. فقالوا: ينبغي لنا برهانُ هذا الكلام. فأمر الشيخ خادمه أن يحضرَ ثلاثَ حبات من اللؤلؤ وطشتاً، قال الشيخ لهم: ما كان أصلها؟. قالوا: كانت قطراتٍ من مطر نيسان، فصارت لؤلؤاً

(١) في (ص): أعطاني.

بقدرة الله تعالى. فأمر الشيخ: أن ضعوا اللؤلؤ في طشت، وقولوا بالصدق واليقين: **بسم الله الرحمن الرحيم**، فيصير هذا اللؤلؤ كما كان. قالوا: هذا أمرٌ عجيب، أنت تقول يا شيخ. قال الشيخ: أنتم تقولوا بالنوبة، فإذا وصلَ نوبتي أنا أقول. فقالوا، وكان اللؤلؤ كما كان، فلمَّا جاءَ نوبةُ الشيخ، تغيَّر حاله، واتَّصف بحالٍ غريب، فنظرَ إلى اللؤلؤ، وقال: **بسم الله الرحمن الرحيم**. فذاب، ودار الماءُ على الطشت، فقال الشيخ: **اسكن بإذن الله تعالى**. فصار اللؤلؤ الثلاث في الحال حبَّةً واحدةً، غير مخروقة، فتحيَّروا كلُّهم، واعترفوا بما قال الشيخ.

وكان ولادة شيخ الإسلام أحمد النامقي رحمه الله، في إحدى وأربعين وأربع مئة.

وتوفي في سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة.

* * *

(٤٣٢) أبو طاهر كرد(*)

الشيخ أبو طاهر كرد رحمه الله، كان بصاحب الخضر عليه السلام، وكان بينه وبين أحمد النامقي مودَّةٌ ومؤانسة، ويَزوره.

قال الشيخ أحمد النامقي: يوماً طلبت نفسي مشمشاً، فقلت لها: إن تصومي سنةً، أُطعمك المشمش. فلمَّا كملت السنة، قالت نفسي: أنا وفَّيت الوعد، وأنت أوفِ وعدك. فجئتُ إلى بستان كان من ميراثِ أبي، فلمَّا وصلتُ إلى باب البستان، رأيت مشمشةً خرجت من بطنِ ابن آوى، وكانت سالمةً، فأخذتها، وطهَّرتها، فصاحت نفسي، وقالت: يا أحمد، تُطهِّره، ثم ما تفعلُ به؟. قلت: أُطعمك؛ لأنه كان بيني وبينك وعدُ المشمش، وهذا مشمشٌ، لكنَّه في معي حيوان. فقالت نفسي: أنا ما أُريدُ منك شيئاً بعد هذا، فلا تُطعمني هذا. قلتُ: الآن أُطعمك. فدخلت البستان، وأكلتُ شيئاً، وأمسكتُ شيئاً في

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

الكم، وجئتُ عند الشيخ أبي طاهر كرد، وهو كان شيخَ الصحبة[1]، فوضعتُ ذلك المشمش قدَّام الشيخ، فنظرَ إليه زماناً، فقال: يا أحمد، جئتَ بمشمش الوقف؟. فقلت: يا شيخ، ليس هذا من الوقف، أنا جئتُ به من البستان الذي كان في مُلكي. فقال: أحسنتَ، تملكُ مال الوقف، وتحسبني أعمًى ما أعرفه. فسكتُّ من الأدب، وقلتُ في نفسي: يا الله، أنتَ تعرفُ هذا المشمش، أنا أخذتُهُ بيدي من البستان الذي ورثته من أبي، فاكشفه على الشيخ. فبعدَ ساعةٍ نادى الشيخ ولده، وقال: اذهب، واذبح كبشاً، واطبخ الشوربا؛ لأن أحمد صارَ صفراوياً من الرياضة والجوع، لا يعرف ما يفعل وما يقول. وكنت ساكتاً، فلمَّا أحضروا الطعام، فألهمني الله تعالى في قلبي أن لا آكل اللحم ولا الشوربا؛ لأنها ليست من وجهٍ حلال، وأن آكل الخبز، فقال الشيخ: لِمَ لا تأكلُ اللحمَ؟. قلت: هذا يكفيني. فلمَّا بالغ فيه، وقال: قل، لم لا تأكل؟. قلت بما كنت مُلهماً، فنادى الشيخُ ولده، فقال ولد الشيخ: كان غنمنا بعيداً، فاشتريتُ اللحمَ من دكان الجزار. فنادى الجزار، فقال الجزار: هذا الكبشُ أخذه الحاكم بالغصب من عند واحدٍ، وذبحه، وأعطاني نصفه أبيعه. فجاءَ ولد الشيخ، وأخذه، فالشيخ نكسَ الرأس، وكان متفكِّراً، وأنا قمت من عنده خجلاً مستحياً، فدخلتُ الصومعة التي كانت قريباً من بيت الشيخ، فقلت في نفسي: يا الله، ما خلَّيتَ لي أنيساً، كان هذا الشيخ أصاحبُهُ، والآن ما أقدرُ أن أُصاحبَه من الحياء. فبعد ساعةٍ، جاء الشيخ أبو طاهر عندي، وجلس، وأنا قلتُ في نفسي: يا الله، كما كشفتَ له حالَ اللحم هكذا تكشف له حال المشمش. فجاء الخضر عليه السلام، وقال: يا أبا طاهر، سمَّيتَ مُلكَ أحمد وقفاً، واللَّحمَ الحرام حلالاً، فممَّن تعلَّمتَ هذا؟، لا يصلُ أحدٌ إلى مقام أحمد، لأنه يمشي فوق الفوق.

* * *

---

(١) في (ح): شيخ العصبة.

(٤٣٣) أبو علي الفَارَمَذِي(*)

الشيخ أبو علي الفَارَمَذِي[1] قدس الله سره، اسمه فضل بن محمد.

وكان شيخَ الشيوخ بخراسان، ومُنفرداً في وقته، وله طريقةٌ خاصةٌ في الموعظة.

وكان من تلامذة الإمام أبي القاسم القشيري في التذكير والموعظة، وانتسابُه في التصوف من جانبين، أحدهما: للشيخ أبي القاسم الكركاني الطوسي، وثانيهما: للشيخ أبي الحسن الخرقاني، الذي كان مقتدى المشايخ، وقطبَ الزمان.

قال الشيخ أبو علي الفارمذي: في أيام الشبابة كنتُ في نيسابور في تحصيل علمِ الظاهر، فسمعتُ أنَّ الشيخ أبا سعيد بن أبي الخير، جاء من قرية مَيْهنة، ويعظُ الناس، فذهبتُ إليه، فلمَّا رأيت وجهَه المبارك، صرتُ عاشقاً له، وزادَ حبُّ هذه الطائفة في قلبي، وكنت يوماً جالساً في البيت الذي أدرس فيه، فجاء في خاطري أن أذهبَ عند الشيخ، وما كان وقت خروج الشيخ من بيته، فقلتُ: اصبر، فزال صبري، فخرجتُ، فلمَّا وصلت وسط السوق، رأيتُ الشيخ مع الجماعة ذاهبين، وأنا مشيت على إثره، فدخلَ الشيخُ وجماعته في بيتٍ، وأنا دخلت أيضاً، فجلستُ بعيداً منهم، حتى لا يراني الشيخ، فلمَّا اشتغلوا بالسماع، وحصل للشيخ وقتٌ ووجدٌ شقَّ ثوبه، فلمَّا فرغوا من السماع، أخرجَ الشيخُ ثوبَه وقطعه، فأخذ كماً مع تخريصة، وصاحَ بصوتٍ عالٍ، وقال: يا أبا علي الطوسي، أين أنت؟. فما ردَّيت الجواب؛ لأنه ما رآني، ولا يعرفني،

(*) الأنساب ٩/ ٢١٩، معجم البلدان ٤/ ٢٢٨، اللباب ٢/ ٤٠٥، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٦٥، العبر ٣/ ٢٨٨، دول الإسلام ٢/ ٨، مرآة الجنان ٣/ ١٢٢، طبقات السبكي ٥/ ٣٠٤، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٧١، الكواكب الدرية ٢/ ١٩٦، شذرات الذهب ٣/ ٣٥٥.

(١) الفارمذي: نسبة إلى فارمذ، قرية من قرى طوس.

عسى أن يكون واحداً من مريديه، فناداني مرةً أُخرى، فما ردَّيت الجواب، فالمرةُ الثالثة، قالوا: عسى أن يُناديك الشيخ. فقمتُ وذهبتُ عنده، فأعطاني الشيخُ ذلك الكمَّ مع التخريصة، وقال: أنت بمنزلة هذا من ثوبي. فأخذته، وكنت في خدمته، وحصل لي في خدمة الشيخ فوائدُ كثيرةٌ، ونور القلب، والوجد. فلما ذهب الشيخ من نيسابور، وأنا ذهبتُ إلى أبي القاسم القشيري، وذكرتُ عنده الأحوال التي حصلت.

وكان يقول: اذهب، اقرأ العلمَ كلَّ يومٍ، ويزاد ذلك النور.

وكنت في تحصيلِ العلم إلى ثلاث سنين، ففي يوم من الأيام خرجَ القلمُ من المحبرة أبيضَ، فذهبت عند الإمام، وقلت ما جرى عليَّ، فقال الإمام: لمَّا أدبرَ العلم، أنت أدبر، وكنْ مع الله وذِكْرِه. فذهبتُ إلى المدرسة، وودَّيت الحوائجَ إلى الخانقاه، واخترتُ خدمة الإمام.

ويوماً دخل الإمام حماماً وحده، وأنا ذهبتُ وصبَّيت دلواً في مجرى الماء، فلمَّا خرجَ وصلَّى، قال: من صبَّ عليَّ الماء؟. ففكَّرتُ في نفسي، عسى وقعَ منِّي سوءُ الأدب، فسكتُّ، والشيخ يكرره، وبعد ثلاث مرار، قلتُ: أنا يا شيخ. فقال الإمام: يا أبا علي، ما وجد أبو القاسم في سبعين سنةً، أنت وجدته بدلوٍ واحدٍ.

فجلستُ عند الشيخ مدَّةً بالمُجاهدة، فيوماً حصل لي حالٌ حتى غبتُ، فقلتُ عند الإمام، فقال الإمام: إلى هنا كان مقامي، وفوقَ هذا ما لي قدرةٌ أن أُريك. ففكَّرتُ في نفسي، وقلت: ينبغي لي شيخ، حتى أترقَّى عن هذا المقام، ويزيدَ ذلك الحال. وقبل هذا سمعتُ بالشيخ أبي القاسم الكركاني، فعزمتُ إلى طوس، ولم أعرف بيته، فلمَّا وصلتُ طوس، سألتُ واحداً عن بيته، فعلَّمني، فلمَّا دخلتُ عليه، رأيته جالساً مع المريدين في المسجد، فصلَّيتُ ركعتين تحيَّةَ المسجد، ودخلتُ عليه، وكان مراقباً، منكِّسَ الرأس، فرفعَ الرأس، وقال: تعال يا أبا علي، قل ما كان عندك. فسلَّمتُ عليه، وذكرتُ الواقعةَ كلَّها، فقال أبو القاسم: باركَ لك اللهُ في بدايتك، وإلى الآن ما وصلتُ إلى مقامٍ ومنزلٍ، وإن تجد التربيةَ تتَّصل بمقامٍ عظيمٍ. فقلت في

نفسي: هذا شيخي. فأقمت عنده مدةً طويلة، وكنتُ مرتاضاً ومجاهداً، وبعده أقبل عليَّ يوماً، وأمرني بالتذكير والموعظة، وزوَّجني ابنته.

قال الخواجه [أبو] علي الفارمذي: قبل أن يجيزني شيخي جاء الشيخُ أبو سعيد من قرية مَيْهنة إلى طوس، فدخلتُ عليه، فقال: يا أبا علي، قَرُبَ أن تتكلَّمَ مثل الدرة[1]، فبعد مدةٍ قليلةٍ، أجازني شيخي، وفتح الله عليَّ بالكلام.

* * *

(٤٣٤) أبو بكر بن عبد الله الطُّوسي النسَّاج(*)

الشيخ أبو بكر بن عبد الله الطوسي النسَّاج[2] قدس الله روحه، هو أيضاً من أصحاب الشيخ أبي القاسم الكركاني، وصحبَ أبا بكر الدينوري.

سألوه: بأيِّ وجهٍ يتيسَّرُ رؤيةُ المطلوب؟. قال: ببصيرة الصدق، في مرآة الطلب.

وأيضاً عنه قال: تصوُّرُ الماء لا يُزيلُ العطش، وبتفكُّر النار لا يكون الدفء، وبدعوى الطلب لا يتَّصل بالمطلوب.

وأيضاً عنه قال: إن لم تحرق الوجود[3] الموهوم، ولم تخيِّطْ ببصيرة القلب بإبرة الغيرة عن الغير، لا يسرج بيتُ المُحبّ بشمع التجلِّيات؛ لأنَّه لا تزرعُ الأرضُ إلاَّ إذا كانت خاليةً، ولا يمكن الكتابةُ إلاَّ في قِرطاس أبيض.

وقيل: كان في بداية الحال مُجاهداً ومرتاضاً، فما وصلَ إلى المُشاهدة، فتضرَّعَ وبكى يوماً، وناجى اللهَ تعالى، فنُوديَ في سرِّه، وقال: يا نسَّاج، اقنع بألمِ الطلب والفراق، ومالك بالوصال.

وأيضاً عنه: التوكُّل الذي لا تُنظر العطاء والمنعَ إلاَّ من الله تعالى.

---

(١) الدرة: الببغاء. انظر الحاشية (١) صفحة (٢٣١).

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في (ص): النساخ.

(٣) في (ص): الجود.

وذكرَ عينُ القضاة الهمذاني في مصنفاته: قال الشيخ أحمد الغزالي: قال شيخي أبو بكر النسَّاج في مناجاته: إلهي، ما الحكمةُ في خلقي؟. فجاءَهُ الجوابُ: الحكمةُ في خلقك، رؤيتي في مِرآة روحك، ومحبَّتي في قلبك.

* * *

(٤٣٥) محمد بن محمد الغزالي الطُّوسي (*)

حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي الطوسي قدس الله تعالى سره، كنيته أبو حامد، ولقبه زينُ الدين، وانتسابُه في التصوف للشيخ أبي علي الفارَمَذي.

قال حجَّةُ الإسلام: لقد سمعتُ الشيخَ أبا علي الفارمذي، قدَّس الله روحه، عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله سره، أنه قال: إن الأسماء التِّسعةَ والتسعين تصيرُ أوصافاً للعبد السالك، وهو بعدُ في السلوك غيرُ واصل.

وكان في بداية الحال في طوس ونيسابور، مشتغلاً بتحصيل العلوم، وتكميلها، فبعده اجتمع بنظام المُلك، وحصلَ له قبولٌ تام، فمن كان في صحبة نظام المُلك من العلماء والفضلاء، باحثوه وناظروه، فغلب عليهم، ففوَّضوا إليه تدريس النِّظامية ببغداد، فذهبَ إلى بغداد في سنة أربع وثمانين

(*) تبيين كذب المفتري ٢٩١، المنتظم ٩/١٦٨، معجم البلدان ٣/ ٥٣١، اللباب ٢/٣٧٩، الكامل ١٠/٤٩١، طبقات ابن الصلاح ١/٢٤٩، وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٣٧، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢، العبر ٤/ ١٠، دول الإسلام ٢/ ٢٤، المستفاد من تاريخ بغداد ٣٧، مرآة الزمان ٨/ ٢٥، مرآة الجنان ٣/١٧٧، الوافي بالوفيات ١/ ٢٧٤، طبقات السبكي ٦/ ١٩١، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٤٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، طبقات الأولياء ١٠٣، وفيات ابن منقذ ٢٦٦، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٣، الأنس الجليل ١/ ٢٦٥، مفتاح السعادة ٢/ ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٥٠، ٥٦٠، ٥٦٢، طبقات ابن هداية ١٩٢، كشف الظنون ١٢، ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٨٢، ٩٧... الكواكب الدرية ٢/ ٢٩١، شذرات الذهب ٤/ ١٠، هدية العارفين ٢/ ٧٩، وانظر إلى كتاب: مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي، والحقيقة عند الغزالي للدكتور سليمان دينا، والأخلاق عند الغزالي للدكتور زكي مبارك، والغزالي لأحمد فريد وجدي، والغزالي لمحمد البهي.

وأربع مئة، فجميع أهل العراق صاروا مُحبِّين له، وابتُلوا بحبِّه، فحصلَ له جاهٌ وقدر رفيع، ثم تركَ ذلك كلَّه بالاختيار، واختار طريقَ الزُّهد، والانقطاع عن الخلق، فعزمَ على الحجِّ في سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مئة، فبعد الحجِّ عزمَ إلى الشام، وأقامَ فيها مدَّةً مديدةً، وذهب إلى بيت المقدس، ثم مصر، وأقام بالإسكندرية مدَّةً، ثم رجع إلى الشام، وأقام بها ما شاءَ الله، ثم رجع إلى الوطن، وكان مشغولاً بحاله عن الخلائق.

وصنَّفَ كتباً مفيدةً مثل «إحياء العلوم» و «جواهر القرآن»[1] و «تفسير ياقوت التأويل»[2] أربعون مجلداً، و «مشكاة الأنوار»[3] وغيرها من الكتب المشهورة.

ثم رجعَ إلى نيسابور، ودرَّسَ في نظَّامية بغداد، فبعد مدةٍ رجعَ إلى الوطن، فبنى خانقاه للصوفية، ولطلبةِ العلم مدرسةً، وقسَّمَ الأوقات على وظائف الخير، من ختم القرآن، وصحبة أرباب القلوب، وتدريس العلوم، حتى قُبضَ في رابع جُمادى الآخر سنة خمسٍ وخمس مئة.

قال واحدٌ من أكابر العلماء: كنتُ يوماً في المسجد الحرام، بعد الظهر قبل العصر، فأخذني وجدٌ وحالُ الفقراء، حتى تعبتُ، لا أقدرُ أن أقف، ولا أقدرُ أن أجلس، فطلبت مكاناً حتى أستريحَ ساعةً، فدخلت بيتاً من بيوت رباط الحرم، فرقدتُ على جنبي الأيمن بمواجهة البيت، وحطَّيتُ اليد تحت

---

(١) جواهر القرآن ودرره: طبع أكثر من مرة، والكتاب بيان لسرِّ القرآن، وشرح لمقاصده، ولعلوم القرآن، وفي تفضيل بعض آي القرآن على بعض. انظر مؤلفات الغزالي ١٤٣.

(٢) ياقوت التأويل تفسير التنزيل، وبعضهم رأى أنه هو جواهر القرآن، وحجته بأن الغزالي لم يؤلف إلا تفسيراً واحداً. انظر مؤلفات الغزالي ١٩٩.

(٣) ميَّز بروكلمان بين:

أ ـ مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار.

ب ـ مشكاة الأنوار.

ج ـ مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار للتحديد إلى سنن السيد المختار.

وكلها للغزالي. انظر مؤلفات الغزالي ١٩٣.

أسطوانة، حتى لا يجيءَ النومُ، ولا ينتقضَ الوضوء، فدخل واحدٌ من المُبتدعين، كان مشهوراً بالبدعة، ففرشَ السجَّادةَ بذلك البيت، وأخرجَ من جيبه لوحاً، وحسبتُ أنَّه كان من حجر، وكان عليه شيئاً مكتوباً، فقبَّله، ووضعه على مسجدِه، وطولُ الصلاةِ يتضرَّعُ، ويمسحُ الخدين عليه، ووضعه على عينه، وقبَّله، ووضعه في جيبه، فلمَّا رأيتُه كرهتُ فعله، فجاءَ في خاطري: يا ليتَ رسولَ الله ﷺ كان حيًّا، حتى يُخبرَ هذا المُبتدعَ عن شناعته، وكنت مُتفكراً فيه، فغبتُ عن الحسِّ، فرأيتُ بين النوم واليقظة فضاءً واسعاً، وناساً كثيراً واقفين، وفي يدِ كلِّ واحدٍ كتابٌ مُجلَّد، وهم يدخلون على واحدٍ، فسألتُ عن حالهم، قالوا: صلى الله عليه وسلم هناك جالسٌ، وهؤلاء أصحابُ المذاهب، يُريدون أن يقرؤوا العقائدَ والمذاهب، حتى يحقِّقوا مذاهبَهم واعتقادهم، فدخل واحدٌ، قالوا: هو الشافعي، رضي الله عنه. وفي يده كتابٌ، فدخل وسلم على رسول الله ﷺ، فردَّ جوابه، وقال: مرحباً. فجلس الشافعي عنده[1]، وقرأ كتابه الذي كان عنده في الاعتقاد والمذهب، فدخلَ رجلٌ آخر، وقالوا: هو أبو حنيفة، رضي الله عنه. وكان في يده كتاب، وجلسَ عند الشافعي، وقرأ من ذلك الكتاب الاعتقاد والمذهب، هكذا يجيءُ أصحابُ المذاهب، واحدٌ بعد واحد، حتى ما بقي أحدٌ، فرأيتُ واحداً من الروافض دخلَ وفي يده كتاب غيرُ مجلَّدٍ، فيه اعتقاداتهم الباطلة، وأراد أن يدخلَ في وسط حلقتهم، ويقرأ عند رسول الله ﷺ، فخرج واحدٌ من تلك الحلقة، ومنعه، وأخذَ كراريسه من يده، ورمى بها، وأهانه، فلمَّا رأيتهم فرغوا، وما بقي أحدٌ، أقبلتُ وفي يدي كتابٌ مجلد، فصحتُ، وقلت: يا رسولَ الله، هذا الكتاب في اعتقادي، واعتقاد أهل الإسلام، فإن كان إذنكم يا رسول الله أقرأ. قال ﷺ: ما الكتاب؟. قلت: «قواعدُ العقائد»[2] من مصنَّفات الغزالي.

---

(١) في (ص): فجلس الشافعي رضي الله عنه.

(٢) قواعد العقائد، ويسمى أيضاً: الرسالة القدسية في قواعد العقائد، والتسمية الثانية تشير إلى أنه ألف في القدس. والكتاب قسم من كتاب الإحياء، لكنها أفردت على حدة منذ زمن بعيد، وقد أشار له الغزالي في مؤلفه التهافت: وأما إثبات المذهب الحق=

فأذنَ لي بقراءته، فجلستُ، وابتدأتُ القراءة من أولها، إلى المحلِّ الذي قال الغزالي: **إن اللهَ بعثَ النبيَّ الأميَّ القرشي محمداً ﷺ إلى كافة العرب والعجم، والجنِّ والإنس.** فلمَّا قرأتُه ظهرَ على وجه النبي ﷺ أثرُ السرور والبشر، فلمَّا قرأتُ نعتَه وصفته، التفتَ إليَّ، وقال: أين الغزالي؟. وكان الغزالي واقفاً، قال: أنا الغزالي، يا رسول الله. وجاء، وسلَّمَ عليه، فردَّ النبي ﷺ جواب سلامه، وقبَّلَ يدَه، ومسحَ بها وجهه، وجلسَ عند رسول الله ﷺ، فما استبشر بقراءة أحدٍ إلا بقراءتي «قواعد العقائد»، فلمَّا انتبهتُ من النوم، وجدتُ أثرَ البكاء على عيني، من مشاهدة الكرامات.

كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدَّسَ الله سرَّه، قطبَ زمانه، أخبرَ أنَّه رأى في الواقعة النبي ﷺ يتفاخرُ بالغزالي رحمه الله، مع موسى، وعيسى صلوات الله عليهم.

وأمرَ النبيُّ ﷺ الغزاليَّ بتعزيرِ بعضِ المُنكرين[1]، وأثرُ السوط كان باقياً عليه مدَّةَ حياته، وقيل: كان أثرُه على أولاده أيضاً.

ومن كلامه رضي الله عنه، في مكتوبٍ كتبه إلى بعض أصدقائه: إن الروحَ موجودٌ، ويرى أنه ليس بموجود، فلا يُدركُهُ أحدٌ، وهو في البدنِ سلطانٌ قاهر، ومُتصرِّف، والبدنُ أسيرُه ومَحكومُه، ولا ينظر إلا البدن، والبدنُ غافلاً وساهياً عنه، ونسبة كلِّ العوالم مع القيوم هكذا، فإنَّ قيّومَ العالم موجودٌ مُتصرِّف، لا يرى ولا يتحرَّكُ شيءٌ إلا منه، ولا يعزبُ مثقالُ ذرةٍ عنه، وليس لذرّاتِ

= فسنضع فيه كتاباً بعد الفراغ من هذا (أي التهافت) إن شاء الله ونسميه قواعد العقائد، ونعنى فيه بالإثبات كما اعتنينا في هذا الكتاب بالهدم. انظر مؤلفات الغزالي ٨٩.

(١) أخرج اليافعي في نشر المحاسن الغالية ٢٢٢: أن الشيخ ابن حِرازهم خرج على أصحابه ومعه كتاب، فقال: أتعرفونه؟ قالوا: هذا «الإحياء»، وكان الشيخ المذكور يطعن في الغزالي وينهى عن قراءة «الإحياء»، فكشف لهم المذكور عن جسمه، فإذا هو مضروب بالسِّياط، وقال: أتاني الغزالي في النوم، ودعاني إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفنا بين يديه، قال: يارسول الله، هذا يزعم أني أقول عليك ما لم تقل. فأمر بضربي، فضربت.

العالم[1] وجودٌ إلا به، وهو قائمٌ بنفسه، والعالمُ قائمٌ به، وبالضرورة يكون معه، وحقيقةُ الوجود له، والقيُّومية والوجودية لغيره بسبيل العارية ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ولكن الخلقَ لا تعرف المعيَّةَ، إلا معيَّةَ الجسم بالجسم، أو معيَّةَ العرض بالعرض، أو معية العرض بالجسم، وهذه المعيَّةُ بالنسبة إلى الله تعالى محالٌ، ومعيَّةُ الحقِّ نوعٌ رابع؛ بل حقيقة المعية هذه، وهذه أيضاً موجود ليس بمرئي[2]، ومن لم يعرف هذه المعية ويطلب القيوم لا يجده.

وأيضاً عنه: إذا جاءَ الإعصار في هواءٍ صافٍ، وارتفع من الأرض، وصارَ مثل المنارة مستطيلاً يعصرُ نفسه، والرائي يحسب هذه الإعصار من الغيرة[3]، وليس هكذا، بل في كلِّ ذرةٍ هواء محرك، ولا يرى ولا يدرك الهواء، أما الغبارُ والترابُ يُرى، فليس للغبار حركةٌ ووجود، ويرى أنه موجود، والهواءُ موجودٌ ليس بمرئي، والترابُ مجبور الهواء، والسلطنة، والتصرف للهواء، لا للتراب.

* * *

(٤٣٦) أحمد الغزالي(*)

الشيخ أحمد الغزالي قدس الله سره. هو من أصحاب الشيخ أبي بكر النسَّاج.

وله تصانيف وتآليف معتبرة، ورسائلُ مقبولة، ليس لها نظير، منها رسالة

---

(١) في (ب): لذوات العالم.
(٢) في (ص): موجود بمعربي.
(٣) في (ب): من الحركة الغيرة.
(*) المنتظم ٩/ ٢٦٠، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٢٨، طبقات ابن الصلاح ١/ ٣٩٧، وفيات الأعيان ١/ ٩٧، العبر ٤/ ٤٥، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٣، ٤٩٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٠، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٤، مرآة الزمان ٨/ ١١٩، طبقات السبكي ٦/ ٦٠، الوافي بالوفيات ٨/ ١١٥، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٤٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٦، طبقات الأولياء ١٠٢، لسان الميزان ١/ ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٠، كشف الظنون ٢٤، ٣٥١، ٨٢٥، ٩٠١، ٩٨٥، ١٠٠٩، ١٤١٣، الكواكب الدرية ٢/ ٢١٦، هدية العارفين ١/ ٨٣، روضات الجنات ٧٥، شذرات الذهب ٤/ ٦٠.

«السوانح»[1] التي صنَّفَ الشيخ فخر الدين العِراقي على سننها. كما ذكره في خطبة «اللمعات»، بقوله: أما بعد، فهذه كلماتٌ في بيان مَراتب العِشق، على سنن «السوانح»، فإن واحداً من فصول «السوانح» هذا: إن المعشوقَ على كلِّ حالٍ معشوق، فالاستغناءُ صفته، والعاشقُ على كلِّ حالٍ عاشق، فالافتقار صفته، والمَعشوقُ في جميع الوجوه، وجميع البنود[2] قائم بنفسه، فلا بدَّ أن يكون الاستغناءُ صفتَه.

جذبَتْ مَحاسنُها القُلوبَ لحبِّها وإنْ تسعّر بالغرام المُغرمُ
ويهمُّه بالوعد بل ويغمُّه بالصدِّ بين الحالتين مُتيَّمُ

قرأ يوماً في مجلس وعظه قارئٌ هذه الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ الآية [الزمر: ٥٣]، فقال: شرَّفهم بياء الإضافة إلى نفسه، بقوله: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ ثم أنشد:

وهانَ عليَّ اللَّومُ في جنبِ حبِّها وقولُ الأعادي إنه لخليعُ
أَصمُّ إذا نُوديتُ باسمي وإنَّني إذا قِيلَ لي يا عبدَها لسميعُ

ويوماً سأله واحدٌ عن حال أخيه حجة الإسلام: أين هو؟. قال: هو في دمٍ سائل. فطلبه، ووجده في مسجدٍ، وأعجبه كلامُ أحمد، فذكره لحجَّةِ الإسلام. قال: هو صادق، أنا كنتُ متفكِّراً في مسألة من مسائل المستحاضة.

قيل: إن الصوفية جاؤوا من قزوين إلى طوس، ودخلوا على حجَّةِ الإسلام وسألوه عن أخيه أحمد الغزالي، فذكرَ من حاله ما كان عنده، ثم قال للغزالي: هل كان عندك من كلامه؟ قال: نعم. فأعطاه ما كان عنده، فطالعه وتأمله، وقال: سبحان الله، ما طلبتُهُ وجده أحمد.

قيل: إنه كان مُحتضراً، فانتشر دوابه، فقالوا له: أوعلم بفراسةٍ؟. قال: [عندما أموت] إن لم أكن أركب عليها، فليركبها من يُريد[3].

توفي في سنة سبع عشرة وخمس مئة، وقبره في قزوين.

---

(١) سوانح العشاق: رسالة في التصوف. كشف الظنون ١٠٠٩.
(٢) في (ب): وجميع الشؤون.
(٣) في الأصل: إن لم أكن أنا يُركب عليها من يُريد. والمثبت مترجم عن الفارسية.

(٤٣٧) يوسف الهمذاني(*)

الخواجه يوسف الهمذاني قدس الله سره، كنيته أبو يعقوب، **وكان إماماً عالماً، عارفاً، ربانياً، صاحبَ الأحوال والمواهب الجزيلة، والكرامات والمقامات الجليلة.**

وفي ابتداء حاله ذهبَ إلى بغداد، ولزم مجلس الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، ففاق على أقرانه في علم الفقه وغيره، سيما في علم النَّظر(1)، وما كان له نظير، وكان الشيخ أبو إسحاق يُقدِّمه مع صغر سنه في المجالس.

وسمع الأحاديثَ من ناسٍ كثيرين في بغداد، وأصفهان، وسمرقند، ثم تركها كلَّها، واختار طريقَ العبادة، والرياضة، والمجاهدة.

واشتهر عند الناس انتسابُه في التصوف إلى الشيخ أبي علي الفارَمَذي، وقيل إلى الشيخ عبد الله الجويني. وصحب الشيخ حسن السِّمناني.

وأقام بمرو، ثم عزم إلى هراة، ثم رجعَ إلى مرو، ومات في الطريق، في سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، ودفنوه هناك، ونقلوه بعد زمانٍ إلى مرو، وقبره مشهورٌ في مرو.

(*) الأنساب ٢/ ٣٣٠، المنتظم ٩/ ١٧١، ١٠/ ٩٤، صفة الصفوة ٤/ ٧٩، المختار من مناقب الأخيار ٣٩٦/أ، الكامل في التاريخ ١١/ ٨٠، مرآة الزمان ٨/ ١٠٩، وفيات الأعيان ٧/ ٧٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٦٦، العبر ٤/ ٩٧، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٤، طبقات الإسنوي ٢/ ٥٣١، البداية والنهاية ١٢/ ٢١٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٨، طبقات الشعراني ١/ ١٣٥، الكواكب الدرية ٢/ ٣١٤، شذرات الذهب ٤/ ١١٠، هدية العارفين ٢/ ٥٥٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٨٩. واسمه يوسف بن أيوب.

(1) علم النظر: قال الباقلاني: النظر هو الفكر الذي يُطلب به علم أو غلبة ظنٍّ، والمراد بالفكر انتقال النفس في المعاني انتقالاً بالقصد، فإن ما لا يكون انتقالاً بالقصد كالحدس وأكثر حديث النفس لا يُسمّى فكراً. وقيل: هو اكتساب المجهول بالمعلومات السابقة، وقيل: إن النظر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (نظر).

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي، في بعض مصنفاته: إن الشيخ أوحدَ الدين حامد الكرماني في سنة اثنتين وست مئة نزل في قونية في منزلي، وكان في بلادنا[1] شيخ اسمه يوسف الهمذاني رحمه الله، جلسَ إلى ستين سنة أو أزيد على سجادة الشيخوخة[2] والإرشاد، فيوماً كان في صومعته، فخطر في خاطره أن يبرزَ، وما كان عادته أن يخرجَ لغير صلاة الجمعة، وثقل عليه أن يخرجَ، ولم يعلم أين يذهب، فطلب الدابَّةَ، وركب عليها، وخلَّى عنانها، حتى تمشي على إرادتها، فدخلتِ البادية، ووقفت على باب مسجدٍ خربٍ، فدخل فيه، فرأى شاباً نورانياً، ذا هيبة وعظمة، وكان مُدخلاً رأسَه في جُبَّته، فرفع الرأس، وقال: يا يوسف، عليَّ مسألةٌ مُشكلة. وذكرها، فبيَّنها الشيخُ وحلَّها، فقال الشيخ: يا ولدي، إن كان لك مُشكلٌ ادخل المدينة، واسأل عنِّي، ولا تتعبني. فنظر إليَّ، وقال: إذا كان لي مُشكلٌ فكلُّ حجرٍ لي يوسف. قال الشيخ ابن العربي: علمتُ من هذا أنَّ صدقَ المُريد يُحرِّك الشيخَ إلى نفسه.

قال الشيخ نجيب الدين بزغش الشيرازي قدس الله سره: وجدت وقتاً من الأوقات كراريسَ من كلام المشايخ، فطالعتها، وأعجبتني عجباً شديداً، وكنت طالباً لمصنفها لآخذ غيرها، فرأيت ليلةً شيخاً ذا عظمةٍ وهيبةٍ ووقارٍ، نورانياً، لحيتُه بيضاء دخل الخانقاه، وذهبَ إلى المتوضَّأ للوضوء، وكان عليه ثوبٌ أبيضُ، ومكتوب عليه بخطٍّ جليٍّ بماء الذهب آية الكرسي في جميع ثوبه، فذهبت على أثره، ونزع الثياب، وأعطاني ذلك الثوب، وقال: احرسه حتى أتوضَّأ. وكان تحت ذلك الثوب ثوبٌ أخضرُ أحسنُ منه، وكان عليه أيضاً آيةُ الكرسي مكتوبة، فلمَّا فرغَ من الوضوء، قال: أُعطيك أحدَ هذين الثوبين، لأيُّهما تريد؟. قلت: الاختيارُ اختيارك يا شيخ. فألبسني الثوبَ الأخضر، والأبيضُ لبسه، فقال: تعرف من أنا؟، أنا مصنِّفُ تلك الكراريس التي كنتَ طالباً لها، أنا يوسف الهمذاني، واسمها «رتبة الحياة» ولي تصانيفُ غيرها

---

(١) في (ب): وقال: كان في بلادنا.
(٢) في (ب): الشيخوخية.

أحسنُ منها مثل «منازل السائرين» و «منازل السالكين». فلمَّا انتبهتُ من النوم، حصلَ لي السرور.

وقيل: إنه كان في نظامية بغداد مدَّةً يعظُ الناس، فقام الفقيه المعروف بابن السقَّاء في مجلسه، وسأله عن مسألةٍ، قال: اقعد، وجدتُ في كلامك رائحة الكفر، ويُمكنُ أن لا تموتَ بدين الإسلام. فبعد مرور الزمان، جاءَ نصرانيٌّ باسم الرِّسالة من جانب الروم إلى الخليفة، فذهب ابنُ السقاء عنده، وطلبَ المُصاحبة معه، وقال: أريد أن أخرجَ عن دين الإسلام، وأدخلَ في دينكم. فقبله النصرانيُّ، وذهب معه إلى القسطنطينية، فاجتمعَ بسلطان الروم، ودخل في النصرانية، ومات في النصرانية.

وقيل: إن ابن السقاء كان حافظَ القرآن، وفي مرض موته، سألوه: بقي شيءٌ من القرآن في قلبك؟. قال: أنساني اللهُ تعالى كلَّه، إلا هذه الآية ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

وبعضُهم ذكروا قصة ابن السقاء بغير هذه الطريق، كما سيجيء في ذكرِ الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله سره، إن شاءَ الله تعالى[(١)].

وكان خلفاءُ الخواجه يوسف الهمذاني أربعة: الخواجه عبد الله البرقي، والخواجه حسن الأَنداقي[(٢)]، والخواجه أحمد اليَسَوي، والخواجه عبد الخالق الغجدواني قدس الله أسرارهم.

وبعد موت الخواجه يوسف، كلُّهم جلسوا بطريقِ الإرشاد بالنوبة، أحدُهم يجلسُ مقام الإرشاد، والخلفاءُ الثلاثة كانوا عنده بطريق الأدب والخدمة، فلمَّا عزمَ الخواجه أحمد اليسوي إلى تركستان، أمرَ جميعَ أصحاب الخواجه يوسف

---

(١) انظر صفحة ٦٨٣.

(٢) الأنداقي: نسبة إلى أنداق، قرية من قرى سمرقند، وبمرو قرية على فرسخين منها يقال لها أنداق أيضاً. اللباب ١/ ٨٧.

وفي الأصل: حسن أندقي، والمثبت من اللباب، والحدائق الوردية ٣٤٦.

بخدمة الخواجه عبد الخالق الغجدواني، وهكذا ذُكر في بعض رسائل المتأخِّرين، مشايخ هذه السلسلة.

* * *

(٤٣٨) عبد الخالق الغُجْدَواني(*)

الخواجه عبد الخالق الغُجْدَواني[١] قدس الله سره، وطريقه في الطريقة حجَّةٌ، وكان مقبولاً عند جميع الفرق، ومُبالغاً في طريق الصدق والصفاء، ومتابعة الشرع، وسنة المصطفى ﷺ، ومجانبةِ البدعة، ومخالفة الهوى، وطريقه المطهر مخفي عن الأعيان[٢].

ولقَّنه ذكرَ القلب في أيام الصِّبا الخضر عليه السلام، وكان مجتهداً فيه، وقبَّله الخضر، وقال: أنت ولدي.

وقال الخضر عليه السلام للخواجه عبد الخالق: ادخل في حوض الماء، واغطس فيه، واذكر بالقلب: **لا إله إلا الله محمد رسول الله**. فكان مشغولاً بها، وحصل له الفتح، ومن أول حاله وآخره كان مقبولاً ومحموداً عند الخلق.

وبعد تلقينه من الخضر عليه السلام، جاء شيخُ الشيوخ العالم العارف الرباني الخواجه الإمام أبو يعقوب يوسف الهمذاني قدَّس الله سره إلى بُخارى، فاجتمع به الخواجه عبد الخالق الغُجْدَواني، فعلمَ أن له ذكر القلب أيضاً، فلزم صحبتَه، حتى خرج الخواجه يوسف من بخارى.

وقيل: إن الخضر عليه السلام كان شيخ تلقين الذكر، والخواجه يوسف شيخ الصحبة والخرقة.

فالخواجه عبد الخالق كان مُجاهداً ومرتاضاً، ويُخفي حاله عن الناس،

(*) رشحات عين الحياة ٢٥، الحدائق الوردية ٣٢، ٣٥٢.

(١) الغجدواني: نسبة إلى غُجدوان وهي قرية من قرى بخارى.

(٢) في (ص): وطرقه المطهر مخفي عن الأغيار.

وبعد أن كملت ولايته، كان يذهبُ في وقتٍ واحدٍ من بُخارى إلى الكعبة، ويصلّي ويرجع.

وفي بلاد الشام اجتمعَ له مُريدون كثيرون، وبنى خانقاه، فإن يوماً في أيام عاشوراء كان الخواجه جالساً مع الجماعة، وكان كلامُه في المعرفة، فلما دخلَ رجلٌ شابٌ على صورة الزهاد، والسجادةُ على كتفه، والخرقة على بدنه، فنظر الخواجه إليه، فبعدَ ساعةٍ قام ذلك الشاب، وقال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا فِراسة المؤمن؛ فإنه ينظرُ بنور الله عز وجل**»[1] فما سرُّ هذا الحديث؟. فقال الخواجه: سرُّ هذا الحديث أن تقطعَ الزنار، وتؤمنَ بالله ورسوله. قال: أعوذ بالله أن يكونَ لي زنار. فأشار الخواجه لخادمه، فقام الخادم، وأخذ خرقته، فرأى تحت الخرقة زناراً، فقطع الزنار، وأسلم، ثم قال الخواجه: يا أيها المحبين والمريدين[2]، تعالوا كلُّنا نقطع الزنار، ونتوبُ لموافقته، هذا جديد العهد، فكما هو قطعَ الزنار الظاهر، نحن نقطع زنار الباطن، الذي هو عبارةٌ عن العُجْب، كما هو كان اليوم مغفوراً، نحن أيضاً نكون مغفوراً لنا. فحصل لهم حال عجيب، وقبّلوا قدمَ الخواجه، وجدَّدوا التوبة.

قال واحد من هذه الطائفة يوماً: إن يخيِّرني الله تعالى بين الجنة والنار، أختارُ النار؛ لأني ما عملت شيئاً أبداً لموافقة النفس، والجنَّةُ تكون مُرادَ النفس، والنار مراد الله. فردَّ الخواجه جوابه، فقال: ما للعبد اختيار بأيِّ جانبٍ يرسل يروح، وبأيِّ مكان يقولُ قفْ يقف، فالعبودية هذا لا ذاك. فقال ذلك الرجل: يكون التسلط للشيطان[3] على أهل السلوك؟ فقال الخواجه: إن السالك الذي ما وصل إلى حدِّ فناء النفس، إذا غضبَ على أحدٍ، يتصرَّفُ فيه الشيطان، ويُسلط عليه، والسالك الذي وصل إلى حدِّ فناء النفس، لا يكون له

---

(١) رواه الترمذي ٥/٢٩٨ (٣١٢٧) في التفسير، باب ومن سورة الحجر، عن أبي أمامة، والطبراني في الكبير ٨/١٠٢ (٧٤٩٧)، وفي سنده عطية العوفي، وهو ضعيف، وانظر كشف الخفا ١/٤٢.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) في (ب): يكون المسلط الشيطان.

غضبٌ، بل يكون له غيرة، وإن الشيطان يشرد عن الغيرة، وهذه الصفة لمن كان متوجِّهاً إلى الله، وكتاب الله على يمينه، وسنَّةُ رسول الله على يساره، فمن ضوء هذين يسلك السلوك.

فيوماً جاء مسافر عند الشيخ، وجاء شابٌّ حسنُ الصورة، وطلب الدُّعاء من الخواجه، فدعا له، فغاب ذلك الشاب، فسأل المسافر: من كان هذا الشاب؟. قال الخواجه: مَلَكٌ مقامه في السماء الرابعة، وقعَ منه تقصيرٌ، فهبط عن مقامه، ووصل إلى سماء الدنيا، فقال عند الملائكة: كيف أفعلُ حتى يُعطيني اللهُ ذلك المقام؟. فالملائكة دلُّوه عليَّ، فطلب الدعاء، ودعوتُ له، فاستجابَ الله تعالى دعائي، ووصل مقامه. فقال المسافر: يا خواجه، ادعو لي بالإيمان، عسى أن أخرجَ من شبكة الشيطان، وأسلم. فقال الخواجه: وعدَ الله تعالى أنَّ من يدعو بعد أداء الفرائض يُستجاب دعاؤه، وأنتَ ادعُ لي بعد المكتوبة، وأنا أدعو لك بعد الفرائض، حتى يظهر أثرُ إجابة الدعاء في حقِّي وحقِّك، وبالله التوفيق.

* * *

(٤٣٩) عارف الريو كروي[*]

الخواجه عارف الريو كروي[١] رحمه الله تعالى.

كان للخواجه عبد الخالق ثلاثةُ خلفاء، الخواجه أحمد صديق، والخواجه عارف الريو كروي، والخواجه أولياء كبير. ونسبة إرادة الخواجه بهاء الدين نقشبند رحمه الله من هذه الجماعة يتصل بالخواجه عارف الريو كروي.

* * *

(*) رشحات عين الحياة ٣٥، الحدائق الوردية ٣٧٢ (الريوكري).

(١) الريوكروي: نسبة إلى ريوكر، وهي من قرى بخارى، على ستة فراسخ منها، وميل من غجدوان. رشحات ٣٥.

(٤٤٠) محمود الإنجير فغنوي(*)

الخواجه محمود الإنجير فغنوي رحمه الله تعالى، هو من خلفاء الخواجه عارف الريو كروي.

* * *

(٤٤١) علي الرَّامِيتَني(**)

الخواجه علي الرَّامِيتَني رحمه الله تعالى، هو من خلفاء الخواجه محمود، ولقبُه في هذه السلسلة حضرة العزيزان.

وله مقاماتٌ عالية، وكراماتٌ ظاهرة. وكان مشتغلاً بالنساجة.

وأنا سمعتُ من بعض أكابر البلاد أن الإشارة التي أشار بها مولانا جلال الدين الرومي في أبياته، مُرادُه الخواجه علي الراميتني، وهي هذه:

علم حال لو لم يكن فوقَ قالٍ في بخارى أنساجها ما تعالا(١)

وقبره في خوارزم، يُزارُ، ويُتبرَّكُ به.

سألوه: ما الإيمان ؟. فقال: انفصالٌ، واتصال.

وأيضاً سألوه: إن المسبوق بقضاء المسبوقية، متى يقوم ؟. قال: قبل الصبح(٢).

(*) رشحات عين الحياة ٣٥، الحدائق الوردية ٣٧٣، نسبة إلى قرية إنجير فغني. وإنجير اسم للتين بالتركية، وفغني قرية من أعمال بخارى.

وفي الأصل: محمود الخير الفغنوي، والمثبت من مصادر ترجمته.

(**) رشحات عين الحياة ٣٧، الحدائق الوردية ٣٧٦. والراميتني نسبة إلى قرية راميتن قرية على فرسخين من بخارى.

(١) ترجمة البيت في الرشحات:

لو لحالٍ لم يكن فضلٌ على قالٍ لما كان أعيانُ بخارى عبد نساج علا

(٢) في (ص): قبل صلاة الصبح.

ونُقل عنه أنه قال: لو كان ولد من أولاد عبد الخالق على وجه الأرض، ما صُلبَ [ابن] منصور.

* * *

(٤٤٢) محمد بابا السمَّاسي(*)

الخواجه محمد بابا السمَّاسي رحمه الله تعالى، هو خليفةٌ من خلفاء الخواجه علي الراميتني، والخواجه بهاء الدين، كان منظوراً بنظره.

وكان الخواجه محمد كلَّما وصل بقصر الهندوان، يقول كثيراً: أَشمُّ من هذا التراب رائحةَ عارف، وقصر الهندوان في قريبٍ من الزمان يصير قصر العارفان[١].

ويوماً خرج الخواجه محمد من بيت السيد الأمير كلال، الذي هو من خلفائه، وتوجَّه إلى قصر العارفان، وقال: زادت تلك الرائحة، يحتمل أن وِلِدَ ذلك الرجل. فلمَّا نزلَ الخواجه في تلك القرية، كان من ولادة الخواجه بهاء الدين ثلاثة أيام، فأخذه جدُّه، ووضعَ على صدره قليلاً من الهدية، فذهبَ بها مع العجز والانكسار إلى الخواجه محمد بابا، فقال الخواجه محمد: هو ولدي، وأنا قبلتُه. والتفتَ إلى أصحابه، وقال: هذا ذلك الرجل الذي شممتُ رائحته، يكون مقتدى زمانه. وقال للسيد أمير كلال: لا تقصِّر في تربية هذا الولد، وإلا فلا تكونُ في حلٍّ مني. فقال الأمير كلال: لا أكون رجلاً إن قصَّرتُ في وصيتك.

قال الخواجه بهاء الدين: لما أردتُ التزوُّجَ، أرسلني جدي إلى الخواجه محمد بابا السَّماسي أدعوه لتحصل بركته، فلمَّا لقيته، فأول كرامة شاهدتها في

(*) رشحات عين الحياة ٤١، الحدائق الوردية ٣٨٣. والسماسي: نسبة إلى سَمَّاس قرية من قرى راميتن على ميل منها، وثلاثة أميال من بخارى.

(١) قصر العارفان: قرية من قرى بخارى، على فرسخ منها، والألف والنون في العارفان علامة الجمع في اللغة الفارسية. الحدائق الوردية ٣٩١.

تلك الليلة، أن حصل لي تضرعٌ وخشوعٌ، فقمتُ فذهبت في مسجد الخواجه، وصلَّيت ركعتين، وخررتُ ساجداً، وتضرَّعتُ، وبكيتُ، وخرج من لساني: إلهي، أعطني قوَّةَ تحمُّلِ البلاء، وتحمُّل محنة المحبة. فلمَّا أصبحتُ عنده، قال: يا ولدي، في الدعاء قل هكذا: إلهي، ثبِّت لي رضاك بكرمك وفضلك، وإن ترسل البلاء بالحكمة البالغة على العبد الضعيف، فأعطه حمله، وأظهر عليه حكمتك. فلا تطلب البلاء بالاختيار.

ثم أحضر الطعام، وأكلنا، فأعطاني قرصاً، فجاء في خاطري: الآن أكلت الطعام، ومنزلي قريب، فما أفعلُ بهذا القرص؟ ثم مشيتُ، وكنتُ عند ركابه، وإن خطر خاطرٌ يقول لي: احفظ خاطرك. فوصلتُ إلى منزلٍ من منازل المحبِّين، فجاء بسرور تام، فنزلَ الخواجه فرأى على وجهه اضطراباً، فقال: ما حالك، قل؟. قال: عندي لبنٌ حاضر، لكن ليس عندي خبز. فقال لي الخواجه: هات ذلك القرص. فأعطيته، فزاد اعتقادي من مشاهدة هذا الحال.

* * *

(٤٤٣) السيد أمير كلال(*)

السيد أمير كلال[1] رحمه الله تعالى، هو خليفة الخواجه محمد بابا المذكور، وهو شيخ الصحبة، وشيخُ تلقين الذكر، وآداب تعلّم سلوك الطريقة للخواجه بهاءَ الدين نقشبند.

فيوم كان جمعٌ عظيم، فنادى الخواجه بهاءَ الدين، وقال: يا ولدي بهاءَ الدين، أنا ما قصَّرتُ في خدمتك بما أمرني شيخي الخواجه محمد بابا السمَّاسي، وعملتُ بامتثال أمره، والآن ما بقي في ثديي شيءٌ من التربية،

(*) رشحات عين الحياة ٤٢، الحدائق الوردية ٣٨٥، ٣٩٨، ٣٩٩.

(١) كان يصنع الكيزان، ويقال له في لغة أهل بخارى لمن يصنع الكيزان: كلال. الرشحات ٤٢.

وطير[1] روحانيتك خرجَ من بيضته البشرية، لكن همَّة طير روحانيتك وقع أقوى وأرفع، فأجزتُ لك إن وجدتَ رائحةً من المشايخ فلا تقصِّر في الطلب.

وقيل: قال الخواجه نقشبند: حصل لي من نفس الأمير كلال الابتلاء، وإن كنتُ كما كنت في متابعته ما ابتليت، وكنتُ سالماً من الابتلاء.

قال الأمير كلال يوماً للخواجه نقشبند: كما يربي العالمُ تلامذته، يُريد أن يُطالعَ أثرَ التربية في تلميذه، حتى يحصلَ له الاعتماد على تربيته، فإن رأى خللاً في تلميذه يتوجَّهُ إلى إصلاحه، فيا بهاء الدين، هذا ولدي برهان الدين حاضر، وما وقع عليه تصرُّفٌ من أحدٍ، وما ربَّاه أحدٌ بتربية الباطن، فينبغي لك أن تتوجَّه إليه، حتى أطالع أثره، ويحصل لي الاعتماد عليك. وكان الخواجه نقشبند جالساً مراقباً مُتوجهاً إلى الأمير، فقال الأمير كلال: لا يجوزُ التوقف، فتوجَّه إلى باطنِ الأمير برهان الدين، وتصرَّف في باطنه. فبالفور ظهرَ أثرُ توجُّهه وتصرُّفه على برهان الدين، وحصل له حالٌ عظيم.

* * *

(٤٤٤) قثم شيخ(*)

قثم شيخ رحمه الله، هو من مشايخ الترك، ومن سلسلة الخواجه أحمد اليسوي[2]. والخواجه نقشبند على موجب نفس شيخه الأمير كلال، وكان قال له: الآن أجزتُ لك، بأيِّ مقامٍ تسمع اسم الشيخ، أو تجد رائحته تطلبه، ولا تقصِّر في طلبه.

فوصل الخواجه عند قثم شيخ، وكان قثمُ شيخ يأكل البطيخ، ويرمي قشرها إلى جانب الخواجه، فالخواجه من غايةِ حرارة الطلب، يأكل ذلك القشرَ كلَّه،

---

(١) في (ص): وطين.

(*) الحدائق الوردية.

(٢) في (ص): النسوي. قال في الحدائق الوردية ٣٤٧: أحمد اليسوي نسبة إلى يس بلدة من بلاد الترك.

فوقع الخواجه ثلاث مرات، ثم دخل خادم الشيخ، وقال: ثلاثةُ جمال، وأربعة فراس غابت. فأشار الشيخ إلى الخواجه نقشبند، وقال: خذوا ذيله. فجاء أربعةٌ من مريدي الشيخ عند الخواجه، وبالغوا عليه، وكأنه كان بينهم دم، قال الخواجه: من لا يكون له معرفة مشايخ الترك، لا ينتفع بهم، ويكون ميئوساً. فكان الخواجه مراقباً جالساً على ركبته، فبعد صلاة المغرب، جاء خادم الشيخ، وقال: وجدنا الجمال والأفراس كلَّها. فجلس الخواجه عند قثم شيخ ثلاثة أشهر، لاتباعه وملازمته، فتشرَّفَ به، وقال: لي تسعة أولاد وأنت عاشرهم، وأنت مقدَّمٌ عليهم. وكان يجيء قثم شيخ إلى نواحي نخشب إلى بخارى، فالخواجه يراعي آدابه، ويقول قثم شيخ: ما رأيت أحداً طالباً كما رأيته فيك.

وكان قثم شيخ في غاية الانقطاع، وعدم النطق[1] عمَّا سوى الله، فجاء في آخر العمر إلى نواحي بُخارى، وجلس في بعض قراها، وبعد مرور الزمان، خرج منها، ووجد آثار الصحبة[2]، وجلس في دكيكين، وطلب جميعَ أصحابه وأولاده، ومن كان حاضراً ذلك الوقت، وقال: جاء أجلي، فأقول كلمة التوحيد بموافقتكم. وقال، فقالوا كلُّهم، ومات.

* * *

(٤٤٥) خليل آتا[*]

خليل آتا[3] رحمه الله تعالى.

قال الخواجه نقشبند: رأيت في الرؤيا في بدايةِ الحال، الخوجةَ حكيم آتا،

---

(١) في (ب): وعدم التعلق.

(٢) في (ب): آثار الصحة.

(*) الحدائق الوردية ٣٩٩.

(٣) آتا: في التركية بمعنى الوالد، والأتراك يطلقونه على المشايخ الكبار تعظيماً لهم. رشحات عين الحياة ١٨.

ـ وكان من كبار مشايخِ الترك ـ تشفَّعَ لي إلى الشيخ، وأنا حفظتُ صورتَه، فلمَّا انتبهتُ، جئتُ عند جدَّتي أمِّ أبي، وكانت صالحةً، فقلت عندها هذه الرؤيا، فقالت: يا ولدي، يكونُ لكَ نصيبٌ من مشايخ الترك. وأنا كنتُ طالباً لذلك الشيخ، فيوماً وقعتِ الملاقاة معه، فعرفته، فسألت عن اسمه، قالوا: خليل آتا. ففي ذلك الوقتِ، ما وقع المكالمة والمجالسة، فلمَّا جئتُ البيتَ، ودخل الليل، جاء رسولٌ، وقال: يُناديك الشيخ خليل. فحملتُ قليلاً من الفواكه، فلمَّا دخلتُ عليه أردتُ أن أذكر تلك الرؤيا، فقال بلسانِ الترك: ما كان في خاطرك هو عندي ظاهر، ليس حاجتي ببيانه. فتغيَّرَ حالي، ومالت نفسي إلى صُحبته، فرأيت أشياء عجيبةً غريبة في صحبته.

فبعد مدَّةٍ أعطاه الله تعالى سَلطنةَ تلك البلاد، وأنا كنتُ في خدمته، وفي أوان سلطنته أيضاً كنت أشاهدُ شيئاً عجيباً في صحبته، وكان مشفقاً عليَّ مرَّةً بلطف، ومرَّةً بعنف، فعلَّمني آدابَ الخدمة، فحصلَ لي فوائدُ كثيرة، وكانت نافعةً لي في السلوك والسير.

وكنتُ في خدمته إلى ستِّ سنين، والظاهرُ أراعي آدابَ سلطنته، وفي الخلاء كنت محرمَ أسراره، وكانت له صحبةٌ خاصةٌ في الخلاء، وخدمته قبل السلطنة أيضاً ستَّ سنين.

وأكثرُ الأوقات يقول في الملأ والخلا: من يخدمني اليوم حسبةً لله ورضاته، يكون مَخدوماً في الخلق. وأنا أفهم مقصوده على ما كان، فبعد مدَّةٍ زالَ مُلكه المجازي الذي كان فيه، وفي لحظةٍ تلك الخدمُ والحشم صاروا هباءً منثوراً، فحصلَ لي انقطاعٌ عن الدنيا مرَّةً واحدة، فجئتُ مدينة بُخارى، وأقمت في رَيْوَرْتون، قريةٍ من قرى بُخارى.

* * *

(٤٤٦) الشيخ بهاء الدين نقشبند(*)

الشيخ بهاء الدين نقشبند قدَّس الله سره، اسمه محمد بن محمد البُخاري، وله نظر القبول من الشيخ محمد السَّماسي، وتعليمُ الذِّكر، وآداب الطريقة، بحسب الظاهر من الأمير كلال، كما مرَّ[1]، لكن في الحقيقة كان أويسياً، وكان تربيته بروحانية الخواجه عبد الخالق الغُجْدَواني.

قال الخواجه نقشبند: وصلتُ ليلةً في مبادىء الأحوال، وغلبات الجذبات إلى مزارٍ من مزارات بُخارى، فرأيت عند كلِّ مزارٍ سراجاً مسروجاً، وفي كلٍّ منها دهنٌ وفتيلة، لكن ينبغي أن يُحرِّكَ أحدٌ تلك الفتيلة، حتى يخرجَ عن الدهن، ويزيدَ الضوء، فجلستُ عند آخر قبرٍ منها مستقبلَ القبلة، فحصلَ لي غيبةٌ، فشاهدت كأنَّه شُقَّ الجدار من جهة القبلة، وظهر تختٌ كبير، عليه ستارةٌ خضراء، وحواليه جماعةٌ جالسين، وعرفتُ من بينهم الخوجةَ محمد بابا، ففهمتُ أنهم من الموتى، فقال واحدٌ من الجماعة، من كان على التخت: الخواجه عبد الخالق الغُجْدَواني، وهذه الجماعة خلفاؤه. وأشار إلى كلِّ واحدٍ، الخواجه أحمد الصديق، الخواجه أولياء كبير، والخواجه عارف الريوكروي، والخواجه محمود الإنجير فغنوي، والخواجه علي الرامِيتَني قدس الله أسرارهم، فلمَّا وصلَ نوبة الخواجه محمد بابا السَّماسي، قال: اجتمعتَ به في الحياة، وهو شيخُك، وأعطاك كوفيَّةً، وأكرمك بكرامةٍ، إذا نزل البلاء، يدفع الله ببركتك ذلك البلاء. فقال الجماعة: اسمع بحضور القلب ما يقوله الخواجه الكبير ينفعك في سلوكك. فقلت لتلك الجماعة: أريد أن أُسلِّمَ على الخواجه، وأُبصرَ جماله، وأتشرَّفَ به. فرفعوا الستر، فرأيتُ شيخاً

(*) رشحات عين الحياة ٤٩، الشقائق النعمانية ١٥٤، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٣٨، الحدائق الوردية ٣٩١، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٤، هدية العارفين ٢/ ١٧٣، تاريخ الأدب العربي ٧/ ٢٤٤.

(١) انظر صفحة (٥٣٠).

نورانياً، وسلَّمتُ عليه، فردَّ جوابَ سلامي، وابتدأ بالكلام الذي يتعلَّقُ بمبدأ السلوك، ووسطه، ونهايته، وقال: هذه السُّرُج التي رأيتَها بهذه الكيفية كلُّها إشارةٌ وبشارة لاستعدادك وقابليتك لهذا الطريق، فينبغي تحريكُ الفتيلة حتى ينوِّرَ، ويُظهرَ أسراره. ثم أمرني وبالغ فيه، وقال: كن مُستقيماً في أوامر الله ونواهيه، واعمل بالعزيمة والسنة، واجتنبِ الرخصة، وابعد عن البدعة، ويكونُ إمامُك أحاديثَ النبيِّ ﷺ، وكن متفحِّصاً ومتجسِّساً لأخبار النبي ﷺ، وآثار الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين. ثم قال جماعة: شاهد صدق هذه الواقعة، إنك في غدٍ تذهبُ إلى المكان الفلاني، وتفعل كذا وكذا، وتفصيله مذكور في مقاماته. ثم قالوا: اذهبْ إلى قريةِ نَسَف لخدمة الأمير كلال. فلمَّا وصلتُ نَسَف، ودخلتُ على الأمير، قال الأمير: توجَّه. والتفت إليَّ كثيراً، ولقَّنني الذِّكرَ الخفي بطريق النَّفي والإثبات، ولما كنتُ مأموراً في الواقعة بعمل العزيمة، ما اتبعت الأميرَ في ذكر الجهر.

سأله واحدٌ من الصوفية: تكون لك وراثة أو مكتسبة؟. فقال: لا، بل جذبة من جذبات الحقِّ توازي عمل الثقلين.

ثم سئل: في طريقكم ذكر الجهرِ والاعتكاف والسماع؟. قال: لا يكون. فقال: فبناءُ طريقكم من أيِّ شيءٍ؟. قال: الخلوة في الملأ. يعني بحسب الظاهر مع الخلق، والباطن مع الله تعالى.

بالحقِّ كنْ عَارفاً مُحباً وكنْ مع الخَلق أجنبيا
هذا الطريقُ العزيزُ جدا فإنْ تجدْ مَسلكاً فهيَّا

كما قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، هذه الآية إشارةٌ لهذا المعنى.

وقيل: ما كان للخواجه عبدٌ ولا جاريةٌ، فسألوه عن ذلك، فقال: لا تجتمع السادة والعبودية.

وسئل: سلسلتكم[1] إلى أين تتَّصل؟. قال: ما وصلَ أحدٌ بالسلسلة.

---

(١) في (ص): سلالتكم.

قال الخواجه نقشبند: اتَّهموا أنفسَكم، ومن عرف بتأييد الله تعالى نفسه، بالقبح والمكر والكيد، يسهل الله هذا العمل عليه. وكان كثيرٌ من أرباب السلوك يضعون ذَنب غيرهم على أنفسهم، ويحملون ثقله.

وأيضاً عنه قال: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣٦]، إشارته يعني في كلِّ طرفةِ عينٍ تنفي الوجود الطبيعي، وتثبت المعبود الحقيقي.

وقال الشيخ الجُنيد رحمه الله: اليوم ستين سنةً أجتهدُ أن أؤمنَ به.

وقال الخواجه نقشبند: نفي الوجود عندي أقربُ الطرق، ولكن لا يحصلُ إلاَّ بترك الاختيار، ورؤية قصور الأعمال.

وأيضاً عنه، قال: أعظمُ الحجابِ للسالك التعلُّقُ بما سوى الله تعالى.

إن التعلُّـقَ للحجـاب وليـس فيـه حـاصـل
فـاقطعـه إنَّـكَ إنْ قطعـتَ عُـرى التعلُّـقِ واصـل

قال أهل الحقيقة: الإيمانُ عقدُ القلبِ بنفي جميع ما تولَّهت القلوب إليه من المنافع والمضار، سوى الله تعالى.

وأيضاً عنه قال: إن طريقنا صحبةٌ، وفي الخلوة شهرة، والشهرة آفةٌ[(١)]، والخير في الجمعية، والجمعية في الصحبة تُنافي الوجود بشرطٍ بينكم. وما قال الشيخ: تعالوا نؤمنُ ساعةً[(٢)] إشارة إليه، لأن اجتماعَ الطلبة، ومصاحبتَهم خيرٌ وبركة، وامتدادُها ينتهي إلى الإيمان الحقيقي.

وأيضاً عنه قال: طريقُنا العروة الوثقى؛ لأنَّها إلزام متابعةِ النبيِّ ﷺ، والاقتداء بآثار أصحابه رضي الله عنهم، وفي هذا الطريق بالعمل القليل يحصلُ فتوحٌ كثير، لكن رعاية اتِّباع السنة أهمُ المُهمات، ومن يولي وجهَه عن طريقتي، يُخشى عليه الكفر.

وأيضاً عنه قال: ينبغي للطالب الصادق، إذا اجتمعَ بولي الله يزن هذا

---

(١) في (ب): إن طريقنا محبة، وفي الخلوة شهوة، والشهوة آفة.

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٩٠ عن أبي الدرداء، وأحمد في مسنده ١/ ٥١ عن عبد الله بن رواحة.

الوقت بالوقت الماضي، فإن وجدَ التفاوتَ فيحكم، «أصبت فالزم»[1] فاغتنم صحبته.

وأيضاً عنه قال: (لا إله)، نفي الإله[2] الطبيعي، (إلا الله) إثباتُ المعبود الحقيقي، و (محمد رسول الله) دخولك مقام ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١]، فالمقصود بذكر الله أن تتَّصل بحقيقة كلمة التوحيد، وحقيقةُ الكلمة أن تنفي ما سوى الله، ولا تحتاج لكثرة الذكر.

وأيضاً عنه قال: قال الخواجه علي الراميتني: إن الأرضَ في نظر هذه الطائفة مثلُ السفرة، وأنا أقول مثل الظفر على الإصبع، لا يَغيبُ عنه مثقالُ ذرةٍ.

وأيضاً عنه قال: يتَّصلُ السالك بسرِّ التوحيد، لكن وصوله بسرِّ المعرفة متعسِّرٌ.

ولمَّا توجَّه الخواجه نقشبند إلى الحجِّ، لقَّنَ واحداً من أولاد أكابر خراسان الذِّكرَ، فلمَّا رجعَ قالوا: فلانٌ أخذَ الذكر منكم، لكنَّه ما كان مشغولاً به. فقال: لا بأس به. فسأله: هل رأيتني في هذه المدة في المنام؟. قال: نعم. فقال: هذا يكفيه. فعلمنا من هذا الكلام من يكون له رابطة المشايخ ومحبَّتهم، آخر العمر يكون معهم، ويكونون سببَ الدَّرجات والنجاة.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ في المصادر التي بين يدي، وقد روى أبو نعيم في الحلية ١/ ٢٤٢ عن أنس بن مالك أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله ﷺ، فقال: «كيف أصبحت يا معاذ؟» قال: أصبحت مؤمناً بالله تعالى. قال: «إن لكل قول مصداقاً، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟» قال: يا نبي الله، ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح، ولا خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها، معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار، وثواب أهل الجنة. قال: «عرفت فالزم».

وذكره الغزالي في الإحياء ٤/ ٢٢٠، قال الحافظ العراقي: أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف.

(٢) في (ص): الآلية.

قال واحد: إن فلاناً مريض، يُرِيدُ توجه خاطرك. قال: أولاً ينبغي كسر الخاطر، وبعده توجّه الخاطر المكسور.

طلب واحدٌ من الخواجه كرامة[1]، قال: كرامتي ظاهرةٌ باهرة، مع وجود هذه الذنوب الكثيرة، أمشي على وجهِ الأرض.

وقال الخواجه نقشبند: سألوا أبا سعيد بن أبي الخير: أيُّ آيةٍ من القرآن نقرأُ قدَّام جنازتكم؟. قال أبو سعيد: الآية أمر عظيم، اقرؤوا هذا البيت:

ما رأى العاشقون[2] أحسن[3] في الآفاق والكون حدّ[4] وجود الوجود
كخليلين استأنسا ذا بذكرِ ذا وهذا بالعودِ والترديد
فهما في صفاءِ المودَّةِ كلٌّ غارق من[5] مشهوده في شهود

فقال الخواجه: اقرؤوا قدَّام جنازتي هذا البيت:

إنَّ بالبابِ مُفلسٌ أَقدمتْهُ فاقةٌ فيضُ فضلِكم يُغريها
فاسمحوا لي بنظرةٍ فهي قصدي وهي المُنيةُ التي أرتجيها[6]

سأل الناس مولانا جلال الدين الخالدي رحمه الله: إن نسبة سلوكِ طريقة الخواجه نقشبند من يناسبها من مشايخ المتأخرين؟. فقالوا[7]: اسألوا عن

---

(١) في (ص): كرامات.
(٢) في (ب): الفاسقون.
(٣) في (ص): أجين.
(٤) في (ص): من.
(٥) في (ص): كل عارفٍ من.
(٦) الخبر في الحدائق الوردية ٤٠٧: قيل للشيخ أبي سعيد بن أبي الخير عند احتضاره: أية آية نقرأ أمام جنازتكم؟ فقال: اقرؤوا هذا البيت، وأنشد بالفارسية ما معربه:

وأحسن ما في الكون من عين أصله سرور محبٌ من حبيب بوصله

فقال سيدنا بهاء: هذا عمل عظيم، ليقرؤوا أمام جنازتي هذا البيت، وأنشد بالفارسية ما مضمونه، وهو تعريب صاحب الرشحات:

أتيناك بالفقر لا بالغنى وأنت الذي لم تزل محسنا

(٧) في (ص): فقال.

المتقدمين، قال:[1] اليوم مذ مئتي سنة، بل أزيد منها، ما ظهرَ على أحدٍ كما ظهر على الخواجه نقشبند قدس الله سره.

قال الشيخ قطب الدين، وكان شيخاً معمَّراً، من أصحاب الخواجه: جئت من خراسان، وكنتُ صغيرَ السن، فأمرني الخواجه أن آتيه بفروخ الحمام، فلمَّا أخذتُ فروخَ الحمام، أعجبني واحدٌ منهم، فأخذته، وجئتُ بالباقي، فطبخوها، وقسموه على الحاضرين، فأعطى لكلٍّ واحدٍ واحداً وما أعطاني، وقال: فلان أخذَ حصَّته حياً.

توفي في ليلة الاثنين ثالث ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وسبع مئة قدَّس الله سره.

* * *

(٤٤٧) علاء الدين العطار(*)

الخواجه علاء الدين العطار قدس الله سره، اسمه محمد بن محمد البخاري.

كان من كبار أصحاب الخواجه بهاء الدين، والخواجةُ رخَّص له في حياته لتربية المريدين، وأحال أكثرَهم عليه.

وكان الخواجه نقشبند يقول: علاء الدين خفَّف عنِّي أكثرَ الأثقال، لا جرم كان له ظهور من أنوار الولاية وآثارها على الوجه الأتمِّ الأكمل، وببركة صحبته وصلَ كثيرٌ من درجةِ النقص إلى مرتبة الكمال والتكميل والفقر.

سمعت من بعض المحبين: **قال قدوةُ العلماء المحقِّقين، وأسوةُ الكبراء المدققين، صاحبُ التصانيف الفائقة، والتحقيقات الرائقة، السيد الشريف الجرجاني قدس الله سره:** لمَّا أعطاني الله توفيقَ التوبة، ودخلتُ في سلك

---

(١) في (ص): فإن اليوم.

(*) رشحات عين الحياة ٦٧، الحدائق الوردية ٤٤٤.

أصحابه، وحصلَ لي قبولٌ عنده، وعند أصحابه، ما عرفتُ اللهَ تعالى حتى وصلتُ بالخواجه علاء الدين العطار، وما رفضتُ الرَّفضَ حتى اجتمعتُ بالشيخ زين الدين علي. كلاً رحمه الله تعالى.

وإنَّ بعض كلماته القدسية التي ذكرها الخواجه علاء الدين في المجالس والمحافل، قيَّدَها الخواجه محمد البارسا في قرطاسٍ، وبعضٌ منها بطريق التبرُّك والتيمُّن أذكرها:

قال الخواجه: ينبغي الرؤية إلى العناية السابقة الأزلية، راجياً لها بلا علَّةٍ وسبب، وكن طالباً له، ولا تكن غافلاً عنه لحظة، واحفظ نفسَك عن استغنائها، وقابلْ حقَّ الله بخشيةٍ كثيرة، وكن خائفاً من ظهورِ الاستغناء الحقيقي.

وقال: إن السكوتَ[1] ينبغي أن لا يكون خالياً عن ثلاثِ خصالٍ: حفظ الخواطر، والتوجُّه إلى الذكر، والمشاهدةِ لأحوال القلب، فمنعُ الخواطر والاحتراز عنها متعذِّرٌ، اجتهدتُ عشرين سنة في التحرّز عن الخواطر، فبعدها جاء خاطرٌ، لكنه ما استقرَّ، فمنعُ الخواطر متعسِّرٌ.

وقال بعضهم: لا اعتبار[2] للخاطر، لكن لا ينبغي أن يتمكَّن، فتمكُّنه يسدُّ مجاري الفيض، فينبغي للطالب أن يكونَ واعياً في نفي الخواطر، ويخلِّي نفسه بأمرِ المرشد حضوراً وغيبةً من الخواطر، حتى لا تتمكَّنَ في باطنه، وبهذا السبب كلما يجيء خاطر بلباس وصورةٍ أخرى، تنفي تمكّنها من القلب، والمعتبر في هذا الطريق الذهابُ منك فيك، وعلامةُ ذهابك فيك غيابُكَ عن نفسك، وحضورك مع الله تعالى، فالغيبةُ على قدر العشق، والحبِّ المفرط، فمن يكون عشقُه وحبُّه أكثرَ تكون غيبته عن نفسه أكثر، ويكون حاضراً مع المعشوق، فالغياب عن الملك والملكوت هو الفناء، فالغيبةُ عن الغيبةِ فناءُ الفناء.

---

(١) في (ب): السكون.
(٢) في (ب): إلا اعتبار.

فبعد الصلوات الخمس وتدريس العلم أستغفرُ الله عشرين مرة، وأصقلُ وجهَ المرآةِ، ولا ينفعُ أن يضربَ المصقَلَةَ على جنبها، أو على ظهرها، وهم في هذا الزَّمانِ يذكرون الله تعالى الذكر الخفي بالمعدة، ولا يذكرونه بالقلب، فإن المقصود ليس كثرة الذكر، واذكر الله في نَـفَسٍ واحد ثلاث مرات، تبتدئ: (لا إله إلا الله)، من جانب الأيمن، وتنزل على القلب الصنوبري الشكل، و (محمد رسول الله) تُخرجُه من الجانب الأيسر، ولا يحصلُ المقصودُ إلاَّ بالمجاهدة، وقبل الصبح، وبعد الغروب، ادخلِ الخلوة، وكن فارغاً عن الخلقِ.

قال الشيخ فريد الدين العطار رحمه الله تعالى:

نقطـــةُ محبـــوبـــي الـــذي قـــد ظفـــرتْ بهـــا يـــدي
مـــن بعـــد لأيٍ قطـــرةٌ مـــن الـــدِّمـــاء فـــي كبـــدي

أو تذكره في نَـفَسٍ واحدٍ تسع مرات، أو سبع عشرة مرة، وإن لم يفتح، فابتدأ من الأول.

وقال أيضاً: يحصل لزائر قبور الأولياء روَّح الله أرواحهم[1] الفيضُ، والنتيجة على قدر معرفة حاله، ومقامه ووصفه، ويتوجَّه إلى تلك الصفة، ويدخل فيها، وإن كانت الفوائد في المشاهدة الصورية أكثر منها في الغائب، وفي الحقيقة التوجُّه إلى الروحانية المقدسة، البعد الصوري لا يكون مانعاً لحديث النبي ﷺ: «صلُّوا عليَّ حيثما كنتم»[2]. وهذا بيانٌ وبرهانٌ لهذا الكلام، وليس الاعتبار بمشاهدة الصور المثالية من أهل القبور بالنسبة إلى

---

(١) جملة: روَّح الله أرواحهم مستدركة من المطبوع (ف).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، والضياء في المختارة عن الحسن بن علي: «صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً، ولا تتخذوا بيتي عيداً، وصلوا عليَّ وسلِّموا، فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» قال الهيثمي: فيه عبد الله بن نافع وهو ضعيف. انظر فيض القدير ٤/ ١٩٩ (٥٠١٦).

معرفة صفتهم في ذلك التوجُّه والزيارة. ومع هذا قال الخواجه نقشبند: مجاورةُ الحقِّ سبحانه وتعالى أحقُّ وأولى من مجاورة الخَلْق. وكان يجري على لسانه هذا البيتُ كثيراً:

إلـى متـى أنـتَ بـآثـارِهِـم تفتـق يَستعبـدُكَ المَثْـوى
حـمْ حـول أفعـالهـم أو تَنـل بـالانقطـاعِ المـنَّ والسَّلـوى

فالمقصود بزيارة ومشاهدة أكابر الدين، رضي الله عنهم أجمعين، أن يكونَ التوجُّهُ إلى الله، وأن تكون الروحُ وسيلةً له، وهكذا في التواضع للخلق، وإن كان التواضع بالظاهر للخلق، لكنه في الحقيقة لله، لأنَّ التواضعَ للخلق لا يكونُ مَحسوباً، إلاَّ إذا كان ذلك التواضعُ خاصَّةً لله تعالى، بمعنى أن يعرفهم مظاهر آثار القدرة وحكمته، وإلا يكون ضِعَةً لا تواضعاً.

وقال أيضاً: إن طريقَ المُراقبة أعلى من طريق النفي والإثبات، وأقربُ إلى الجذبة، ومن طريق المراقبة يحصل مرتبة الوزارة، والتصرّف في المُلك والملكوت، والإشراف على الخواطر، ويقدر أن ينوِّرَ البواطن، وينظر بنظر الموهبة، ومن ملكة المراقبة يتيسَّر دوام جمعية الخاطر، وقبول القلوب، وهذا المعنى يُسمى جمعاً وقبولاً.

وسئل العزيزان عن ذكر الجهر، قال: بإجماع علماءِ الدين، يجوزُ ذكرُ الجهر في النَفَس الأخير، وللصوفيِّ كلُّ نفسٍ النفسُ الأخير.

ومات الخواجه علاء الدين عطار قدس الله سره، ليلةَ الأربعاء، بعد صلاة العشاء، العشرين من رجب سنة اثنتين وثمان مئة.

وقبره في قرية جغانيان[1].

* * *

---

(١) صَغانيان: والعجم يبدلون الصاد جيماً فيقولون: جغانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر، متصلة بترمذ. معجم البلدان.

(٤٤٨) محمد البارسا(*)

الخواجة محمد البارسا قدس الله سره، اسمه محمد بن محمد بن محمود الحافظي البُخاري قدس الله أسرارهم.

وهو أيضاً كان من كبار أصحاب الخواجة نقشبند.

قال الخواجة نقشبند في حقِّه عند الأصحاب مخاطباً له: ما كان عندي أمانةٌ من خلفاء سلسلة الخوجكان قدس الله أسرارهم، وما حصل لي من كسبي أودعتُكَهُ كلَّه يا محمد البارسا، كما أودعني أخي في الدِّين مولانا عارف، فاقبله، وأدِّ تلك الأمانة إلى خلق الله تعالى، فتواضع.

وقيل: قال الخواجة نقشبند في مرضه الأخير ـ وما كان الخواجة محمد حاضراً ـ عند أصحابه وأحبائه، في حق الخواجة محمد: المقصودُ من ظهوري ووجودي وجودُ هذا التركمان، وربيته بطريقِ الجذبة والسُّلوك، وإذا اشتغلَ بالذِّكر يتنوَّرُ العالم بنورِ ذكره.

وقال وقتاً آخر: صفةُ بُرْخ أوهبه[1] بنظر الكرامة. وقصة بُرْخ رضي الله عنه مذكورةٌ في كتاب «قوت القلوب»[2].

(*) الضوء اللامع ١٠/١٢١، رشحات عين الحياة ٥٢، الفوائد البهية ١٩٩، الشقائق النعمانية ١٥٥، الطبقات الصغرى للمناوي ٤/٥٣٦، الحدائق الوردية ٤٣٦، تاريخ الأدب العربي ٧/٢٤٦. ولقب ببارسا لأنه جاء يوماً لزيارة الشيخ نقشبند، ووقف عند الباب ينتظره، فخرجت جارية، فرأته، فرجعت، فقال لها الشيخ: من بالباب؟ قالت: شاب بصورة بارسا ـ وهو المتعبد ـ فخرج الشيخ وقال: أنت كنت بارسا. فاشتهر به. الحدائق الوردية.

(١) في (ح): أو هبته.

(٢) جاء في الرشحات ٥٣: وشرف هذا المخلص بنظرٍ وهباني بصفة بُرخ الأسود كان عبداً أسود في زمان سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وكانت له درجة المحبوبية عند الله سبحانه. وقيل: إن بُرْخاً من بني إسرائيل كان قرين أويس القرني في هذه الأمة.

ووقت آخر نظرَ إليه بنظر الموهبة ودعا له، يعني ما يقول هو يقع هكذا.

ووقت آخر قال: ما يقول هو يقبلُ الله تعالى دعاءَه بحكم حديثٍ صحيح: «إن من عبادِ اللهِ من لو أقسمَ على الله سبحانه لأبرَّهُ»[1]، أنا أقول له قل، وهو يقول[2].

ومذكور في محلٍّ آخر: لقّنه ذكر الخفية، وأجازه بعمل ما أعطاه من آداب الطريقة والحقيقة، ودقائقها وتعليمها، إلى غير ذلك من التشريفات التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

وخرج من بُخارى بنيّة الطواف، وزيارة النبي ﷺ، في محرَّم سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة، واختار طريق نَسَف إلى صغانيان، وترمذ، وبلخ، وهراة، لزيارةِ قبورِ بعض المشايخ، وعلماءُ تلك البلاد وساداتُهم اغتنموا نزولَه وقدومه، وعززوه وأكرموه، وأظنُّ أنه تعدَّى من ولاية الجام في أواخر جُمادى الأولى، أو أوائل جُمادى الآخرة، في السنة المذكورة، وإنَّ أبي خرجَ لزيارته مع جماعةٍ كثيرة، وكان عمري في تلك الأيام خمس سنين كاملة، فأمر أبي واحداً يَحملني على كتفه، فوضعني قدّامَ المحفَّة المحفوفة بأنواره، فالتفتَ إليَّ كثيراً، وأعطاني حبَّةً من النبات الكرماني، واليوم مذ ستين سنة، صفاءُ طلعته[3]، ونورُ جماله في نظري موجود، ولذَّةُ رؤيته في قلبي على حالها، وحصل لي رابطةُ الإخلاص، والاعتقاد، والمحبة، بسلسلة الخواجكان[4] ببركة نظره، والتفاته، وأرجو من الله تعالى أن يَحشرني الله تعالى في زمرتهم.

---

(1) روى مسلم (٢٦٢٢) في البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «رب أشعث مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره»، وانظر روايات الحديث في كشف الخفا ١/ ٤٢٥.

(2) في (ص): وهو لا يقول.

(3) في (ص): صفاء طاعته.

(4) انظر الحاشية (١) صفحة (٣٨١).

ولمّا وصل نيسابور وقع الكلام بين أصحابه بواسطة خوف الطريق، وشدَّةِ حرِّ الهواء، فوقع الفتورُ في العزيمة، ففتح ديوان مولانا جلال الدين الرُّومي بطريق التفاؤل، فخرج هذا البيت:

عشَّاقُ حقٍّ في مراكبِ فخرِهِ ذهبوا بإقبالٍ إلى أبدِ الأبد
كالبدرِ يُصبحُ في منازل سعده بالنُّور والبركات قد عمَّ[1] البلد
هو في أمانِ الله تحت لوائه لا خوفَ في هذا الجَنَابِ ولا نكد

وكتب مكتوباً من نيسابور، وأرسل إلى بخارى، هو: باسمه سبحانه، مكتوبٌ هذا المكتوب، من اليوم الذي خرجنا من نيسابور، وأنا في حماية الله، وسائر بلاد المسلمين عن الآفات والمخالفات.

كان ذلك اليوم إحدى وعشرين جُمادى الآخر، سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة، في حالة الصحة والسلامة والرفاهية، ووثوق التمام بفضل الله وكرمه، وقوة القلب، وقوة اليقين بفيوضٍ غير متناهية، وبحكم الإشارة والبشارة، كان رسول الله ﷺ يتفاءلُ ولا يتطيَّر، وقال رسول الله ﷺ: «لم يبقَ بعدي من النبوَّة إلا المبشرات، يراها المؤمنُ، أو تُرى له»[2] وهذا حديثٌ متفق على صحته.

يا نبيَّ الهدى حَديثُكم غوثي واعتصامي ببابِكُمْ والتجائي

فلمَّا وصلوا بالصحَّة والسلامة والعافية بمكَّة المكرمة المشرفة، زادها الله شرفاً، وطافَ بالبيت، وحجَّ، وأدَّى أركانه، حصل له مرضٌ شديدٌ، حتى طاف طوافَ الوداعِ مَحمولاً، وعزم إلى المدينة لزيارة النبيِّ ﷺ، وفي طريقِ المدينة طلبَ الأصحاب، وأملى هذا: بسم الله الرحمن الرحيم، جاءني سيد الطائفة الجُنيد قدس الله سره، في ضحوة يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة، عند انصرافنا من مكَّة المباركة، زادها الله تعالى

---

(١) في (ص): قد عمر.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١/ ٣٤٨ (٤٧٩)، وأبو داود ١/ ٢٣٢ (٨٧٦)، والنسائي ٢/ ١٨٩ (١٠٤٥)، وابن ماجه ٢/ ٢٨٣ (٣٨٩٩) عن ابن عباس.

تكريماً وبركاتٍ، ونحن نسير مع الركب، وأنا بين النوم واليقظة، فقال رضي الله عنه: في زيارته وبشارته القصد مُقبول. فحفظتُ هذه الكلمة، وسررتُ بها، ثم استيقظت من الحالة الواقعة بين النوم واليقظة، الحمد لله على ذلك.

ثم قال: هذه الكلمة الواحدةُ، التي وقعت من سيِّد الطائفة قدس الله سره هي كلمةٌ جامعة تامة، وفيها بشارةٌ[1] شاملةٌ عامَّةٌ لي ولأولادي، وأصحابي، وأحبابي الحاضرين، والغائبين؛ لأنَّ دعائي في هذه المشاعر العظام، والموقف، والمقام، ما كان قصدي به إلاَّ مصالح الدنيا والدين، فحمدتُ الله تعالى، فبحكم هذه البشارة عسى أن يكونَ مقبولاً مبروراً، والحمدُ لله سبحانه حمداً طيباً مباركاً يوافي نعمه ويكافئُ مزيده.

ووصل بمدينة النبيِّ ﷺ يوم الأربعاء في الثالث والعشرين من ذي الحجة، وبشَّره النبيُّ ﷺ ببشارات كثيرة.

وانتقل إلى جواره رحمه الله تعالى يومَ الخميس، وصلَّى عليه مولانا شمسُ الدين الفناري الرومي، وأهلُ المدينة والقافلة، وباتوا ليلةَ الجمعة عند قبره، ودفنوه جوار قبة أمير المؤمنين العباس رضي الله عنه، والشيخُ زين الدين الخَوافي رحمة الله عليه، جاء بحجرٍ أبيضَ من مصر، وجعله لوحاً على قبره، فمن هذا قبرُه يمتاز[2] عن غيره.

وقال واحدٌ من أصحابه الثقات: قال الخواجة برهان الدين أبو نصر رحمه الله تعالى: وقتَ موت أبي ما كنتُ حاضراً، فلمَّا جئتُ، كشفتُ الرِّداء عن وجهه حتى أُبصرَ وجهَهُ، ففتح العيون، وتبسَّم، فزاد قلقي واضطرابي، فذهبت إلى رجله، ووضعت فمي على رجله، فلَمَّ رجله.

فلما انتشرَ خبرُ موته؛ أنَّه مات في مدينة رسول الله ﷺ، قال بعضُ الأعاجم

---

(1) في (ص): إشارة.
(2) في (ص): ممتاز.

بهذه العبارة: آنجا بازيدكه از آنجا تازيد. يعني مات مكانَ يُحبُّ[1].

وقال واحدٌ من مُريديه ومُحبِّيه: لمَّا أرادَ الخواجة سفر الحج، فوقت الوداع، قلتُ: ذهبتم يا خواجة ؟!. قال: ذهبتُ، ذهبت.

ومن أنفاسه المتبرّكة التي كتبها إلى أصحابه، وهي هذه: خاطري على الدوام كان متوجّهاً إلى أحوال ظواهركم وبواطنكم، وعلى الدوام كنتُ مُنتظراً إلى عناية الله بلا علة.

قال سيد الطائفة الجنيد قُدِّسَ سرُّه: **إن بدت عينٌ من الكرم، ألحقت اللاحقين بالسابقين**، ومع وجود هذا ينبغي الجهدُ والجهاد، وهو أصل عند كبراء الدين قدَّس الله أرواحهم أجمعين.

سُئل: بأيِّ شيءٍ تجد الطريقة ؟. قال: بالتشرُّع، **والمحافظة على الأمر الوسط في الطعام، لا فوق الشبع، ولا الجوع المفرط**، وتقليل المنام على حدِّ اعتدال المزاج، على الخصوص إحياء بين العشاءين، **وقبل الصبح بحيث لا يطلع عليه أحدٌ**، وينبغي التوجُّه والذهاب في نفسك، ونفي الخواطر، على الخصوص نفي خاطر التمنِّي، بنسبة الحال والاستقبال والماضي، وهو مؤثِّر **في رفعِ الحُجُب عن القلب**.

وقال: **إذا سكتَ اللِّسان عن فضول الكلام، نطقَ القلبُ مع الله سبحانه، وإذا نطقَ اللِّسان سكتَ القلب، والصمتُ على قسمين، صمتٌ باللسان، وصمتٌ بالقلب عن خواطر الأكوان، فمن سكتَ لسانُه، ولم يصمت قلبه خفَّ وزرُه، ومن صمت لسانُه وقلبُه ظهرَ له سرُّه، وتجلَّى له ربُّه عزَّ وجلَّ، ومن لم يصمت بلسانه ولا بقلبه، كان مملكةً للشيطان وسخرةً له، أعاذنا الله من ذلك، ومن صمتَ قلبُه، ولم يصمتْ لسانُه فهو ناطقٌ بلسان الحكمة، ساكتٌ عن فضول الكلام، رزقنا الله تعالى ذلك بفضله وكرمه**.

* * *

(١) في (ص): مكان يحبه.

(٤٤٩) أبو نصر بارسا(*)

الخواجة أبو نصر بارسا رحمه الله تعالى، الذي كان ثمرةَ الشجرة الطيبة، الخواجة حافظ الدين أبو نصر محمد بن محمد بن محمد الحافظي البخاري رحمهم الله.

وبعد موتِ أبيه، جلسَ مكانه، وأخذَ علمَ الشرائع، ورسومَ الطريق عن والده، وفي نفي الوجود، وبذل الموجود كان أقوى منه، ويبالغ في ستر الحال بالتلبيس، حتى ما فهم أحدٌ أنه من أهل هذا الطريق.

وإن سأل أحدٌ منه مسألةً، يقول: انظر في الكتاب. فلمَّا يفتح الكتاب يخرجُ ذلك المحلُّ، أو يتفاوتُ ورقةً أو ورقتين.

ويوماً وقع في مجلسه ذكرُ الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى، ومصنفاته، فنقل عن والده قال: قال أبي: إنَّ «الفصوص» روح، و «الفتوحات» قلب.

وقال: من فهم «الفصوص» كما ينبغي، يحصلُ له الرغبة والميل إلى متابعةِ رسولِ الله ﷺ أكثرَ مما كان.

توفي رحمه الله تعالى في شهور سنة خمس وستين وثمان مئة، وقبره في بلخ.

* * *

(٤٥٠) حسن العطار(**)

الخواجة حسن العطار رحمه الله تعالى، هو ولد الخواجة علاء الدين العطار، وكان ثمرةَ شجرة ولاية أبيه.

(*) رشحات عين الحياة ١١١، الحدائق الوردية ٤٣٩.

(**) رشحات عين الحياة ٧٥، الحدائق الوردية (ضمن ترجمة نقشبند) و ٤٤٤ (ضمن ترجمة أبيه).

وكان له جذبةٌ قويةٌ، وإذا أرادَ أن يُشرِّفَ أحداً بالجذبة تصرَّف فيه، وأيُّ وقتٍ يُريد يحصل له الغيبة والحضور ذلك الوقت بما لا يتيسَّرُ لأرباب السلوك إلاَّ على سبيل الندرة، وبعد المجاهدة والرياضة الشاقة.

واشتهر كيفيةُ تصرُّفه في جميع بلاد ما وراء النهر، وخراسان، فكلٌّ من جاء لتقبيل يده ورجله، غابَ عن نفسه.

سُمع أنه خرج يوماً من بيته بعد الصبح، وكان حالُه قوياً، فمن وقعَ نظرُه عليه يحصلُ له الغيبةُ، ويخرُّ مغشياً، فواحدٌ من أصحابه وصلَ في بلاد هراة، وكان الغيبة والجذبة والحيرة غالباً عليه، فلمَّا يدخل السوق، يظهرُ أنَّه غائبٌ عن معاملة الخلق.

وقال: وشيخٌ كنتُ في خدمته بحفظِ[1] صورة الخواجة حسن، وكان عادة الخواجة حسن العطار يحملُ مرضَ المريض كما كان، وما كانت هذه الجذبة إلاَّ طريقَ السلسلة[2]، ووقت وصل الخواجة إلى شيراز، وكان واحدٌ من أحبَّائه مريضاً، فذهب الخواجة لعيادته، فحمل مرضه، وأعطاه الله الصحة، ومرض الخواجة، وماتَ بذلك المرض، ليلة الاثنين عيد النحر، سنة ست وعشرين وثمان مئة، ونقلوا نعشه إلى صغانيان عند قبر أبيه.

* * *

(٤٥١) يعقوب الجرخي[*]

مولانا يعقوب الجرخي رحمه الله تعالى، أصله من جرخ، قرية من قرى غَزْنين.

وكان من أصحاب الخواجة علاء الدين العطار، بل كان من أصحاب الخواجة نقشبند قُدِّس سرُّه، وبعد ممات الخواجة نقشبند صحبَ الخواجة علاء الدين العطار.

---

(١) في (ب): كنت في خدمته، وما كانت هذه الجذبة إلا بحفظ.

(٢) في (ح): كما كان طريق السلسلة.

(*) رشحات عين الحياة ٥٨، الحدائق الوردية ٤٧٤.

قال مولانا يعقوب: أول مرة لمّا وصلتُ الخواجة[1] نقشبند، وطلبت منه الطريقة، قال: أنا ما أفعل شيئاً بنفسي، أنظر هذه الليلة، إن قبلَك اللهُ تعالى، أنا أقبلُكَ. قال مولانا: ما كان ليلة عليَّ أصعبَ من هذه الليلة، طول الليل كنتُ مُتفكِّراً، كيف يكون أُقبَلُ أو أُرَدُّ؟. فلما أصبحتُ، وذهبت عنده، قال: قبلَ اللهُ تعالى، لكن تكون في صحبة الخواجة علاء الدين. ثم ذهبتُ إلى بدخشان، والخواجة علاء الدين بعد موت الخواجة نقشبند ذهب إلى قرية صغانيان، وتوطَّن بها، فأرسل المندوب إليَّ، وقال: كان أمرُ الخواجة نقشبند أن تُصاحبني. فذهبت عنده، وصحبته مدَّةَ حياته.

وصحبه الجناب المخدومي المُرشد على الإطلاق، الخواجة ناصر الدين عُبيد الله، أدامَ الله تعالى ظلالَ إرشاده على مَفارق الطالبين.

وقال: كنتُ في هراة، وحصل لي شوقُ ملازمةِ مولانا يعقوب، فعزمت إلى صغانيان، فوصلت لخدمته بمشقَّةٍ شديدةٍ، ففهمتُ من كلامه أنه كان في هذا الطريق ماشياً.

وقال: لما دخلتُ عليه، وكان على وجهه بياضٌ، فكان سببَ نفرة الطبع، فظهرَ عليَّ بالتجلِّي القهري، وخاطبني بخطابٍ غليظ، وسياسة، حتى كادَ أن ينقطع ربط الباطن، فحصلَ لي اليأسُ[2]، فصرت محزوناً مغموماً، ثم مرةً أخرى دخلتُ بمجلسه الشريف، فظهر عليَّ بصفة المحبوبية، حتى ما رأيتُ أبداً مثلَ هذا المحبوب، وتلطَّف لي كثيراً، وفي أثناء هذا الكلام، رأيتُ الخواجة بصورةِ شيخٍ كان لي إرادةٌ به، وكنتُ مُحبًّا له، وكان ذلك الشيخ متوفّياً، فخلع تلك الصورة، وحسبت ما كان تلك الصورة إلاَّ في نظري، ثم سمعتُ من بعض الأصحاب أنَّهم رأوه بتلك الصورة، فكان في عقيدتي أن ذلك الخلعَ واللبس باختياره.

وسمع من الثقات، قال مولانا يعقوب الجرخي رحمه الله: ينبغي للطالب

---

(١) في (ب): بالخواجة.
(٢) في (ب): الباس.

أن يجيءَ عند الشيخ مثل الخواجة عُبيد الله أحرار، بمسرجةٍ مهيَّأةٍ بالدهن والفتيلة، لا تبغي شيئاً إلا الكبريت.

قال الخواجة أحرار: مولانا يعقوب الجرخي، والشيخ زين الدين الخوافي، قرأا علمَ الظاهر في درسٍ واحدٍ، عند مولانا شهاب الدين السيرافي.

سألني يوماً مولانا يعقوب، قال: سمعتَ يقول الناس: الشيخُ زين الدين الخوافي يتوجَّهُ لحلِّ الوقائع، وتعبير المنامات، ويبالغُ في ذلك؟ قلت: أجل. فغابَ عن نفسه لحظةً، وكانت عادته يغيبُ ساعةً فساعة، فلمَّا أفاق قرأ هذا البيت:

أنا عبدُ الشَّمسِ المُضيئة ما تنظرُ شمساً قولي مُبيّناً كلامي
لستُ[1] ليلاً ولا تعبَّدتُ لليل فأُريك الرؤيا التي في منامي[2]

* * *

(٤٥٢) علاء الدين الغُجْدَواني(*)

الخواجة علاء الدين الغُجْدَواني رحمه الله.

قال الخواجة عُبيد الله أحرار: كان الخواجة علاءُ الدين الغُجْدَواني من أصحابِ الخواجة نقشبند، وأمرَهُ الخواجة نقشبند أن يَصحبَ مع الخواجة محمد البارسا.

وكان له استغراقٌ قوي، وكان كلامه في غايةِ الحلاوة، وبعضُ الأزمان يغيبُ في أثناء الكلام.

ولمَّا أرادَ الخواجة محمد البارسا سفرَ الحجِّ، أرادَ أن يكون الغجدواني

---

(١) في (ص): لمست.
(٢) ترجمة البيت في الحدائق الوردية ٤٧٧:
أنا إن كنت إلا عبد شمس وإن حدثت إلا عن سناها
وما أنا ليل أو عبد ليل يربي المرء بالرؤيا يراها
(*) رشحات عين الحياة ٦٠، الحدائق الوردية ٤٤١.

رفيقه في سفره، والتمسَ واحدٌ من أكابر البلاد، وقال: ياخواجة، ملا علاء الدين رجلٌ كبير السنِّ، وشيخ مُعمَّرٌ ضعيف البدن، وإن تتركه من هذا السفر لا يبعد. قال الخواجة محمد البارسا: ليس لي احتياج إليه، إلاَّ أني إذا رأيته أذكر نسبة العزيزان.

* * *

(٤٥٣) نظام الدين الخاموش(*)

مولانا نظام الدين الخاموش، بمعنى الساكت.

هو من أصحاب الخواجة علاء الدين العطار، واجتمع مرةً واحدةً بالخواجة نقشبند في أوان تحصيلِ علم الظاهر في بُخارى، مع واحد من علماء الظاهر، ثم صحبَ الخواجة علاء الدين العطار.

وكان مُرتاضاً بأنواعِ الرياضات والمجاهدات، ويبالغُ في تزكيةِ النفس، وتصفيةِ القلب، قبل أن يصحب الخواجة علاء الدين.

وقال مولانا نظام الدين: لمَّا عزمتُ لزيارة الخواجة علاء الدين العطار أوَّلَ مرة، استقبلني واحدٌ من أصحاب الخواجة نقشبند، فقال لي: يا نظامَ الدين، لعلَّكَ تخرجُ من الزهد والتزكية. فثقل عليَّ كلامُه، فلمَّا دخلتُ عند الخواجة، قال الخواجة ما قاله، لكنَّه ما ثقلَ عليَّ كلامُ الخواجة.

قال مولانا ومخدومنا مولانا سعدُ الدين الكاشغري رحمه الله تعالى: كان جيبُ ثوبه دسماً على الدوام، وكنتُ متعجِّباً منه، ولا أعرفُ سببه، ثم علمتُ سببه أنَّه كان مغلوبَ الحال، فلمَّا يأكلُ الطعامَ، تنصبُّ المرقةُ على صدره، ويصيرُ دسماً.

وأيضاً عنه، قال: لمَّا غلبَ عليه الحال، وأرادَ الخواجة علاء الدين العطار أن يُشغلَه بشغلٍ من أشغال الدنيا، حتى يفيقَ، وينقص حالُه أمره بطبخ الطعام

(*) الشقائق النعمانية ١٥٥، ١٥٦، رشحات عين الحياة ٨٩، الحدائق الوردية ٤٦٠.

مع الجماعة، فأرادَ أن يرمي البقرة في القدر فطاحت، والمرة الثانية رمى البقرة في الموقد، فقال الخواجة علاء الدين: قم، فمن أشغلَه اللهُ وجذبَه، أنا لا أقدرُ أن أمنعه.

قال مولانا نظام الدين: عزم الخواجةُ علاء الدين يوماً إلى زيارة قبر الخواجة محمد بن علي الحكيم الترمذي قُدِّس سرُّه، وأنا ما ذهبتُ معه، وفي المكان الذي كنتُ توجَّهت إلى روحانيته، حضرت روحانيته، فلمَّا وصلَ الخواجة علاء الدين مزارَه، ما وجد روحَهُ في قبره، فعلمَ سببَه، ورجع، فتوجَّه أن يتصرَّف فيَّ، فأنا أيضاً توجَّهتُ، فوجدتُ نفسي مثل حمامةٍ، ووجدت الخواجة مثلَ بازٍ أشهبَ يُريدُ أن يأخذني، وأنا أشرد، وهو على أثري، فاضطررتُ فبغايةِ الاضطرار التجأت إلى روحانية النبيِّ ﷺ، فمُحيتُ في أنواره التي ما لها نهاية، فما بقي له مجالُ التصرُّف، فمرض من غاية غيرته، ولا يعرفُ أحدٌ سببَ مرضه.

وأيضاً عنه، قال: مرضَ واحدٌ من أحبائه بمرضٍ شديد، وقال مولانا: أذهبُ لعيادته. قال في الطريق: فلانٌ خدمني خدمةً حسنةً، فينبغي لي أن أحملَ مرضَه. فلمَّا جلسَ عند رأسه، وكان مضطجعاً على وجهه، وما كان له قدرةُ التكلُّم والحركة، فتوجَّه مولانا إليه ساعةً، فقام، وجلس، وابتدأ الكلامَ، كأنه ما كان مريضاً، فلمَّا رفع رأسه قال مولانا: مرضُك عليك، لأنَّك تكلَّمتَ كلاماً كثيراً. فقام من عنده، وقال في الطريق: لمَّا حملتُ مرضَه رأيت مرضه مرض الموت، فردَّيتُ مرضَه عليه. ومات ذلك الرجل بذلك المرض.

وأيضاً عنه قال: إن ليلةً واحدٌ من المُنكرين تكلَّم كلاماً كثيراً، وأنا كنتُ أردُّ جوابه، وكان بيني وبين مولانا مسافةٌ بعيدة، لا يمكنُ أن يسمعَ من هناك كلامنا، فلمَّا أصبحتُ عنده، قال: البارحةَ صوتُكَ شوَّشَ عليَّ كثيراً. وقال: ينبغي أن لا تشتغلَ بكلام أحدٍ، بل ينبغي أن تكونَ مشغولاً بوظائف باطنك.

قال الخواجة عبيد الله، أدامَ الله بقاءَه: إن يوماً عزمتُ إلى زيارته، فاستقبلني واحدٌ كان بيني وبينه معرفةٌ بالجملة، وكان ذلك الرجلُ يشربُ الخمرَ، وآثارُ شُربه ظاهرٌ عليه، وحبسني بالكلام، فلمَّا وصلتُ عند مولانا،

قال: شربتَ الخمر يا عبيد الله ؟. قلت: لا. فقال: كيف حالُك ؟. قلت: في الطريق لقيتُ رجلاً سكران، ووقعتِ المكالمة. فقال: هذا حاله الذي تأثَّرتَ به.

وأيضاً عنه قال: قال مولانا نظام الدين: كان واحدٌ من أكابر سمرقند من أحبابي، في غاية الإخلاص والمودَّةِ، فمرض مرضاً شديداً مُشرفاً على الموت، فجاء عيالُه، وأولادُه ومتعلِّقاته، وبكوا عندي، وتضرَّعوا، فذهبتُ عنده، فلمَّا توجَّهتُ إليه كُشِفَ لي أنَّه ما بقي من حياته شيءٌ إلا أن آخذه في الضمن، فأعطاه الله تعالى الشفاءَ والصحة، فبعدَ مرور الزمان اتَّهمني الحُسَّادُ بتهمةٍ شنيعة، فصارت تلك التهمة سببَ إذلالي وإهانتي، وكان ذلك الرجلُ قادراً أن يدفع هذا الإذلال، لكنَّه ما توجَّه لحفظ حرمته، ورعايةِ جاهه، فثقلَ على خاطري، فأخرجته من ضمني، فخرَّ ميتاً.

وأيضاً عنه قال يوماً: أخبرني أنَّه حصلَ لمولانا مرضٌ، فلمَّا دخلتُ عليه، كان مولانا يتحرَّكُ من النفاضة، وكان عنده نارٌ يتدفَّأُ بها، وألبسوه أثواباً كثيرة، ولم تزل النفاضة، فجلستُ عنده ساعةً، فجاء واحدٌ من أصحابه مبتلاً برداناً برداً عظيماً، فلمَّا رآه مولانا، قال: دفُّوه، لأنَّ بردي من أثرِ برده. فلمَّا فعلوا ما قال مولانا، زالَ نفاضةُ مولانا مرَّةً واحدةً.

* * *

(٤٥٤) عبد الله الإمامي الأصفهاني (*)

الخواجة عبد الله الإمامي الأصفهاني رحمه الله تعالى، هو أيضاً من أصحاب الخواجة علاء الدين العطار قُدِّس سرُّه.

قال عبد الله: لما وصلتُ بالخواجة أول مرة قرأ هذا البيت:

إنَّ الكمالَ إذا استغرَقْتَ في اللهِ وكن بلا أنتَ تَغدو واصلاً ناهي

ذكر الخواجة عبد الله في بعض رسائله: إن طريقَ التوجه في هذه السلسلة هكذا: إذا أرادَ السالك أن يتوجَّه بالطريق المعهود، ينبغي أولاً أن يتخيَّل في

(*) رشحات عين الحياة ٧٩، الحدائق الوردية ٤٥٧.

خياله صورة عنصرية ذلك الشخص الذي أخذ عنه هذا الطريق، ويثبته حتى يظهرَ أثرُ حرارته، والسكر المعهود، فيتوجَّه معها بجميع القوى والمدارك بالخيال إلى القلب، الذي هو عبارة عن حقيقةِ الجامعة الإنسانية، لأن جميع الكائنات، العلوي والسفلي تفصيله، وهو منزَّهٌ عن حلول الأجسام، لكن وقعَ بينه وبين هذه القطعة اللحم نسبةٌ خاصة، فينبغي أن يكونَ متوجِّهاً بجميع المدارك والقوى إليه في الخيال، فيكون على الدوام حاضراً معه، ويجلس بطريق الحراسين بالدوام على بابه، أرجو من الله تعالى أن يحصلَ في هذا التوجه غيبةٌ عن العلم، فينبغي أن يكون متوجِّهاً إلى تلك الغيبة، فكن في تربيته، حتى لا يخطرَ خاطرٌ، ولا تفكُّر في أسمائه وصفاته تعالى، وإن جاء الخاطر بمقتضى البشرية ينفيه، وبإحضار صورِ الشيخ ينفي الخاطر، فإذا وجدتَ النسبةَ تنفي تلك الصورة بنفسها، لكن لا ينبغي للمتوجّه أن ينفي صورة الشيخ.

وأيضاً عنه قال: إن معنى الكلمة الطيبة، أنَّ النفي راجعٌ إلى نفي الكثرة، وصور الأشياء إلى عينٍ واحدة؛ لأنَّه المقصود والمطلوب لجميع السالكين، والإثباتُ عبارة عن مشاهدةِ الواحدِ في الكثرات والتعددات، فـ (لا إله) يعني هذه الصور المتوهَّمة التي تنفيها غيرية الحقِّ، وكلُّها راجع إلى أصلٍ واحد، و (إلا الله) يعني هذا المعنى الواحد، يرى بهذه الصور.

* * *

(٤٥٥) سعد الدين الكاشْغَري (*)

مولانا سعد الدين الكاشْغَري(١) رحمه الله تعالى، كان في أوائل الحال مشغولاً بتحصيل علومِ الظاهر، وجمع الكتب المُتداولة، وكان له جمعيةٌ

(*) رشحات عين الحياة ٨٩، ١١٤، الحدائق الوردية ٤٦١.

(١) الكاشْغَري: نسبة إلى كاشْغَر بالتقاء الساكنين، وهي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي في وسط بلاد الترك. معجم البلدان.

صورية أيضاً، فلمَّا حصلَ له طلبُ الطريق، تركه كلَّه، وبالتجريد التامِّ اختار صحبة مولانا نظام الدين الخاموش.

قال مولانا سعد الدين: كنتُ في خدمة وصحبة مولانا نظام الدين سنوناً كثيرة، فحصلَ لي إرادة الحرمين الشريفين، زادهما الله تعالى تشريفاً وتكريماً، فلمَّا قويتْ، واشتدَّتْ تلك الإرادة، طلبت الإجازةَ من مولانا، فقال مولانا: توجَّهتُ توجُّهاً، لكنِّي ما وجدتُك في هذه السنة في قافلة الحجاج. وقبلها رأيت مثله في الواقعات فكنت متوهماً، وقال مولانا: لا تخف، إذا وصلت بمولانا زين الدين تقول الواقعات التي رأيتَها قبلُ كلَّها، لأنَّه رجلٌ متشرِّعٌ، وجالس على جادة السنة. وكان مرادُه الشيخ زين الدين الخوافي رحمه الله، هو كان شيخاً متعيّناً في تلك الأيام في بلاد خراسان، فلمَّا وصلتُ خراسان، وقعَ التوقفُ عن عزم الحجِّ، كما قاله مولانا نظام الدين، فيسَّرَ الله تعالى الحجَّ بعد سنين كثيرة، فلمَّا دخلتُ على الشيخ زين الدين، قلت الواقعاتِ عنده كلَّها، فقال زين الدين: بايعني. قلت: الشيخُ الذي أخذت عنه هذا الطريق في حيِّ الحياة العنصرية، وأنت أمين، إن كنتَ تعرف يجوز هذا أبايعك ؟! فقال الشيخ: استخرِ الله. قلتُ: ما لي اعتمادٌ على استخارتي، أنت تستخيرُ يا شيخ. فقال: أنا أستخيرُ، وأنت أيضاً تستخير. فلمَّا جنح الليلُ استخرتُ الله، فرأيتُ في الرؤيا كأن مشايخَ الخواجكان نزلوا مقابر الهري، يقلعون الأشجار، ويهدُّون الجدران، وآثارُ القهر والغضب على وجوههم ظاهر، وكان الشيخُ هناك، ففهمتُ المنعَ منهم، وفرغ خاطري، فاسترحت، ونمت كنوم العروس، فلمَّا أصبحتُ ودخلت في مجلس الشيخ، قبلَ أن أتكلَّم شيئاً من الواقعة، قال الشيخ: الطريق كلُّها واحدة، ومرجعُهم كلُّهم إلى أمرٍ واحد، فكن مشغولاً كما كنت أولاً، وإن يقع لك مُشكلٌ أو ترى واقعةً، تقول ذلك عندي، أنا أمدُّكَ بحسب القدرة والطاقة.

وكان على مولانا سعد الدين حالٌ قوي مستولياً عليه، لأنه بادٍ في توجُّه، يغيبُ عمن سوى الله، ومن لا يكون له وقوفٌ ومعرفة، يحسبُ أنَّه ينعس، وأول المرتبة لمَّا وصلتُ في خدمة مولانا سعد الدين في مسجد الجامع جلستُ

عنده، وكما كان عادته يغيبُ لحظةً لحظة، وأنا حسبتُ أنه ينعس، فقلت: إن تستريح لحظةً يكون أحسن. فتبسَّم، وقال: ألا تعتقد أنَّ لي غير النوم أمراً آخر ؟!

وقال مولانا يوماً: بعضُ الصوفية لا يميِّزون بين النوم واليقظة، إلا بالخفَّة التي تحصل بعد النوم، وإلاَّ حالة الاشتغال في النوم واليقظة، يكون على طريقٍ واحدٍ، بل في حالةِ النوم يقوى الحالُ من جهة ارتفاعِ بعض الموانع، ويحصلُ الصفاء، وتقوى النسبة. وكان ظنِّي أنَّه يحكي عن حال نفسه، واللهُ أعلم.

ويَحكي واحدٌ من أصحابه أنه قال: كنتُ في مجلس الوعظ والسماع يتغيَّرُ حالي، وأصيحُ وأتفجَّعُ، وكنت مَحجوباً عن صدوره[1]، فذكرتُ ذلك يوماً عند مولانا، فقال: إذا فهمتَ وقتَ التغيُّر توجَّه إليَّ، وأَحضرْ صورتي في خاطرك. وفي تلك الأيام كان عازماً إلى سفرِ الحجاز، ويوماً كنت حاضراً في مجلس الوعظ، ففهمت ابتداءَ التغيُّر، فتوجَّهتُ إلى مولانا، فرأيتُه دخلَ من باب المدرسة، ووصلَ إليَّ، ووضع يديه على كتفي، فخررتُ مغشياً، فلمَّا أفقتُ وفرغَ الواعظ من وعظه، وانتشرَ الناس، ووقع عليَّ الشمسُ، وذلك اليوم كان يومَ خميسٍ آخر خميس من رمضان، فحفظتُ تاريخه وقلت: إذا رجعَ مولانا من مكَّة أقولُ عنده، فلمَّا رجعَ مولانا من مكة ذهبتُ عنده، وكان عنده اجتماعٌ، فلأجله ما قدرتُ أن أتكلَّمَ به عنده، فتوجَّه إليَّ، وقال: كان الخميس الذي ما كان خميس آخر إلى عيد الفطر.

توفي رحمه الله تعالى، في أثناء صلاة الظهرِ من يوم الأربعاء السابع من شهر جُمادى الآخرة، سنة ستين وثمان مئة.

* * *

---

(١) في (ب): صدوده.

(٤٥٦) عُبيد الله أحرار (*)

الخواجة عبيد الله أدامَ الله بركاتِ وجوده على مَفارق الطالبين.

كان في طبقة الخواجكان مظهر الآيات، ومجمع الكرامات والولايات، ورابطة الالتئام، وواسطة انتظام سلسلتهم الشريفة قَدَّس الله تعالى سرَّه، وأرجو من الله تعالى أنه وأحباؤهُ ببركة وجوده، يمتدُّ نظام هذه السلسلة إلى يوم القيامة، لكن الفقير يعرف أن أمثال هذا الكلام يكونُ سوءَ الأدب، لكن لا بدَّ لي أن أذكرَ بعضَ أحواله وأقواله التي ذكرها، في خلال المجالس، كما ذكرت أحوال وأقوال بعض المشايخ، فأذكر بعض المعارف والحقائق ممّا صدر منه.

قال الخواجة أحرار قدَّس الله سرَّه: انقطاعُ القلب عمَّا سوى الله دليلٌ على مظهرية القلب لتجلِّي الحقِّ سبحانه وتعالى بوصف الأحدية، لأن ظهورَ المعارف والحقائق، والأسماء والصفات متعذَّرٌ قبل تجلِّي الذات؛ لأن قابلية قبول انعكاس أنوار تجليات الذات بلا انقطاع عمَّا سوى الله تعالى، وعدم الالتفات مما كان محدثاً لا يتيسَّرُ، وانقطاع القلب عمَّا سوى الله موقوفٌ على تجلِّي الذات بوصف الأحدية، وحصولُ هذا المعنى بعد تحقق الإيمان بالله، وبرسوله، وبما جاء من عند الله، ومن عند رسول الله، على مراد الله، ومُراد رسول الله، وأسبابه الرياضة التي لا يمنعها الشرع، ودوام الذكر، مع وجدان المذكور بوصف الانكسار، والخضوع، واتِّباع رسول الله ﷺ، ظاهراً وباطناً، بالوجه الأتمِّ والأكملِ، لكن أقوى الأسباب في تحصيل هذه النسبة[1]، بمجالسة الجماعة التي تكون بواطنهم مظهرَ هذا التجلي، وفي استيلاء هذا التجلِّي، يخفى وجود الغير والسِّوى عن نظر بصيرته، ومشاهدة الغير بالكلية مرتفعاً، وبالفناء الحقيقي زال الشعور عن الأغيار، وبعد الفناء الحقيقي،

(*) رشحات عين الحياة ١٦٨، الشقائق النعمانية ١٥٥، الحدائق الوردية ٤٧٨، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٢٥.

(١) في (ب): هذه السُّنة.

أبقاه الله بالوجود الموهوب الحقَّاني، وأفاقَ من السكر إلى الصَّحوِ، فيكون واسطة الهداية لغيره، وفي هذا المقام، لا يحجبه شيءٌ عن شهود الله تعالى، فينبغي للأذكياء أن يجتهدوا في تخليص حبِّ الأكوان؛ لأنَّ الحجاب الحقيقي هو التعلُّقُ بالأكوان، وأسبابها، فينبغي للطالب أن يجتهدَ حتى يجدَ الخلاص[1] عن الأكوان، ويبالغ في ذكر الله تعالى، ولا يجوز الإهمال والتقصير فيه، وإن وجدَ الاستعداد في صحبة أربابِ الشهودِ، صحبَهم بمراعاة الأدب، فإن زمان انقطاع القلب عمن سوى الله، زمان الوصول والشهود، فلمَّا انقطعَ القلبُ عن حب الغير والسُّوى فما بقي إلا هو:

البؤس والبلوى مرَّان لا تبصرهما حلوان إلا به[2].

فبعد نفي ما دون الحقِّ، وعدم الالتفات عمَّا سوى الله، لا يبقى إلا الله.

إذا كان سيفُ الله في قتل غيره جَرى فذهابُ الغَيْرِ أَمْرٌ محقَّقُ
ويذهبُ كلُّ ما عدا اللهِ وحده بلا غيرِ والأكوانُ أَجمعُ تُحرقُ

وزمان الغيبة عمَّا سوى الله تعالى في الحقيقة زمانُ الوصول والشهود، والوجود لا يكون أزيد منه بحكم، «إنما الأعمال بخواتيمها»[3]، وإنَّ أربابَ الكشوف والشهود لا يعدُّون أرباب الذوق قبل التمكين من البالغين، لأن ظهور هذا المعنى مقدمة الفناء، والمبشر بظهور تباشير صُبح السعادة، ووصولٌ من مطلع الأحدية هو الاستغراق، والاستهلاك في شهود ذات الله تعالى بلا مزاحمة الشعور بوجود الغير، وإن يقع الترقِّي في هذا المقام، يَنقطع شعوره أيضاً عن ذوق تجلِّيات الأسماء، فإليه أشارَ ذلك الشيخُ أنَّ السالكَ يمكن أن يتَّصفَ بأوصاف الله، وهو بعد غيرُ واصل، لأنَّ المقصودَ من الوصول شهود الذات بعدم شعور الغير، ومرتبةُ اتِّصاف الأسماء، هو مرتبة تجلِّيات الصفات بلا كثرةِ

---

(١) في (ص): يجد الإخلاص.
(٢) في (ص): البوس والبلوى أمران لا تبصرهما إلا به.
(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦١٢٨) عن أبي سهل الساعدي.

متعذِّرٌ من وجه، وإن تريد مقام الحضور، وتأمن المكرَ ووسوسة الشيطان، بل المَلَكُ لا يكونُ مُطَّلعاً على حضورك، بل لا تكون نفسُك واقفةً عليه، فينبغي أن تصاحب من يكون قلبه مستغرقاً في ذكر ذاته تعالى وتقدَّس، وكان فارغاً عن نفسه، ولهذا المعنى يعبِّر بعضُهم بالشهود، وبعضهم بالوجود، وبعضهم بالتجلِّي الذاتي، وإن لم تحصل هذه السعادة، ينبغي أن يكونَ مشغولاً بذكر الله تعالى، أو بطريق التوجُّه، وجذبه الخواجكان، فجميعُ الأوقاتِ تكن همَّتكَ مستغرقة فيها فيتصل بهذه الدولة العظمى، فلا يتصور فوقه مقام، **ليس وراء الله منتهى، وإلى ربِّك المنتهى، وليس وراء عبادان قرية**:

ليسَ للعاشقِ غمٌّ لا ولا راحةٌ إلاَّ وهو يَستكملهما
لا ولا أَجرةٌ في خدمته عنده إلاَّ هو فاعلم وافهما
فإذا استنزَهَ في مفترج فهي السوداء لا العشقِ كما[1]
فالهوى شُعلةُ نارٍ أحرقت ما سوى الحبِّ تدعه عَدَما

فينبغي للسالك أن يكون حاضراً، وواقفاً على خروج نَفَسِه ودخوله، حتى لا يقع الفتور في حضوره تعالى، إلى أَنْ يصلَ إلى حالةٍ يكون له هذا الحضور دائماً بلا تكلُّف وتأمل، بل إن أراد بالتكلُّفِ أن يخرج من هذا الحضور، لا يقدر، وذلك الحالُ يستولي عليه بعض الأوقات، حتى لا يكون له خبرٌ عن نفسه، ولا يعرف بالوقوف القلبي، فينبغي بعد الإفاقةِ يكونُ متوجِّهاً، حتى لا يحصل فتورٌ في حضوره بواسطةِ بعضِ العوارض النفسانية، ودوام الالتجاء والافتقار بصفة الانكسار إلى جنابه سبحانه وتعالى سببٌ قويٌّ لحصول نسبة الحضور، فينبغي أن تطلبَ ثبوتَ الحضورِ بالافتقار إلى الحقِّ سبحانه وتعالى، وإن صرفَ أحدٌ عمرَ الأبدِ في تحصيل هذا الأمر، وحفظ الحضور أدَّى حقَّه، ووقع في شأن هذا الأمر غريمٌ لا يُقضى دينه، فإنَّ معنى المشاهدة ليس هو الذي يرى الله تعالى بحاسة البصر؛ لأنَّه لما يتجلَّى الله تعالى، لمعة من الأنوار الذي لا نهاية له، فالأرواحُ والأشباح كأن لم يكن موجوداً فلا يكون له اسم

---

(١) في (ب): كالعشق كما.

ولا رسم ولا أثر، بل بمعنى حضور القلب بحقيقة الذكر المنزَّه عن الحرف والصوت، فيترقّى بواسطة مداومة الذكر إلى درجةٍ لا يسعُ قلبُه غيرَ الله تعالى، ويقال في هذا الحال: القلبُ مُشاهد، والحقُّ شاهد، ولا يجد كمال الذوق إلا بعد زوال وصف الحضور، فينبغي الحضورُ بعدم الشعور بالحضور إلاَّ بقدر[1] شعور الحضور، يكون نقصٌ بحضور الله تعالى؛ لأنَّ ذاتَ الله تعالى أوسعُ وأكبر أن يسعها بصيرةُ القلب، فكيف يجوز أن يبصره بحاسة البصر؟! ومن هنا لا يزولُ الظمأ من المتعطشين إلى زلال الوصال، بل يزيدُ ذلك العطش، والله أعلم بحقائق الأمور.

وقع الكلامُ ليلةً في محبّة الذات، فقيل: هو عبارةٌ عن ارتباطٍ وتعشُّقٍ إلى الله تعالى، ولا يُعرف سببُه، ولا موجب له، بل يجدُ في نفسه ميلاً وانجذاباً لا يقدر أن يدفعه. فقال الخواجة: هذه نسبة وجدتُها في ولدين، كانا في نواحي التاشكند، كان أحدُهما يجيءُ ويجلس بعيداً من حلقة الأصحاب، وينكّسُ رأسه، فإذا قمتُ إلى الوضوء، يُبادر إلى الإبريق، ويصبُّ الوضوء على أعضائي، فلمّا فرغتُ من الوضوء، سألته: بأيِّ سببٍ تجيء هنا؟ وما مُرادك من صحبة هذه الطائفة؟. قال: أنا أيضاً لا أعرف، لكنّي لمّا أجيءُ عندهم أجدُ في قلبي انجذاباً إلى الله تعالى، وقلبي يكون فارغاً عن جميع مطالب الدنيا والآخرة. والولد الثاني كان له صورةٌ حسنة، بغاية الملاحة والصباحة، وكان مختلطاً بأصحابي، وكان أكثرُ الناس يحبُّونه، للتعشُّقِ والمحبة، وأصحابي أيضاً كانوا مطعونين، فقلت لأصحابي: امنعوه باللطف، حتى يتخلَّصَ من التهمة. فبالغوا له، وما امتنع، فبكى واضطربَ اضطراباً كثيراً، فقال الشاب: ما الفائدة لكم إنْ لم أَجيء عندكم؟ وإذا خرجتُ من عندكم يحصلُ لي التشويش والوسوسة، وأخرج من الجمعية. فاعتذروا منه، وكان عندهم حتى صار مغلوباً، وفي المشي ينسى طريق بيته، ويدخل في بيت الناس، وإن كان لي حاجة به، وأخرج من البيت وكان على بابي، أو كان في طريق يجيء

---

(١) في (ب): بالحضور لا بقدر.

عندي، وإن أردتُ أن آمره بخدمةٍ كان مشغولاً بتلك الخدمة، أو كان فارغاً فيها.

وقال الخواجة: انفكاكُ طير اللاهوتية المحبوس في قفص الناسوتية غيرُ مؤثِّر للجذبة التي هي لازمُ مقام المحبوبية، حصوله مربوط باتِّباعه ﷺ، **فعليك باتباعه ﷺ إن كنت متوجِّهاً إلى حقيقة الحقائق، التي لها وجهٌ في كلِّ موجود، وبه تحقَّقتِ الموجودات**؛ كأنه إشارة إلى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١١٥]، لهذه الحقيقة، فافهم من هنا: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

اللهُ أقربُ من روحي إليَّ وما يُدركُه إلاَّ الذي في عرفه خَبَرُ

وحلاوةُ الحياة توجدُ من الذي يكون قلبُه فارغاً عن الدنيا، ومستأنساً بذكر الله، فإنَّ حرارةَ القلب لا تتركه أن يحوِّل حبَّ الدنيا إلى حريم القلب حتَّى يصيرَ فكرُه وغمُّه الحقَّ سبحانه وتعالى، وللقبض[1] الأول مظاهرُ كثيرة، ولكلِّ موجودٍ نصيبٌ من تجلِّي الذات، يقال له وجه خاص، ولهذا الوجه انجذابٌ حاصل إلى الله تعالى، وبدوامِ التوجُّه يخلصُ من تصرفات اسم **المُضل**، بتأثير اسم **الهادي**، وانجذابُه على الدوام بالذَّات المقدَّسة، فينفي عن نفسه، ويلحق بالمهيمن، فلا يرى ولا يعلم غيرَ الله تعالى، ونعوذ بالله إن كان بتأثير اسمِ المُضلِّ انجذابُ الذات فيفقد الطريق المستقيم، فيلحق بنفسه، فلا يرى ولا يعلم إلاَّ نفسه، ولا يفعل شيئاً إلا يزدادُ ظلمةً على ظلمةٍ، فيكون على الدوام محجوباً، وممنوعاً من شهود وحدانيته، فلا يكون له روحٌ في الطاعات، بل لا يكون له طاعةٌ أصلاً، فيكون مستعدًّا ومهيَّأً لجميع عذاب الدنيا والآخرة، صورةً ومعنًى، فأسباب الخلاص من هذه البلية التوبةُ النصوح، ومباشرةُ الأعمال الصالحة، فالأولى أن يختارَ صحبةَ من كان مُشرفاً لتجلِّي الذات بالصدق التام، والإخلاص، ويفني نفسه فيه، رزقنا الله وإياكم.

ثم قال: هل تعرفُ من الشيخ؟. الشيخ الذي ينفي عنه ما لا يكون فيه رضا

---

(١) في (ص): وللفيض.

النبي ﷺ، وما لا يكون من النبي ﷺ، لا يكون له، فلا يكون له إلا أخلاق النبي ﷺ، بل نفسُه وإرادته منفياً عنه، وصارَ مرآةً لا ينطبع فيها إلا أخلاقُ النبي ﷺ، وصفة أوصافه ﷺ، فباتِّصاف أوصافِ النبي ﷺ صار مظهرَ تصرُّف الحقِّ سبحانه، فيتصرَّفُ في بواطن المستعدِّين بتصرُّف الله، وكان خالياً عن مُراده، باقياً على مراد الله، شعر:

عَـرْفُ مَحبـوبـي الـذي عَـانقتُـهُ أَذهبَـتْ نَكهتُـهُ طِيـنَ الأَزل

فالمريدُ من احترقت إرادته بنار الإرادة ولا يبقى له مُراد، ومرآة الشيخ ترى جمال مراد المحبوب في بصيرة القلب، بتحوّل وجه القلب عن جميع الجهات، فما بقي له قِبْلَةٌ إلاَّ جمالُ الشيخ[1]، وأعرضَ عن الكلِّ، ويعتقد السعادة في قبوله، والشقاوةَ في ردِّهِ، فلا يبقى له توجُّهٌ، ولا غرض إلاَّ الشيخ. شعر:

من كان منظورُهُ في الدار ليسَ بمحتاجٍ لمفترجِ[2] البُستان والزَّهر

وإن سأل: ما التوحيد؟. قال: تخليصُ القلب، وتجريدُه عن مُطالعة الغير.

وإن سألَ: ما الوحدة؟ قال: فراغُ القلب عن العلم، والشعور بوجود غير الله تعالى.

وإن سأل: ما الاتحاد؟ قال: الاستغراق في ذاته تعالى.

وإن سأل: ما السعادة؟ قال: الخلاص عن نفسه، برؤية الله تعالى.

وإن سأل: ما الشقاوة؟ قال: أن يَرى نفسَه، وينسى اللهَ تعالى.

وإن سأل: ما الوصل؟ قال: يَنسى نفسه بشهود مُنوِّر وجوده[3].

وإن سأل: ما الفصل؟ قال: انفصال السرِّ عن غير الله تعالى.

---

(١) في (ب): شيخه.
(٢) في (ب): لمفرح.
(٣) في (ب): بشهود نور الله.

وإن سأل: ما الشُكر ؟ قال: حالٌ يردُ على القلب، فيظهرُ بغلبته ما لا يجوز إظهاره.

قال الخواجة عُبيد الله: كان مولانا حسام الدين الشاشي، من أصحاب الأمير حمزة ولد الأمير كلال رحمه الله تعالى، في استغراقٍ تام، فكلَّفوه قضاءَ بُخارى، فكنتُ بعضَ الأوقات أَحضرُ محكمته، وكان مقابلته شباك، كنتُ أجلس هناك، وهو لا يراني، وإذا أنظر إليه، فما رأيتُه غافلاً أو ساهياً عن الله تعالى.

وأيضاً قال الخواجة عبيد الله: قال مولانا حسام الدين رحمه الله: أحسنُ التلبّس و التَّلبيس في هذه الصورة الإفادةُ والاستفادة[1] بصورة العلم.

وأيضاً عنه قال: رأيتُ الخواجة نقشبند في الرؤيا كأنَّه تصرَّف فيَّ، وأنا خررتُ غائباً، فلمَّا أفقتُ ما رأيته، فمشيت على أثره، فالتفَّت رجلي، فوصلتُ إليه بالمشقَّة والمحنة، فقال: بارك الله فيك.

وأيضاً عنه قال: مرةً أُخرى رأيتُ في المنام الخواجة محمد البارسا قدس الله سره، فأَرادَ أن يتصرَّفَ فيَّ، فما تيسَّرَ له، لأني قبل هذا تصرَّفَ فيَّ الخواجة نقشبند.

وأيضاً عنه قال: لمَّا وصلتُ بُخارى دخلتُ عند مولانا حسام الدين بن مولانا حميد الدين الشاشي، وكان لي في تلك الأيام اضطرابٌ وقلق، فقال مولانا حسام الدين: إن حقيقةَ المراقبة هي الانتظار، ونهاية السيرِ عبارة عن هذا الانتظار، فبعد تحقق هذا الانتظار، ظهوره عن غلبة المحبَّة دليلُ طريق الانتظار[2].

أَلْقِمِ السمَّ إذا لم تجد الشُكر إذ تذكره
السماء نسبتُها سُفلى إذا ذُكر العرشُ ومايقطره[3]

---

(١) في (ب): الاستعاذة.

(٢) في (ب): إن حقيقة المراقبة هي الانتظار، ونهاية الانتظار ظهوره عن غلبة المحبة، ذلك طريق الانتظار.

(٣) في (ب): بقطره.

وهـي العليـا إذا مـا ذُكـرت نسبـة الأرض فمـن يُنكـره

فأمثالنا الفقراء، إن لم يتيسَّرْ لهم سبيلُ الذوق والوجدان، فأولى وأحرى أن أكون[1] مشغولاً بغير هذا الكلام، رزقنا الله وإياكم انتظاراً به يغنينا عنّا بحرمة محمد ﷺ.

فإذا علمتم طريق الخواجكان وأصحابه، وذكر بعض أحوالهم وأقوالهم، بالخصوص طريقة الخواجة نقشبند قُدِّس سرُّه، وإن اعتقادهم اعتقادُ أهل السنة والجماعة، وإطاعةُ أحكام الشرع، واتِّباع سنن سيد المرسلين ﷺ، ودوام العبودية التي هي عبارةٌ عن دوام الحضور لجناب الحقِّ سبحانه وتعالى، ولا يزاحم الشعور لوجود الغير، فمن يُنكر وينفي هذه الطائفة العليا الخواجكان عسى أن يكون باعثُه ابتلاه بظلمة الهوى، وبدعة الظاهر والباطن، ورمد الحسد والعصبية، وعمى نظر بصيرتهم، فلا بدَّ أن لا يرى أنوار هدايتهم، وآثار ولايتهم، ويظهر عمى جحودِهم وإنكارهم، من آثار أنوارهم التي ملأت المشرق والمغرب، هيهات، هيهات.

النقشبنـديَّـةُ سـادتُنـا أئمـةُ الفضـلِ وقـوَّادُهُ[2]
لهـم طـريـقٌ مـا اهتـدى غيرُهـم إليـه حتَّـى عـزَّ مـرتـادُهُ
لا تُنكـر الإنكـارَ مـن قـاصـرٍ كـلُّ أمـرِ مُشفـقٍ زادُهُ
مـن نهـجِ خـافٍ يَسيـروا بـه للحـرم المحظـوظُ[3] قصـادُهُ
فـإن بـدا التَّقصيـرُ مـن قـاصـرٍ فـإنَّمـا استـوقَفـهُ عـادُهُ

* * *

(1) في (ص): أحرى أن لا أكون.
(2) في (ص): الفضل وفؤاده.
(3) في (ص): الحظوظ.

(٤٥٧) أبو الحسن البُستي (*)

الشيخ أبو الحسن البُستي[١] رحمه الله تعالى، هو من أصحاب الشيخ أبي علي الفارَمَذي، وكذلك الخواجة يوسف الهمذاني من أصحابه قدس الله أسرارهم.

وهذا الرّباعيُّ المشكلُ من رسائل[٢] عين القضاة الهمذاني، كان عن أبي الحسن البستي:

نقطـةٌ قـد علمتُهـا وجـاوزتُ عنهـا وهـي النُّـورُ الأسـود البهـار[٣]
وهـي مـن فـوقِ الفـوقِ لـم يبـق هـذا لا ولا ذاكَ النهـي[٤] أسـرار

* * *

(٤٥٨) حسن السكّاكي السِّمْناني (**)

الشيخ حسن السكّاكي السِّمْناني[٥] رحمه الله تعالى، كان من أصحاب الشيخ أبي الحسن البُستي.

والخانقاه السكاكية التي كانت بسمنان، والشيخ ركن الدين علاء الدولة في أوائل حاله كان مُعتكفاً فيها، وبعض أملاكه أيضاً وقفٌ عليها، هي الخانقاه المنسوبة إلى الشيخ حسن السكاكي.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(١) البستي نسبة إلى بُست مدينة من بلاد كابل بين هراة وغزنة، وهي حسنة كثيرة الأنهار. معجم البلدان، اللباب.
(٢) في (ب): وهذا الرباعي المشكل الذي علم من رسائل.
(٣) في (ص): النهار.
(٤) في (ص): والنهار.
(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(٥) السمناني نسبة إلى سمنان، وهي مدينة من مدن قومس، بين الدامغان وخوار الري.

(٤٥٩) محمد بن حمويه الجُويني(*)

محمد بن حمويه الجُويني(١) رحمه الله تعالى، كنيته أبو عبد الله، كان من أصحاب أبي الحسن البُستي، وكان عالماً بعلوم الظاهر والباطن.

ذكر عين القضاة في بعض مكتوباته: ما كان أحدٌ من هذه الطائفة أعلمَ منه بعلوم الظاهر، والإمام أبو حامد الغزالي، وأخوه أحمد الغزالي، كانا مثله، والإمامُ محمد بن حمويه أيضاً مثلهم، وما أعرف أنَّه كان يعلمُ العلم، لكنه كان كبيراً في السلوك، وله كتابٌ في التصوف اسمه «سلوة الطالبين»(٢)، أدرجَ فيه حقائقَ ودقائق كثيرة من هذا الطريق.

* * *

(٤٦٠) عين القضاة الهمذاني(**)

عين القضاة الهمذاني قدس الله سره، كنيته أبو الفضائل عبد الله بن محمد المَيانجي(٣)، وعين القضاة لقبه.

صحب الشيخ محمد بن حمويه، والإمامَ أحمد الغزالي أيضاً.

وكمالات الظاهر والباطن تظهرُ من تأليفاته التي بالعربية والفارسية، وأدرج

(*) الأنساب ٤/ ٢٣٠، المنتظم ١٠/ ٦٣، اللباب ١/ ٣٩٢، العبر ٤/ ٨٣، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٩٧، الوافي بالوفيات ٣/ ٢٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢١١، شذرات الذهب ٤/ ٩٥.

(١) الجويني نسبة إلى جُوين ناحية كبيرة من نواحي نيسابور، تشتمل على عدّة قرى يقال لها كوين فعربت جُوين. اللباب.

(٢) هو: «سلوة الطالبين في سيرة سيد المرسلين ﷺ». شذرات الذهب.

(**) معجم البلدان ٥/ ٢٤٠ (ميانه)، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٤٠٥، العبر ٤/ ٦٥، طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ١٢٨، شذرات الذهب ٤/ ٧٥.

(٣) الميانجي نسبة إلى ميانة بلد بأذربيجان.

فيها كشفَ الحقائق وشرح الدقائق، ما ذكرَ أحدٌ مثله.

وظهرت عنه خوارقُ العادات؛ مثل إحياء الموتى، وإماتة الأحياء.

وكان بينه وبين الشيخ أحمد مكاتباتٌ ومراسلات، ومن جملتها كتب الشيخُ أحمدُ له رسالةً ما كان لها نظير في الفصاحة والبلاغة.

ذكر عين القضاة في كتاب «زبدة الحقائق»[1]: لمَّا ملتُ عن العلوم الرَّسمية، وتوجَّهت لمطالعة كُتب حجَّة الإسلام، فكنتُ على ذلك أربع سنين، فلمَّا حصلَ مقصودي من مطالعتها، حسبت أني وصلتُ بأقصى المطالعة، فقلتُ لنفسي:

انــزلْ بمنــزلِ زينــب وربــاب   واربــعْ فهــذا مــربــعُ الأَحبــابِ

فقربَ أن يقطع منِّي الطلب، فمرَّ عليَّ سنةٌ كاملة، فجاء مولانا الشيخُ الإمام سُلطان الطريقة أحمدُ بن محمد الغزالي رحمه الله إلى همذان التي بها وطني، فظهرَ عليَّ أشياءُ ببركة صحبته في مدَّة عشرين يوماً، فما بقي مني، ومن طلبي شيء إلاَّ ما شاء الله، فالآن ليس لي طلبٌ إلاَّ الفناء فيها، وإن كان لي عُمرُ نوح، ويفنى عمري كلُّه فما فعلتُ شيئاً، وذلك الشيءُ أحاطَ بالعالم، فما يقعُ نظري على شيءٍ إلاَّ رأيته تعالى وتقدَّس، وإن زادَ عليَّ شيءٌ فلا يُبارك علي.

وأيضاً قال: حضرت يوماً مع أبي، وقرأ مع جماعةٍ من أكابر أهلِ البلد في بيت مقدم الصوفي، فقمتُ أرقص، وقرأ أبو سعيد بيتاً، فقال أبي: رأيتُ أحمدَ الغزالي يرقصُ معك، ولباسُه كذا وكذا. ثم قال أبو سعيد: تمنَّتْ نفسي الموت. فقلت: مُتْ. فخرَّ ميتاً، وكان مفتي الوقت حاضراً، قال: كما أَمَتَّ تقدرُ أن تُحيي الموتى؟!. قلت: من الميت؟. فقال: الفقيه محمود. فقلتُ: يا الله، أحيِ محمود الفقيه. فأحياه الله تعالى في ساعةٍ واحدة.

وأيضاً عنه قال: يا أيُّها الإخوان، إنْ رأيتم فعلاً منسوباً إلى غير الله تعالى

---

(1) زبدة الحقائق: فارسي وعربي، وهو مختصرٌ، من مئة فصل، مشتمل على تحقيقات شريفة ومباحث لطيفة دقيقة، كشف فيه الغطاء عن الأصول الثلاثة التي تعبد الله تعالى باعتقادها كافة الخلائق. كشف الظنون ٩٥١.

فاعتقدوا أنّه مَجازيٌّ لا حقيقي، لأنَّ الفاعلَ الحقيقيَّ هو الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١]، تحسبُه مجازياً، وحقيقتُهُ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فهداية الخلقِ من محمد ﷺ مجازي، وإضلال إبليس مجازي: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣]، بحسب[١] الحقيقة إبليسُ يضلُّ الخلقَ، فمن أضلَّه؟! فلأجل هذا قال موسى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

الظلمُ والجورُ من بلغار قد أتيا فينبغي حملُه حقًّا لأهليه
وليس ذلك من بلغار بل سَبَبٌ كانوا وما ذاك إلاَّ الله موتيه[٢]
ففتنتي والبلا منه ولا أَحَدٌ يطيقُ لكن مُرادُ الله يَقضيه

* * *

(٤٦١) بركة الهمذاني[*]

الشيخ بركة الهمذاني رحمه الله تعالى.

كان عين القضاة الهمذاني يحكي عنه في مصنفاته، أنه قال: كان الشيخ بركة لا يعلمُ من القرآن شيئاً إلاَّ الفاتحة، وبعضَ سورٍ، وأيضاً كان لا يقدرُ أن يقرأ فصيحاً صحيحاً، ولا يعرف قالَ ولا يقول، بل لا يقدرُ أن يتكلَّمَ باللِّسان الهمذاني مربوطاً، لكنِّي أعرفُ أنَّه يعرفُ القرآن صحيحاً، وكيف[٣] لا أعلم بعضاً منه، وذلك البعضُ أيضاً ما علمته في التفسير وغيره، بل علمته من خدمته وصحبته.

وأيضاً عنه قال: سمعتُ من أحمد الغزالي قال: قال أبو القاسم

---

(١) في (ب): تحسب.
(٢) في (ص): موليه.
(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(٣) في (ص): وكتبت.

الكركاني: لمَّا أرادَ أن يذكرَ اسمَ إبليس، يقول: خواجة خواجكان، رأسُ المهجورين. فلمَّا حكيتُ هذه الحكاية عند الشيخ بركة قدَّس الله سرَّه، قال: رأس المهجورين، أحسن من خواجة خواجكان.

وأيضاً عنه، قال: سمعتُ من الشيخ بركة يَحكي عن واحدٍ، قال لولده: يا ولدي، هل كنتَ لحيةَ البقرة؟. قال: ما معناه؟. قال: معناه من يصبح، ويخطرُ في باله اليوم أجدُ الكثير[1]، وأفعلُ كذا وكذا. قال ولده: يا أبي، ما كنتُ إلاَّ لحيةَ البقرة.

* * *

(٤٦٢) فتحة(*)

الشيخ فتحة رحمه الله تعالى.

كان عين القضاة، يذكر في مصنفاته: أنه كان ثقةً، وكان يحكي عنه.

قال الشيخ فتحة: إنَّ الشرَّ لا يلحقُ الخلقَ من الله تعالى.

وقال أيضاً: سمعتُ من الشيخ بركة قال: قال الشيخ فتحة: سمعتُ من إبليس يقول: إن اليومَ لا يكون أحدٌ أسودَ الوجه والكساء إلا الشيخ فتحة. ويبكي.

وأيضاً عنه، قال: الشيوخُ الكُمَّل يعرفون عاقبةَ المريدين، أي مقامهم.

كما سمعَ كثيراً من الشيخ فتحة: فلانٌ يكون على قدمِ فلان، وفلانٌ على قدم فلان.

* * *

---

(١) في (ب): أجد الكنز.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤٦٣) ضياء الدين أبو نجيب عبد القاهر السُّهروردي(*)

الشيخ ضياء الدين أبو نجيب عبد القاهر السُّهروردي قدَّس الله سرَّه، كان عالماً في علوم الظاهر والباطن، وله مصنفاتٌ كثيرة، ونسبُه يتَّصلُ بأبي بكر الصديق رضي الله عنه باثنتي عشرة واسطة، ونسبةُ الطريق تتَّصلُ بالشيخ أحمد الغزالي رحمه الله تعالى.

ذَكَرَ في كتاب «آداب المريدين» له، قال: **أجمعوا على أن الفقرَ أفضلُ من الغنى، إذا كان مقروناً بالرضا، فإن احتجَّ مُحتجٌّ بقول النبي ﷺ: «اليدُ العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى»[1]. قيل له: اليدُ العليا تنال الفضيلةَ بإخراج ما فيها، واليدُ السُّفلى تجدُ المنقصةَ بحصولِ الشيءِ فيها، ففي تفضيل السخاءِ والعطاءِ دليلٌ على فضلِ الفقر، فمن فضَّلَ الغنى للإنفاق، والعطاء على الفقر، كان كمن فضَّلَ المعصية على الطاعة لفضل التوبة.**

وفي «تاريخ اليافعي»[2]: قال واحدٌ من أصحاب الشيخ أبي نجيب السُّهروردي: يوماً كنت ماشياً مع الشيخ في سوق بغداد، فوصلنا دكَّانَ جزارٍ، وكان لحمُ كبشٍ مُعلَّقاً في دكَّانه، فوقف الشيخ، وقال: يقول هذا الكبش: أنا ميتةٌ بلا ذبح. فخرَّ الجزارُ مغشياً، فلمَّا أفاقَ أقرَّ بما قاله الشيخ، وتابَ على يد الشيخ.

توفي رضي الله عنه، في شهور سنة ثلاث وستين وخمس مئة.

(*) الأنساب ٧/ ١٩٧، المنتظم ١٠/ ٢٢٥، معجم البلدان ٣/ ٢٨٩، الكامل ١١/ ٣٣٣، اللباب ٢/ ١٥٧، وفيات الأعيان ٣/ ٢٠٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٥، العبر ٤/ ١٨١، مرآة الجنان ٣/ ٣٧٢، طبقات السبكي ٧/ ١٧٣، طبقات الإسنوي ٢/ ٦٤، الوافي بالوفيات ١٩/ ٤٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٤، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٨٠، طبقات الشعراني ١/ ١٤٠، الكواكب الدرية ٢/ ٢٥٠، شذرات الذهب ٤/ ٢٠٨، هدية العارفين ١/ ٦٠٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٠١.

(١) رواه مسلم (١٠٣٦) في الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، والترمذي (٢٣٤٤) في الزهد.

(٢) مرآة الجنان ٣/ ٣٧٣.

(٤٦٤) عمار بن ياسر (*)

الشيخ عمار بن ياسر قدّس الله سرّه، هو من أصحاب الشيخ أبي نجيب السُّهروردي، وكان له كمالٌ في تكميل الناقصين، وتربية المُريدين، وكشف الوقائع.

قال الشيخ نجم الدين الكُبرى في كتاب «فواتح الجمال»(١): لمَّا وصلتُ لخدمة(٢) الشيخ عمار، ودخلت الخلوةَ بإذنه، جاء في خاطري: قرأتُ علومَ الظاهر بالكمال، وانكشفَ لي أبوابُ الغيب، أَطلعُ على المنبر، وأُؤدِّيه للطالبين، فما يسَّر الله إتمامه، فخرجتُ من الخلوة، فقال الشيخ: أوّل صحّحْ نيَّتَكَ، وادخل الخلوة. فتجلَّى على قلبي أنوارُ باطن الشيخ، فوهبتُ الثياب للفقراء كلَّها إلاَّ جبةً واحدةً كانت على بدني، وجعلتُ الكتبَ وقفاً، وقلتُ لنفسي: هذه الخلوة قبري، والجبَّةُ كفني، فلا يمكن أن أخرجَ من هذه الخلوة. وعزمتُ إنْ تشوَّقَتْ نفسي للخروج أقطع هذه الجبةَ قطعةً قطعة حتى ما يبقى ما يسترُ العورة، فالحياءُ يكونُ مانعاً من الخروج، فنظر الشيخُ إليَّ، فقال: ادخل، الآن صحَّت نيتُكَ. فلمَّا دخلتُ الخلوةَ أتمَّ الله تعالى ببركة همَّةِ الشيخ، ففتح لي أبوابَ الفتوحات بلا نهاية.

* * *

(٤٦٥) روزبهان الكبير المصري (**)

الشيخ روزبهان الكبير المصري قدَّس الله سرَّه، كان كازروني الأصل، وأقامَ في مصر، وكان مُريدَ الشيخ أبي نجيب السُّهروردي، وكان أكثرَ

(*) مرآة الجنان ٤/ ٤١ (ضمن ترجمة نجم الدين الكبرى).

(١) فواتح الجمال رسالة فارسية، تأليف نجم الدين الكبرى. انظر كشف الظنون ١٢٩٢.

(٢) في (ب): بخدمة.

(**) كشف الظنون ٣٦٤.

الوقت[1] في الاستغراق، والشيخُ نجم الدين الكُبرى صحبَه، واختار الرياضة الشاقة، ودخلَ في خلواتٍ كثيرة بأمره، والشيخ روزبهان زوَّجه بنته، فجاءه من بنت الشيخ روزبهان ولدان.

وفي كتاب «تحفة البررة»: سمعتُ شيخنا أبا الجنَّاب يقول: سمعتُ روزبهان بمصر يقول: قيل لي مراراً: اتركِ الصلاة؛ فإنَّكَ لا تحتاجُ إليها. فقلت: يا ربِّ، إني لا أطيق ذلك، فكلّفني شيئاً آخر.

* * *

(٤٦٦) إسماعيل القصري[*]

الشيخ إسماعيل القصري قدَّس الله سرَّه، كان أيضاً من أصحاب أبي نجيب السُّهروردي، والشيخُ نجم الدين صحبه، ولبسَ الخرقةَ منه، وهو من محمد بن مانكيل[2]، وهو من محمد بن داود[3] المعروف بخادم الفقراء، وهو من أبي العباس إدريس[4]، ومن أبي القاسم بن رمضان، وهو من أبي يعقوب الطبري، وهو من أبي عبدالله بن عثمان، وهو من [أبي] يعقوب النهرجوري، وهو من أبي يعقوب السوسي، وهو من عبد الواحد بن زيد، وهو من كميل بن زياد قدَّس الله تعالى أرواحهم، وهو من أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من حضرة النبي ﷺ.

كذا ذكره الشيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني قدَّس الله سرَّه، في بعض مصنفاته.

* * *

---

(١) في (ب): الأوقات.

(*) مرآة الجنان ٤/ ٤٠ (ضمن ترجمة نجم الدين الكبرى).

(٢) في الأصل: مالكيل، والمثبت من مرآة الجنان ٤/ ٤٠، والصفحة ٧٤٥ من كتابنا.

(٣) في مرآة الجنان ٤/ ٤٠: داود بن محمد.

(٤) في مرآة الجنان ٤/ ٤٠: العباس بن إدريس.

(٤٦٧) نجم الدين الكُبرى(*)

الشيخ نجم الدين الكُبرى قدَّس الله سرَّه، كنيته أبو الجَنَّاب، واسمه أحمد بن عمر الخَيْوَقي[1]، وكُبرى لقبه.

وقيل: لقَّبوه الكُبرى لأن أوان الشباب كان في تحصيل علوم الظاهر مشغولاً، وإذا وقعت المباحثة والمناظرة، كان غالباً، فلقَّبوه بهذا السبب الطامَّة الكُبرى، ثم غلب عليه ذلك اللقب، فحذفوا الطامَّة، ولقَّبوه بالكُبرى. وهذا وجهٌ صحيح، نقله جماعةٌ من أصحابه ممَّن يُوثق بهم.

وقال بعضهم: هو ممدود، بفتح الباء الموحَّدة، أي هو نجم الكبراء، جمع تكسير لكبير، والصحيح الأول، كذا في «تاريخ الإمام اليافعي»[2] رحمه الله تعالى.

وأيضاً يقال له الوليُّ الفعال؛ لأنَّه كان في غلبات وجده، من وقع نظرُهُ عليه يصلُ إلى مرتبة الولاية.

دخلَ يوماً تاجرٌ في خانقاهه ليتفرَّجَ، وكان على الشيخ حالةٌ قويَّةٌ، فنظر إليه، فوصل إلى مرتبة الولاية، فقال الشيخ: أنت من أيِّ بلاد؟ فقال: من البلد الفلاني. فكتب له إجازةَ الإرشاد، حتى يذهبَ في بلاده، ويجلس لمرتبة الإرشاد، ويهدي الخلائقَ إلى الحق.

ويوماً كان الشيخ جالساً مع أصحابه، فكان بازٌ في الهواء خلف عصفورٍ

(*) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١١١، العبر ٥/ ٧٣، مرآة الجنان ٤/ ٤٠، طبقات الإسنوي ٢/ ٣٥٥، طبقات السبكي ٨/ ٢٥، الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٣، الكواكب الدرية ٢/ ٣٧٠، شذرات الذهب ٥/ ٧٩، هدية العارفين ١/ ٩٠، تاج العروس (جنب) و (كبر)، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٧٥.

(١) الخيوقي بفتح أوله، وقد يكسر، من قرى خوارزم.

(٢) مرآة الجنان ٤/ ٤٢.

ليأخذه، فلمَّا وقعَ نظرُ الشيخ على العصفور، رجعَ العصفور، وأخذ البازَ، ونزل قدَّام الشيخ.

ويوماً كان كلامٌ في تحقيق أصحاب الكهف، والشيخ سعد الدين الحموي من مُريدي الشيخ، جاء في خاطره: هل يكون أحدٌ من هذه الأمة صحبتُه تؤثِّر في الكلب؟، ففهم الشيخ خاطره بنور الفِراسة، وقام، وذهب على باب الخانقاه، ووقف، فاتَّفقَ أن جاءَ كلبٌ، وكان يُحرِّك الذنب، فنظرَ الشيخ إليه بنظر الموهبة، فحصل له التَّحيُّرُ، وزال شعوره، فخرج عن العمران، وذهب إلى المقابر ويمسحُ الرأس على الأرض، وكان حواليه قريبُ خمسين أو ستين كلباً يجلسون أمامه[1] بالتواضع والتذلُّل، ولا ينبح أحدٌ منهم، ولا يأكل شيئاً، فبعد ذلك ماتَ ذلك الكلب، فأمر الشيخُ أن يدفنوه، ويبنوا عليه عمارة، فبنوا عمارة.

كان الشيخ رحمه الله في مدينة تبريز يقرأُ عند واحدٍ من تلامذة محيي السُّنة كتاب «شرح السنة»[2]، فلمَّا كان في آخره عند ختمه بمحضر[3] الشيخ وجماعةٍ من العلماء، دخل عليه صوفيٌّ لا يعرفه الشيخ، لكن من رؤيته حصلَ للشيخ تغيُّرٌ، حتى وقفَ عن قراءته، فسأل: من هو؟. قالوا: هذا بابا فرج التبريزي، الذي هو من جملة المَجذوبين والمحبوبين للحقِّ سبحانه وتعالى. فكان الشيخ نجم الدين طول الليل مُضطرباً، ففي الصباح جاءَ عند الأستاذ، وطلبَ الرُّخصة لزيارته، فقام الأستاذ مع الجماعة، فلمَّا وصل على بابه، وكان له خادم اسمه بابا شادان، فلمَّا رأى الجماعةَ دخلَ عند بابا فرج، وأخبره، وطلب الإجازة،

---

(١) في (ب): قدامه.

(٢) شرح السنة للإمام حسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦، قال محيي السنة: وهو كتاب يتضمن كثيراً من علوم الأحاديث وفوائد الأخبار المروية عن النَّبي ﷺ من حل مشكلها، وتفسير غريبها، وبيان أحكامها، وما يترتب عليها من الفقه، واختلاف العلماء. كشف الظنون ١٠٤٠.

(٣) في (ص): حضر.

فقال بابا فرج: إن كانوا ذاهبين إلى الله تعالى فيدخلوا. قال الشيخ نجم الدين: أنا كنت مُنتفعاً من نظر بابا، وفهمتُ كلامه، وأظهرتُ ما كان في ضميري، ووضعت اليدَ على الصدر، فالأستاذُ وأصحابه واقفون، فدخلنا عليه، وجلسنا عنده، فبعد لحظةٍ تغيَّر حالُه، وظهر على صورته[1] عظمةٌ ولمعان مثلُ قرص الشمس، وانشقَّ الثوب الذي كان عليه، فبعد ساعةٍ رجعَ على حاله الأصلي، وقامَ ونزعَ ثوبَه الذي كان عليه، وألبسني ذلك الثوب، وقال: ليس لك وقت أن تقرأ الدفتر، بل أنتَ تكون رأسَ دفترِ العالم. فتغيَّرَ حالي وانقطع باطني عن غير الله، فلمَّا خرجنا من عنده، قال أستاذي: من «شرح السنة» ما بقي إلاَّ شيءٌ يسير أتمَّه، ثم أنتَ تعرف. فلمَّا شهدتُ الدرسَ، رأيت بابا فرج دخل، وقال: إن بالأمس طويتَ ألفَ منزل من علم اليقين، واليوم رجعتَ إلى العلم! فتركت الدرس، واخترتُ الرياضة والخلوة، فكان يظهر عليَّ وارداتُ الغيب، والعلم اللَّدُني. فجاء في خاطري: اكتب هذه الواردات حتى لا تضيع، فكتبتُها، فرأيت بابا فرج دخلَ عليَّ، وقال: يشوشُ عليك الشيطان، لا تكتب. فرميتُ القلمَ والمحبرة، وفرَّغتُ الخاطرَ عن الكلِّ.

والأمير إقبال السيستاني كتب كتاباً جمعَ فيه كلامَ الشيخ علاء الدولة، فنقل فيه عن شيخه، أن الشيخ نجم الدين الكُبرى دخل همذان، وقرأ الحديث، وأجازه أستاذُه في الحديث، ولمَّا سمعَ أنه في الإسكندرية رجلٌ مُحدِّثٌ سندُه عالي، ذهبَ إليه، وحصل له الإجازة، فرجع ورأى النبيَّ ﷺ في الرؤيا، فطلبَ من النبيِّ ﷺ كنيته، فكناه ﷺ: أبو الجنّاب، فقال: أبو الجَنَاب مخففة. فقال: بل مشدَّدة. فلمَّا انتبه، حصلَ له الانتباه أن يتركَ الدنيا، ويختار الفقرَ والتجريد، فخرج لطلب المرشد، وسافر في البلاد، وزار المشايخ، فما كان له عندهم نصيبٌ، فما حصل له الاعتقاد في أحدٍ؛ لأنه كان عالماً لا ينقادُ إلى أحدٍ، فلمَّا وصل في بلاد خوزستان[2] في قرية دربول، فمرضَ هناك، ولم يجد

---

(١) في (ب) و (ح): ودخل على صورته.
(٢) في (ب): خوز.

منزلاً يَسكنُهُ، فعجز، وسأل: من يكون في هذه البلدة مسلمٌ، أذهب عنده، يعطيني مكاناً حتى أستريح ؟. فقيل: هنا شيخٌ، وله خانقاه، وإن تذهب عنده، يخدمك. فقال: ما اسمه ؟. قال: اسمه إسماعيل القصري. فذهبتُ عنده، فأعطاني مكاناً على مقابلة دكَّة الصوفية، فطال مرضي، فقال: ما لي تعبٌ أكثر، ولا أتعب من سماعهم! لأنّي كنتُ مُنكراً من السماع، وما كان لي قوةُ التحويل إلى مكان آخر، فكانوا ليلةً في السماع، والشيخ إسماعيل من حرارة الحال والوجدان جاء عندي، وقال: تُريد أن تقوم ؟. قلت: أجل. فأخذَ بيدي، وعانقني، وذهب في وسط مجلس السماع، ودارَ بي زماناً، ثم أسندني على جدارٍ، فقلت في نفسي: أطيح الآن. فلمَّا أفقتُ، وجدتُ نفسي صحيحاً، كأنّي ما كنتُ مريضاً، فحصل لي اعتقادٌ، فصباحه ذهبت عند الشيخ، وبايعته، ودخلت في السلوك، وكنتُ مشغولاً به، فلمَّا حصلَ لي بعضُ أحوال الباطن، ووقفت عليها، فليلةً جاء في خاطري: علمتُ علم الباطن، وفي علم الظاهرِ أنتَ أقوى وأكثر من الشيخ. فلمَّا أصبحتُ ناداني الشيخ، وقال: قمْ اذهب عند عمار بن ياسر. ففهمتُ أن الشيخ اطَّلع على خاطري، فما قلتُ شيئاً، وذهبتُ عند عمار، وسلكت السلوكَ عنده مدَّةً، وفي ليلةٍ جاءَ في خاطري مثلُ ذلك الخاطر، فصباحه قال الشيخ عمار: يا نجم الدين، اذهب إلى مصر، عند الشيخ روزبهان البقلي؛ لأنَّه يُخرجك من هذه الأنانية بلطمةٍ واحدة. فذهبتُ إلى مصر، ودخلتُ في خانقاهه، فما كان الشيخ في الخانقاه، وصوفيتُه كانوا كلُّهم مراقبين، فما توجَّه أحدٌ إليَّ، وكان هناك واحدٌ واقف، فسألته: من الشيخُ بينهم ؟. فقال: خرجَ الشيخُ للوضوء. فذهبتُ عنده، فرأيت الشيخ يتوضَّأ بماءٍ قليل، فجاء في خاطري: كيف يكونُ شيخاً، إن لم يعرفْ أنه لا يَجوزُ الوضوءُ بهذا الماء القليل، ففرغ من الوضوء، ورشَّ الماءَ على وجهي، فغبتُ عن نفسي، فدخلَ الشيخ في الخانقاه، ودخلتُ معه، واشتغل الشيخ بالصلاة، وكنت واقفاً على رجلي، منتظراً حتى يفرغ الشيخ من الصلاة، وأُسلِّم عليه، فزادتْ تلك الغيبةُ، ورأيتُ القيامةَ قامت، وظهرتِ النارُ، ويرمون الناس فيها، وعلى الطريق ربوةٌ عليها رجلٌ جالس، ويقول لي: من تعلَّق

به[1]، يخلّونه ولا يَرمونه في النار. فأخذوني، وجرّوني، فلمَّا وصلتُ عنده، قلت: أنا متعلِّقٌ به. فخلُّوني، فطلعتُ تلك الربوة، فرأيتُ الشيخ روزبهان البقلي، فقربتُ منه، وخررتُ على رجله، فضربَ على قفاي لطمةً، فخررتُ على وجهي، فقال: من بعدِ هذا لا تُنكر على المشايخ. فلمَّا أفقتُ، ذهبتُ، وخررتُ على رجله، فضربَ أيضاً في حالِ اليقظةِ لطمةً في قفاي، وقالَ مثل الكلمة التي قالها في الغيبة، فخرجَ مني مرضُ الباطن مرةً واحدةً، فقال: ارجع عند الشيخ عمار، واخدمه. وكتبَ مكتوباً إليه، وكان فيه: أيُّ قدرٍ يكون عندك نُحاسٌ، أَرسلْهُ إليَّ أجعله ذهباً خالصاً، وأُرسلُه إليك. فجاء عند الشيخ عمار، وجلس عنده مدةً طويلة، فلمَّا أتمَّ سلوكَه، وأمره أن يذهب إلى خُوارزم، فقال: أهلُ خُوارزم منكرين هذا الطريق، بل مُنكرين للمشاهدة[2] في الآخرة أيضاً. فقال: اذهب لا تبالي. فدخلَ في خُوارزم، فانتشر طريقه، واجتمع عليه المريدون واشتغل بإرشاد الطالبين، فلمَّا وصل كفارُ تاتار إلى الخوارزم، فاجتمع الشيخُ بمريديه، فكانوا أَزيدَ من ستين ألفَ مريد، وشردَ السُّلطان محمد خوارزم شاه، والكفارُ يظنون أنه في خُوارزم، فدخلوا خُوارزم، فأمر الشيخُ بعضَ المريدين مثل الشيخ سعد الدين الحموي، والشيخ رضي الدين علي لالا، وغيرهما: أنتم تلحقوا بالبلاد التي كنتم فيها؛ لأنَّه قامت نارٌ من جانب المشرق، فتحرقُ إلى قريبِ المغرب، وهذه فتنةٌ عظيمة، مثل هذه الفتنة ما ظهرتْ في هذه الأمة. فقال بعضُ أصحابه: إنْ تَدعو لدفع هذه البلية، عسى أن يَدفعَ اللهُ تعالى هذه البلية. فقال الشيخ: هذا قضاءٌ مُبرمٌ، لا يدفعُه دعاءٌ. فقال أصحابه: إنَّ الدَّوابَّ حاضرين، إن كان الشيخُ يتوجَّه إلى خراسان لموافقة الأصحاب لا يبعد. فقال الشيخ: أنا أُسْتَشْهَدُ هنا، ليس لي إذنٌ بالخروج. فأصحابه عزموا إلى خراسان، فلمَّا دخلَ الكفَّار في خُوارزم نادى الشيخ بقيَّة الأصحاب، وقال: قوموا على اسم الله تعالى نُقاتلْ في سبيل الله. فدخلَ

---

(1) في (ص): ومن يقول لي: تعلق به.

(2) في (ب): المشاهدة.

البيتَ، ولبس الخرقةَ، وحزم الوسط، وكانت تلك الخرقة مفتوحةً من جانب صدره، فملأ جانبي إبطيه من الحجارة، وأخذ الرُّمحَ باليد، وخرج وقاتل الكفار، وتقاتل معهم، ورمى الحجارة حتى تمَّتِ الحجارةُ كلُّها، فالكفار يرمون عليه النشاب، فوقع سهمٌ على صدره، وأخرجه، ومات به.

وقيل: إنه وقتَ الشهادة أخذ قُزعاً[1] من كافرٍ، فبعد شهادتِهِ أرادوا أن يَفكُّوا يده عن القزع، فما فكَّ يده عن قُزْعه، فقطعوا شعره.

وقال بعضهم: أشارَ مولانا جلال الدين محمد الرومي قدَّس الله سرَّه، في غزاياته[2] إلى هذه القصة، ونسب نسبة نفسه إليه[3]، وقال:

أنا من مُعتبر كرامِ المساعي نأخذ الكأسَ باليد البيضاء
لستُ بالمفلسِ الذي همُّه الأقصى بأخذ الأنعام أوبالشاء
فبيمناي كوب[4] خمرها الإيمان في شُربها جلاءُ صداء
وبيُسراي آخذُ قزعَ الكافر لا أرى فضَّ[5] به للسواء

وكانت شهادته قدَّس الله سرَّه سنةَ ثماني عشرة وستِّ مئة.

وكان للشيخ مريدون كثيرون، وكان بعضٌ منهم وحيدَ الدهر، ومُقتدى الزمان، مثل الشيخ مجد الدين البغدادي، والشيخ سعد الدين الحموي، وبابا كمال الجندي، والشيخ رضي الدين علي لالا، والشيخ سيف الدين الباخرزي، والشيخ نجم الدين الرازي، والشيخ جمال الدين كيلي.

وقال بعضهم: إن مولانا بهاء الدين ووالد مولانا جلال الدين الرومي أيضاً كان من أصحابه قدَّس الله أسرارهم.

* * *

---

(١) القزع: خصلة من الشعر. انظر القاموس (قزع).
(٢) في (ح): غزلياته.
(٣) في (ب): وأنسب نسبته نفسه إليه.
(٤) في (ب): كون.
(٥) في (ب): لا رافض.

(٤٦٨) مجد الدين البغدادي (*)

الشيخ مجد الدين البغدادي قدَّس الله سرَّه، كنيته أبو سعيد، واسمه مجد الدين شرف بن المؤيد بن أبي الفتح البغدادي. وكان بغداديَّ الأصل.

وخوارزم شاه طلبَ الطبيبَ من خليفة بغداد، فأرسل الخليفة أباه إلى خوارزم شاه.

وقال بعضهم: هو من بغدادك، وهي قريةٌ من قرى خُوارزم. وكان من مقرَّبي السلطان.

قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة قدَّس الله سرَّه: من قال إنه صحب الشيخ أمرد غير صحيح، بل كان رجلاً مُلتحياً، وصاحبَ صورةٍ حسنة وجمال.

وشيخه أمره: ابتدىء بتطهير الخلاء، وكانت أمُّهُ طبيبة، والشيخ أيضاً كان طبيباً، فأرسلتْ أمُّه عند الشيخ واحداً، وقالت: ولدي مجد الدين رجلٌ لطيفُ الطبع، وضعيفُ البنية، ولا يقدرُ على هذه الخدمة، فإن يأمرني الشيخُ أُرسلْ إلية عشرةَ عبيد من الترك يخدمونه خدمةَ المُتَوضّاِ، وهو يَخدمُ خدمةً أُخرى. قال الشيخ: قلْ لها هذا الكلام عجيب منكِ؛ لأنَّك قرأتِ علمَ الطبِّ، فلو أصاب ولدَك حمَّى الصفراء، وأطعمتِ الدواءَ العبدَ التركي، أتحصلُ الصحَّة لولدك ؟!.

قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة: إن يوماً قال لي رجلٌ من مريدي السُّلطان أبي يزيد، وكان صاحبَ السلوك: كيف كان هذا ؟ أنت اتَّبعتَ هذه السلسلة، وتركت اتِّباع أبا يزيد!. قلت: أنا لا أعرف هذا، لكن كنتُ يوماً أتوضَّأُ، وفي أثنائه رأيتُ شُقَّ جدارُ القبلة، وظهر فضاء، فمن نورها أبصرتُ السماءَ، والكواكب، والمشتري، فسألتُ: ما هذا ؟. فقال واحدٌ: هذا نور أبي يزيد. فبعد ساعةٍ رأيتُ سماءً أُخرى كانت نورانيةً مثلَ الشمس، قلت: ما هذا ؟. قال واحدٌ: هذا نور مجد الدين البغدادي. فتعجَّبَ ذلك الرجل،

(*) كشف الظنون ١/ ٣٦٤، تاريخ الأدب العربي ٤/ ٣٦٣.

فقلتُ: ما قصدتُ بهذا الكلام أن أُبيِّنَ مراتبَهما، أو أُرجِّحَ أحدَهما على الآخر، لكن لكلِّ أحدٍ يكون وديعة إلى مشرب، فلمَّا توجَّه إلى ذلك المشربِ ينبغي أن يكونَ تابعَ ذلك المشرب، ويكون ثابتَ القدم عليه، فيظهرُ عليه مراتبُ شيخه، وإلا على التحقيق تظهر المراتب في القيامة، وعلامةُ علوِّ المرتبة في هذه النشأة في متابعة النبيِّ ﷺ، ومن يكونُ متابعاً أكثر تكون رتبتُه أعلى وأوفقَ.

ويوماً كان الشيخُ مجد الدين جالساً مع الصوفية وكان مغلوباً سكرانَ، فقال في حالة السكر: كنتُ ببيض البطِّ على ساحل البحر، وكان شيخي الشيخُ نجم الدين طيراً فرشَ جناح التربية على رأسي، ولمَّا خرجتُ من البيضة، كنت ولدَ البطِّ، فدخلتُ البحر، وشيخي وقف على ساحله، فالشيخُ نجم الدين علمَ بنور الولاية، فقال: يموتُ في البحر. فلمَّا سمعَ الشيخ مجد الدين خافَ من استماع هذا القول، ودخل عند الشيخ سعد الدين الحموي، فتضرَّعَ تضرُّعاً، وقال: لمَّا يكونُ الشيخُ في انبساطِ الطبع، والاستراحة، والبسط، أخبرني حتَّى أعتذرَ منه. فكان يوماً الشيخُ في حالة السماع، وكان مُنبسطاً، فأخبره الشيخ سعد الدين، فالشيخُ مجد الدين جاءَ حافياً، وملأ الطشت من النار، ووضعه على رأسه، ووقفَ في صفِّ النعال، فلمَّا رآه الشيخُ بهذه الهيئة، قال الشيخ: لمَّا اعتذرتَ بآدابِ طريقةِ الصوفية، فتموتُ مع الإيمان، لكنْ تموتُ في البحر، ويروح رأسك ورأسي ورأس رؤساء مماليك الخوارزم، ويخربُ العالم. فقبَّل مجدُ الدين رِجلَ الشيخ، وفي أقلِّ زمان ظهرَ كلام الشيخ.

وكان الشيخُ مجد الدين يوماً يعظُ الناس في خُوارزم، وأُمُّ السلطان كانت امرأةً بغاية الحُسن والجمال، وبعضُ الأوقات تحضرُ في مجلس وعظ الشيخ مجد الدين، فالحُسَّاد وجدوا الوقتَ الذي كان السلطان سكرانَ من الخمر، فقالوا له: أُمُّك دخلتْ في عقد الشيخ مجد الدين بمذهبِ أبي حنيفة رضي الله عنه. فغضبَ السُّلطان غضباً شديداً، فأمرَ السلطان أن يُغرقوه في الدجلة، فغرَّقوه، فلمَّا جاء الخبرُ إلى الشيخ نجم الدين تغيَّر حالُه، وقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولدي مجد الدين رموه في ماءِ الدجلة، ومات. فسجدَ وأطالَ سجدتَه، فرفع رأسَه من السجدة، وقال: طلبت من الله تعالى عوضَ دم مجد

الدين ينزعُ اللهُ مُلكَ السُّلطان محمد، وأجابَ اللهُ تعالى دعائي، فأخبروا السلطان، فندمَ غايةَ الندم، فجاء السُّلطان عند الشيخ، وطشتٌ ملآنٌ من الذهب، وحطَّ فوقه سيفٌ وكفن، وكشفَ الرأس، ووقف في أسفل الصف، وقال: إن تريد الدية، فهذه ديته، وإن تُريدُ القصاصَ، فهذا السيفُ، وهذا رأسي. فقال الشيخ في جوابه: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء: ٥٨] إن ديته جميعُ بلادك ورأسك، ويذهبُ رأسي مع رأسك، ويذهب رأسُ أُناسٍ كثيرة[١].

فرجع السُّلطانُ محمد آيساً، وعن قريبِ الوقت خرج جنكيز خان، فوقعَ ما وقع.

ويوماً في مجلس الشيخ مجد الدين قرأ القوّالُ هذا البيت شعر:

يا شيخُ ثوبُ الحسين ما أحسنك لو شدوك[٢] في عنقي بخطٍ أخضر

فالشيخُ أخذ لحيةَ نفسه، وأجرى الأصبعَ على حُلقومه، وقال: إن كان خطٌّ واحدٌ أخضر على حَنجرته. كأنَّه أشارَ بها إلى شهادةِ نفسه، ثم قال هذين البيتين شعر:

أريدُ في البحرِ المحيط غطسةً أغرق أو أستخرجُ الدُّرَّ النقي

فالشغل هذا خطرٌ فعله يُبَيِّضُ أو يحمر وجهي عنقي

كان في خدمة الشيخ نجم الدين الكُبرى قُدِّس سرُّه فقير من قرية بسكردآباد[٣]، يقال له زنكي البسكردي، وكان له مقامٌ عالٍ، حتّى إنّه إن لم يخرج عن الصومعة ما يحصل لأحدٍ حالٌ ولا وجدٌ ولا سماع، فيوماً كان هذا الرجل في أثناء السماع، وكان هناك طاقٌ بعيد من الأرض، فنظر وجلس في ذلك الطاق، فلمّا نزلَ نطَّ، وجلس على رقبة الشيخ مجد الدين، ومدَّ رجليه، والشيخُ مجد الدين يَرقصُ كما كان في الرقص، كان رجلاً طويل القامة، والشيخُ مجد الدين كان رجلاً لطيفاً في غاية اللطافة، فلمّا فرغَ الشيخ مجد

(١) من هنا يبدأ خرم النسخة (ص) وينتهي صفحة: ٥٨٦.
(٢) في الأصل: شهدوك.
(٣) في المطبوع (ف): بسكرآباد.

الدين من السَّماع والرقص، قال: ما فهمت، كان على رقبتي إنسانٌ أو عصفور ؟ وزنكي عضَّ وجنتيه، وكان أثرُه باق. ويقول: شيخ مجد الدين، إن يوم القيامة في هذا الفخر كاف.

قال الشيخ ركنُ الدين علاء الدولة: قال الشيخ مجد الدين البغدادي: رأيت النَّبي ﷺ في المنام، فسألتُه: ما تقول في حقِّ ابن سينا ؟ قال رسولُ الله ﷺ: **هو رجل أراد أن يَصلَ إلى الله تعالى بلا واسطتي، فحجبتُه بيدي هكذا، فسقط في النار.** ولمّا حكيت هذه الحكاية عند مولانا جلال الدين جلبي، فقال: عجبٌ. ثم قال: أنا عزمتُ من بغداد إلى الشام، ومن الشام إلى الروم، فلمّا وصلتُ الموصلَ كنتُ ليلةً في مسجد الجامع، فنمتُ، ورأيت واحداً يقول: لِمَ لا تذهبُ هناك تستفيد ؟ فنظرتُ، فرأيت جماعةً جالسين بالحلقة، وبينهم رجل نورانيٌّ، ونورٌ من رأسه مُتصلٌ إلى السماء، ويتكلَّمُ مع الناس، وهم يسمعون كلامه، قلتُ: من هذا ؟ قالوا: محمد ﷺ، فتقدّمتُ إليه، وسلّمتُ عليه، في جواب سلامي أعطاني مكاناً في الحلقة، فلمّا جلستُ، قلت: يارسولَ الله، ما تقول في حقِّ ابن سينا ؟ قال: **رجلٌ أضلَّه اللهُ على علمٍ.** ثم قلتُ: **ما تقولُ في حقِّ شهابِ الدين المقتول ؟ قال: هو من مُتَّبعيه.** ثم قلتُ في نفسي: أسألُ عن علماء أهل الإسلام. فقلتُ: **ما تقول في حقِّ فخر الدين الرَّازي ؟ قال: هو رجل مُعاتب. قلتُ: فما تقول في حجَّة الإسلام محمد الغزالي ؟ قال: هو رجلٌ وصل إلى مقصودِهِ. قلت: ما تقول في حقِّ إمام الحرمين[1] ؟ قال: هو ممَّن نصرَ ديني. قلت: ما تقولُ في حقِّ أبي الحسن الأشعري ؟قال: أنا قلتُ، وقولي صدقٌ «الإيمانُ يمان، والحكمة يمانية»**[2].

---

(١) إمام الحرمين هو عبد الملك بن عبد الله الجويني. انظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٨.

(٢) رواه البخاري ٦/ ٣٨٧ في الأنبياء، باب قوله الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ وفي ٥/ ٢١٨ المغازي، باب قدوم الأشعريين، وفي ٤/ ١٥٤ في بدء الخلق، باب قوله تعالى ﴿وبث فيها من كلِّ دابة﴾ ومسلم (٥٢) في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، والترمذي (٢٢٤٤) في الفتن، باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة، كلهم عن أبي هريرة.

فقال واحد ممَّن كان عندي: ما الفائدة في هذه السؤالات ؟ فاطلبْ منه دُعاءً لنفسك حتى ينفعَك. فقلتُ: يارسول الله، علِّمني دعاءً، فقال: قل: اللَّهُمَّ، تُبْ عليَّ حتى أتوبَ، واعصمني حتى لا أعود، وحبِّبْ إليَّ الطاعات، وكرِّه إليَّ الخطيَّات.

ثم سألني: أين تذهبُ ؟ قلتُ: إلى الروم. قال: الروم ما دخله المعصوم. فلمّا انتبهتُ رأيتُ هناك غرفةً، وكان مولانا موفق الدين الكواشي في تلك الغرفةِ، وأضرَّ في آخر عمره، فذهبتُ لزيارته، فسألَ: من أنتَ ؟ فأجبتُه، فقال: من أين ؟ قلت: من بغداد. قال: إلى أين ؟ قلت: إلى الروم. قال: الروم ؟! قلتُ: بلى. قال: الرُّومُ ما دخله المعصوم. فتعجَّبتُ من كلامه، وأخذت ذيلَه، فقلتُ: أنتَ كنتَ حاضراً البارحة ؟ قال: دعني دعني. فخلَّيتُ ذيله، ورجعت.

قال الشيخ علاء الدولة قُدّس سرُّه: كان مولانا جلال الدين[(١)] رجلاً عزيز الوجود، وله تصانيفُ مشهورة، وكان بينه وبين الغزالي واسطتان، وهذه الحكاية دليلٌ على صحة واقعة الشيخ مجد الدين.

واستُشهد الشيخ مجد الدين في سنة سبع وستِّ مئة، وقيل: سنة ستَ عشرةَ وستِّ مئة. وخاتون[(٢)] كانت من نيسابور، نقلت نعشه في سنة ثلاث وثلاثين وثمان مئة إلى أسفرايين.

* * *

(٤٦٩) سعد الدين الحموي[(*)]

الشيخ سعد الدين الحموي قدّسَ اللهُ تعالى روحه، اسمه محمد بن المؤيد بن أبي بكر أبي الحسن بن محمد بن حمويه، وهو من أصحاب الشيخ نجم الدين الكُبرى قدَّسَ الله أسرارَهم.

---

(١) في المطبوع: جمال الدين.

(٢) في الأصول: وامرأته كانت. والمثبت مترجم عن الفارسية.

(*) سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٨٤، العبر ٥/ ٢٠٦، مرآة الجنان ٤/ ١٢١ كشف الظنون ٩٨٠، ١٦١٢ شذرات الذهب (وفيات ٦٥٠)، إيضاح المكنون ١/ ١٦٦، ٢/ ١٧، ١٩، هدية العارفين ٢/ ١٢٤، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤١٨.

وفي «تاريخ اليافعي»[1]: إنّه كان صاحبَ أحوال ورياضات، وله أصحابٌ، ومريدون، وكلام. سكن سفح قاسيون مدةً، ثم رجع إلى خراسان، فتوفي هناك.

وكان في علوم الظاهر والباطن ماله نظير، وله مُصنَّفاتٌ كثيرةٌ مثل كتاب «المحبوب»[2]. و«سَجَنْجَل الأرواح»[3]. وغيرهما، وفي مصنفاته كلامٌ مرموز، وكلمات مُشكلة، وأرقامٌ، وأشكالٌ، ودوائرُ يعجز نظر العقل والفكر عن حلّها وكشفها، ومن يُفتح له نظر البصيرة، وكشف القلوب فإدراكها متعذر.

وقال: بشّرني الله سبحانه، وقال: من أصغى إلى كلامك بحُسن القبول والاعتقاد في ذكري وتعريفي فقد اندرجتْ فيه نطفةُ العلم والمعرفة، وإنِ التبسَ عليه في الحال فقد ثبتَ له النصيب[4] في طورٍ من أطواره.

وصحبه الشيخ صدر الدين القونوي قُدّس سرُّه قليلاً.

قال الشيخ صدر الدين: سمعنا عنه قال: المواثيق سبعٌ، وفي ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ليس حصراً. فقلت: عند شيخي الشيخ محيي الدين ما قاله. قال: الشيخ ما ذكره كليات، وإلا فالجزئيات كثيرة.

قال الشيخ مؤيد الدين الجَنَدي في «شرح فصوص الحكم» كان الشيخ صدر الدين يوماً حاضراً في مجلس سماع الشيخ سعد الدين الحموي، والشيخ سعد الدين في أثناء السماع توجَّه إلى دكّةٍ كانت في منزله، فوقف هناك ساعةً طويلةً مُتأدّباً، ثم غمض عينيه، وصاح: أين صدر الدين؟ فتقدّم الشيخ صدر الدين،

---

(١) مرآة الجنان ٤/ ١٢١.

(٢) واسمه: محبوب المحبين ومطلوب الواصلين. كشف الظنون ١٦١٢، وفي تاريخ بروكلمان ٤/ ٤١٩ محبوب القلوب. غير كامل، مات المؤلف أثناء عمله.

(٣) واسمه: سَجَنْجَل الأرواح ونقوش الأرواح. كشف الظنون ٩٨٠، في تاريخ بروكلمان ٤/ ٤١٩: سجنجل الأرواح ومنقوش الأرواح. صور وجداول صوفية. والسجنجل: المرآة، رومي معرب. اللسان (سجل).

(٤) في (ص): النصب.

ففتح عينيه في وجهه، فقال: كان النبيُّ ﷺ على تلك الحالةِ، فأردتُ أن أفتحَ عيني التي شاهدتْ جمالَ النبيِّ ﷺ على وجهك.

وقال سعد الدين: إن وقتاً وقع لروحي عروجٌ، فانسلخت روحي عن قالبي[1] ثلاثة عشر يوماً، فرجعتْ إلى بدني، وبدني كان في هذه المدَّة ميتاً، فلمّا دخلتِ الروحُ في البدن، وقام ما كان لي خبرٌ من مضي الأيام، فأخبرني بعض الناس.

وهذه الأشعار منه، وأدرجها في كتاب «المحبوب»:

يا راحةَ مهجتي ونورَ البصر ... استيقظَ قلبي بكَ وقتَ السَّحرِ
ناجيتُ ضميرَ خاطري يا قمريَ ... إنّي أنا فيك وأنتَ لي في نظري

وله الرباعية الفارسية من هذا القبيل شعر:

أعينُ العُشاقِ إنْ نظرتْ سُبلَ المحبوب هي كفرت
آمنت إن[2] لعارضيه بدا وإليه أعين نظرت[3]

لا ترى هذين دون ترى غرَّة[4] المحبوب إذ فخرت
منعتَ للغير غيرتها آمنت بالغيرِ أو كفرت

وله أيضاً:

ليسَ لي دون أنتَ في كلِّ ساري ناظرٌ شاهدٌ سِواك بداري[5]
أنت لي في الوجودِ عينُ شهودي ليس لي لفتةٌ إلى الأغيار
في رياضِ الرِّضا جمالُك يبدي نظرةَ الحُسنِ في مجالي المجاري[6]
ما تواري وما تراءى قنعتُه لك يا مسمعي غنا الأطيار

---

(١) في (ب): عن قلبي.
(٢) في (ب): أصغت لعارضيه.
(٣) انتهى خرم نسخة (ص) والذي أوله صفحة ٥٨٢.
(٤) في (ب): عزة.
(٥) في (ص): سواك مداري.
(٦) في (ص): مجاري المجاري.

وله أيضاً:

حيثُ لا أنتَ فالجِنانُ جَحيمٌ وإذا كنتَ فالجحيمُ جنان
وإذا لم تكنْ فما الخُلدُ ما الكوثرُ ما الزَّنجبيلُ ما رضوان

وهذه الأشعار من هذا القبيل أيضاً:

أنتَ قلبي وأنتَ فيه حَبيبٌ ولسقمِ القلوب أنتَ طَبيبُ
ليسَ في قلبِ من يحبُّكَ صدقاً غيرُ ذكراكَ حالةٌ يَستطيبُ
أنت سُقمي وصحَّتي وشفائي وبكَ الموتُ والحياةُ تَطيبُ
وإذا ما نظرتَ فيَّ بلُطفٍ عن فؤادي وأعيني لا تَغيبُ
لك سِرِّي ومُهجتي وضميري ساجدٌ شاهدٌ ومالي نصيبُ

وطال عمرُه إلى ثلاثٍ وستين، ومات يومَ عيد الأضحى سنة خمسين وست مئة، وقبرُه في بحر آباد، رحمه الله تعالى.

* * *

(٤٧٠) سيف الدين الباخرزي(*)

الشيخ سيف الدين الباخرزي رحمه الله تعالى، هو من خلفاءِ الشيخ نجم الدين الكُبرى، وبعد تحصيل وتكميل علومِ الظاهر، وصل إلى صُحبة الشيخ، ووجد التربية.

وأوَّلُ ما دخلَ في خلوة الاعتكاف في الأربعينية الثانية، جاء شيخُه على باب خلوته، ودقَّ بابه بإصبعه، وصاح: يا سيف الدين. وقرأ هذا البيت:

الغمَّ أَولى بي فإنِّي عاشقٌ وأنتَ مَعشوقٌ فليس الغمُّ لك

(*) سير أعلام النبلاء ٢٣/٣٦٣، العبر ٥/٢٥٤، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٥١، الجواهر المضية ٢/٢٢٥، الوافي بالوفيات ١٥/٢٦٢، شذرات الذهب ٥/٢٩٨، واسمه سعيد بن المطهر أبو المعالي.

ثم قال: قم، اخرج من الخلوة. وأخذ يده، وأخرجه من الخلوة، ورخَّصه إلى بلاد بُخارى.

قيل: يوماً جاءتْ جارية من بلاد الخُتَّا[1] بطريق الفتوح للشيخ نجم الدين، فقال الشيخ ليلةَ الزِّفاف لأصحابه: يا أيُّها الأصحاب، في هذه الليلة أنا مشغولٌ بالحظِّ المشروع، وأنتم كذلك لموافقتي، اتركوا الرياضة، واشتغلوا بالحظوظ المشروعة، واستريحوا. فلمَّا سمع الشيخ سيف الدين، أخذ إبريقاً كبيراً، وملأه ماءً، ووقف على باب الشيخ طولَ الليل، فلمَّا أصبحَ، وبرز الشيخُ، رأى سيفَ الدين واقفاً على بابه مع إبريقِ الماء، فقال الشيخ: ما قلتُ لكم استريحوا، فلِمَ اخترتَ هذه المشقَّة في هذه الليلة ؟!. قال سيف الدين: يا شيخ، أنتَ قلتَ كلُّكم يرجعُ إلى اللذة والحضور، وما كانَ لي لَذَّةٌ وحضورٌ إلا هذا، وليس لي لَذَّةٌ إلاَّ أن أكونَ في خدمتكم. فقال الشيخ: يُبشِّرك الله تعالى أنَّ السلاطين يكونون تحت ركابك.

ويوماً جاء السلطان لزيارة الشيخ سيف الدين، فلمَّا قامَ أهدى للشيخ فرساً، وقال: يا شيخ، نذرتُ لك فرساً، والتمسُ أن أُركبكَ، وأُعينك. فقبلَ الشيخُ التماسه، وخرج من خانقاهه، فأخذَ السُّلطان ركابه، وركب الشيخُ، فانزعجتِ الفرس، والسلطانُ أخذ عنانه، ومشى خمسين قدماً، فقال الشيخ سيف الدين: سببُ انزعاج الفرس أن يوماً خدمتُ الشيخ نجم الدين، فبشَّرني الشيخُ نجم الدين؛ السلاطين يكونون على ركابك ماشين، وهذا كان مصداق كلامِ الشيخ.

ومن كلماته القدسية هذه الرباعيات:

أمـا تـرانـي أدورُ ليـلاً حـول حِمـاكـم ولا أَمَـلُ
لعـلَّ فـي الحشـرِ أن يُنـادى اسمـي مـع كلبِكـم فـأَغْلُـوا

وكان يوماً حاضراً في جنازة صوفي، فقالوا: يا شيخ، لقِّنِ الميتَ. فجاء مقابلةَ الميت، وقرأ هذا الرباعي:

---

(١) خُتَّا: مدينة بالدربند، وهو باب الأبواب على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر، منيعة ذات شوكة. انظر معجم البلدان (ختا، وباب الأبواب).

مولاي لو أنَّ ذنبَ العالمين على ظهري رجوتُكَ تغدو آخذاً بيدي
أوعدتني حال عزّي ما تُكلِّفني ففوق ذا العجزِ يا مولاي لم تجدِ

وله أيضاً:

يوم أَخلو من الهوى أَغدو والصحَّة[1] في منزلٍ معاً والأنسي
وإذا مرَّ بي مليحٌ تهيَّمْتُ وخليت عن عفاي وأنسي[2]

توفي قدس الله سره، في سنة ثمانٍ وخمسين وست مئة، وقبره في بخارى.

* * *

(٤٧١) جمال الدين الكيلي[*]

عين الزمان جمال الدين الكيلي رحمه الله تعالى. هو أيضاً من خلفاء الشيخ نجم الدين.

وكان عالماً فاضلاً، فلمَّا أرادَ أن يصحبَ الشيخ نجم الدين، دخلَ البيت الذي كان كتُبُه فيه، وأخرجَ من لطائف علوم العقلي والنقلي، وجعل مجموعاً يكون مؤنساً له في سفره، فلمَّا قَرُبَ إلى خُوارزم، رأى الشيخ نجم الدين في الرؤيا، قال له الشيخ: يا كيليك، ارم الحزمةَ، وتعال. فلمَّا انتبه، وتفكَّر: ما الحزمةُ، وما عندي شيء من الدُّنيا، وما لي نيَّةُ جمعها؟ فرأى الرؤيا ليلةَ أُخرى مثلها، وليلةَ الثالث أيضاً، فسألَ من الشيخ: يا شيخ، ما الحزمة؟. فقال: ذلك المجموع الذي جمعته. فلمَّا انتبه، رمى الشيخُ المجموع في جيحون، فلمَّا دخلَ عند الشيخ، قال الشيخ: إن لم ترم ذلك المجموع، ما كان لك نفعٌ في هذا الطريق. فألبسَه الخرقةَ، وأمره بالاعتكاف أربعين يوماً، فبعدَ تمامِ الاعتكاف، لقَّبه عينَ الزمان.

---

(١) في (ب): يوم أخلو من الهوى لست أغدو لصحة.
(٢) البيتان ليسا في (ح).
(*) مجمل فصيحي ٢/ ٣٢١، وفيه: توفي سنة ٦٥١هـ. واسمه عبد الله بن المختار. وانظر طبقات أعلام الشيعة (الأنوار الساطعة في المئة السابعة) ١/ ١٤٢.

والشيخ جمال الدين كان في قزوين، وشريفٌ من شُرفاء قزوين، طلبَ الشفاعة من الشيخ إلى سلطان شيراز، وللسلطانِ[1] كان إخلاصٌ له واعتقاد في الشيخ، فطلبَ الشيخُ قرطاساً، وكتب فيه: عسل وشمر. فأعطاه، فلمَّا وصلَ الشريفُ إلى شيراز، قالوا: السلطانُ دخلَ الحمام، وله وجع البطن. فذهبَ إلى الحمّام، فرأى السُلطانَ جالساً يضطربُ من وجع البطن، فسلَّمَ على السلطان، قال: من أين؟. قال: من قزوين. فسأله عن أحوال الشيخ، فأعطاه ذلك المكتوب، فكان مكتوب فيه: عسلٌ وشمر، فقال السُلطان: هذه من كرامة الشيخ، كتبَ علاجي. فأحضروه، وأكلَه، فأعطاه الله تعالى الشفاءَ، وخدمَ السُلطان الشريف خدمةً حسنة، وكان في رعايته وخدمته.

* * *

(٤٧٢) بابا كمال الجَنْدي(*)

بابا كمال الجندي رحمه الله تعالى.

ولمَّا حصلَ له مرتبةُ الكمال والتكميل، في خدمة الشيخ نجم الدين وصحبته، فالشيخ أعطاه الخرقة، ووصاه: إنَّ في بلاد تركستان ولد اسمه أحمد مولانا، من أولاد مولانا شمس الدين المفتي، ألبِسْه هذه الخرقة، وربّه. فلمَّا وصلَ بابا كمال إلى جَنْد[2]، رأى الصبيان يلعبون، ومولانا أحمد[3] جالسٌ عندهم، يحرسُ ثيابهم، فلمَّا قربَ بابا كمال، قام مولانا أحمد، واستقبله، وسلَّم عليه، فقال: إلى متى أنا أحفظ ثياب الغير، وأنت تحفظُ ثوبي؟. فاعتنقه بابا كمال، ودخل في بيت المفتي، فقال المفتي: هذا الولدُ مجذوب،

---

(١) في (ص): والسلطان.

(*) ورد عرضاً في طبقات أعلام الشيعة ص (١١) بوصفه تلميذ نجم الدين الكبرى.

(٢) الجَنْد: مدينة عظيمة في بلاد تركستان، بينها وبين خوارزم عشرة أيام تلقاء بلاد الترك مما وراء النهر، قريب من نهر سيحون. معجم البلدان.

(٣) في (ب): مولانا جمال أحمد.

لا يقدرُ أن يخدمك مع رعاية الأدب، وله أخٌ لطيفُ الطبع، وعالمٌ، ومؤدب، يكونُ في خدمتك. قال بابا: يكونُ له نصيبٌ أيضاً، أنا ما جئت إلا لخدمة أحمد مولانا.

فبأدنى مدَّة، تمَّ سلوكُ أحمد مولانا، وانتشرَ خبرُ كماله في البلاد، وكثرَ الطالبون، ووجدوا التربية، ووصلوا بمرتبة الكمال، ومنهم الشيخ بهاء الدين الكُبرى، الذي أوصاه بخدمة، وتربية أخيه دانشمند[1] مولانا، المسمى محمد، والشيخ بهاء الدين، أودعَ ولده في خدمة دانشمند.

ومولانا اسمه أبو الفتوح، وانتساب أبي الوفاء في التصوف إلى أبي الفتوح، كما بيَّنه في سلسلة مشايخه.

عهدُ النبيِّ إلى الوصي أبي الحسن وعليٌّ عاهدَ نجلَه السِّبط الحسن
فحبيبُ فالطائي فمعروفُ الهدى فسريٌّ فالشيخ الجُنيد المؤتمن
عيسى يليه وبعده فالمغربي فقاسم يتلوه نسَّاجُ الحسن
ولأحمد قل أحمد فالسهروردي ثم قل عمار فالكُبرى نجم بها الزمن
فكمال قل ثم أحمد فبهائه لمحمد تحيي بذكرهم الدِّمن[2]

* * *

(٤٧٣) أبو الوفاء الخوارزمي(*)

الخواجة أبو الوفاء الخوارزمي رحمه الله تعالى.

كان للخوجة أبو الوفاء[3] المشاربُ الصافية[4] من أرباب التوحيد، وأصحاب الأذواق والمواجيد، كما تبيَّن من رسائله، وأشعاره، وبالخصوص

---

(١) في (ص): داشمند.
(٢) في (ص) و (ب): الزمن. والشاهد في بيان اتصال السلسلة هو انتساب أبي الوفاء إلى أبي الفتوح، وهذا لم يترجم عن نصه الفارسي.
(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(٣) كذا في الأصول.
(٤) في (ص): الصوفية.

بعضُ أشعاره، التي أذكرها لإثبات دعواه، منها:

نظري يا رُوحَ روحي نظرُك وحجاي[1] منك فما عِلمُ خبرك[2]
فلهذا وقفَ العجزُ معي دون وصفيك وقصى سيرك

وله أيضاً:

أنا في ذاتك محوٌ[3] وأنا الموجودُ ظاهر
فدليلُ الحظِّ هذا وسُعودي في البشائر

وله أيضاً:

لا تُنكرِ الباطل المجفوّ سورته فإنّه مَظهرٌ للحقّ أثبته
من لم ير الحقَّ في كلِّ المظاهرِ إذ تبدو فذاك الذي ضاعت حقيقته

وله أيضاً:

هو خافٍ وإنّما الظاهرُ العالم والكونُ لافتقارِ الوجود
قالوا لمجدِ العارفين لهم فيما يرى العالمون عكسَ الشهود

وله أيضاً:

واحدٌ لم يزد بها نسبة العدُّ ولكن ما إن له من ثاني
فأسقطِ القيدَ تعرفه من غير دليلٍ قطعاً ولا برهاني

وله أيضاً:

فعلي القبيح وعذري منه أقبحُ بي ها قد تعددتِ الدعوى على ما هي
دعوى الوجود دعوى الغوث ثانية والثالث الفعلُ إنَّ الأمر لله

وكان له قوةٌ وقدرةٌ في الكشف[4].

---

(١) في (ح): وحجابي.
(٢) في (ب): فاعلم خبرك.
(٣) في (ص): هجو.
(٤) هذه الجملة ليست في (ب) ولا في (ح).

توفي الخواجة أبو الوفاء في شهور سنة خمسٍ وثلاثين وثمان مئة، رحمه الله تعالى.

* * *

(٤٧٤) نجم الدين الرازي المعروف بالداية(*)

الشيخ نجم الدين الرازي المعروف بالداية رحمه الله تعالى. هو أيضاً من أصحاب الشيخ نجم الدين الكُبرى، وكان تربيته من الشيخ مجد الدين، بأمرِ شيخه.

هو صاحب كتاب «مرصاد العباد»(١) و«تفسير بحر الحقائق وشرح الدقائق»(٢).

وقد خرجَ في واقعة جنكيز خان من خُوارزم إلى الروم.

واتَّفقَ الاجتماع له بالشيخ صدر الدين القونوي، ومولانا جلال الدين الرومي، وقيل اجتمعوا في مجلسٍ واحد، فقامت صلاةُ المغرب، فقالا: أنت إمامنا. فصلَّى الشيخ نجم الدين، وقرأ في الركعتين بعد الفاتحة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، فبعد فراغ الصلاة خاطبَ مولانا جلالُ الدين الشيخَ صدر الدين على وجهِ المزاح: قرأ الشيخ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مرةً لي، ومرةً لك.

توفي في سنة أربعٍ وخمسين وست مئة، وقبره في شُونيزية بغداد، خارج قبر الشيخ سري السَّقطي، والشيخ الجُنيد، والله أعلم.

(*) العبر ٥/٢١٨، شذرات الذهب ٥/٢٦٥، هدية العارفين ٢/٤٦١، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٤١٩، معجم المؤلفين ٢/٢٨١، واسمه عبد الله بن محمد بن شاهاور.

(١) كتاب «مرصاد العباد من المبدأ إلى المعاد»: فارسي، جعله على خمسة أبواب، فيها أربعون فصلاً كلها في السلوك والوصول وتربية النفس. كشف الظنون ١٦٥٥.

(٢) ذكر اسمه في كشف الظنون ٢٢٤: بحر الحقائق والمعاني في تفسير السبع المثاني.

ومن مقولاته هذه الرباعيات:

أشكو الفراقَ كشكوى الشَّمعِ أدمعه وحرقَة بثُّ مأسورٍ لمأسور
مع أنَّهِ إن ما انهلَّتْ مدامعه والتاعِ بالنار إلاَّ وهو في النور

* * *

(٤٧٥) رضي الدين علي لالا الغزنوي(*)

الشيخ رضي الدين علي لالا[1] الغزنوي قدَّس الله سرَّه، هو علي بن سعيد بن عبد الجليل اللالا الغزنوي، والشيخ سعيد أبو الشيخ علي لالا، وولده عمُّ الحكيم السنائي.

خرج إلى الحجِّ، ودخل خراسان، وصحبَ الشيخ أبا يعقوب يوسف الهَمَذاني قُدِّس سِرُّه، وفي تلك الأيام، كان الشيخ نجم الدين الكُبرى عازماً إلى هَمَذان لطلب الحديث، فنزل في قريةٍ قريبة من قرية الشيخ علي لالا، بينهما فرسخٌ واحد، واتَّفق أنَّ علي لالا تلك الليلة رأى في الرُّؤيا كأنَّه كان سُلَّمٌ واقفٌ متَّصل بالسماء، ورجلٌ عليه واقف، والناس يجيئون واحداً واحداً، فيأخذ يدهم ويذهبُ بهم إلى السماء، وهناك رجلٌ آخرُ يُعطي يده على يده، وهو يذهب بهم إلى السماء، وعلي لالا أيضاً ذهب عنده، فأخذ يده، وذهب به إلى ذلك الرجل، فهو ذهب به إلى السماء، فلمَّا قال هذه الواقعة عند أبيه، قال أبوه: أتعرفُ ذلك الرجل؟. قال: نعم، وأعرفُ اسمه. فقال أبوه: اطلبه، لأنَّ مفتاح طريقِك على يده. فالشيخ علي لالا سافرَ البلاد لطلبه، فما شمَّ رائحة وجوده إلى الزمان الذي جاء فيه الشيخ نجم الدين إلى خُوارزم، وانتشر هذا الطريق.

والشيخ علي لالا كان في بلاد تركستان في خانقاه الشيخ أحمد اليسوي، ويوماً دخل في تلك الخانقاه رجلٌ من خُوارزم، فسأله الشيخ أحمد: هل في

(*) مجمل فصيحي ٢/٣١٣. الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٩ (٢) / ٣٧٤.

(١) في (ب): لآل.

خُوارزم شيخ ؟ والناس بأيِّ شغل مشغولين ؟. والشيخ علي لالا كان داخلَ الخلوة، فسمع هذا الخبر، فقال ذلك الرجل: في هذا الزمان جاء رجلٌ[1]، واشتغل بإرشاد الخلق، واجتمع خلق كثير عنده. قال الشيخ: ما اسمه ؟. قال: نجم الدين الكُبرى. فلمّا سمع الشيخ علي لالا اسم الشيخ نجم الدين خرجَ من خلوته متفجّعاً، وعزم على السفر، قال الشيخ أحمد اليسوي: ما لك ؟. قال: أسافرُ. قال الشيخ: اصبرْ، حتى يمضي الشتاء. قال: لا أقدر أن أصبر. فجاء عند الشيخ نجم الدين، فاشتغل بالسلوك، فبعده جاء الشيخ مجد الدين، وأخذ يدَه وبايعه، ولما دخل الشيخُ نجم الدين في السلوك، كان سنُّه قريباً من خمسٍ وثلاثين سنة، وعمرُ الشيخ مجد الدين أزيد من عمر الشيخ لالا بثلاث أو أربع سنين، لكن الشيخ علي لالا كان في تحصيل العلم في أوان الشباب، والشيخ مجد الدين أيضاً كان في طلب العلم، وما كان مشتغلاً بالسلوك.

والشيخ علي لالا صحب مشايخَ كثيرةً، وقيل إنه لبس الخرقة من أربعٍ وعشرين ومئة شيخ كامل مُكمَّل، وبعد موته بقي ثلاث عشرة ومئة خرقة.

وسافر إلى الهند، وصحب أبا الرضا بابا رتن رضي الله عنه، وأخذ عنه وديعة رسول الله ﷺ.

كما صححه الشيخ ركن الدين علاء الدولة، قال: **صحب الشيخ رضي الدين علي لالا صاحب رسول الله ﷺ أبا الرضا رتن[2] بن نصر رضي الله عنه، فأعطاه مشطاً من أمشاط الرسول ﷺ**، والشيخ ركن الدين علاء الدولة لفَّ ذلك المشط بخرقة، ولف الخرقة بقرطاس، وكتب عليه بخطه: **هذا المشط من أمشاط رسول الله ﷺ، وصل إلى هذا الضعيف، من صاحب رسول الله ﷺ، وهذه الخرقة له، وصلت من أبي الرضا رتن، إلى هذا الضعيف.**

---

(١) في (ب): جاء شاب.

(٢) في (ص): أبا الرضي زين.

وأيضاً كتب الشيخ ركن الدين علاء الدولة بخطه: يقال إن هذه الأمانة كانت للشيخ رضي الدين علي لالا من رسول الله ﷺ.

وهذه الأبياتُ من أنفاسه القدسية منقولة من خطه [بيده]:

كلُّ الأنامِ بألفِ قلبٍ قد بُلوا ويألفِ قلبٍ يشترونك فاعلم
لا ينبغي لطاليك قرارهم[1] والنوم من يهوى خيالك يسقم

توفي قدَّس الله تعالى سرَّه في الثالث من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وست مئة.

* * *

(٤٧٦) جمال الدين أحمد الجُوْرَقاني(*)

الشيخ جمال الدين أحمد الجُوْرَقاني[2] رحمه الله تعالى، هو من أصحاب الشيخ رضي الدين علي لالا.

قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة: كان الشيخ أحمد رجلاً عجيباً ذاكراً، وكان في درجة عالية، وأنا رأيتُ مرتبته، ودرجته في الواقعة كان قريباً من درجة الشيخ أبي الحسن الخرقاني، ووجدت رتبة الشيخ رضي الدين علي لالا تناسب رتبة أبي يزيد البِسطامي قدَّس الله تعالى سرَّه.

قال الشيخ رضي الدين علي لالا: من سكت مثلَ سكوت أحمد، يجدْ ما وجد الجُنيد، والشبلي.

ويوماً وصل الشيخ سعد الدين الحموي بجورقان، فأرسل واحدٌ عند الشيخ أحمد، وكان الشيخ أحمد نوى نيَّةَ الاعتكاف، فما جاء، ثم أرسل واحداً:

---

(١) في (ب): للطاليك قرارهم.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) الجُوْرَقاني: نسبة إلى جُوْرَقان، وهي من نواحي همذان. اللباب، وفي الأصل الجورقاني.

لا بدَّ أن تجيءَ؛ لأنه حصل لي إشارة أن أكتب لك الإجازة، كما كتبها لك الشيخ علي لالا. فردَّ الشيخُ أحمد جوابه، وقال: أنا لا أعبد الله تعالى لأجلِ الإجازة.

قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة: أعجبني كلامه.

رأى الشيخ أحمد مريداً جالساً بطريق المراقبة، فخلع النعلين، وضرب على قفاه، فقال المُريد: كنت مراقباً، فلِمَ تغضبُ عليَّ؟. فقال الشيخ: تجوز المراقبة لمن لم يأكل الطعام إلى أسبوع، فإذا سمع صوت جاي[1]، لا يخطر بباله أن يكون معه طعام.

توفي رحمه الله تعالى سلخ ربيع الآخر سنة تسعٍ وستين[2] وست مئة.

* * *

(٤٧٧) عبد الرحمن الإسفراييني الكسرقي[*]

الشيخ نور الدين عبد الرحمن الإسفراييني الكسرقي رحمه الله تعالى، هو من أصحاب الشيخ أحمد الجُوْرقاني، وكان له كشفٌ عظيم في حلِّ الوقائع، وفي تسليك الطالبين، وتربية المريدين، أيضاً كان له شأنٌ عظيم.

قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة: إنَّ أبي سألني: من في هذا الزمان من أولياء الله تعالى؟. قلتُ: من أولياءِ الله، ابن عُجيل في اليمن، وشمس الدين الساوجي في ششتر، وخوجة حاجي في أبهر. وذكرت آخرين كانوا على الصراط المستقيم، فقال أبي: أنت عدَّيت هذه المشايخ، فلم أخذتَ يد الشيخ نور الدين عبد الرحمن، وما التفتَّ إليهم؟. فقلت: كان لي مقصود، ولا يحصل ذلك المقصود إلا بصحبته[3]، وما كان لي حاجةٌ أن أتوجَّه لمن

---

(١) في (ح): جاني.
(٢) في (ص): تسع وتسعين.
(*) تاريخ الأدب العربي ٧/ ٢٤٣. مجمل فصيحي ٢/ ٣٨٣ وفيه أنه توفي سنة ٧٠٠هـ.
(٣) في (ص): حالاً بصحبته.

يكون أكبرَ حالاً، وأذهب عنده، مثلاً إن كان لأحدٍ حاجةٌ إلى حداد ويذهبُ عند صائغ فيضحكُ عليه العقل.

وأيضاً قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة: إن لم يكن في هذا الزمان الشيخ ركن الدين عبد الرحمن قدَّس الله سرَّه، انقطع السلوك بالمرَّةِ، ولما أرادَ الله تعالى أن يبقي هذا الطريق إلى قيام القيامة، فتجدَّد منه.

وأيضاً عنه قال: كنت جالساً في بيت، فغبت، فرأيتُ في الغيبة الإمامَ الغزالي، كان جالساً، ووضع رأسَه على ركبتيه[1]، وبين إصبعيه قلمٌ، وكان متحيِّراً، فقلت: ما حالك؟ وأنت بأيِّ تتفكر؟. فقال: لِمَ لا أكون متفكراً؟! لأنِّي أنا في نشأة الدنيا كتبتُ وصفَ العنقاء بثلاثين صفة، وفي هذه الساعة رأيتُ ذلك كلَّه غلطاً. فذكرتُ هذه الواقعة عند الشيخ نور الدين عبد الرحمن، فقال الشيخ: عجبٌ، أنا كنت في قرية شَقَّان[2]، وفي تلك الأيام كان لي شِرَّةٌ في الكلام على المعرفة، فرأيتُ في الغيبة، قال الله تعالى: أنت لا تعرف حسرةً من حسرات الإمام الغزالي التي لا يكون أعظمَ منها، لأنه قبلَ تمام السلوك جاءَ إلى حضرتي. فلمَّا أفقتُ وجدتُ على لساني عقدةً، فلزمتُ السكوتَ، واشتغلتُ بشغلٍ وجهاد.

كان ولادته في شهر شوال سنة تسعٍ وثلاثين وست مئة، ومات في بغداد.

* * *

(٤٧٨) ركن الدين علاء الدولة البيابانكي السِّمناني[*]

أبو المكارم ركن الدين علاء الدولة أحمد بن محمد البيابانكي قدَّس الله سرَّه، هو من أبناء ملوك سِمْنان.

---

(١) في (ب): على ركبته.

(٢) شَقَّان: من قرى نيسابور. معجم البلدان.

(*) الدرر الكامنة ١/ ٢٥٠، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٧٣، تاريخ علماء بغداد ١٦٢، كشف الظنون ١٨٨٨، هدية العارفين ١/ ١٠٨، معجم المؤلفين ٢/ ٣٨٣، تاريخ الأدب العربي ٧/ ٢٤١، الأعلام ١/ ٢٢٣.

كان سنُّه خمس عشرة سنة لمَّا اختار خدمةَ سلطان الوقت، فكان مع السلطان في بعض حروبِ الأعداء، فحصل له جذبةٌ، فصحب في شهور سنة سبعٍ وثمانين وست مئة، الشيخ نور الدين عبد الرحمن[1] الكسرقي في بغداد، ولمَّا رجعَ من الحجاز، أعطاه إجازة الإرشاد، في سنة تسع وثمانين وست مئة، وبعد سنة عشرين وسبع مئة، جلس في خانقاه السكاكية مدة ست عشرة سنة، وكان جميع اعتكافه في هذه المدة أربعين ومئة أربعينات، وقيل: كان في سائر الأوقات ثلاثين ومئة أربعينات.

ولما وصل سنُّه سبعٍ[2] وسبعين سنة، مات في ليلة الجمعة، ثاني عشرين رجب سنة ست وثلاثين وسبع مئة، في برج أحرار صوفي آباد، ودفنوه في حظيرة قطب الزمان عماد الدين عبد الوهاب.

ويوماً أرسل السلطان ظبياً، وقال: سلِّم على الشيخ، وقل له: هذا اللحم حلال من صيدي يأكله. فقال الشيخ: في أثناء هذا الكلام ذكرت حكاية أمير نوروز، وكان في خراسان، وأنا ذهبتُ لزيارة مشهد طوس، فلمَّا سمع نوروز جاء عندي مع خمسين فارساً، وقال: أريد أن أصحبك ما دمت في خراسان. فوقعت المُصاحبة معه، فجاء يوماً بأرنبين، وقال: أنا ضربتهما، وأنت تأكلهما. قلتُ: لحمُ الأرنب، ما آكلُ بأيِّ وجهٍ كان. قال: لِمَ؟ قلت: عند الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه حرام، فإذا حرَّمَهُ[3] واحدٌ من الأكابر، فتركه أولى وأحرى. فذهب وجاء يوماً آخر ومعه ظبي، وقال: يا شيخ، هذا الظبي أنا ضربته بالنِّشاب الذي صنعته، وعلى الحصان الذي حصل لي ميراث قبل الغارة من جانب أبي[4]، نسل عن نسل. قلت: هذه الحكاية مثل حكاية مولانا جمال الدين الدركزيني، جاءه أمير من أمراء المغول، وكان يحبُّ الشيخ ويعتقده، ومعه طائران، وقال: هذا صيد بازي، هما حلال، كِلْهما. قال

---

(١) في (ص) و(ب): عبد الله.
(٢) كذا في الأصول.
(٣) في (ب): فكما حرمه.
(٤) في (ب): من جانب أخي.

مولانا: ليس الكلام في صيد الطير، لكن الكلام في بازك، لأنه بالأمس أكلَ لحمَ دجاجةٍ مظلومة، فحصلَ[1] له قوّةُ الاصطياد، فكذلك لا أعرف حصانك أكلَ شعيرَ مظلومٍ، فحصلَ له قوّةُ الجري والعدو، فأنت ركبت عليه، وضربت الظبي، فلا يجوز أكله... القصة، وكان يبالغ في أكله، وأنا ما أكلتُ، وأمرتُ المريدين بأكله، لأنه جاء به بالعجز والانكسار، عسى أن يفتح الله تعالى ببركة العجز.

درويشٌ سأل الشيخ ركن الدين: إذا لم يكن لهذا البدن إدراك بعد دفنه، وفارقتِ الروحُ البدنَ المكتسب، ولم يبق حجابٌ في عالم الأرواح، فما الفائدة أن يذهب أحدٌ إلى القبر؟، لأن من أيِّ محلٍّ يتوجَّه إلى أرواح المشايخ ينتج كما ينتج عند حضوره. فقال الشيخ: فيها فوائدُ كثيرة، أَحدُها: إذا عزم لزيارة قبر واحد يريد توجهه، فإذا وصلَ إلى قبره، فشاهد تربته بحسِّ المشاهدة، فيجمع حواسه، فيتوجَّهُ بكلِّيته، فتكون الفائدة أكثرَ من الغيبة، وفائدةٌ أُخرى: إن لم يكن للأرواح حجابٌ، وجميعُ الجهات لها متساوية، لكن البدن الذي صحبها سبعين سنة، وبعد الحشر يكون معه إلى أبد الآبدين، فنظر تعلقه يكون أكثرَ من غيره.

حكى: إني مرة دخلت في صومعة الجُنيد قدَّس الله سرَّه، فحصل لي ذوقٌ تامٌّ بسببِ إقامة الجُنيد بها مدة، فخرجتُ، وذهبتُ إلى قبره، فما وجدتُ ذلك الذوق، فذكرتُ ذلك عند الشيخ، فقال: ذلك الذوق وجدتَ من الجُنيد أم لا؟. قلت: بلى. فقال: الموضعُ الذي ما كان فيه[2] إلا زماناً يسيراً وجدت فيه الذوق، فالبدن[3] الذي صحبه تمام عمره كيف لا يكونُ النَّفعُ بحضوره، ويمكن أن يقع التقصير في التوجُّه عند تربته بسبب اشتغال الحواس، والخرقةُ إذا لبسها شيخ يظهرُ أثرُها على من يلبسها، فالبدنُ أقربُ من الخرقة، فالفائدةُ في حضور القبر أكثرُ من الغيبة، ومن يتوجَّه إلى روحانية النبي ﷺ في أيِّ مكانٍ

---

(١) في (ص): مظلومة، أي فحصل.
(٢) في (ص): الذي كان فيه.
(٣) في (ص): وجدت منه الذوق، فبالبدن.

كأن تحصلُ له الفائدة، لكن من يذهب إلى مدينة رسولِ الله ﷺ فروحُ رسولِ الله ﷺ تطلعُ على تعبه ومشقَّته ومحنته، فإذا وصلَ ورأى بحاسَّته الرَّوضةَ المنورة المقدسة ﷺ يتوجَّه بالكلِّية، لابدَّ يكون له فائدةٌ أكثر من الغيبة، وعند أربابِ المشاهدة تحقَّق هذا المعنى.

وأيضاً عنه، قال: سببُ إرسال الأنبياء ليُبصِّروا الناس عيوبَهم، وكمالَ الحقِّ تعالى، وعجزَهم وقدرتَه تعالى، وظلمَهم وعدله تعالى، وجهلَهم وعلمه تعالى وتقدَّس، وذلَّهم وعزَّه تعالى، وعبوديتهم وربوبيته تعالى، وفقرَهم وغناهُ تعالى وتقدس، وتقصيرهم ونعماء الله تعالى، وفناءهم وبقاء الله تعالى، فقس على هذا حال الشيخ؛ لأن الشيخ يفتح عيون المريدين، بهذا المعنى، فالمريد إن اجتهد في إظهار كمال نفسه، أو عمل عملاً يظهر به كمال نفسه، تعب الشيخ منه، لأن توجه الشيخ وخدمته لأجل إخفاء كمال نفسه، وإظهار قدرة الله تعالى، وهو في كل لحظة يفتح عيون ظهور كمال نفسه وإجلالها، فقد اجتهد على الطاعة مشقة الشيخ، فينبغي لسالك الطريق أن يجتهد، لنفي إظهار كمال النفس، وإلا فتح عينه في رؤية كمال نفسه، وعميَ عن رؤية كمال الحقِّ، لأن خاصية النفس ذلك.

وأيضاً عنه، قال: إن للناس اعتقاداً عجيباً، يعتقدون أن يكون الشيخ مُحتاجاً وفقيراً، ولا يعلمون أنه تعالى ما خلَى شيخاً ومُرشداً محتاجاً إلى الخلق أبداً، ولا ينبغي أن يكون محتاجاً إلى الخلق؛ لأن الدنيا وما فيها إنما تثبت ببركة وجودهم، وهم المقصودُ في الخلقة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧] وكان يصرف الشيخ مجد الدين البغدادي مصرفَ طعامه لفقراء الخانقاه مئتي ألف دينار أحمر في كلِّ سنة، وأنا أعدُّ ما أنفقتُ[١] في سبيل الله على الصوفية، الذين كانوا على طريقتي خمس مئة ألف دينار أحمر.

وأيضاً عنه، قال: إن الله تعالى خلق الأراضي والزرع لحكمة[٢]، أراد أن

---

(١) في (ص): أوقفت.
(٢) في (ص): والحكمة.

يكون معموراً، وتتَّصلَ الفائدة للخلائق، ولو يعلم الخلقُ ما الفائدة في عمارة الدنيا، وثوابها، وصرفها في محلها، لا بالإسراف، فلا يتركوا العمارة أبداً، وإن يعلم الخلقُ ما المعصيةُ في تركها، وتعطيلها، فلا يتركونها أبداً تخرب، فمن كان له أرضٌ حاصلها كلَّ سنةٍ ألفُ صاع من بُرٍّ، وقصَّرَ في زراعتها، حتى ينقص من قمحها مئة صاع، فقد أحرمَ الخلقَ قدرَ ما نقص، فيُحاسب عليه، وإن كان لأحدٍ حالٌ لا يقدر معه على عمارة الدنيا، فنعم الوقت، فلا يجوز عليه التوجّه إلى عمارة الدنيا، وإن ترك عمارة الأرض من الكسل، وسمّاه الزهد وترك الدنيا فلا يكون له إلاَّ اتباع الشيطان، ولا يكون أحدٌ أعطلَ منه دنيا وآخرة.

وأيضاً عنه قال: لا يمكن أن يصلَ أحدٌ إلى مرتبة الولاية إلاَّ وأُسبل عليه غطاءٌ، حتى يكون مستوراً عن الخلقَ، فهذا معنى قوله: «**أوليائي تحت قبابي**»[1]، وهذه القباب هي الصفات البشرية، لا القباب من الكِرباس[2]، والصفاتُ التي تُرى في أعين الخلق هي مغيبة، وليست كذلك هي في عين الخالق مغيبة، وليست كذلك، ومعنى «**لا يعرفهم غيري**» هو إن لم يكن لأحدٍ نورٌ من الولاية في باطنه لا يعرفهم، فعرفهم ذلك النور لا هو.

وأيضاً عنه قال: ينبغي للسالك الذي يكون مشغولاً به أن لا يترك من لا يكون في طريقهم أن يختلط بهم، لأن الواحد الفارغ عن ذكر الله، يعطل مئة رجل مشتغل بالله تعالى.

عَدْوى البَليدِ إلى الجَليدِ سريعةٌ والجَمْرُ يُوضعُ في الرَّمادِ فيخمدُ

وأيضاً عنه قال: قال الحكيم الترمذي، قال بعضُ المغاربة: بداية الأَولياء نهاية الأنبياء عليهم السلام.

وأيضاً عنه قال: ينبغي للطالب السالك أن يجتهد في الحضور وقتَ

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٢) الكرباس: ثوب من القطن الأبيض معرب. القاموس (كربس).

الطعام، لأنَّ بذرَ الأعمال في أرضِ القالب[1] اللقمة، وإنْ أكلَ بغفلةٍ لا تحصل له الجمعية أبداً، ولو كان طعامه حلالاً.

كنت يوماً في بغداد جالساً عند شيخي قُدِّس سرُّه، فقال الشيخ: من قال: **بداية الأولياء نهاية الأنبياء له عذر وتأويل، أراد أن بدايةَ الأولياء نهايةُ الأنبياء في الشريعة، ونهايةَ الأولياء بدايةُ الأنبياء في الطريقة**، لأن كمال الشريعة تكون في نهاية النبوة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، والوليُّ إنْ يتقيَّد بظاهر الشريعة ابتداءً لا يحصل له الولاية، فما يكون للأنبياء آخر أمرهم، فالأولياء ابتداءُ أمرهم، فلو أنَّ أحدهم عمل بما أنزلَ الله تعالى على نبيِّنا محمد ﷺ في مكة، ويتركُ ما أنزل الله تعالى في المدينة في آخر عمره ﷺ لا يهديه الله أبداً، بل المُنكرُ يكون كافراً، فابتداء الولاية أن يقبلَ جميعَ الشرائع، ويتَّبعها، لكن في هذه الطريقة لو يبتغي[2] السالك، وعظم حاله ومقامه فلا يحصلُ لروحه معراجٌ[3] مثل ما وقع لبدن النبي ﷺ، بل هو محال، وإن حصل لروح الولي مشابهةٌ[4] في نهاية أمره ببدن النبي ﷺ فهو معنى نهاية الأولياء بداية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأيضاً عنه قال: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، معصومون من إنشاء المعصية عمداً، والأولياء محفوظون من تحقير[5] المعصية، يروى عن النبي ﷺ: **«إن تغفر اللَّهُمَّ فاغفر جماً، وأي عبدٍ لك لا ألمَّا»**[6]. وعندي لا يكون ذنبٌ أعظمَ من أنه لم يعد النفسَ مقصرةً ومذنبة.

---

(١) في (ب): في أرض الغالب.
(٢) في (ب): ويتبعها في نهاية أمره في هذه الطريقة لو سعى.
(٣) في (ب): فلا يحصل له فيه معراج.
(٤) في (ب): ولن يحصل لروح النبي مشابهة.
(٥) في (ب): من تحصين.
(٦) روى الترمذي (٣٢٨٤) عن ابن عباس: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن تغفر اللهم تغفر جما، وأي عبد لك إلا ألمّا»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤٧٩) أخي علي المصري(*)

أخي علي المصري رحمه الله، كان شيخاً في بلاد الشام والروم، واجتمعَ عليه مريدون كثيرون، وكان رجلاً منصفاً.

قال عند المريدين المستعدين: أنتم طالبون الحقَّ تعالى، وأنا أيضاً طالبٌ له، وإلى الآن ما وجدت شيخاً مرشداً أسلكُ السُّلوك عنده، فالآن رأيتُ في الواقعة، وسمعت في الشهادة أيضاً، أن في خراسان ظهرَ مُرشدٌ مكمَّلٌ، قوموا نذهب إليه، ونسلُكُ السُّلوكَ عنده، ربما يحصل لي ما كان الخلق يطلبونه في القصة[1]. فجاء، وجلس، ودخل في حلقة الشيخ علاء الدولة مع الجماعة، فقال الشيخ بعد هذا: إرادتهم إرادتي معك، وأنتَ تكونُ واسطةً بيني وبينهم، لأن الوسائطَ إن كانوا بين المريد والمصطفى ﷺ أكثر يكون أحسن، وإن كان الوسائط أكثرَ فالطريقُ يكون منوَّراً، والسلوكُ يكون أسهلَ، بخلاف إسنادِ الأحاديث. فقلت: الوسائطُ[2] معتبرٌ، ودليل على صحة الحديث، لأن في الأخبار إن كان الوسائط أكثر يكون احتمال التردد والتغير أكثر، فأما الخرقة إن اجتمع نورُ المشايخ أكثر يكون الطريقُ منوَّراً، وإمدادهم يكون أكثر.

ويوماً حكى حكايةَ [ابن] منصور الحلاَّج، فأخي علي المصري سأل من الشيخ أحوال [ابن] منصور، فتكلَّمَ كلاماً كثيراً في حقِّه، ثم قال: في الأيام

= وفي المستدرك عن ابن عباس قال بعد أن تلا الآية: الذي يلم بالذنب ثم يدعه، ألم تسمع قول الشاعر:

إن تغفــر اللهـــم تغفــر جمّــا ... وأي عبـــد لـــك إلا ألمّـــا

ورواه البيهقي في سننه ١٠/ ١٨٥. واللمم: صغار الذنوب.

والرجز لأمية بن أبي الصلت، ذكره ابن سلام في طبقاته ٢٢٤، وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ٤٩١.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ب): يظنون في القصة.

(٢) في (ب): بخلاف إسناد الأحاديث عن نقلة الوسائط.

التي كان حالي في غاية الصفاء ذهبتُ لزيارته، فلمّا جلستُ بالمُراقبة وجدت روحَه في علّيين في مقام عالٍ، فتوجَّهتُ إلى الله تعالى، وقلت: يا الله، ما هذا الحال؟ قال فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال الحُسين بن منصور: أنا الحقُّ. فكلاهما ادَّعى دعوى الألوهية، والآن روح الحسين بن منصور في علّيين، وروح فرعون في سجين، فما الحكمةُ فيه؟. فنادى في سري: فرعونُ رأى نفسه ونسيني، وحسينُ بن منصور رآني ونسيَ نفسه، انظر الفرقَ بينهما.

* * *

(٤٨٠) نجم الدين محمد بن محمد الأدكاني(*)

الشيخ نجم الدين محمد بن محمد الأدكاني رحمه الله تعالى، هو أيضاً من مريدي الشيخ ركن الدين علاء الدولة قُدِّس سرُّه.

كان سنُّه إلى ثمانين سنة، وتوفي في شهور سنة ثمانٍ وسبعين وسبع مئة، وهو مدفون في حصار من أعمال أَسْفَرايِين.

قال في قول رسول الله ﷺ «عليكم بالسَّوادِ الأعظم»[1]: أي بالقرآن.

* * *

(٤٨١) أخي محمد الدِّهِسْتاني(**)

أخي محمد الدِّهِسْتاني[2] رحمه الله تعالى.

قال الشيخ: لما مضى لي تسعٌ وثلاثون يوماً من أربعينيَّاتي رأيتُ ليلةَ

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) روى أحمد في زوائده عن أبي أمامة الباهلي قال: عليكم بالسواد الأعظم. وروى الترمذي عن ابن عباس رفعه: يد الله على الجماعة، اتبعوا السواد الأعظم، فإن من شذ شذ في النار. كشف الخفا ١/ ٣٩٨ تحت قوله: «الجماعة رحمة».

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) الدهستاني نسبة إلى دهِسْتان مدينة عند مازندران قرب خوارزم وجرجان. معجم البلدان، اللباب.

الخميس في الغيبة وصلَ جماعةٌ من المسافرين، وكان بينهم شابٌّ لله به عناية، فلمَّا أفقت قلت للخادم: لا تتركْ أحداً يُسافر قبل خروجي من الاعتكاف. ففي ذلك اليوم وصلَ جماعةٌ من المسافرين، قلت: غداً يوم الجمعة، لمَّا أخرجُ من الأربعين أحضروهم في المسجد الجامع، في المكان الذي أجلس فيه. فلمَّا دخلتُ المسجدَ جاءَ الجماعةُ المسافرون، وسلَّموا عليَّ، فلمَّا نظرتُ إليهم، ما كان بينهم الذي رأيته في الغيبة، فجاء في خاطري: عسى أنْ تجيءَ جماعةٌ آخرون غيرُهم، فلمَّا فرغتِ الصلاة، ودخلتُ في الخانقاه جاء الخادمُ، وقال: من تلك الجماعةِ كان رجلٌ عند حوائِجهم، فما جاء عندكم، يُريدُ أن يتشرَّفَ بقدومكم. قلت: أحسن. فلمَّا دخلَ من بعيدٍ عرفته، وسلَّمَ، وجلسَ ساعةً، وخرج، فقلت للخادم: اذهب، وقل لهذا الشاب الذي خرجَ الآن من عندي: إن تجلسْ عندي مدَّةً يسيرةً يكون أحسنَ، ولي حاجةٌ بك. فذهبَ الخادمُ، ورآه قد رجع عن صحبتهم، فسأل الخادم منه: ما حالك؟. قال: أُريدُ أن أجلسَ في خدمة الشيخ. فقال الخادم: إن الشيخ أرسلني لهذه الخدمة. فذهب به عند الشيخ، والجماعة كلُّهم عزموا، فأمرته بالخدمة، فخدمَ خدمةً ما يمكن أن يخدم مثل هذه الخدمة بنو آدم، فلمَّا جلسَ أربعينات[1] متعددَّةً، واشتغلَ بذكر الله، وحصل له حالٌ عظيم، فيوماً كنتُ في سفرٍ، وكان جالساً على دكَّةٍ، فوقع نظري عليه، ورأيتُه وَرَدَ عليه وَاردٌ عظيم، فصار مغلوباً وسكران، فقمتُ، وذهبت عنده، فناديته، وقلتُ: ما حالك، وما رأيت؟. قال: لا أقدرُ أن أقول. فزجرته، فقال، والحقِّ إنه كان مقاماً عالياً، فلمَّا رأيتُ فيه نشأةَ العجب[2]، قلت له: ليس هذا شيء. ونفيتُه عنه، فحصل له شيءٌ من ذلك المقام، وأقام بذلك المقام مدَّةً، وما خرج من دماغه، فتجلَّى اللهُ تعالى بتجلِّي الصمدية، وذلك المقام يُغني عن الأكل والشرب، فلمَّا وجدَ ذلك الحال في نفسه، حصلَ له غرورٌ، فقال في نفسه: عدم الأكل صفةُ الحقِّ سبحانه، فحصلَ

---

(١) في (ب): أربعينيات.

(٢) في (ب): التعجب.

لي هذا الحال. وحصلَ في باطنه دعوى الألوهية، فتركَ الطَّعامَ بالمرَّة، وضربتُه بالعصي ولا نفع، وحطَّيت الخشبَ في فمه، وصبَّيت الشرابَ في فمه، فكان فيه من الفم[1]، ولا يُنزلُه في الحلق، فخلَّيته حتى يرغبَ بنفسه، فما أكلَ إلى ستِّ سنين، وكان يخدمُ، وكان له سعادةٌ ما وجد نفسه مستغنيةً عني، وإلاَّ يُهلكه الله بأيِّ وادٍ شاء، فاليوم لي مدَّة سبعٍ وثلاثين سنة، بإشارة الشيخ، مشتغل بإرشاد الطالبين، ما رأيتُ أحداً مثل محمد في انقطاعٍ عن لذَّة الدنيا[2]، وما كان له ميلٌ إلى شيءٍ، واليوم هو في خدمتي خمسة وعشرين سنة[3]، وأخوه وغيره كان خادماً، فما طلب أبداً من أحدٍ لا الطعام ولا اللباس، ولا سمع أحدٌ أنه يطلبُ شيئاً من أحدٍ، ومع هذا أكثر الأوقات كان مريضاً، وما رآه أحدٌ راقداً، وما طلب الدواء أبداً. [ومن بدء] القضية وإلى ستِّ سنين ما أكل شيئاً، فعزمتُ إلى الحج، وأخذته معي، لأنَّ جماعةً كان يُعجبهم هذا الحال، وكانوا مُتشكِّكين[4] في قدرة الله تعالى، ويَحصلُ عليهم الضَّررُ بسبب ذلك، فكان قصدي أن ينظرَ هؤلاء الجماعةُ أنَّه لا يأكل شيئاً، فيخرجون من الاعتقاد الفاسد، فدخلت السفرة، فلمَّا رأوه لا يأكل شيئاً، فآمنوا بقدرة الله تعالى، فلمَّا وصلتُ بمدينة رسول الله ﷺ، فقلتُ: إنْ كنتَ من أُمَّةِ محمد ﷺ ومريديَّ، فينبغي أن تفعلَ مثلَ ما فعل رسول الله ﷺ، وأنا أفعل، وإلا قُمْ فارِقْ صحبتي. وعلي الدوستي كان حاضراً، فوضعَ لقمةً من طعامٍ في فمه، وعيَّنتُ له ثلاثَ لقم كلَّ يومٍ إلى مكَّة، فبعده قلت له: كُلْ كما يأكلُ الصوفية.

* * *

---

(١) في (ب): فكان يرميه من الفم.
(٢) في (ب): فمن الانقطاع عن لذات الدنيا.
(٣) كذا في الأصول.
(٤) في (ب): متسلكين.

(٤٨٢) أبو البركات تقي الدين علي الدوستي السِّمناني(*)

أبو البركات تقي الدين علي الدوستي السِّمناني رحمه الله تعالى، هو أيضاً من أصحاب الشيخ ركن الدين علاء الدولة.

ويوماً قال الشيخ: إن رأى السالكُ صورةً من الصُّور هو التجلِّي الصُّوري، ويعتقد أنَّ الله تعالى منزَّهٌ عن الصُّور والشكل، ويعرف أنه تجلٍّ من تجلِّي الحقِّ سبحانه، كما سمعَ موسى عليه السلام من الشجر: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٣]. ومن يقول إن الله كان شجراً(١) كان كافراً، ومن يقول هذا الكلام ما كان من الله هو أيضاً كافر، فينبغي يعتقد التجلِّي الصوري هكذا.

وكان علي الدوستي حاضراً، فقال الشيخ: أعجبتني واقعة علي الدوستي في هذه السنة. فأقول: تلك الواقعة لجهة إثبات عقيدةِ المريدين، ففي هذه السنة تجلَّى الله تعالى عليه بصُورِ جميع الموجودات، ومع ذلك كان يسبِّح الله، ويُنزِّهُهُ عن الصُّور، باللفظ الذي أجراه الله تعالى على لسانه، فسأله الله تعالى: رأيتني؟. قال: لا، يا الله. فقال الله تعالى: فما كان هذا الذي رأيت؟. فقال: كان آثاراً وأفعالاً وصورَ صفاتك، وأنت منزَّهٌ عن جميع الصور. فأثنى الله تعالى عليه في هذا الكلام، وقبلَ منه.

* * *

(٤٨٣) علي بن شهاب الدين بن محمد الهَمَذاني(**)

أمير سيد علي بن شهاب الدين بن محمد الهمذاني قدَّس الله تعالى سرَّه، كان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن، وله مصنفاتٌ كثيرة في علومِ أهل

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): كان شيخاً.

(**) كشف الظنون ٢٠١، ٨٢٤، ٨٨٢، ١٠٣٣، ١٢٦٢، هدية العارفين ١/ ٧٢٥، تاريخ الأدب العربي ٧/٣٤٦، معجم المؤلفين ٢/ ٤٢٧، الأعلام ٤/ ٢٧٤، واسمه علي بن شهاب الدين حسن بن محمد.

الباطن، مثل كتاب «أسرار النقطة»[1] و «شرح أسماء الله الحسنى» و «شرح فصوص الحكم» و «شرح قصيدة الخمرية الفارضية»[2]، و «ذخيرة الملوك»[3] وغيرها.

كان مريدَ الشيخ شرف الدين محمود بن عبد الله المزدقاني، لكنه ما أتمَّ سلوكَ الطريقة إلاَّ عند صاحب السرِّ بين الأقطاب تقي الدين علي الدوستي، فلمَّا ماتَ الشيخ تقي الدين رجعَ إلى الشيخ شرف الدين محمود، فقال: ما تقول يا أيُّها الشيخ؟. فقال الشيخ: أمرَ اللهُ تعالى أن تدورَ إلى أقصى بلاد العالم. فدار في الربع المسكون ثلاث مرات.

وصحبَ من المشايخ أربع مئة وألف، واجتمع في مجلس واحدٍ بأربع مئة شيخ مكمل.

ومات ببلاد النصارى والسودان[4]، سادس ذي الحجة، سنة ستٍّ وثمانين وسبع مئة، فنقل نعشه إلى موضع ختلان.



---

(١) الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية. انظر كشف الظنون ٨٨٢، وفي (ص): أسرار اليقظة.

(٢) مشارب الأذواق في شرح الخمرية لابن الفارض (هدية العارفين ١/ ٧٢٥)، ومطلعها:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل أن تُخلق الكرم

(٣) ذخيرة الملوك: فارسي، رتبه على عشرة أبواب: الأول في الإيمان، الثاني في العبودية، الثالث في مكارم الأخلاق، الرابع في حقوق الوالدين، الخامس في أحكام السلطنة، السادس في السلطنة المعنوية، السابع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الثامن في شكر النعمة، التاسع في الصبر على المصائب، العاشر في ذم الكبر والغضب. كشف الظنون ٨٢٤.

(٤) قال الزركلي في الأعلام ٤/ ٢٧٤: سافر من همذان إلى الهند وتوفي بها.

(٤٨٤) عبد الله الغَرْجِستاني (*)

الشيخ عبد الله الغَرْجِستاني[1] رحمه الله، كان من أصحاب الشيخ ركن الدين علاء الدولة.

وكان صغيراً لما مات أبوه في قرية من قرى غرجستان، فأُمُّه تزوَّجتْ زوجاً آخر، فوقع منه شيءٌ، فتوهَّم من ذلك الرجل، وشردَ عنه، وكان هناك شجرةٌ كبيرة، وكان تحت الشجرة ماءٌ جارٍ، فطلع على الشجرة، وأخفى نفسه في أوراقها، واتَّفق نزول جماعةٍ من الفقراء الموله تحت الشجرة، فرأوا عكسَ ظلِّه في الماء، فأنزلوه من الشجرة، ووَدُّوه، فلمّا وقعَ مسيرُهم إلى سِمنان، ذهبوا عند الشيخ علاء الدولة، وكان الولد معهم، فلمَّا وقعَ نظر الشيخ عليه، عرفَ قابليته واستعدادَه بنور الفِراسة، فلمَّا سافر أولئك الجماعة أرسلَ الشيخُ خادماً حتى يردَّه، فالفقراءُ صاحوا، واضطربوا كثيراً، وذهبوا عند السلطان، فلمَّا كان ديانةُ الشيخ ظاهرةً عند الخلق ما نفعهم، فالتفتَ إليه الشيخ، وربَّاه بحُسن التربية، فأوصله الله تعالى إلى مقامٍ عالٍ، وكان الشيخ مُلتفتاً إليه أكثر من الغير، كما يظهر التفاته من رباعيته التي خاطبه بها، فلمَّا وصلَ بمرتبة التكميل، وإرشاد الطالبين، فنصَّبه في بلاد طوس، فجلسَ هناك في تربية الطالبين، وإرشادِ المُريدين، فسلطان الوقت قال له: كنْ في مُحاربة الكفار معي. فذهب معه، فاستُشهدَ في تلك المحاربة، ونقلوه إلى طُوس، وقبرُه هناك.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) غرشستان، والعوام يسمونها غرجستان: ولاية برأسها ليس لها سلطان، هراة في غربيها، والغور في شرقيها، ومرو الروذ عن شماليها، وغزنة عن جنوبيها، أهلها صالحون، وعلى الخير مجبولون. معجم البلدان. وفي (ص): الغرجشتاني.

(٤٨٥) بابا محمود الطُّوسي(*)

بابا محمود الطوسي رحمه الله تعالى، هو من مُرِيدي الشيخ عبد الله.

ووقتاً أجلس الشيخُ الطالبَيْنِ باعتكاف الأربعين، فليلةً أمرَ الشيخُ خادمَ الخانقاه: كن حاضراً في هذه الليلة، يردُ واردٌ على طالبَيْن، فلا يضطربا ولا يخرجا من الخلوة. فكان الخادم حاضراً، فبابا محمود صاحَ صيحةً، وخرج من خلوة، وصوفيٌّ آخرُ اسمه هندوالياس، خرج أيضاً على عقب بابا محمود، فذهبَ الخادم في إثرهما، فوصل إلى هندوالياس، وأخذه، وبابا محمود دخل الصحراءَ والجبال، وصار مَجذوباً مغلوبَ الحال، وظهر منه كراماتٌ، وخرقُ عادات، وهندوالياس أصلح الله حاله ببركة تربية الشيخ وسياسته.

* * *

(٤٨٦) أخي علي قطلق شاه(**)

أخي علي قطلق شاه(١) رحمه الله تعالى، هو أيضاً من أصحاب الشيخ عبد الله.

وصل بحسن تربية الشيخ إلى مرتبة الكمال والتكميل، فلما استُدعي الشيخ عبد الله لمحاربة الكفار، وأخي علي كان في سفرٍ، فوصى الشيخ جماعة: إني أُستشهدُ في هذا السفر، فبعدي يجلسُ مكاني أخي علي.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ب): علي قطلو شاه، وفي المطبوع الفارسي قتلق.

(٤٨٧) بهاء الدين عمر الأبردهي(*)

الشيخ حافظ بهاء الدين عمر الأبردهي رحمه الله تعالى، كان من أصحاب أخي علي.

قيل: لما مات أبوه كان صغيراً، فلمَّا وصلَ سنَّ التمييز، أرسله أقرباؤه عند الخياط ليتعلَّمَ الخياطة، فتلك الأيام مولانا رضي الدين علي[1] دخل في قرية أبردة، ورضي الدين هذا هو مريد الشيخ عبد الله الغرجستاني، وصحب الخضر عليه السلام، سأل رضي الدين أهل القرية: أين ولدي عمر؟. فقالوا: هو عند الخياطين. فقال مولانا: من جلس عند الخياطين، فهو في خسران. فطلبه، وذهب به إلى طُوس، وجعله عند حافظٍ للقرآن. وكان صالحاً، مُتَّقياً، يحفظ القرآن، فبعد أيامٍ جاء مولانا إلى طُوس، ورأى حافظ مُتغيِّرَ الحال، وقال لحافظ: أنت تُطعِمه الطعام الذي أنت تأكل؟. فقال: ما أفعل، ما عندي غير هذا الطعام. فقال له مولانا: اذهب إلى قرية أبردة معه، وأقم بها حتَّى يفرغَ من حفظ القرآن. ففعل ما قاله مولانا.

وقال حافظ: لما حصل لي داعيةُ طلب سلوك الطريق، وكان مولانا شمس الدين مشغولاً بإرشاد الخلق في نيسابور، والشيخ أخي علي في قريةٍ خربة، وكان في كلِّ بلادٍ مرشدٌ مشتغل بالإرشاد، فكنت متردداً بين المشايخ، فرأيتُ في الواقعة ليلةً كأن داراً عالية، فيها بيتٌ في غاية الصفاء والروح، وقدّامها إيوان، وعلى باب الإيوان سترةٌ مُرخاة، وفي الإيوان رجالٌ كثير جالسين، ومولانا شمس الدين خليفة جالساً على طرف الإيوان، وكان في ذلك البيت تاجٌ مُعلَّق، ويقول مولانا: هذا من يوافق رأسه، يكون له. فكلُّ من كان هناك يمتحنونه، فما وافق رأسَ أحدٍ، وأنا كنتُ مُعتزلاً عنهم، فنظر إليَّ مولانا، وقال: يا ولدي، تعالَ، ادن مني. فأردت أنْ أقربَ منه، فرأيت تلك السَّتارةَ،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): علي بابا.

كأنَّها تحرَّكَتْ حركةً شديدة، فخرج منها شخصٌ ذو هيبة، أخذني واعتنقني، وقال: يا أخي علي، خذ هذا الولد وأرضعه. فانتبهتُ من عظمتها، فقلتُ في نفسي: نصيبك يكون عند أخي علي، فأحرمتُ الإحرام لزيارته، فلمَّا وقعَ نظرُه عليَّ، قال: يا حافظ، أبطأت، وجئت إلى اللبن. فبايعته وتبتُ، وأخذت الذِّكرَ منه.

وأيضاً عنه قال: لما عزمتُ سفرَ الحجاز، ودخلت بغداد، نزلتُ في خانقاه الشيخ نور الدين عبد الرحمن الإسفراييني رحمه الله تعالى، وذلك الأيام كان ولد بنته شيخ الإسلام في بغداد، وكان له خلافةٌ من جده، فوقت الرُّخصة وصَّاني: لمَّا تذهب لزيارة النبي ﷺ، فسلِّم منِّي السَّلام بالعجز والانكسار، وقل بهذه العبارة: شيخٌ كبيرُ السنِّ عاصي من عصاة أُمَّتك، عبد الرحمن البغدادي يُسلِّمُ عليك. فلمَّا زرتُ النبيَّ ﷺ بالشرائط، فجاء في خاطري وصيةُ الشيخ، فأدَّيتُ أمانته بالعبارة التي وصَّاني بها، فظهرَ على حاجبِهِ المُبارك ﷺ عبسٌ، وقال: أنت لا تقول ما قاله، لأنه قال بغايةِ التواضع، وهو من أكابر أُمَّتي. فلمَّا رجعتُ ذكرتُ عنده ما سمعت من النبيِّ ﷺ، فحصل له سرورٌ ورضا كثير، ودعا لي بدعاء الخير.

وأيضاً عنه قال: وقع وباءٌ عظيم في بلادنا، فحصلَ لأكثر الناس يأسٌ من الحياة، فيوماً جاء مولانا رضي الدين علي جاباني من قرية جابان[1] إلى أبردة، ونزل خارجَ المدينة، وطلبني، فقال: أنا مأمور أن تذهبَ معي إلى قبر الشيخ محمد خالد رحمه الله تعالى، في قرية اسجيل، وتختم القرآن، أن الله يدفع هذه البلية. فامتثلت أمره، لكنِّي كنتُ متفكِّراً كيف يكون؟، لأن الخواجه عبد الرحمن النجَّار من المَجذوبين والمحبوبين للحقِّ هناك جالس على الصخرة التي كانت على باب قبر الشيخ محمد خالد، وكان يتكلَّمُ بكلامٍ عالٍ، ومولانا رضي الدين علي في غاية التشرُّع والورع، عسى أن يظهر منه شيء، والناسُ يطلبون رفعَ الوباء، فلمَّا قربنا من قرية اسجيل رأيت واحداً خرج من

(١) في (ص): باباني من قرية بابان. وفي المطبوع الفارسي: ماياني از ده مايان.

القرية، فسألته عن حال الخواجه عبد الرحمن، قال: الآن كان جالساً على تلك الصخرة. وقام، وقال: يجيء عسكر قوي، أنا لا أقدرُ على مقابلته، فذهب ودخل الطاحون، واختفى في حفرةٍ فيه، فدخلنا في القرية، ونزلنا عند قبره، فاجتمعَ أهلُ القرية، وقالوا: الأمير علي بيك صاحبُ البلاد يَجيءُ لزيارة الخواجه عبد الرحمن. فأخبروا مولانا رضي الدين، وقالوا: الخواجه من خوفكم خرجَ من هنا، ودخل في حفرةِ الطاحون، ويجيء علي بيك لزيارته، عسى إن لم يجده يغضب علينا. فمولانا ذهب عند الخواجه في تلك الطاحونة، وقال: احترام الضيف هكذا ! ؟. فلمَّا سمع الخواجه صوت مولانا خرج، وتعانقا، والخواجه قال شيئاً في أذن مولانا، فبكى مولانا زماناً، وقال واحدٌ: علي بيك واقف ومنتظر، فقلت لمولانا، ومولانا قال: يا خواجه، أمير علي بيك منتظر. فخرجَ الخواجه، وتلاقيا مع أمير علي بيك، فقال الخواجه له: مغولك، اذهب، عندي ضيف عزيز. فذهب الأمير علي بيك، والخواجه يصيح، ويقول: يا مغولك، اجرِ. فكان يجري حتَّى غاب عن نظره، ثم مولانا والخواجه دخلا لزيارته، وأنا كنت خائفاً عسى أن يتكلَّم الخواجه كلاماً، أو يتكلَّم مولانا بشيءٍ، لأجل هذا قلت: أنا أقدرُ أن أختم القرآن في يومٍ وليلة. قال مولانا: إن الأمر بثلاثة أيام ولياليهن[1]. فابتدأت بالقرآن، فالخواجه تكلَّمَ بعضَ الكلام برفع الصوت في أثناء القراءة، فصاح مولانا عليه، فسكت، حتى فرغ الختم، وودَّعهما، ودعا، فرفع الله تلك البلية.

* * *

---

(١) روى الترمذي (٢٩٥٠) في القراءات، وأبو داود (١٣٩٠) في الصلاة، والنسائي ٤/ ٢١٠ عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفقه من قرأه في أقل من ثلاث».

وروى ابن ماجه (١٣٤٧) في الإقامة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يختم القرآن في أقل من ثلاث.

(٤٨٨) فخر الدين اللورستاني(*)

مولانا فخر الدين اللورستاني[1] رحمه الله تعالى.

كان عالماً فاضلاً، وكان نيته بعد فراغِ التحصيل اختيارَ طريق السلوك إلى الله تعالى.

وكان في بعض مدارس مصر خلوة، وكان مشتغلاً فيها بمطالعة الكتب، فحصل له ملالةٌ، فخرج حتى يستريح خاطره، فتجدَّدَ عليه رائحةُ السلوك، فقال في نفسه: حان وقت الخروج، فاليوم أخرج. فما رجع إلى الخلوة، وترك الكُتُبَ والمتاع كلَّه، ودخل عند الشيخ المسمى بشيء لله المشهور بالشيخوخية[2] في مصر، مجرداً مفلساً، فلمَّا مات الشيخ اختار السفر لطلب شيخٍ كامل مكمل، وتلك الأيام الشيخ محيي الدين الطوسي من أولاد الإمام الغزالي، كان مشهوراً في طُوس، فدخلَ عنده، فما وجد مطلبَه، فدخل عند ولد أخي قطلق شاه، فما وجد مطلبَه أيضاً، فلمَّا أراد السفر، قال له أولادُ أخي علي: في قرية أبردة صوفيٌّ من أبينا، زره، عسى أن يبرُدَ حرارةَ باطنك. فعزم ووصل في قرية أبردة، والشيخ حافظ ما كان في بيته، كان في قريةٍ أخرى لأجل بعض أمور الدنيا، فتفرَّسَ بفِراسة الولاية مجيئه، فقال عند الأصحاب: جاء في بيتي ضيفٌ عزيز. فقبل الفراغ من شغله، عزم إلى قرية أبردة، فلمَّا وقع نظره على مولانا، قرأ هذا المصراع المشهور:

أطلبك في العالم يا سيدي وأنت في بيتي محلالا

فاتَّفق الصحبة بينهما، فما فارقَ صحبته مدة حياته، وجلسَ في اعتكاف أربعينيات كثيرة، وحصل له تربية حسنة، وبعد موته، جاء إلى بلاد جام، واختار الاعتكاف عند المقبرة المقدسة شيخ الإسلام أحمد، وأهل جام ما كان

(*) رشحات عين الحياة ١١١.

(١) في (ص): النورستاني.

(٢) في (ب): الشيخوخنية.

لهم اعتقادٌ في أحدٍ من مشايخ الزمان إلاَّ الشيخ أحمد.

وقال: إن شيخ الإسلام أحمد كان له التفاتٌ إلى أولاده كثيراً، حتى إلى الخواجه محمد الخلوتي، وكان ظاهرُه غيرَ محفوظ، ويلتفتُ إليه بلا حدٍّ، وقد كان واحدٌ من علماء هراة مشهوراً بالزهد والورع، وكان له جدٌّ في السلوك، فجاء عنده، وأظهرَ طلبَ السلوك، فقال: ارجع إلى هراة عند أهل بيتك. ثم قال عنده: بالعجز أصحبك. فما قبله، فرجع إلى هراةَ لامتثال أمره، فبعد الوصول إلى الوطن المألوف، مرضَ مرضَ الموت، ومات.

قال مولانا عبد الرحمن الجامي رحمه الله تعالى: يجيء في خاطري[1]: كان الرباط الذي نزل فيه الشيخ مولانا فخر الدين في خزجرد جام في ملك أبي، نزل فيه الشيخ، وكنت صغيراً، فأجلسني عند ركبته، وكان يشير بإصبعه، ويكتب في الهواء بعض الأسماء المشهورة، مثل: عمر، وعلي، وأنا أقرأها، وهو يبتسم، ويتعجَّبُ، فشفقته وكرمه كان سببَ محبَّةِ المشايخ والإرادة لهذه الطائفة، فكلُّ يومٍ تزاد تلك المحبَّةُ، وأرجو من الله يحييني ويميتني الله بمحبَّتهم في حبهم، ويحشرني الله في زمرتهم «اللَّهُمَّ، أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زُمرة المساكين»[2].

ثم عزم من خراسان إلى الحرمين الشريفين زادهما الله شرفاً، بعد سنة عشرين وثمان مئة، ثم عزم إلى مصر، ومات بها، وكان قبرُه في القَرَافة، قرب قبرِ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وصار هناك مشهوراً بسيدي فخر الدين.

* * *

---

(١) في (ص): يجيء في خاطري كان الرباط الذي قال مولانا عبد الرحمن الجامي رحمه الله نزل الشيخ.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٥٢) في الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وابن ماجه (٤١٢٦) في الزهد، باب مجالسة الفقراء، والبيهقي في سننه ٧/ ١٢ في الصدقات، باب ما يُستدل به على أن الفقير أمس حاجة من المسكين.

(٤٨٩) علي الفَرَاهي[*]

شاه علي الفَرَاهي رحمه الله تعالى، هو من أصحاب الشيخ ركن الدين علاء الدولة.

وكان أبوه والي بلاد فَرَه[١]، فلمَّا كبرَ سنُّه أراد أن يستغفرَ ويتوب عن الحكومة، ويختار العزلة، ويتحنث لله[٢]، فأرسل ولده شاه علي إلى عسكر سلطان الوقت، حتى يفوِّض أمرَ الحكومة إليه، فتوجَّه إلى السلطان، ووصل بلاد السِّمنان، فجاء قطَّاعُ الطريق، ووقع المحاربة، فقُتل أكثرُ أتباعه وخُدَّامه، وهو نفسه صار مجروحاً، وكان طائحاً في القتلى، فكشف للشيخ ركن الدين علاء الدولة أنَّ في الموضع الفلاني ناساً كثيراً مقتولين، وفيهم واحدٌ حيٌّ، وله استعدادٌ وقابلية، فذهب الشيخ إلى ذلك الموضع، فما وجد أحداً حيًّا، ثم ذهب فما وجدَ، فصار مأموراً مرَّةً ثالثةً، ثم ذهب فما وجد أحداً حيًّا إلا بعد تفحُّص، وتحسيس كثير، وجد واحداً له رمقٌ من الحياة، فحمله الشيخ، وكان في تربيته حتى برأ جراحُه، فقال الشيخ: حصل لك الصحة، فتذهب عند السلطان لأجل كفاية المهم، أو تذهب عند أبيك؟. فقال: أنا ما أُريدُ مفارقةَ صحبتك، أريد صحبتَك، والإرادة لك. ثم رجع إلى الأب، وطلب الإجازة، ثم رجع إلى الشيخ، فربَّاه الشيخ أحسنَ التربية، فحصل له ما حصل بتربية الشيخ.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) فَرَه: مدينة من نواحي سجستان كبيرة، ولها رستاق يشتمل على اكثر من ستين قرية. معجم البلدان.

(٢) في (ص): ويتحبب بالله.

(٤٩٠) محمد شاه الفَرَاهي(*)

الشيخ محمد شاه الفَرَاهي قدَّس الله سرَّه، كان عالماً بعلوم الظاهر والباطن، وكان مريدَ شاه علي بواسطةٍ واحدة.

وعزم إلى الحجِّ في آخر عمره على طريق هرمز، ولمَّا وصلَ قرية بنوجان[١] مرض، ومات بذلك المرض، وقبرُه هناك، وكان صاحب كشف وإلهام.

وقيل: لمَّا سافر إلى الحجِّ، وصل بمدينةٍ أهلُها فسَّاق، شاربو الخمر، فجلسَ مراقباً، وصاح صيحةً، فكان معه عالمٌ، سأله عن سبب الصيحة، فقال: كُشِفَ عليَّ أحوال فسَّاق هذه البلاد، فرأيت معهم امرأةً جميلة، بغاية الحُسن واللطافة، فقلت: يا الله، هبْها لي. فنوديت في سري: لِمَ لا تقول هبني لها. فأعطاها الله تعالى توفيق القوم[٢].

* * *



(٤٩١) بهاء الدين عمر(**)

الشيخ بهاء الدين عمر قُدِّس سرُّه، هو ولد أخت محمد شاه ومريده.

وسمعت من بعض الأكابر، قالوا: ما كان أحدٌ مثلَه في سلسلة الشيخ ركن الدين علاء الدولة.

وكان له جذبٌ قويٌّ من صغر السن، وكان عليه آثارُ الجذبة ظاهراً، وفي أثناء الصلاة يجلسُ عنده واحدٌ حتى يعدَّ أعداد ركعات صلاته، لأنَّه لا يقدرُ أن يحسبَ أعدادها.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ب) و (ح): متوجان.

(٢) في (ب) و (ح): توفيق التوبة.

(**) رشحات عين الحياة ١١١.

وكان في ابتداء الإرادة شكا عند خاله الشيخ محمد شاه من العطش الذي كان له من عدم الوجدان، فقرأ خالُه هذا البيت:

إذا كـــان حبُّـــك فـــي غـــربـــة فحقُّـــك أن تتـــأوهَ لـــه[1]
فـــإنســـانُ عينِـــك عيـــنٌ ومـــا تشـــاهـــده فـــي مظهـــرٍ فهـــو هـــو

وكان عادتُه لمَّا يحضرُ في مسجد الجمعة لقضاء حاجات المسلمين، يقول عند الحكام وخواصِّهم، وكان أكثرُ حاله هكذا، فسأله واحد من المحبِّين: ما السببُ أنت تتكلَّمُ كلاماً كثيراً في المسجد؟. فقال: إن لم أتكلَّمْ، تصير جميع حواسي معطلةً، وأَصيرُ مغلوباً مستهلكاً، حتى لا تسمع أذني، ولم تنظر عيني.

ويوماً جاء صوفيٌّ وقتَ طلوع الشمس، وكان جالساً بطريق المراقبة، فرفعَ رأسه، وقال: يمكن أن يكونَ أحدٌ من صلاةِ الصبح إلى هذه الساعة يعبدُ الله تعالى خمسين ألف سنة؟ ففهمنا من كلامه كان حاله ووقته، بسطَ اللهُ تعالى زمانَه، حتى عبدَه خمسين ألف سنة[2].

وكان صائمَ الدهر، وكان مولانا سعد الدين الكاشغري رحمه الله تعالى يحكي عن حاله: أنه حصل له مرضٌ في صحراء مكَّةَ في مكانٍ غير معمورٍ، فبالغ أصحابُه أن يفطرَ من الصوم، فما أفطر[3]، فاليوم الثاني رأيتُ جماعةً من الغيب[4] جاؤوا إلى محفَّته، فلمَّا وصلوا عند محفَّته، فما دخلوا وتعدُّوا، فحكيت هذه القصة عنده، قال: نعم، كان قطبٌ مع الأصحاب، ولمَّا وصلوا بابَ المحفَّة، وأنا كنتُ ممدودَ الرِّجل، فعلموا ورجعوا، فلمَّا لمّيتُ الرِّجلَ رجعوا وجاؤوا عندي، وقرؤوا الفاتحة. قال مولانا سعد الدين: فحصل له الصحة والشفاء في ذلك الوقت.

---

(١) في (ص): تتوه له.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.
(٣) في (ص): فأفطر.
(٤) في (ص): من الغير.

وأحفظ هذا البيت عنه، فلمّا رغَّبَ الطالبين لدوام التوجُّه والإقبال إلى المطلوب الحقيقي يقرأ هذا البيت:

قيّدِ القلبَ مع مؤانسته وأغمضَ العينين عن كلِّ الوجود[1]

توفي قدَّس اللهُ سرَّه، يوم الثلاثاء في ربيع الأول، سنة سبعٍ وخمسين وثمان مئة. عليه الرحمة والمغفرة.

فلمّا مات الشيخُ توجَّه ولدُه وسائرُ أصحابه إلى حفرِ قبره في قرية جغارة، في الموضع الذي كان جلوسُه فيه، فسلطانُ الوقت أرسلَ المندوب أن يكون قبرُ الشيخ قربَ المدينة، فقبلوا، فلمّا حضر السُّلطان للصلاة عليه، حمل جنازته على كتفه، ودفنوه جانب شمال مُصلَّى العيد، وبنوا عليه عمارةً عالية، وقبره مشهورٌ معروف، يُزار، ويُتبرَّك به.

* * *

(٤٩٢) شمس الدين محمد أسد[*]

مولانا شمس الدين محمد أسد رحمه الله تعالى كان في علومِ الظاهر، بجودةِ الطبع، وحدَّةِ الفهم مشهوراً.

وقال: كنت في أوان تحصيل العلم حصلَ لي طلبُ السلوك إلى الله تعالى، وفي تلك الأيام الشيخ زين الدين الخوافي رحمه الله تعالى، كان مشغولاً بإرشاد الطالبين، وتربية المُريدين، فيوماً دخلتُ في مجلسه، وكان الناسُ يبايعونه، ويستتوبهم، ويلقّنهم الذكر، كما كان قاعدة المشايخ، إذا بايع أحداً

---

(١) في (ب):

قيد القلب مع مؤانسة وأغمض العين عند كل وجودي

وفي (ح):

قيد القلب مع مؤنسه وأغمض العينين عند كل الوجودي

(*) رشحات عين الحياة ١١٢.

يأخذُ بيده، ومن حضر، يأخذ ذيل التائب، وهو ذيلَ الآخر، حتى ينتهي، وأنا أيضاً أخذتُ ذيلَ بعضهم، فلمّا خرجت من ذلك المجلس دخلتُ في المدرسة التي كنتُ في تحصيل العلم فيها مشغولاً[1] بذكرِ الله، فأجد في نفسي كلَّ يوم ترقٍّ، ويزيدُ آثارُ الذكر، حتى انجذبَ باطني بالكليّة إلى الله تعالى، فتركت قراءة العلم.

وكان يصاحب الشيخ بهاء الدين عمر كثيراً، وجلس عنده أربعينيات، حتى ظنَّ الناسُ أنَّه مريدُه لكنَّه ما كان مُعترفاً بإرادته، وصحب مولانا فخرَ الدين النورستاني، ومولانا ألبسه الخرقة، وقد يكون يلبسها بطريق التبرُّك، ثم صحب مولانا سعد الدين الكاشغري، وكان مولانا يعزِّزه ويعظِّمه.

وقال: وقع بيني وبينه مصاحبةٌ، وكنَّا نمشي في طريقٍ، فابتدأ الكلام، ووصل كلامُه إلى أن قال: في هذه الأيام وقعَ لي أمرٌ، وما كان ظنّي أن يقعَ لي مثلُ هذا الأمر. وأشار بطريق الإجمال حتى ظننتُ أن ذلك مقامُ الجمع، والله أعلم.

قال بعضُ العارفين: إذا تجلَّى الله سبحانه وتعالى بذاته لأحدٍ يرى كلَّ الذواتِ والصفاتِ والأفعالَ مُتلاشيةً في أشعَّةِ ذاته وصفاته وأفعاله، ويجدُ نفسَه مع جميع المخلوقاتِ كأنَّها مدبرةٌ لها، وهي أعضاؤها لا يلمُّ بواحدٍ منها شيءٌ إلاَّ ويراه مُلمًّا به، ويرى ذاته الذات الواحدة، وصفته صفتها، وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد، وليسَ للإنسان وراء هذه المرتبة مقامٌ في التوحيد، ولمَّا انجذبَ بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استترَ نورُ العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نورِ الذَّاتِ القديمة، وارتفع التميزُ بين القدمِ والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقِّ، وتُسمَّى هذه الحالة جمعاً.

ويوماً قُطع عنده بطيخٌ، وكان لطيفاً حلواً، فأخذ منها قطعةً، وذاقها، ورمى بها وما أكلها، فسئل عن سببه، فقال: يشغلني لذتها عن اللذَّةِ التي كنت فيها.

---

(١) في (ص): فيها فكنت مشغولاً.

وكان له حالٌ عظيم، فإذا وقع له حالٌ في مجلس السماع، يصيحُ ويزعق، حتى يؤثِّرَ حاله لأهل المجلس، وينبسطَ وقتهم كلُّهم.

توفِّي رحمه الله ليلة الجمعة غرَّة رمضان، سنة أربع وستين وثمان مئة، وقبرُه في كازياركاه[1] أسفل قبر شيخ الإسلام قدَّس الله تعالى سرَّه.

* * *

(٤٩٣) بهاء الدين ولد[*]

الشيخ بهاء الدين ولد رحمه الله تعالى.

قال بعضُهم: صحب الشيخ نجم الدين الكُبرى، ومن خلفائه، واسمه محمد بن الحسين بن أحمد الخطيبي البكري، ومن ذريَّة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأُمُّه بنتُ سلطان خراسان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه، وأمره النبيُّ ﷺ في الرؤيا: زوّجْ بنتَك لحسين خطيبي، فبعدَ العقدِ بتسعة أشهر تولد بهاء الدين ولد. فلمَّا وصلَ سنُّه سنتين مات أبوه، فلمَّا وصلَ سنَّ التمييز توجَّه لتحصيل علوم الدين، ومعارف اليقين، فكماله اتَّصلَ إلى أن لقَّبه النبيُّ ﷺ في الواقعة بسُلطان العلماء، فلمَّا حصلَ له القبولُ عند العوام والخواصِّ، تحرَّك عرقُ الحسدِ لبعض العلماء مثل الإمام فخر الدين الرَّازي وغيره، فاتَّهموه عند السلطان بالخروج عليه، فأخرجه من بلخ.

وفي تلك الأيام كان مولانا جلال الدين صغيراً، فلمَّا عزمَ على الحجِّ اختارَ طريق بغداد، فلمَّا وصلَ بغداد سأله جماعةٌ من هذه الطائفة: من أين جاؤوا؟ وإلى أين ذاهبين؟. قال مولانا بهاء الدين: من الله، وإلى الله، ولا حولَ ولا قوَّة إلاَّ بالله. فذكروا هذه الكلمة عند الشيخ شهاب الدين السُّهروردي، فقال: ما هذا إلاَّ بهاء الدين البلخي. فاستقبلَه الشيخُ شهاب الدين، فلمَّا رآه نزلَ عن البغلة، وقبَّلَ ركبتيه، واستدعاه بنزول الخانقاه، فقال مولانا: للعلماء

---

(١) في الأصل: كازركاه، والمثبت من معجم البلدان.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

تناسبُ المدرسة. ونزل في المُستنصرية، والشيخ شهاب الدين نزعَ خفَّيه بيده، وفي اليوم الثالث سافر إلى مكّة، وبعد الحجِّ عزمَ إلى الروم، ووقع التوقّفُ إلى أربع سنين في أذربيجان، وسبع سنين في لارندة، ثم زوَّجه مولانا جلال الدين في لارندة وكان سنُّه ثمان عشرة سنة، وولد سلطان ولد في سنة ثلاثٍ وعشرين وست مئة، فلمَّا كملَ سنُّ سلطان ولد كان يمشي مع الأب، ولا يقول أحدٌ إنه ولده، بل يقول: هذين أخوين[1]، فبعد هذا طلبه مولانا سلطان ولد من لارندة إلى قُونية، ومات مولانا بهاء الدين ولد هناك.

* * *

(٤٩٤) برهان الدين المحقق[*]

السيد برهان الدين المحقق رحمه الله، هو شريفُ حسني ترمذي، وكان تربيتُه من مولانا بهاء الدين ولد، واشتُهر في خراسان وترمذ بسبب إشرافِ الخواطر، بل صار مُلقَّباً بمعرفة السرِّ.

واليوم الذي مات فيه مولانا بهاء الدين ولد، كان جالساً مع الجماعة في ترمذ، قال: آه، مات أُستاذي وشيخي. وبعد أيام عزمَ إلى قُونية لتربية مولانا جلال الدين، ومولانا من مدة تسع سنين كان في خدمته برعاية الأدبِ والعجز والانكسار، وربَّاه بحسن التربية.

وقيل: إن الشيخ شهاب الدين السُّهروردي جاء إلى الروم لزيارة السيد برهان الدين، وكان السيد برهان الدين جالساً على رماد وما تحرَّكَ من مكانه، والشيخ شهاب الدين جلسَ من بعيد بالتواضع، وما وقع بينهما كلامٌ، فسأله المريدون عن سبب السلوك، فقال الشيخ: عند أهل الحال ينبغي لسانُ الحال لا لسانُ المقال. فسألوه: كيف كان حاله؟. قال: هو بحرٌ موَّاج، ومن درر المعاني والحقائق المحمدية في غاية الظهور وغاية الخفاء.

---

(١) كذا في الأصول.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

والشيخ صلاح الدين رحمه الله، كان من جُملة مُريدي السيد برهان الدين، وكان السيد يقول: وهبت الحالَ للشيخ صلاح الدين، والمقالَ لمولانا جلال الدين.

وقبر السيد في دار الفتحِ قيصرية، سلام الله تعالى وتحيّاته عليه وعلى جميعِ عباد الله الصالحين.

* * *

(٤٩٥) جلال الدين محمد البلخي الرومي(*)

مولانا جلال الدين محمد البلخي الرومي قدَّس الله تعالى سرَّه، كان مولده ببلخ في سادس ربيع الأول سنة أربع وست مئة.

وقيل: كان مولانا في سنٍّ خمس يظهر عليه بعض الصُّور الروحانية والأشكال الغيبية، يعني الملائكة السَّفرة، والبَرَرة من الجانّ، وخواصّ الأُنس المستورين بقباب العزة[1].

ووجد بخط مولانا بهاء الدين ولد مكتوب فيه: مولانا جلال الدين كان في ستِّ سنين، وكان في بلخ، فيومَ الجمعة طلعَ على السَّطح مع الصبيان، وكانوا يَدورون على سطوحنا، فقال واحدٌ منهم: يا جماعة، تعالوا ننطّ من هذا السطح إلى سطحٍ آخر. فقال مولانا جلال الدين محمد: مثل هذه الحركة تقع من الكلاب، والهرة، والحيوانات الأخرى، فحيفٌ على الإنسان يشتغل بمثل هذا، فإن كان لكم قوة تعالوا نطير إلى السماء. وفي تلك الحالة غابَ عن نظر الصبيان، ففزعَ الصبيان، فبعد لحظةٍ رجع، وقد تغيَّر لونه بلون آخر، وعيناه متغيِّرتان، فقال: الوقت الذي كنت أتكلَّمُ معكم فيه رأيتُ جماعةً بلباسٍ

(*) الجواهر المضية ٣/ ٣٤٣، روضات الجنات ٨/ ٦٢، كشف الظنون ١٥٨٧، تاج التراجم ٥٢، الطبقات السنية ٢٢٨٦، مفتاح السعادة ٢/ ١٤٥، هدية العارفين ٢/ ١٣٠، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤٢٧، دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٦٠، الأعلام ٧/ ٣٠.

(١) انظر الحديث صفحة ٦٠٢.

أخضر، أخذوني من بينكم، وذهبوا بي إلى السماء، وأَروني عجائبَ الملكوت، فلمَّا سمعوا صياحَكم ردُّوني إلى عندكم.

وقيل: كان في تلك الأيام يأكل الطعام بعد أربعة أيام.

وقيل: لما عزمَ إلى مكَّة ووقعت المصاحبة والمجالسة في نيسابور مع الشيخ فريد الدين العطار، فأعطاه الشيخ كتاب «أسرار نامة»[1]، فكان معه هذا الكتاب على الدوام.

وكان يقول مولانا: أنا لستُ هذا الجسم الذي ينظره العاشقون، بل أنا ذلك الذوق والسرور الذي يظهر في باطن المريدين من كلامي، الله، الله، إن وجدتم ذلك النفس وذقتموه فاغتنموا ذلك الوقت، واشكروا الله تعالى شكراً كثيراً، فإنِّي ذلك الذوق الذي وجدتم.

قالوا عند مولانا: يقول فلان إنَّ القلبَ والرُّوح في خدمتكم. قال مولانا: اسكتوا، مثلُ هذا الكذب بقي عند الناس كثيراً، فمن أين وجدَ هذا القلب والروح حتى يكون في خدمة الرجال؟. ثم توجَّه إلى جلبي حسام الدين، وقال: الله، الله، ينبغي أن تجلسَ مع أولياء الله ركبةً بركبةٍ؛ لأنَّ لذلك القُرب أثرٌ عظيم[2].

أُحـذِّركَ البُعـدَ يـا منيتـي فبُعْـدُكَ فيـه دَواعـي الخـرابِ
تقـرَّبْ تُحَـبْ وكـنْ دائمـاً كثيـرَ التَّـداني حليـفَ اقتـرابِ

وقال: الطير الذي يطير من الأرض إلى السماء إن لم يتَّصل بالسماء يبعد من الأرض[3] ومن شبكة الصيادين، ويتخلص منها، فهكذا من دخل في طريق الصوفية، وإن لم يصلْ بمرتبة الكمال لكنَّه حصل له الامتياز عن الخلق وأهل السُّوق، وخرجَ عن مُزاحمة الدنيا، وحصل له الخفَّة؛ لأنه: **نجا المُخففون وهَلَكَ المثقلون**.

وقيل: جاءَ واحدٌ من أبناء الملوك عند مولوي يعتذر، ويقول: يا مولانا،

---

(١) أسرار نامه: فارسي منظوم تأليف فريد الدين العطار. كشف الظنون ٨٤.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) في (ب): يقعد من الأرض.

لا تُؤاخذني؛ فإني مقصِّرٌ في خدمتكم. فقال مولانا: ليس لي حاجةٌ باعتذارك؛ لأنه إن كان أَحَدٌ[1] يمتنُّ بمجيئكم أنا أمتنُّ بعدم مجيئكم.

ويوماً رأى واحداً من أصحابه مغموماً، قال: لا يكون الغمُّ إلاَّ بالتعلُّق بأُمورِ المحدثات، فأيُّ نفسٍ يكونُ[2] فارغاً من هذا العالم، وتجد نفسك غريباً؟ وأيُّ لونٍ تنظر؟ وأيُّ ذوقٍ لذَّةٍ تذوق؟ وتعرف لا بقاء له، فتوجَّه إلى أمرٍ آخر، فلا يكون ضيّق القلب.

وقال: إن الحرَّ الذي لا يغضب بأذى الناس، والفتى الذي لا يَنتقمُ ممّن يؤذيه.

كان مولانا سراج الدين القُونوي صاحبَ الصَّدر وكبير الشأن، وكان مُنكراً على مولانا، فقالوا عنده: قال مولانا: أنا مجموع ثلاثٍ وسبعين فرقة. فلما سمعَ مولانا سراج الدين القُونوي أرادَ أن يُؤذي مولانا، فأرسل واحداً من العلماء، وقال: قل عند الجماعة: أنتَ قلتَ مثلَ هذه الكلمة؟! فإذا أقرَّ فاشتمه شتماً قبيحاً وتُؤذيه. فجاء وسأل مولانا: أنت قلتَ كذا وكذا؟. قال: نعم، قلتُ. فطالَ اللِّسانُ بالشتم والسفاهة، فضحك مولانا، وقال: أنت، ما تقول أنا أيضاً من هذه. فحصلَ له الخجلُ، ورجع، قال الشيخ ركنُ الدين علاء الدولة: أعجبني منه هذا الكلام.

وكان عادة مولانا كلَّ يومٍ يَسألُ الخادم: هل شيءٌ في بيتي من المأكولات؟. فإن قال الخادم: لا. يَنبسطُ، ويشكرُ الله تعالى، ويقول: الحمدُ لله، بيتي اليومَ شبيهُ بيتِ النبي ﷺ. وإن قال الخادم: ما لابدَّ للمطبخ منه حاضر. فيحصل له الانفعالُ، ويقول: اليومَ يَجيءُ من بيتي رائحةُ بيتِ فرعون.

وقيل: إنه ما سَرَجوا في مجلسه الشمعَ إلاَّ بالنذرة، وكان سراجُه بالدُّهن، ويقول: هذا للملوك، وهذا للصعلوك.

---

(١) في (ب): لأنه كما يكون أحد.

(٢) في (ب): فأي نفس لم تكون فارغاً.

ويوماً ذكروا في مجلسه الشيخ أَوحد الدين الكرماني رحمه الله تعالى، أنه كان رجلاً عاشقاً، ومتقياً متورِّعاً عن الخبائث، قال مولانا: ليتَهُ يفعلُ الشيءَ، ويتجاوز عنه.

أبـوابُ مـولاكَ عَـوالٍ شُمَّخُ مـن غيـرِ حـدٌّ نـزهـة أن تحصـرا
فإنْ وصلتَ إليها لا تقفْ واصعدْ فخلف ما تَرى ما لا يرى

قال مولانا يوماً: أنا أسمع من صوتِ الرَّباب صريرَ باب الجنة. فقال مُنكرٌ: أنا أسمع ذلك الصوت، وما يَحصلُ لي حالٌ. قال مولانا: حاشا وكلا، ما أَسمعُ أنا هو سببُ فتح الباب، وما يسمعُ هو سببُ غلق الباب.

وأيضاً عنه قال: دخلَ رجلٌ في خلوة صوفي، وقال: لِمَ جلستَ وحدك؟. قال: الآن صرتُ وحدي بدخولك؛ لأنَّكَ صرتَ مانعاً لي من الحقِّ.

التمسَ جماعةٌ الإمامةَ من مولانا، ومن جملتهم الشيخَ صدر الدين[1] القونوي، فقال: أنا رجلٌ من الأبدال، أجلسُ بأيِّ مكانٍ أصلي، وأقوم، وللإمامة ينبغي من يكون من أرباب التصوف وصاحب التمكين. وأشارَ إلى الشيخ صدرِ الدين فقام للإمامة، وقال مولانا: **من صلَّى خلفَ إمامٍ تقي فكأنَّما صلَّى خلفَ نبيٍّ**.

ويوماً كان مولانا في السماع، وجاء في خاطر فقيرٍ أن يسأل: ما الفقر؟. فقرأ مولانا هذا الرباعي في أثناء السماع:

الجَوْهَرُ فقرٌ وسِوى الفقرِ عَرَض الفقرُ شفاءٌ وسِوى الفقرِ مرض
العـالـمُ كلُّـه خـداعٌ وغُـرور والفقرُ من العالم سرٌّ وغرض

سئل: أيقع من الصوفي ذنبٌ؟. قال: نعم[2]، إنْ أكلَ الطعام بلا اشتهاء؛ لأنَّ لذَّةَ الطعام بلا اشتهاء للفقير ذنبٌ عظيم.

وأيضاً عنه قال: **الصحبةُ عزيزةٌ، فلا تُصاحبوا غيرَ أبناء الجنس**.

وقال: قال في هذا المعنى الشيخ شمس الدين التبريزي قدَّس الله سرَّه: إن

---

(١) في (ب): ناصر الدين.
(٢) في (ب): قال عسى.

علامةَ قبولِ المريد أن لا يجلسَ مع الأجانب، وإنْ اتَّفق صحبة الأجنبي فيجلس كما يجلس المُنافق في المسجد، والصبيُّ في المكتب، والأسيرُ في السجن.

وأيضاً عنه، قال في مرض الموت: لا تحزنوا من موتي؛ لأنَّ نورَ حسين [بن] المنصور تجلَّى بعد مئة وخمسين سنة على روح الشيخ فريد الدين العطار، فكان يُرشده، ففي أيِّ حالٍ تكونوا كونوا معي، واذكروني، حتى أكونَ في مَدَدكم بأيِّ لباسٍ أكون.

فقال: كان لي في هذا العالم تعليقان، تعلُّقٌ بالبدن، وتعلُّق بكم، فلمَّا خرجتُ من البدن، وصرتُ مجرَّداً، وظهر عليَّ عالمُ التجريد والتفريد، فالتعلق الثاني يتعلّق بكم.

ويوماً جاء الشيخ صدر الدين قدَّس الله سرَّه لعيادة مولانا، وقال: **شفاكَ الله شفاءً عاجلاً**، ويكون رفعَ درجات، ويصحُّ بدنك؛ لأنَّ مولانا روحُ العالم. فقال مولانا: لعلَّ هذا شفاءُ الله بكم[1]، فما بقي شيءٌ بين العاشق والمعشوق إلا قميصٌ من الشَّعر، ألا تريدوا أن يتَّصل النُّور بالنور.

عُـرِّيـتُ لكـم عـن جَـرم جِسمـي لمَّـا تعـرَّى عـن الخيـالِ
فهـا أنـا اليـومَ فـي سـرورٍ وأوج أنـسٍ مـن الـوصـال

بكى الشيخ صدر الدين وأصحابه، فقرأ مولانا هذا البيت:

أنت ما تَعْلَمن أنَّ جسمي ودمي جليسي هو في باطني المليك العالي

أوصى مولانا أصحابَه: **أوصيكم بتقوى الله في السرِّ والعلانية، وبقلَّةِ الطعام، وقلَّة المنام، وقلَّة الكلام، وهجران المعاصي والآثام، ومواظبةِ الصيام، ودوام القيام، وتركِ الشهوات على الدَّوام، واحتمالِ الجفاء من جميع الأنام، وتركِ مُجالسة السُّفهاء والعوام، ومصاحبةِ الصَّالحين والكرام، وإنَّ خيرَ الناس من يَنفعُ الناس، وخيرَ الكلام ما قلَّ ودلَّ، والحمد لله وحده.**

سألوه: من يكون بعدَكَ خليفتُكَ؟. قال: جلبي حسام الدين. ووقعَ التردُّدُ

---

(١) في (ب): فقال مولانا بعد هذا: شفاك الله لكم.

في هذا السؤال إلى ثلاث مرات، ففي الرَّابع قالوا: ما تقولُ في حقِّ سلطان ولد ؟. فقال: هو من الفتيان، ليس له حاجةٌ بوصية.

فسأله جلبي حسام الدين: من يُصلِّي عليك ؟. قال: الشيخ صدر الدين. ثم قال: أصحابي يَجروا بي[1] إلى هذا الجانب، ومولانا شمسُ الدين يَطلبني إلى ذلك الجانب، يا قومَنا، أجيبوا دَاعي الله، لا بدَّ من الموت.

توفي قدَّس الله تعالى روحه وقتَ غروب الشمس، خامس جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين وست مئة.

سألوا الشيخ مؤيد الدين الجَندي: ما كان يقولُ الشيخ صدر الدين في حقِّ مولانا ؟. قال: والله، إنَّ الشيخ صدرَ الدين يوماً كان جالساً مع خواصِّ المُحبِّين، مثل شمس الدين الأيكي، وفخر الدين العراقي، وشرف الدين الموصلي، والشيخ سعيد الفرغاني، وغيرهم، فوقع الكلام عن سيرة مولانا، فقال الشيخ: لو كان أبو يزيد، والجُنيد حيين في عهده، لحملوا غاشيته بكمالِ الذوق والحبِّ، ويرون المنَّة على أنفسهم، كان مائدةَ الفقر المحمدي، وذوقي كله تطفيله. فاستحسنَ كلامه جميعُ المصاحبين.

قال الشيخ مؤيد الدين: أنا من جملة أحبابه وخدَّامه. وقرأ هذا البيت:

لو كان فينا للألوهة صورةٌ هي أنتَ لا أكني ولا أتردَّدُ

* * *

(٤٩٦) شمس الدين محمد بن علي بن مالك داد التبريزي(*)

مولانا شمس الدين محمد بن علي بن مالك[2] داد التبريزي، قُدِّس سرُّه.

كتب المولوي في ألقابه: المولى الأعزُّ[3]، الداعي إلى الخير، خلاصةُ

---

(١) في (ب): يجروني.

(*) مجمل فصيحي ٢/ ٣٤٣ وفيه أنه توفي سنة ٦٧٢هـ.

(٢) في (ب): بن ملك داد.

(٣) في (ب): ابن الأعز.

الأرواح، سرُّ المشكاة والزجاجة والمِصباح، شمسُ الحقِّ والدين، نورُ الله في الأولين والآخرين.

قال مولانا شمس الدين: كنتُ في مكتبٍ، وما كنت مراهقاً، يمرُّ عليَّ أربعون يوماً [وما] كان لي طلبُ الطعام من عشق السيرة المحمدية، وإن يُذكر الطعامُ فأمنعه باليد والرأس، وكان مريدَ الشيخ أبي بكر صانع السلة[1] التبريزي.

وقال بعضهم: كان مُريدَ الشيخ ركن الدين السنجاني، الذي كان مُريدَ الشيخ أوحد الدين الكرماني.

وقال بعضهم: كان مريدَ بابا كمال الجندي. ويمكن أنَّه صحبَهم كلَّهم، ومن كلِّهم وجدَ التربية.

وفي آخر الحال كان يُسافر دائماً، ويلبس اللبَّاد الأسود، وبأيِّ بلادٍ وصلَ ينزل في الرباط الذي ينزل فيه التجار.

وقيل: لما وصل ببغداد اجتمعَ بالشيخ أوحد الدين الكرماني، سألَ أوحدَ الدين: بأيِّ شغلٍ مشغول؟. فقال: أبصرُ القمرَ في ماء الطشت. فقال مولانا شمس الدين: إن لم يكن في قفاك دملٌ، لم لا تنظره[2] في السماء؟.

وقيل: لما كان مولانا شمس الدين في صحبة بابا كمال، والشيخ فخر الدين العراقي، أيضاً كان عنده بأمر شيخه الشيخ بهاء الدين زكريا، فأيُّ فتحٍ، وكشفٍ يحصل لمولانا فخر الدين يظهره عند بابا كمال بلباس النظم والنثر، والشيخ شمس الدين لا يُظهرُ شيئاً منه، فبابا كمال قال للشيخ شمس الدين: إن الأسرارَ والحقائق التي تَظهرُ من فخر الدين العراقي ما يلوحُ عليك شيءٌ منها. قال: يظهرُ وينكشف عليَّ أكثرُ منه، لكنَّ الشيخَ فخر الدين بواسطة قراءةِ مُصطلحات الصوفية، يقدرُ أن يُظهرها بلباسٍ حسن، وليس لي قوة. فقال بابا

---

(١) في (ص): صانع السلمة.
(٢) في (ب): إن لم يكن في قفاك دمل لم تنظره في السماء.

كمال: إنَّ الله تعالى يعطيك صاحبنا معارف الأولين[1] والآخرين، وحقائقَهم، يظهرُها باسمك، ويكون قلبُه ينابيعَ الحكمة، ويُجري على لسانه، ويخرجُها بلباس الحرف والصوت، وطراز ذلك اللباس يكون باسمك.

قيل: وصل مولانا شمس الدين في أثناءِ السفر بقُونية في سنة اثنتين وأربعين وست مئة، ونزل في خان شكرريزان، ومولانا جلال الدين في تلك الأيام كان مشغولاً بتدريس العلوم، ويوماً خرج مولانا من المدرسة مع الفضلاء والعلماء وتعدّى من موضع خان شكرريزان، فاستقبله مولانا شمس الدين، وأخذ عنان مركب مولانا، وقال: يا إمام المسلمين، أبو يزيد أكبر أو محمد المصطفى ﷺ؟. قال مولانا جلال الدين: من هيبةِ هذا السؤال كأن السبعَ السموات هبطتْ على الأرض، ونارٌ خرجت من باطني، وصلت إلى دماغي، ورأيت خرجَ دخانٌ ووصل إلى ساق العرش، فأجبته: إن محمداً ﷺ كان أكبر العالمين وأعظمهم، فأين أبو زيد؟!. فقال مولانا شمس الدين: ما معنى قول رسول الله ﷺ قال: «ما عرفناك حقَّ معرفتك»[2]؟. وقال أبو يزيد: سبحاني ما أعظمَ شأني، وأنا سُلطان السلاطين. قال مولانا جلال الدين: سكن عطش أبي يزيد بقطرة[3]، وملأ ظرفَ استعداده بها، ودخل النُّورُ بقدر مشكاته، وكان للمصطفى ﷺ استسقاء عظيم، وعطشٌ بلا نهاية، وصدره ﷺ انشرح بـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الانشراح: ١]، ﴿أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء: ٩٧]، لا بدَّ أن يقول: هل من مزيد؟، وكل يوم كان له شأن آخر. فمولانا شمس الدين صاح وخر مغشياً، فنزل مولانا عن البغلة، وأمر تلامذته أن يحملوه إلى المدرسة، فلمَّا أفاقَ رأى رأسه على ركبته، فأخذَ يده ومشى، ودخلا في خلوة، وما خرجا إلى ثلاثة أشهر، وصاما صومَ الوِصال، يعني ما أفطرا ليلاً ولا نهاراً، وما كان لأحدٍ قدرةٌ أن يدخلَ عندهما.

---

(١) في (ب): فقال بابا كمال: إن شاء الله يعطيك صاحب المعارف الأولين.
(٢) قال المناوي في فيض القدير ٢/ ٤١٠: وفي الخبر: سبحانك، ما عرفناك...
(٣) في (ص): بقراءة.

فيوماً مولانا شمسُ الدين طلبَ من مولانا جلال الدين صاحب حسن، فدخلَ مولانا جلال الدين بيته، وأخذ بيد زوجته، وجاء بها عنده، فقال مولانا شمسُ الدين: هذه أختي، أريد أمردَ صاحب حسن. فأخذَ مولانا بيد ولده سلطان ولد، فقال: هو ولدي، أُريدُ أن تعطيني[1] قليلاً من خمرٍ حتى أستريح. فخرجَ مولانا جلال الدين وأخذَ جرَّةَ خمرٍ من محلَّة اليهود، فقال مولانا شمس الدين: أنا أمتحن قوَّةَ مطاوعة مولانا جلال الدين، وسعة مشربه، فكلُّ ما يقال في حقِّه كان أزيد.

وقال: سألتُ بعض المشايخ: لي مع الله وقتٌ، أيكون مُستمراً؟. قالوا: لا.

وأيضاً قال: دعا رجل لصوفي من أمة محمد ﷺ: يعطيك الله تعالى الجمعية. قال: هي، هي، لا تدعُ بهذا الدعاء، بل ادع لي أن يزيلَ الجمعية، ويُعطيني التفرقة؛ لأني عجزتُ في الجمعية.

وأيضاً قال: قال واحدٌ: لا يجوز ذكر الله وقراءة القرآن في المُغتسل إلا خفية. قلت: كيف أفعل إن لم يفارقني؟، ولا ينزل شاه عن الفرس، فكيف تفعل الفرس؟.

وقال بعضهم: لما وصل مولانا شمس الدين بقونية، ودخل في مجلس مولانا جلال الدين، ومولانا كان جالساً على بركةٍ، وكان عنده كتبٌ معدودة، سأل: ما هذه الكتب؟. قال مولانا: يقال لهذه القيل والقال، وما لك بها؟. فمولانا شمس الدين مدَّ اليد، وأخذ جميع كتبه، ورماها في ماء البركة، فقال مولانا بالتأسُّف التام: ما فعلت يا فقير[2]؟ كان لي في بعضهم فوائد من أبي لا توجد. فالشيخ شمس الدين غمسَ اليد في الماء، وأخرجَ الكتب واحداً واحداً، وما ابتلَّ شيءٌ منها، فقال مولانا جلال الدين: ما هذا السرُّ؟. فقال

---

(١) في (ص): تعطي.
(٢) في (ب): بالتأسف التام: يا شرّ ما فعلت.

مولانا شمس الدين: هذا ذوق وحال، ليس لك فيه خبر. فتصاحبا كما مرَّ[1].

وليلةً كانا جالسين في خلوةٍ، فأشار واحدٌ من خارج الباب لمولانا شمس الدين، فقام مولانا شمس الدين، وقال لمولانا جلال الدين: يطلبوني ليقتلوني. فبعد ساعةٍ قال مولانا: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وكان سبعة رجال واقفين، حملوا السكاكين، فصاح الشيخ، فخرُّوا كلُّهم مغشيين، وواحدٌ منهم علاء الدين محمد ولد مولانا جلال الدين وسم بوسم ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، فلما أفاق تلك الجماعة ما رأوا هناك شيئاً إلا قطرات من الدم، ومن ذلك اليوم ما وجد أحدٌ خبرَ الشيخ شمس الدين، وكان ذلك في شهور سنة خمسٍ وأربعين وست مئة، وأولئك الذين عملوا بمولانا شمس الدين ابتلاهم الله تعالى ببلاءٍ، وهلكوا فيه، وابتلى الله تعالى علاء الدين محمد ببلاءٍ عظيمٍ، ومات به، وما حضر جنازته مولانا جلال الدين.

وقال بعضهم: إنَّ قبر الشيخ شمس الدين إلى جنب قبر مولانا بهاء الدين ولد.

وقال بعضهم: إن أولئك الشياطين رموا جسدَ بدنه[2] في بئرٍ.

وليلةً رئي في الرؤيا سلطان ولد كأنَّه يُشير إليه مولانا شمس الدين: أنا راقد في البئر الفلانية، فانتبه، واجتمع بالمحبِّين في نصف الليل، وأَخرجَ بدنه، ودفن بجنب قبر باني مدرسة الأمير بدر الدين، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر صفحة ٦٣١.

(٢) في (ب): رموا جسده.

(٤٩٧) صلاح الدين فريدون القونيوي[*]

الشيخ صلاح الدين فريدون القونيوي المعروف بزَرْكوب[١]، يعني الصائغ، رحمه الله تعالى، كان في بداية الحال مريدَ السيد برهان الدين المحقق الترمذي.

ويوماً كان مولانا جلال الدين ماراً في سوق الصائغين، فمن أصواتهم حصلَ له حالٌ فرقصَ، والشيخ صلاح الدين بإلهامٍ إلهي خرجَ من الدُّكان، ووضع رأسَه على قدمي مولانا، فأخذه مولانا، واعتنقه، والتفت إليه بلا حدٌّ، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر كان مولانا في السماع، ويقرأ هذا البيت:

قد ظهر لي كنزٌ بدكّانِ شخص صائغٍ صورتُه عجبٌ من عجيب
رؤيتُـه تعجبُ القلـوبَ ومعنـاه عجيـبٌ فيـا لـه مـن حبيـب

فأمر الشيخ صلاح الدين الفقراء بنهب دكانه، وصار مُعتقاً من الكونين، فذهب مع مولانا جلال الدين، فصار عاشقه، كما كان عاشقاً لمولانا شمس الدين، وتصاحبا إلى عشر سنين.

وسئل مولانا: من العارف؟. قال: من يتكلَّمُ عن سرِّكَ، وأنت ساكتٌ، واليوم هو مولانا صلاح الدين.

ولمَّا وصلَ سلطان ولد حدَّ البلوغ زوَّجَهُ مولانا بنت الشيخ صلاح الدين، وولد له جلبي عارف من تلك البنت.

والشيخ صلاح الدين دُفن في قُونية، في جوار مولانا بهاء الدين ولد قدَّس الله سرَّهم.

* * *

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(١) في (ب): بزركون.

(٤٩٨) حسام الدين حسن بن محمد بن الحسن بن أخي ترك(*)

الشيخ حسام الدين حسن بن محمد بن الحسن بن أخي ترك رحمه الله.

ولما مات الشيخ صلاح الدين أعطاه الخلافة، وما كان له من الكمالات، وصار عاشقه، كما كان عاشقاً لصلاح الدين.

وسببُ تصنيف كتاب «المثنوي»[١]، أنه لما وجد مولانا ميلَ جلبي حسام الدين ورغبتَه إلى كتاب «إلهي نامه»[٢] للحكيم سنائي و «منطق الطير»[٣] و «مصيبة نامه» لفريد الدين العطار، فالتمس حسام الدين أيضاً من خدمة مولانا، وقال: ذكرتَ في الغزليات أسراراً كثيرة، فإن تُصنف كتاباً مثل «إلهي نامه» و «منطق الطير» يكون للمحبين تذكرةً. فقبلَ مولانا التماسه، وأخرج قرطاساً من رأسه، وأعطاه لحسام الدين جلبي، فكان فيه ثمانية عشر بيتاً من أول «المثنوي»، وقال: قبل أن يخطر في بالك هذا الخاطر، ألهمني الله تعالى أن يكونَ مثل هذا كتاب. ثم اجتهدَ في تصنيفه، فكان مولانا يُملي ذلك الكتاب من أول الليل إلى طلوع الفجر، وجلبي حسام الدين يكتبه، ويقرأ عند مولانا ما كتبه بصوت حسنٍ، فلمّا فرغَ من المجلَّدِ الأول ماتت زوجة جلبي حسام الدين، فوقعت الفترةُ في تصنيفه، فبعد سنتين التمسَ جلبي حسام الدين من مولانا، فقبلَ التماسه، كما أشار عليه[٤] في مفتتح المجلد الثاني:

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) المثنوي: كتاب فارسي منظوم في مزاحفات الرمل المسدس على ستة مجلدات لجلال الدين. كشف الظنون ١٥٨٧.

(٢) إلهي نامه: كتاب فارسي منظوم للشيخ محمد بن آدم المعروف بالحكيم السنائي المتوفى ٥٢٥. كشف الظنون ١٦١.

(٣) منطق الطير: كتاب فارسي منظوم. انظر كشف الظنون ١٨٦٤. وقد طبع مترجماً للعربية مع دراسة للدكتور بديع محمد جمعة.

(٤) في (ب): كما أشار به.

مـؤلـف المثـنـوي أخَّـره فينبغـي الصبـر كيـف مـا كـانـا
تـأخيـر تـأليفـه يكـون إذاً حتـى تصيـر الـدمـاء ألبـانـا

فبعد هذا إلى آخر الكتاب مولانا يملي، وجلبي حسام الدين يكتبه، ويوماً قال جلبي حسام الدين: لمّا يقرأ الأصحاب هذا «المثنوي» وأهل الحضور يستغرقون في نوره، وأنا أبصر جماعةً من رجال الغيب واقفين، وبأيديهم سيفٌ مسلول ولؤلؤ، فمن لم يسمع برغبةٍ وإخلاص يقطعون عرق إيمانه، وأغصان دينه، ويسحبونه إلى النار، ومن يسمع برغبة ينثرون عليه اللؤلؤ.

قال مولانا: هكذا كما رأيت:

عـدوُّ حـرفـي أراه فـي نظـري ممثـلاً بـل منكـوسـاً فـي سقـرِ
رأيتُـه يـا حسـامُ وهـو علـى حـالاتـه فـي مَـواقـفِ الضَّـررِ
أراكـه الله يـا حسـامُ علـى أقبـح أفعـالـه وإنَّـه لحـريٌّ

* * *

(٤٩٩) سلطان ولد[*]

سلطان ولد قدَّس الله سرَّه، خدم السيد برهان الدين المحقق، والشيخ شمس الدين التبريزي، وكان إرادته بالشيخ صلاح الدين والد زوجته، ونصب جلبي حسام الدين خليفة أبيه إحدى عشرة سنة، وكان سلطان ولد ينقل كلاماً كثيراً عن أبيه بلسان فصيح، وبيان صريح.

وله أيضاً كتاب «المثنوي» على وزن «حديقة»[1] الحكيم سنائي أدرج فيه المعارف[2] والحقائق، وأسراراً كثيرة.

(*) الدرر الكامنة ١/٣١٧، الجواهر المضية ١/٣١٣، واسمه أحمد بن محمد بن محمد.

(١) حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة: المعروف بفخري نامه، فارسي، تأليف محمد بن آدم الحكيم السنائي، نظمه في البحر الخفيف لبهرام شاه الغزنوي، ورتبه على عشرين باباً؛ في التوحيد وكلام الله... فرغ من نظمه سنة ٥٢٤. انظر كشف الظنون ٦٤٥.

(٢) في (ب): أدرج فيه المعاني.

وأكثر الأوقات مولانا جلال الدين يُخاطبه ويقول: **أنت أشبهُ النَّاسِ بي خَلقاً وخُلقاً**، ويحبُّه أكثر من الغير.

وقيل: إنه[1] كتب بقلم جلي على جدار مدرسته أن بهاء الدين كان من أهل السعادة، وعاش مُنبسطاً، ومات منبسطاً، والله تعالى أعلم.

وقيل: إنه يوماً مدح بهاء الدين، وقال: ظهورك في هذا العالم كان سببَ ظهوري، وهؤلاء كلامي، وأنت فعلي.

ويوماً قال مولانا له: اذهب إلى دمشق لطلب مولانا شمس الدين، وخذ معك دراهم، أيَّ قدر تُريد، وحطَّ الدراهم تحت مداسه، وحوّل مداسه إلى جانب الروم، فإذا وصلتَ دمشقَ اذهب إلى الصالحية فهناك خان مشهور، فاذهبْ إليه تجدْه هناك يلعب الشطرنج مع ولد الإفرنجي، فإن غلبه يُعطيه الدراهم، وإن غلبه الشيخ يضربه بالمجمع، فلا تُنكر عليه؛ فذلك الولد أيضاً من هذه الطائفة، يريد أن يجذبه إلى هذا الطريق. فلمَّا وصلَ سلطان ولد بدمشق وجدَ مولانا شمس الدين في المكان الذي علَّمه مولانا، فرآه يلعبُ الشطرنجَ مع ولد الإفرنجي، وسلطان ولد مع الجماعة نكَّسوا الرأس عنده، وتواضعوا له، وأظهروا الرقَّةَ، فلمَّا رآهم ولد الإفرنجي علم كماله، وعظَّم شأنه، فحصل له الخجلُ بما وقع منه من قبل، فتأسَّفَ، وأسلمَ، وأراد أن يُنفق المال والجاه كلَّه، لكن مولانا شمس الدين منعه وأوصاه: ارجع إلى بلاد الإفرنج، وشرّف قرابتك بالإيمان، وكن قطبَهم. وما كان من الدراهم عند سلطان ولد جعله تحت مداس مولانا، وحوّل مداس مولانا إلى الروم، وذكر التماس جميع المحبِّين، فقبل ذلك.

وكانت عند سلطان ولد فرسٌ أَحضرَها، فركب مولانا شمس الدين، وكان سلطان ولد ماشياً عند ركابه، فقال مولانا شمس الدين لبهاء الدين: اركب. فتواضع، وقال: السلطان راكب، والعبد أيضاً راكب ! ؟ لا يجتمع هذا. وسلطان ولد كان ماشياً في ركاب مولانا من دمشق إلى قُونية، فلمَّا وصلَ

---

(١) في (ص): وقيل: ويقول: إنه.

مولانا شمس الدين إلى قونية ذكر خدمة بهاء الدين كلَّها عند أبيه، وقال: أنا قلتُ اركب، فقال كذا وكذا. فبشَّره بشائر كثيرة، وقال: عندي من مواهب الله تعالى شيئين[1]، رأسٌ وسرٌّ، فأفديتُ الرأسَ بالإخلاص لمولانا، والسرُّ أوهبته لبهاء الدين ولد، وإن كان لبهاء الدين عُمرُ نوح، وأصرفه في هذا الطريق ما وصل إلى ما أوهبته.

فلمَّا مات مولانا بعد سبعة أيام قام جلبي حسام الدين مع الجماعة، فجاء به عند سلطان ولد، فقالوا: نريدُ أن تجلس مكان أبيك، وتهدي المريدين، وأنا في ركابك، وغاشيتك على كتفي. وقرأ هذا البيت:

من يكنْ واقفاً على منزلِ القلبِ فبيتُ الودادِ في عمران
إن تخت السلطان لا يفتقده غيرُ ابن السلطان والسلطان

فوضع السلطان ولد رأسَه، وبكى كثيراً، وقال: **الصوفي أولى بخرقته، واليتيم أولى بحرقته**. فقال سلطان ولد لحسام الدين: كما كنت في زمان أبي خليفةً وشيخاً، فهكذا كن في زماني خليفة وشيخاً.

وقال: إن يوماً قال أبي: يا بهاء الدين، إن أردتَ أن تكون في الجنَّةِ دائماً، فكن مُحبًّا لكلِّ الناس، ولا يكون في باطنك حقدٌ لأحد. وقرأ هذين البيتَين:

لا تكن كالزبان بل كنْ كالمرهم والشمع في اتخاذ[2] المزاج
وارع عن علَّة التقدّم واحذر زيادةً بالعلاج

فجميع الأنبياء عليهم السلام فعلوا هذا، وظهروا بهذه السيرة، فلا جرمَ جميع الخلائق مغلوبين على خلقهم، ومجذوبين من لطفهم، ولما يذكر المحبّين[3] بستانَ باطنك ينفتحُ منه الأزهار والريحان، ولمّا يذكر العدو بستانَ باطنك يملأ من الشوك والثعبان ويتكدَّر.

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) في (ب): اتحاد.
(٣) كذا في الأصل

وقيل: إنه كان ليلةَ موته يقرأُ هذا البيت:

هــذه ليلــة تكــون ســروري ومــن الجــانــب الإلهــي العتــاق

توفي قُدِّس سِرُّه ليلة السبت العاشر من شهر رجب، سنة اثنتي عشرة وسبع مئة.

* * *

(٥٠٠) شهاب الدين السُّهروردي(*)

شهاب الدين السُّهروردي قدَّس الله سرَّه.

كتب الإمام اليافعي[١] في ألقابه هكذا: أستاذُ زمانه، فريدُ أوانه، مطلع الأنوار، منبعُ الأسرار، دليلُ الطريقة، وترجمان الحقيقة، أُستاذ الشيوخ الأكابر، الجامع بين علمي الباطن والظاهر، قدوة العارفين، وعمدة السالكين، العالم الرباني شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد البكري السُّهروردي قدَّس الله روحه، هو من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وانتسابُه في التصوف إلى عمِّه أبي النجيب السُّهروردي، وصحب الشيخ عبد القادر الجيلي، وغيره، واجتمع بمشايخَ كثيرةٍ.

وقيل: كان مدَّةً مع بعض الأبدال في جزيرة عَبَّادان[٢]، واجتمعَ بالخضر عليه السلام.

(*) معجم البلدان ٣/ ٢٩٠ (سهرورد)، مرآة الزمان ٨/ ٦٧٩، التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٠، ذيل الروضتين ١٦٣، وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦، الحوادث الجامعة ٧٤، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٣، العبر ٥/ ١٢٩، دول الإسلام ٢/ ١٠٣، مرآة الجنان ٤/ ٧٩، طبقات السبكي ٨/ ٣٣٨، طبقات الإسنوي ٢/ ٦٣، البداية والنهاية ١٣/ ١٣٨، طبقات الأولياء ٢٦٢، الفلاكة والمفلوكون ١٢٠، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٣، ٢٩٢، قلائد الجواهر ١١١، مفتاح السعادة ٢/ ٣٥٥، الكواكب الدرية ٢/ ٤٩٢، هدية العارفين ١/ ٧٨٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١٩، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٣٧٠.

(١) مرآة الجنان ٤/ ٧٩.

(٢) عبادان: جزيرة تحت البصرة، قرب البحر الملح، فيها مشاهد ورباطات وهي موضع =

وقال الشيخ عبد القادر في حقه: **أنت آخر المشهورين بالعراق**.

وله تصانيف مثل «العوارف»[1] و «رشف النصائح»[2] و «أعلام التقى»[3]، وغيرها، وصنَّفَ «العوارف» بمكَّة المباركة، فإذا أشكلَ عليه شيءٌ يتوجَّه إلى الله تعالى، ويطوفُ بالبيت، فتحلُّ عقدته، وينفتحُ له بابُ العلم.

وكان في بغداد شيخَ شيوخ وقته، وتجيئُه الناس من بلاد بعيدة، ويستفتونه في المسائل.

كتب إليه بعضهم: يا سيدي، إن تركتُ العملَ أخلدت إلى البطالة، وإن عملتُ داخلني العُجْب. فكتب إليه في جوابه: اعمل، واستغفرِ الله من العجب.

ذكر الشيخ ركن الدين علاء الدولة في «الرسالة الإقبالية»: سألوا الشيخ سعد الدين الحموي: كيف وجدتَ الشيخ محيي الدِّين ابن عربي؟. قال: **بحرٌ موَّاج لا نهايةَ له**. قالوا: فكيف وجدت الشيخَ شهابَ الدِّين السُّهروردي؟. قال: **نورُ متابعة النبي ﷺ في جبين السُّهروردي شيءٌ آخر**.

ولد في رجب سنة تسعٍ وثلاثين وخمس مئة، وتوفي رحمه الله، في سنة اثنتين وثلاثين وست مئة.

* * *

= رديء سبخ لا خير فيه، وماؤه ملح، وفيه أقوام مقيمون للعبادة والانقطاع. انظر معجم البلدان.

(١) عوارف المعارف: كتاب مشتمل على ٦٣ باباً كلها في سير القوم، وأحوال سلوكهم وأعمالهم. انظر كشف الظنون ١١٧٧.

(٢) رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية. كشف الظنون ٩٠٥.

(٣) أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى: ألفه بمكة، ورتبه على عشرة فصول في المباحث الكلامية. كشف الظنون ١٢٦.

(٥٠١) نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي(*)

الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي، قُدِّس سرُّه. كان عالماً وعارفاً، ومنبع العلم والمعارف.

وأبوه كان من أبناء التجّار والأغنياء الكبار، وجاء من الشام إلى شيراز، وتأهَّلَ وتوطَّن بها، وليلةً رأى أميرَ المؤمنين علياً رضي الله عنه في المنام، فأحضرَ له طعاماً، فأكل معه، وبشَّره بولدٍ نجيبٍ صالح، فلمّا وِلِدَ له ولدٌ سمَّاه باسم أمير المؤمنين عليٍّ، ولقَّبه نجيب الدين.

وكان في بداية الحال يحبُّ الفقراء، ويجلس معهم، وأبوه يفصِّل له ثياباً فاخرةً نفيسة، وهو لا يلبسها، ويقول: أنا لا أحبُّ ثيابَ النساء. ولا يلتفتُ إلى طعامٍ لذيذ، ويلبس الصوف[1]، ويأكل الطعام الذي ما كان فيه تكلُّفٌ، حتى كبر سنُّه، وقوي طلبُ المعرفة، فكان يجلسُ في بيتٍ خالٍ وحده، فليلةً رأى في الرُّؤيا خرجَ شيخٌ من روضةِ الشيخ الكبير، ووراءه ستَّةُ شيوخٍ ماشين واحدٌ عقب واحدٍ، فالشيخُ الأول التفتَ إليه، وتبسَّمَ، وأخذ بيده، وأعطى الشيخَ الأخير، وقال: هذه وديعةٌ من الله عندك. فلمّا انتبه، ذكر رؤياه عند أبيه، فقال أبوه: أنا لا أقدرُ على تعبيرها[2]، لكن الشيخ إبراهيم من عُقلاء المجانين، فأرسلْ إليه واحداً، وتسأله عن تعبيرها. فلمّا سمع الشيخ إبراهيم، قال: ما هذا الرائي إلا عليُّ بنُ بزغش، والشيخ الأول الشيخ كبير، والشيوخ الآخرين الذين كانوا في طريقته، والشيخُ الأخير يطلبه حتى يتَّصلَ بمقصوده. فطلب الإجازة من أبيه، وتوجَّه إلى جانب الحجاز، فلمّا اجتمع بالشيخ شهاب الدين السُّهروردي عرفه الشيخ، وهو أيضاً عرفَ الشيخ أنه الذي رآه في المنام، وقال بتعبير الرُّؤيا، ولازم خدمته سنيناً كثيرة، ولبس الخرقة من يده، وسمع عند الشيخ مصنفات الشيخ وغيرها، فبرخصة الشيخ رجع إلى شيراز، وتزوَّجَ،

(*) مجمل فصيحي ٢/ ٣٤٧ وفيه أنه توفي سنة ٦٧٨هـ.

(١) في (ص): وكان يلبس الصوف.

(٢) في (ب): تفسيرها.

وبنى خانقاه، وجلسَ فيها لإرشاد الطالبين، واشتهر عنه حالات وكرامات عند الخلائق، وله كلامٌ لطيف، ورسائلُ شريفة، فكان يخرجُ منه نفحات الشيخ شهاب الدين وأنفاسه.

قيل له يوماً: بيّن لنا سرَّ التوحيد بمثالٍ[1] واضح. فقال: مرآتين وتفاحة. وكان حاضراً واحدٌ من فضلاء الزمان، فأملى هذه الأبيات:

إن نجيبَ الدِّين شيخٌ كامل مكمَّلٌ مقدَّمٌ قديمُ
جاء إلينا بحروفٍ قالها جديدةٍ ميدانُها التكليم
إن مثالَ وحدة الوجد أن تروه عنِّي هاك يا فهيم
تفاحة من بين مرآتين فانظرها تراها فبها التعليم

ويوماً قال: أنا كلَّ يوم أصفُ حالَ المعشوق، وهذا عجبٌ ليس له حال. فقال: أريد أحداً ينظم هذا. فقال ذلك الفاضل:

في الحُسن ليس كمثلك فلِمَ تُطوّلُ صدَّك
وليس حالي بخالٍ عن خالِ خدِّك ووِدِّك
قد طالَ وصفي بخالٍ لمَّا تخيَّلْتُ خدَّك
وليس في الخدِّ خالٌ هذا عجيبٌ فخدّك

توفي في شعبان سنة ثمان وسبعين وست مئة.

* * *

(٥٠٢) ظهير الدين عبد الرحمن بن علي بن بزغش(*)

ظهير الدين عبد الرحمن بن علي بن بزغش رحمه الله تعالى، هو خلف الصدق، وخليفة الحقِّ لأبيه.

ولمَّا حملتْ به أمُّه أرسلَ الشيخُ شهاب الدين لها قطعةَ خرقةٍ من ثوبه،

---

(١) في (ص): بتمثال.

(*) كشف الظنون ١١٧٧.

وقال: إذا ولد ألبسوه إيَّاها. فلمَّا ولد ألبسوه إيَّاها، فأول خرقة لبسها كانت تلك الخرقة، فلمَّا كبرَ سنُّه، لزم خدمةَ أبيه، وربَّاه، وفي حياة أبيه حجَّ، فليلةَ عرفة رأى في الرُّؤيا أنه جاءَ الرَّوضةَ الشريفة النبوية ﷺ، [وسلم] فخرج الصوتُ من الحجرة الشريفة ﷺ: وعليك السلام يا أبا النجاشي. فأطلع أبوه على حاله، وأخبر أهلَه، وبشَّرهم بها، وقال: حصل المقصود.

واشتغل بالتدريس، ورواية الأحاديث، وصنَّف الكتب، ومن مصنفاته ترجمة «عوارف المعارف» وفيها تحقيقات كثيرة صادرةٌ من الكشف والإلهام، ووصلَ بمقامٍ عالٍ، واشتهر بكرامات عجيبة، وكان يقرأ هذين البيتين للشيخ شهاب الدين:

وقد كنتُ لا أَرضى من الوصل بالرِّضا ... وآخذُ ما فوقَ الرِّضا مُتبرِّما
فلمَّا تفرَّقْنا وشطَّ مزارُنا ... قنعتُ بطيفٍ منك يأتي مُسلِّما

توفي في رمضان سنة ستٍّ عشرة وسبع مئة، رحمه الله تعالى.



(٥٠٣) محمد اليمني (*)

الشيخ محمد اليمني رحمه الله تعالى.

قال الشيخ نجيب الدين بن بزغش: كنت يوماً مع الجماعة عند الشيخ شهاب الدين، قدَّس الله سرَّه، فقال الشيخ: واحد منكم يخرج من الخانقاه، فمن لقي يدخله في الخانقاه؛ لأني وجدت منه رائحة المحبة. فخرج واحدٌ، فما لقي أحداً فرجع، فقال الشيخ: بالهيبة اخرج، وانظر تجده. فلمَّا خرجَ رأى رجلاً أسودَ، وعليه أثرُ السفر والغربة، فأدخله، فأراد أن يجلسَ في آخر المجلس، فقال الشيخ: يا محمد، ادن منِّي؛ لأني وجدت فيك رائحة المحبة. فجلس إلى جنب الشيخ، فوقع بينهما كلامٌ كثير خفية، فقبَّلَ فخذي الشيخ،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

فأحضروا السُّفرة بأمرِ الشيخ، وأكلوا، وأنا كنت صائماً، فقال: من نوى الصوم يكن على حاله. وكان في المائدة رمّانٌ أيضاً، وكان الشيخ يأكلُ الرُّمّان، ويخرجُ تفلَه، ويحطُّه على السفرة، فخطر في خاطري أن آخذ سُؤْرَ الشيخ وأفطر به، فلمّا استقرَّ هذا الخاطر أخذَه محمد وأكله، فنظر الشيخُ إليَّ، وتبسَّم، ففهمتُ أنَّه اطَّلع على خاطري، فلمَّا شالوا السُّفرة، قال الشيخ: الشيخ محمد حافظُ القرآن، لكنَّه له مُدة ما قرأ إلا وحده، ويريدُ أحداً يقرأُ معه. فكلُّ من كان فيهم حافظ القرآن تمنَّت نفسُه أن يقرأ معه؛ لالتفات الشيخ إليه، وجاء في خاطري أيضاً، لكن ما أظهرته بلساني، فقال الشيخ: الشيخ محمد كلَّ يوم يذهب عند الشيخ علي الشيرازي، وكلَّ يومٍ يقرأ جزءاً واحداً. فلمَّا جنحَ الليل دخلَ خادمُ الشيخِ الشيخُ عيسى، وأعطاني رُمَّانةً، وقال: أكلَ الشيخُ بعضها، وبعضها أرسله لتُفطر به، وقال: قل له: هذه عوضٌ عن ذلك التفل الذي أكله الشيخ محمد. فأفطرتُ بها، فلما صلَّيتُ الصبحَ، ودخلتُ البيت، فدخلَ الشيخ محمد، وسلَّم، فردَّيت جوابَ سلامه، وجلس وما قال شيئاً، وأنا أيضاً ما قلتُ شيئاً؛ لأنه كان له هيبةٌ عظيمة، فلمَّا فرغنا[1] من قراءة الجزء، قامَ وذهب، فاليوم الثاني فعل هكذا، واليوم الثالث لمَّا فرغنا من وظيفة القرآن، قال: وقع بيني وبينك حقُّ الأُستاذية والتلامذية، وأنا من اليمن، وما رأيتُ شيراز، فصف لي مشايخَ شيراز. فذكرتُ أحوالَ مشايخ الزمان، فلمَّا ذكرتهم كلهم، قال: اذكر أسماءَ الزُّهَّاد، وأهلِ العزلة أيضاً. فذكرت أسماءَهم، فلمَّا فرغت من ذكرهم، غابَ عن نفسه، حتى خفتُ عسى فارقت روحه، فبعد زمانٍ طويل أفاق، وقال: ذهبتُ ورأيتُهم كلَّهم، فالآن أنت اذكر أسماءهم، وأنا أذكر وصف حالهم[2]. فأنا أذكر اسماً باسمٍ، وهو يذكرُ وصفَهم ولباسَهم وحالهم، كأنَّه معهم، فأعجبني، ثم قال: إن واحداً ممن ذكرتهم يُقال له حسين، هبطَ من مرتبة الولاية، ومُحي اسمُه من ديوان الأولياء. قلت: بأيِّ سبب؟. فقال:

---

(١) في (ص): فرغت.

(٢) في (ب): وصفهم وحالهم.

حصل لسلطان شيراز أتابك أبو بكر فيه اعتقادٌ وإرادة، فذهب عنده، فأعطاه مالاً ونعمة كثيرة، فهبطَ من قرب الله تعالى، فحفظتُ كلامه، فلمَّا دخلتُ شيراز رأيتُ كما قاله. ثم قال: أنت ذكرتَ أسماء الزهاد، فمنهم واحدٌ أعطاك شيئاً أرينيه حتى أنظره. ففكَّرت، فما وجدتُ شيئاً، فنظر إلى نعالي، وقال: ما هذه ؟. فذكرتُ أنَّه كان زاهداً في شيراز، ويخيط النعل، فلمَّا أردتُ السفر أعطاني زوجَيْ نعلٍ، وقال: هذان يكونان تذكرةً، فلما أنظرهما تذكّرني بدُعاء الخير.

فلبسَ الخرقةَ من يد الشيخ، ورجعَ إلى بلاده، واشتهر في تلك البلاد، واجتمعَ عنده مريدون كثيرون.

* * *

(٥٠٤) إبراهيم المجذوب(*)

الشيخ إبراهيم المجذوب رحمه الله تعالى، هو الذي مرَّ ذكرُه في ترجمة الشيخ نجيب الدين بزغش[١].

قال الشيخ نجيب الدين: إنه كان رجلاً مجنوناً في بعض الأوقات، يقعد أياماً لا يأكلُ شيئاً، وبعض الأوقات في دفعةٍ واحدةٍ يأكل مئة مَنٍّ[٢]، وينقلون عنه كرامات، وخرق عادات كثيرة، فتمنَّت نفسي صحبته، وهو لا يقبله، فيوماً رأيتُه في السوق آخر النهار في أيام الشتاء، فقال: إن تُصاحبني بسم الله، لكن بشرط، أن أبيتَ في مسجدِ السُّوق. فدخلتُ معه في المسجد، فقلت: أحضر الطعام ؟. قال: أنا شبعان. فنزل الثلج والمطر، فجرى السيل والميزاب من الماء، فلمَّا فرغتُ من صلاة العشاء، وانتشرَ الخلقُ من المسجد، جلستُ معه،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) انظر صفحة: ٦٤١.

(٢) المنُّ: كيل يبلغ حوالي ٦١٨ غراماً ويسمى هذا المن الطبي، والمن المصري يبلغ حوالي ٤١٢ غراماً. متن اللغة (م ن و).

فقال: أنا جيعان، هاتِ شيئاً حتى آكله. وكانت ليلةً ظلمةً، والمطرُ والثلج بشدَّةٍ عظيمة، فكان عندي دراهم، أعطيته إياها، وقلتُ: العذر واضح، تأكلُ غداً شيئاً من هذه الدراهم. فأخذها وصبرَ ساعةً، وقال: أنا جيعان، قم هاتِ طعاماً. وبيتي كان بعيداً من المسجد، وكان جارُ المسجد واحداً من قرابتي، رجل مثري، فذهبتُ عندهم، فلمَّا كنتُ أسمع قبلَ هذا أنَّه يأكل الطعام كثيراً، قلتُ عندهم: جاء عندي جماعةٌ من الضيف، قالوا: من الطعام المطبوخِ ما بقي شيءٌ. فأعطوني معاشر ملآنة من أرزٍ، ومعاشر باقلاء، وبعضها حمّص، وبرمة من رز، وكبشين؛ أحدهما قديداً، وجبناً، فكان تخميناً إلى خمسين منًّا، فوضعتُ ذلك عنده، وقلت: أُطبخ؟ قال: لا، أنا آكله نيئاً. فأكله كلَّه، فصبرَ ساعةً، فسمع صوتَ سائلٍ، فأخذ زنبيله، فكان فيه عشرة أمنان من خبز[1]، فأكلَه كلَّه، فلما زال ـ ذهبَ ـ نصفُ الليل، قال: اذهب، وارقد في جنب المسجد؛ لأنَّك حصلَ لك منِّي أذًى كثير، وإن وقعَ منك حركةٌ أهلكك. فرقدتُ في ركن المسجد، وما تحرَّكتُ من خوفه، وكان في المسجد جلمودٌ كبير، فحمله، وجاء به على رأسي، وقال في نفسه: أدقُّه بهذا الجلمود وأهلكه. فكان يجيءُ ويذهب، ويقول كما قال، فقال لنفسه: لا يجوز أن أقتله؛ لأن أباه رجلٌ شيخٌ معمَّرٌ، يجزع ويفزع، فخلَّى الحجر مكانه، وما نمتُ من خوفه، وما تحرَّكتُ حتى حسب أني نائم، فقال: آذيتك كثيراً، وأعرفُ أنك ما رقدت، فأودعتك الله، وأنا أطلعُ سطحَ المسجد حتى يزولَ عنك الخوف، وترقدَ بالراحة. فطلعَ على سطح المسجد، وكان على السطح مبيتٌ، وكان فيه كتبٌ كثيرة، فدخل فيه، وأنا من الخوفِ ذهبتُ، وأغلقتُ الباب من الخارج، فنمت، فكان يخرجُ الصوتُ من المبيت كأنَّه يأكلُ شيئاً، وكنتُ متعجِّباً: ما يأكل وهنا ليس شيءٌ يؤكل؟ فبعدَ الصُّبحِ خرجَ وذهب، وأنا دخلت في ذلك البيت فرأيتُه أكلَ جميعَ جلودِ الكتب.

* * *

---

(١) في (ص): من جبن.

(٥٠٥) جمال الدين اللُّوري[*]

قال الشيخ نجيب الدين: قال لي واحدٌ: دخل غريبٌ لُوريّ[1] في هذه المدينة اسمُه جمال الدين، وله جذبةٌ قوية، ونزلَ في مسجد الجامع، فذهبتُ في المسجد، فرأيته وله جذبٌ عظيم، واستغراقٌ قوي، وعيناه حمر كأنها دمٌ، فسلَّمت عليه، فردَّ الجواب، وقال: أنا ما لي شغلٌ بالذي يُبيِّض ويسوِّد. ـ يعني الفقهاء والنساخين ـ وكان شخصٌ حاضراً، فقال: هذا الرجل من الصوفية. فجلستُ عنده، فسألته عن أحواله، فقال: أنا رجل لوري أُميّ، ولا أعلمُ شيئاً، وأنا أحب الأثوار، وكان عندي ثيران، ويوماً كنت جالساً في طويلة الثيران، فكُشف عليَّ حالٌ، وظهرت الجذبة[2]، ورُفع الحجاب عني، فخررتُ مغشياً، فكنت أتمرَّغُ عند أرجل الثيران، فلمَّا أفقتُ كُشف لي سرُّ التوحيد.

قال الشيخ نجيب الدين: كان أكثر ما يخرج من لسانه الشَّطحُ، وكان العلماء والفقهاء مُنكرين عليه، ونسبوه إلى الكفر، وأفتوا على كفره، وعرضوا الفتوى على أتابك أبو بكر سلطان شيراز، قال أتابك: إن أفتى الشيخ نجيب الدين بزغش، والشيخ معين الدين، أرخِّص لكم قتله.

قال الشيخ نجيب الدين: لمَّا جاء بالفتوى عندي كتبت عليها، إنه رجل مجذوب مغلوبٌ، لا يجوز قتله، وكتب الشيخ معين الدين كما كتبتُ، فأتابكُ ما رخَّص لهم قتله.

وقال الشيخ نجيب الدين: كنتُ يوماً أتوضّأ، وجمال الدين ينظرُ إليَّ، لمَّا

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) لوري: نسبة إلى لور كورة واسعة بين خوزستان وأصبهان معدودة في عمل خوزستان. معجم البلدان، اللباب.

(٢) في (ب): فكشف علي حالي فظهرت جذبة.

صببت الماء على وجهي، قلتُ: أرفعُ الحدث. قال جمال الدين: بقي شيءٌ من الحدث حتى تقول أرفع الحدث ! ؟ قل أرفع المحدث.

* * *

(٥٠٦) شمس الدين الصفي(*)

الشيخ شمس الدين الصفي رحمه الله تعالى، كان من المشايخ الكبار، صاحبَ الحال والكرامات.

ولمَّا أراد الشيخ نجيب الدين أن يذهب إلى بغداد لزيارة الشيخ شهاب الدين السُّهروردي، كان الشيخ شمس الدين رفيقَه، وقرأ القرآن عند الشيخ نجيب الدين، وهو قرأ عنده الفقه، وكانا في خدمة الشيخ.

قال الشيخ نجيب الدين: لما رجعتُ إلى شيراز فالشيخ كتب لي إجازة إلباس الخرقة، وللشيخ شمس الدين أيضاً كتب الإجازة، وأعطاني عشرين طاقية، ولشمس الدين أيضاً عشرين طاقية، وعلى كلِّ طاقيةٍ كُتب اسمُ واحدٍ من أكابر شيراز، وقال: إذا وصلتما شيراز فأوَّل ألبسوا هذه الطواقي بإنابتي لمن كتبت أسماءهم، ثم ألبسوا الخرقةَ من شئتم.

* * *

(٥٠٧) نور الدين عبد الصمد النَّطَنْزي(**)

الشيخ نور الدين عبد الصمد النَّطَنْزي(١) رحمه الله تعالى، كان مُريدَ الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش، وكان عالماً بعلوم الظاهر والباطن، والشيخ عز الدين محمود الكاشي، والشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشي رحمهما الله، كانا مُريدَيْه.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.
(١) النَّطَنْزي: نسبة إلى نَطَنْز، وهي بليدة في نواحي أصبهان. اللباب.

قال كمال الدين عبد الرزاق في تفسيره «تأويلات القرآن»[1]: قد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد قدَّس الله سرَّه عن أبيه: أنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين قدَّس الله سرَّه، في شهود الوحدة، ومقام الفناء، وله ذوق عظيم، فإذا هو في بعض الأيام يبكي ويتأسَّف، فسأله الشيخ عن حاله، فقال: إنِّي حُجبت عن الوحدة بالكثرة، ورُددت فلا أجدُ حالي. فنبهه الشيخ على أنه بداية مقامِ البقاء، وأن حاله هذه أعلى وأرفع من الحال الأول، وآمنه.

* * *

(٥٠٨) عز الدين محمود الكاشي (*)

الشيخ عز الدين محمود الكاشي رحمه الله تعالى، هو صاحب ترجمة «العوارف»[2] وشارح قصيدة تائية الفارضية[3]، أدرج فيهما كثيراً من الحقائق والمعارف، وكتب على قصيدة التائية شرحاً مُختصراً مفيداً، وكشفَ المعضلات، وحلَّ المُشكلات بمقتضى العلم والعرفان، والذوق والوجدان، من غير مراجعة شروحٍ، كما أشارَ في مقدمته: ولم أرجع في إملائه إلى مطالعة شرح؛ كيلا يرتسم منه في قلبي رسوم وآثار تسدُّ باب الفتوح، وتشبث بأذيال الروح، فأتلو حينئذ تلوَّ الغير، وأحذو حذوه في السير، ودأبي في التحرير تفريغ القلب من مظانِّ الريب، وتوجيه وجهه تلقاء مدين الغيب، استنزالاً للفيض الجديد، واستفتاحاً لأبواب المزيد.

وكتب في إجازةِ بعض التلامذة: أنا أروي الكتاب، ـ يعني كتاب «عوارف

---

(١) انظر الحاشية (٢) صفحة (٦٥١).

(*) كشف الظنون ٢٦٦، ١٠٤١، ١٧١١، ١١٧٧، إيضاح المكنون ٢/١٢٩، ٣٩٩، هدية العارفين ٢/٤٠٨ (توفي سنة ٧٣٥).

(٢) ترجمه بالفارسي وسماه «مصباح الهداية ومفتاح الكفاية» كشف الظنون ١١٧٧.

(٣) انظر الحاشية (١) صفحة (٧٤٣).

المعارف» ـ عن شيخي ومولاي نور الدين عبد الصمد بن الشيخ علي الأصفهاني، ومن الشيخ العالم ظهير الدين عبد الرحمن بن علي بن بزغش الشيرازي، وهما عن شيخهما الإمام العالم والعارف نجيب الدين علي بن بزغش الشيرازي، وهو عن شيخه قطب الأولياء سيد العارفين مُصنِّف الكتاب، رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، ولي في كشف حقائقه، وبيان معضلاته طريقٌ خاصٌّ في الرواية عن مصنفه بلا واسطة، وهو أنّي رأيتُه في مبشرة، قرأت عليه كتابه المذكور، ونبَّهني على حقائقه ودقائقه، والله الموفِّق من يشاء لما يشاء، وهو على كل شيء قدير.

وهذه الأشعار من «معارفه» وهي هذه:

قالَ لي القلبُ قُمْ وعلِّمني العلمَ اللَّدُنِّي إذ كنتَ أرجوكا
قلتُ: ألفٌ. قال: ثمَّ. قلت: كفى إن كان فَهْمٌ لديك يَكفيكا

وله أيضاً:

أَعطيتُ عيني عكسَ الوجه أَنظرُ من شعاعِهِ هيكلَ الأَشباحِ والصُّورِ
وقلتُ: لا تري غيري. فغيرُك ما لا يستطاعُ تعدّيه إلى نظري

وله أيضاً:

إلى مَتى هذا الفراقُ بيننا أنا وإيّاك أَعدُّ رضاكا
أريدُ يا كُلَّ المُنى بأنْ أكن إذا تفضلتَ[1] أنا إيَّاكا
إلى متى الغير[2] ويبقى نظري للغيرِ غيرتُك تأبى ذاكا
فليسَ للغيرِ مَجالٌ بيننا حاشاكَ عن مَجاله حاشاكا

وله أيضاً:

حقِّقِ التَّبيينَ وانظرْ واجتهد تَنظرُ الكثرةَ عينَ الوحدةِ
ما بقي عندي شكٌّ إن يكن معك شكٌّ فاستبن أو فأثبت

---

(١) في (ص): إذا انفصلت.
(٢) في (ص): الغبن.

وانظـر الأعـداد معنـى واحـداً وكثيـرٌ هـي عنـد الصُّـورةِ

وله أيضاً:

إن بقينـا أنـا وأنـتَ فهـذي وحـدةٌ وإنَّهـا[1] حجـابُ الشَّـكُّ

اكشفِ الحُجبَ تلقَ حبَّكَ والحب وعينُ الحبيب فردٌ فزكّى

* * *

(٥٠٩) كمال الدين عبد الرزاق الكاشي(*)

الشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشي رحمه الله تعالى، مُريدُ الشيخ نور الدين عبد الصمد النَّطَنْزي، وكان جامعاً بين علومِ الظاهر والباطن، وله مُصنَّفاتٌ كثيرة مثل تفسير «التأويلات»[2] وكتاب «اصطلاحات الصوفية»[3] وشرح «فصوص الحكم»، وشرح «منازل السائرين»، وغيرُها من الرسائل.

وكان معاصرَ الشيخ ركن الدين علاء الدولة قدَّس الله أسرارهم، ووقع بينهما مُخالفةٌ ومباحثةٌ في مسألةِ وحدةِ الوجود بالمكاتبات، ووقع الاجتماع بين الشيخ كمال الدين عبد الرزاق، والأمير إقبال السيستاني، فسألَ الأميرُ إقبال عن معنى وجود الوحدة، فبالغ الأميرُ إقبال في نفيها، فسأله: ما كان شيخُك يقولُ في حقِّ الشيخ ابن عربي، وما اعتقاده في كلامه؟. فقال الأمير إقبال: شيخي يعلمُ، ويعتقدُ أنه رجلٌ عظيم الشأن في المعارف، لكنه لا يقبلُ

---

(١) في (ب): وهذه رانها.

(*) روضات الجنات ٣٥٣، كشف الظنون ١٠٧، ٢٦٦، ٣٣٦، ١٢٦٣، ١٥٥٢، ١٨٢٨، إيضاح المكنون ١/ ٥١٦، ٥٧٣، هدية العارفين ١/ ٥٦٦، معجم المؤلفين ٢/ ١٣٨، تاريخ الأدب العربي ٧/ ٢٣٨، الأعلام ٣/ ٣٥٠.

(٢) تأويل القرآن المعروف بتأويلات الكاشاني، وهو تفسير بالتأويل على اصطلاح التصوف إلى سورة ص. كشف الظنون ٣٣٦.

(٣) اصطلاحات الصوفية: ويُسمى لطائف الإعلام في إشارات أهل الأفهام، وهو مختصر رُتّب على قسمين: الأول في المصطلحات على الحروف المعجمة، والثاني في التفاريع. كشف الظنون ١٠٧، الأعلام.

كلامَه في قوله: الله تعالى وجودٌ مطلق، ويقول: هذا غلطٌ عظيم منه.

قال الشيخ عبد الرزاق: أصلُ جميع المعارف هذا الكلام، ولا يكونُ أفضلَ من هذا الكلام، وهذا عجبٌ منه أن يُنكره، وجميعُ الأولياءِ والأنبياء والمذاهب في هذا الاعتقاد، فالأميرُ إقبال ذكرَ هذا الكلام عند ركن الدين علاء الدولة، فكتبَ الشيخُ في جوابه: إنَّ جميع الملل والنِّحَل ما تكلَّمتْ بهذا القبح والخبث كلاماً، وإن تنظر بتعمّقِ النظر فمذهب الطبيعية والدهرية أفضلُ من هذه العقيدة.

وفي نفيه وإبطاله كتبَ شيئاً كثيراً، ولمَّا وصل هذا الخبر إلى الشيخ كمال الدين عبد الرزاق كتب مكتوباً إلى الشيخ ركن الدين علاء الدولة، والشيخ كتبَ جوابَه، فأنقل كلامهما بعينه بلا نقصٍ وزيادة.

مكتوب الشيخ كمال الدين عبد الرزاق.

إن إمدادَ التأييد والتوفيق، وأنوار التوحيد والتحقيق من حضرة الأحدية بالظَّاهر الأظهر والباطن الأنور مولانا الأعظم شيخ الإسلام، حافظ أوضاع الشريعة، قدوةُ أرباب الطريقة، مقيم سُرادقات الجلال، مقوم أستار الجمال، علاء الحقِّ والدين، غوث الإسلام والمسلمين، تكون مُتواليا في ترقِّي درجات المدارج، **تخلَّقوا بأخلاق الله تعالى**، فبعد تقديم مراسم الدعاء، وإظهار الإخلاص، فهذا الفقير ما ذكر اسمَكم بلا تعظيم، لكنِّي لمَّا طالعتُ كتاب «العروة» فوجدتُ فيها مَسألتين لا تُوافقُ اعتقادي، فبعد ذلك اجتمعتُ بالأمير إقبال في طريقٍ، فقال الأمير إقبال: شيخُنا علاء الدولة لا يقبل طريقَ الشيخ محيي الدين بن عربي في التوحيد. فقلتُ له: كلُّ من رأيتَ من المشايخ، وسمعت كانوا على هذا الطريق، وعلى هذا المعنى، وما رأيت في «العروة الوثقى»[1] كان خلافَ هذا الطريق. فبالغ الأمير إقبال أن أكتبُ شيئاً، فقلت: عسى أن لا يُوافقَ طبعه، ويحصل الأذى والتعب، فسمعت أنك بمجرَّدِ استماع

---

(١) العروة الوثقى للسمناني الحلبي، وهو أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد المتوفى سنة ٤٩٩. كشف الظنون ١١٣٣.

هذا الكلام حصل لك التعب، وتكلَّمَ كلاماً[1] شنيعاً حتى نسبتم إليَّ الكفر، وهذا أعجبني من طريقِ الصوفية؛ لأنَّه ما وقع بيني وبينكم صحبةٌ، فبمجرد الخبر نسبتم إليَّ الكفر، ما كان ذلك مناسباً، واعلم يا شيخ اليقين[2] أني ما كتبت شيئاً إلا بالتحقيق، لا من الهوى والنفس، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] لا يخفى عليك ما لا يكون بناؤه بقانون الكتاب والسنة لا تعتبره هذه الطائفةُ؛ لأنَّ طريقَهم اتباع رسول الله ﷺ، وهذا المعنى مبني بهذين الآيتين: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٣-٥٤] ، والناس على ثلاث مراتب:

مرتبة النفس: وهذه الطائفة أهلُ الدنيا، وتابعو الحواس، وأصحاب الحجاب، وينكرون الحقَّ؛ لأنهم إن لم يعرفوا الحقَّ وصفاته لا جرم يقولوا: القرآنُ كلام محمد ﷺ، وقال الله تعالى لهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢] ، ومن آمن منهم نجا من دخول النار.

والثاني، مرتبة القلب: وأهلُ هذا المقام أرقى منهم، وصفَّى الله عقولَهم حتى استدلُّوا بآيات الله، وتفكَّروا في الآيات والأفعال والتصرُّفات الإلهية في مظاهر الآفاق والأنفس، فاتَّصلوا بمعرفة أسماءِ الحقِّ وصفاته؛ لأن الأفعال آثارُ الصفات، والصفاتُ والأسماءُ مصادرُ الأفعال، فيبصرون العلم والقدرة والحكمة بعيون العقل التي صفَّاها الله تعالى من شائبة الهوى، ويجدون سمعه وبصره وكلامه في عين أنفس الإنسان، وآفاق هذا العالم، ويعترفوا بالقرآن وحقيقته ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] ، وهذه الطائفة أهل البرهان، وفي استدلالهم الغلط محال، فبنور القدس، واتِّصال الواحدية التي هي محلُّ تكثر الأسماء، تتنوَّر عقولهم بذلك التنوير، وصارت عقولهم بصيرة

---

(١) في (ب): وتكلمهم كلاماً.

(٢) في (ص): يا شيخ باليقين.

ويبصرون[1] بتجلِّيات الأسماء والصفات الإلهية، وتمحا صفاتهم في صفاته تعالى، وما تعلمه الطائفة الأولى، تُبصره الطائفة الثانية، فالنفسُ الناطقة تزكِّيهما بنور القلب، لكن ذوي العقول متخلِّقون بأخلاق الله، وذوي البصيرة متحقِّقون به، فظهور سوء الخلق منهما محال، وكلُّهم في مراتبهم معذورون، ونرجو أن نكون منهم.

الثالث، مرتبة الروح: وأهلُ هذا المقام ترقُّوا من تجلِّيات الصفات، ووصلوا بمقام المشاهدة، ووجدوا شهودَ جمعِ الأحدية، وبعدوا من الخفاء، وخلصوا من حجب تجلِّيات الأسماء والصفات، وكثرة التعينات، وفي حضرة الأحدية صارَ حالهم ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وهذه الطائفة يجعلون الخلقَ مرايا الحقِّ، والحقَّ مرايا الخلق، وفوق هذا استهلاكٌ[2] في عين أحدية[3] الذات، وقال للمحجوبين المطلقين ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ [فصلت: ٥٤]، والواقفون في تجلِّيات الأسماء والصفات، وإن خلصوا من الشكِّ والريب قاصرون في اللِّقاء على الدوام. ومعنى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، ومحتاجون إلى تنبيه ﴿أَلَآ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]، وما ظفر أحدٌ بشهود هذه الحقيقة، وبمعنى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، غير هذه الطائفة الأخيرة، وفي هذه الحضرة ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ظاهر عياني، وفي كل التعينات وجه الحق مشهود، وفي وجوه الأسماء والتعينات منزَّهٌ ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، محقق لهم.

لا ينقصُ الشَّمسَ كونُ اليوم لم يَرَها النَّقصُ في اليومِ ليس النَّقصُ في الشَّمسِ

فعلم من هذه الإحاطة أنَّ اللهَ تعالى منزَّهٌ عن جميع التعينات، وتعيّنه عين

---

(١) في (ص): ويتصورون.
(٢) في (ص): استهلالٌ.
(٣) في (ص): أحديتي.

ذاته، وأحديته ليست الأحدية العددية حتى يكون له ثانٍ، كما قال الحكيم السنائي رحمه الله:

واحدٌ أنتم بمعزلٍ عنه صَمَدٌ عنه عَجزُكم مَخذولُ
أَحَدٌ لا بالعقلِ يُدرَكُ حاشا صَمَدٌ لا يحسُّه الحسُّ زولوا

فالحسُّ، والعقل، والفهم، وجميعُ الوهميات متعيِّنٌ، فلا يُحيطُ المتعيِّنُ بغير المتعيَّن.

واللهُ أكبرُ أن يُقيِّده الحِجا	بتعينٍ فيكون أول آخر
هو واحدٌ لا غير ثانيه ولا	موجود ثمَّة فهو غيرُ مُكاثر[١]
هو أوَّلٌ، هو آخرٌ، هو ظاهر	هو باطنٌ، كلٌّ ولم يتكاثر

فمن تكونُ له هذه المرتبةُ فالله تعالى يجرِّدُهُ من مراتب التعينات، ويخلِّصه من قيد العقول، ويكشفُ له شهودَ إحاطة الذات، وإلاَّ وقف في حُجب الجلال، في هذا المعنى، قال ساقي الكوثر[٢] أميرُ المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه: **الحقيقةُ كشفُ سُبحات الجلال من غير إشارةٍ.**

لأنه إن كان إشارةُ الحسي أو العقلي باقٍ في تجلِّي الذات المُطلقة، فهو عين التعيين، ويَصيرُ جماله عين جلاله[٣]، ويَحتجبُ بشهود النفس، سبحان من لا يعرفه إلا هو وحده.

وأقول الحقَّ بطريق الإنصاف: وما ذكر في «العروة» في نفي هذا المعنى، فدلائله لا تستقيم بطريق البرهان، والعلماءُ الذين يعرفون[٤] المعقولات لا يقبلونه، وما وقع فيها وصف الخضر المكسور الرأس، فسألتُ شيخَ الإسلام مولانا نظام الدين الهروي عنه، فقال: هو خضر التركماني، يسأل عن حال خضر موسى عليه السلام. فلمَّا فرغتُ من مباحث الفضليات والشرعيات،

---

(١) في (ب) و (ص) و (ح): متكاثر، والمثبت من المطبوع الفارسي.
(٢) في (ب) و (ح): ساقي الكون.
(٣) في (ب) و (ح): ويصير جلاله عين جماله.
(٤) في (ب) و (ح): وعلماء الدين يعرفون.

وحجة أصول[1] الفقه، وأصول الكلام، فما تحققت شيئاً، فجاء في خاطري: عسى يَحصلُ تحقيق المعرفة من علم المعقولات والإلهيات، وما يكون موقوف عليهما، فصرفت الأوقات في تحصيلها مدَّةً، فحصل لي استحضارها بما لا يكون فوقه، فحصل لي من تحصيلها حجابٌ، ووحشةٌ، واضطراب، فزال قراري، فعلمتُ أن معرفة المطلوب أعلى من طور العقل، لأنَّ الحكماء وإن خلصوا من تشبيهات الصور، لكنَّهم هبطوا في تشبيهات الأرواح، فصحبتُ المتصوِّفة، وأرباب الرياضة، والمجاهدة، فأول هذا المعنى حصل لي في صحبة مولانا نور الدين عبد الصمد النطنزي قدَّس الله سرَّه، وفهمتُ هذا التوحيد، ووجدته من صحبته، وكان يقبل «الفصوص» و «كشفَ» الشيخ يوسف الهَمَذاني ويعظمهما، فبعد ذلك صحبت مولانا شمس الدين الكيشي.

وسمعت من مولانا نور الدين، يقول: في هذا الزمان لا يكون أحدٌ في معرفة الله مثله. وهذا البيت له:

كـلُّ نقـشٍ فـي صـورةِ الكـونِ تلقـاه فهـاتيـكَ صـورةُ النقَّـاشِ

وكان يبين هذا المعنى في التوحيد، ويقول: حصل لي هذا الكشف بعد الأربعينيات المتعددة، وما كان أحدٌ في ذلك الزمان في شيراز حتى أظهر عنده هذا المعنى، وما كان هذا المعنى للشيخ ضياء الدين أبي الحسن، وأنا كنتُ في تأسُّفٍ، فلمَّا رأيتُ هذا المعنى في «فصوص الحكم» شكرتُ الله تعالى، وهذا المعنى في الطريق موجود، والأكابر وصلوا إلى هذا المعنى، ووجدوه، وهكذا وجدته بصحبة مولانا نور الدين الأبرقوهي، والشيخ صدر الدين روزبهان البقلي، والشيخ ظهير الدين بزغش، ومولانا أصيل الدين، والشيخ ناصر الدين، وقطب الدين، أبناء ضياء الدين أبي الحسن، ومن وصلتُ إليه من المشايخ ما كان أحدٌ منهم يُخالفُ هذا المعنى، فيقول واحدٌ: لا أخالف الجماعة، ولم يقرَّ قلبي حتى وصلتُ إلى هذا المقام.

فبعد موت شيخ الإسلام مولانا وشيخُنا نورُ الملة والدين النَّطَنْزي

---

(١) في (ب): وبحث أصول.

ما وجدتُ مرشداً غيرَه حتى يستقرَّ قلبي، فدخلتُ الصحراء، وكنتُ فيها سبعةَ أشهر، واخترتُ الخلوة فيها بتقليل الطعام، حتى كُشف لي ذلك المعنى، واطمأنّت نفسي والحمد لله على ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، لكنَّه قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

ثم دخلتُ بغداد، وصحبتُ فيها الشيخ نور الدين عبد الرحمن الإسفراييني قدَّس الله سرَّه، وقال: إنَّ الله تعالى أعطاني علمَ تعبير الوقائع، وتأويل المنامات. وما وصلتُ فوق هذا المقام، وكان كلامُه بطريق الاتصاف، فما يكون بطريق المعاينة والشهود، وإن لم يستقم بطريق المعقول، والدَّليلُ المستقيم لا يجوزُ تركه، وأيضاً كلام الشيخ عبد الله الأنصاري مثل هذا، وكان آخر كلامه التوحيد الصرف في آخر جمع المقامات في الدرجة الثالثة، والشيخ شهاب الدين السُّهروردي أيضاً خرج بهذا[1] المعنى في أماكن متعددة، ومن كلام العالم المحقق الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه: إنِّي أكرِّرُ الآيةَ حتى أسمعَ من قائلها. فإنه وجد لسانه في هذا المعنى مثل شجرة موسى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، سمع منه، وإن كان متعيناً، فكيف يوجد في صورتين، وجاء في القرآن المجيد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، كيف يصدق؟، وقال رسول الله ﷺ: «لو دلَّى أحدُكم حبلَه لهبطَ على الله»[2]، كيفَ يصحُّ؟ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، كيف يثبت؟ وفي نصِّ القرآن ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] كفر ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، ورابع ثلاثة صرف الإيمان والتوحيد ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، لأنه إن كان ثالثَ ثلاثة فيكون واحد منهم متعين، أما رابع ثلاثة هو الوجود الخفي[3] بحكم ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ

---

(١) في (ب): صرح بهذا.

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٨) بلفظ «والذي نفس محمد بيده، لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلىٰ لهبط علىٰ الله». قال الترمذي: أراد لهبط علىٰ علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان. وهو على العرش.

(٣) في (ص): الموجود الحقي.

﴿مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] ، والثاني واحد، والثالث اثنين، والرابع ثلاثة، والخامس أربعة، والسادس خمسة، هو يعني تحقق بحقائق هذه الأعداد، فهو مع الكلِّ بلا مقارنة، وخيرُ الكلِّ بلا مزايلة، كما قال أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه: **هو مع كلِّ شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة.**

وكان هذا الضعيف في هذه المدة في صُحبة الخواجة جهان عزت أنصار دولة، وكان الناسُ يطعنون[1] فيَّ لصُحبته، لكنِّي، وحقِّ العليم، ما كان نظري إلاَّ في استعداده ﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ﴾ [النور: ٣٥] ، وكنتُ معتمداً عليه أن لا يتغيَّرَ بكلام المخالفين، إن لم يكن لي هذا المعنى كشفاً وعياناً، ولم يشهدْ[2] عليه أقوال الأكابر، وأحوال المحققين لم أكرره ولم أستدلَّ بدلائل كثيرة، كما بيَّنته في أوَّل شرح «الفصوص» وغيره، فينبغي أن يقرِّر ذلك عندكم رجلٌ عالمٌ لطيف الطبع، ذكيُّ الفهم، زكي النفس، وأحترز من التطويل والإملال، **من لم يصدِّقِ الجملة هان عليه أن لا يُصدِّقَ التفصيل،** إن الله تعالى يهدي جميع الناس بجماله وكرمه، ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤] ، **والله الموفق والمعين.**

جواب المكتوب الذي كتبه الشيخ ركن الدين علاء الدولة على ظهره، وأرسله إلى كاشان.

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ...﴾ الآية [الأنعام: ٩١] ، إنَّ أكابر الدِّين، وسالكي طريق اليقين اتفقوا على أن معرفة الحقِّ تحصل من طيِّبِ الطعام، وصدقِ الكلام، وكان شعارَهما ودثارَهما، فإذا كان هذان مفقودين فما المقصودُ من هذه الطامات والترهات؟ وما ذكرتم عن الشيخ نور الدين عبد الرحمن الإسفراييني قدَّس الله سرَّه، فأنا أيضاً صحبته اثنتين وثلاثين سنة، فما سمعتُ منه هذا المعنى أبداً، بل كان يمنعُ من مُطالعة كتب الشيخ محيي الدين ابن عربي، وكان شدَّته إلى هذا الحدِّ أنه لمَّا سمع أنَّ مولانا نور الدين الحكيم، ومولانا بدر

---

(١) في (ص): يطعنونه.

(٢) في (ب): لم يشاهد.

الدين رحمهما الله تعالى، يدرسان «فصوص الحكم»، ذهبَ عندهما ليلةً، وأخذ ذلك الكتاب وقطّعه، ومنعهما، وما نُسب إلى الولد الأعزِّ، صاحب القرآن الأعظم، أمدَّهُ الله بجند التوفيق، وأقرَّ عينَ قلبه بنور التحقيق، فأنا سمعتُ من لسانه قال: أنا متبرىءٌ من هذه المعارفِ والحقائق.

وكان لي وقت منبسطٌ، فكنت أُطالع «الفتوحات المكية»[1] وأَخشى عليها، فلمَّا وصلتُ إلى هذا التسبيح: **سُبحان من أظهرَ الأشياءَ، وهو عينُها**. كتبت: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، **أيُّها المسبّح**[2]، **لو سمعتَ من أحدٍ أنه يقول: فضلةُ الشيخ عينُ وجود الشيخ. لا تسامحه البتَّةَ؛ بل تغضبُ عليه، فكيف يَسوغُ لعاقلٍ أن يَنسب إلى الله هذا الهذيان ؟، تبْ إلى الله توبةً نصوحاً لتنجو من هذه الورطة الوعرة، التي يَستنكفُ منها الدَّهريون، والطبيعيون، واليونانيون، والشكمانيون**[3]، **والسَّلامُ على من اتَّبع الهدى.**

وما قلت أنت ما في «العروة» ليس برهان مستقيم. أقول: إذا كان الكلامُ مطابقَ الواقع، إن وافقَ برهان المنطق أو لم يوافق لا بأس به[4]، فليس للشيطان اعتراضٌ عليه، وهذا المقدار كافٍ لي، **والحمدُ لله على المعارف التي هي تطابق الواقع عقلاً ونقلاً، بحيثُ لا يمكنُ للنَّفسِ تكذيبها، وللشيطان تشكيكها، ويطمئنُ القلبُ على وجوب وجودِ**[5] **الحق، ووحدانيته، ونزاهته، ومن لم يؤمن بوجوب وجوده فهو كافرٌ حقيقي، ومن لم يؤمن بوحدانيته فهو مُشركٌ حقيقي، ومن لم يؤمن بنزاهته من جميع ما يَختصُّ به الممكن فهو ظالم حقيقي؛ لأنَّه ينسب إليه ما لا يليق بكمال قدسه، والظلمُ وضعُ الشيءِ في غيرِ موضعه، ولذلك لعنَهم اللهُ في مُحكمِ كتابه بقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾** [هود: ١٨]، **سبحانه وتعالى عما يصفه به الجاهلون.**

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ٤٥٩.

(٢) في المطبوع الفارسي: أيها الشيخ.

(٣) الشكمانيون: لعلها محرفة عن السكمانيون، وهم طائفة من جند الأتراك يقودون كلاب الصيد أمام الأمير. وتنعت بالجهل وقلة العقل والتدبير. انظر تراجم الأعيان للبوريني ٢/ ٢٥٩.

(٤) في (ب): أقول كان الكلام مطابق الواقع إن وافق برهان المنطق ولم يوافق لا بأس به.

(٥) في (ب): وجود وجود.

فصل بالخير:

فلما طالعتُ الكتاب مرّةً أُخرى رأيت فيه أبياتاً من كيشي، فجاء في خاطري ما كان مكشوفاً في ذلك المقام، وصرتُ مُبتهجاً، واطَّلعتُ على حقيقته، فكنتُ في ابتداء الحال أياماً في ذلك المقام، وأعجبني ذلك المقام، لكنّي جاوزتُ ذلك المقام، فلمّا مررتُ من بدايةِ المقام، ووسطه ووصلت نهايةَ المقام ظهرَ لي غلطُه أظهرَ من الشمس، وفي قطب ذلك المقام حصلَ لي يقينٌ، فما بقي لي مدخل الريب.

فيا أيُها العزيز، سمعتُ أن أوقاتكم مصروفةٌ بطاعات، وبوظائف العبادات، وانتهى عمرُك، فلا ينبغي أن تجلسَ في بداية المقام مثلَ الصبيان، التفتوا إلى قليل من الزبيب، وغفلوا عن المكر، كما قنعتَ بالمعارف التي هي مثل الخرق، وأوّلْتَ أكثرَ الآيات البيِّنات بآياتٍ معدودةٍ مُتشابهة، وتركتَ الآيات المحكمات، مثل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وأخواتها، واقتديت بـ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، أوما علمتَ أن نزولَ هذه الآية لجهة تفهيم الخلق، ليفهمَ الخلقُ خصوصيةَ النبي ﷺ مع الله تعالى، كسلطانٍ يُرسل واحداً إلى بلادٍ، ويقول: يده يدي، ولسانه لساني. والشيخ أيضاً يقول للمُريد إذا أرسله لإرشاد قومٍ: يده يدي. فالغرضُ أنَّكَ تغفل عن آية: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وآية: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] وأمثالها، تُعرضُ، وتتمسَّكُ بآية: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ولا تفهم أنَّ المُرادَ ﴿هو الأول﴾ الأزلي، لينتهي إليه سلسلة الاحتياج في الوجود، فضلاً عن شيءٍ آخرَ ﴿وهو الآخر﴾ الأبدي، بأنه يرجعُ إليه الأمرُ كلُّه، ﴿وهو الظاهر﴾ في آثاره الظاهرة بسبب أفعاله الصادرة عن صفاته الثابتة الذاتية لذاته، ﴿وهو الباطن﴾ في ذاته ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولا يعرفُ ذاتَه إلاَّ هو، وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «كلُّ النَّاسِ في ذات الله حمقى»[1]، أي في معرفةِ ذاته، وقال عليه الصلاة

---

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» ٣/ ١٨٠ عن ابن عمر.

والسلام: «تفكَّروا في آلاء الله، ولا تتفكَّروا في ذاته»[1]، فلنرجعْ إلى أصلِ الكلام، فلمَّا كُشف لي في المقام الوسط معرفةُ مثل ما كان في أبيات الكيشي، جاءَ الحقُّ في نظري بصورة بحرٍ، بصفةِ مواجة، متَّصفٌ بالمثبت والماحي، ودوائر المخلوقات بعضُها وسيعٌ وبعضها ضيق، وبعضهم أهل تنعم، وبعضهم مظهر لطفٍ بقدرِ سعة الدائرة والاستقامة، وبعض من كان في مظاهر القهر متألِّمون من ضيق الدائرة وانحرافها، بصفة المثبت تثبت بعضهم، وبصفة الماحي يُمحا بعضهم، وبالصفة المواجة، تتجدَّدُ الدوائر، فلمَّا وضعتُ القدمَ في مقامِ النهاية، وهبّتِ الريح من حقِّ اليقين، وظهرَ أزهار المعارف طاحتِ البداية والوسائط، كما تطيحُ الأوراق من الشجر، فخرجَ ثمرةُ حقِّ اليقين من غلاف عين اليقين.

فيا أيُّها العزيز، العلم المجرَّد المطابق للاعتقاد الجازم مُرتبطٌ بالشريعة، وعلمُ اليقين بدايةُ مقام المكاشفة، وعينُ اليقين واسطة مقام المكاشفة، وحقُّ اليقين نهايةُ مقام المكاشفة، وحقيقةُ حقِّ اليقين عبارةٌ عن يقين مجرَّد لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، فقطبُ الدرجات مقامُ المكاشفة، فمن وصلَ إليه ما يقول إلا ما يكون مطابقَ الواقع، وما قلتَ: إنَّ في «منازل السائرين» آخرَ المقامات هي التوحيد. فليس كذلك بل هو وقعٌ في مقام الثمانين، **آخر المقامات المئة العبودية**[2] **وهو عودُ العبدِ إلى بدايةِ حاله، من حيث الوَلاية ـ المفتوح واوها ـ دائراً مع الحقِّ في شؤون تجلياته تمكناً.**

سُئل الجُنيد: ما نهاية هذا الأمر؟. قال: الرُّجوعُ إلى البداية.

ياأيها العزيز، في البداية والوسط مقامُ التوحيد، وفي الخصوص في حالِ

---

(١) روى الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب، عن ابن عمر مرفوعاً: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله».

وانظر كشف الخفا ١/ ٣٧١ تحت قوله ﷺ: «تفكروا في خلق الله...».

(٢) آخر المقامات المئة في منازل السائرين طبعة المعهد الفرنسي مقام التوحيد.

السماع أمثالُ هذه الرباعيات أعطيتُ القوَّال، وكنتُ في ذلك الذوقِ والحال مدَّةً واحدها هذا:

أنا لا أنا أو كنتُ موجوداً أنني أنا أنت لا غيرٌ لدينا ولا سِوى
فني بَدني والرُّوحُ والدَّمعُ كلُّه فإن يبقَ منِّي فهو أنتَ ولا غوى

وفي ذلك المقامِ يرى كفر وحلول، وقلتُ في الاتحاد والتوحيد:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... ليسَ في المِرآةِ شيءٌ غيرَنا
قد سَها المُنشدُ إذ أنشده ... نحن رُوحان حللنا بدنا
أثبتَ الشِّركَ شِركاً واضحاً ... كلُّ من فرَّقَ فرقاً بيننا
لا أُناديه ولا أذكرُه ... إنَّ ذِكري ونِدائي يا أنا[1]

فلمَّا وصلتُ نهاية مقام التوحيد وجدتُها غلطاً محضاً، والرُّجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل، فياصاحبي[2]، اقتدِ به، واتركْ غيره، فلمَّا رأيت هذه الآية: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، محوتُ كلَّ الأمثالِ، والسلام.

* * *

(٥١٠) نور الدين عبد الرحمن المصري(*)

الشيخ نور الدين عبد الرحمن المصري رحمه الله تعالى، كان كبيراً في وقته، وكانِ قبلةَ الطُّلاب في مصر، وكان متمكناً في مقام الشيخوخة، وتربيةِ المُريدين، وفي ابتداء الحال كان مُريداً لواحدٍ من مشايخ مصر، وما أتمَّ سلوكَه عليه، وقال له: سلوكُكَ يتمُّ عند مشايخ العجم. وكان منتظراً حتى دخل الشيخ جمال الدين يوسف الكوراني مصر، فصحبه، وتمَّ سلوكُه في أقلِّ من عشرين

---

(١) في (ص): إنه ذكري وقل إني أنا. وانظر ديوان الحلاج صفحة ٦٥.
(٢) في (ب): فيا محبي.
(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

يوماً ببركة صحبته، وأجازه بالإرشاد، وكتب في الإجازة أخوي؛ لأنه كان شيخاً مُعمَّراً.

وكان للشيخ جمال الدين نسبتين[1] أحدهما بالشيخ حسام الدين السيفي، وثانيهما بالشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وهما مريدا الشيخ نور الدين عبد الصمد النطنزي، قدَّس الله أرواحهم.

* * *

(٥١١) زين الدين أبو بكر الخوافي[*]

الشيخ زين الدين أبو بكر الخَوافي[2] قدَّس الله تعالى روحه.

كتب الخواجة محمد البارسا ألقابه في بعض مكتوباته: **ذو العلم النافع، والعمل الرافع، ملاذ الجمهور، شفاء الصدور، صفوة العلماء والعرفاء، رافع أعلام السنة، قامع أضاليل البدعة، ناهج مناهج الحقيقة، سالك مسالك الشريعة والطريقة، الداعي إلى الله سبحانه وتعالى على طريق اليقين، سيدنا ومولانا زين الملة والدين.**

وكان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن، وأعطاه الله تعالى توفيقَ الاستقامة على الشريعة، ومتابعة السنة، فهي أكبرُ الكرامة عند محققي هذه الطائفة.

ونسبةُ طريقته بالشيخ نور الدين عبد الرحمن المصري.

وبعد وصوله إلى درجة الكمال والتكميل، كتب شيخُه في إجازته: **لمَّا استحقَّ الخلوة، وقبولَ الواردات الغيبية، والفتوحات، استخرْتُ الله تعالى، وأخليته خلوتي المعهودة، وهي سبعة أيام مَنَّ الله تعالى فيها عليَّ بما مَنَّ بفضله، ففتح عليه أبواب المواهب من عنده في الليلة الرابعة، وازداد في الترقيات في درجات المقامات إلى مقام حقيقة التوحيد، وانحلَّت عنه قيود**

---

(١) كذا في الأصول.

(*) الضوء اللامع ٩/ ٢٦٠، تاريخ الأدب العربي ٧/ ٢٥٣.

(٢) الخوافي نسبة إلى خواف ناحية من نواحي نيسابور كثيرة القرى. اللباب.

التفرقة في شهود الجمع قبل إتمام الأيام السبعة، ثم في إتمامها ظهرَ له لوامعُ التوحيد الحقيقي الذاتي، المُشار إليه على لسان أهل الحقيقة بجمع الجمع، وهو لقوّةِ استعداده بَعْدَ في الترقّي والزيادة، وإنّي على رجاء من الله أن يأخذه منه إليه تماماً، ويُبقيه بقاء دواماً، ويجعله للمتقين إماماً.

قال الشيخ زين الدين: نسيتُ الإجازة التي كتبها لي شيخي الشيخُ نور الدين عبد الرحمن لما عزمتُ إلى خراسان في بغداد، فلمّا وقعت المعاودةُ من خُراسان إلى جانب مصر، وانتقل الشيخ نور الدين قبل رجوعي، فدخلتُ خلوته، فوجدت تلك الإجازة في خلوته بتفاوت كلمةٍ أو كلمتين، وما كانت تلك الخلوةُ مضبوطةً مُقفلةً، فلا أعلمُ هل كانت مسوّدتُه، أو علم بنور الفِراسة أن تُفقد إجازتي، وأعودُ إليها ثانياً، فكتبَ مرّةً أُخرى، على كلِّ حالٍ كان كرامته.

وأيضاً عنه، قال: لما رجعتُ من مصرَ، ووصلتُ بغداد كانت الطاقية التي أَعطاني الشيخ نور الدين عبد الرحمن، ولبسَها شيوخٌ كثيرٌ معي، فلمّا وقعَ الاجتماع بالشيخ تاج الكيلاني طلبَ مني تلك الطاقية، فأعطيته، فرأيتُ في الرُّؤيا تلك الليلة تلك الطاقية استغاثت عندي، وعدَّتْ أسماءَ المشايخ التي لبستها، وتقول: أنا كنت في رأس فلان وفلان، فوضعْتُ على رأسِ شاربِ الخمر. فلمّا أصبحتُ، خرجت مع رفيقٍ لطلبه، فسمعتُ أنه في بيتِ الخمر، اشتغل بشرب الخمر، فذهبت عنده، فرأيته سكراناً[1] متخبّطاً، فقال رفيقي: أنت اذهب، وأنا آخذ منه الطاقيةَ، وأجيء عندك. فأخذ الطاقيّةَ من رأسه، و صكَّ البيت، وجاء عندي.

وقيل: إنه في آخر حياته حصل له واردٌ، حتى كان غائباً عن نفسه إلى ثلاثة أيام، فلمّا أفاقَ من الغيبة ما كلَّمَ أحداً سنةً كاملة، وغلب عليه السكوت.

ويوماً سأل الدرويش أحمد السمرقندي: هل رأيتَ جذبةً جليةً مُتّصلةً[2] بلا

---

(١) كذا في الأصول.

(٢) في (ص): هل رأيت في محل مذكور جذبةً.

انقطاع ؟. فقال الشيخ أحمد: ما رأيت هذا المعنى في محلٍّ. والدرويش أحمد السمرقندي كان مُريده ومن خلفائه، وكان يُطالع كتب القوم، ويتكلَّم كلامَ القوم على المنبر، ويدرس «الفصوص» ويطالعها، ورأيتُ بخطِّه كتبَ في آخر كتاب «الفصوص»: بعد إجازة درس «الفصوص» من النبيِّ ﷺ رأيتُ في درويش آباد[1] النبيَّ ﷺ في خلوة، فسألته ﷺ: **يا رسول الله، ما تقول في فرعون ؟. قال ﷺ: قل كما كتب. قلتُ: يا رسول الله، ما تقولُ في الوجود ؟. قال ﷺ: أما تراه يقولُ: الوجودُ في القديم قديم، وفي الحادث حادث. ثم قال ﷺ: أنت إله وأنت مألوه، أنت إله لظهورِ الصفات الإلهية فيك، ومظهريتك للألوهية، وأنت مألوه لحصرك، وتعينك، وخليقتك، وهو على ما أقول شهيد.**

توفي الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى، ليلةَ الأحد الثاني من شوال، سنة ثمانٍ وثلاثين وثمان مئة، ودفنوه في قرية مالين، ثم نقلوه إلى درويش آباد في جوار المُصلَّى من هراة، والآن بنوا عليه عمارةً عاليةً، وصارت مَعمورةً، وسكنها الناس، كانوا يصلون هناك صلاة الجمعة.

* * *

(٥١٢) أمير قوام الدين السَّنْجاني(*)

أمير قوام الدين السَّنْجاني[2] رحمه الله، كان في بداية الحال من شُركاء أهل قرية سَنْجان، الخوافيُّ، وكان الجمعُ والخرج، والتوجيه والتحصيل لتلك القرية على عهدته، ويكتبه، فلمَّا جذبته جذبةٌ خرجَ عن جميعها، واشتغلَ بشُغل الآخرة، وأوقف يده، فمن أعطاه قرطاساً يكتبُ له مصحفاً، أو غير

---

(١) في (ب): درويشاً بادر.

(*) إيضاح المكنون ١/ ٣٧٠، هدية العارفين ٢/ ٤٩٣، واسمه نصر الله بن عبد الله الخوافي.

(٢) السَّنْجاني: نسبة إلى سَنْجان قرية على باب مرو. انظر معجم البلدان، واللباب. وفي (ص): الشيخاني.

مصحف، وكان يُراعي الترتيب، ويكتب أسماءهم للسَّابقِ واللاحق، وكان يتكلَّمُ بالمعارف في المجالس كثيراً.

وقال: أعطاني موسى صلوات الله عليه قدحاً من شربه، فكلامي من هذا.

وله أشعارٌ كثيرة، وكتب جواباً على بعض أشعار مولانا جلال الدين الرُّومي، وصنف كتاباً سمَّاه «جنون المجانين»[1] أدرجَ فيه كلاماً غريباً عجيباً.

وكان مُعاصراً للشيخ زين الدين، وكان بينهما مكاتبات.

قال الشيخ زين الدين: إن الأمير قوام الدين السَّنْجاني روَّح الله روحه، لمَّا كان في مقام الخوفِ كتبَ لي مكتوباً، وكان أوّلُ الكتاب هذا البيت:

شينٌ لمن لا زينَ تُدرك عينه عينٌ بها إنزالُ زيناً يشهد

فرذَيت جوابه:

فالعينُ شينُ العين يفقد[2] نورها لا زينَ في عينٍ لنورٍ يفقد

يعني أن الحجاب الرقيق عند عين البصيرة عيبٌ، وإن كان وجود الزين باقٍ، فخوفُ الحجاب باق، ومن لم يكن فانياً يخاف عليه الحجاب بواسطة البشرية، نعوذ بالله منها.

وحدةُ الإطلاق فيها مَشربٌ إن يكن معك قوام الدين زين

فالوحدةُ على الإطلاق في تجلِّي الذات تكونُ من حيث هي، ومشاهدةُ الوحدة في ضمن تجلِّيات الصفات مُقيدٌ بمعنى تلك الصفات، وإن كان مشاهدة الوحدة على الإطلاق تماماً تكون هذه الشربة شربةَ مادةِ الحياة، مشاهدةُ الوحدة أن يكونَ[3] العارف يشاهدها في ضمن جميع الصفات ويحيط بها، فذلك الوقت تزيّن له[4] هذه المعرفة، وتزولُ الإثنينية في هذا الشهود، فلا يبقى زين ولا قوام، فافهم هذا:

---

(١) جنون المجانين في طريق القوم. إيضاح المكنون ١/ ٣٧٠.

(٢) في (ب): فالغين شين العين ينفد نورها.

(٣) في (ب): ولا يتم مشاهدة الوحدة إلا أن يكون العارف.

(٤) في (ب): ويحتفظ بها، فبعد ذلك تزين له.

مَشربُ الموسوي ولو جلَّ قدراً في شهودِ الحبيبِ ليس جَميلَ
ذكرك الطُّور[1] أصعقَ النَّفسَ حتى ممكنٌ كادَ أن يكون مستحيلَ

وقال الأمير قوام الدين: أعطاني موسى صلوات الله عليه قدحاً من شربته، وهذا الكلامُ من ذلك القدح. فالشيخ زينُ الدين نبهه، أنَّ مشربَ[2] الموسوي وإن كان عالياً في جنب مُشاهدة حبيب الله حجابٌ، ومن يريدُ أن يكونَ له نصيبٌ من مشربِ حبيب الله يسعى في فنائه:

قــدمٌ إن تقـفْ بـأيمـن واد فـرضُ عيـنٍ تـركُ المَسيـر عليـه

سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لمَّا وصلَ بالوادي الأيمن خلصَ من جميع الغمومِ والهموم، فمن يريدُ معنى القدم الشبيه بالوادي الأيمن يَسعى في فنائه:

حتفُ نفسٍ من السكوتِ يُصابُ والكشفُ عند العارفين حجابُ

وكان عادته يتكلَّمُ في المجالس، ويفتخرُ بهذا المعنى.

قال الشيخ زين الدين: فنبَّهتُهُ أنَّ هذه الفضيلة متضمِّنةٌ رذيلةَ الحجاب. فقال رحمه الله، في هذه المعنى عشرين بيتاً، فطلبت الاختصار والاقتصار.

قال مولانا شيخي القُهُستاني: كان تاريخُ وفاته في سنة ثمان مئة وعشرين، وولادته في سنة سبع مئة وأربع وثلاثين.

* * *

(٥١٣) شمس الدين محمد الكوسوي الجامي (*)

الخواجة شمس الدين محمد الكوسوي الجامي قدَّس الله تعالى روحه، كان من كبار أولاد شيخ الإسلام[3] أحمد الجامي النامقي وأحفاده قدَّس الله سرَّه.

---

(١) في (ب): وكذلك الطور.
(٢) في (ص): زين الدين منعه.
(*) رشحات عين الحياة ١١١.
(٣) في (ص): من كبار أولاد الأكابر، كبار شيخ الإسلام.

وقيل: إنه لبس الخرقة التي وصلت من الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير قُدِّس سرُّه للشيخ أحمد، وكان على جيبها رقعةٌ من قميص النبي ﷺ، وكانت تلك الخرقة بين أولاده.

وكان جامعاً بين علم الظاهر والباطن، وكان طريقه في أوراد الصبح والمساء، وذكر الجهر على طريقة الشيخ زين الدين.

وصحبَ الشيخ بهاء الدين عمر، وكان معتقدَه ومريده.

وفي بداية الحالِ حصلَ له جذبةٌ، فغابَ أياماً عن حسِّه[1] حتى فاتته صلوات.

وقال شمس الدين: رأيتُ في حالةِ الجذبة مشايخَ الزمان، مثل الشيخ زين الدين [الخوافي]، والشيخ بهاء الدين عمر يظهران عليَّ بقصدِ تربيتي، لكني ما انقذتُ لأحدٍ منهما، فالشيخُ زين الدين جلسَ على صدري، وعمل شيئاً حتى خرجَ منه صوتٌ كصوت الحلاجين، وكان هذا الصوتُ من ذكر جهره.

وأيضاً عنه قال: وبعد ذلك ظهر شيخُ الإسلام أحمد بصورةِ الخواجه أبي المكارم، ولد شيخ الإسلام، فنفخَ فيَّ، فأفقتُ، وسألت عن الصلاة، فتوجَّهتُ إلى قضاء الفوائت.

وكان معتقداً في مصنفات الشيخ ابن عربي، ويقررُ مسألة التوحيد على موافقةِ الشيخ الأكبر، ويذكره على المنبر بحضور العلماء، ولا يقدرُ أحدٌ أن يعترضَ عليه، وكان يُدركُ الأسرار، والحقائقَ الربانية، والأحاديث النبوية كما ينبغي، وباد[2] في توجّه يفاض عليه معنى كثيراً، ولا يحصل ذلك المعنى لغيره إلا بعد تأمُّلٍ، وكان يحضرُ في مجلسه مثلُ مولانا سعد الدين الكاشغري، ومولانا شمس الدين محمد أسد، ومولانا جلال الدين أبو يزيد[3] البوراني، وغيرهم ممن كان في وقته، ويستحسنون معارفَ حقائقه، وفي أثناء الوعظ

---

(١) في (ص): جذبة أياماً غاب عن حسه.
(٢) في (ص) و (ب): وباز.
(٣) كذا في الأصل.

والسماع يحصلُ له وجدٌ عظيم، ويزعق زعقةً كبيرةً حتى يتأثَّرَ أهلُ المسجد.

وكان في بعض الأوقات ينظرُ الناس بصورِ الصِّفاتِ الغالبة عليهم.

وقال يوماً: أصحابي يخرجونَ من الصور الإنسانية، لكنهم يرجعون سريعاً إلى أصلهم.

وكان يُسمِّي بعضهم بأسمائهم، وكان يقول: لمَّا يجيئون عندي، يجيءُ صورُهم في نظري بصور الكلب. وإن خطر شيءٌ في خاطر أحدٍ يظهرُ لوجهه، لا يفهمه غيره.

توفي رحمه الله تعالى ضحوةَ يوم السبت السادس والعشرين من جُمادى الأولى، سنة ثلاث وستين وثمان مئة.

ودفنَ حول مسجد جامع هراة قرب قبر الفقيه أبو زيد[1] المرغزي، رحمهما الله تعالى.

* * *

(٥١٤) زين الدين أبو بكر التائبادي(*)

مولانا زين الدين أبو بكر التائبادي[2] قدَّس الله تعالى سرَّه، كان في علم الظاهر من تلامذة مولانا نظام الدين الهروي، وبواسطة لزوم الشريعة، ومتابعة السُّنة، فتحَ الله عليه علوم الباطن، وحصلَ له أحوالٌ ومقامات عالية، من أرباب الولاية، وكان في الأصل أُويسياً، وكان تربيته من روحانية شيخ الإسلام أحمد النامقي الجامي قدَّس الله سرَّه، وكان يُلازمُ خدمةَ تربة الشيخ أحمد.

وقيل: إن مولانا كان مشتغلاً بالرياضات والمجاهدات، فظهرت صورة شيخ الإسلام يوماً عليه، وقالت: أودعَ اللهُ تعالى أدويةَ شفاء مرضك عندي.

---

(١) كذا في الأصل.

(*) شد الإزار ١٠.

(٢) في المطبوع الفارسي: التائب آبادي، وفي (ب): التائبادي، وفي معجم البلدان، واللباب: التاباذي نسبة إلى تاباذ من قرى بوشنج من أعمال هراة.

فكان مولانا يذهبُ لزيارة قبر الشيخ ماشياً، وأكثر الأوقات حافياً من تائباذ[1] إلى تربة الشيخ مدَّةَ سبع سنين، وكان يقرأ، وكان محاذي قبر الشيخ قبةٌ يقف عندها، ويتلو القرآن، وكلُّ يوم يقرب إلى تربته، فبعد سبع سنين وصلَ تربة الشيخ، فبعد هذا كان يجلسُ عند قبره، وبعض الأوقات يقفُ على اختلاف الأحوال، وآخر الحال كان يجلسُ بلا توقُّفٍ، فسألوه عن ذلك، قال: كلُّه كان بأمر الشيخ وإشارته. وكان هذا شأنه إلى ثلاثين سنة.

قال بعض أصحابه: سمعتُ أنَّه ختم القرآن ألفَ ختمةٍ، ثم بإشارة الشيخ أحرمَ إلى الزيارة المقدسة مشهد المقدسة رضوي رضوان الله تعالى على من حلَّ فيه، فلمَّا وصلَ بمشهد المقدسة وهبَ الله تعالى له خلعةً، ثم عزمَ إلى زيارة مزارات طُوس، ولمَّا كان عند قبر الشيخ أبي نصر السرَّاج رأى النبيَّ ﷺ في الرؤيا، وقال: غداً في طوس يَجيءُ عندك فقيرٌ عريانُ عظِّمْه، وعزِّزه، ولا تسجد له. فلما دخلَ طوس رأى بابا محمود الطوسي الذي كان مجذوباً في ذلك الزمان بالوصف الذي وصفه ﷺ، فلما رآه هبطَ على الأرض، ولفَّ نفسَه في لبَّادٍ، فوصل مولانا عنده، ووقف زماناً طويلاً، فكان يقولُ في نفسه: يا سيئَ الأدب، ألا تعظِّمْ لمن أمركَ النبيُّ ﷺ البارحة في تربة الشيخ أبي نصر السراج، وملائكةُ السماء يستحيون منه. فسلَّمَ عليه مولانا، فردَّ جوابه، وقال: اذهب، إن أولياء الله الذين في رُوذبار منتظرون قدومك.

وقيل: كان مولانا في كلِّ سنةٍ يُرسل واحداً إلى بابا محمود، ويُوصيه أن يكتبَ كلامَ بابا محمود، وإن لم يكن كلاماً يوافقُ أرباب العقول، لكنَّ مولانا يفهم مقصوده.

ولمَّا الخواجه محمد البارسا عزمَ إلى الحج مرَّةً أُخرى ذهبَ لزيارة تربة مولانا، وقال: في سفري الأول إلى الحجِّ كنتُ في صحبة الخواجه نقشبند، فلمَّا وصلنا في قرية هراة وتفرَّقتِ القافلة فرقتين، بعضُها أرادوا المشهدَ

(١) انظر الحاشية السابقة.

المقدّس الرّضوي وبعضها إلى هري، فذهبَ الخواجه نقشبند إلى هري، وقال: أُريدُ أن أصحبَ مولانا زين الدين أبو بكر التاثباذي. وكنتُ شاباً لا أعرف أحوال مولانا، فوصلتُ إلى المشهدِ، وكان الخواجه محمد يندمُ على هذا المعنى، فوصل الخواجه نقشبند بتاثباذ، وصلّى صلاةَ الصبح مع مولانا في الصف الأول، فجلس بطريق المُراقبة كما كان عادته، فلمَّا فرغَ مولانا من أوراده جاء عند الخواجه، وعانقه، وسأل عن اسمه، فقال: بهاء الدين. فقال مولانا: اربط لي نقشاً. فقال الخواجه: أنا جئتُ حتَّى آخذ منك نقشاً. فودَّاه في بيته، وتصاحبا ثلاثةَ أيام.

عزم واحدٌ من أصحاب الخواجه إلى الحجِّ، فوصاه الخواجه بزيارة مولانا زين الدين أبي بكر، وقال: إنه وصل بمقامٍ عالٍ من مقامات أرباب الطريقة والحقيقة بتقيّده بالشرع.

والشيخُ معين الدين الجُنيد المفسِّرُ صَنَّفَ كتاباً في شرح قبورِ شيراز[1]، كتب فيه[2]: مولانا روح الدين أبو المكارم محمد بن أبي بكر البلدي من مشاهير أهلِ الفضل والعلم، وكان مُتَّصفاً بالأوصاف الحميدة، والأخلاق الشريفة، وخدم الأُستاذين، وكان له أستاذٌ عال، وكان مشتغلاً بالتدريس في الجامع العتيق سنوناً كثيرة، وتوفي سنة سبعٍ وثمانين وسبع مئة، فبعد الممات رأيته في المنام، فقال: إن للعلماء درجات، فلا يكون بينهم وبين درجات الأنبياء فرقٌ إلاَّ بدرجةٍ واحدةٍ، فسألته: إن العلماء الذين كانوا في قيد الحياة، من يكونُ أقرب إلى الله تعالى ؟. قال: مولانا زين الدين أبو بكر التاثباذي. وكنتُ لا أعرفه، فلمَّا انتبهتُ من النوم سألت عنه الناس، فمن رآه في خراسان وصفه.

توفي رحمه الله تعالى، في منتصف النهار من يوم الخميس سلخ المحرم، سنة إحدى وتسعين[3] وسبع مئة.

* * *

---

(١) والكتاب هو: شدُّ الإزار في حطِّ الأوزار عن زوّار المزار.
(٢) شد الإزار ١١٩، ١٢٠.
(٣) في (ص): وسبعين.

(٥١٥) جلال الدين محمود الزاهد المَرْغابي(*)

مولانا جلال الدين محمود الزاهد المَرْغابي[١] رحمه الله تعالى، هو أيضاً في علم الظاهر من تلامذة مولانا نظام الدين الهروي، ومن مداومة طريق الشرع، واتِّباع السُّنة، كان له حظٌّ تامٌّ، ونصيبٌ وافٍ، وفي التقوى والورع، كان مجاهداً بليغاً.

وذُكر أنه استعملَ بعض آلات الوقف في زراعته، فلمَّا علمَ تصدَّقَ بمَا حصل[٢] من الزراعة على الفقراء والمستحقِّين.

ويوماً سلطان الهراة أَهدى إليه صُرَّةَ دنانير فما قبلَها، فقال حاملُ الصُّرة: إن أردُّها إلى السلطان يتعب، فالأولى أن تقسمَها على فقراء المدرسة. فقال الشيخ: أنت تودِّيها في المدرسة، من يقبلها أعطيه، لكن بشرط أن تقولَ لهم هذه الدَّراهمُ من السلطان. فما قبلها أحد.

توفي في شهر ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وسبع مئة، وقبرُه في مرغاب الهراة، رحمه الله تعالى.

* * *

(٥١٦) جمال الدين أبو يزيد البُوراني(**)

مولانا جمال الدين أبو يزيد البُوراني رحمه الله تعالى، كان عالماً وعاملاً، وببركة مُلازمة الشرع، ومواظبة السُّنة، حصلَ له مقام عالٍ، وحالٌ قوي، وكان أكثر الأوقات بعد أداء وظائف الطاعات يشتغل بكفاية مُهمات المسلمين

---

(١) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) المرغابي: نسبة إلى مَرغاب، قرية من قرى هراة. معجم البلدان. وفي (ب): المرغاني، وفي (ح): المرغاتي.

(٢) في (ب): تصدق بما علم من الزراعة.

(**) رشحات عين الحياة ١١٢ (جلال الدين).

والخلائق بأيِّ حاجةٍ يتوجَّه إليه كان ساعياً في قضائها، وإن كان التعلّق بأبناء الدنيا يَذهبُ بنفسه.

وكان لموعظته وكلامه أثرٌ عظيم، وإن وقعَ في كلامه تكرار، لكن كان مؤثراً، فمع وجودِ هذا ما كان له شيخٌ ظاهر، وكان أُويسياً.

ويقول: إذا وقعَ لي مشكلٌ أتوجَّهُ إلى روحانية النبي ﷺ، فيحلُّ النبي ﷺ ذلك المُشكلَ بلا واسطة.

وقيل: إنه يوماً طلب المشطَ من أصحابه، وقال: قال رسولُ الله ﷺ لأبي يزيد: «مشِّطْ لحيتَك غِباً»[1].

وصحب مولانا ظهير الدين الخلوتي، وكان مُعتقداً طريقه، لكنه ما أخذ منه الطريقة.

وبيته ما كان خالياً من الضيف، ويتكلَّفُ في طعام الضيف، وما كانَ له حاصلٌ إلا من بستانه، وزراعة مختصرة محقرة، ويوماً قال: أكثرُ الأوقات يظهرُ لي من يتوجَّه إليَّ من بيته، وقد يظهرُ عددُهم أيضاً، فمناسبُ حالهم، وقدرهم أطبخُ الطعام، فإذا وصلوا أحضرُ الطعام بلا انتظار.

وليلةً في مسجدٍ ختموا القرآن، وواحدٌ من الترك جاءَ بخبزٍ في المسجد، وقال: كلْ يا شيخ، هذا من وجه الحلال. فكسرتُ واحداً منه، فأكلتُ ربعه، فمن ذلك اليوم حُجبت عن ذلك الكشف، ولا يظهر عليَّ مجيئُهم، فيحصل لي تعبٌ ومشقَّة.

ويوماً ذهبت مع الجماعة لزيارته، وكان موسمَ العنب، فأدخلنا في بستانِ العنب، وذهب، فتفرَّجنا في بستانه، وأكلنا العنب، وواحدٌ من الجماعة قطعَ خصلة، فقال واحدٌ: مولانا ما رخَّصَ أن يَحملَ أحدٌ. وذكر قصَّةً وقعت من بعض العلماء: كان جماعةٌ ضيفَ بيته فأحضر السفرة، فأخذ منها واحدٌ من تلك

---

(١) لم أجده بلفظه، وروى أبو داود (١٥٩) في الترجل، والترمذي (١٧٥٦) في اللباس، باب ما جاء في النهي عن الترجل إلا غباً، والنسائي ٨/ ١٣٢ في الزينة، باب الترجل غباً، عن عبد الله بن مغفل أن رسول الله ﷺ نهى عن الترجل إلا غباً.

السفرة شيئاً للتبرك، فرفعَ الخادمُ السفرة، فقال لخادمه: لم لا نهيت عن المُنكر؟. فقال الخادم: ما رأيتُ منكراً. فقال: فلان أخذ شيئاً من السفرة، فردَّ عنده السفرة حتى يردَّ ما أخذَ من السفرة. فردَّ ما أخذ من السفرة. فجاء مولانا، وأحضر الطعام، وأكلنا، وطلبنا الدستور، فوقتَ خروجنا وقفَ على عتبة الباب، وقال: من رخَّص بدخول البستان رخَّص أن يأكل منه، ويحمل أيضاً، وما فعله العالم ما كان مُستحسناً، كان ينبغي أن يسامحه، ويعفو عنه.

ويوماً جماعةٌ ذهبوا لزيارته، فوقت الرجوع جاءَ في خاطرِ واحدٍ: إن كان له كرامةٌ فيعطيني قليلاً من زبيبٍ للتبرُّك. فلمَّا خرجنا من عنده نادى صاحبَ الخاطر، وقال: اصبرْ لحظةً. فجاء بطبقٍ من الزبيب، وأعطاه، وقال: العذر يا سيدي؛ لأنَّه ليس في بستاني زبيب.

وكنت يوماً أصلِّي المغربَ إلى جنبه، فرأيته مَغلوباً ومُستغرقاً، كأنَّه ما كان له خبرٌ، وفي القيام يربطُ بعضَ الأوقات اليد اليسرى على اليد اليمنى، ومرَّةً على عكسه.

توفي رحمه الله تعالى، ليلة الاثنين العاشر من ذي القعدة، سنة اثنتين وستين وثمان مئة، وقبره في بُوران.

* * *

(٥١٧) ظهير الدين الخلوتي(*)

مولانا ظهير الدين الخلوتي رحمه الله تعالى، كان جامعاً بين علم الظاهر والباطن.

قال مولانا زين الدين أبو بكر التاثباذي: لا أعرفُ أحداً تحت السماء أحسنَ من ظهير الدين.

وكان مُريدَ الشيخ سيف الدين الخلوتي، وصحبه خمسَ عشرةَ سنة، ومات

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

الشيخ سيف الدين في سنة ثلاث وثمانين وسبع مئة، وقبره في قبور الخلوتيين، على رأس جسر كازياركاه.

وقيل: إن الشيخ سيف الدين مريدَ الشيخ محمد الخلوتي إذا اشتغلَ بالذكر في خُوارزم يُسمع صوتُ ذكره إلى أربعة فراسخ.

وبهلوان محمود بكيار كان معاصره، وصحبه.

والشيخ ظهير الدين كان يقرأ القرآن للسبع، وقال: لما فرغتُ من قراءة القرآن عند الأستاذ، رأيت ليلةً النبيَّ ﷺ، وقال: يا ظهير الدين، اقرأ عليَّ القرآن. فقرأتُ القرآن عنده من أوله إلى آخره.

وقيل: إنه كان في اعتكاف الأربعين، وفيها أفطر أربع مرات بماء الحُبِّ[1] المفوّر، بعد كلِّ عشرةِ أيام مرةً واحدةً.

وقيل: إنه كان يذهب لزيارة قبور جسر كازياركاه، إذا تعدى من الجسر يَمشي حافياً، ويقول: أستحي من أولياء الله أن أحطَّ رجلي في النعلين، في مقابلة وجههم.

مات في تاريخ سنة ثمان مئة، وقبرُه في قبور الخلوتيين، في جوار قبر شيخه.

* * *

(٥١٨) بهاء الدين زكريا المُولْتاني(*)

الشيخ بهاء الدين زكريا المُولْتاني[2] قدَّس الله سرَّه، هو جلسَ للتدريس بعد تحصيلِ علوم الظاهر خمسَ عشرة سنة، وكلُّ يومٍ يحضر درسه سبعون من الفضلاء والعلماء.

---

(١) الحب: الجرّة.

(*) نزهة الخواطر ٢/ ١٦، مجمل فصيحي ٢/ ٣٣٥ وفيه: توفي زكريا بن محمد بن زكريا سنة ٦٦٤هـ.

(٢) المُولْتاني: نسبة إلى مُولْتان ـ وتسمى أيضاً مُلْتان، والنسبة إليها مُلْتاني ـ مدينة من نواحي الهند قرب غزنة. انظر معجم البلدان.

وعزم إلى الحجِّ، ووقت رجوعه من الحجِّ ووصوله إلى بغداد نزلَ في خانقاه الشيخ شهاب الدين السُّهروردي، وبايعه، وخدمه، وحصل له الكمال، والتكميل من بركة صحبته.

وكان شيخَ الشيخ فخر الدين العراقي، والأمير حسيني.

وبعد موته كان ولده الشيخ صدر الدين قامَ مقامه في مسند الإرشاد.

والأمير حسيني في كتاب «كنز الرموز»[1] مدحهما، وهو هذا:

شيخ الأقاليم السَّبع قاطبة قطبُ رَحى الأولياء والكَرمْ
منادمُ الكبرياء مفخر ذي الملّة نورُ الشَّرعِ[2] والظلمْ
مُظهرُ المنبع الذي ظهرَ الصدق به واليقين في الأمم
صارت به الهندُ[3] الخلد للملأ العشاق مثل الحجّاج في الحرم
ملت عن الخير والنقيض أي الشر بوجهي ولمْ تكن شيمي[4]
وإنما نلت ذاك عن سبب قبوله حيث كان من قسم
ومن رمى ملبس الوجود كما يخرجُ من وكرِه الحمام سم
كملجأ العالم المؤيد سلطان الزمان المنصوب كالعلم
فخر المصادير صدر دولتهم مقبول حق شأوه لم ترم

* * *

---

(١) كنز الرموز: فارسي منظوم لأمير حسين بن حسن الحسيني المتوفى سنة ٧١٨، مختصر في التصوف والأخلاق. كشف الظنون ١٥١٧.

(٢) في (ح): بدر الشرع.

(٣) في (ح): صارت به الخلد.

(٤) في (ب) و (ص):

ملت عن الخير والنيص أي الشر ترجهي ولم تكن سيم

(٥١٩) نظام الدين خالد الدِّهْلوي المعروف بالشيخ نظام الدين أولياء(*)

الشيخ نظام الدين خالد الدِّهْلوي المعروف بالشيخ نظام الدين أولياء قدَّس الله تعالى سرَّه، هو من مشاهير مشايخ الهند.

وبعد فراغه من تحصيل العلوم الدينية كان ليلةً في جامع دِهْلي[1]، ففي السَّحر قرأ المؤذنُ على المنارة هذه الآية: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، فلمَّا سمعها تغيَّرَ حاله، وظهرت الأنوارُ من كلِّ جانبٍ، فلمَّا أصبحَ عزم إلى صحبة الشيخ فريد الدين شكر كنج ـ يعني كنز السكر ـ بغير زادٍ وراحلة، وبايعه، ووصل ببركة صحبته بمرتبة الكمال والتكميل، فأجازه شيخُه لتكميل الناقصين، فرجعَ إلى دِهْلي واشتغلَ بتربية المُريدين، وتسليك السالكين، والشيخ حسن وخسر ودهلوي مريدُه.

لبس الشيخ نظام الدين الخرقةَ من الشيخ فريد الدين، وهو من الخواجة قطب الدين بختيار الكعكي، وهو من الخواجة مُعين الدين حسن السنجري، وهو من الخواجة عثمان الهاروني، وهو من الحاجي شريف الزندني، وهو من شيخ الإسلام قطب الدين مودود جشتي، رحمهم الله تعالى.

وقيل: إن رجلاً فقد براءةً مكتوباً فيها دراهم كثيرة، فجاء عند الشيخ نظام الدين، وذكر قصَّة فقدان البراءة، وأظهرَ الاضطراب والتحيُّرَ، فأعطاه الشيخ درهماً، وقال: اشترِ حلاوةً واقسمها بنيَّةِ روحانية الشيخ فريد الدين. فلمَّا اشترى الحلاوة لفَّها الحلواني في قرطاسٍ، وأعطاه، فلمَّا نظرَ إليها كانت براءتَهُ التي فقدَها.

وهذه قريبة من حكايةِ رجل أعطى واحداً مئة دينار بطريقِ القرض، وأخذ

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) دهلي: أكبر مدن الهند.

منه حجَّةً، فلمَّا جاء وقتُ المطالبة فما وجد الحجَّةَ، فجاء عند الشيخ بُنان الحمَّال، والتمس الدُّعاء، فقال الشيخ حمَّال: أنا رجلٌ شيخٌ كبيرُ السنِّ أحبُّ[1] الحلوى، فاشترِ رطلاً من الحلوى، حتى أدعوَ لك. فاشترى الحلوى ولفَّها في قرطاسٍ، وجاء بها عند الشيخ، فقال الشيخ: افتح الحلوى. فلمَّا فتحَ كان حجَّته، فقال الشيخ: خذ حجَّتك، واعط الحلوى لأولادك. فأخذها وذهب.

وقيل: كان رجلٌ تاجرٌ من مُلْتان[2]، وقطاعُ الطريق نهبوا ماله، وما بقي شيءٌ من رأس المال عنده، فجاء عند صدر الدين ولدِ الشيخ بهاء الدين زكريا، وطلبَ منه ورقةَ الشفاعة إلى الشيخ نظام الدين الدهلوي، فكتبَ الشيخ صدر الدين شفاعةً إلى الشيخ نظام الدين، فلمَّا دخلَ عند الشيخ نظام الدين، وأعطاه مكتوبَ الشيخ صدر الدين، نادى الشيخُ خادمَه، وأمره: غداً من أول النهار إلى وقت الضُّحى كلُّ ما يجيء[3] من الفتوح حقُّه، سلِّمه له. ففي الصبح جلس الخادمُ في المكان، وما جاءَ من الفتوح سلَّمه له إلى وقت الضحى، فجاء من الفتوح بالحساب اثنا عشر ألف درهم، وأخذَها وذهب.

ويوماً أرسل السلطان علاء الدين محمدُ شاه الخلجي متزراً مرصَّعاً بالجوهر واللؤلؤ بطريق الهدية، وكان هناك قلندرٌ جالسٌ، فقال: يا أيها الشيخ، الهدايا مشتركةٌ. فقال الشيخ: إن كانت لواحدٍ أحسن. فحصل اليأس للقلندر، ورجع، فقال الشيخ: تعال خذه، كان مقصودي أحسنَ لك لا لي. فلمَّا أرادَ أن يحمله ما كان له قوةٌ على حمله، فأمر الشيخ خادمَه أن يُعينه.

وكان يوماً يتوضَّأُ فأراد أن يُسرِّح لحيته، وكان مشطه على طاقة، وما كان عنده أحد، فجاء المشطُ من مكانه إلى يدِ الشيخ.

* * *

---

(١) في (ص): إن رجلاً شيخاً كبير السنِّ أحبُّ.
(٢) انظر الحاشية (٣) صفحة (٧٩٦).
(٣) في (ب): كلما يأتي.

(٥٢٠) أبو عبد الله الصومعي (*)

الشيخ أبو عبد الله[1] الصومعي قدَّس الله سرَّه، هو كان من كبار مشايخ جيلان، ورؤساء زهَّادهم، وكان له حالٌ عالٍ، وكراماتٌ ظاهرة، وصحبَ مشايخ العجم.

وكان مُستجاب الدعوة، وإذا غضبَ على أحدٍ ينتقمُ الله تعالى منه، وكلُّ ما يُريد يُعطيه الله تعالى، ويخبرُه بما يقع.

خرج بعضُ أصحابه لقصد التجارة، فلمَّا وصلوا قربَ سمرقند جاءَ السُّرَّاقُ لنهبهم، فجماعةٌ منهم نادوا الشيخ أبا عبد الله، فرأوا الشيخَ قائماً بينهم، ويقول: سبُّوحٌ قدُّوس، ربُّنا الله، اذهبوا. فجميع السُّرَّاق تفرَّقوا، ولا يقدرُ أحدٌ منهم أن يحفظَ عنانَ فرسه، فخلَّصهم الله تعالى من شرِّهم، فبعد ذلك طلبوا الشيخ فما وجدوه، فلمَّا رجعوا جيلان قصُّوا قصَّتَهم على أصحابه، قال أصحاب الشيخ: ما غابَ الشيخُ من عندنا.

* * *

(٥٢١) محيي الدين عبد القادر الجيلي (**)

الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي قدَّس الله سرَّه[2]، كنيته أبو محمد،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ح): عبيد الله.

(**) المنتظم ١٠/ ٢١٩، الكامل في التاريخ ١١/ ٣٢٣، مرآة الزمان ٨/ ١٦٤، المختصر في أخبار البشر ٣/ ٤٣، المستفاد من تاريخ بغداد ٣٠٤، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٣٩، العبر ٤/ ١٧٥، دول الإسلام ٢/ ٥٤، المشتبه ١/ ١٣٦، فوات الوفيات ٢/ ٣٧٣، مرآة الجنان ٣/ ٣٤٧، الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٨، البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٢، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٠، تبصير المنتبه ١/ ٢٩٥، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧١، كشف الظنون ٦٢٢، ٨٧٩، ١٢٤٠، ١٧٣٨، طبقات الشعراني ١/ ١٢٦، الكواكب الدرية ٢/ ٢٥٣، شذرات الذهب ٤/ ١٩٨، إيضاح المكنون ١/ ٢٥٧، ٣٧٦، و ٢/ ١٦٣، ٢٦٠، هدية العارفين ١/ ٥٩٦. وقد ألفت كتب عديدة في سيرته منها: «بهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر» للشطنوفي، و «قلائد الجواهر» للتادفي.

(٢) في هامش (ح) ما نصه: ترجمة سلطان الأولياء وتاج الأصفياء، شيخنا وسيدنا الشيخ =

وهو علويٌّ حُسيني، حفيدُ أبي عبد الله الصومعي من جانبِ الأم، واسمُ أُمّه أُمُّ الخير، أمةُ الجبّار فاطمةُ بنت أبي عبد الله الصومعي.

قالت: لمَّا ولد ولدي عبدُ القادر ما شربَ اللبنَ في نهارِ رمضان، ويوماً غُمَّ هلالُ رمضان من غيمٍ، فسألوني، قلتُ: اليومَ ما شربَ عبدُ القادر اللبن، فكان رمضان.

ولادته في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة، ومات في سنة إحدى وستين وخمس مئة.

قال الشيخ عبد القادر: كنتُ صغيراً، فيومَ عرفة، خرجتُ إلى الصحراء، فأخذتُ الثور للحراثة، فحوَّلَ وجهَه إليّ، وقال: **يا عبد القادر**[1]، **ما لهذا خُلقتَ، ولا بهذا أُمرتَ**. فخفتُ ورجعت، فطلعتُ على سطح البيت، فرأيتُ الحُجَّاج قائمين في عرفات، فذهبتُ عند أمي، وقلت: أعتقيني في سبيل الله، وأْذَنِي لي حتى أذهبَ إلى بغداد، وأقرأ العلم، وأزورَ الصلحاء. فسألتني عن سببه، فأخبرتها، فبكت، وقامت، وأخرجت ثمانين ديناراً كانت من ميراث أبي، فأربعين خلَّيتُها لأخي، وأربعين خيَّطتُها في ثوبي تحت إبطي، وأذنتْ لي في السفر، وعاهدتني على الصدق في جميع الأحوال، وخرجتْ لوداعي، وقالت: يا ولدي، قطعتُ بأني لا أراك إلى يومِ القيامة.

فأنا خرجت مع قافلةٍ قليلة إلى بغداد، فلمَّا تعدَّينا همذان خرجَ ستُّون فارساً، وأخذوا القافلة، ولا تعرَّضَ أحدٌ لي، فمرَّ عليَّ واحدٌ منهم، وقال: يا فقير، هل عندك شيء؟. قلت: أربعون ديناراً. قال: أين هي؟. قلت: مخيَّطة في ثوبي، تحت إبطي. فظنَّ أنه استهزاءٌ، فخلاّني، فجاء واحدٌ غيرُه، فردَّيتُ الجوابَ مثله، فوصلا إلى رئيسِ القوم، فما سمعاه مني ذكراه عند الرئيس، فناداني، وكان قائماً على أرضٍ مُرتفعةٍ، يُقسمُ مالَ القافلة، فقال الرئيس: ما عندك؟. قلت: أربعون ديناراً. قال: أين هي؟ قلت: مخيطة في ثوبي، تحت إبطي. فأمرَ واحداً، فقطَّع ثيابي، ووجدوا ما قلت، فقال: لِمَ اعترفتَ

= عبد القادر الكيلاني قدس سره العزيز.

(١) في (ب): يا عبد الله.

بهذا ؟. قلتُ: أمي أخذتْ مني الميثاقَ بالصدق، فلا أخونُ ما عاهدتُ عليه أُمِّي. فبكى الرئيس، وقال: كم سنين أنا أخونُ عهدَ الله تعالى ؟!. فتابوا جميعاً على يديّ، وما أخذوه من القافلة ردُّوه كلّه، فكان أوّل التائبين على يديّ هؤلاء.

ووصل بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربع مئة، فاشتغل بالجدِّ في تحصيلِ العلم، فأوّلاً قرأ القرآن، ثم الفقه والحديث، والعلوم الأدبية، ومن كان هناك من الأقران حصل للشيخ التفوُّقُ عليهم، وصار مُتميِّزاً على أهل زمانه، وفي سنة إحدى وعشرين وخمس مئة جلس في مجلس الوعظ، وكان له كراماتٌ ظاهرة، وحالٌ ومقامٌ عالٍ.

وفي «تاريخ الإمام اليافعي»[1] رحمه الله تعالى: وأمّا كراماته ـ يعني الشيخ عبد القادر ـ رضي الله عنه، فخارجةٌ عن الحصر، وقد أخبرني من أدركتُ من أعلام الأئمة أن كراماتِه تواترتْ أو قربتْ من التواتر، ومعلومٌ بالاتفاق أنّه لم يظهر ظهورُ كراماته لغيرِه من شيوخ الآفاق كرامة.

وقال الشيخ عبد القادر: جلست إحدى عشرة سنة في برجٍ، وعاهدتُ الله تعالى لا آكل شيئاً إن لم يُطعمني أحدٌ، ولا أحطُّ لقمةً، ولا أشربُ ماء إن لم يَسقني، فمرةً ما أكلتُ شيئاً إلى أربعين يوماً، فبعدها جاء واحدٌ بالطعام، ووضعه قدامي وذهب، وكان قريب أن تقع نفسي على الطعام من الجوع، فقلتُ: واللهِ، لا أخونُ العهد. فسمعت صوتاً خرجَ من باطني يقول: الجوع، الجوع. فمرَّ عليَّ الشيخ أبو سعيد المُخَرِّميُّ[2] رحمه الله تعالى وسمعَ هذا الصوت، وقال: يا شيخ عبد القادر، ما هذا ؟. قلت: هذا قلقٌ واضطرابٌ من نفسي، لكنَّ روحي مستقرةٌ في مشاهدة الحق. وقال الشيخ أبو سعيد: تعالَ إلى بيتي. وذهبَ، فقلت في نفسي: لا أخرجُ من هذا المكان. فدخل أبو العباس الخضرُ عليهم السلام، وقال: قم، واذهب عند أبي سعيد. فذهبتُ فرأيتُه قائماً على بابه مُنتظراً مجيئي، وقال: يا عبد القادر، ما كان كافياً ما قلتُ لك، حتى

---

(١) مرآة الجنان: ٣/ ٣٥٦.

(٢) في الأصول: المخزومي، والمثبت من قلائد الجواهر صفحة ٤، ٥ نسبة إلى محلة المخرّم ببغداد.

قال لك الخضرُ عليه السلام ؟ ! فأدخلني البيتَ، وأحضرَ الطعام، ووضعه[1] لقمةً لقمةً في فمي حتى شبعت، فألبسني الخرقةَ، ولزمت صحبته.

والشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي رضي الله عنه لبسَ الخرقةَ من يد الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المُخَرِّمي، وهو لبسها من يد الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي الهكاري[2]، وهو لبسها من يد الشيخ أبي الفرج الطَّرَسوسي، وهو من يد الشيخ أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز اليمني، وهو من يد الشيخ أبي بكر الشبلي قدَّس الله تعالى أرواحهم.

وقال الشيخ عبد القادر: كنت في سفرٍ فجاء عندي واحدٌ، وما رأيته أبداً، فقال: تريد الصحبة ؟. قلت: نعم. فقال: بشرط أن لا تخالفني. قلت: لا أُخالفك. فقال: اقعد هنا حتى أجيء. فبعدَ تمام السنة جاء، وأنا كنتُ في ذلك المكان، فجلسَ ساعةً وقام، وذهب، وقال: لا تذهب حتى أرجعَ، فمضى. فبعد سنةٍ جاء، فوجدني هناك، فجلسَ ساعةً، وقام، وذهب، وقال: لا تذهب من هنا. فمضت سنةٌ أُخرى، فجاء، وكان عنده خبزٌ ولبن، وقال: أنا الخضر، أُمرتُ أن آكل معك طعاماً. فأكلنا، فقال: قم واذهبْ إلى بغداد. فدخلنا في بغداد.

* * *

(٥٢٢) حمَّاد الدَّبَّاس[*]

الشيخ حماد الدباس رحمه الله تعالى، هو من جملة مشايخ الشيخ محيي الدين عبد القادر، وكان أُمّياً، وفُتح عليه بابُ المعارف والأسرار، وصار قدوة المشايخ الكبار.

---

(١) في (ب): ووضع.

(٢) في (ص): البكاري.

(*) المنتظم ١٠/ ٢٢، الكامل ١٠/ ٦٧١، مرآة الزمان ٨/ ١٣٨، ٢٦٤، العبر ٤/ ٦٤، مرآة الجنان ٣/ ٢٤٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ١٥٢، طبقات الشعراني ١/ ١٣٥، كتاب زيارات الشام ١١، الكواكب الدرية ٢/ ٤٠٤، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٧٠، الزيارات ٧٧، شذرات الذهب ٤/ ٧٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٤٠٩.

وكان الشيخُ عبد القادر شابًا في صحبته، فيوماً كان جالساً بطريقِ الأدبِ، فلمَّا قامَ، وخرجَ، قال الشيخُ حماد: هذا العجميُّ قدمُه على رقبةِ أولياءِ وقته، ويكونُ مأموراً أن يقول: قدمي هذه على رقبة كلِّ وليٍّ لله. فتضع جميعُ أولياء الله رقابَهم.

توفي الشيخ حماد رحمه الله في شهر رمضان سنة خمسٍ وعشرين وخمس مئة.

قال واحدٌ من علماء الشام اسمه عبد الله[1]: ذهبتُ إلى بغداد في طلب العلم، وكان رفيقي ابن السقَّاء، وكنتُ في نظَّامية بغداد مَشغولاً بعبادة الله، وأزورُ الصُّلحاء، وفي تلك الأيام كان في بغداد رجلٌ، يقولون إنه الغوث، ويقول الناسُ: أيَّ وقتٍ يُريد يغيبُ عن نظرِ الناس، وأيَّ وقتٍ يريدُ يظهرُ لعيونِ الناس، فأنا، وابن السقَّاء، والشيخ عبد القادر ـ وكان شاباً ـ قصدنا زيارةَ الغوث، فقال ابنُ السقَّاء في الطريق: أنا أَسألُهُ مسألةً لا يعرفُ جوابَها. وأنا قلتُ: أسألُهُ مسألةً أنظر كيف يردُّ جوابي. قال الشيخ عبد القادر: معاذَ الله أنْ أسألَه شيئاً، بل أذهبُ عنده، وأكونُ منتظراً لبركاته. فلمَّا دخلتُ عليه ما وجدتُهُ في مكانه، فكان ساعة، فرأيتُه جالساً مكانه، فنظر إلى ابن السقَّاء بنظرِ الغضب، وقال: ويحك يا ابن السقَّاء، تَسألني مسألةً لا أعرفُ جوابَها ؟! والمسألة هذه، وجوابُها هذا. وقال: رأيتُ نارَ الكفر أحاطتْ بك. ثم نظرَ إليَّ وقال: يا عبد الله، تسألني مسألةً، وتكونُ منتظراً حتى أردَّ الجوابَ ؟! فقال: إنَّ المسألةَ هذه، وجوابُها هذا، ولو أحاطتْ بك الدنيا إلى أُذنيك فقد عملتَ سوءَ الأدب. ثم نظرَ إلى الشيخ عبد القادر، وقال: ادنُ منِّي. وعزَّزَهُ، وقال: يا عبد القادر، جعلتَ الله تعالى، ورسولَه راضياً عنك بحفظ الأدب، وكأنِّي أنظرُ إليك، طلعتَ المنبرَ في بغداد، وتقول: **قدمي هذه على رقبة كلِّ وليٍّ لله**،

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي، ابن أبي عصرون، فقيه شافعي، من أعيانهم، ولد بالموصل سنة ٤٩٢، وانتقل إلى بغداد، واستقرَّ بدمشق، فتولَّى بها القضاء، له تصانيف، توفي سنة ٥٨٥. انظر الكواكب الدرية ٢/ ١٩٥، ٣١٤.

ورأيتُ جميعَ أولياءِ الله تضعُ الرَّقبةَ لإجلالك وإكرامك. فغابَ تلك الساعة، فما رأيتُهُ أبداً، وما قاله في حقِّ الشيخ عبد القادر وقعَ كما هو.

وابنُ السقاء كان مُشتغلاً في تحصيل العلم، فغلبَ على أقرانه، فأرسله خليفةُ الوقت برسالةٍ إلى ملك الروم يُباحث مع علماء النَّصارى، فألزمهم، فجاء في نظرِ السُّلطان فعظَّمه وأكرمه، وكانت لملك الروم بنتٌ، فعشقها، فخطبها، فقال الملك: بشرط أن تدخلَ في دين النصارى. فقبل فتزوَّجَ البنتَ، فتذكَّرَ ابنُ السقاء كلامَ الغوث، وفهمَ ما وقعَ فيه إلاَّ بسببه.

وأنا لمَّا ذهبتُ دمشقَ، فنورُ الدين الشهيد ولأني على الأوقافِ بالإكراه، ورجعتِ الدُّنيا إليَّ، فما قاله الغوثُ في حقِّي وقعَ كلُّه.

والشيخُ عبد القادر كان يوماً في رباطه يعظُ الناس، وكان عامَّةُ المشايخ قريبٌ من خمسين نفراً حضور، ومن جملتهم الشيخ علي الهيتي، والشيخ بقاء بن بطو، والشيخ أبو سعيد القيلوي، والشيخ أبو[1] نجيب السُّهروردي، والشيخ جاكير، وقضيب البان الموصلي، والشيخ أبو السعود، وغيرهم من المشايخ الكبار، وكان الشيخ عبد القادر يتكلَّمُ، وفي أثناء الكلام قال: **قدمي هذه على رقبة كلِّ وليٍّ لله**. فالشيخ عليٌّ الهيتي طلع المنبر وأخذ قدم الشيخ ووضعها على رقبته، ودخل في ذيل الشيخ، وسائر المشايخ وضعوا رقابهم.

قال الشيخ أبو سعيد القيلوي: لمَّا قال الشيخ عبد القادر: **قدمي هذه على رقبة كلِّ وليٍّ لله**، تجلَّى الله تعالى على قلبه، وحضرَ النبيُّ ﷺ مع طائفة من الملائكة المقرَّبين بمحضر من الأولياء المتقدِّمين، والمتأخِّرين، الأحياء بالأجساد، والأموات بالأرواح[2]، فألبسَهُ النبيُّ ﷺ الخلعة، والملائكة ورجال الغيب حافِّين به صفوفاً في الهواء، وعلى وجه الأرض، وما كان وليٌّ من أولياءِ الله إلا وضع رقبته.

وقال بعضهم: كان واحدٌ من أولياء الله في العجم، وما تواضع للشيخ، فسلبَ اللهُ تعالى حاله.

---

(١) كذا في الأصول.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: الأحياء بالأرواح، والأموات بالأجساد.

(٥٢٣) صدقة البغدادي(*)

الشيخ صدقة البغدادي رحمه الله تعالى.

تكلَّم الشيخُ صدقة يوماً كلاماً مخالفاً لظاهر الشرع، فذكروه عند الخليفة، فأحضروه، فأمر الخليفة بتعزيره، فلمَّا كشفوا رأسَه صاح خادُمه: واشيخاه. فشُلَّت يدُ قاصد الضرب، واستولى على الوزير هيبتُهُ، فلمَّا شاهدَ الخليفةُ ذلك استولى عليه حالٌ أيضاً، ففكَّه.

فدخلَ الشيخ في رباطِ الشيخ عبد القادر، فرأى النَّاسَ والمشايخ منتظرين لخروج الشيخ، حتَّى يخرجَ، ويتكلَّمَ مع الناس، فخرجَ الشيخُ، وطلعَ على المنبر، وسكتَ، وما أمر قارئاً أن يقرأ شيئاً، لكنَّه حصلَ لأهل المجلس وجدٌ عظيم، وحالٌ قوي، فقال الشيخُ صدقة في نفسه: ما قال الشيخُ شيئاً، وأيضاً ما قرأ شيئاً، وما هذا الوجد للشيخ عبد القادر؟. فالتفتَ إليه، وقال: يا هذا، واحدٌ من مريدي جاء بخطوةٍ واحدةٍ من بيت المقدس، وتابَ على يدي، والحاضرون في ضيافته. قال الشيخ صدقة في نفسه: من يجيءُ من بيت المقدس بخطوةٍ واحدةٍ إلى بغداد؟ من أيِّ شيءٍ يتوبُ، وليس له حاجةٌ بالشيخ؟ ثم التفتَ الشيخُ إليَّ، وقال: يا هذا، هو يتوبُ حتى لا يطيرَ في الهواء مرَّةً أخرى، وله حاجةٌ إليَّ أنْ أهديَه طريقَ محبَّةِ الحقِّ.

* * *

(٥٢٤) سيف الدين عبد الوهاب(**)

الشيخ سيف الدين عبد الوهاب، هو ولد الشيخ عبد القادر.

كان يقول: ما كان هلالٌ من الشهر يهلُّ إلا يجيء عند أبي قبل أن يهلَّ، وإن

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) قلائد الجوهر ٤٢.

قدَّر اللهُ تعالى فيه شرٌّ وسخطٌ ونحس فيظهر بصورة قبيحة، وإلا بصورة حسنة.

كان الشيخ مجتمعاً مع أصحابه في آخرِ نهارِ الجمعة سلخ جُمادى الآخرة سنة ستين وخمس مئة، فدخل شابٌّ صاحب حُسْنٍ، وقال: السلام عليك يا وليَّ الله، أنا شهرُ رجب، جئت أُخبرك أنه ما قدَّرَ اللهُ تعالى فيَّ شرًّا. فما رأوا فيه شرًّا بل خير، ويومَ الأحد سلخَ رجب كان الشيخ جالساً، فدخل شخصٌ كريهُ المنظر، وقال: السلام عليك يا وليَّ الله، أنا شهر شعبان، جئت أُخبرك قد قدَّر الله تعالى فيَّ موتَ الخلائق، وفناءَ الخلقِ في بغداد، وغلاءً في بلاد الحجاز، وقتلاً وحرباً في خراسان. فلمَّا رأوا هلالَ شهر شعبان وقعَ ما ذكره عند الشيخ، ومرض الشيخ في شهر رمضان أياماً، فيومَ تاسع العشرين منه اجتمعَ المشايخُ عنده، مثل الشيخ علي الهِيتي، والشيخ [أبي] نجيب الدين السُّهروردي، وغيرهما، فدخل واحدٌ، وقال: السلام عليك يا وليَّ الله، أنا شهر رمضان، جئت عندك للعذر بما قدَّر الله تعالى عليك فيَّ، وهذا آخرُ الاجتماع بك، فذهب، فمات الشيخ في ربيع الآخر قبل رمضان.

ويوماً كان الشيخ يتكلَّمُ مع الناس، والشيخ علي الهِيتي كان جالساً في مقابلته، فغلبَ عليه النوم، فقال الشيخُ لأهل المجلس: اسكتوا. ونزل من المنبر، ووقف بالأدبِ عند الشيخ علي الهِيتي، وكان ينظرُ إليه، فانتبه الشيخُ علي، فقال الشيخ: رأيتَ النبيَّ ﷺ؟ قال: نعم. فقال الشيخ: أنا كنت قائماً بالأدب له. فسأله الشيخ: بما وصَّاكَ النبيُّ ﷺ؟ قال: وصَّاني بملازمة حرمتك. فسألوه عن معنى قول الشيخ: كنت قائماً بالأدب، فقال الشيخ علي الهيتي: ما رأيته في المنام، رأيته في اليقظة.

والشيخ علي الهيتي قُدِّس سرُّه كان من مشايخ البطائح، ومن جملة كراماته أنَّه من ذكره عند توجه الأَسد إليه انصرفَ عنه، ومن ذكره في أرضٍ مبقاة اندفع البقُّ عنه بإذن الله تعالى.

* * *

(٥٢٥) عبد الرحمن الطفسونجي (*)

الشيخ أبو محمد عبد الرحمن الطفسونجي رحمه الله تعالى.

قال يوماً على المنبر، وكان في طفسونج من توابع بغداد: **أنا بين الأَولياء كالكُرْكي بين الطيور، أطولُهم عنقاً.**

والشيخ أبو الحسن علي بن أحمد من أصحاب الشيخ عبد القادر، حضر في مجلسه من قرية خية من نواحي بغداد، وقام ورمى الجبَّة، وقال: خلِّني أُصارعك. فسكت الشيخ عبد الرحمن، وقال لأصحابه: ما رأيتُه خالياً من عنايةِ الله تعالى قدرَ رأسِ شعرةٍ. وقال: البس جبَّتك. فقال: ما خرجتُ عنه لا أرجعُ إليه. فتوجَّه إلى قرية خية، وصاحَ على زوجته: يا فاطمة، هاتِ الثياب، ألبسها. فسمعته زوجتُه من قرية خية، فاستقبلته بالثياب.

وقال الشيخ عبد الرحمن له: من شيخُك؟. قال: شيخي عبد القادر. فقال: ما سمعت ذكر الشيخ عبد القادر إلاَّ في الأرض، اليوم أربعين سنةً كنتُ في دركاتِ باب القدرة قطُّ ما رأيته أبداً.

وقال لبعض أصحابه: اذهبوا إلى بغداد عند الشيخ عبد القادر، وقولوا له: الشيخ عبد الرحمن يسلِّمُ عليك، ويقول: أنا اليوم أربعين سنة في دركاتِ باب القدرة ما رأيتُك أبداً لا داخلاً ولا خارجاً. والشيخ عبد القادر ذلك الوقت أمرَ بعضَ أصحابه: اذهبوا بطفسونج، وفي الطريق يلاقيكم أصحابُ الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي واصلين إليّ بطريق الرسالة، فأرجعوهم، فإذا وصلتم بالشيخ عبد الرحمن قولوا له: عبد القادر يسلِّمُ عليك[1]، ويقول: **أنت في الدركات، ومن هو في الدركات لا يرى من هو في الحضرة، ومن هو في الحضرة لا يرى من هو في المخدع، وأنا في المخدع أدخلُ وأخرجُ من باب**

(*) قلائد الجواهر ١٠٤، طبقات الشعراني ١/١٤٦، الطبقات الصغرى للمناوي ٤١٠، جامع كرامات الأولياء ٢/٥٦.

(١) في (ب): يسلم عليك السلام.

السرّ من حيث لا تَراني، بأمارة أن أخرجتُ لك الخلعة الفلانية، في الوقت الفلاني، على يدي خرجت لك، وهي خلعة الرضا، وبأمارة خروج التشريف الفلاني، في الليلة الفلانية لك، على يدي خرج لك، وهو تشريفُ الفتح، وبأمارة أن أخلع عليك في الدركات بمحضرٍ من اثني عشر ألف وليٍّ لله سبحانه خلعَة الولاية، وهي فرجية خضراء، طرازها سورة الإخلاص، على يدي خرجت. فلقوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن في الطريق، فأرجعوهم، وودُّوا الأمانة إلى الشيخ عبد الرحمن، قال: **صدقَ الشيخُ عبد القادر، هو سلطان الوقت، وصاحبُ التصرف فيه.**

جاء تاجر عند الشيخ حمّاد، وقال: **تجهزتُ قافلةً إلى الشام، ولي بضاعةٌ بسبع مئة دينار.** فقال الشيخ حمَّاد: **إن تذهب في هذه السنة يُنهب مالك، وتُقتل.** فخرج من عنده مغموماً، ودخل عند الشيخ عبد القادر، فقصَّ القصة، فقال الشيخ عبد القادر: **اذهب ترجع بالسلامة، ويربح مالك، والتضمين عليَّ.** فسافر ذلك الشخص إلى الشام، وباع البضاعة بألف دينار، ويوماً دخل سقايةً لقضاء الحاجة، وحطَّ تلك الدراهم في طاقةٍ، ونسيها، وخرج، وجاء منزله، فغلب عليه النوم، فرأى في النوم كأنَّه في قافلة، وجاء قطَّاعُ الطريق، ونهبوا مال القافلة، وقتلوهم، وهذا الرجل أيضاً قتلوه، فانتبه من هيبة الرُّؤيا، فوجد أثرَ الدم على رقبته، وحسَّ ألم الضرب، فجاءَ في خاطره: نسيتُ ألفَ دينار، فتعجَّلَ، وذهب إلى السقاية، فوجد الدراهم في المكان الذي خلاّها، فلمَّا رجعَ إلى بغداد تردَّدَ في خاطره: من أزور أولاً ؟، الشيخ حماد؛ لأنه أكبر، أو أَزور الشيخ عبد القادر؛ فإنَّه صدق كلامه، فرأى الشيخَ حمَّاد في السوق، وقال الشيخ حماد: **زرِ الشيخ عبد القادر؛ لأنَّه صدق كلامه، ولأنَّه سبع عشرة مرَّةً التمسَ من الله تعالى حتَّى بدَّل الله تعالى ما كان فيه، فتلكَ في اليقظة في النوم، وما كان فيه تلفُ المال بدَّله الله بالنسيان.** فدخل على الشيخ عبد القادر، فقال عنده ما قاله الشيخ حماد، فقال الشيخ عبد القادر: **بالله، ثم بالله، طلبت من الله سبع عشرة مرة، وسبع عشرة مرة، وسبع عشرة مرة، إلى سبعين مرَّة، حتى [ما] وقعَ لك ما قاله الشيخ حماد.**

قال الشيخ شهاب الدين السُّهروردي قدَّس الله سرَّه: كنتُ مشتغلاً بعلمِ الكلام في أيام الشباب، وحفظتُ كتباً في ذلك الفن، وكان عمِّي يَمنعني عنه، فدخلَ عمِّي يوماً عند الشيخ عبد القادر، وأنا كنتُ معه، وقال لي: كن حاضراً نذهب عند الرجل الذي قلبُه يخبر من عند الله، وكن منتظراً لبركات نظره. فلمَّا جلسنا قال عمِّي: يا سيدي، هذا ولدُ أخي عمر مشغولٌ بعلم الكلام، وكلَّما أمنعه لا يسمعُ كلامي. فقال الشيخ: يا عمر، أيُّ الكتبِ حفظتَ؟. قلت: الكتاب الفلاني، والفلاني. فوضع يده على صدري، والذي[1] نفسي بيده، ما بقي واحدةٌ منها في قلبي، وأنساني اللهُ جميعَ مسائل تلك العلوم، لكنَّه ملأ صدري من العلم اللَّدنّي. وقمتُ من عنده، ولساني ناطقاً بالحكمة، وقال: يا عمر، أنت آخر المشهورين بالعراق.

* * *

(٥٢٦) أبو عمر الصَّرِيفِيني(*)

الشيخ أبو عمر الصريفيني قدَّس الله سرَّه.

قال: كنتُ في بداية الحالِ في صَرِيفِين[2] ليلةً مستلقياً، وأنظر إلى السماء، فرأيت خمس حمامات مارَّاتٍ في الهواء، قالت إحداهن: سبحان من عنده خزائنُ كلِّ شيء، وما يُنزِّلُه إلاّ بقدرٍ معلوم. وقالت ثانية: سبحان من أعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى. وقالت ثالثة: سُبحان من بعثَ الأنبياء حجَّةً على خلقه، وفضَّلَ عليهم محمداً ﷺ. وقالت رابعتهن: كلُّ ما في الدنيا باطلٌ، إلاَّ ما كان لله ورسوله. وقالت خامستهن: يا أهل الغفلة عن مولاكم، قوموا إلى ربّكم، ربٌّ كريم يُعطي الخيرَ الجزيل، ويغفرُ الذنب العظيم. فلما رأيتُهن وسمعتهنَّ غبتُ عن نفسي، فلمَّا أفقتُ زالَ حبُّ الدنيا وما فيها من قلبي مرةً

---

(١) في (ص): وقال: والذي.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي. وفي المطبوع الفارسي: أبوعمرو.

(٢) صريفين: قريتان: قرية من أعمال واسط، والثانية قرية من أعمال بغداد. انظر معجم البلدان (صريفون)، واللباب صريفيني.

واحدةً، فلمَّا أصبحتُ عاهدتُ الله أن أستلمَ لشيخٍ يهديني إلى الله تعالى، فذهبتُ ولا أعلمُ إلى أين أذهب، فاستقبلني شيخٌ نوراني، ذو هيبةٍ ووقار، وقال: السلام عليك يا عثمان. فردَّيتُ جواب سلامه فأقسمتُ عليه: من أين علمتَ اسمي وما رأيتُك أبداً؟. قال: أنا الخضر، وكنتُ عند الشيخ عبد القادر، فقال عبد القادر: يا أبا العباس، أمس حصلَ لرجلٍ جذبةٌ، وقبولٌ في صَرِيفِين، وجاء له النداء من سبع سماوات: مرحباً بك عبدي، وعهده أن يستلم لشيخ، فاذهب عنده، وائتِ به عندي. فقال لي الخضر عليه السلام: **يا عثمان[1]، عبد القادر سيد العارفين، وقبلة الوافدين، في هذا الوقت، فعليك بملازمة خدمته، وتعظيمِ حرمته**. وما شعرت إلا رأيتُ نفسي في بغداد، وغاب عنِّي الخضر عليهم السلام، وإلى سبع سنين كنت في خدمته، قال الشيخ عبد القادر: **مرحباً بمن جذبه مولاه إليه بألسنةِ الطير، وجمعَ له كثيراً من الخير**، يا عثمان، عن قريب من الزمان[2] يرسل الله تعالى إليك مريداً اسمه عبد الغني بن نقطة، ومرتبته تكون أرفعَ وأعلى من أكثر أولياء الله تعالى، والله تعالى يُفاخرُ به ملائكته. فوضع على رأسي طاقية، فوصل برودتُها إلى الدماغ، ومن الدماغ إلى القلب، فكُشف لي عالمُ الملكوت، فسمعت العالم وما فيه يسبحون الله تعالى باختلاف اللغات، وبأنواع التقديسات، فخشيتُ أن يزولَ عقلي، وكان على يد الشيخ قطنٌ، فضربني به، فاستقرَّ عقلي، فبعد هذا أجلسني في الخلوة، والله ما ظهر عليَّ شيءٌ إلا قال الشيخ قبل أن أقولَ عنده، وعلَّمني كلَّ ما حصل لي حال ومقام قبل الحصول، وأخبرني أخباراً كثيرة، فظهرت بعد ثلاثين سنة، وكان بين لبسي الخرقة من الشيخ وإلباسي لها للشيخ عبد الغني بن نقطة خمس وعشرون سنة[3]، وكان حالُ ابن نقطة كما أخبرني الشيخ.

قال رجل من العلماء: دخلتُ عند الشيخ عبد القادر، وكنت شاباً، وكان

---

(١) في المطبوع الفارسي: يا أبا عمرو.

(٢) في (ص): قريب من يومين.

(٣) في الأصل خمسة وعشرين.

معي كتاب من علم الفلاسفة، قبل أن يسألني قال: يا فلان، بئس الرَّفيقُ كتابُك هذا، قم فغسله. فعزمت لما أن أقوم من عند الشيخ أضع ذلك الكتاب في البيت، وما أحمله أبداً، وما سامحت نفسي على غسله؛ لأنه كان فيه فوائد كثيرة، وكنتُ أحبُّه، فأردتُ أن أقوم بهذه النية، فنظرَ الشيخ إليَّ، فزالت قوتي عن القيام، كأني صرتُ مُقعداً، فقال: أعطني كتابك. ففتحتُه، فرأيت جميعَ أوراقه بيضاء، ما عليها حرفٌ واحد مكتوب، فأعطيتُ الشيخ، فحول أوراقه، وقال: هذا كتاب في فضائل القرآن. وأعطاني، فرأيته كتاباً في فضائل القرآن العظيم بخطٍّ مليح، فقال: تبتَ[1] ممَّا تقول في اللسان ولا يكون في القلب؟. قلتُ: تبتُ. قال: قم. فقمتُ، وما حفظتُ من ذلك الكتاب نسيتُهُ كلَّه، من يومئذ وإلى الآن ما جاءَ في خاطري.

حضر أبو المعالي مجلسَ الشيخ يوماً، وفي أثناء المجلس حصلت له حقنةٌ عظيمة منعتْهُ الحركة، فنظر إلى الشيخ بطريق الاستغاثة، فنزلَ الشيخُ من المنبر درجةً، وفي الدرجة الأولى ظهر رأسٌ مثلُ رأس الإنسان، فنزل درجة أخرى، فظهر لذلك الرأس كتفٌ وصدر، وهكذا كلَّما ينزل درجةً يكمل صورته، حتى صارت تلك الصورة مثلَ صورة الشيخ، ويتكلَّم بصوتٍ عالٍ مثل صوت الشيخ، وكلامُه مثلُ كلام الشيخ، وما رأى ذلك أحدٌ إلا ذلك الشخصُ، ومن شاء الله تعالى، وجاء الشيخ، ووقف على رأسه، وغطَّى رأسه بكمِّه ومنديله، فوجدَ ذلك الشخصُ نفسَه في صحراء، فرأى ماء جارياً، وعلى طرف الماء شجرةٌ، وكان معه مفاتيحُ، فعلَّقها في الشجرة، واشتغل بقضاء الحاجة، فلمَّا فرغَ توضَّأ، وصلَّى ركعتين، فالشيخُ رفعَ الكمَّ والمنديل عن رأسه، فرأى ذلك الرجلُ نفسَه في مجلس الشيخ، ووجد أعضاءَ الوضوء مبلولة، واندفع تقاضاه، والشيخ كان متكلِّماً بكلام وكأنه ما نزل من المنبر، وكان ساكتاً، وما قال عند أحدٍ، فطلب المفاتيحَ وما وجدها، وبعد مدةٍ مديدةٍ عزم إلى بلاد العجم، فمشى أربعة عشر يوماً، فنزلتِ القافلة في صحراء، وكان هناك ماء جار، فقامَ

(١) في (ب): تب.

ذلك الرجلُ يتوضَّأ، فرأى هذه الصحراء تشابه تلك الصحراء التي[1] توضأ فيها، والماء يشابه ذلك الماء، فذهب إلى الموضع الذي توضَّأ فيه ذلك اليوم، فوجد تلك الشجرة، ورأى المفاتيح معلقةً بها، فلمَّا رجع إلى بغداد، وذهب إلى الشيخ حتى يذكر تلك القصة، فأخذ الشيخ أذنه، وقال: يا أبا المعالي، لا تقول هذه القصة في حياتي عند أحدٍ.

خرج الشيخ يوماً مع جماعةٍ من الفقهاء والفقراء لزيارة القبور، وقام زماناً طويلاً على قبر الشيخ حماد رحمه الله تعالى حتى اشتدَّ حرُّ الهواء، فرجع، وكان على وجهه سرورٌ، فسألوه عن سبب التوقف على قبرِ الشيخ حماد، قال: إن يومَ الجمعة كنتُ أذهبُ إلى مسجد الجامع مع الشيخ حماد وأصحابه، فلمَّا وصلنا على جسرٍ فالشيخ حماد ضربني، ودفعني في الماء، وكان بارداً شديدَ البرد، وكان على يدي كرَّاسٌ، فرفعت يدي حتى لا تبتلَّ تلك الأجزاء، وخلّوني، وذهبوا فخرجتُ من الماء، وعصرتُ الجبّة، وذهبت على عقبهم، وكنت برداناً قوياً، فلمَّا وصلتُ إليه فأصحابه ابتدؤوا الكلام، فمنعهم، وقال: أنا آذيته حتى أمتحنه، وكان جبلاً لا يتحرَّكُ من مكانه. فقال الشيخ: اليومَ رأيتُه في قبره لابساً حلَّةً مرصعةً بالجواهر، وعلى رأسه تاجٌ من ياقوت، وفي يده سوار من ذهب، وفي رجليه نعلين[2] من ذهب، لكنَّ يدَه اليمنى مُعطَّلةٌ لا يقدرُ أن يجمعها. قلت: ما هذا ؟. قال: هذه يدي التي رمتك في الماء، وأنت تقدر أن تسامحني ؟ قلت: نعم. فقال: تسألُ الله حتى يردَّ يدي. فسألتُ الله تعالى، وخمسةَ آلاف ألف أولياء الله من أهل القبور سألوا حتَّى ردَّ الله تعالى يده، فبذلك اليد صافحني.

فلما انتشر هذا الكلام في جميع بغداد اجتمعَ أصحابُ الشيخ حمَّاد حتى يتحققوا كلام الشيخ في حقِّ الشيخ حماد، فدخلوا في مدرسة الشيخ، ولم يقدر أحدٌ أن يتكلَّمَ مع الشيخ من هيبته وعظمته، فقال الشيخ: أتختاروا اثنين من

---

(١) في (ص) و (ب): الذي

(٢) كذا في الأصل.

المشايخ حتى يتحقَّقوا ما قلت. فاختاروا الشيخ يعقوب بن يوسف بن أيوب الهمذاني، وكان في تلك الأيام في بغداد، والشيخ أبو[1] محمد عبد الرحمن بن شعيب الكردي قدَّس الله تعالى أرواحهم، وكان في بغداد، وكلاهما كانا من أرباب الكشف، وأصحابِ الحال، فقالوا: أمهلنا[2] إلى جمعةٍ أُخرى حتى ننظر ما يجيء على لسانهما. فقال الشيخ: لا تقوموا من مكانكم حتى تتحقَّقوا هذا الأمر. فنكس الشيخُ الرَّأسَ، وهم أيضاً نكسوا الرأس، فسمعوا صوتاً من خارج المدرسة، فالتفتوا، فإذا الشيخ يوسف جاء مستعجلاً، فلمَّا دخل المدرسة قال: إن الله تعالى شاهدٌ على الشيخ حماد، وقال: يا يوسف، أسرع، واذهب، وتقول للجماعة يصدقوا[3] ما قال الشيخ عبد القادر. وقبل أن يفرغ الشيخ يوسف من كلامه دخل الشيخ عبد الرحمن الكردي، وقال كما قال الشيخ يوسف.

سُئل الشيخ عبد القادر: ما كان سببُ لقبكم محيي الدين؟ قال: إن يوم الجمعة من بعض السياحات دخلتُ بغداد، فمررتُ برجلٍ حافٍ، مريض، متغيِّرِ اللون، هزيل، قال: السلام عليك يا عبد القادر. فردَّيتُ جواب سلامه، وقال: ادنُ مني. فقرَّبتُ منه، فقال: أجلسني. فأجلسته فنما جسدُه، وحسنت صورتُه، وصفا لونه، فخفت منه، فقال: أتعرفني؟. قلت: لا. قال: أنا دين الإسلام، صرتُ هكذا كما رأيتني أولاً، فالله تعالى أحياني بك، وأنت مُحيي[4] الدِّين. فخلَّيتُه، وذهبت المسجد، فاستقبلني رجل، ووضع النعلين قدامي، وقال: يا شيخ محيي الدين. فلمَّا فرغتُ من صلاة الناس من جميع الجوانب، توجَّهوا إليَّ، وقبَّلوا رجلي، ويدي، وهم يقولون: يا محيي الدين. وقبل هذا ما لقَّبني أحدٌ قط.

قال واحدٌ من المشايخ: كنتُ أنا والشيخ علي الهيتي في مدرسة الشيخ

---

(١) كذا في الأصل.
(٢) في (ب): فقالا: أمهلنا.
(٣) في (ب): صدقوا.
(٤) في (ص): وأنت تحيي.

عبد القادر، فجاء واحدٌ من أكابرِ بغداد عند الشيخ، وقال: **يا سيدي، قال جدُّكَ رسول الله ﷺ: «من دُعِيَ فليُجب»**[1]، **وها أنا دعوتُكَ إلى منزلي**. قال: **إن أعطاني الأذنَ أجيء**. فنكسَ الرَّأسَ ساعةً، وقال: أجيء. فركبَ البغلةَ، والشيخ علي الهيتي أخذَ ركابَ يمينه، وأنا أخذتُ ركابَه اليسرى، فلمَّا وصلنا إلى داره كان المشايخُ، والعلماء، وأعيانُ أهل بغداد كلُّهم مجتمعون، وكان سِماطٌ كبيرٌ، فيه أنواعُ الطعام، وكان سلَّةٌ مغطَّاةٌ حملها رجلان، ووضعاها آخر السماط، فقال صاحبُ الدعوة: الصلاة. والشيخ منكِّسُ الرأس، ما أكلَ شيئاً، وما أذن لأحدٍ أن يأكل، وأهلُ المجلس[2] **كأن على رؤوسهم الطير من هيبته**، فأشارَ الشيخُ إليَّ، وإلى علي الهيتي: قرِّبوا إليَّ تلك السلة، فقمنا وجئنا بها، ووضعناها عند الشيخ، وقال: افتحا رأسَها. ففتحناها، فكان فيها ولدٌ لصاحبِ الدعوة أكمهَ، أبرصَ، مجذوماً، مفلوجاً، فقال الشيخ: **قم بإذن الله تعالى معافًى**. فقام ذلك الصبي، وذهب، كأنه ما كان به هذه الأمراض، فقامَ الغوغاءُ واللغط، فخرجَ الشيخُ في تلك الزحمة، وما أكلَ شيئاً، فذهبت عند الشيخ أبي سعيد القيلوي، وقصصتُ عليه هذه القصة، قال: **الشيخُ عبد القادر يُبرِىءُ الأكمه، والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله**.

جاءت يوماً عجوز عند الشيخ عبد القادر، وكان معها ولدٌ، وقالت: رأيت لولدي تعلُّقاً بك، وأنا أبرأتُ عن ذمته حقي، فاقبله لله تعالى. فقبله، فالشيخ حسبةً لله تعالى، فأمره بالرياضة[3] والمجاهدة، وبعد أيامٍ جاءت عند الولد، فرأته يأكلُ خبزَ الشعير، وصار هزيلاً، أصفرَ اللون من قلَّةِ الطعام، وقلَّةِ المنام، فدخلت عند الشيخ عبد القادر، ورأت في صحنٍ عظمَ الدجاج وقد

---

(١) لم أجده بلفظه، وقد روى مسلم في صحيحه (١٤٣١) في النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، وأبو داود (٣٧٤٢) في الأطعمة، باب ما جاء في إجابة الدعوى، والترمذي (٧٨١) في الصوم، باب ما جاء في إجابة الدعوى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعي أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم».

(٢) في (ب) و(ص): وأهل المجلس كانوا هكذا كأن.

(٣) في (ب): عن ذمته حقي لله تعالى، فقبله الشيخ، وأمره الشيخ بالرياضة.

أكلَهُ الشيخ، فقالت العجوز: يا سيدي، أنتَ تأكلُ لحم الدجاج، وولدي يأكلُ خبز الشعير؟! فوضعَ الشيخ يده على عظام الدجاج، وقال: **قومي بإذن الله الذي يُحيي العظامَ، وهي رميم**. فالدَّجاجُ صارَ حيًّا وصاح، فقال الشيخ لها: إذا كان ولدُك مثلَ هذا، يأكلُ ما اشتهَتْ نفسُه.

قال رجل من المشايخ اسمه عمر: كنتُ في خلوةٍ، فشُقَّ عليَّ الجدار، وخرجَ رجلٌ كريهُ المنظر، قلت: من أنت؟. قال: إبليس، جئت لخدمتك. قلت: ما خِدمتك؟. قال: أعلِّمُكَ جلسة المُراقبة. وجلسَ القرفصاء، ورأسه مُنكّس، فلمَّا أصبحتُ ذهبتُ عند الشيخ عبد القادر حتى أذكر عنده، فلمَّا صافحته أخذَ يدي قبلَ أن أتكلَّمَ بشيءٍ، فقال: **يا عمر، صَدَقَكَ، وهو كذوب**، بعد هذا لا تقبلْ منه شيئاً أبداً. وكان جلسةُ الشيخ عمرَ أربعين سنة هكذا.

كان يوماً الشيخ يتكلَّمُ على الناس، فجاءَ المطرُ، فتفرَّقَ بعضُ الناس، فالشيخُ رفعَ الرأس، وقال: أنا أجمعُ، وأنت تُفرِّقُ. فسكنَ المطرُ عن المجلس، ويمطرُ في خارجه.

قال واحدٌ من مُريدي الشيخ: كنتُ أذهبُ مع الشيخ إلى مسجدِ الجامع، فما التفتَ أحدٌ إلى الشيخ، وما سلَّمَ أحدٌ عليه، فقلتُ في نفسي: هذا عجب[1]، في كل جمعةٍ كنَّا نذهبُ بالمشقَّةِ من الزحمة. فقبلَ أن يتمَّ هذا الخاطرُ نظرَ إليَّ مُتبسِّماً، فالخلقُ توجهوا إليه، وسلَّموا عليه، فحصل الزحمة حتى حصلَ المفاصلةُ بيني وبين الشيخ من كثرة الخلقِ، فقلتُ في نفسي: الحالُ الأولُ كان أحسنَ من هذا. فالتفتَ إليَّ، وقال: أنت أردت، ما علمتَ أنَّ قلوبَ الخلائقِ على يدي، وإن أُريدُ أقلِّبُ قلوبَهم، وإنْ أُريد أَجذبُ قلوبَهم.

قال واحدٌ من المشايخ: كنتُ مدَّةً أتمنَّى الاجتماع برجالِ الغيب، فرأيتُ بالرؤيا ليلةً أني أزورُ الإمام أحمد بن حنبل، وكان قربَ قبره رجلٌ، فجاء في خاطري: هذا الرجل يكون من رجالِ الغيب، فلمَّا انتبهتُ، عزمتُ لزيارة الإمام أحمد بنِ حنبل لرجاء أن أجده، فوجدتُه، فعجَّلتُ الزيارة، فخرج ذلك الرجل

(١) في (ب): عجيب.

قبلي، فذهبت على أثره، فلمَّا وصلَ دجلةَ اتَّصل جانبا الدجلة، فصار قدر خطوة واحدة، فتعدَّى، فحلفت عليه، وقلت: قفْ حتَّى أتكلَّمَ معك. فقامَ، فقلت: بأيِّ مذهبٍ أنت؟. قال: حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين[1] فجاء في خاطري: هو في مذهب الحنفي، فرجعتُ، وقلتُ في نفسي: أذهب أذكره عند الشيخ عبد القادر، فدخلتُ مدرسته، ووقفت على باب داره، فصاحَ من داخلِ الدار، وقال: من المشرقِ إلى المغربِ ليس أحدٌ من أولياء الله حنفيَّ المذهبِ إلاَّ هو.

وقال واحدٌ من مُريدي الشيخ: كنتُ في خدمة الشيخ، وأسهرُ طولَ الليل، فليلةً خرجَ الشيخُ، فجئته بإبريق الماء، فما التفتَ إليه، فتوجَّه إلى باب المدرسة، وفتح بابَ المدرسة، فخرج، وأنا على عقبه أذهب، وكان ظنِّي أنه لا يعلمُ أنِّي معه، فلمَّا وصلَ بابَ قلعة بغداد ففتحَ باب القلعة، وخرجَ وأنا خرجتُ معه، فغلَّق الباب، فمشى قليلاً، ووصل بمدينة لا أعلمُ أيَّ بلادٍ هي، ثم دخل رباطاً كان فيه ستةُ أنفار جالسين، فاستقبلوه، وسلَّموا عليه، وأنا أخفيت نفسي وراء أُسطوانة الرباط، فخرجَ من جانب الرباط صوتٌ وأنين، فسكتَ ذلك الأنين، فدخل رجلٌ وذهبَ إلى ذلك الجانب، فخرج كأنه حاملاً[2] لأحدٍ على كتفه، ودخلَ رجلٌ مكشوفُ الرأس، وشاربُه طويل، وجلس قدَّام الشيخ، فعلَّمه الشهادتين، وحلقَ شعر رأسه، وقصَّ شاربه، وألبسه طاقية، وسماه محمداً، وقال لهؤلاء الستة: أنا مأمورٌ أن أبدِّلَ هذا الرجل مكانَ ذلك الميت. فقالوا: سمعاً وطاعة. فخرج الشيخُ وخلاَّهم، وأنا خرجتُ في عقبه، فذهبتُ قليلاً، ووصلتُ بغداد، ففتح الباب مثل الأول، فوصلنا على باب المدرسة، ففتح بابها، فدخلَ الشيخ في بيته، فصباحه ذهبتُ عنده حتى أقرأ الدَّرس، فاستولى عليَّ هيبتُهُ، لا أقدرُ أن أقرأ شيئاً، قال الشيخ: يا ولدي، اقرأ. فحلفتُ عليه وقلت: بيِّنْ لي ما جرى في هذه الليلة. فقال:

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران: ٦٧: ﴿حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾.

(2) كذا في الأصول.

كان ذا لمدينة نهاوند، وهؤلاء الستة كانوا من الأبدال، والميتُ كان رئيسَهم، ومن خرج حاملَ الميت كان الخضر عليهم السلام، ومن علَّمتُ الشهادتين كان يهودياً من قسطنطينية، وأنا كنتُ مأموراً أن أبدّله مكانَ ذلك الميت، فجاؤوا به، وأسلمَ على يدي، وكان يوماً يتكلَّمُ الكلام، ومشى خطواتٍ في الهواء، وقال: يا إسرائيلي، قفْ واسمعْ كلام المحمَّدي. فلمَّا رجعَ مكانه سألوه: ما كان هذا ؟. فقال: مرَّ الخضرُ مستعجلاً على مجلسي، فخطوت خطوة إليه، وقلت ما سمعتم.

قال خادم الشيخ: كان على الشيخ خمسين ومئتا[1] دينار أحمر دينٌ من جهة الضيافة، فيوماً دخل رجلٌ ولا يعرفه منَّا أحدٌ، وما طلبَ الإذن، ودخل على الشيخ، وجلسَ عنده، وتكلَّمَ كلاماً، فوضع عنده قليلاً من الدراهم، وقال: هذا لأداءِ الدين. وذهبَ، فأمرني الشيخ أن أعطي صاحبَ الدين، وقال: هذا صيرفي القدرة. قلتُ: ما صيرفي القدرة ؟. قال: مَلَكٌ يُرسله الله، يؤدِّي ديونَ أولياءِ الله تعالى.

* * *

(٥٢٧) بقاء بن بطو(*)

الشيخ بقاء بن بطو رحمه الله تعالى.

قال: كنتُ يوماً في مجلس الشيخ عبد القادر الجيلاني حاضراً، وكان يتكلَّمُ على درجة المنبر الأُولى، فقطعَ الكلام، وسكتَ ساعةً، فنزلَ على الأرض، ثم طلعَ على المنبر، وجلس على الدرجة الثانية، وأنا أُشاهده، ففسحتِ الدرجةُ الأولى له مدَّ البصر، وفُرش فرشٌ من سُندسٍ أخضر، وجلس النبي ﷺ مع أصحابه، وتجلَّى اللهُ تعالى على قلبِ الشيخ عبد القادر حتى مالَ، وكاد أن

---

(١) كذا في الأصول.

(*) قلائد الجواهر ١٠٥، طبقات الشعراني ١/ ١٤٧، الكواكب الدرية ٢/ ٢٣٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٦٧.

يخرَّ، فأخذه ﷺ فصارَ صغيراً مثلَ العصفور، ثم كبرَ على صورة مَهيبةٍ هائلةٍ، ثم غُطي عني.

وسألوه عن رؤية النبي ﷺ، وأصحابه، قال: بتأييد الله تعالى له قوةٌ أن يتشكَّلَ بصورة الأجساد، وبوصف الأعيان، وينظرُهُ من أعطاه اللهُ قوةَ رؤية الأرواح، وصورة الأجساد، وصفات الأعيان. ثم سألوه عن سببِ تمايل الشيخ، وصَيرورته صغيراً وكبيراً، قال: التجلِّي الأول كان بالوصف الذي لا يحمله البَشرُ إلاَّ بتأييد النبيِّ ﷺ، ولهذا كان قريب أن يخرَّ الشيخُ إن لم يأخذه النبيُّ ﷺ، وكان التجلِّي الثاني بصفةِ الجلال، فلهذا ذابَ الشيخُ، والتجلِّي الثالثُ كان بصفة الجَمال، ولهذا كبر الشيخ، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

* * *

(٥٢٨) قضيب البان الموصلي(*)

الشيخ قضيب البان الموصلي قدَّس الله سرَّه، كنيته أبو عبد الله.

وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في بعض رسائله: رأيتُ بعضَ هذه الطائفة روحانيتَهم تتجسَّدُ وتتمثَّل بصورةٍ جسمانية، ويمرُّ عليها الأفعال والأحوال، ويحسبُها الحاضرون صورةً جسمانية، ويقولون: رأيتُ فلاناً يفعلُ كذا وكذا. وهو مبرَّأٌ من الأفعال، وهذا أكثرُ ما شاهدته من هذه الطائفة، ورأيته في المعاينة، وهكذا كان حال أبي عبد الله الموصلي، وكان يعرف بقضيب البان، فلا يَنبغي لأحدٍ أن يُنكره؛ لأن أسرار الله تعالى في أفراد العالم كثيرة، ولا يدركه بقوة العقل.

قال الشيخ عبد الله اليافعي رحمه الله تعالى: إنه أخبرني واحدٌ من العلماء: كان فقيرٌ لا يرى أن يُصلِّي الصلاة، فيوماً أُقيمت الصلاة، وهو كان جالساً،

(*) قلائد الجواهر ١١٨، ١١٩، الكواكب الدرية ٢/٢٧٦، جامع كرامات الأولياء ١/٣٩٠ ذكره باسمه حسن.

فقال له الفقيهُ من الإنكار: قم، وصلِّ مع الجماعة. وقام، ونوى نيَّةَ تكبيرة الأُولى، وصلَّى معهم ركعةً واحدةً، والفقيهُ المُنكرُ كان على جنبه، ثم قامَ إلى الركعة الثانية، فنظرَ الفقيهُ إليه، فرأى غيرَه يُصلِّي بجنبه، فتعجَّب منه، وفي الركعة الثالثة رأى واحداً غيرَهما كان يصلي معه، وفي الركعة الرابعة كان يُصلِّي غيرُهم، فلمَّا سلَّم السلامَ رأى الذي كان صلَّى معه في أولِ الركعة جالساً، وليس لهذه الثلاثة أثرٌ، فنظرَ الفقيرُ إليه، وضحك، فقال: يا فقيه، من صلى معك من هذه الأربعة ؟.

قال عبد الله اليافعي: مثلُ هذه القصة سمعتُ وقعتْ من قضيب البان رحمه الله تعالى، كان قاضي الموصل مُنكراً على قضيب البان، فرأى القاضي يوماً جاء قضيب البان قدَّامه في بعض الأزقَّةِ، فقال في نفسه: آخذه، أو أذهب به إلى الملك، وأُعلمُهُ حالَه. فتمثَّلَ قضيبُ البان بصورةِ كرديٍّ، فلما تجاوز قدراً فظهر بصورة أعرابيٍّ، فلمَّا دنا منه ظهر بصورةِ فقيهٍ، وقال: يا قاضي، أيَّ قضيبِ البان تذهبُ به عند الدَّولة للسياسة ؟. فتابَ القاضي على يده، وأخذ يده.

وذُكر عند الشيخ عبد القادر أنَّ قضيبَ البان لا يُصلِّي، قال: لا تقولوا، هو على الدَّوام ساجدٌ على باب الكعبة.

* * *

(٥٢٩) محمد الأواني المعروف بابن القائد(*)

محمد الأواني المعروف بابن القائد قدَّس الله سرَّه.

وذكر الشيخ ابن عربي في «الفتوحات المكية»[1]: كان الشيخ عبد القادر يقولُ له: مُعربد الحضرة. ويقول: محمد بن القائد من المفردين.

(*) التكملة لوفيات النقلة ١/٩٦، سير أعلام النبلاء ٢١/١٩٥، الفتوحات المكية ٢/١٩، الوافي بالوفيات ٤/٣٥٢، المشتبه ١٠٦٥، توضيح المشتبه ١/٢٧٩، و ٧/١٤٧، الكواكب الدرية ٢/ ٢٨٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٢، وانظر مصادر ترجمته الخطية في حاشية السير.

(١) الفتوحات المكية ٢/ ١٩.

قال صاحب «الفتوحات المكية»: إن المفردين جماعةٌ خارجون عن دائرةِ القطب، والخَضِرُ عليه السلام منهم، ونبيّنا ﷺ قبل البعثة كان منهم.

قال ابن القائد: مررتُ عن كلِّ شيءٍ، وتوجَّهتُ إلى الله تعالى، فوجدتُ أثرَ القدمِ قدّامي، فغرت منه، فقلت: لمن هذا القدم؟ لأنه كان اعتقادي لا يكون أحدٌ أسبقَ منّي. قالوا: أثرُ القدمِ هذا من نبيِّكَ محمد ﷺ. فاطمأنَّتْ نفسي.

* * *

(٥٣٠) أبو السعود بن الشبل (*)

أبو السعود بن الشبل رحمه الله تعالى، هو أيضاً من أصحاب الشيخ محيي الدين عبد القادر.

وذكر ابن عربي في «الفتوحات المكية»: سمعتُ من صدوقٍ وثقة أنَّ الشيخ أبا السعود كان إمامَ وقته.

قال أبو السعود: كنتُ على ساحل دجلة بغداد فخطرَ ببالي: أيكونُ للهِ عبادٌ يعبدونه في البحر؟ فقبل أن يتمَّ هذا الخاطر شُقَّ البحر، وظهر رجلٌ، وقال: يا أبا السعود، لله عبادٌ يعبدونه في البحر، وأنا منهم، وأنا رجل من تكريت، فخرجت من هناك. ثم قال: بعد خمسةَ عشرَ يوماً في المكان الفلاني تقعُ الحادثةُ. فلمّا مضى خمسةَ عشرَ يوماً وقعَ تلك الحادثة كما قاله.

وذكر في «الفصوص»: قال أبو السعود: عند المريدين اليوم خمس عشرة سنة أعطاني الله تعالى تصرُّفاً في الممالك، وأنا لا أتصرَّفُ. فسأله ابن القائد: لِمَ لا تتصرف به؟. قال: خلَّيتُ التصرف لله، هو يتصرَّفُ كما يشاء.

قال الشيخُ ركن الدين علاء الدولة رحمه الله تعالى: يوماً كنتُ ماشياً في القبور، متوجِّهاً إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل، وكان هناك محلٌّ يقولُ الناس إنه قبر وليٍّ، وفي نفسي إنه ليس كذلك، وكنتُ أذهبُ إليه وأزوره، فيوماً كنتُ

(*) الفتوحات المكية ٢/ ١٩، الكواكب الدرية ٢/ ٢٠٨، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٤.

متوجِّهاً، وكان في الطريق قبةٌ عتيقةٌ خربةٌ، وما كان لي علمٌ أن هناك قبراً[1]، فيوماً تعدَّيتُ، فخرجتْ من تلك القبة إشارةٌ: أين تذهب ؟ تعالَ زرني. فرجعتُ، ودخلتُ في القبة، فحصل لي انبساطٌ وانشراح، فرأيت روحَه تكلِّمني، فقال: عِشْ في هذه الحياة كما عشتُ. قلتُ: كيف عشتَ ؟. قال: ما يجيءُ من عند الله أقبله. قلت: إن كان يكون قابلَ القبول أقبله. فقال: اليوم يحصل[2] لك شيءٌ اقبله. قلتُ: أقبله. فلمَّا دخلت المدينة، ذكرت هذه القصة عند الشيخ نور الدين عبد الرحمن، قال: أتعرفُ من في القبة ؟. قلت: لا. قال: يقال له أبو السعود، وكان له طريقٌ عجيب، ما جاءَ من عند الله[3] لا يردُّه أبداً، ولا يطلبُ شيئاً من أحد، ويلبسُ اللِّباس النفيس، ويأكلُ الطعام المتكلَّف.

يوماً دخل واحدٌ عنده، ورأى عمامته تُساوي مئتي دينار، فقال في نفسه: ما هذا الإسراف ؟ بثمن عمامته يمكن أن يجعل لمئتي فقيرٍ لباساً، فلم يُعممها واحداً[4] ؟. فالشيخ أبو السعود أشرفَ على خاطره، قال: يا فلان، أنا ما عمَّمتُ هذه العمامة بنفسي، وإن تُريد أنت ـ بسم الله ـ تودِّيها وتبيعها، واجعل للفقراء مائدة. فأخذَ ذلك الرجلُ، وذهب، وباع، وجاء بالسفرة تتكلَّف، وجاءَ وقتُ صلاة العصر عنده، فرأى تلك العمامة على رأس الشيخ، فتعجَّبَ، قال الشيخ أبو السعود: ما يُعجبك ؟ تسأل عن فلان الخواجة من أين اشترى هذه العمامة ؟ فسأله، فقال الخواجه: في العام كنت في السفينة فخرجَ الريحُ المخالف، فنذرتُ إن خرجنا[5] بالسلامة أُهدي عمامةً نفيسةً للشيخ، فالآن لي ستَّةُ أشهرٍ كنت طالباً مثلَ هذه العمامة، فما لقيتُ كما أَردتُ أنا، فاليوم رأيتُ في دكَّان فلان، فجاء في خاطري: هذا لائق بالشيخ، فاشتريتُ،

---

(١) في (ص): أن هناك يكون قبر أو تراب.
(٢) في (ص): التزم يحصل.
(٣) في (ب): ما كان من عند الله.
(٤) في (ب): فلم يعم لواحد.
(٥) في (ب): إن خرجت.

وأهديت للشيخ. فقال الشيخ: رأيتَ، أنا ما أُعمِّمُ، بل يُعمِّمُ على رأسي غيري.

ومثلُ هذا روايات كثيرة.

* * *

(٥٣١) أبو مدين المغربي(*)

الشيخ أبو مدين المغربي قدَّس الله سرَّه، اسمه شعيب بن الحسين، أو الحسنُ[1]، من أجِلَّة هذه الطائفة، وأكثرُ المشايخ من خدمته وتربيته وصلوا على مقامٍ عالٍ، ومنهم الشيخ محيي الدين ابن عربي، وفي مُصنَّفاته ذكرَه كثيراً، ونقل عنه معارفَ الحقائق كثيراً.

وقال الإمام اليافعي: أكثرُ مشايخ اليمن تصحُّ النسبة إلى عبد القادر، وبعضهم ينسبون إلى أبي مدين، أحدُهما من المغرب، والآخر من المشرق، يعني الشيخ عبد القادر الجيلاني من المشرق، والشيخ أبو مدين من المغرب رضي الله عنهما، ونفعنا بهما.

وذكر الشيخ ابن عربي في «فصوص الحكم»[2]: قال بعضُ الأَبدال لبعض المشايخ: قل لأبي مَدين سلامي، وقلْ له: ما السَّببُ لا يكونُ مشكلاً عليَّ شيءٌ ويشكلُ عليك أشياءُ كثيرة؟، ومع هذا أنا راغبٌ في مقامك، وأنت ليسَ براغبٍ في مقامي.

(*) التكملة ٢٠١٥، التشوف إلى رجال التصوف ٣١٦، الذيل والتكملة ٤/ ١٢٧، عنوان الدراية ٢٢، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢١٩، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٦٣، مرآة الجنان ٣/ ٤٦٩، روض الرياحين (الحكاية ٤٥٦)، طبقات الأولياء ٤٣٧، قلائد الجواهر ١٠٨، طبقات الشعراني ١/ ١٥٤، البستان ١٠٨، نيل الابتهاج ١٢٧، الكواكب الدرية ٢/ ٢٣٧، نفح الطيب ٧/ ١٣٦، شذرات الذهب ٤/ ٣٠٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٩، كشف الظنون ٨٤، إيضاح المكنون ١/ ١٣٣، هدية العارفين ١/ ٤١٧، شجرة النور الزكية ١٦٤، دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٣٩٩، وقد خصَّ ابن قنفذ أبا مدين وأصحابه بكتابه: «أنس الفقير وعز الحقير» طبع في الرباط سنة ١٩٦٥.

(١) في (ص): والحسين. وهناك خلاف في المصادر حول اسم أبيه حسن أم حسين.

(٢) فصوص الحكم ١/ ١٢٦. (الفصل الثالث) حكمة ملكية في كلمة لوطية.

ذكر الشيخ في «الفتوحات»[(١)]: قال ابن عربي: سمعتُ من واحدٍ من أولياء الله تعالى، وكان من هذه الطائفة أنه قال: رأيتُ في المنام إبليسَ، فسألته منه: كيف كان حالُكَ مع الشيخ أبي مدين الذي هو إمامٌ في التوحيد، ومتوكّل؟. قال: إنْ أُلقي في خاطره شيءٌ يكون مثلي مثلَ الذي يبولُ في البحر المحيط، وإن يُسأل: لِمَ بلتَ في البحر؟ يقول: حتى يَنْجُسَ البحر، ولا يجوز الوضوء منها. فيكون أحدٌ أحمقَ منه؟! فهكذا أنا إذا أُلقي في خاطره شيء.

وأيضاً مذكور في «الفتوحات»[(٢)]: إن الخلقَ يُقبّلون يدَه تيمناً وتبرُّكاً، فسألوا[(٣)] منه: أنت تحسُّ من نفسك أثراً منه؟. قال: الحجرُ الأسود يحسُّ أثراً ويخرج من الحجرية، وقبّله الأنبياء والرسل والأولياء؟ قالوا: لا. قال: أنا الحجر الأسود، وحكمي حكمه.

ويوماً الشيخُ أبو مدين في بعض ديار المغرب وضعَ رقبته، وقال: اللهم، إنِّي أُشهدك، وأُشهدُ ملائكتك أنني سمعتُ وأطعت. فسألوا منه أصحابه: ما كان سببُ هذا؟. قال: إن الشيخ عبد القادر قال في بغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فبعد هذا جاء بعض أصحاب الشيخ عبد القادر من بغداد، فسألوه، فأخبرهم أن الشيخ قال هكذا، في وقت كذا.

كان الشيخ أبو مدين كلَّما سمع هذه الآية: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، يقول: هذا القليل الذي أعطاني من العلم ليس منِّي، هو عندي بطريق العارية، ومالي علم من كثير، فأنا جاهل على الدوام.

وذكر الشيخ أيضاً في «الفتوحات»[(٤)]: كان شيخنا أبو مدين بالمغرب قد ترك الحرفة، وجلس مع الله تعالى على ما يفتح الله له، وكان على طريقٍ عجيبٍ مع الله في ذلك الجلوس، فإنه ما كان يردُّ شيئاً يؤتى إليه به مثل الإمام عبد القادر الجيلي سواء، غير أنَّ عبد القادر كان أنهض في الظاهر لما يعطيه الشرف، فقيل

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٦٦٦.
(٢) الفتوحات المكية ٣/ ١٣٦.
(٣) في (ص): فيسألوه منه.
(٤) الفتوحات المكية ١/ ٦٥٥.

له: يا أبا مدين، لم لا تَحترف ؟، أو لِمَ لا تقولُ بالحرفة ؟. فقال: [أقول بها. فقيل له: فلم لا تحترف؟ فقال:] الضيفُ عندكم إذا نزل بقوم، وعزمَ الإقامة، كم توقيت زمان وجوبِ ضيافته عليهم ؟. قالوا: ثلاثةَ أيام. قال: وبعدَ الثلاثة الأيام ؟. قالوا: يحترفُ، ولا يقعد عندهم حتى يحوجهم. قال الشيخ: اللهُ أكبر، أنصفونا، نحن أضيافُ ربِّنا تبارك وتعالى، نزلنا عليه في حضرته على وجه الإقامة عنده إلى الأبد، فتعيَّنت الضيافة، فإنه تعالى ما دلَّ على كريمِ خُلُقٍ لعبده إلا كان هو أَوْلى بالاتصاف به. قالوا: نعم. قال: وأيَّامُ ربِّنا كما قال: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1] [الحج: ٤٧]، فضيافته بحسب أيامه، فإذا أقمنا عنده ثلاثة آلاف سنة وانقضت، ولا نحترف، يتوجَّه اعتراضُكم علينا، ونحن نموتُ، وتنقضي الدنيا، وتَبقى لنا فضلةٌ عنده تعالى من ضيافتنا. فاستحسنَ ذلك منه المعترض، فانظر في هذا النفس إن كنت منهم.

وكان أبو مدين قدَّس الله سرَّه، يأمرُ أصحابه بإظهار الطاعات؛ فإنه لم يكن عنده فاعل إلا الله.

كان يوماً الشيخُ أبو مدين يَمشي على طرف بحرٍ، فأسرَهُ جماعةٌ من الإفرنج، وودُّوه السفينة، وكان في سفينتهم مسلمين كثيراً[2] أُسارى، فاستقرَّ الشيخ في السفينة، ورفعوا الشراع، وجاهدوا، وبالغوا فيه، ولا تتحرَّكُ السفينة، وكان الرِّيح مُوافقاً قوياً، فحصل لهم تعيّنٌ أنَّ السفينة لا تمشي، فقالوا بينهم كلاماً، فقال: عسى أن يكون من هذا المسلم الذي أسرناه الآن، يحتمل أن يكون من أربابِ الباطن. فأجازوا الشيخَ أن يخرجَ، ويذهب، قال: لا أَخرجُ إن لم يخرج جميع المسلمين. فلمَّا لم يروا حيلةً فكُّوهم كلَّهم، فمرَّتِ السفينة سريعاً.

قال الشيخ أبو مدين: إذا ظهر الحق لم يبق معه غيره.

وأيضاً عنه قال: ليس للقلب سوى وجهةٌ واحدة، قال: فإلى أيِّ وجهةٍ توجَّهتَ حجبت عن غيرها.

---

(١) في الأصول: كل يوم كألف سنة مما تعدون.

(٢) كذا في الأصول.

وأيضاً عنه، قال: ما وصلَ إلى صريح الحرية من عليه من نفسه بقية.

وأيضاً عنه قال: من رأيتَه يدّعي مع الله حالاً لا يكونُ علىٰ ظاهره منه شاهدٌ فاحذرْه، ومن كان الأَخذُ أَحبَّ إليه من العطاء فما شمَّ رائحة الفقر.

ومن أشعاره رضي الله عنه[1]:

لا تُنكـرِ البـاطـلَ فـي طـوره ... فـإنَّـه مـن بعـضِ ظُهـوراتـه

وأعطـــه منـــك بمقـــدارِهِ ... حتـى تـوفّـي حـقَّ إثبـاتـه

توفي رضي الله عنه، سنة تسعين وخمس مئة.

* * *

(٥٣٢) أبو العباس ابن العريف الصُّنهاجي الأندلسي(*)

أبو العباس ابن العريف الصنهاجي الأندلسي رضي الله عنه، اسمه أحمد بن محمد، كان عالماً بالعلوم، وعارفاً بوجوه القراءة، مُتناهياً في جميع الروايات، واجتمعَ المريدون، والطلاب عنده كثيراً، وخافَ سلطانُ الوقت منه فطلبه، ومات في الطريق، وقال بعضهم: ماتَ بعد الوصول إلى السلطان. وقال بعضهم: قبلَ الوصول. وكان ذلك سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة.

نقل صاحب «الفتوحات المكية»[2]، عن شيخه أبي عبد الله الغزالي، قال: إن

---

(١) الشعر لعفيف الدين التلمساني، انظر ديوانه ١/ ١٥٨، والكواكب الدرية ٢/ ٤٢٤.

(*) الصلة ٨١، بغية الملتمس ١٦٦، معجم ابن الأبار ١٥، المطرب ٩٠، المغرب ٢/ ٢١١، التشوف ٩٦، وفيات الأعيان ١/ ١٦٨، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١١، العبر ٤/ ٩٨، مرآة الجنان ٣/ ٢٦٧، روض الرياحين (الحكاية: ٣٤٨، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٨٦، ٤٩٠)، الوافي بالوفيات ٨/ ١٣٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٧٠، نيل الابتهاج ٥٨، الكواكب الدرية ٢/ ٢٢٨، نفح الطيب (انظر الفهرس)، شذرات الذهب ٤/ ١١٢، كشف الظنون ١٥٩١، ١٦٠٩، إيضاح المكنون ٢/ ٤٩٧، هدية العارفين ١/ ٨٣، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٧٧.

والصُّنهاجي: بضم الصاد، وكسرها، وفتحها نسبة إلى صنهاجة، قبيلة من حمير، وهي من البربر. انظر الأنساب ٨/ ٩٨، وإنما سمي بابن العريف لأن أباه كان صاحب حرس الليل.

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٢٢٨.

يوماً خرجتُ من عند شيخي ابنِ العريف، وكنت أسير في صحراء، وبأيِّ شجرٍ ونباتٍ وصلتُ، قلنَ: خذني، أنا نافعةٌ للعلَّة الفلانية، وأَدفعُ الضَّررَ الفلاني. فحصل لي حيرةٌ، فرجعت عند الشيخ، وذكرت القصة عنده، قال: ما ربَّيتك لأجل هذا، **أين كان منك الضَّارُّ والنافع حين قالت لك الأشجار إنها نافعة ضارة؟. فقال: يا سيدي، التوبةَ.** قال الشيخ: إن لم يمتحن[1] الله لك، أَرشدتك إلى الله تعالى لا إلى الغير، وعلامةُ صدق توبتك أن ترجعَ إلى ذلك الموضع الذي تكلَّمَتْ معك الأشجار والنباتات، فلا يتكلَّمُ معك أحدٌ منها. فرجع أبو عبد الله بذلك الموضع، فما تكلَّمَ أحدٌ من الأشجارِ وغيرها، فسجدَ لله شكراً، ورجع إلى الشيخ، وذكر ذلك، قال الشيخ: **الحمد لله الذي اختارَك لنفسه، ولم يدفعك إلى كونِ مثلِك من أكوانه.**

وأيضاً قال صاحب «الفتوحات المكية»[2]: **لقد كنت يوماً عند شيخنا أبي العباس العريبي[3] بإشبيلية جالساً، وأردنا ـ أو أراد واحدٌ ـ إعطاءَ معروف، فقال شخصٌ من الجماعة للذي يُريد أن يتصدَّق: «الأقربون أولى بالمعروف»[4]. فقال الشيخُ من فوره مُتَّصلاً بكلام القائل: إلى الله. فيا بردَها على الكبد، واللهِ ما سمعتُها في تلك الحالةِ إلاَّ من الله تعالى، حتى خُيِّل لي أنَّها كذا نزلتْ في القرآن؛ ممَّا تحقَّقتُ بها، وأُشربها قلبي، وكذا جميع من حضر،**

---

(١) في (ص) و(ب): أمتحن. وفي الفتوحات: إن الله فتنك واختبرك، فإني ما دللتك إلا على الله...

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٢٤٤.

(٣) في الأصول: العريفي، والمثبت من الفتوحات المكية، وفي الطبقات الصغرى للمناوي ١٤١ العريني. وهذا التحريف ما دعا مؤلف كتابنا رحمه الله أن يسوق هذا الخبر.

(٤) اشتهر على الألسنة قول: الأقربون أولى بالمعروف. وليس بحديث، خلافاً لمن زعمه، ولكن يشهد له قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقوله عز من قائل: ﴿قل ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين﴾ [البقرة: ٢١٥]، وقول النَّبي ﷺ لأبي طلحة لما أراد أن يجعل بستانه في سبيل الله: «أرى أن تجعلها في الأقربين». انظر كشف الخفا ١/ ١٨٣.

فلا ينبغي أن يأكلَ نِعَمَ الله إلا أهلُ الله، ولهم خُلقت، ويأكلُها غيرُهم بحكم التبعية، فهم المقصودون بالنعم.

توفي رحمه الله تعالى، سنة ستٍّ وثلاثين وخمس مئة.

* * *

(٥٣٣) أبو الربيع الكفيف المالَقي(*)

أبو الربيع الكفيف المالَقي رحمه الله تعالى، هو من مريدي أبي العباس ابن العريف.

قال يوماً لأصحابه: مثلاً لو أن رجلين لكلٍّ واحدٍ منهما عشرةُ دنانير، فتصدَّقَ واحدٌ بدينار، وحفظَ تسعة دنانير، والآخرُ تصدَّقَ بتسعة دنانير، وحفظ ديناراً واحداً، من يكون منهما أفضل؟. قالوا: الذي تصدَّقَ بتسعةِ دنانير. قال الشيخ: بِمَ يكون أفضل؟. قالوا: لأنَّه تصدَّق أكثر. قال الشيخ: ما قلتم أحسن، أما ما فهمتم روحَ المَسألة، وغُطِّي عليكم[1]. قالوا: ما هو؟ قال: إنّا فرضنا لكليهما في المال سواء، ومن أعطى أكثرَ فدخوله في الفقر أكثر، ومن أَعطى قليلاً فبنسبته يكون الفقر أزيد منه، فهو أفضل.

ورد حديث النبي ﷺ بالمعنى: «الذي يقول سبعين ألف مرة كلمةَ لا إله إلا الله في النجاة أو لمن قرأ بنيَّته له أثرٌ تامٌّ» قال الشيخ أبو الربيع: أنا ذكرتُ هذا الذكر سبعين ألف مرة لكن ما وهبته لأحدٍ.

ويوماً حضرتُ على مائدةِ طعامٍ مع الجماعة، وكان معهم صبيٌّ صاحبُ كشفٍ، فلمَّا أراد ذلك الصبيُّ أن يأكل بكى، قالوا: لِمَ بكيت؟. قال: أنا أشاهد صقراً[2]، وبصرتُ أنَّ أُمِّي فيها مُعذبةٌ. قال الشيخ أبو الربيع: فقلت في نفسي: يا الله، أنت تعلمُ أنِّي قرأتُ كلمة لا إله إلا الله سبعين ألفَ مرَّة، ووهبتها

(*) الفتوحات المكية ٤/ ٤٧٤، الكواكب السيارة ٢٦٠، روض الرياحين (انظر الفهرس) الطبقات الصغرى للمناوي ١٣٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٠. واسمه سليمان بن عمر.

(١) في طبقات المناوي: قال: حسن، لكن فاتكم روح المسألة، وغاب عنكم.

(٢) صقر: اسم جهنم، لغة في السين. القاموس المحيط (صقر).

لأمِّ هذا الصبي لإعتاقها من النار، فلمَّا فرغتُ من هذه النيَّةِ في الباطن ضحك ذلك الصبيُّ، وبشَّر بها: إن أمي خلصتْ من عذابِ النار، الحمد لله. فاشتغلَ بأكلِ الطعام مع الجماعة.

قال الشيخ أبو الربيع: حصلَ لي على صحَّة ذلك الخبر عقيدةٌ بكشف الصبيِّ، وعلى كشف الصبيِّ أيضاً[1].

وأيضاً قال الشيخ أبو الربيع: كنت وحدي في بعض السياحات، فلمَّا يدخل الليل يَجيء طيرٌ ويبيتُ عندي، ويحكي عليَّ حكايات، ففي ليلةٍ سمعتُهُ طولَ الليل يقول: يا قدوس، يا قدوس. فلمَّا أصبحتُ انتشر الريش، وقال: سبحان الرزاق. وطار.

* * *

(٥٣٤) عدي بن مسافر الشامي الهَكَّاري[*]

عدي بن مسافر الشامي الهكَّاري رحمه الله تعالى، صحبَ الشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حمَّاد الدباس، فاجتمع الناس عليه في جبل الهكار[2] من توابع الموصل، فانقطعَ عن الخلق، وبنى زاويةً فيه، وأكثرُ الناس كانوا مريدوه[3].

---

(١) ذكرها اليافعي في روض الرياحين (الحكاية ٣٤٨) عن أبي يزيد القرطبي، وفي نهايتها: فحصل لي فائدتان: إيماني بصدق الأثر، وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه.

(*) الكامل في التاريخ ١١/ ٢٨٩، وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٤، الحوادث الجامعة ٢٧١، تحفة الأحباب ١٩١، ١٩٢، ٣٠٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٢، العبر ٤/ ١٦٣، دول الإسلام ٢/ ٧٢، مرآة الجنان ٣/ ٣١٢، الوافي بالوفيات ١٩/ ٥٤٣، البداية والنهاية ١٢/ ٢٤٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦١، الكواكب السيارة ١٨٦، طبقات الشعراني ١/ ١٣٧، قلائد الجواهر ٨٥، كشف الظنون ٢/ ١١٥٨، الكواكب الدرية ٢/ ٢٦٨، شذرات الذهب ٤/ ١٧٩، هدية العارفين ١/ ٦٦٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤٧، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٣٣٩، وانظر الأعلام ٢/ ٢٢١.

(٢) كذا في الأصل، وفي اللباب: الهكاري نسبة إلى الهكارية، وهي ولاية تشتمل على حصون وقرى من أعمال الموصل.

(٣) كذا في الأصول.

ومات في سنة سبعٍ وخمسين وخمس مئة، وقبرُه مشهور في تلك البلاد، وكان له كرامات، وآياتٌ ظاهرة.

ذكر في «تاريخ اليافعي»[1] أن بعض مُريديه حصلَ له إرادة بالانقطاع عن الخلق، وكان في الصحراء، قال للشيخ عدي: يا شيخ، أُريدُ أن أكونَ منقطعاً عن الخلائق في هذه الصحراء، فأريد أن يكون لي شيءٌ من الماء والقوت. فقام الشيخ، وكان هناك حجران كبيران، فضرب الرجل على الصخرة التي كانت هناك، فخرجَ عينٌ ماؤها حلواً، وضربَ الصخرة الأُخرى فنبتت شجرةُ الرمان، فقال: يا شجرة، في يوم تُعطيه رمانةً حلوةً بإذن الله تعالى، واليوم الثاني تُعطيه رمَّانة حامضةً، وهذا الرمَّان أحسنُ رمَّان الدُّنيا.

* * *

(٥٣٥) أحمد بن أبي الحسن الرِّفاعي[*]

سيدي أحمد بن أبي الحسن الرِّفاعي قدَّس الله تعالى سرَّه، ذو المقامات العلية، والأحوال السنية، خرقَ اللهُ سبحانه وتعالى على يديه العوائد، وقلبَ له الأعيان، وأظهرَ العجائب، ولكنَّ أصحابَه فيهم الجيِّدُ والرديء، يدخلُ بعضُهم النار، ويَلعبُ بالحيَّات، وهذا ما عرفه الشيخُ ولا صلحاءُ أصحابه، نعوذ بالله من الشيطان.

---

(١) مرآة الجنان ٣/ ٣١٣.

(*) الكامل في التاريخ ١١/ ٢٠٠، مرآة الزمان ٨/ ٣٧٠، وفيات الأعيان ١/ ١٧١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٧٧، العبر ٤/ ٢٣٣، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٤١، مرآة الجنان ٣/ ٤٠٩، الوافي بالوفيات ٧/ ٢١٩، طبقات الأولياء ٩٣، النجوم الزاهرة ٦/ ٩٢، طبقات الشعراني ١/ ١٤٠، الكواكب الدرية ٢/ ٢١٨، شذرات الذهب ٤/ ٢٥٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٧٧، وقد أفردت ترجمته بمؤلفات منها: «قلائد الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» لأبي الهدى الصيادي، و «العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية» لأحمد عزت الغمري، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ١٤٩.

هو من أولاد الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه، ونسبُ خرقته يتَّصلُ بالشبلي قدَّس الله سرَّه بخمس وسائط، وكان سُكناه أم عَبيدة[1] من البطائح.

قال أبو الحسن علي ولدُ أخته: كنتُ يوماً جالساً على باب خلوته، فسمعتُ صوتَ واحدٍ عنده، فنظرت، فرأيتُ شخصاً جالساً عنده ما رأيتُه قطُّ، فتكلَّما كلاماً كثيراً زماناً طويلاً، فخرج ذلك الرجلُ من طاقةٍ كانت في جدارِ خلوته، فتعدَّى في الهواء كالبرق الخاطف، فدخلتُ على الشيخ، وسألته عنه: من كان هذا الرجل؟ قال: قد رأيتَه؟. قلت: نعم. قال: هو من حفظة البحر المحيط، ومن الرجال الأربعة، وله ثلاثة أيام صار مَهجوراً، لكنه لا يعلم هجرانه. قلت: يا سيدي، فما السبب لهجرانه؟. قال: كان ساكناً في جزيرةٍ من جزائر البحر المحيط، فحصلَ مطرٌ إلى ثلاثة أيام مُتَّصلاً، فخطر في خاطره: ليتَ المطر يكون في العمرانات. ثم استغفرَ، فبسببِ هذا الاعتراض صارَ مهجوراً. فقلت: يا سيدي، أعلمته بهجرانه؟. قال: لا، استحييت منه. فقلتُ: تأمرني أنا أخبره؟. قال: أتخبره؟. قلت: نعم. فقال: انكس رأسَك في جيبك. فأدخلتُ الرَّأسَ في جيبي، فسمعت صوتاً: يا علي، ارفع رأسك. فرفعت الرأس، وجدتُ نفسي في جزيرةٍ من جزائرِ البحر المحيط، فتحيَّرتُ في نفسي، وقمتُ ومشيت قليلاً، فرأيت ذلك الرجل، وسلَّمتُ عليه، وقصصت له قصَّته، فحلف علي، قال: ما أقول لك افعله. قلت: ما تقول أفعله. فقال: خذ خرقتي، وحطَّ على رقبتي وجرَّني على وجه الأرض، وقل هذا جزاء من يعترض على الله. ففعلتُ ما قاله، فهتف هاتف: يا علي، فكه؛ لأن ملكوت السموات والأرض يبكون عليه، ويتضرَّعون له، فرضي الله عنه. فلمَّا سمعتُ هذا الصوت خررتُ مغشياً، ولمَّا أفقتُ وجدت نفسي عند خالي، واللهِ، ما علمتُ كيف ذهبت، وكيف رجعت.

---

(١) أم عبيدة: قرية قرب واسط.

وإن يوماً طلب أحدٌ من سيدي أحمد تعويذة وجاء بقرطاس كتبَ عليه، وإن كان حبر يكتب منه، وإن لم يكن عنده حبرٌ يأخذ القرطاس، ويكتبُ بلا حبرٍ، ويوماً كتب لواحدٍ تعويذاً بلا حبرٍ، فغابَ عنه مدَّةً طويلة، ثم ردَّ التعويذ الذي كتبَ بلا حبرٍ للامتحان، وقال: يا شيخ، اكتبْ لي دعاء. فلمَّا نظرَ فيه قال: يا ولدي، هذا القرطاس مكتوبٌ فيه. وأعطاه.

ويوماً خرج فقيران من فقراء سيدي أحمد إلى الصحراء، وجلسا، وتكلَّما، قال أحدُهما: في هذه المدة في خدمة السيد ما حصلَ لك الفائدة. قال: تمَنَّ ما تُريد. قال: يا سيدي، أريد ورقةً تنزل من السماء في هذه اللحظة براءةً من النار. قال الثاني: لا نهاية لفضلِ الله وكرمه. وفي أثناء الكلام نزلَت ورقةٌ بيضاء من السماء، ما كان فيها شيءٌ مكتوب، وجاءا عند الشيخ، وما قالا شيئاً، وأعطوه الورقةَ، فنظرَ إليها، وسجدَ لله، فلمَّا رفعَ الرأس من السجدة قال: **الحمد لله الذي أراني عتقَ أصحابي من النار في الدنيا قبل الآخرة.** قالا: يا سيدي، هذه الورقة بيضاء. قال: أيدي القدرة لا تكتبُ بالحبر، بل تكتبُ بالنور.

وكان له أشعارٌ مع وجود كثرةِ اشتغاله بالعبادات، فمنها شعر:

إذا جنَّ ليلي هامَ قلبي بذكرِكُمْ ... أنوحُ كما ناحَ الحَمَامُ المطوَّقُ

وفوقي سَحابٌ يُمطرُ الهمَّ والأسى ... وتحتي بحارٌ للهوى تتدفَّقُ

سلوا أمَّ عمرٍو كيف باتَ أسيرُها ... تُفكُّ الأُسارى دونه وهو مُوثَقُ

فلا هو مَقتولٌ ففي القتلِ راحةٌ ... ولا هو مَمنونٌ عليه فيُطْلَقُ

وقال بعضهم: سمع هذه الأبيات من قوَّال.

توفي رضي الله عنه، يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى، سنة ثمانٍ وسبعين وخمس مئة.

* * *

(٥٣٦) حياة بن قيس الحرّاني (*)

حياة بن قيس الحرّاني قدّس الله سرّه، صاحب الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والأحوال الفاخرة، والأنوار الباهرة، والمقامات العالية، والمناقب السامية.

هو من الأربعة الذين ذكرهم الشيخ أبو الحسن القرشي: أن أربعَ[1] مشايخ يتصرَّفون في القبور كما يتصرَّفُ الأحياء: معروف الكرخي، والشيخ عبد القادر، والشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حياة الحرّاني، قدَّس الله تعالى أسرارهم.

قال واحدٌ من الصلحاء: ركبتُ في سفينةٍ من اليمن، فلما وصلنا وسط بحر الهند خرجَ ريحٌ مُخالف، وجاءت أمواجٌ عظيمة، فانكسرتِ السفينة، وكنتُ على لوحٍ، فالموج ودَّاني إلى جزيرةٍ، فدرت فيها، فما وجدت أحداً، وكانت خربةً، فوصلتُ مسجداً، وفيه أربعةُ رجالٍ جلوسٌ، فسلَّمتُ عليهم، فردُّوا إليَّ الجواب، وسألوا عن حالي، فذكرتُ ما كان من حالي، وبقيةُ النَّهار كنتُ عندهم، وبحسنِ التوجُّه، وكمال الإقبال شهدتُ أمراً عظيماً، فلمَّا دخلَ الليلُ جاء الشيخ حياةُ الحراني، فاستقبلوه، وسلَّموا عليه، وقاموا وصلُّوا مع الجماعة صلاةَ العشاء، وإلى صلاة الصبح كانوا في الصلاة، وسمعتُ من الشيخ حياة مُناجاةً وآخرها: **يا حبيبَ التائبين، ويا سرورَ العارفين، ويا قرَّةَ عين العابدين، ويا أنيسَ المُنفردين، ويا حرزَ اللاجئين، ويا ظهيرَ المنقطعين، ويا من حنَّتْ إليه قلوب الصدِّيقين، ويا من أنست به أفئدةُ المحبِّين، وعليه عكفت همَّةُ الخاشعين.** ثم بكى بكاء عظيماً، فرأيت ظهرت الأنوار، فتنوَّرَ

(*) سير أعلام النبلاء ٢١/ ١٨١، العبر ٤/ ٢٤٣، مرآة الجنان ٣/ ٤١٩، طبقات الأولياء ٤٣٠، طبقات الشعراني ١/ ١٥٣، قلائد الجواهر ١١٥، الطبقات الصغرى للمناوي ٢٧٤، شذرات الذهب ٤/ ٢٦٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٤٠.

(١) كذا في الأصول.

ذلك المكان كما يكون ليلةَ البدرِ، ثم خرجَ الشيخُ حياة من المسجدِ، فقال الجماعة لي: اذهب عقبه. فذهبتُ معه، فرأيت الجبالَ والأرض والبحار تُطوى على رِجله كما يَطوي الحلاج الحلوج[1]، وأسمعُه يقول: يا ربِّ حياة، كن لحياة. وفي زمانٍ قليل وصلنا حرَّان قبل أن يتفرَّقَ الناس من صلاة الصبح من المسجد، والشيخُ حياة كان مُقيماً في حرَّان.

ومات الشيخ في سنة إحدى وثمانين وخمس مئة.

* * *

(٥٣٧) جاكير[*]

الشيخ جاكير قدَّس الله سرَّه، أثنى عليه الشيخ أبو الوفاء، وأرسل الطاقيَّةَ له على يد الشيخ علي الهِيتي، وما كلَّفه بالحضور، وقال: أنا طلبتُ من الله تعالى أن يجعلَ الجاكير من مريدي، فأعطاني الله تعالى ذلك.

الشيخ جاكير كان من الكُرْدِ، وكان في صحراء من صَحاري العراق، وتوطَّن سامرة، وأقام بها حتى ماتَ في سنة تسعين وخمس مئة، وقبرُه هناك.

وكان يقول: من شاهدَ الحقَّ عزَّ وجل في سرِّه سقطَ الكون من قلبه.

وأيضاً عنه قال: ما أخذتُ العهدَ على أحدٍ، حتى رأيتُ اسمَه مَرقوماً في اللوح المحفوظ من جملة مُريدي.

وقال أيضاً: أُوتيت سيفاً ماضيَ الحدِّ، أحدُ طرفيه بالمشرق، والآخرُ في المغرب، لو أُشيرَ به إلى الجبال الشوامخ لهوت.

وقال واحدٌ من أصحابه: كنتُ يوماً عنده، فمرَّت البقرُ عليه، وكان يُشير

---

(١) في (ب): المحلوج.

(*) سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٦١، العبر ٤/ ٢٧٥، مرآة الجنان ٣/ ٤٧١، الوافي بالوفيات ١١/ ٣٩، طبقات الأولياء ٤٢٥، طبقات الشعراني ١/ ١٤٩، قلائد الجواهر ١١٢، الكواكب الدرية ٢/ ٢٣٥، الطبقات الصغرى ٢٤٣، شذرات الذهب ٤/ ٣٠٥، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٧٨.

بإصبعه، ويقول: هذه البقرةُ تلد ذكراً، وهذه البقرةُ أنثى، وتولد اليوم الفلاني، واليومَ الفلاني، وفلان يكون بذري، ويُسمِّي اسم الذين يأكلونها فلان وفلان، ويكونُ نصيبٌ منها للكلب الأحمر. واللهِ، وقعَ ما قاله الشيخ رحمه الله تعالى، وجاءَ كلبٌ أحمرُ، وأخذَ قطعةَ لحمٍ من العجل.

* * *

(٥٣٨) محمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي (*)

الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي قدَّس الله سرَّه، إمام العارفين، ودليلُ السالكين، صاحبُ الأحوال الفاخرة، والكرامات الباهرة.

قال أبو عبد الله: **العالمُ من نطقَ عن سرِّك، واطَّلع على عواقب أَمرك.**

وأيضاً قال: كنتُ في منى، وعطشت، وطلبتُ الماء، فما وجدته، وما كان معي ثمنُه، وكنت أدورُ حتى أجده، فوجدتُ بئراً اجتمع عليها أعاجمُ ينضحون الماء، فقلتُ لواحدٍ: صبَّ ماءً في ركوتي. فضربني، وأخذ الركوة من يدي، ورماها، فذهبتُ، وأخذتُ الركوة مع انكسارِ الخاطر، فرأيتُ بركةً فيها ماءٌ حلوٌ، فأخذتُ الماء وشربته، ورجعت مع الماء عند الأصحاب، فشربوا، وقصصتُ القصَّة عندهم، فذهبوا، وما وجدوا هناك ماءً ولا بركةً، ففهمتُ أنَّه كان آيةً من آيات الله.

وعن الشيخ ابن كساء قال: مرَّ الشيخ أبو عبد الله قدَّس الله سرَّه في بعض قرى مصر، ومعه جماعةٌ من أصحابه، فوجدوا القريةَ عامرةً بالبيوت والبساتين، ولم يَروا فيها أحداً، فسأل الشيخُ عن سبب خلوِّها، فقيل له: إنها مشهورةٌ بسكن الجن، ومن سكنها من النَّاس آذوه أذًى فظيعاً، وقد تفرَّقَ أهلُها

(*) التكملة لوفيات النقلة ٤٦٨/١، وفيات الأعيان ٣٠٥/٤، سير أعلام النبلاء ٤٠٠/٢١، العبر ٣٠٩/٤، مرآة الجنان ٤٩٧/٣، روض الرياحين (الحكاية: ١٤، ٤٣٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٨٧، ٤٨٨)، الوافي بالوفيات ٧٨/٢، أنس الجليل ٢٤٥/٢، طبقات الشعراني ١٥٩/١، الكواكب الدرية ٢٨٣/٢، الطبقات الصغرى للمناوي ١٥٨، ٥٥٣، نفح الطيب ٥٤/٢، شذرات الذهب ٣٤٢/٤، جامع كرامات الأولياء ١١٤/١.

في القرى، فقال الشيخُ لبعض الفقراء: ناد بأعلى صوتك في أرجاء القرية: معاشر الجنّ، قد أمركم القرشيُّ أن تَرتحلوا من هذه القرية، ثم لا تعودوا إليها، ولا تُؤذوا واحداً من أهلها أينما كانوا، ومن خالفَ منكم هَلَكَ. قال: فجعل الرجلُ يُنادي، والفقراءُ يسمعون من القرية جلبة ومرجاً، فقال الشيخ: ارتحلوا، ولم يبق منهم فيها أحد. فتسامعَ أهلُ القرية وجاؤوها، وعمرت بالناس، ولم يتأذَّ أحدٌ منهم من الجانِّ بعد ذلك.

[ومن كلامه:

ما في الوجود أعزُّ من الأخ بالله، فإذا ظفرت به فاشددْ يدك عليه.

من لم يحفظ الأدب أدركه العطب.

من لم يصحب الفقراء بالأدب، حُرم بركتهم.

من أعظم النقم ورود النقيض على العبد، وهو لا يشعر.

من لم يكن في قلبه شاهد يستحي منه في حركاته لم يتم له أمرٌ][1].

توفي رحمه الله تعالى، سنة تسعٍ وتسعين وخمس مئة.

* * *

(٥٣٩) علي بن حُميد الصعيدي المعروف بابن الصبَّاغ(*)

أبو الحسن علي بن حُميد الصعيدي المعروف بابن الصبَّاغ رحمه الله تعالى، صاحبُ الأحوال الرفيعة، والمقاماتِ العالية، والكرامات، وخوارق العادات.

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من المطبوع الفارسي.

(*) التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٣٤٠، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥٨، العبر ٢/ ٤٢، دول الإسلام ٢/ ٨٧، الطالع السعيد ٣٨٣، الوافي بالوفيات ٢١/ ٧٧، مرآة الجنان ٤/ ٢٤، طبقات الأولياء ٤٥٢، النجوم الزاهرة ٦/ ٢١٥، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٥، قلائد الجواهر ١٣٠، الكواكب الدرية ٢/ ٤٦٠، الطبقات الصغرى للمناوي ١٢٣، شذرات الذهب ٥/ ٥٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٦٣.

وكان أبوه صباغاً، وأراد أن يعلِّمَهُ الصباغة، وثقلَ عليه أن يجلسَ مع الصوفية، ويأخذَ طريقهم، ويترك الصباغة، جاء أبوه يوماً فرآه لم يصبغْ ثيابَ الناس، ومضى وقتُها، فغضب عليه، وكان في الدكان مراكنُ كثيرةٌ، في كلِّ واحدٍ لونٌ آخر، فلمَّا رأى غضبَ الأبِ حطَّ جميعَ الثياب في مركن واحد، فزادَ غضبُ أبيه، وقال: رأيتَ ما فعلت؟ ضيَّعتَ ثياب الناس، لكلِّ واحدٍ لونٌ آخر، وأنت حطَّيتَهم في لونٍ واحدٍ. فأدخل اليدَ في المركن، وأخرجَ الثيابَ مصبوغةً بألوانٍ مختلفة على حسب مُرادهم، فلمَّا رأى أبوه ذلك حصلَ له التحيُّر، فرخَّصه إلى طريق الصوفية.

وكان عادته إن لم ير أحداً في اللوح المحفوظ لا يقبل صحبته، ويوماً طلب واحدٌ صحبتَه، فنكس الرأسَ ساعة، وقال: ما بقي عندي وظيفةُ الخدمة حتى تَخدمَ تلك الخدمة. فبالغ ذلك الشخص: لابدَّ أن تقبلني. فأمره: كلَّ يوم تجيء تحملُ حزمةً من الحلفا، فبعد مدَّةٍ حصل له وجعٌ في يديه من ذلك الشغل، فرمى آلةَ حصادِ الحلفا، وتركَ صحبةَ الفقراء، فرأى في الرؤيا كأنَّه قامت القيامة، والناسُ يمرُّون على الصراط، فبعضُهم يمرون بالسلامة، وبعضُهم يهبطون إلى النار، فطلبَ شيئاً يتَّكئُ عليه، وتحيَّر، فرأى حزمةً من الحلفا التي جاءَ بها على وجه النار، فرمى نفسه عليها، فخلص من النار، فتنبَّه متفجِّعاً متخشِّعاً، فدخل عند الشيخ، فلمَّا رآه الشيخ قال: ما قلت لك، ما بقي لك خدمةٌ إلا هذا. فاستغفرَ عند الشيخ، واختار خدمته المعهودة.

توفي رضي الله عنه، سنة اثنتي عشرة[١] وست مئة.

* * *

---

(١) في (ب) و (ح): سنة إحدى عشرة وست مائة.

(٥٤٠) أبو إسحاق بن طريف(*)

أبو إسحاق بن طريف قدَّس الله سرَّه، هو من مشايخ الشيخ مُحيي الدين ابن عربي قدَّس الله سرَّه.

وذكر في «الفتوحات»[1]: أنه كان من كبار مشايخي الذين رأيتهم.

وكان ينقل[1] عنه أنه قال: من يَعرفني فهو وليٌّ من أولياء الله. قالوا: لِمَ يا أبا إسحاق؟. قال: لأنهم لا يخلوا عن حالتين؛ إما أن يقولَ في حقِّي خيراً وحسناً، أو شراً وقبحاً، فمن يَصفني ويَمدحُني فلا يصفُ ولا يمدحُ إلا ما كانَ وصْفَ نفسه، وإن لم يكن محلَّ هذه الصفة، ولا يتَّصفُ بها فلا يصفني، فعندي هو من أولياء الله تعالى، ومن يذكر قَبائحي فهو صاحبُ فِراسة وكشفٍ أطلعَهُ الله تعالى على حالي، فهو أيضاً من أولياء الله تعالى.

[وذكر في «الفتوحات»[2]: سمعت شيخنا أبا عمران موسى بن عمران الميرتلي بمنزله بمسجد الرِّضا بإشبيلية، وهو يقولُ للخطيب أبي القاسم بن عفير، وقد أنكر أبو القاسم ما يذكرُ أهل هذه الطريقة: يا أبا القاسم، لا تفعل؛ فإنَّك إن فعلت هذا جمعت بين حرمانين: لا ترى ذاك من نفوسنا، ولا تؤمنُ به من غيرنا، وما ثمَّ دليلٌ يردُّه، ولا قادحٌ يقدح فيه شرعاً وعقلاً، ثم اجتهد لي على ما ذكره، وكان أبو القاسم يعتقدُ فينا، فقرَّرتُ عنده ما قاله بدليلٍ يُسلمه من مذهبه، فإنه كان محدِّثاً، فشرح اللهُ صدرَه للقبول، وشكرني الشيخ، ودعا لي، فاحمدوا الله يا إخواننا حيث جعلكم اللهُ ممن قرعَ سمعَه أسرارُ الله المخبوءة في خلقه التي اختصَّ الله بهذا من شاءَ من عباده، فكونوا لها قائلين مؤمنين، ولا تُحرموا التصديق بها، فتُحرموا خيرها.

قال الشيخ أبو عبد الله القُرشي قُدِّس سِرُّه: لقيتُ من المشايخ قريباً من ست

(*) الفتوحات المكية ١/٦١٧، ٦/٢، روح القدس ١١٩، التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ١/١٥٦، روض الرياحين (الحكاية ١٤، ٤٣٧)، الكواكب الدرية ٢/٢٠٧، الطبقات الصغرى للمناوي ٧٩، جامع كرامات الأولياء ١/٢٣٦. واسمه إبراهيم بن طريف.

(١) الفتوحات المكية ١/٦١٧.

(٢) الفتوحات المكية ٢/٦.

مئة شيخ، واقتديتُ بأربعة: أبي زيد القرطبي، والشيخ أبي الربيع المالقي، والشيخ أبي العباس الجوزي، والشيخ أبي إسحاق بن طريف رضي الله عنهم][1].

* * *

(٥٤١) ابن الفارض الحموي المصري(*)

ابن الفارض الحموي المصري، قدَّس الله روحه، كنيته أبو حفص، واسمه عمر، من قبيلة بني سعد، من قبيلة حليمة مرضعةِ الرَّسول ﷺ، كان حمويَّ الأصل، ومصريَّ المولد والمحتد، وأبوه كان من أكابر علماء مصر.

قال ولده سيد كمال الدين محمد: إنه قال: في أول السفر والسياحة والتَّجريد طلبتُ الرُّخصة من الأب، وكنتُ أَدورُ في الأودية والقُرى والجبال التي كانت في نواحي مصر، فبعدَ يومٍ وليلةٍ أرجع لرعاية خاطرِ الأب، وأجيءُ عنده[2]، ولمَّا ماتَ أبي اخترتُ التجريد، وسلوكَ طريق الحقيقة والسياحة بالكليَّة، ولم يفتحْ عليَّ بشيءٍ من هذا الطريق حتى أردتُ أن أدخلَ في بعض مدارس مصر، فرأيتُ على باب المدرسة شيخاً كبيرَ السنِّ بقالاً يتوضَّأ،

---

(١) ما بين معقوفين مستدرك من المطبوع الفارسي.

(*) التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٨، وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٤، مختصر أبي الفداء ٣/ ١٦٤، سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨، العبر ٥/ ١٢٩، ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤، مرآة الجنان ٤/ ٧٥، طبقات الأولياء ٤٦٤، البداية والنهاية ١٣/ ١٤٣، لسان الميزان ٤/ ٣١٧، النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٨، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٦، كشف الظنون ٢٦٥، ٢٦٧، ٧٣٥، ٧٦٧، ١٣٣٨، ١٣٤٩، الكواكب الدرية ٢/ ٤٩٥، شذرات الذهب ٥/ ١٤٩، مفتاح السعادة ١/ ٢٠٠، إيضاح المكنون ١/ ١١٨، هدية العارفين ١/ ٧٨٦، طبقات الشاذلية ٦٩، روضات الجنات ٥٠٥، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢١٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/ ٧٣، مقدمة شرح ديوان ابن الفارض لحسن البوريني وعبد الغني النابلسي. وهناك كتب انفردت بترجمته منها: ابن الفارض سلطان العاشقين للدكتور مصطفى حلمي.

(٢) في (ص): وأخي عنده.

ولا يتوضَّأ بقانون الشريعة والترتيب، أولاً غسلَ اليدين، ثم غسل الرجلين، ثم مسحَ الرأس، ثم غسل الوجه، فقلت في نفسي: عجبٌ، رجلٌ كبيرُ السن وفي بلاد الإسلام، وبين الفقهاء يتوضَّأُ بلا ترتيب!. فرآني ذلك الشيخ، وقال: يا عمر، لا يُفتحُ عليك بشيءٍ في مصر، ويفتحُ اللهُ لك في أرض الحجاز ومكَّة، اعزمْ إليها، فقد جاءَ وقتُ الفتح. ففهمتُ أنَّه من أولياء الله تعالى، ومُراده من هذا الوضوء سترُ الحال، والتلبيس، وإظهارُ الجهل، فجلستُ عنده، فقلت: يا سيدي، أين أنا؟ وأين مكَّة؟ وليس موسم الحجِّ، ولا رفيق. فأشار بيده، وقال: هذه مكَّةُ على نظرك. فنظرتُ فرأيتُ مكَّة، فتركتُهُ، وتوجَّهتُ إلى مكة، وما غابت عن نظري مكة، فلمَّا وصلتُها فتحَ الله تعالى لي أبوابَ الفتح، وترادفت آثارها، فسحتُ في أودية مكة وجبالها، وأقمتُ في الوادي الذي كان من مكَّة على عشرةِ منازل، وأحضرُ الخمس صلوات[1] في حرمِ مكَّة مع الجماعة، وفي الذهاب والرجوع يُرافقني سَبُعٌ عظيم الخلقة، يبركُ مثل الإبل، ويقول: يا سيدي، اركب. وما ركبتُ أبداً، فمرَّ عليَّ خمسَ عشرة سنة، فسمعتُ يوماً صوتَ ذلك الشيخ البقَّال: يا عمر، تعالَ إلى القاهرة، احضر وفاتي. فعزمتُ إليه مستعجلاً، فرأيتُه محتضراً، فسلَّمتُ عليه، فردَّ جوابَ السلام، فأعطاني دراهمَ معدودة، وقال: جهِّزني، وكفِّني بهذه، ولكلِّ حمَّالٍ تُعطي ديناراً، ودِّيني الموضعَ الفلاني من القرافة. ـ ويقال إن قبره الآن في ذلك الموضع الذي هو الآن قبر الشيخ ابن الفارض ـ وقال: إذا وصلتم ذلك الموضع خلّوا تابوتي، وكونوا مُنتظرين حتَّى ينزلَ رجلٌ من الجبال، فصلوا معه، وكونوا مُنتظرين ما يفعل الله بي. فلمَّا ماتَ الشيخُ عملتُ بما أوصاني، ووضعتُ تابوتَهُ بالموضع الذي أمرني به، فرأيتُ نزلَ رجلٌ من الجبل مثلَ الطير مُسرعاً، وما رأيتُ رجلَه تصلُ الأرض أو لا تصل، وعرفتُهُ أنه كان رجلاً يَدخلُ في السوق ماشياً، والناس يَسخرون به، ويضربون قفاه بالجمع، وقال: يا عمر، تقدَّم وصلِّ الصلاة. فتقدَّمتُ، فرأيت بين السماء والأرض يصلون

---

(١) في (ح): الصلوات.

الصلاة معي طيورٌ، بعضُها أبيضُ، وبعضها أخضر، فلمَّا فرغت من الصلاة، نزل طيرٌ منهم عظيمُ الخلقة، وجلسَ عند رجلِ تابوته، وبلع تابوتَه، وطار حتى وصل مع الطيور الذي كانوا فوقنا، فطاروا كلُّهم مُسبِّحين، فغابوا عن النظر، فتعجَّبتُ من هذا الحال، فقال ذلك الرجل: **يا عمر، أما سمعتَ أنَّ أرواحَ الشهداءِ في جوفِ طيرٍ خضرٍ تسرحُ في الجنة**[1] **حيث شاءت، هم شهداءُ السيوف، أمَّا شهداءُ المحبَّة فكلُّهم وأجسادُهم وأرواحُهم في جوف طيرٍ خضرٍ، وهذا الرجل منهم، يا عمر**، وأنا كنتُ معهم، فوقع منِّي زلَّةٌ، فأخرجوني منهم، والآن يضربون في السوق على قفاي ورقبتي، ويؤدِّبوني[2] بتلك الزلَّة.

وله ديوان مشتملٌ على عيون المعارف، وفنونِ اللطائف، وأحدُ قصائده تائيَّةٌ[3] تنوفُ عن خمسين وسبع مئة بيت، **قد اشتهرتْ هذه القصيدة بين مشايخ الصوفية وغيرهم من الفضلاء والعلماء، وأهل الحقيقة**[4] ما اندرجَ فيها من حقائق العلوم الدينية، والمعارف اليقينية من أذواق نفسه، وأذواق كلِّ الأولياء، وأكابر المحققين المشايخ روّحَ الله تعالى أرواحهم، لا يتيسَّرُ لأحدٍ بل لا يقدرُ أحدٌ أن يتكلَّمَ وينظمَ نظماً مثله:

عن كلِّ لطفٍ فيه لفظٌ كاشفٌ ... في كلِّ معنًى منه حُسْنٌ باهرُ
بحـرٌ ولكـنَّ الطَّفـاوةَ عنبـرٌ ... مُـزنٌ ولكـنَّ الغيـوثَ جـواهـرُ

قال الشيخ رضي الله عنه: لما فرغتُ من القصيدة التائية رأيتُ النبيَّ ﷺ في الرؤيا، قال: **يا عمر، ما سمَّيتَ قصيدتك؟**. قلت: يا رسولَ الله، سمَّيتها روائح الجنان. فقال رسول الله ﷺ: **لا، بل سمِّها نظم السلوك. فسمَّيتُها بذلك.**

---

(١) في (ب): من الجنة.
(٢) في (ب): ويؤذوني.
(٣) هي القصيدة التائية الكبرى، وعدد أبياتها ٧٦٠، ومطلعها:
سقتني حُميَّا الحبِّ راحة مقلتي ... وكأسي مُحيا من عن الحسن جلَّتِ
انظر كشف الظنون ٢٦٥.
(٤) في (ص): وعلى الحقيقة ما اندرج.

حكى أصحابُهُ أنَّ سببَ تصنيفه لهذه القصيدة ما كان بقانون الشعراء، بل كان بعض الأوقات يحصلُ له جذبةٌ، ويغيبُ عن حواسِّه سبعةَ أيامٍ أو عشرة أيامٍ أو أزيد أو أنقص، فلمَّا يفيقُ في بعض الأوقات يقولُ ثلاثين، أو أربعين، أو خمسين بيتاً ما فتحَ الله له في الغيبة، فيترك حتى يعاودَ تلك الحالة.

قال الشيخ شمس الدين الأيكي رحمه الله تعالى، وكان من أصحاب الشيخ صدر الدين القُونوي رحمه الله تعالى، وكان شيخَ الشيوخ في وقته: في مجلس شيخنا ـ يعني الشيخ صدر الدين القُونوي ـ يحضر في مجلسه العلماء والفضلاء، ويُذكر من أنواع العلوم، وكان فتحُ مجلسه على أبيات من هذه القصيدة: نظم السلوك، والشيخُ يذكرُ كلاماً غريباً بلسان العجمي على موافقة معناه في المعارف والحقائق، حتى لا يدركها أحدٌ إلا أصحاب الذوق والوجدان، وبعض الأوقات في اليوم الثاني يقول: اليومَ ظهر لي معنًى آخرُ في ذلك البيت الذي ذكرته بالأمس، فيكون معناه أدقَّ وأغربَ من الأول، وكان كثيراً يقول: يَنبغي للصُّوفيِّ أن يحفظَ هذه القصيدة، ومن يفهم معناها يَنبغي أن يشرحها.

وقال أيضاً الشيخ شمس الدين: إن الشيخ سعيد الفرغاني صرف الهمَّة الكليّة والجزئية على إدراكِ فهم هذه القصيدة بما يسمعه من شيخه، ويقيِّده بالكتابة، فكتبَ عليه أولاً شرحاً بالفارسي، ثم كتب شرحاً بالعربي، وهذا كلُّه من بركات أنفاس شيخنا الشيخ صدر الدين القُونوي.

قال الإمام اليافعي[(١)] رحمه الله تعالى: وقد أحسنَ ـ يعني الشيخ ابن الفارض ـ في وصفه راحَ المحبَّة في ديوانه المُشتمل على لطائفِ المعارف، والسلوك، والمحبَّة، والشوق، والوصل، وغير ذلك من الاصطلاحات، وعلوم الحقيقة المعروفة في كتبِ مشايخ الصوفية، ومن ذلك وصفه لها في هذا البيت المشهور:

---

(١) مرآة الجنان ٤/ ٧٦، وينقل المؤلف كلامه بالمعنى.

هنيئاً لأَهلِ الدَّيرِ كم سَكِرُوا بها ... وما شَربوا منها ولكنَّهم همُّوا

على نفسِه فَليبكِ من ضاعَ عمرُه ... وليس له فيها نَصيبٌ ولا سَهْمُ

وقال أيضاً[1]: من المشهور أنَّه وقع للشيخ شهاب الدين السُّهروردي رضي الله عنه قبضٌ في بعض حجَّاته، [فخطر بقلبه: هل ذُكرتُ في هذا الموسم؟] فأتى إليه الشيخ الناظم قدَّس الله سرَّه، فاستنشده الشيخ شهاب الدين رحمه الله تعالى من قريضه، فأنشدَ الشيخ الناظم رحمه الله تعالى قصيدةً، واستمرَّ في إنشادها إلى أن قال:

أهلاً بما لم أكنْ أهلاً لموقعه ... قولِ المُبشِّر بعد اليأس بالفرجِ

لكَ البِشارةُ فاخلعْ ما عليك فقد ... ذُكرتَ ثمَّ على ما فيكَ من عِوَجِ

فقام الشيخ شهاب الدين رحمه الله تعالى، فتواجد، ومن عنده من شيوخ الوقت الحاضرين، وكان المجلسُ عامراً بشيوخٍ أجلاَّء، وسادةٍ من الأولياء، فخلع عليه هو والحاضرون، قيل أربع مئة خِلعة.

صدر يوماً من الشيخ عمر بن الفارض هفوةٌ، ففعل عليه المؤاخذة، وحصلَ له قبضٌ عظيم كاد أن يُفارقَ روحه، فقرأ بيت الحريري[2]:

مـن ذا الـذي مـا سـاءَ قـطُّ ... ومـن لـه الحُسنـى فَقَـط

فسمعَ كأنَّه يقول واحدٌ من بين السماءِ والأرض، ولا يرى أحداً:

محمـدُ الهـادي الـذي ... عليـه جبـريـلٌ هَبـط

قال الشيخ برهان الدين الجعبري رحمه الله تعالى: كنتُ سيَّاحاً في نواحي جعبر[3]، وكنتُ متلذِّذاً بحديث الفناء في المحبَّة، فمرَّ رجلٌ كالبرق الخاطف، وقرأ هذا البيت:

---

(١) مرآة الجنان ٤/ ٧٧، وما بين معقوفين مستدرك منه.

(٢) مقامات الحريري ١٨٦، أواخر المقامة الشعرية.

(٣) جعبر: قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين. معجم البلدان.

فلم تَهوِني ما لم تكنْ فيَّ فانياً ولم تفن ما لم تَجتلي فيك صورتي

فعلمتُ أن ذلك نَفَسُ محبٍّ، فتبعته، وأخذته، وقلتُ له: هذا النفس، من أين وجدته ؟. قال: هذا من أنفاس أخي شرفِ الدين بن الفارض. قلت: الآن أين هو ؟. قال: قبلَ هذا النفس كان في الحجاز، والآن أسمعُهُ يجيء من جانب مصر، والآن هو مُحتضرٌ، وأنا مأمورٌ أن أحضر وقت مُفارقةِ روحه، وأُصلِّي عليه، وأذهب إليه، وأتوجَّه إلى مصر. وأنا أيضاً توجَّهتُ إلى مصر، وكنتُ أجدُ رائحته فأروح بعقبه[1]، حتى وصلنا باب ابن الفارض، ودخلتُ عليه، فكان مُحتضراً، قلت: السلام عليك ورحمةُ الله وبركاته. قال: وعليك السلام يا إبراهيم، اقعد، فإنِّي أبشِّرُكَ أنَّك من أولياء الله تعالى. فقلت: علمتُ أيُّها الشيخ أنَّ هذه البشارة من الله تعالى، لكنِّي أُريد أن أفهمَ وجهها حتى يطمئنَّ قلبي. قال: طلبتُ من الله تعالى أنَّ جماعةً من الأولياء يحضرون في وقتِ مفارقة روحي، وأنت حضرتَ، فلا بدَّ أن تكونَ أنت معهم. ثم رأيت تمثل عليه الجنة، فلمَّا نظرَ إليها قال: آه. وبكى بكاءً كثيراً، وتغيَّر لونُه، وأنشد هذه الأبيات:

إن كان مَنزلتي في الحبِّ عندكُمُ ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي
أُمنيةٌ ظفرتْ روحي بها زمناً واليومَ أَحسبُها أضغاثَ أحلامي

فقلت: يا سيدي، هذا مقامٌ عظيم. فقال: يا إبراهيم، رابعةُ العدوية كانت امرأةً، وقالت: وعزَّتِكَ، ما عبدتك خوفاً من نارِك، ولا رغبةً في جنَّتك، بل كرامةً لوجهك الكريم، ومحبَّةً فيك. وهذا المقام ليسَ ذلك المقام الذي طلبتُ، وصرفتُ العمر في طلبه. ثم اطمأنَّتْ نفسه، وضحك، وسلَّم عليَّ، وودَّعني، وقال: كن حاضراً في تجهيزي وتكفيني، وصلِّ عليَّ، وقم على قبري إلى ثلاثة أيام، وبعده اذهبْ إلى بلادك. ثم اشتغل بالمخاطبات

---

(١) كذا بالأصل، ولعلها: بعقبه.

والمناجاة، فسمعتُ قائلاً يقول، اسمعُ صوته ولا يرى: **يا عمر، فما تَروم ؟.**
قال:

أرومُ وقد طالَ المَدى منكَ نَظْرَةً ... وكم من دماءٍ دون مَرْمايَ طلَّتِ

فماتَ ضاحكاً، وبطراوة الوجه، ففهمت أنه أُعطيَ مقصوده ومرامه، واعتنقوه.

وأيضاً قال الشيخ برهان الدين إبراهيم الجَعْبري: إن وقت مفارقة روحه حضرَ جماعةٌ من أولياء الله أعرفُ بعضَهم، وبعضُهم لا أعرفه، وكان بينهم رجلٌ عزيزٌ كان بيني وبينه معرفةٌ، وما رأيت في عمري مثلَ هذه الجنازة في العظمة والكبرياء، والطيورُ البيضُ والخضرُ يطيرون على جنازته، وناسٌ كثيرٌ اجتمعوا على حمل جنازته، وكان روحُ النبيِّ ﷺ حاضراً، وصلَّى عليه الصلاة، وأرواحُ الأنبياء والأولياء من الجنِّ والإنس طائفة بعد طائفة يَقتدون بالنبيِّ ﷺ، فبهذا السبب وقعَ التأخيرُ في دفنه إلى آخر النهار، وتكلَّم الناس بسبب ذلك كلاماً كثيراً، وقال بعضهم: هذا في حقِّه تأديبٌ، لأنَّه يدَّعي في المحبَّةِ دعوًى كبيراً. وقال بعضهم غيرَ هذا، وكلُّهم مَحجوبون عن أصلِ الأمر إلا من شاء الله تعالى، فلمَّا دفنوه في آخر النهار بمقتضى وصيَّتِهِ أقمت إلى ثلاثة أيام، وشاهدتُ أحوالاً غريبةً، وعجائبَ لا تحملها طاقةُ البشر، ولا يقبلُ عقلُ إنسانٍ إدراكها.

ذهب الشيخ برهان الدين المذكورُ مع الجماعةِ لزيارته، فرأوا أنَّه اجتمعَ على قبره، وحوله غبارٌ، فأنشد هذا البيت:

مساكينُ أَهلِ العِشقِ حتَّى قبورُهم ... عليها تُرابُ الذُّلِّ بين المَقابرِ

وبعد هذا كَنسوا الغبار عن قبره، وشالوه بذيلهم، ونظَّفوا حول قبره.

توفي رحمه الله تعالى، في الثاني من جمادى الأولى، سنة اثنتين وثلاثين وست مئة.

* * *

(٥٤٢) إبراهيم بن مِعْضاد الجَعْبَري (*)

إبراهيم بن مِعْضاد الجَعْبَري رحمه الله تعالى، كنيته أبو إسحاق، صاحبُ آياتٍ ظاهرة، ومقاماتٍ فاخرة، كان مذهبُهُ نفيُ الوجود والإفلاس.

قال الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله تعالى:

أنا بلبلُ الأفراحِ أملأُ دوحَها ... طَرَباً وفي العلياءِ بازٌ أشهبُ

فقال الشيخ إبراهيم في مقابلته:

أنا صِفْرِدُ[1] المِرحاضِ أملأُ بئرَه ... نتناً وفي البيداء كَلْبٌ أجربُ

دخل عليه مريدُه يوماً، وقال: أعجبني هذين البيتين[2]. قال: ما هما؟. فأنشد:

وقائلةٍ أنفقتَ عُمرَك مُسرفاً ... على مُسْرِفٍ في تيهِهِ ودَلالِهِ
فقلتُ لها كُفِّي عن اللَّومِ إنَّني ... شُغلتُ به عن هجرِهِ ووصالِهِ

قال الشيخ: ليس هذا مقامك، ولا مقام شيخك.

وقيل: لما قَرُبَ أجلُه جاءَ موضعَ قبره، وقال: يا قُبير، قد جاءك دُبير[3]. وأقامَ هناك بلا مرضٍ ولا علَّة، فعن قريبٍ مات في سنة سبعٍ وثمانين وست مئة.

(*) العبر (نص مستدرك) ١١، فوات الوفيات ١/ ٤٩، مرآة الجنان ٤/ ٢٠٤، طبقات السبكي ٨/ ١٢٣، الوافي بالوفيات ٦/ ١٤٧، البداية والنهاية ١٣/ ٣١٠، طبقات الأولياء ٤١٣، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٢، خطط المقريزي ٤/ ٣٠٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧٤، المنهل الصافي ١/ ١٧٧، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٩، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٣، الكواكب الدرية ٢/ ٣٣١، شذرات الذهب ٥/ ٣٩٩، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٤٠.

(١) الصُّفْرِدُ: طائر جبان، وفي (ب): صُرَدُ. والصُّرَدُ: طائر ضخم الرأس، يصطاد العصافير، وهو أول طائر صام لله تعالى. القاموس.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) في الأصل: زبير. والمثبت من طبقات السبكي.

(٥٤٣) محيي الدين محمد بن علي ابن العربي(*)

الشيخ محيي الدين محمد بن علي ابن العربي قدَّس الله سرَّه[١]، هو قدوةُ القائلين بوجود الوحدة، وكثيرٌ من الفقهاء وعلماء الظاهر طعنوا فيه[٢]، وقليلٌ من الفقهاء وجماعةٍ من الصوفية قبلوه وفخَّموه تفخيماً عظيماً، ومدحوا كلامَه مدحاً كريماً، ووصفوه بعلوِّ المقامات، وأخبروا عنه بما يطولُ ذكرُه من

(*) مرآة الزمان ٨/ ٧٣٦، ذيل الروضتين ١٧٠، التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٥٥٥، التكملة لكتاب الصلة ٢/ ٦٥٢، المستفاد من ذيل بغداد ١١٥، سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨، العبر ٥/ ١٥٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٩، المختصر المحتاج إليه ١/ ١٠٢، الوافي بالوفيات ٤/ ١٧٣، فوات الوفيات ٣/ ٤٣٥، مرآة الجنان ٤/ ١٠٠، عنوان الدراية ١٥٦، طبقات الأولياء ٤٦٩، البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، طبقات القراء ٢/ ٢٠٨، تبصير المنتبه ٣/ ٩٣٠، لسان الميزان ٥/ ٣١١، العقد الثمين ٢/ ١٦٠، النجوم الزاهرة ٦/ ٣٣٩، طبقات المفسرين للسيوطي ٢٨، مفتاح السعادة ١/ ٢٣٢، القلائد الجوهرية ٣٩٧، طبقات الشعراني ١/ ١٨٨، الكواكب الدرية ٢/ ٥١٣، نفح الطيب ٢/ ١٦١، شذرات الذهب ٥/ ١٩٠، التاج المكلل للقنوجي ١٧٤، هدية العارفين ٢/ ١١٤، جامع كرامات الأولياء ١/ ١١٨، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٣٧٧.

ومن الكتب عنه: تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي: للسيوطي، وآخر للسخاوي.

ولآسين بلاثيوس دراسة لحياته، وقد ترجمها الدكتور عبد الرحمن بدوي، وانظر ما كتبه الدكتور زكي مبارك عنه في كتابه التصوف الإسلامي ١/ ١٦٠، ودائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢٣١.

(١) جاء في هامش (ص): مطلب في ترجمة سلطان العارفين، وتاج الواصلين، حضرة الشيخ الأكبر قدس الله سره العزيز.

(٢) أشهر من طعن عليه، وألف في قدحه كتباً:

أ ـ برهان الدين البقاعي في كتابيه: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي. وتحذير العباد من أهل العناد في بدعة الاتحاد.

ب ـ تقي الدين الفاسي في رسالته: تحذير النبيه والغبي من الافتتان بابن عربي.

ج ـ جمال الدين محمد بن نور الدين في كتابه: كشف الظلمة عن هذه الأمة.

د ـ علي القاري في كتابه: فر العون من مدعي إمام فرعون.

الكرامات[1]، هكذا ذكره الإمام اليافعي رحمه الله تعالى في «تاريخه»[2].

وله أشعارٌ لطيفة غريبة، وأخبارٌ نادرةٌ عجيبة، وله مصنَّفاتٌ كثيرة، جمعَ واحدٌ من أكبرِ مشايخ بغداد مناقبَه، وذكر فيها أنَّ مصنفات الشيخ أكثرُ من خمس مئة.

وكتبَ الشيخُ بالتماسِ واحدٍ من المُريدين رسالةً في فهرست مُصنفاته، وذكر فيها أكثر من خمسين ومئتين من أسماء الكتب، وأكثرُها في التصوف، وبعضُها في غير التصوف.

وذكرَ في خطبة رسالة الفهرست: ليس قَصدي ومرامي تصنيف[3] الكتب كما كان قصدُ سائر المصنِّفين والمؤلفين، بل سببُ بعضِ المصنفات كان هكذا: قد يَرِدُ عليَّ واردٌ من جانب الحقِّ يكادُ أن يَحرقني، فأشغل نفسي بها، وسببُ بعض المصنفات كنت مأموراً من الله تعالى في المُكاشفات وفي المنامات[4].

---

(١) أشهر من دافع عنه، وألف في الانتصار له كتباً:

أ ـ مجد الدين الفيروزآبادي في رسالة في الرد على المعترضين على الشيخ محيي الدين.

ب ـ جلال الدين السيوطي في كتابه: تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي.

ج ـ علي بن ميمون المغربي في كتابه: تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي.

د ـ علي بن ابراهيم القاري البغدادي في كتابه: الدر الثمين في مناقب الشيخ محيي الدين.

هـ ـ عبد الوهاب الشعراني في كتابه: القول المبين في الرد عن محيي الدين.

و ـ عبد الغني النابلسي في كتابه: الرد المتين على منتقصي الشيخ محيي الدين.

(٢) مرآة الجنان ٤/ ١٠٠.

(٣) في (ص): في تصنيف.

(٤) إن مؤلفات ابن عربي من الكثرة بمكان، فقد فهرسها ابن عربي نفسه قبل موته بست سنوات، وقد قام بجمعها عثمان يحيى في مجلدين كبيرين باللغة الفرنسية أولاً ثم تُرجما إلى العربية، صدرا عن المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٦٤، وقد فهرسها كوركيس عواد في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٠/ ٥١، ٢٦٨، ٣٩٥، وأما =

وذُكر في «تاريخ اليافعي»[1] أنَّه وقعَ الاجتماع بين الشيخ شهابِ الدين السُّهروردي، والشيخ ابن العربي، ونظرَ كلٌّ منهما إلى الآخر، وتفرَّقا قبل أن يقعَ الكلام، فسُئل الشيخ ابن العربي عن حال الشيخ شهاب الدين، قال: **رجلٌ مملوءٌ من قرنه إلى قدمه من السُّنة**. وسُئل الشيخ شهاب الدين عن حال الشيخ ابن العربي، قال: **هو بحرُ الحقائق**.

ونسبةُ خرقته في التصوف تتَّصلُ إلى الشيخ عبد القادر بواسطةٍ واحدة، وله نسبةٌ أخرى تتَّصل بالخضر عليه السلام بواسطةٍ واحدة أيضاً.

قال رضي الله عنه: لبستُ هذه الخرقةَ المعروفة من يد أبي الحسن علي بن عبد الله بن جامع ببستانه بالمقلى، خارج الموصل سنة إحدى وست مئة، ولبسها ابنُ جامع من يد الخضر عليه السلام، وفي الموضع الذي ألبسه إيَّاها ألبسنيها ابنُ جامع على تلك الصُّورةِ، من غير زيادةٍ ولا نقصان، ونسبة أخرى نسبة الخضر عليه السلام بلا واسطة.

وقال رضي الله عنه: صحبتُ أنا والخضر عليه السلام، وتأدَّبتُ به، وأخذت عنه في وصية أوصانيها شفاهاً التسليمُ لمقالات الشيوخ، وغير ذلك، قد رأيتُ منه ثلاثةَ أشياء من خرقه العوائد، رأيتُه يمشي على البحر، وطيّ الأرض، ورأيتُه يصلِّي في الهواء.

وأعظمُ طعن الطاعنين عليه في كتاب «فصوص الحكم» ومنشأ طعنِ الطاعنين بالتقليد وبالتَّعصيب[2]، وبعدمِ اطِّلاعٍ على مصطلحاته، أو من غموضِ المعاني والحقائق فيما وقعَ في مُصنَّفاته خصوصاً في «الفصوص» و «الفتوحات»، مما لم يظهرْ مثلُه من أحدٍ من هذه الطائفة.

= تعدادها فقد قال عواد في مجلة المجمع ٣٠/ ٦٠: وكان قد ذكر لنا بعض المحبين أنه قد ضبط لنا نحو أربعة آلاف مصنف. ولعل في هذا الرقم مبالغة، فقد جاء في نفح الطيب ٢/ ١٧٧ أن صاحب الترجمة قد أجاز الملك المعظم أن يروي عنه مصنفاته، ومن جملتها كذا وكذا حتى عدَّ نيفاً وأربع مئة مصنف.

(١) مرآة الجنان ٤/ ١٠١.

(٢) في (ب): والتعصب.

وهذا الفقيرُ سمع من الخواجة برهان الدين أبي النصر البارسا قال: قال أبي: «الفصوص» فؤاد و «الفتوحات» قلب. وفي أيِّ محلٍّ ذكر أبوه في كتاب «فصل الخطاب»[1] قال بعض كبراء العارفين: مُرادُه الشيخ ابن العربي قدَّس الله سرَّه.

روى الشيخ مؤيِّد الدين الجندي في «شرحه» لـ: «فصوص الحكم» عن شيخه الشيخ صدر الدين القُونوي قدَّس الله سرَّه، أنَّه روى عن الشيخ رضي الله عنه أنه قال: لمَّا وصلتُ إلى بحر الروم من بلاد الأندلس عزمتْ عليَّ نفسي ألاَّ أركبَ البحرَ إلاَّ بعد أن أشهدَ تفاصيل أحوالي الظاهرة والباطنة الوجودية مما قدَّر الله تعالى عليَّ، ولي، ومنِّي إلى آخر عمري، فتوجَّهت إلى الله سبحانه وتعالى بحضور تام، وشهود عام، ومراقبةٍ كاملة، فأشهدني الله تعالى جميعَ أحوالي ممَّا يَجري ظاهراً وباطناً إلى آخر عمري، حتى صحبت أبيك إسحاق بن محمد، وصحبتُك، وأحوالك، وعلومك، وأذواقك، ومقاماتك، وتجلِّياتك، ومكاشفاتك، وجميع حظوظك من الله سبحانه وتعالى، ثم ركبتُ البحر على بصيرةٍ ويقين، وكان ما كان، ويكون من غير إخلال واختلال.

وأيضاً ذكر في «الفتوحات»[2] حكايةً عن حاله رضي الله عنه: ولقد آمنا بالله، وبرسوله، وما جاء به مجملاً ومفصلاً ممَّا وصلَ إلينا من تفصيله، ومما لم يصل إلينا، أو لم يثبتْ عندنا، فنحن مؤمنون بكلِّ ما جاء به، في نفس الأمر، أخذتُ ذلك عن أبوي أخذَ تقليدٍ، ولم يخطر لي ما حُكمُ النظر العقلي[3] فيه من جواز وإحالة ووجوب، فعملتُ على إيماني بذلك حتى علمتُ من أين آمنت، وبماذا آمنت، وكشفَ الله عن بصري وبَصيرتي وخيالي، فرأيتُ بعينِ البصرِ ما لا يدرك إلاَّ به، ورأيتُ بعين البصيرة ما لا يُدرك إلا به، ورأيتُ بعين الخيال ما لا يدرك إلاَّ به، فصار الأمر لي مشهوداً، والحكم المتخيَّل المتوهَّمُ

---

(١) فصل الخطاب في المحاضرات للحافظ الزاهد محمد بن محمد النقشبندي المعروف بخواجه بارسا المتوفي بالمدينة المنورة سنة ٨٢٢، وله ترجمة وتعريب. انظر كشف الظنون ١٢٦٠.

(٢) الفتوحات المكية ٣/ ٣٢٣.

(٣) في (ب): ولم يخطر لي ما حدث النظر العقلي.

بالتقليد موجوداً، فعلمتُ قدرَ من اتَّبعته، وهو الرسول المبعوث إليَّ محمد ﷺ، وشاهدتُ جميعَ الأنبياء كلِّهم من آدم إلى محمد ﷺ، وأشهدني اللهُ تعالى المؤمنين كلَّهم حتى ما بقيَ من أحدٍ ممن كانَ ويكون إلى يوم القيامة خاصَّتهم وعامَّتهم، ورأيتُ مراتبَ الجماعةِ كلِّها، فعلمت أقدارهم، واطَّلعتُ على جميع ما آمنت به مُجملاً مما هو في العالم العلوي، وشهدتُ ذلك كلَّه، فما زحزحني علمُ ما رأيته وعاينته عن إيماني، فلم أزل أقولُ وأعملُ ما أقوله وأعمله لقول النبيِّ ﷺ لا لعلمي، ولا لعيني، ولا لشهودي، فواخيت بين الإيمان والعيان، وهذا عزيز الوجود في الاتباع؛ فإنَّ مزلَّة الأقدام للأكابر إنما تكون هنا إذا وقعتِ المعاينة لما وقع به الإيمان، فتعملُ على عينٍ لا على إيمان، فلم يجمع بينهما ففاته من الكمال أن يعرفَ قدره ومنزلتَه، فهو وإن كان من أهل الكشف فما كشفَ الله له عن قدره ومنزلته فجهل نفسه، فعملَ على المشاهدة، والكاملُ من عمل على الإيمان مع ذوق العيان، وما انتقل ولا أثر فيه العيان، وما رأيتُ لهذا المقام ذائقاً بالحال، وإن كنتُ أعلمُ أن له رجالاً في العالم، لكن ما جمعَ اللهُ بيني وبينهم في رؤية أعيانهم وأشخاصهم وأسمائهم، فقد يمكنُ أن أكونَ رأيتُ منهم، وما جمعت بين عينه واسمه، وكان سببُ ذلك أني ما علقت نفسي قطُّ إلى جانب الحقِّ أن يطلعني[1] على كونٍ من الأكوان، ولا حادثةٍ من الحوادث، وإنما علَّقت نفسي مع الله تعالى أن يستعملني فيما يُرضيه، ولا يستعملني فيما يُباعدني عنه، وأن يخصَّني بمقامٍ لا يكون لمُتَّبعٍ أعلى منه، ولو أشركني فيه جميع من في العالم لم أتأثَّرْ لذلك، فإني عبدٌ محضٌ، لا أطلبُ التفوُّقَ على عباده، بل جعلَ اللهُ في نفسي من الفرح أن أتمنَّى أن يكونَ العالمُ كلُّه على قدمٍ واحدة في أَعلى المراتب، فخصَّني الله بخاتمة أمرٍ لم يخطر [لي] ببال، فشكرتُ الله تعالى بالعجزِ عن شكره مع توفيتي[2] في الشكر حقَّه، وما ذكرتُ ما ذكرته من حالي للفخرِ لا والله، وإنَّما ذكرته لأمرين:

---

(١) في (ب): الحق إلا أن يطلعني.

(٢) في (ب): مع توفيقي.

الواحد لقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، وأيةُ نعمةٍ أعظمُ من هذه ؟!

والأمرُ الآخر: ليسمعَ صاحبُ همَّةٍ فتحدثُ فيه همَّةٌ لاستعمال نفسه فيما استعملتُها، فينال مثلَ هذا، فيكون معي، وفي درجتي، وإنه لا ضيقَ ولا حرج إلاَّ في المحسوس.

ذكر الشيخ صدر الدين في كتاب «الفكوك»[1]: كان لشيخي نظرٌ مخصوص، فإذا أرادَ أن يطَّلعَ على حال أحدٍ ينظرُ إليه، ثم يُخبر عن حاله الدنيوي والأُخروي.

قال الشيخ في الباب الرابع والأربعين من «فتوحاته المكية»[2]: ورد عليَّ واردٌ، فزال شعوري، فمضى عليَّ زمانٌ أُصلِّي الصلاة مع الجماعة، وأنا كنتُ إمامَهم، وأُصلِّي الصلاة مع رعايةِ الأحكام والأركان، وليس لي اطلاعٌ بهذه الأمور، فأقول: أَخبروني[3] بعد إفاقتي وإلا مالي علم حركاتي كحركات النائم، فهمتُ حفظَ الله وقتي، وعمل بي كما عمل بالشبلي رحمه الله، فلا أعلم وقتَ الصلاة يرجع إليَّ الشعور أم لا.

---

(١) الفكوك في مستندات حكم الفصوص للشيخ صدر الدين القونوي، والكتاب حلٌّ لمشكلات الفصوص. انظر كشف الظنون ١٢٨٨.

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٢٥٠، ونصه فيه بعد أن يتكلم عن حال مقام من غاب عن حسّه: ولقد ذقت هذا المقام، ومرَّ عليَّ وقتٌ أؤدي فيه الصلوات الخمس إماماً بالجماعة على ما قيل لي بإتمام الركوع والسجود، وجميع أحوال الصلاة من أفعالٍ وأقوال، وأنا في هذا كلِّه لا علم لي بذلك بالجماعة، ولا بالمحل ولا بالحال ولا بشيءٍ من عامل الحسِّ، لشهودٍ غلبَ عليَّ، غبتُ فيه عني وعن غيري، وأُخبرت أني كنت إذا دخل وقتُ الصلاة أقيم الصلاة، وأصلي بالناس، فكان حالي كالحركات الواقعة من النائم ولا علمَ له بذلك، فعلمتُ أن الله حفظَ عليَّ وقتي، ولم يجر على لساني ذنبٌ، كما فعل بالشبلي في ولهه، لكنه كان الشبلي يردّ في أوقات الصلوات على ما روي عنه، فلا أدري هل كان يعقلُ ردَّه أو كان مثل ما كنت فيه ؟ فإن الراوي ما فصل، فلما قيل للجنيد عنه قال: الحمد لله الذي لم يجر عليه ذنب.

(٣) في (ص): وما أقول أخبر أخبروني.

قالوا حال الشبليّ عند الجنيد رحمه الله، قال: **الحمدُ لله الذي لم يجرِ على لسانه ذنب**.

وأيضاً مذكور في «الفتوحات المكية»[1]: قال الشيخ هذا البيت:

يـــا مَـــنْ يَـــرانـــي ولا أَراه كـــم ذَا أَراه ولا يَـــرانـــي

وقال واحدٌ من أصحابه لمَّا قال (لا يراني): أنتَ تعلمُ هو يراكَ. فقال الشيخ بداهةً:

يـــا مـــن يَـــرانـــي مُجـــرمـــاً ولا أراه آخـــــــــــــذا

كـــم ذا أَراه مُنعمـــــاً ولا يَـــرانـــي لائـــــذا

وأيضاً ذكر في «الفتوحات»[2]: كنتُ أطوف بالبيت بعد صلاة الجمعة، فرأيتُ شخصاً يطوف بالبيت، ولا يُزاحمُ أحداً، ويدخل بين اثنين ولا يفرقهما، فعلمتُ أنه روحٌ مُتجسِّدٌ، فوقفت على طريقه، وسلَّمتُ عليه، فردَّ جوابَ سلامي، فمشيتُ معه، فوقعَ الكلامُ بيني وبينه، فعلمتُ أنَّه أحمد السبتي[3] رحمه الله، فسألتُه: لِمَ اخترتَ يومَ السبت من الأيام لكسبِكَ؟. قال: ابتدأ الله خلقَ العالم في يوم الأحد، ففرغَ يوم الجمعة، فهذه الستة أيام كان الله في أفعالي، فأنا أكون في خدمته، ولا أعملُ شيئاً لحظِّ نفسي، فخصصتُ يوم السبت لنفسي. ثم سألتُه: من كان في زمانك قطب؟. قال: أنا. ثم ودَّعني وذهب، فلمَّا رجعتُ المكان الذي كنت أجلس فيه، سألني واحدٌ من أصحابي: رأيتُ رجلاً غريباً، ما رأيتُه قبلَ هذا في مكَّة أبداً، وكان يتكلَّمُ معك في الطواف، من هو، ومن أين جاء؟. فذكرت ذلك عند الأصحاب، فأعجبهم.

وذكر أيضاً في «الفتوحات»[4]: قالوا عند بعض مشايخنا: للسلطان بنتٌ يحصل منها منفعةٌ للناس، وتحبُّكم، ولها اعتقادٌ بحضرتكم، وإخلاصٌ تام، وهي مريضةٌ مرضاً شديداً، ينبغي أن تعودَها. فذهب الشيخ، فاستقبله زوجُها،

---

(١) الفتوحات المكية ٢/ ٤٩١.

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٦٣٨.

(٣) أحمد بن هارون الرشيد: الزاهد العارف، تارك القصر والخلافة، المنصرف للعبادة والذكر. وما كان يعمل إلا يوماً واحداً هو يوم السبت صوناً لوجهه عن ذل السؤال، لذا قيل له السبتي. توفي سنة ١٨٤ هـ قبل أبيه. انظر الكواكب الدرية ٢/ ٣٣.

(٤) الفتوحات المكية ١/ ٦٧٥.

وأجلسه عند رأسها، فرآها الشيخ في النزع، فقال: أسرعوا، عالجوها قبل الموت. قال زوجُها: كيف أُعالجها؟. قال الشيخ: اشترها بديَةٍ كاملةٍ. فجاء بدية، فخفف نزعها، ففتحتْ عينَها، وسلَّمت على الشيخ، قال الشيخ: لا بأسَ عليك، لكن هنا أمرٌ دقيق؛ لأنَّه إذا نزل ملكُ الموت لا يرجعُ خالياً، فلا بدَّ من بدلٍ، فخلَّصتُك منه، فيطلب منِّي حقَّه، فلا يرجعُ حتى يقبضَ روحاً، وبحياتك ينتفعُ الناس كثيراً، وأنت عظيمة القدر، ينبغي أن يكونَ بذلك عظيمَ القدر، ولي بنتٌ من أحبِّ البناتِ، أفديتك بها. فتوجَّه إلى ملكِ الموت، وقال: إن لم تأخذِ الروح، لا ترجع عند ربِّك، فخذ روحَ بنتي بدلها، اشتريتُها ببدلِ البنت من عند الله. فدخلَ الشيخُ عند ابنته، وما كانت مريضةً، قال: يا بنتي، تُعطي روحَك؛ لأنَّك لا تقومي مقامَ بنت السُّلطان في نفع الناس. فقالت: يا أبتِ، روحي على حكمك وتصرفك، افعل ما تُريد. فقال لملك الموت: اقبضْ روحها. فبالفور بنتُ الشيخ خرَّتْ ميتةً.

قال الشيخ ابن العربي رحمه الله: لا ريبَ فيه من يشتري نفساً ينبغي بدلاً، لكن ليس بلازمٍ أن يكون عوضُ الروح روحاً آخر، لأني اشتريتُ روحاً، وما أعطيتُ عوضها روحاً آخر.

وأيضاً ذكر في «الفتوحات»[1]: أن في سنة ستٍّ وثمانين وخمس مئة، حضر واحدٌ من العلماء الفلاسفة في مجلسي، وما أثبتَ النبوة كما يُثبتُ النبوَّةَ أهلُ الإسلام، وأنكرَ خوارقَ العادت، ومعجزاتِ الأنبياء عليهم السلام، وكان أيام الشتاء، وكانت مجمرةٌ من النار في وسط المجلس، قال الفلسفي: تقولُ العامة رموا سيدنا إبراهيم في النار، وما أحرقته النار، وهذا محال؛ لأنَّ النار محرقةٌ بالطبع، والأجسامُ قابلة. وابتدأ بالتأويلات، وقال: إن المُرادَ بالنار المذكور في كلام الله غضب النُمرود، فما وقعَ عليه غضبُه. فلمَّا فرغَ الفلسفي من كلامه قال بعضُ حضَّارِ المجلس، ـ ويريد به الشيخ نفسه ـ قال: ما تقول أنْ أُريكم ما قالَ الله في حقِّ إبراهيم عليه السلام ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]،

---

(١) الفتوحات المكية ٣/ ٥٨، ٥٩، وينقل المؤلف قول ابن عربي مترجماً له للفارسي ثم ترجم للعربي، فكان بعيداً عن روح ابن عربي.

وقصدي رفعُ إنكار معجزة إبراهيم عليه السلام، ليس إظهارَ الكرامة لنفسي. قال المنكر: لا يُمكن هذا. فقال: هذه النار التي في المجمرة، تلك النارُ التي تحرقُ بالطبع أو غيرها ؟. قال الفلسفي: هي تلك النار. فحمل المجمرة، وصبَّ النار على ذيل قميص المُنكر، وحرَّكها بيده، وصبرَ ساعةً، فما احترقَ ثوبُه، ثم رمى النارَ في الكانون، وقال للمنكر: حطَّ يدَكَ في النار. فلمَّا قَرَّبَ اليدَ من النار احترقت[1] يده، فقال: علمتَ أن إحراقَ النار، وعدمَ إحراقها من الله تعالى لا بالطبع ؟ فاعترف المُنكر، وأسلم.

وأيضاً مذكور في «الفتوحات»[2]: قال الشيخ أبو العباس الحريري: في مصر سنة ثلاث وستٍّ مئة كنتُ أمشي مع الشيخ أبي عبد الله القرياني في السوق، فاشترى لولده الصغير قصريَّة ـ والقصريةُ ظرفٌ من زجاج، يُبوّل فيه ـ فجماعةٌ من الصُّلحاء اجتمعوا، فجلسنا في مكان، وأردنا أن نأكل شيئاً، فاتفقوا أن اشتروا شربةً من السكر، وما كان عندي إناء، فقالوا: هذه قصرية جديدة ما اتَّصل بها نجاسةٌ. فحطُّوا فيها شربةَ السكر، فشربنا وانتشرنا، وذهبت مع أبي عبد الله والقصرية في يده، واللهِ الذي نفسي بيده، أنا وأبو عبد الله القرياني سمعنا خروج صوتٍ من القصرية: لمَّا أكلَ منِّي أولياء الله، فأكون محلَّ البول والنجاسة ؟ واللهِ لا يكون هذا. فطارت من يده، وطاحت على الأرض وانكسرت، فحصلَ لي حاصلٌ عجيب، فقال الشيخ رضي الله عنه: يا أبا العباس، كنتُ غافلاً عن موعظة القصرية، ليس المقصودُ ما أنتَ فهمتَ، أكثرُ الظروفِ أكلَ فيها من كان أفضلَ منَّا، واستعملوها في النَّجاسات، بل المقصودُ انتباهُك؛ لأنَّه لمَّا صارَ قلبُك موضعَ معرفةِ الله، فلا ينبغي أن يدخلَ فيها الأغيار ولا يسمع ما نهى الله تعالى، وكسره إشارة أن يكون منكسرةً مُتذلِّلة متخشِّعة. فأنصفه الشيخ أبو العباس، وقال: كنت غافلاً عما قلت.

وأيضاً مذكور في «الفتوحات[3]»: كان واحدٌ من أخوالي ملكاً من مدينة تلمسان يقال له أبو عبد الله التونسي، كان بموضع خارج تلمسان، يقال له

---

(١) في (ص): انحرقت.

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٤١٠.

(٣) الفتوحات المكية ٢/ ١٨.

العباد، كان قد انقطع بمسجد يعبد الله فيه، وقبره مشهور بها يزار، فبينما هذا الصالح يمشي بمدينة تلمسان بين المدينتين اقادر والمدينة الوسطى إذ لقيه يحيى بن يغان[1] ملك المدينة في خوله وحشمه. فقيل له: هذا أبو عبد الله التونسي عابد وقته، فمسك لجام فرسه، فسلم عليه الشيخ، فردَّ عليه السلام، وكان على الملك ثيابٌ فاخرة، فقال له: يا شيخ، هذه الثياب التي أنا لابسها تجوز الصلاة فيها؟ فضحك الشيخ، فقال له الملك: لِمَ تضحك؟ قال: من سخف عقلك، وجهلك بنفسك، وما لك شبيه عندي إلا بالكلب يتمرّغ في دم الجيفة وأكل قذارتها، فإذا جاء يبول، يرفع رجله حتى لا يصيبه البول، وأنت وعاءٌ مُلئ حراماً، وتسأل عن الثياب، ومظالمُ العباد في عنقك. قال: فبكى الملك، ونزل عن دابته، وخرج عن ملكه من حينه، ولزم خدمة الشيخ، فمسكه الشيخ ثلاثة أيام، ثم جاءه بحبل، فقال له قد فرغت أيام الضيافة، قم فاحتطب. فكان يأتي بالحطب على رأسه، ويدخل به السوق، والناس ينظرون إليه، ويبكون، فيبيع، ويأخذ قوته، ويتصدق بالباقي، ولم يزل في مدة[2] ذلك حتى درج، ودفن خارج تربة الشيخ، وقبره اليوم بها يزار، فكان الشيخ إذا جاءه الناس يطلبون أن يدعو لهم، يقول: التمسوا الدعاء من يحيى بن يغان، فإنه مَلَكَ فزهد، ولو ابتليت بما ابتُلي به من الملك ربما لم أزهد[3].

---

(١) في (ص): يعان.

(٢) في الفتوحات: في بلده.

(٣) في (ص) كان واحدٌ من أخوالي ملكاً من مدينة تلمسان، يقال له يحيى بن يغان، وكان في زمانه رجلٌ فقيهٌ عابدٌ، مُنقطعٌ من أهل تونس، يقال له أبو عبد الله التونسي، كان مُنقطعاً عن الخلقِ، وكان في موضعٍ خارج تلمسان، مشغولاً بعبادة الله تعالى، خرجَ يوماً من ذلك الموضع ذاهباً إلى تلمسان، ويحيى بن يغان مع الخيلِ والحشم، وصل إليه، قالوا له: هذا الشيخ أبو عبد الله التونسي. فأخذ عِنان الفرس، وسلَّمَ عليه، وكان عليه ثيابٌ فاخرةٌ، فسأل من الشيخ: أيها الشيخ، هذه الثيابُ التي أنا لابُسها تجوز الصلاة بها؟. فضحك الشيخ، قال يحيى: لم ضحكتَ؟. قال: من خِفَّةِ عقلك، حالُك يُشبه حالَ الكلب، هو طائحٌ في النجاسة وأكله النجاسة، وممتلئٌ بها، ولحاجة البول يَرفعُ رجلَه حتى لا تنجّس، وبطنُكَ مُمتلئٌ من الحرام، ومظالمُ العباد على رقبتك، وتسألُني: تجوز الصلاة بهذه الثياب أم لا؟! فبكى يحيى، ونزل من الفرس، =

كان الشيخ ركن الدين علاء الدولة قدس الله تعالى سره، مُعترفاً بكمال الشيخ ابن العربي، وكتب على هامش «الفتوحات»: **أيُّها الصدِّيق، وأيُّها المقرَّب، وأيُّها الولي، وأيُّها العارف الحقَّاني**. وهذه الحواشي الآن موجودةٌ بخطِّه على هامش «الفتوحات» لكنه بسبب قوله: لله تعالى وجودٌ مطلق، خطَّأه؛ بل كفَّره، وبعضُ العلماء الذين طالعَ كلامَهما وكان معتقداً لهما، كتبَ في بعض رسائله: ما كان بينهما في حقيقةِ التوحيد خلافٌ، والتخطئةُ والتكفير للشيخ بحسبِ ما فهم من كلامِ الشيخ رضي الله عنه، وما كان هذا مرادَ الشيخ البتَّة، لأنَّ للوجود ثلاثُ اعتبارات:

أحدها: اعتبار الوجود بشرطِ الشيءِ أنَّه وجودٌ مقيد.

وثانيها: بشرط لا شيء أنه وجود عام.

وثالثها: لا بشرطِ الشيءِ أنَّه وجودٌ مطلق.

وما قاله الشيخ رضي الله عنه بمعنى الأخير، وحمله الشيخ ركن الدين علاء الدولة على وجودٍ عام، وبالغ في إنكاره ونفيه، والشيخُ ركن الدين علاء الدولة بنفسِهِ أشارَ إلى الوجود المطلق بالمعنى الأخير، كما ذكره في بعض رسائله: **الحمد لله على الإيمان بوجوب وجوده، ونزاهته عن أن يكون مُقيَّداً محدوداً، أو مطلقاً لا يكون له بلا مقيّد أنه موجود، فلمَّا لا يكون الوجود مقيداً محدوداً لا يكون مطلقاً، لأن وجوده يكون موقوفاً على المقيَّدات، فلا بدَّ ينبغي ذات مطلق، لا بشرط الشيءِ أن لا يكون مشروطاً بالقيد، والعموم، والتقيدات**[1]،

= وتركَ السلطنة، ولزم خدمة الشيخ، فبعد ثلاثة أيام جاءَ الشيخُ بالحبل، وقال: مضى أيام الضيافة، قمْ واحطبِ الحطب، وبعه. فأخذَ الحبلَ، وكان يحطبُ الحطبَ، ويحملُ على الرأس، ويدخلُ السوق، ويُبصرونه على هذا الحال بعد السلطنة، وكان قوتُه منه، ويتصدَّقُ ما يكون زائداً على الاحتياج، وكان في مدينته حتى مات، وإن طلبَ أحدٌ الدُّعاءَ من الشيخ يقول الشيخ: اطلبِ الدُّعاء من يحيى بن يغان؛ لأنه جاء من السلطنة إلى الزهد، وإن كنتُ أنا لا أجيءُ إلى الزهد.

هذا الاختلاف بين الروايتين مردُّه أن نسخة (ص) قد ترجمت النص الفارسي المترجم عن العربية.

(١) في (ب): التعبدات.

والتعينات تكون شرطَ ظهوره في المراتب لا بشرط وجوده[1] في حدّ ذاته.

وما وقع التنازع بين الشيخ ركن الدين علاء الدولة، والشيخ كمال الدين عبد الرزاق الكاشي مر قبله[2] كان من هذا القبيل، والله تعالى أعلمُ بالسرائر والمذكور في «الرسالة الإقبالية»: سأل الشيخَ ركنَ الدين علاء الدولة فقيرٌ عن قول الشيخ مُحيي الدين ابن العربي: للحق وجود مطلق، هل يكون في القيامة معاقباً أم لا ؟ قال: أنا لا أحبُّ أن أذكر مثلَ هذا الكلام قطُّ، يا ليت إن لم يقلْه كان أحسنَ، لأن كلامَ المشكل لا يجوز ذكره، لكنَّه لما وقعَ هذا الكلام فلا بدَّ من تأويله، حتى لا تقع الشبهةُ في بواطن الخلق، ولا يُنكرون على الأكابر، وأنا أعلمُ أنَّ مُراد الشيخ محيي الدين ابن العربي من هذا الكلام أن يثبت الوحدة في الكثرة، فقال: وجود مُطلق، حتى يقدرَ أن يبيِّن المعراجَ الثاني؛ لأنَّ المعراجَ معراجان، أحدُهما: كان الله، ولم يكن معه شيء، وفهمُهُ أسهل، أما المعراجُ الثاني: الآن كما كان. شرحه مشكل، أراد أن يُثبت كثرةَ المخلوقات في وحدته، لا يزيد شيئاً، فجاء في خاطره وقال: وجودٌ مطلق، وكان أحدُ شقيها ثابتٌ صحيح[3]، والشق الثاني الذي يلزم منه النقص غفلَ عنه، ولما كان قصده إثبات وحدانية الله تعالى، فالله يعفو عنه ويسامحه، لأنَّ من اجتهدَ من أهل القبلة في كمال حقِّه ـ وإن كان مخطئاً عندي ـ لمَّا كان مرادُه كمالَ الحقِّ، فيكون من أهل النجاة، ومصيبٌ من أهل الدرجات.

ولد الشيخ رضي الله عنه، بمرسية من بلاد الأندلس، ليلة الاثنين السابع عشر من رمضان سنة ستين وخمس مئة، وتوفي ليلة الجمعة الثانية والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة بدمشق، ودفن بظاهرها، في سفح جبل قاسيون، والآن اشتُهر ذلك الموضع بالصالحية[4].

---

(١) في (ب): لأثر وجوده.

(٢) انظر صفحة ٦٥٢.

(٣) كذا في الأصول.

(٤) عندما هاجر المقادسة من جماعيل في فلسطين ـ ردَّها الله ـ إلى دمشق سنة ٥٥١ هـ، نزلوا بمسجد أبي صالح، قرب باب شرقي، فاستوخموا مناخ تلك المنطقة، وانتقلوا=

(٥٤٤) صدر الدين محمد بن إسحاق القُونوي(*)

الشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القُونوي(١) قدس الله سره، كنيته أبو المعالي، وكان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن، والعقلي والنقلي.

وكان بينه وبين نصير الدين الطُّوسي(٢) أسئلةٌ وأجوبة.

وكان مولانا قطب الدين العلامة الشيرازي في علم الحديث من تلامذته، وكتب كتاب «جامع الأصول»(٣) بخطِّه، وقرأه عنده، وكان يفتخرُ به، ومن هذه

= إلى سفح جبل قاسيون، فقال الناس: الصالحية الصالحية نسبةً إلى مسجد أبي صالح. وقيل: لصلاح من نزلها من المقادسة. انظر القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ١/ ٦٦ وما بعدها.

(*) تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٩١، طبقات السبكي ٨/ ٤٥، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٠٠، طبقات الأولياء ٤٦٧، مفتاح السعادة ٢/ ٢١١، ٤٥١، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٣، كشف الظنـــون ١٢٠، ٤٥٥، ٥٣٧، ٨٨٩، ٩٠٠، ١٠٣٤، ١٠٣٨، ١٢٨٨، ١٤٩٠، ١٧٥٨، ١٧٦٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، الكواكب الدرية ٢/ ٥٥٢، إيضاح المكنون ١/ ٣٣٥، ٢/ ٤١، ٥٢٣، ٥٩٨، هدية العارفين ٢/ ١٣٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ١٣٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤٢٧.

(١) القونوي نسبة إلى قُونية أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم، وهي شمال حلب، وفيها ضريح العارف الشاعر جلال الدين الرومي.

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن أبو جعفر نصير الدين الطوسي (٥٩٧ـ٦٧٢) فيلسوف، كان رأساً في العلوم العقلية، علامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات. علت منزلته عند هولاكو، فكان يطيعه فيما يشير به عليه، ابتنى بمراغة قبة ومرصداً عظيماً، واتخذ خزانة ملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربع مئة ألف مجلد، وكان هولاكو يمدّه بالأموال، وصنف كتباً كثيرة. قال عنه ابن قيم الجوزية في إغاثة اللهفان ٢/ ٢٦٧: نصير الشرك والكفر، الملحد وزير الملاحدة، النصير الطوسي، وزير هولاكو، شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفى إخوانه من الملاحدة واشتفى هو، فقتل الخليفة المستعصم، والقضاة، والفقهاء، والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين والسحرة. انظر الأعلام.

(٣) جامع الأصول: رسالة في الحديث تأليف صدر الدين القونوي. انظر كشف الظنون ص ٥٣٧.

الطائفة الشيخ مؤيد الدين الجَنَدي، ومولانا شمس الدين الأيكي، والشيخ فخر الدين العراقي، والشيخ سعد الدين الفرغاني، قدس الله أسرارهم، كانوا من تربيته، وغيرُهم كانوا كثيراً، وصلوا مرتبة الكمال من صحبته.

والشيخ صدر الدين صحب الشيخ سعد الدين الحموي كثيراً، وسأله أسئلةً كثيرة، والشيخ الأكبر محيي الدين رضي الله عنه، لمَّا توجَّه من بلاد المغرب إلى الروم وفي بعض المشاهد كُشف له أحوالُ الشيخ صدر الدين وقت ولادته، من استعداده للعلوم والتجلِّيات، والأحوال، والمقامات، وما كان في مدَّة عمره، وبعد الموت في البرزخ، وبعد البرزخ، وما يظهر عليه، **بل شهد أحوالَ أولاده الإلهيين، ومشاهدهم، ومقامهم، وعلومهم، وتجلياتهم، وأسمائهم عند الله، وحلية كلِّ واحدٍ منهم، وأحوالهم، وأخلاقهم، وكلَّ ما يجري لهم وعليهم إلى آخر أعمارهم، وبعد المفارقة في برازخهم وما بعدها**، فلمَّا وصلَ الشيخ الأكبر بقُونية بعد موت أبي الشيخ صدر الدين تزوَّجَ أمَّه، وكان في خدمة الشيخ، وصحبته، وتربيته.

وكان نقَّادَ كلام الشيخ، وما كان مقصود الشيخ في مسألة وحدة الوجود على أن يكون مطابقَ الشرع والعقل، لا يوجد ولا يفهم أحدٌ كما ينبغي إلا بعد تتبع تحقيقاته.

وله مصنفات مثل: «تفسير سورة الفاتحة»[1] و «مفتاح الغيب» و «الفصوص»[2] و «الفكوك»[3] و «شرح الحديث» وكتاب «النفحات الإلهية»[4] التي ذكر فيها

---

(١) هو: إعجاز البيان في كشف بعض أسرار أم القرآن، ذكر فيه أنه لم يمزج كلامه بنقل أقاويل أهل التفاسير، بل اكتفى بالهبات الإلهية، والواردات الصمدية. انظر كشف الظنون ١٢٠.

(٢) لعله: النصوص في تحقيق الطور المخصوص. كشف الظنون ١٩٥٦، أو النصوص في بحر التحقيق وجواهر الفصوص. تاريخ بروكلمان ٤/٤٢٨.

(٣) الفكوك في مستندات حكم الفصوص. كشف الظنون ١٢٨٨.

(٤) النفحات الإلهية. قال مؤلفه: وبعد، فلما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته، ألا فتعرضوا لها...» الحديث، وأنا أذكرها =

الواردات القدسية لنفسه، ومن يريدُ أن يطَّلعَ على كماله الذي حصلَ له في هذا الطريق فليطالعه؛ لأنَّه ذكر فيه كثيراً من الأحوالِ، والأذواق، والمكاشفات، والمنازلات لنفسه.

وذكر فيه: رأيت في سابع عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وست مئة في الواقعة الطويلة الشيخَ الأكبر، ووقع الكلام بيني وبينه كثيراً في الآثار، وأحكام الأسماء الإلهي، فأعجبه ما بيَّنتُ من الأحكام حتى تلألأ وجهُه من السرور، وتحرَّكَ رأسه من الذوق، وكان يُعيد بعضَ كلامي ويقول: مليح، مليح. فكنتُ أقول: يا سيدي، أنت مليح؛ لأن لك القدرةَ أن تربِّي الناس حتى تجد مثل هذا الكلام، وتتكلَّم به، ولعمري إنك إنسان وما سواك لا شيء. ثم قربتُ منه، وقبَّلتُ يده، وقلت: إن لي حاجةً إليك. قال: اطلب. قلت: أريد أن أتحقَّقَ[1] بكيفية الشهود الدائم الأبدي ما كان لك في تجلِّي الذات. وكنتُ أعني بذلك حصولَ ما كان حاصلاً له من شهود التجلِّي الذاتي الذي لا حجاب بعده، ولا مستقرَّ للكُمَّلِ دونه، فأجاب سؤالي، وقال: أعطيتك ما أردت، وأنت تعرف كان لي أولادٌ وأصحاب، قتلتُ بعضهم، وأحييتُ بعضهم، ومات الذي مات، وقتل الذي قتل، وما حصل لأحدٍ هذا المعنى. قلت: يا سيدي، الحمد لله على اختصاصي بهذه الفضيلة، أعلم أنَّك تُحيي وتميت. وقلت كلاماً آخر إفشاؤه لا ينبغي، فانتبهتُ من تلك الواقعة، والمنَّةُ لله على ذلك.

وكان بينه وبين مولانا جلال الدين الرومي قدَّس الله أرواحَهما اختصاصٌ ومحبة ومصاحبة.

كان يوماً عند الشيخ مجلسٌ عظيم، وأكابر قونية[2] كانوا مجتمعين، وكان الشيخ صدر الدين جالساً في صدر المجلس على سجَّادةٍ، وعلى دكَّةٍ، فدخلَ مولانا جلال الدين المولوي، فأعطاه الشيخُ سجَّادته، وما جلس مولانا عليها،

= بجملتها... انظر كشف الظنون ١٩٦٧.

(١) في (ص): أن تحقق.

(٢) في الأصول: القونوي. والمثبت من المطبوع الفارسي.

وقال: يوم القيامة ما أجيب إن سُئلت لِمَ جلستَ على سجادة الشيخ صدر الدين ؟. قال: أنت تجلس على طرفٍ، وأنا أجلس على طرفٍ آخر. ثم ما جلس مولانا، فقال الشيخ: السجادة التي لا تنبغي لك لا تنبغي لي أيضاً. فرفعوها ورموها بعيداً، ومات مولانا جلال الدين قبلَه، وأوصاه بالصلاة عليه.

قال: إن شرف الدين القونوي سألَ الشيخ صدرَ الدين قدَّس الله سرَّهما: **من أين ؟ إلى أين ؟ وما الحاصل في البين ؟. فأجاب الشيخ: من العلم إلى العين، والحاصل في البين تجدد نسبة جامعة من الطرفين ظاهرة بالحكمين.**

* * *

(٥٤٥) مؤيد الدين الجَنَدي[*]

الشيخ مؤيد الدين الجَنَدي رحمه الله تعالى، هو من تلامذة ومُريدي الشيخ صدر الدين، وكان جامعاً بين علوم الظاهر والباطن.

وكتب الشرح على بعض مُصنَّفات الشيخ الأكبر مثل «فصوص الحكم» و «مواقع النجوم»، وما أخذ سائرُ شارحي «الفصوص» من شرحه، وفيه تحقيقات بلا نهايةٍ، لا تُوجد في سائر الكتب، وظهر كماله منه، وذكر فيه: أن الشيخ صدر الدين كتب لي خطبةَ هذا الشرح، وفي أثناء كتابته وردَ عليه واردٌ غيبيٌّ، وأخذٌ أثره ظاهري وباطني، فتصرَّف عليَّ، وأظهر في مضمون ومفهوم الكتاب[1] كلّه في خطبته، فلمَّا أدركني ذلك المعنى، قال: أنا أيضاً التمستُ عند الشيخ أن يكتبَ لي شرحاً عليه، فكتب الشرحَ على خطبته، وفي أثنائها تصرَّف فيَّ، وعلمت مضمون تمام الكتاب، فسررتُ بهذه الحكاية، وعلمتُ أنه يكون لي نصيبٌ من هذا، ثم أمرني أن أكتبَ عليه الشرح بحضوره، إجلالاً لقدره، وامتثالاً لأمره شرحتُ على خطبته.

(*) كشف الظنون ١٢٦٣، ١٥٤٠، هدية العارفين ٢/ ٤٨٤، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/ ٤٣٧.

(١) في (ص): الكليات.

وأيضاً قال: لما وصلتُ إلى بيان الموضع الذي أعطاه الله للكُمَّل[1] قوة الظهور في جميع المواطن، وبعد المفارقة من هذه النشأة كذلك، وكنت في بغداد، ونزل شخصٌ في منزلي، وكان دعواه المهدية، وطلبَ مني الشهادةَ لتلك الدعوى، قلت: أشهد عند الله أنَّك لستَ أنت مهدي، وأنك كاذب. فقام لعداوتي، واجتمع بعضُ الملاحدة والنصيرية، ودلَّهم على إيذائي، وأنا بجمعية الهمَّة توجَّهت إلى روحانية الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله تعالى سرَّه، فرأيته أخذ بيدٍ واحدة يده، وباليد الثانية رجله، وقال لي: اضربه على الأرض. قلت: يا سيدي، الأمر إليك. فرجع، فقمت، ودخلتُ المسجدَ، وذلك المدَّعي مع الجماعة قصد إيذائي، وما التفتُّ إليهم، وذهبت عند المحراب، واشتغلتُ بالصلاة المعهودة، فخجلهم الله، وما قدروا عليَّ، فبعد هذا ذلك المدَّعي تابَ على يدي، وسافر.

وأيضاً قال: سمعتُ من شيخي صدرِ الدين أنه قال: قال الشيخ الأكبر: قد اتفق الملاقاة بالخضر عليه السلام، وقال لي: جمعتُ لموسى عليه السلام ألفَ مسألةٍ من أوَّل ولادته[2] إلى يوم الاجتماع، فما صبر إلاَّ على ثلاث مسائل، وقد أشارَ النبيُّ ﷺ لهذا المعنى بقوله: **«ليت أخي موسى سكتَ؛ حتى يقصَّ علينا من أنبائها»**[3].

له أشعار لطيفة بالعربي على طريقة الشيخ ابن الفارض رحمه الله، ومن جملتها هذين البيتين اللذين أوردهما الشيخ فخرُ الدين العراقي في كتابه المسمى بـ «اللمعات»:

---

(١) في (ب): أعطاه الله لك بحمل.

(٢) في (ب): من أول سورة ولادته.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، وقد روى مسلم في صحيحه (٢٣٨٠) في الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام، والترمذي (٢٩٣٤) في القراءات، باب ومن سورة الكهف، وأبو داود (٣٩٨٥) في الحروف والقراءات عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعا بدأ بنفسه، وقال: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب...».

البحرُ بحرٌ على ما كان في قدم إنَّ الحوادثَ أمواجٌ وأنهارُ
لا يَحجبنَّكَ أشكالٌ تُشاكلُها عمَّن تشكَّلَ فيها وهي أستارُ

وهذا البيت منه أيضاً:

هو الواحدُ الموجودُ في كلِّ وحدةٍ سوى أنَّه في الوَهمِ سُمِّيَ بالسُّوى

وهو الذي أنشأ قصيدةً على وزن قصيدةِ الشيخ ابن الفارض[1]، ومنها هذان البيتان:

فما انفكَّ يَرضاني بكلِّ محبَّةٍ وما زلتُ أهواه بكلِّ مودَّةٍ
فممتَنِعٌ عنه انفصالي وواجبٌ وصالي بلا إمكان بعد وقربةٍ

* * *

(٥٤٦) سعد الدين الفرغاني[*]

الشيخ سعد الدين الفرغاني رحمة الله عليه، هو من كُمَّل[2] أرباب العرفان، وأكابر أصحاب الذوق والوجدان، وما بيَّنَ أحدٌ مسائلَ علم الحقيقة كما بيَّنه مضبوطاً ومربوطاً في خطبة شرح قصيدة «التائية الفارضية»[1] بعبارة الفارسي، وجاء به عند شيخه صدر الدين القُونوي، فاستحسنه شيخُه، وكتب شيئاً في ذلك الباب، والشيخ سعد الدين بطريقِ التبرُّكِ والتيمُّنِ أدرجه في خطبة شرح التائية الفارسي، ثم كتبه بالعربي لجهةِ فوائد العمومِ، وزادَ عليه فَوائدَ كثيرةً، جزاه الله عن الطالبين خيرَ الجزاء.

وله تصانيف كثيرةٌ غيرها، منها الكتاب المُسمى بـ «منهاج العباد إلى

(*) كشف الظنون ٢٦٥، ١٨٤٦، هدية العارفين ٢/١٣٩، تاريخ الأدب لبروكلمان ٤/٤٤٢، معجم المؤلفين ١/٧٥٧، واسمه محمد بن أحمد الشهير بسعيد، المتوفى سنة ٦٩٩ هـ.

(١) لابن الفارض قصيدتان تائيتان، التائية الكبرى (انظرها صفحة ٧٢٠)، والتائية الصغرى وعدد أبياتها (١٠٣) أبيات.

(٢) في (ب): أكمل.

المعاد»[1] في بيان مذهب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين، في مسائل العبادات، وبعض معاملات ما لا بدَّ للطالبين السالكين، وفي بيان آداب الطريقةِ بعد تصحيح أحكام الشريعة، ولا يتيسَّرُ سلوكُ طريق الحقيقة إلاَّ به، والحقّ في ذلك الكتاب فوائدُ كثيرةٌ، وما لا بدَّ لكلِّ طالبٍ ومريد، وذكر فيه انتسابَ المُريدين بالمشايخ على ثلاثة طرق، أَحدها بالخرقة، وثانيها بتلقين الذكر، وثالثها بالخدمة، والصحبة، والتأدب[2] بها، فالخرقةُ نوعان: خرقة الإرادة، لا تجوز إلا من شيخ واحدٍ، والخرقة الثانية خرقةُ التبرُّك، جوَّزها من مشايخ كثيرة، وفي بيان خرقةِ الإرادة ذكرَ أنَّه لبس الخرقةَ من الشيخ نجيبِ الدين علي بن بزغش الشيرازي، قدس الله سره، وهو من شيخ الشيوخ شهاب الدين السُّهروردي، وهو من عمِّه القاضي وجيهِ الدين، وهو من أبيه أبي محمد عمّويه، وأخي فرج الزنجاني، وكانا مشتركين في المصافحة، ولبسِ الخرقة، وأما أبو محمد فلبسَ الخرقةَ من الشيخ أحمد الأسود الدينوري، وهو من ممشاد الدينوري، وهو من الإمام أبي القاسم الجُنيد، وأما أخي فرج فلبس من أبي العباس النهاوندي، وهو من أبي عبد الله بن الخفيف الشيرازي، وهو من أبي محمد رُويم البغدادي، وهو من الجُنيد رضي الله عنهم، وشيخ الشيوخ شهاب الدين السُّهروردي رضي الله تعالى عنه أثبتَ نسبة الخرقة إلى أبي القاسم الجُنيد، ومن الجنيد إلى سيِّدنا محمد المصطفى ﷺ أثبت الصحبة لا الخرقة.

أما الشيخ مجد الدين البغدادي قدس الله تعالى سره في كتاب «تحفة البررة»[3] أوصلَ سندَ الخرقة بالنبي ﷺ بحديث صحيح مُتَّصلٍ معنعن، وقال: نبينا ﷺ ألبسَ الخرقة لعليٍّ رضي الله عنه، وهو ألبس الشيخَ حسن البصري،

---

(١) كشف الظنون ١٨٤٦.

(٢) في (ص): والتأديب.

(٣) تحفة البررة في أجوبة المسائل العشرة لشرف الدين بن مؤيد البغدادي المتوفى سنة ٦١٦، وذكر أنه سأله تلميذه أحمد بن علي بن المهذب الحواري عن عشر مسائل في الحقيقة، وهي معظم ما يحتاج إلى معرفتها الطالب، فرتبه على نسق السؤال والجواب، مقتصراً في كل مسألة على لب جوابه. كشف الظنون ٣٦٤.

وكُميل بن زياد، وكميل لعبد الواحد بن زيد، وهو لأبي يعقوب النهرجوري، وهو لعمرو بن عثمان المكي، وهو لأبي يعقوب[1] الطبري، وهو لأبي القاسم رمضان، وهو لأبي العباس حسن بن إدريس، وهو لداود الخادم، وهو لمحمد بن مانكيل، وهو للشيخ إسماعيل القصري، وهو للشيخ نجم الدين الكُبرى، وهو لهذا الفقير مجد الدين البغدادي، فعلى هذا نسبةُ الخرقةِ يتَّصلُ بالمصطفى ﷺ، والله تعالى أعلم.

ونسبة تلقين الذكر لهذا الفقير، يعني الشيخ سعيد رحمه الله تعالى، هو من الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش، هو من شيخ الشيوخ شهاب الدين السُّهرودي رضي الله عنه، هو من عمِّه الشيخ [أبي] نجيب الدين السُّهروردي، هو من الشيخ أحمد الغزالي، هو من الشيخ أبي بكر النسَّاج، هو من الشيخ أبي القاسم الكركاني، وهو من أبي عثمان المغربي، وهو من أبي علي بن الكاتب، وهو من أبي علي الرُّوذباري، وهو من سيد الطائفة أبي القاسم الجُنيد، قدس الله تعالى أسرارهم.

ثم قال: نسبة خرقة الإرادة، ونسبة تلقين الذكر من شيخين مذمومٌ، أما نسبةُ الصحبة محمودٌ، لكن بشرط إجازة الشيخ، أو بعد موت الشيخ الأول، كما كان هذا الضعيف بعد مفارقة صحبة الشيخ نجيب الدين قدس الله سره لمولانا وسيدنا وشيخنا صدر الحقِّ والدين، وارثِ علومِ سيِّد المرسلين، سلطان المحققين محمد بن إسحاق القُونوي قدس الله سره، من شرف الصحبة والإرشاد والهداية، واقتباس الفضائل، وآداب الظاهر والباطن، وعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة، وجد التربية، وانتفع بها غايةَ الانتفاع، وهكذا من خدمة الشيخ الرباني محمد بن السكران البغدادي نوَّر الله تعالى نفسَه، وغيرهما أخذ التربية، وانتفعَ بهم، وإن لم يكن في قدرتي أن أخرجَ من حقوقهم وشرائط آدابهم، لكن هؤلاء بحسن القبول والإرشاد تلطَّفوا وسامحوا، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء.

وأيضاً قال: سمعت من الشيخ نجيب الدين رحمه الله تعالى أنَّ شمس الدين الصفي كان إمامَ جامع شيراز، ومن أكابر الزمان، ومن الصُّلحاء، وحافظ

---

(١) في الأصل: ليعقوب، والمثبت من كتابنا صفحة ٥٧٣، ومرآة الجنان ٤٠.

الأوقات بالذكر، وتلاوة القرآن، وأنواع العبادات كان مستغرقاً ومعموراً[1]، لكنَّه ما أخذَ الذِّكرَ عن أحدٍ، رأى يوماً في الواقعة صورة ذِكره بصورة نورٌ خرجَ من فمه[2]، ووقع على الأرض، ودخل فيها، فقال في نفسه: ما فيه الخير؛ لأنَّ النصَّ فيه ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وهذا بخلافه، فيدلُّ على نقصه، إلا أن يكونَ من عدم التلقين من المشايخ. فتوجَّه إلى بعض مُريدي الشيخ روزبهان البقلي قدس الله تعالى روحه، وأخذَ منه الذِّكر، فرأى في تلك الليلة رؤيا كأنَّ ذِكره خرج بصورةِ نورٍ وصعدَ[3] إلى السماء، وخرقها، ثم صحبَ شيخ الشيوخ الشيخَ شهاب الدين السُّهروردي رضي الله عنه، وحصل له بصحبته ما حصل.

* * *

(٥٤٧) موسى السدراني(*)

الشيخ موسى السدراني رحمه الله تعالى، هو من أَجلَّة أصحاب الشيخ أبي مدين المغربي قدس الله سره.

ذكر الشيخ سعد الدين الفرغاني في «شرح قصيدة التائية»[4]: سمعتُ من الشيخ معبر[5] بن طلحة بن عبد الله بن طلحة التُّستري العراقي رحمه الله تعالى، في سنة خمس وستين وست مئة يروي عن الشيخ عماد الدين محمد بن شيخ الشيوخ شهاب الدين السُّهروردي قدس الله تعالى روحه، قال: كنتُ في بعض الحجَّات مع أبي، وكنت أطوف بالبيت، فرأيت شيخاً مغربياً يطوف، والناسُ يتبرَّكون به، فوصفوني له، وقالوا: هذا ولد الشيخ شهاب الدين.

---

(١) في (ب): ومعموراً.

(٢) في (ب): خرج من فم.

(٣) في (ص): نور متعدٌ.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤) انظر الحاشية (١) صفحة ٧٤٣.

(٥) في المطبوع الفارسي: معتبر.

فقال: مرحباً. وقبَّلَ رأسي، ودعا لي، فكنتُ أجد على الدوام في نفسي أثرَ دعائه، وأرجو من الله تعالى أن تكون بركته معي في الآخرة، فسألت: من هو ؟. قالوا: يقولون له الشيخ موسى. فلمَّا فرغتُ من الطواف، ذهبتُ عند أبي، وأخبروه أنّي زرتُ الشيخ موسى، ودعا لي بالخير، فانبسطَ والدي، ثم ذكروا مناقبه، وقالوا من جملتها: إنه في كلِّ ليلةٍ ونهارٍ له وردٌ، يختمُ القرآن سبعين ألف مرة، فسكت والدي[1]، فقال واحدٌ من أصحاب أبي بالحلف: هذا صحيح ما ينقلون عنه، وإنّي سمعتُ مثلَ هذا الكلام قبله، وما قبلتْ نفسي، بل كنتُ مُنكراً حتى ليلةً وجدتُ الشيخ في الطواف، فوقفتُ خلفه، فرأيته قبَّل الحجرَ الأسود، وابتدأ بالفاتحة وتلا، ومشى كما تكون عادةُ الخلق في الطواف، فتلا هكذا، أفهم وأسمعُ تلاوته حرفاً بعد حرفٍ، فختمها إلى باب بيت الله الذي يكون أربع خطوات من الحجر الأسود، فصدَّقوا كلامه كلُّهم، ثم سألوا من والدي، فقال: هذا من قبيل بسطِ الزمان، يقعُ بسط الزمان بالنسبةِ لبعض أولياء الله تعالى.

ثم قال الشيخ لتصديق هذه القصة: كان لشيخ الشيوخ ابنِ سُكينة رحمه الله تعالى، مريدٌ صائغ، وكان وظيفتُه أن يذهبَ بسجَّادة المسجد يوم الجمعة، ويفرشها في المسجد، ويحملها بعد الصلاة، ويودِّي إلى الخانقاه، ففي جمعةٍ ربط السجادة حتى يؤديها[2] إلى المسجد، فذهب إلى الدجلة لغُسل الجمعة، فنزع الثياب، ودخل في الدجلة وغطسَ فيها، فلمَّا رفع الرأس من الماء رأى ليس تلك الدجلة، فسأل الناس: أيُّ ماءٍ هذا ؟. فقالوا: نيل مصر. فتعجَّبَ، وخرج من الماء، ودخل المدينة، فوصلَ إلى دكانِ صائغٍ، فقام هناك ساعة، وما كان عنده إلاَّ مئزره، كان تحته يسترُ العورة، ففهم صاحبُ الدكان من الفِراسة أنه صائغ، وامتحنه، ففهم أنه يعرف صنعة الصياغة كما ينبغي، فعززه،

---

(١) في (ب): وكان والدي ساكتاً.

(٢) في (ب): ويجمعها بعد الصلاة، ويذهب إلى الخانقاه. فيوم من يوم الجمعة ربط السجادة حتى يذهب بها.

ووداه بيته[1]، وزوّجه بنته، فجاءته بثلاثة أولاد في سبع سنين، فيوماً جاء عند نيل مصر، ودخل فيه وغطس، ولمّا أخرجَ الرأس من الماء وجدَ نفسه في دجلة بغداد في الموضع الذي غطسَ فيه، فرأى ثيابَه كلَّها بحالها على طرف الدجلة، فلبس تلك الثياب، ودخل في الخانقاه، فرأى سجّادةَ المسجد كانت مربوطةً على حالها، فقال بعض أصحابه: أسرع واستعجل؛ لأنَّ بعضَ الأصحاب ذهبوا إلى المسجد. فودّى السجّادة[2] في المسجد، وبعد أداء الصلاة ذهبَ بالسجادة إلى الخانقاه، فتعجّب، واستعجل، وجاء إلى البيت، فقال أهل بيته: أين الضيفان الذي قلتَ اقلي السمك لهم، فالسمكُ مقلياً. فطلب الضيفان، وأكلوا الحوتَ، ثم ذهب عند شيخه ابنِ سُكينة، فأخبره بما جرى عليه، وذكر قصَّةَ الأولاد في مصر، فأمره الشيخ أن يُحضرَ الأولاد إلى بغداد، فلمّا حضرَ أولادُه، فما ذكره كان صدقاً بلا خلاف، فسأله الشيخ ابن سكينة: ذلك اليوم بأيِّ فكرٍ كنت؟. قال: من أول النهار كنتُ في فكر معنى هذه الآية ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، كيف يكون؟ وكنت منازعاً لنفسي. فقال الشيخ: هذه الواقعة لك رحمةٌ من الله لتصحيح الاعتقاد، ورفع الإشكال، وتصحيح الإيمان، لأن الله تعالى قادرٌ أن يبسط الزمان بالنسبة إلى البعض، وبالنسبة يكون ضيقاً، هكذا زمان القبض والبسط، إن الله قادرٌ أن يقبضَ ويبسط، والله القادرُ على ما يشاء.

وهذه القصة قريبٌ من القصَّة التي ذكرها صاحب «الفتوحات»[3] رضي الله تعالى عنه: حكى رجلٌ جوهريٌّ عن نفسه أنه ذهب بقليل من الخمير إلى الفرن حتى يخبزه، وكان جُنباً، فذهب إلى نيل مصر، ودخل فيه ليغتسل، فغاب عن نفسه، فرأى كما يرى في الرؤيا كأنَّه في بغداد، فتزوَّجَ امرأةً في بغداد، وجلسَ مع العيال ستَّ سنين، واستولد منها أولاداً، فرجعَ لحاله، فرأى نفسَه في ماء نيل مصر، فصبَّ الماءَ على جسده، ولبس الثياب، وذهب إلى الفرن، وأخذ

---

(١) في (ب): وذهب به إلى بيته.
(٢) في (ب): فذهب بالسجادة.
(٣) الفتوحات المكية ٢/ ٨٢.

الخبزَ، ودخل بيته، وذكر هذه القصة لأهله كلِّها، فلمَّا مضى عليه شهورٌ جاءت امرأتُه من بغداد، وأولادُه معها، وتسألُ عن بيت الجوهري، فلمَّا اجتمعوا عرفَ الجوهريُّ أولادَه، فسألوها: كم مدَّةُ زواجك؟. قالت: اليوم ستُّ سنين.

* * *

(٥٤٨) عيسى الهِتَار اليمني (*)

الشيخ عيسى الهِتَّار اليمني رحمه الله تعالى.

قال الإمام اليافعي[١]: مرَّ الشيخ يوماً على فاجرةٍ، وقال لها: بعد صلاةِ العشاء أجيءُ عندك. فسُرَّتْ به، وتزيَّنت، فجاء بعد العشاء، وصلَّى في بيتها ركعتين، وخرج، فتغيَّر حالُها وتابت، وما كان عندها أخرجته وأتلفته، فزوَّجها الشيخ واحداً من مُريديه، وأمره الشيخُ أن يجعلَ طعامَ الوليمة عصيدةً، ولا يشتري السمنَ، وكان واحدٌ من الأمراء رفيقَها، فأخبروه، فتعجَّبَ، وقال: تزوجتْ واحداً من الفقراء، وجعلَ الوليمة عصيدة وما عنده سمن!. فالأمير بطريق الاستهزاء أرسلَ قاورتين من الخمر، وقال: قل للشيخ فرحتُ من هذا الخبر، وسمعتُ ليس عندكم سمنٌ، وهذا سمنٌ للعصيدة تأكلوه. فلمَّا وصلَ خادم الأمير، قال الشيخ: أبطأتَ كثيراً، فأخذَ الشيخُ أحدَهما وصبَّ على العصيدة ما كان فيها، ثم أخذَ القارورةَ الأُخرى وفرغ ما كان فيها، وقال للرسول: اقعد، وكلْ منها. فلمَّا أكلَ كان سمناً لطيفاً ما رأى مثله أبداً، وذهبَ عند الأمير، وذكرَ القصَّة، فجاء الأمير عند الشيخ، وتابَ على يد الشيخ.

* * *

(*) مرآة الجنان ٤/ ٣٥٨، روض الرياحين ٣٦٥، ٥١٤ (الحكاية: ٣١٧، ٤٧٢)، طبقات الخواص ١٠٩، الكواكب الدرية ٢/ ٥٠٩، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٢٦.

(١) مرآة الجنان ٤/ ٣٥٩، روض الرياحين ٣٦٥.

(٥٤٩) أبو الغيث بن جميل اليمني (*)

الشيخ أبو الغيث بن جميل اليمني قدس الله تعالى سره، ذو المقامات العلية، والأحوالِ السنية، والأنفاس الصادقة، والكرامات الخارقة.

وكان في ابتداء الحال من قطّاعِ الطريق. كان يوماً منتظراً للقافلة، فسمع هاتفاً يقول:

يا صاحبَ العينِ عليكَ العينُ

فتأثَّر منه أثراً عظيماً، فتابَ مما كان فيه، وأقبلَ على الله، وأناب، وصحب الشيخ ابن أفلح اليمني، وزكت نفسُه وتنوَّرَ قلبه.

وكان صدقُ الإرادة و سيماء السعادة على وجهه ظاهراً، وظهر خرقُ العادات منه كثيراً.

وقيل: إن يوماً خرج إلى الصحراء حتى يحطب الحطب، وكان معه حمارٌ، فاشتغل في الوادي بجمع الحطب، فأكلَ الأسدُ حمارَه، فنظر إلى الأسد، وقال: قتلت حماري، فعلى ما أحمل الحطب؟!. فقال: والذي نفسي بيده، ما أحملُ الحطبَ إلاَّ على ظهرك. فربطَ الحطبَ، وحمله على ظهر الأسد، وساقه حتى وصلَ قريب المدينة، فأخذَ الحطبَ عن ظهر الأسد، وقال له: اذهب أين ما تريد.

ويوماً أهل بيته طلبت منه العطرَ، فدخل في السوق حتى يشتري العطر، وتكلَّم مع العطار في هذا الباب، فقالَ العطَّارُ: ليس في دكاني عطر. قال الشيخ أبو الغيث: لا يكونُ في دكانك عطر. فانعدمَ العطرُ من دكانه، فذهب العطارُ عند شيخه ابن أفلح، وشكا عنده، فطلبه شيخه، وأدَّبه تأديباً لأجل إظهار

(*) مرآة الجنان ٤/ ١٢١، نشر المحاسن الغالية ٧٢، ٢٩٨، ٣٧٠، ٣٧٥، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٩٨، روض الرياحين صفحة ٥٥، والحكاية: ٩١، ١٦٦، ٢٧٩، ٣٠٥، ٣١٥، ٣١٦، ٤٤٧، ٤٤٨، طبقات الخواص ١٨٧، الكواكب الدرية ٢/ ٣٦١، شذرات الذهب ٥/ ٢٥٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٢٨٣.

الكرامة، وقال: غلافٌ واحد لا يسعُ سيفين، اترك. فاعتذر أبو الغيث، وتضرَّع، وبكى فما قَبِلَ شيخُه، وأبى أن يصحبه، فذهب أبو الغيث لطلب شيخٍ آخر حتى ينتفعَ من صحبته، وعند أيِّ شيخٍ يذهب يقول ذلك الشيخ: يكفيك هذا الحال، مالك الاحتياج إلى شيخ. حتى ذهبَ عند الشيخ الكبير علي الأهدل فقبله، قال الشيخ أبو الغيث: لما صحبت الشيخ الكبير وجدتُ نفسي قطرةً هبطت في بحر.

وقيل: إن والي اليمن قتل خادم الشيخ، فلمَّا أخبروه غضبَ غضباً شديداً، وقال: ما لي وللحراسة، أنا أنزل عن المِشْباب[1] وأترك الزرع. فذلك الوقت قُتل السلطان.

ويوماً قالوا الفقراء: اشتهت نفوسُنا اللحم. قال الشيخ: يوم السوق تأكلوا اللحم. فلما جاءَ ذلك اليوم جاءَ خبرٌ أنَّ قطَّاع الطريق نهبوا القافلةَ، فبعد ساعةٍ دخل واحدٌ من قطاع الطريق ببقرةٍ، وأهداها للشيخ، فقال الشيخ: اذبحوا البقرة، واطبخوها، وخلُّوا رأسَها على حاله. فبعد هذا دخلَ واحدٌ غيرُه، وجاء بحمل من بُرٍّ، فأمر الشيخ: اجعلوه دقيقاً، واخبزوا الخبز. فعملوا ما أمرهم الشيخ، فقال الشيخ: كلوا. فبعضُ الفقهاء كانوا حاضرين، فطلبهم الشيخ، فما جاء واحدٌ منهم، فقال الشيخ للفقراء: أنتم كلوا، والفقهاء لا يأكلون الحرام. فالفقراء لما فرغوا من الطعام دخلَ واحدٌ عند الشيخ، وقال: يا أيُّها الشيخ، نذرتُ للفقراء بقرةً، فجاء قطَّاعُ الطريق ونهبوها. قال الشيخ: إن تجدْ رأس البقرة تعرفْها؟. قال: نعم. فأحضروا رأسَ البقرة، فقال: هذا رأسُ بقرتي. فدخلَ رجلٌ آخرُ وقال: يا أيُّها الشيخ، نذرتُ للفقراء حملَ حنطةٍ، فجاء قطَّاعُ الطريق ونهبوه. فقال الشيخ: نذرُ الفقراء وصلَ إلى الفقراء. فلمَّا شاهد الفقهاء ندموا على عدم مُوافقتهم للشيخ.

توفي رضي الله عنه، سنة إحدى وخمسين وست مئة.

---

(١) المِشْباب: مكان عال من خشبٍ منصوبة فوقها عريش يجلس عليه حارس الزرع. روض الرياحين ٤٨٧ (الحكاية ٤٤٧).

(٥٥٠) أبو الحسن المغربي الشاذلي(*)

الشيخ أبو الحسن المغربي الشاذلي رحمه الله تعالى، اسمه علي بن عبد الله شريف حسني[١]، كان ساكناً في الإسكندرية، واجتمع عنده جماعةٌ كثيرة، وهو من كبار أولياء الله تعالى، وعظماء المشايخ.

قال الشيخ: كنت في السياحة، فرقدتُ ليلةً على رابيةٍ، والسباع تحومُ حولي إلى الصباح، فما وجدت آنسَ من تلك الليلة، فلمَّا أصبحتُ جاء في خاطري: أعطاني الله تعالى شيئاً من مقام الأنس، فعزمتُ ونزلت على الماء، فرأيت طيوراً كثيرة ما رأيتُ مثلَها قطُّ، فلمَّا سمعوا صوت نعلي طاروا كلُّهم، فحصلَ لي من خوفها خفقانٌ، فسمعتُ قائلاً يقول لي: البارحةَ أنستَ بالسباع، فما وقع عليك، وخفتَ من طيران الطيور، لكن البارحة كنت معي والآن بنفسك.

وأيضاً عنه، قال: إن مرة مضى عليَّ ثمانون يوماً كنتُ جائعاً، فجاءَ في خاطري: هل لك نصيبٌ من هذا الأمر؟ فرأيتُ امرأةً خرجتْ من مغارةٍ ذاتَ جمالٍ ونور، كأنَّ وجهَها نورُ الشمس، وقالت: منحوس كان جائعاً إلى ثمانين يوماً، ويمنُّ على الله بعمله، اليومَ لي ستَّة أشهر ما ذقتُ الطعام.

(*) تذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٨، العبر ٥/٢٣٢، نكت الهميان ٢١٣، الوافي بالوفيات ٢١/٢١٤، طبقات الأولياء ٤٥٨، مرآة الجنان ٤/١٤٠، حسن المحاضرة ١/٥٢٠، طبقات الشعراني ٢/٤، كشف الظنون ٤٠٤، ٦٦١، ٦٦٢، الكواكب الدرية ٢/٤٧٠، شذرات الذهب ٥/٢٧٨، إيضاح المكنون ١/٥٥٩، ٢/٩٧، ٢٦٤، طبقات الشاذلية ١٥، شجرة النور الزكية ١٨٦، جامع كرامات الأولياء ٢/١٧٥، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٤/٤٢٠، دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٥٦.

وهناك كتب انفردت بترجمته مثل: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن، وكتاب: أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود.

(١) في (ص) و(ح): حسيني.

وأيضاً عنه، قال: كنت في مغارةٍ، قلت: إلهي، متى أكونُ عبداً شاكراً لك؟ فسمعتُ يُقال لي: لمَّا لم تجد مُنعماً عليه غيرك[1]. قلتُ: إلهي، كيف لا أَجد منعماً عليه غيري، وأنعمتَ على الأنبياء، وعلى العلماء، وعلى الملوك؟ سمعتُ قيل لي: إن لم يكن الأنبياءُ لم تجد صراطاً مستقيماً، وإن لم يكن العلماء فبمن تقتدي، وإن لم يكن الملوك ما كنتَ في الأمن، وهذه كلُّها نعمتي عليك.

وأيضاً عنه، قال: كان معي رفيقٌ، فدخلتُ معه في المغارة، وكنت طالباً الوصولَ إلى الله تعالى، فأقول في نفسي: غداً يحصل لي الفتح، فدخل رجلٌ ذو هيبة، قلتُ: من أنت؟. قال: عبد الملك. فهمتُ أنَّه من أولياء الله، قلتُ: ما حالُكَ؟. قال: ما حالك، ما حالك، ما حالُك، كيف يكون حال الذي يقول غداً، أو بعد غد يُفتح لي؟ ليس هذا ولاية ولا فلاح، أيُّها النفسُ، لم لا تعبد الله خاصة؟!. ففهمت بِمَ أرسل إليَّ، فتبتُ واستغفرت الله، ففُتح عليَّ.

وأيضاً عنه، قال: رأيت في المنام رسول الله ﷺ، قال لي: **يا عليُّ، طهِّر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كلِّ نَفَسٍ**. قلت: يا رسول الله، ما ثيابي. قال: إن الله تعالى خلعَ عليك خمسَ خلعٍ، خلعةَ المحبة، وخلعةَ المعرفة، وخلعة التوحيد، وخلعة الإيمان، وخلعة الإسلام، فمن يحبُّه اللهُ سَهَّلَ عليه كلَّ شيءٍ، ومن عرف الله يَصغرُ كلُّ شيءٍ في نظره، ومن علمَ بوحدانيته ما أشركَ به شيئاً، ومن آمن بالله صارَ آمناً من كلِّ شيءٍ، ومن اتَّصف بالإسلام لم يعصِ الله تعالى، وإن عصى فاعتذَر، قَبِلَ الله عذرَه. قال الشيخ أبو الحسن: ففهمتُ من هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

قال الشيخ أبو العباس المُرسي: عزمتُ من المدينة إلى زيارة سيدنا أمير المؤمنين حمزة رضي الله عنه، فرافقني رجلٌ في الطريق، فلمَّا وصلتُ إليها كان بابُ القبة مسدوداً، ففتحها الله تعالى ببركة النبيِّ ﷺ، فدخلنا فيها، فرأيت

---

(١) في الكواكب الدرية ٢/ ٤٧٤: منعماً عليك غيره.

رجلاً مشغولاً بالدُّعاء، فقلتُ لرفيقي: ينبغي أن يكون هذا الرجل من الأبدال، فالدُّعاء في هذا الوقت مُستجاب. فطلبتُ من الله تعالى العافيةَ من بلاء الدنيا، وعذابِ الآخرة، وهو طلبَ من الله تعالى ديناراً، فلمَّا رجعنا، ووصلنا قريباً من المدينة استقبلنا شخصٌ، وأعطى رفيقي ديناراً، فلمَّا دخلتُ المدينة، ووقع عليَّ نظرُ الشيخ أبي الحسن، فقال لرفيقي: يا خسيسَ الهِمَّةِ، وجدتَ ساعةَ إجابة الدعاء فصرفتَها بدينارٍ واحد! لم لا كنتَ مثلَ أبي العباس ؟ طلبَ من الله عافية الدنيا والآخرة، وأجابَه الله تعالى، وقَبِلَ دعاءه.

وأيضاً عنه، قال: في بداية[1] الأمرِ وقعَ التردُّدُ في الانقطاع بين البادية، والعمران، والمدائن، وصحبتُ العلماء، والأخيار، فوصِفَ لي في جبلٍ رجلٌ وليٌّ، فعزمتُ لزيارته، فدخلَ الليل قبلَ وصولي إليه، فجاءَ في خاطري: لا أذهبُ عنده في الليل، وأنامُ على باب غاره، فسمعتُهُ قال من داخلٍ: يا الله، إن رجالاً من عبادك يَطلبون منك تسخيرَ الخلق، فسخَّرتَ لهم خلقك، ورضوا منك بها، وأنا أُريدُ أن تُحوِّلَ وجوهَ الخلق عني، واجعلهم ينظرون إليَّ بسوءِ الخُلُق، حتى لا يبقى لي ملجأٌ، ولا مدخلٌ إلا لحضرتك. فقلت لنفسي: اسمعي، هذا الشيخ من أيِ بحرٍ يغترف. فلمَّا أصبحتُ، دخلتُ وسلَّمت عليه، واستولت عليَّ هيبتُه وعظَّمته، فقلت: يا سيدي، كيف الحال ؟. قال: أشكو إلى الله بردَ التسليم والرضا، كما كنتَ تشكو[2] من حرِّ التدبير والاختيار. قلت: أنا أعرف حرَّ التدبير والاختيار، والآن أنا فيه، فما بردُ التسليم والرضا ؟ ولِمَ تشكي منه ؟. قال: أخافُ أن تشغلني حلاوته عن الله تعالى. قلت: يا سيدي، سمعتُك البارحة تقول: يا الله، رجالٌ من عبادك يَطلبون تسخيرَ الخلق، فسخَّرتَ لهم، ورضوا منك بها. فتبسَّمَ الشيخ، وقال: يا ولدي، تقول اللهم، سخِّر لي، لِمَ لا تقول عوضه: اللَّهُمَّ، كن لي ؟، أنت ظننت أن من يكون الله له يكون محتاجاً.

---

(١) في (ص): في بداءة.
(٢) في (ب): كما أنت تشكو.

قال الإمام اليافعي: سمعت من بعض المشايخ، قال: إذا طلب أحدٌ منه الدعاء يقول: كان الله لك، وهذه الكلمة جامعة مع وجود اختصار اللفظ؛ لأنَّه إذا كان الله له فجميعُ المطلوبات له، لا يكون الله إلا لمن يكون معه، كما قال ﷺ: «من كان لله، كان الله له»[1].

قال الشيخ أبو الحسن: إنَّا لا نرى مع الحقِّ من الخلق أحداً، إن كان ولا بدَّ فكالهباء في الهواء، إن فتَّشتَهُ لم تجده شيئاً.

وأيضاً قال: لا يكن حظُّك من دعائك الفرح بقضاء حاجتك دون فرحك بمناجاتك لمحبوبك، فتكون من المحجوبين.

وأيضاً عنه، قال: كلُّ فقيرٍ لم يكن فيه أربعةُ آداب فاجعله والتُّرابَ سواء؛ الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من النفس، وتركُ الانتصاف لها.

مات في سنة أربع وخمسين وست مئة، متوجِّهاً إلى مكة، ومات بأرضٍ كان ماؤها مالحاً، فلمَّا دفنوه صار ماؤها حلواً ببركة وجوده.

* * *

(٥٥١) يس المغربي الحجام الأسود[*]

الشيخ يس المغربي الحجام الأسود رحمه الله تعالى، هو من أرباب الولاية، وأصحاب الكرامة، كان يتستَّرُ بصنعة الحجامة[2]، وكان الإمام النووي رضي الله عنه مُريدَهُ ومُعتقدَه، ويذهبُ لزيارته، ويطلبُ البركة من صحبته، وكان في إرادته بأيِّ شيءٍ يُشير إليه يقبل، فيوماً قال له: الكتب التي عندك مُستعارةٌ، ردَّها على أصحابها، وارجع إلى بلادك، وزر أهلك. فقبل كلامه، وذهب إلى أهله، وزارهم، ومرضَ ومات بها.

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(*) العبر (نص مستدرك) ١٥، مرآة الجنان ٤/ ٢٠٦، شذرات الذهب ٥/ ٤٠٣.

(٢) في (ص): بصورة الحجام.

وتوفي الشيخ يس في شهر ربيع الأول في الرابع والعشرين، سنة سبعٍ وثمانين وست مئة، وكان عمره ثمانين سنة رحمه الله، والإمام محيي الدين النووي رحمه الله في الرابع والعشرين من رجب، سنة ستٍّ وسبعين وست مئة.

* * *

(٥٥٢) عفيف الدين التِّلِمْساني (*)

الشيخ عفيف الدين التلمساني رحمه الله تعالى، اسمه سليمان بن علي.

وبعض متقشِّفة الفقهاء نسبوه إلى الزندقة والإلحاد، وحجَّتُهم عليه، قالوا له: أنت النصيري. قال: النصيريُّ بعضٌ منِّي. ولا يخفى أنَّه باعتبارِ اصطلاحات هذه الطائفة كان في مقامٍ من مقامات الجمع، وصاحبُ هذا المقام يَرى جميعَ أجزاء الوجود أبعاضاً وتفاصيلاً لنفسه، ويشاهدها في نفسه، كما قيل: جميعُ الخير والشرِّ جزءٌ من الصوفية. ومن أشعاره المشعرة بذلك:

في طُورِ كلِّ حَقيقةٍ لي مَسلَكٌ ... ولكـلِّ مَـرتبـةٍ وذَوقٍ أَسْلـكُ

إن دارتِ الأفلاكُ من حولي فَبِي ... وعلـيَّ دورُ مُحيطهـا يَتحـرَّكُ

ويحتمل ما قال: النصيري بعضٌ مني. يكون بهذا المعنى بسبيل التحقيق، أو بسبيل التقليد.

كتبت شرحاً على «منازل السائرين»[1] الذي هو من مُصنَّفات شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله الأنصاري؛ فمن كان له ذوقٌ ووجدان من مَشربِ الصوفية

(*) العبر ٥/٣٦٧، تالي كتاب وفيات الأعيان ٨٢، فوات الوفيات ٢/ ٠٧٢مرآة الجنان ٤/٢١٦، الوافي بالوفيات ١٥/٤٠٨، البداية والنهاية ١٣/٣٢٦، النجوم الزاهرة ٨/٢٩، كشف الظنون ٢٦٦، ٨٠٢، ١٠٣٤، ١٢٦٤، ١٨٢٩، ١٨٩١، الكواكب الدرية ٢/ ٤٢٠، شذرات الذهب ٥/ ٤١٢، إيضاح المكنون ٢/ ٢٣٢، هدية العارفين ١/ ٤٠٠، أعيان الشيعة ٧/٣٠٨.

(١) انظر الحاشية (٢) صفحة (٢٦).

يعرفُ أنَّ كلامه مبنيٌّ على قواعد العلم والعرفان، ومَبنيٌّ على خصائصِ الذوق والوجدان. وهكذا، له ديوانُ شعرٍ في كمال اللطافة والعذوبة، ومن يُطالعْهُ يفهم أنَّه لا يظهر مثله من أهل الظُّلمة والكَدَرِ، ولا تُثمر شجرة خبيثةٌ مثلَ هذا الثمر الطيِّب.

وذكر في شرح «منازل السائرين» في الدرجة الثالثة من مقام الرضا: وقد ذقتُ هذا المقام، والحمد لله، وتحقَّقتْ صحَّتُه لي في ثلاث مواطن:

أولها: أنّي أشرفت على القتلِ بسيوف الفرنج، خذلهم الله تعالى، فنظرتُ في قلبي فلم أجد عنده تفاوتاً بين الحياة والموت، رضي بحكم الله تعالى، لغلبة سُلطان المحبَّة.

والموطنُ الثاني: أنّي أشرفتُ على الغرق، فنظرتُ إلى قلبي فما رأيتُ تفاوتاً بين الحياة والموت، رضي بحكم الله تعالى.

والموطن الثالث: قيل لي: احذرْ من طريق الصوفية، فإنَّ فيها أموراً تزلُّ فيها القدم. فنظرتُ إلى قلبي، وصحَّحتُ عقد الرضا مع ربِّي، قلت: أُعرضُ بعد الإقبال، وأَخافُ مع صحَّة محبَّتِي لله تعالى من الضلال ؟!. ففاضت عيناي بالدموع، وسرتْ في وجودي نشوةُ الخشوع والخضوع، وأخذتني حالةُ وجدٍ كدتُ فيها أُفارقُ نفسي بعد غيبةِ حسي، فلما انفصلتُ نظمتُ ارتجالاً:

أنـــا فـــي عنـــانِ إرادة الـــ ـمَحبـوب أَجـري لا مَحـالـه
إمَّـا إلـى محـضِ الهـوى طَـوعـاً وإمَّـا للضـلالـه
مهمـا أَحِـبَّ أُحبُّـه أنـا عبـدُه فـي كـلِّ حـالـه

ومن أشعاره أيضاً:

شَهِدتْ نفسُكَ فينا وهي واحدةٌ كثيـرة ذاتُ أوصـافٍ وأَسمـاءِ
ونحن فيك شَهدنا بعد كثرتِنا عيناً بها اتَّحدَ المَرئيُّ والرَّائي

توفي الشيخ عفيف التلمساني سنة تسعين وستٌ مئة.

* * *

(٥٥٣) أبو العباس المُرْسي(*)

الشيخ أبو العباس المُرْسي[1] رحمه الله تعالى، هو من تلامذة الشيخ أبي الحسن الشاذلي.

كان صاحبَ كرامات ظاهرة، ومقامات عالية، فيوماً استدعاه واحدٌ للضيافة، وامتحنه بطعام الشُّبهة، ووضع بين يديه، فقال: كان للحارث المحاسبي إصبعٌ، إذا وضعَ يده[2] على طعامِ الشُّبهة يتحرَّك، وأنا لي ستُّون عِرقاً في اليد تتحرَّك مثلها. فتاب صاحبُ الطعام، واستغفر واعتذر.

قال الإمام اليافعي[3]: بلغني أنَّه امتحن سلطانٌ واحداً من المشايخ، ووضع بين يديه طعاماً فيه لحمٌ، بعضُه كان مذبوحاً، وبعضُه غيرَ مذبوح، فقام الشيخ، وقال: يا صوفية، اليوم أنا خادمكم. فالطعام الذي كان فيه لحمٌ مذبوح وضعَه بين يدي الفقراء، والطعام الذي كان فيه لحمٌ غير مذبوح يخرجه، ويقول: هذا لعسكر السلطان. ويقول: الطيِّب للطيب، والخبيثُ للخبيث. وكان السلطان حاضراً، فاستغفر من ذلك الامتحان.

وقيل: إن الأمير يعقوب، وكان أميرَ المؤمنين في المغرب، قتل أخاه لغيرةِ السَّلطنة، فندمَ من فعله، وتاب، واستغفر، وكان في توبته أثرٌ عظيم، وحصل لباطنه حالٌ عظيم، وكان يرى واقعةَ أرباب السلوك، فصارَ طالباً لشيخ، فدُلَّ على الشيخ أبي مدين رضي الله تعالى عنه، فأرسلَ إليه رسولاً يطلبُه، فأجاب

(*) الوافي بالوفيات ٧/ ٢٦٤، طبقات الأولياء ٤١٨، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٥٧، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧١، المنهل الصافي ٢/ ٤٣، طبقات الشعراني ٢/ ١٢، نيل الابتهاج ٦٤، الكواكب الدرية ٢/٣٣٨، نفح الطيب ٢/ ١٩٠، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٤، شجرة النور الزكية ١٨٧. ولابن عطاء الله السكندري كتاب: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن.

(١) المُرسي: نسبة إلى مرسية إحدى مدن الأندلس.

(٢) في (ص): وضع إصبعه.

(٣) روض الرياحين ٥٣٦ (الحكاية ٤٩٢).

الشيخ، وقال: قَبولُ أمرِ أُولي الأمر واجبٌ، لكن أنا ما أَصلُ إليه، أنا مأمورٌ أن أذهبَ إلى تِلِمسان، وهي مدينةٌ في بلاد المغرب. وكان الشيخ في بِجَابة، فلمَّا وصلَ تِلِمسان، قال لرسول الأمير يعقوب: سلِّمْ عليه منِّي السلام، وقل له شفاؤك عند أبي العباس المُرسي. فمات الشيخ أبو مَدين في تِلِمسان، فجاءَ رسولُ الأمير يعقوب، وأدَّى أمانته، فطلب الأميرُ يعقوبُ الشيخَ أبا العباس المُرسي، وكان مأموراً من الله بالاجتماع بالأمير يعقوب، فلمَّا اجتمعا أمرَ الأميرُ يعقوبُ: أن اذبحوا دجاجةً، واطبخوها، ودجاجةً أُخرى غيرَ مذبوحة واطبخوها وحدها. فلمَّا أحضروهما أشارَ الشيخ للخادم أن ارفع هذه؛ لأنَّها ميتة، وأكلَ الأخرى، فتركَ الأميرُ يعقوبُ السلطنةَ والمملكة كلَّها، واختار صحبته، فببركة نفس الشيخ أبي مدين، وحُسنِ تربية الشيخ أبي العباس فتحَ اللهُ له بابَ المعرفة، وثبَّتَ قدمه في الولاية.

فسنةً وقع إمساكُ المطر، فالشيخ أبو العباس، والأميرُ يعقوب خرجا إلى الصَّحراء، فقال الشيخ أبو العباس: يا يعقوب، صلِّ الصلاة، واطلبِ المطر من الله تعالى للمسلمين. قال يعقوب: يا سيدي، أنت أحرى، وأليقُ بهذا الأمر. قال الشيخ: أنتَ مأمورٌ به. فصلَّى يعقوب الصلاة، ودعا، فنزل المطرُ على الفور.

* * *

(٥٥٤ـ٥٥٥) سعد الحداد، وجوهر (*)

الشيخ سعد الحداد، ومريده الشيخ جوهر رحمهما الله تعالى.

كان الشيخُ جوهرُ عبداً، فأعتقه سيِّدُهُ، وكان في سوق عدن يَبيعُ ويشتري، ويحضر مجالس الفقراء بالاعتقاد والإخلاص، وكان أُمِّيًا، فلما جاء أَجَلُ الشيخ الكبير سعد الحداد ـ المدفون في عدن ـ قال له الفقراء: من يجلس بعدك

(*) مرآة الجنان ٤/ ٣٤٧، روض الرياحين ٢٩٧ (الحكاية: ٢٤٠)، طبقات الخواص ٤٦، تاريخ ثغر عدن ٧١، الكواكب الدرية ٢/ ٣٩٦، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣٨٥.

مكانك ؟. قال: بعد ثلاثة أيام تَجتمعُ الفقراء، فإذا جاءَ طيرٌ أخضرُ، وجلس على رأسِ أحدٍ، فهو يجلس مكاني. فبعد ثلاثة أيام بعد قراءة القرآن والذكر كنَّا مُنتظرين ما وعد الشيخ، فجاء طيرٌ أخضرُ، وجلس عندهم، وكلُّ كُبراء الفقراء كانوا متمنِّين أن يجلسَ هذا الطير على رأس واحدٍ منهم، فبعد زمانٍ طارَ ذلك الطير، وجلسَ على رأس الشيخ جوهر، ولم يخطرْ هذا في خاطره أبداً، وما كان في خاطر أحدٍ من الفقراء أيضاً، فاجتمعَ الفقراء عنده، حتى يذهبوا به إلى زاوية الشيخ، ويُجلسونه مكان الشيخ، وكان جوهرُ يبكي ويقول: ما لي صلاحيةُ هذا الأمر، أنا رجلٌ من أهل السوق، وأُميٌّ، لا أعرفُ طريقة الفقراء ولا آدابهم، وعليَّ حقوقُ الناس، ولي معاملةٌ معهم. قالوا: هذا أمر سماوي، لا بدَّ لك أن تجلسَ، إنَّ التأييدَ من الله تعالى، يُعلِّمُك ما لم تكن تعلم. قال: أمهلوني حتى أدخل السوق، وأؤدِّي حقَّ الناس. فدخل السُّوق، وأدّى حقَّ الناس جميعاً. فجاء في زاوية الشيخ، ولزم صحبةَ الفقراء، فصارَ كاسمه جوهراً.

وله من الفضائل والكمالات ما يطولُ ذكره، فسبحان الكريمِ المنَّان، ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

* * *

(٥٥٦ـ٥٥٧) أحمد بن الجعد، وسعيد أبو عيسى(*)

الشيخ أحمد بن الجعد، والشيخ سعيد المكنى بأبي عيسى رحمهما الله تعالى

قال الإمام اليافعي(١) رحمه الله تعالى: كان في بلاد اليمن شَيخان؛ أحدُهما الشيخ الكبير العارف بالله أحمد بن الجعد، وثانيهما الشيخ الكبير العارف بالله

(*) مرآة الجنان ٤/ ٣٥١، روض الرياحين ٣٣٥، ٥١٤ (الحكاية: ٢٨٢، ٤٧٢)، طبقات الخواص ٢١، الكواكب الدرية ٢/ ٣٨٢، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٥.

(١) مرآة الجنان ٤/ ٣٥٢.

الشيخ سعيد، ولكلِّ واحدٍ منهما أصحابٌ وتلامذة، فيوماً الشيخُ أحمدُ عزمَ إلى زيارة الموتى مع أصحابه، فلقيه الشيخ سعيد، فرافقه، ومشى معه، فلمَّا مشى قليلاً ندم الشيخ سعيد لمرافقته[1]، ورجع.

الشيخ أحمد ذهبَ على عزيمته، وزار الموتى، ثم بعد أيامٍ خرج الشيخ سعيد مع أصحابه لزيارة القبور، فاستقبله الشيخ أحمد في الطريق، واجتمعا، فقال الشيخ أحمد: يا شيخ سعيد، حقُّ الفقراء توجَّه عليك؛ لأنَّك ذلك اليوم رجعتَ عن مُرافقتهم[2]. قال الشيخ سعيد: ليس عليَّ حقُّ الفقراء. قال الشيخ أحمد: قم أنصف. قال الشيخ سعيد: من يقوّمني أُجلسه. قال الشيخ أحمد: من أَجلسني يُبتلى ببلاء. فوقعَ كلامُهما عليهما، فالشيخُ أحمد صار مُقعداً إلى يوم الموت، والشيخ سعيد ابتلاه الله ببلاءٍ حتى كان يحكُّ بدنه، ويقطع لحمه حتى مات.

قال الشيخ الإمام اليافعي[3] رحمه الله تعالى: أحوالُ الفقراء أحدُ من السيوف، إذا كانوا في الأحوال سَواء، وإن لم يكنْ فحالُ القويِّ يَسري في الضعيف، وقد يكونُ حالُ السَّابقِ يؤثِّرُ دون المَسبوق، هذا هو الظاهر، والله أعلم بحقيقة الحال.

* * *

(٥٥٨) نجم الدين عبد الله بن محمد الأصفهاني (*)

الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصفهاني رحمه الله تعالى، هو من تلامذة الشيخ أبي العباس المرسي، وكان مجاوراً بمكَّة شرَّفها الله تعالى سنيناً كثيرة، وله مناقبُ كثيرةٌ، ولا تعدُّ كراماته.

---

(١) في (ح): لموافقته.

(٢) في (ب) و (ح): موافقتهم.

(٣) مرآة الجنان ٤/ ٣٥٢، ٣٥٣.

(*) العبر (ذيول) ١١٨، مرآة الجنان ٤/ ٢٦١، روض الرياحين ١٦٣ (الحكاية: ٨١)، الدرر الكامنة ٢/ ٣٠٢، النجوم الزاهرة ٩/ ٢٥١، العقد الثمين ٥/ ٧١، شذرات الذهب ٦/ ٥٥.

قال واحدٌ من علماء اليمن: عزمت للحجِّ، وخلَّيتُ أبي مريضاً، فلمَّا وصلتُ مكَّةَ وحجَّيتُ كان خاطري متفرِّقاً لأجل الأب، فقلتُ للشيخ نجم الدين: توجَّه إلى حال أبي، وتذكرُ لي حاله حتى تزولَ هذه التفرقة. فتوجَّه، وقال: شفاه الله تعالى، وهو جالسٌ على سريرٍ يَتَسوَّك[1]، ووضع الكُتُبَ حواليه، وحليتُهُ كذا وكذا. وذكر بعض العلامات وما رآه أبداً.

ويوماً تبع جنازة وليٍّ من أولياء الله، وكان مُلقِّنٌ من كبار الفقهاء جلسَ على القبر يُلقِّنُ الميت، فضحك الشيخ نجم الدين، فسأله واحدٌ من تلامذته عن سبب ضحكه، فزجره، ثم قال: لما ابتدأ الملقِّن بالتلقين قال صاحبُ القبر: ألا تعجبونَ أن يلقِّنَ الميتُ الحيَّ ؟.

قالوا له: تزوَّجتَ ؟. قال: ما تزوَّجتُ، وما أكلتُ طعاماً طبخته امرأة.

وشيخه من بلاد العجم، قال له: تجتمعُ في بلاد مصر بالقطب. فخرجَ لطلب القطب، فأخذه جماعةٌ من السُّرَّاق، وقالوا: أنت جاسوس. فربطوه وحبسوه، قال: رأيت نزلَ عليَّ شيخٌ كما ينزلُ البازُ على الصيد، وفكَّني، وقال: قم يا عبد الله، أنا مَطلوبُك. فذهبت إلى بلاد مصر، فما عرفتُ المطلوب، وما فهمت ما المطلوب، فلمَّا قالوا: جاء أبو العباس المرسي. قال بعضُ الفقراء: تعالوا نذهب إليه، ونسلِّم عليه. فذهبتُ معهم، فلمَّا رأيتُه عرفت أنَّه ذلك الشيخ الذي فكَّني، وهو أيضاً ذكر بعضَ العلامات، وما فهم الحاضرون، فلزمتُ خدمته، وصحبته حتى مات، فلمَّا ماتَ عزمتُ إلى مكَّة، وفي الطريق وصلتُ إلى قبر شيخ شيخي الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، فتكلَّمَ الشيخُ من قبره معي، وأمرني أن أذهبَ إلى مكَّة، وأجلس فيها، فلمَّا وصلتُ إلى طرفِ الحرم الشريف هتفَ بي هاتفٌ: قدمتَ إلى خيرِ بلدٍ وشرِّ أهلٍ. فكان مجاوراً بمكة.

في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة، مات بها، وقبره قريب من قبر الشيخ فُضيل بن عِياض.

---

(١) في (ص): يتمسوك.

وفي حياته ما رآه أحدٌ خارجاً من الحرم إلا إلى عرفات[1]، وهذا بحسب الظاهر، أمّا بحسب الباطن فلا يَعلمُهُ إلاَّ علماءُ الباطن.

وقال بعض أولياء الله: لمَّا رجعنا من زيارة النبي ﷺ وكنَّا متوجِّهين إلى مكَّة، فكنَّا في فكر الشيخ نجم الدين؛ لأنه ما زار النبي ﷺ أبداً، وكنا معترضين عليه بالباطن، فرفعتُ رأسي، فرأيتُ الشيخ نجم الدين ذاهباً إلى المدينة في الهواء، فناداني يا محمد، وتكلَّم معي كلاماً.

ويوماً بعضُ أصحابه قالوا: إن الناس يُنكرون عليك لعدم زيارة النبي ﷺ. قال: المنكرُ لا يخلو من أمرين؛ إمَّا أن يكون مُتشرعاً أو محققاً، فإن كان متشرعاً فقل له: يجوز للعبد أن يُسافرَ بلا إذن سيده؟ وإن كان مُحققاً فقل له: من يكون معك على الدوام حاضراً، تُسافرُ في طلبه؟.

وجد بخطٍّ بعض أكابر خراسان: وصلتُ لزيارة الحرم الشريف، زاده الله تعالى شرفاً، في تاريخ سنة ثلاث وسبع مئة، وفي تلك الأيام كان شيخ الحرم الشيخ نجم الدين الأصفهاني، فيوماً سألني عن هذا الحديث: بلغك أن «بُدلاء أمتي أربعون؛ اثنا عشر في العراق، وثمانيةٌ وعشرون في الشام»[2]. قلت: نعم، لكنه عليَّ مُشكلٌ، كيف يكون أن هذه الطائفة لا تكون إلاَّ في الشام والعراق؟ قال الشيخ: قسم النبيُّ ﷺ جميع العالم قسمين، نصفه شرقي، ونصفه غربي، وأرادَ من العراق نصفَ الشرق، ومن الشام نصف الغرب، فالعراقُ وغيرُها مثلُ خراسان، وهندستان، وتركستان، وسائر بلاد الشرق

---

(١) في (ص): خارجاً من الحرم إلى عرفات.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. وقد روى ابن عدي عن أبي هريرة: «البدلاء أربعون، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، كلما مات واحد أبدل الله مكانه آخر..» كشف الخفا ١/ ٢٦ (الأبدال في هذه...).

وللإمام العز بن عبد السلام رسالة في القطب والغوث والأبدال الأربعين وغيرهم، بيّن بطلان قول الناس فيهم، وعدمَ وجودهم كما زعموا. كشف الظنون ٨٨٣.

وللإمام السيوطي رسالة: الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال. كشف الظنون ٧٠٠ (وقد طبع في الحاوي على الفتاوي).

داخلٌ في العراق، والشامُ وغيرها مثل بلاد مصر، والمغرب كلُّها داخلٌ في الشام. فجاء في خاطري أن أسأله عن حال الخواجة قطب الدين يحيى الجامي النيسابوري، فقبلَ أن أسأله، قال: الخواجة قطب الدين هو من الاثني عشر الرجال التي في العراق.

* * *

(٥٥٩) قطب الدين يحيى الجامي النيسابوري(*)

الخواجة قطب الدين يحيى الجامي النيسابوري رحمه الله تعالى، كنيته أبو الفضل، جاميُّ الأصل، ونيسابوري المولد.

كان موصوفاً ومعروفاً بعلوم الظاهر، وأحوال الباطن.

وصحب الشيخ ركن الدين علاء الدولة، والشيخ صفي الدين الأردبيلي، والشيخ صدر الدين الأردبيلي، والشيخ شرف الدين الدركزيني.

وحجَّ سبع حججٍ.

ويوماً ذهب إلى الوحوش بجانب الصحراء، فحصلَ له طلب زيارة بيتِ الله طلباً شديداً، فعزم من ذلك المكان، وكتب هذه الرقعة لأصحابه: إن بالأمس ذهبتُ مع طائفةٍ بنيّة الارتياح والابتهاج بطرف الصحراء، فوقع نتاج:

ذهبتُ مع المحبوبِ نحو خبائه فشاهدتُ أَزهارَ الرُّبا بعيانِهِ
فآياتُ آفاقي ببستانِ خلقه وآياتُ نفسي في حدائقِ شأنِهِ

فإذا غيرة الله بـ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، أخرجني من الأسفل، وحبلُ جذبةٍ من جذبات الحقِّ وقعَ في رقبتي، وقلبي الممتحن:

هارون إن لم يجئ بأمري أكون موساه في بريته

(*) مجمل فصيحي ٢/ ٣٤٠ حوادث سنة ٦٦٩هـ ميلادُ يحيى بن محمود الجامي ظهر يوم الخميس الرابع عشر من صفر.

آخـــذه جـــرًّا بشعـــرِ رأســـه حينـــاً وحينـــاً بشعـــر لحيتـــه

ولا رجع إلى الوطن، ولا ذكره، ودخل الصحراء بإشارة ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾ [الحج: ٢٧]، وإلى جهةِ البيتِ المعظَّم المعلا عزم.

إلى صاحبي إن لم بحبلِ مودَّة أشبعها ظبياً يصير السراء[١]

والسلام على من اتبع الهدى.

توفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس الحادي والعشرين من جُمادى الآخرة، سنة أربعين وسبع مئة، وقبرُه خارجٌ من درب فيروزاباذ.

* * *

(٥٦٠) أبو محمد عبد الله المرجاني المغربي[*]

الشيخ أبو محمد عبد الله المرجاني المغربي رحمه الله تعالى، كان من أكابرِ المشايخ، وأعظم الصوفية، وفتحَ الله له بابَ العلم الإلهي، والمعارف الربانية.

قيل له: إن فلاناً يقول: إنك لمَّا تتكلَّم الكلام يُرى عمودٌ من نورٍ من السماء إلى فمك، فلمَّا تسكتُ ينقطعُ ذلك العمود. فضحك الشيخ قال: ما فهم أنه إذا انقطع ذلك النور أنا أسكت، يعني نورُ العمود الذي من جانب السماء صورة الإمداد الإلهي، فلمَّا ينقطعُ ذلك الإمداد أسكت.

توفي رحمه الله تعالى، بتُونس سنة تسعٍ وتسعين وست مئة.

* * *

---

(١) كذا البيت في الأصل. وترجمته عن الفارسية: الظبية المسكينة تتبع خُطا صيادها؛ فهي مُجبرة مقيدة أسيرة.

(*) العبر ٥/ ٤٠٨، مرآة الجنان ٤/ ٢٣٢، طبقات الشعراني ١/ ٢٠٣.

(٥٦١) أبو عبد الله المعروف بابن المُطّرف الأندلسي (*)

أبو عبد الله المعروف بابن المطرف الأندلسي رحمه الله تعالى، كان مُجاوراً بمكَّة، وكان ورده يطوف بالبيت خمسين أُسبوعاً في اليوم والليلة.

ومات في سنة سبعٍ وسبع مئة(١)، وكان سلطان مكَّة معتقدَهُ، ومن غايةِ الإخلاص حملَ تابوته على كتفه.

قال الإمام اليافعي(٢): قال أصحاب الشيخ أبي محمد اليشكري(٣) المغربي رحمه الله تعالى: لمَّا مات أبو عبد الله قال الشيخُ نجم الدين الأصفهاني: مات الفقر من الحجاز.

وقيل: عزم الشيخُ أبو محمد لزيارة النبيِّ ﷺ، فجاء لوداع أبي عبد الله بن المطرّف، فقال ابن المطرّف: سمعتُ أنَّ المكان الفلاني ليس فيه ماء، فيحصل لك فيه الشدَّة، لكن بعد العسر يَجيءُ المطرُ، وتجد الماء. فخرجت مع أربع نفر(٤)، فلمَّا وصلتُ ذلك المنزل رأيتُ العسرَ كما قاله، ولا كان معنا ماء، وكنت ماشياً، واشتدَّ الحرُّ، وغلبَ علينا العطش، وكان عندي قليل من الماء، فأراد واحدٌ أن يشربه، فقال أبو محمد: لا تشربه؛ فإنك إن شربته تَمُتْ، ولكن بلَّ حلقَكَ حتى لا ييبس. فحصل شدَّةٌ قوية، وما وجدنا الظلَّ حتى نجلس، فسأل الشيخ أبو محمد: ما قال أبو عبد الله بن مطرف وقت الوداع؟. قلت: قال: نجد هذه الشدة والمحنة قوياً. فقال: لا يكون فوق هذه الشدَّة شدَّةٌ، فهل

(*) العبر (الذيل) ٣٨، مرآة الجنان ٤/ ٢٤٢، الدرر الكامنة ٤/ ٢٦٠، الدليل الشافي ٢/ ٦١٢، العقد الثمين ١/ ٤٥٢، شذرات الذهب ٦/ ١٦.

واسمه محمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي الإشبيلي.

(١) وفاته في الدليل الشافي سنة ٦١٢ هـ، والشذرات ٦/ ١٦: موته سنة ٧٠٦ هـ.

(٢) مرآة الجنان ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٣) في الأصل: البكري، والمثبت من مرآة الجنان.

(٤) كذا في الأصل.

قال شيئاً آخر ؟ . قال : قال ثم يجيء المطر . فقال : بشَّرَكَ الله . فظهر غيمٌ صغير من جانبٍ، فكبرَ حتى وصلَ على رؤوسنا، ونزل المطرُ حتى جاء السيل من حوالينا، فشربنا الماء، وتوضَّأنا، واغتسلنا، وحملنا الماءَ فمشينا، فلمَّا ذهبنا قليلاً من الطريق ما وجدنا أثر المطر .

* * *

(٥٦٢) سليمان التركماني المولَّه(*)

الشيخ سليمان التركماني المولَّه رحمه الله تعالى، كان في دمشق، وعليه عباء عتيق متوشِّحٌ به، ولا يخرج من مكانه[١]، ولا يتكلَّمُ إلاَّ للضرورة .

وكان بعضُ العلماء يذهب لزيارته، مع وجود الجاه والحشمة والعظمة، ويلتمسون الدُّعاء، ويجلسون عنده بالأدب .

وقيل : إنه كان لا يصومُ رمضان، ولا يُصلِّي الفرائض، لكن كان له كشفٌ تامٌّ، واطلاعٌ على المغيّبات .

قال الإمام اليافعي[٢] : يمكن أن يكونَ هذا لستر الحال والتلبيس، وكان يُصلِّي في وقتٍ آخر، ويمكنُ أن يضعَ شيئاً في الفم ويرميه، ولا يَنزلُ في حلقه، وأمثالُ هذا نشاهدُهُ في هذه الطائفة كثيراً، كما وقع من قضيب البان الموصلي، والشيخ رَيحان وغيرِهما .

توفي الشيخ سليمان سنة أربعَ عشرة وسبع مئة .

* * *

(*) العبر ٦/ ٧٩، مرآة الجنان ٤/ ٢٥٣، البداية والنهاية ١٤/ ٧٢، شذرات الذهب ٦/ ٣٣ .

(١) في البداية والنهاية : كان مقيماً بطهارة باب البريد .

(٢) مرآة الجنان ٤/ ٢٥٣، ٢٥٤ .

(٥٦٣) علي الكردي (*)

الشيخ علي الكردي رحمه الله تعالى، كان من عُقلاء المجانين، ويَظهر منه أنواعُ الكرامات، وخوارق العادات الظاهرة.

وكان أهل دمشق مريديه ومعتقديه، ويحكمُ بأمرٍ عليهم كما يحكمُ المالك على المملوك، وكانوا مُنقادين لحكمه.

ويوماً أمر واحداً من الأكابر بدمشق أن يضيفَ المشايخ والصوفية، ويعقدَ مجلسَ السماعِ والغناء، فرتَّب ذلك الرجلُ المجلسَ، وطلب القوَّال والمشايخ المشاهير، فلمَّا اجتمع الصوفية، دخلَ الشيخ علي الكردي ذلك البيت، فرأى قوالبَ السكر، فقال لصاحب البيت: ضع هذا كلَّه في البركة، فرماه، والصوفية يشربون منه، وكانوا في السماع والرقص إلى آخر النهار، فلمَّا أكلوا ورجعوا قال الشيخ عليٌّ لصاحب البيت: أخرجْ من البركة قوالبَ السكر كلَّه. فأخرجه، ما ابتلَّ منه شيءٌ، ثم أمر الشيخ صاحبَ البيت أن: اخرجْ من البيت، واقفله، ولا تجيء عندي إلاَّ بعد ثلاثة أيام. ففعل ما أمره، فبعد يومين رأى الشيخ في طريقٍ، وسلَّم عليه، ورجع إلى البيت، فوجدَ البيتَ مُقفلاً كما كان، ففتحَ القفل، ودخل فيه، فرأى جميعَ الرخام المفروش في البيت مَقلوعاً، فرجع وجاء عند الشيخ، وقال: يا سيدي، لِمَ قلعتَ رخام بيتي؟. قال: لا يجوز أن تُضيِّفَ الصوفية على رخام حرام. قال: يا سيدي، هذه من ميراث أبي. فغضب عليه الشيخ، وذهب، وهذا الرجل كان مُعتقداً على كشفِ الشيخ، فتفكَّرَ وتأمَّل كثيراً، فجاء في خاطره: مرَّة قلعوا هذا الفرش، وأصلحوه، فطلبَ المُعلِّمَ الذي عمله، وسأل عنه، وبالغ فيه، فأقرَّ المعلم، وقال: يا سيدي، بعتُ فرشَكَ وأعطيتُكَ بدله من فرش المسجد.

(*) مرآة الزمان ٨/٦٣٨، روض الرياحين ٤٨٠ (الحكاية ٤٤٣)، البداية والنهاية ١٣/١٠٨، الكواكب الدرية ٢/٢٨٢، الطبقات الصغرى ٤٦٣، جامع كرامات الأولياء ٢/١٦٩.

ويوماً جاء الشيخ شهاب الدين السُّهروردي قدس الله تعالى سره برسالةٍ إلى دمشق، فقال لأصحابه: أريد أن أزور الشيخَ عليَّ الكردي. قالوا: هو رجلٌ لا يُصلِّي الصلاة، ويكونُ أكثرَ الأوقات مكشوفَ العورة. قال الشيخ: لا بدَّ لي أن أزوره. فعزمَ، فلمَّا قربَ عند منزله نزلَ من الرُّكوب، فلمَّا رأى الشيخُ عليٌّ الكردي كشفَ عورته، قال الشيخ: هذا لا يَمنعني من زيارتك، واليومَ أنا ضيفُك. فجاء وسلَّم عليه، وجلس، فجاءه رجلان معهما طعام، فقال الشيخ عليٌّ: ضعه عند الشيخ؛ لأنه ضيفي، وقال للشيخ: بسم الله، هذه ضيافتك. فأكل الشيخ، وعظَّمه.

وكان الشيخ علي الكردي في أوائل الحال في مسجدِ الجامع، فجاءَ مجذوبٌ آخرُ اسمه ياقوت، دخلَ دمشق، فلمَّا دخلها خرجَ الشيخُ عليٌّ من دمشق، وسكنَ الصحراء، وما دخل مدينة دمشق حتى مات، وكان ياقوت حاكماً في المدينة.



* * *

(٥٦٤) مُفرِّج (*)

الشيخ مفرج رحمه الله تعالى، هو من أهل صَعيد مصر، وكان جليلَ القدر، عظيمَ الشأن، وكان عبداً حبشياً، حصل له جذبةٌ، فما أكل الطعام والشراب إلى ستَّةِ أشهر، والخلقُ حسبوا أنه مجنون، فضربوه ضرباً شديداً، وقيَّدوه، فلم ينفعْ، ورأوا قيده في مكان، وهو في مكان آخر، وسجنوه، فرأوه خارجَ السجن، فلمَّا رأوا هذه الكرامة رجعوا، وجاؤوا له بطيورٍ مشوية، فقال لها: طيري. فحين كلَّمها طارت بإذن الله تعالى.

ويوم عرفَة رآه واحدٌ من أصحابه في عرفات، ورآه آخر في بيته ذلك النهار

(*) الطالع السعيد ٦٤٨، روض الرياحين ٤٩٩ (الحكاية: ٤٥٩) والصفحة ٥٥٩، نكت الهميان ٢٩٥، طبقات الأولياء ٤٧٢، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٧، الكواكب الدرية ٢/ ٣٠٩، ٥٦١، الطبقات الصغرى ٦٠٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٦٧.

في وقتٍ واحدٍ، وصحبه طولَ النهار، فلمَّا اجتمع هذان الرجلان، وذكرا ما رأياه، وقع التنازعُ بينهما، فقال أحدُهما: يومَ عرفة كان في عرفة، وحلفَ بالطلاق، وثانيهما قال: لا، بل كان في بيته، وحلف بالطلاق، وأنا كنتُ معه كلَّ النهار. فجاءا عند الشيخ مفرج بالخصومة والنزاع، فقال الشيخ: أنتما صادقان، لا يقعُ الطلاقُ عليكما.

قال واحدٌ من الأكابر: سألت الشيخ مفرج: إن صدقَ كلُّ واحدٍ يوجبُ حنثَ الآخر، فكيف لا يحنثُ أحدٌ؟! والعلماء كانوا حاضرين في ذلك المجلس، فأشار الشيخُ لهم بجوابه، فقالوا كلُّهم: ما شاء الله. وما كان جوابهم كافياً ولا شافياً، فذلك الوقت ألهمني الله تعالى جوابَه، فأشارَ الشيخُ إليَّ أن أُجيبه، فقلت: إذا تحقَّقَ الوليُّ بالولاية يمكن أن تتصوَّرَ روحانيته بصورةٍ غير صورته العنصرية، ويمكنُ أن يظهرَ في وقت واحدٍ في جهات مُختلفةٍ، بصورٍ متعدِّدة كما يشاء، فمن رآه في بعض صوره في عرفات فرآه حقاً، ومن رآه في صورة أخرى في بيته فرآه حقاً، فلا يحنث واحدٌ منهما. فقال الشيخ مفرج: هذا الجواب الصحيح الذي أنتَ قلت.

رضي الله عنه، ونفعنا به.

* * *

(٥٦٥) أبو العباس الدَّمَنْهوري (*)

الشيخ أبو العباس الدَّمَنْهوري رحمه الله تعالى، من دمنهور، موضعٍ في مصر.

قال واحدٌ من التجار: كنت في سفرٍ، وكان لي دابَّةٌ أحملُ جميعَ القماش عليها، فلمَّا دخلتُ مصرَ وقع الاختلاطُ مع الخلق، ففقدتُ دابتي، فبادرت، وبالغتُ في الطلب، فما وجدتها، فقال بعضُ المُحبِّين: اذهب إلى الشيخ أبي

(*) روض الرياحين ٥٠١ (الحكاية: ٤٦٢).

العباس الدَّمنهوري، اطلب منه الدعاء. وأنا أعرفُه قبل هذا، فذهبتُ، وسلَّمتُ عليه، وذكرتُ له حالي، فما توجَّه إلى كلامي، لكن قال لي: جاءني أضيافٌ، فينبغي لي دقيقُ كذا وكذا، وينبغي لي لحمُ كذا وكذا. وذكر حوائجَ أُخرى، فخرجتُ من عنده، وذكرتُ في نفسي: والله، بعد هذا لا أَجيءُ عنده أبداً، لأن هذه المشايخ لا يعرفون غيرَ حوائج أنفسهم، فذهبتُ، فاستقبلني شخصٌ كان عنده شيءٌ لي، فأخذته، وقلت له: لا أتركُكَ حتى تُعطيني حقِّي الذي كان لي عندك. فأعطاني ستين درهماً، فقلت: هذه الدراهم أجعلُها معاملةً مع الله تعالى، إمَّا تجيء، وإما تذهب كلُّها، قال: فاشتريت بها كلَّها ما قاله الشيخ، ففضل منها شيءٌ، فشريت به حلوى، فحملها الحمَّال، وعزمتُ إلى الشيخ، فلمَّا وصلتُ قريبَ زاوية الشيخ رأيتُ دابَّتي قائمةً على باب الزاوية، فقلت: هذه الدابة عسى أن لا تكون حقِّي، تكون شبيهةً بها. فلمَّا قربتُ عندها تحقَّقتُ أنها دابتي، وجميعُ القماش على ظهرها، فقلت: أستودعها عند أحدٍ، أو أذهبُ بها إلى الزاوية حتى لا تُفقد مرةً أُخرى. ثم قلتُ في نفسي: الذي ردَّها عليَّ بالسلامة يحفظها. فقدَّمتُ عند الشيخ ما جئتُ به، وعرضتُه عليه، فلمَّا رأى الحلوى، قال: ما هذا ؟. قلتُ: كان زائداً من هذا، فاشتريتُ الحلوى. فقال: ما كان هذا داخلاً في الشرط، فأنا أَزيدُ لك شيئاً، قم ودِّي القماش في السوق، وبع، ولا تستعجل، وأيُّ قدرٍ بعت خذِ الدراهم بلا توقُّفٍ، ولا تَخفْ أن يجيءَ تجَّارٌ آخرون، وينقص السعر، أو يبطئ الشراء؛ لأنَّ البحر في يدي اليمنى، والبرَّ في يدي اليسرى. فذهبت السوق، وبعتُ القماش بأزيدَ من السعر المعهود، وأخذتُ الدراهم، فلمَّا فرغتُ من البيع والمعاملة جاء التجارُ من البرِّ والبحر كأنَّهم كانوا محبوسين، فأطلقهم الله تعالى.

* * *

(٥٦٦) ريحان(*)

الشيخ ريحان رحمه الله تعالى، كان في عدن.

قال واحدٌ من الأخيار: كان شخصٌ على ساحل البحر قريباً من عدن، ولا يقدرُ أن يدخلَ عدن؛ لدخول الليل، وصكوا باب المدينة، فباتَ في ساحل البحر، وما كان عنده شيءٌ يأكله، فرأى الشيخ رَيحان على الساحل، وجاء عنده، وقال: يا سيدي، بابُ المدينة مُقفل، وما عندي شيء آكله، وأريدُ أن تُطعمني الهريسة، فقال: انظر إليه، يَطلبُ مني العشاء، ولا يريد إلاَّ الهريسة، كأنِّي طبَّاخُ الهريسة!. فقلت: يا سيدي، لا بدَّ أن تُطعمني الهريسة. فرأيت قصعةً ملآنة من الهريسة الحارة، وما كان عليها سمنٌ، فقلت: يا سيدي، ينبغي عليه السمنُ، فقال: انظر إليه، لا يأكلُ الهريسة بلا سمنٍ، أنا سمَّان ؟!. فقلت: يا سيدي، بلا سمنٍ، لا أَقدرُ أن آكلها. فقال: اذهب بهذه الركوة، وخذ فيها ماءً حتَّى أتوضأ. فذهبت، وجئت بالماء، فأخذ منِّي الركوة، فصبَّ منها على الهريسة سمناً، فأكلته، وبهذه اللذة ما أَكلتُ طعاماً أبداً.

وقال آخر: في شهر رمضان بين العشاءين ذهبتُ إلى السوق أشتري لأهل البيت شيئاً، فرآني الشيخ ريحان، فجذبني، وصعدَ إلى السماء، فبكيتُ، وقلت: أُريدُ أن تُرجعني إلى الأرض. فردَّني إلى الأرض، وقال: أردتُ أن تتفرَّجَ، لكن أنتَ ما أردت.

قال الإمام اليافعي[1] رحمه الله تعالى: هو أراد أن يفرِّجَه على عجائب ملكوت السماوات.

وقال بعض الصالحين: قلت يوماً للشيخ ريحان: خاطرُك معي ؟ قال: مادام هذا الرأس صحيحاً لا تخف. وأشار إلى رأسه، وأنا حسبته مدة

(*) روض الرياحين ٤٨٣ (الحكاية: ٤٤٤) والصفحة ٥٦٠، طبقات الخواص ٥١، ٥٢، تاريخ ثغر عدن ١١٠، الكواكب الدرية ٢/ ٤١٦، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤.

(١) روض الرياحين ٤٨٤، وقول اليافعي فيه: لعله أراد بهذه الفرجة أن يطلعه.

حياته[1]، وما فهمتُ مُرادَه إلاَّ في اليوم الذي ماتَ فيه، كان ماشياً في أسفل الجبلِ، فخرَّ، وانكسرَ رأسه، ومات به، رضي الله عنه.

* * *

(٥٦٧) علاء الدين الخوارزمي(*)

الشيخ علاء الدين الخوارزمي رحمه الله تعالى، كان له شأنٌ عظيم.

قال الإمام اليافعي: هو صلى الصلاةَ بوضوءٍ واحدٍ إلى اثني عشر يوماً، وخمسَ عشرة سنة ما اتَّصل جنبُه بالأرض، وتمرُّ عليه أيامٌ لا يأكل طعاماً، وإن أكلَ يأكلُ طعاماً خشناً، وفي منى كان عندي لحمٌ، فأبى أن يأكلَه إلاَّ بعد المُبالغة، لموافقتي.

وقيل: إنه حجَّ سنيناً بلا اختيار، لظهور المنكرات التي يراها، لأنه كان مأموراً به.

وأيضاً قال الإمام اليافعي: قال الشيخ علاء الدين: كنتُ معتزلاً في بعض سواحل الروم، فلأجل صلاة عيد الفطر ذهبتُ في بعض قرايا أهل الإسلام، فلمَّا رجعتُ رأيتُ إنساناً في خلوتي يُصلِّي الصلاة، والبطحاء التي كانت على باب الخلوة ما كان فيها أثرُ القدم، فتعجَّبت من أين دخل، فبكى بكاءً شديداً، ففكَّرتُ لأجل ضيافته أيَّ شيءٍ أجيءُ به، لأنَّ اليومَ يوم العيد، فالتفتَ إليَّ، وقال: لا تُفكِّر، لأنَّ تدبيري في الغيب، لكن إن كان عندك ماءٌ ائتني به. فقمتُ لأجيء بالإبريق، فرأيتُ عند الإبريق قرصين ولبَّ اللوز، فأخذته، ووضعته عنده، فكسر الرغيفين، ولبَّ اللوز، ووضع على يدي، وقال: كُلْ. فيعطيني لبَّ اللوز، وأنا آكلُه، وهو لم يأكلْ إلاَّ واحدةً أو اثنتين، وأنا رأيتُ الطعام عنده غريباً، فقال: لا تستغربْ، إنَّ لله عباداً بأيِّ مكانٍ يكونوا، وأيَّ شيءٍ يطلبونه يجدونه. فزادَ تعجُّبي، فقلتُ في نفسي: أطلبُ منه المؤاخاة. فقال:

---

(١) في (ب): وأنا ظننت مدة حياته.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

لا تستعجلْ، أجيءُ عندك إن شاء الله تعالى. فغاب عنِّي، فما علمتُ أين ذهب، ثم جاء في ليلة سابع شوال، وعقد المؤاخاة بيني وبينه، رضي الله عنهما.

* * *

(٥٦٨) عبد الله اليافعي اليمني (*)

الإمام عبد الله اليافعي اليمني رحمه الله تعالى، هو أبو السعادات، عفيفُ الدين، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، نزيلُ الحرمين الشريفين شرفهما الله تعالى، ورضي الله تعالى عنه، كان من كبار مشايخ وقته، وكان عالماً بعلومِ الظاهر والباطن، وله تصانيفُ، ومن جملة تصانيفه «تاريخ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة [ما يعتبر من] حوادث الزمان»[1] وكتاب «روض الرياحين في حكايا الصالحين»[2] وكتاب «الدرُّ النظيم في فضائل القرآن العظيم»، وغيرها من التصانيف، وله أشعارٌ مليحة.

قال الإمام اليافعي: قال الشيخ علاء الدين الخوارزمي رحمه الله تعالى: كنتُ ليلةً في بلاد الشام جالساً في خلوةٍ، وغلَّقتُها من داخل، فرأيتُ رجلين عندي، وما علمت من أين دخلا، وتكلَّما معي كلاماً، وذكرنا أحوال الفقراء، فذكرا رجلاً من الشام، وأثنيا عليه، وقالا: رجلٌ حسنٌ إن كان يعرفُ من أين

(*) طبقات السبكي ١٠/ ٣٣، طبقات الإسنوي ٢/ ٥٧٩، طبقات الأولياء ٥٥٥، الذيل على العبر ١/ ٢٢٥، العقد الثمين ٥/ ١٠٤، ذيول تذكرة الحفاظ ١٥٢، الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، المنهل الصافي ٧/ ٧٤، النجوم الزاهرة ١١/ ٩٣، طبقات الخواص ٦٧، تاريخ ثغر عدن ١٤١، مفتاح السعادة ١/ ٢١٧، الكواكب الدرية ٣/ ٣٥، شذرات الذهب ٦/ ٢١٠، البدر الطالع ١/ ٣٧٨، هدية العارفين ١/ ٤٦٥، روضات الجنات ٤٥٧، جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٢٠، معجم المطبوعات العربية والمعربة ١٩٥٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٧/ ٨٤.

(١) ما بين معقوفين مستدرك من الكتاب نفسه.

(٢) في الأصول حكايات. والمثبت من الكتاب ذاته.

يأكل. ثم قالا: سلّم على صاحبِك عبدِ الله بن أسعد اليافعي. قلت: من أين أنتما تعرفاه؟ هو في الحجاز. قالا: لا يخفى علينا شيءٌ. وقاما، وذهبا إلى المحراب، فحسبت أنّهما يُصليان، فخرجا من جدارِ القبلة، وذهبا.

وأيضاً عنه قال: قال الشيخ المذكور: في بعض سواحل الشام في شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة، دخل شيخان في خلوتي بعد صلاة الظهر، وما علمتُ من أين دخلا، ومن أين جاءا، فسلّما عليَّ، وصافحاني، وأنستُ بهما، وقلتُ: من أين جئتما؟. قالا: سبحان الله، مثلُكَ يسألُ عن هذا الحال!. ثم أحضرتُ عندهما خبزَ شعير يابس كان عندي، قالا: ما جئنا لأجل هذا، قلت: فلأيِّ شيءٍ جئتما؟. قالا: جئنا نوصيك تؤدي السلامَ لعبد الله اليافعي. وقالا: قلْ له بشَّركَ الله. قلت: من أين تعرفاه؟. قالا: إنّا اجتمعنا به، وهو اجتمع بنا. قلتُ: ألكما في أداء هذه البشارة إذن؟. قالا: أجل. وتذاكرا هكذا كأنه جاءا من عنده أخٌ كان لهما في المشرق، فغابا في الحال.

وأيضاً عنه قال: في بدايةِ الحال كنتُ متردِّداً أياماً: أشتغلُ بتحصيل العلوم الموجب للفضيلة والكمال، أو أشتغلُ بالعبادة المُثمرة للحلاوة والسلامة من آفةِ القيل والقال؟ وما كان لي قرارٌ، وكنتُ مُضطرباً أيُهما أختارُ، ولا يَجيء النوم، وكان عندي كتابٌ في اللّيالي أشتغلُ بمطالعته، ففتحتُ ذلك الكتاب بطريق التّفاؤل، فرأيتُ فيه ورقةً ما رأيتُها أبداً، وكان فيها مكتوب أبيات، ما سمعتُها من أحدٍ، وتلك الأبيات هي:

كُنْ عن هُمومِكَ مُعرضا ... وكِلِ الأُمورَ إلى القضا
فلربَّما اتَّسع المَضيقُ ... ولرُبَّما ضاقَ الفضا
وَلَرُبَّ أَمرٍ مُتعبٍ ... لك في عواقِبِهِ رضا
الله يفعلُ ما يشا ... فلا تكنْ متعرِّضا

فلمّا قرأتُ الأبيات كأنّه صَبَّ الماءَ على النار، فسكنَ شدَّةُ قلقي، وبردتْ قوَّةُ حرارتي.

وله - أي الإمام اليافعي - كتاب «مرآة الجنان» في تاريخ السنون، وإلى

خمسين وسبع مئة بيَّنَ حوادثَ الزمان، والله أعلمُ بعد هذا التاريخ كَمْ كان حياً[1] رضي الله عنه، ونفعنا به.

* * *

(٥٦٩) شهاب الدين السُّهرورديُّ المقتول[*]

الشيخ شهاب الدين السُّهروردي المقتول رحمه الله تعالى، اسمه يحيى بن حبش، وكان مُتبحراً في حكمة المشَّائيين[2] والإشراقيين[3]، وفي كلاهما[4] له مصنَّفاتٌ لائقة، وتأليفات رائقة، وطائفة نسبوا إليه علم السيمياء.

كما يُحكى عنه أنه يوماً خرجَ مع جماعةٍ من مدينة دمشق، فوصلَ إلى محلٍّ فيه فرقةُ غنمٍ ترعى، وأصحابه قالوا: ينبغي نشتري كبشاً. فاشتروا كبشاً، فأعطوا لراعي الكبشِ عشرةَ دراهم، وهو أبى، ويبالغ في ثمنها، ويقول: تأخذوا أصغر منه بهذا الثمن. فقال الشيخ لأصحابه: أنتم سيروا بالكبش، وأنا أُرضيه، وألحقُ بكم. فالجماعة ذهبوا بالكبش، والشيخُ يتكلَّمُ مع الراعي قولاً ليِّناً حتى ابتعدوا جماعته، فمشى الشيخُ على إثرهم، والراعي أيضاً مع الشيخ

---

(١) توفي بمكة سنة ٧٦٨، ودفن بجانب الفضيل بن عياض.

(*) معجم الأدباء ١٩/ ٣١٤، وفيات الأعيان ٦/ ٢٦٨، طبقات الأطباء ٦٤١، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٢٠٧، العبر ٤/ ٢٩٠، مرآة الجنان ٣/ ٤٣٤، طبقات الإسنوي ٢/ ٤٤٢، النجوم الزاهرة ٦/ ١١٤، لسان الميزان ٣/ ١٥٦، الكواكب الدرية ٢/ ٣١٠، شذرات الذهب ٤/ ٢٩٠، هدية العارفين ٢/ ٥٢١.

(٢) المشاؤون: اسم لأرسطو وأتباعه، إشارة إلى طريقة أرسطو في التعليم، إذ يمشي وحوله تلامذته. الموسوعة العربية الميسرة ١٧٠٤.

(٣) الإشراقيون نسبة إلى الإشراقية: اسم مشترك لعدد من التيارات الفلسفية والدينية والصوفية، يجمع بينها القول بضرب من المعرفة التي تتجاوز المعرفة العقلية بمفهومها المنطقي التقليدي، وهي عندهم العلم الحضوري بتعبير شهاب الدين السهروردي، ويعني به حصول العلم بالشيء من غير حصول صورته في الذهن كعلم زيد لنفسه. الموسوعة الفلسفية العربية ١/ ١٠٩. معهد الإنماء العربي.

(٤) كذا في الأصل.

يَصيحُ ويستغيث، فلمَّا وصلَ الراعي إلى الشيخ أخذَ الراعي يدَه اليُسرى، وجرَّها، فانقطعتْ من الكتف، وكانت في يدِ الراعي، وكان الدَّمُ جارياً، فخافَ الراعي، ورمى اليد، وشردَ، فأخذ الشيخُ اليد، ولحقَ بأصحابه، فما كان في يده إلا منديل.

قال الإمام اليافعي[1] رحمه الله تعالى: هذه الأفعال قبيحة، ومن يَعملُ بهذه الأفعال هو أيضاً قبيح، وأقبحُ القبح العلم الذي يُفضي إلى هذه الأفعال.

وهذا من كلامه: حرامٌ على الأجساد المظلمة أن تلحقَ في ملكوت السماوات، فوحِّدِ اللهَ سبحانه، وأنت بتعظيمِهِ ملآن، واذكرْهُ، وأنت من ملابس الأكوان عريان.

ومن أشعاره:

خلعتْ هياكلَهَا بجرعَاء الحِمى ... وصَبَتْ بمعناها القديمِ تشوّقا

وتلفَّتَتْ نحو الدِّيار فشاقها ... رَبْعٌ عَفَتْ أطلالُه فتمزَّقا

وقفتْ تُسائلُهُ فردَّ جوابَها ... رجعُ الصدى أنْ لا سبيلَ إلى اللقا

وكأنَّها برقٌ تألَّقَ في الحِمى ... ثم انطوى فكأنَّه ما أبرقا

وذكر في «تاريخ اليافعي»[2]: كان في عقيدته خَلَلٌ، ويتَّهمونه بعقيدة الحُكماء المتقدِّمين، فلمَّا وصلَ بحلب أفتى العلماءُ بقتله.

قال بعضهم: احبسوه، واخنقوه. وقال بعضُهم: اقتلوه واصلبوه. وقال بعضُهم: خيِّروه بأنواع القتل. فلمَّا كان مُعتاداً بالرياضة، اختارها، فقتلوه بالجوع، يعني مَنعوه من الطَّعام حتى مات، وكان عمرُه ثلاثين سنة، وقيل ثمانٍ وثلاثين سنة، وكان ذلك في سنة سبعٍ وثمانين وخمس مئة.

وأهلُ حلب كانوا مُختلفين في شأنه، فبعضُهم نسبوه بالإلحاد والزندقة،

---

(١) مرآة الجنان ٣/ ٤٣٥، وعبارته فيه: هذه الأفعال وأشباهها بئست من أفعال، وبئس من يفعلها، وبئس العلم الموصل إليها.

(٢) مرآة الجنان ٣/ ٤٣٦، نقلاً عن ابن خلكان من وفيات الأعيان.

وبعضهم اعتقدوا كراماته ومَقاماته، وقالوا: بعد القتل ظهرَ شواهدُ كثيرة بكراماته. وهذه تكون موافقاً؛ لأنه قال الشيخ شمسُ الدين التبريزي[1]، قدس الله سره: في مدينة دمشق ضريحٌ للشيخ شهاب الدين المقتول كافراً.
قلت: حاشا لله أن يكون كافراً، بل لمَّا دخلَ بالصدقِ التام في خدمة الشمس صار بدراً كاملاً، وأنا مُتواضعٌ لأهل الصدق المُنكسرين، ومتكبّرٌ على المتكبِّرين، لكن علمه كان غالباً على عقله، وينبغي أن يكونَ العقلُ غالباً على العلم، والدماغُ الذي هو محلُّ العقل كان ضعيفاً، حصل لبعضهم في عالم الأرواح ذوقٌ، فنزَّلوه، وكانوا مقيمين به، وتعلَّموا[2] من العالم الرباني، لكنَّهم ظنُّوا أن عالمَ الأرواح عالمٌ ربَّانيٌّ إلا أن يتغمَّدَه اللهُ برحمته، أو جذبةٍ من جذبات الحقِّ، أو يأخذه شيخٌ في حجر تربيته، فيجذبه من عالم الأرواح إلى الرباني.

* * *

(٥٧٠) أوحد الدين حامد الكرماني(*)

الشيخ أوحد الدين حامد الكرماني رحمه الله تعالى، كان مريدَ الشيخ ركن الدين السنجاني، وهو مُريدُ الشيخ قطب الدين الأبهري، وهو مريد الشيخ أبي النجيب السُّهروردي قدس الله تعالى أرواحهم.

كان كبيرَ الشأن، وصحب الشيخ محيي الدين ابن العربي، والشيخُ حكى عنه في «الفتوحات» وفي بعض الرسائل.

قال الشيخ في «الفتوحات» في الباب الثامن: قال الشيخ أوحد الدين الكرماني رحمه الله: في أيام الشباب كنتُ في خدمة شيخي، وكنَّا في سفرٍ،

---

(١) في (ب): الشيرازي.
(٢) في (ص): وتكلَّموا.
(*) الفتوحات المكية ١/ ١٢٧، أُنس المسجون وراحة المحزون ١٤. مجمل فصيحي ٢/ ٣٠٩ وفيه أنه توفي في ٣ شعبان سنة ٦٣٥هـ.

وكان مبطوناً راكباً في عماري[1]، فوصلنا مكاناً فيه مارستان، فقلت له: برخصتك، آخذُ الدواء، عسى أن ينفعك. فلمَّا رأى اضطرابي، أجازني، فذهبتُ ورأيت رجلاً جالساً في خيمته، وخدَّامُهُ واقفين حواليه، وقدَّامه شمعةٌ مُسرجة، وهو لا يعرفني، وأنا لا أعرفه، فلمَّا رآني قام واستقبلني، وأخذَ بيدي، وقال: ما حاجتك ؟. فذكرتُ حالَ الشيخ، فبالفور أعطاني دواءً، وخرج معي وخادمه معه بالشمعة، وأنا خفتُ أن يرى الشيخ، فيخرج، فحلفتُ عليه أن يرجعَ، فرجع، فجئتُ عند الشيخ، وذكرتُ ما فعله بي، فتبسَّمَ الشيخ، وقال: يا ولدي، لمَّا رأيتُ اضطرابك أجزتُ لك بالشفقة، فلمَّا وصلتَ عنده خفتُ إن لم يلتفتْ لك الأمير تصير خجلاً، فلأجله خلعتُ الصورة،فظهرتُ بصورته وشكله، وجلستُ على مكانه، فلمَّا جئتَ أكرمتك وقلتُ ما رأيت.

وذكر في «الرسالة الإقبالية»: قال الشيخ ركن الدين علاء الدولة رحمه الله تعالى: إن يومَ منى كان أحدُ مُريدي الشيخ شهاب الدين السُّهروردي في القافلة، فذهبتُ لزيارته، وكان رجلاً عزيز الوجود، نادرَ العصر، فجلستُ عنده، فوقع الكلام، فقلت: سمعتُ أنَّ الشيخ شهاب الدين يقول: إن الشيخَ أوحدَ الدين كان مبتدعاً، وما تركهُ يدخلُ في مجلسه، هل هو صحيح ؟. قال الرجل: بلى، وأنا كنت حاضراً في ذلك المجمع، ذكر واحدٌ اسم الشيخ أوحد الدين، فقال الشيخ: لا تذكروا عندي اسمَه؛ لأنه مبتدع. وفي مجلسٍ آخرَ كنتُ في خدمة الشيخ حاضراً، قالوا: لمَّا سمعَ الشيخ أوحد الدين أنه قال: هو مبتدعٌ، قال الشيخ أوحد الدين: أفتخرُ بأنَّه جرى اسمي على لسانه. وقال في هذا المعنى بيتاً، والبيت هذا:

ما ساءَني ذكرَاكَ لي بمسَاءَةٍ ... بل سرَّني أنِّي خَطرتُ ببالكا[2]

---

(١) في الفتوحات ١/١٢٨: وكان في محارة.

(٢) البيت لابن الدُّمينة، الديوان صفحة ١٧ صنعه أبو العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب، تحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ. مكتبة دار العروبة. وروايته فيه:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة ... لقد سرَّني أني خطرت ببالكِ

فاستحسنَ الشيخُ شهاب الدين كلامَه.

ويحتمل أن يكون مُرادُ الشيخ بالابتداع هو الذي يقال: هو يتوسَّلُ إلى الشهود الحقيقي بالمظاهر الصورية، ويشاهدُ الجمالَ المُطلقَ في صور المقيَّدات، كما مرَّ[1] أن الشيخ شمس الدين التبريزي سألَ شخصاً: في أيِّ شُغلٍ أنت؟. قال: أنظرُ القمرَ في ماء الطشت. فقال الشيخ شمس الدين قدس الله تعالى سره: إن لم يكن على قفاك دمّلٌ، لِمَ لا تنظره في السماء؟!

وقالوا عند مولانا جلال الدين الرومي قدس الله سره: إن الشيخ أوحد الدين كان عاشقاً للأماريد، لكنَّه على الطهارة. قال مولانا جلال الدين: ليته يفعلُ الشيءَ، ويمرُ عنه، كان أحسنَ.

وتدلُّ أبياتهُ على المعنى المذكور:

نظرتُ بعينِ الرَّأس في كلِّ صورة وفي كلِّ ذا التَّصوير من أثر المعنى
وذا العلم[2] المَرئي من صور ولا يرى قطُّ معنىً حالة[3] صورة معنى

وذُكر في بعض التواريخ: لمَّا تحصل له حرارةٌ في حالة السَّماع والرقص، يشقُّ، ويمزّقُ قمصان الأماريد، ويصلُ صدرَه بصدرهم، فلمّا وصلَ بغدادَ، وكان لخليفةِ بغداد ولدٌ صاحبُ حُسنٍ وجمال، وسمعَ الخليفةُ هذا الكلام ـ يعني يصلُ الصدر بصدر الأماريد ـ قال: هو مبتدعٌ كافر، إن يقع منه مثلُ هذا أنا أقتله. فالشيخُ علمَ هذا المعنى بالكشف، وفي وقت حرارةِ السَّماع قال:

يهـونُ علـيَّ أن يُنحـرَ رأسـي وأَجلـسَ فـوق خِنجـرٍ أو حسـامِ
إذا كـان الحبيـبُ يُـريـد هـذا ويَـرضـى قتلـي، ويـرى حمـامـي
وإن تـكُ قـاتـلَ الكفـار حقـاً[4] يجـوزُ أكـونُ كـافـراً يـا إمـامـي

---

(١) انظر صفحة ٦٣٠.
(٢) في (ح): العالم.
(٣) في (ح): ماله.
(٤) في (ص): قاتل الكفار حتماً.

ثم إن ولد الخليفة قبَّلَ رجله، ووضعَ الرَّأسَ على رجله، وكان مُريداً له.

وقال بعضُ الكُبراء، قدَّس الله أسرارهم، عند أرباب التحقيق والتوحيد: إنَّ الكاملَ الذي يُشاهدُ جمالَ المُطلق سبحانه وتعالى في مظاهر الكون الحسِّي بالبصر، كما يُشاهد في مظاهر الروحاني بالبصيرة، يُشاهدون بالبصيرة الجمالَ المُطلق المَعنوي بما يُعاينون بالبصر الحسنَ المُقيَّد الصوري، وإن جمالَ الله بالكمال له اعتباران.

أحدُهما إطلاق: هو حقيقةُ الجمال الذاتي من هي هي، وإنَّ العارفَ لهذا الجمال المُطلق يُمكن أن يشاهد في حال الفناء في الله.

وثانيهما مُقيّد: هو يحصل من حكم التنزل في المظاهر الحسية أو الروحانية، فالعارفُ إن يبصر الحسَّ[1] يُبصر هكذا، وينظر الجمالَ جمال الله الذي تنزّل[2] في المراتب الكونية، وإن لم يكن هذا النظر، فلا يجوزُ له أن ينظرَ إلى صاحبِ جمالٍ، حتى لا ينزل بهاوية الحيرة والضلالة.

وقال أيضاً: يجوزُ لبعض أهل الطريق تعشُّقِ المظاهر والصُّور الجميلة الحسنة، إذا وجد السَّالكُ عدمَ الترقي، وكان في معرض الاحتجاب.

كما استعاذه بعضُ الأكابر، قدّس الله أسرارهم، وقالوا: نعوذ بالله من التنكُّر بعد التعرّف، ومن الحجاب بعد التجلّي. والتعلّق الحسّي[3] بهذه النسبة للسالك لا يتجاوز صورة المظاهر الحسّية التي اتَّصفت بصفة الحُسن، ولو كان الشهود والكشف المقيّد له، وإن انقطع ذلك التعلّقُ والميلُ الحبّي من صورةٍ يتَّصل بصُورة أُخرى التي يكون مُتَّصفاً بحسن، ويكون على الدوام في التنازع، فالتعلُّقُ والميلُ بصورةٍ فتح باب الحرمان والآفة والفتنة والخذلان، أعاذنا الله وسائر الصالحين من شرِّ ذلك، لكن نبَّهَ جماعةٌ من الأكابر مثل الشيخ أحمد

---

(١) في (ص): الحسن.
(٢) في (ب): ينزل.
(٣) في (ب): الجني.

الغزالي، والشيخ أوحد الدين الكرماني، والشيخ أوحد الدين العراقي[1]، قدّس الله أسرارهم، لأنَّهم في مطالعة جمال المظاهر الصوري الحسّي كانوا مُقيّدين مُشتغلين[2]، فينبغي أن تُحسّن ظنَّك بهم؛ لأنهم الذين كانوا يشاهدون جمالَ المُطلق سبحانه وتعالى بصورة المقيد، وإن أنكر بعضُ الأكابر عليهم فمقصودُ إنكارهم يكون هكذا حتى لا تكون الحجَّة والدليل للمحجوبين، ولا يَقيس بحالِ نفسه حالهم، فيدوم في حضيض الخذلان، وأسفل السافلين، والله أعلم بأسرارهم.

وللشيخ أوحد الدين أشعارٌ رائقةٌ لطيفة، وقال في آخر كتاب «مصباح الأرواح»[3]:

ما دامتِ اليدُ حراك يعد مُحرِّكاً من فعلها الطلُّ
والطلُّ لما أن درَى أن ما كان بدا عن غيره الفعلُ

وله أيضاً:

درى يقيناً أنَّه معدمُ بل غيرُ موجودٍ ولا يخلُ
علماً بأن الشَّيءَ[4] إذا لم يقم بذاته لا يثبتُ العقلُ
وجوده وهو مع الحسن موجودٌ ولكنْ حكم الأصل
ولا نُسمّيه وجوداً إذا لم يك إطلاقٌ ولا نتلوا
وكلَّما قالوا وجوداً به قام فذا اسم[5] وهُمو ضلّوا
وليسَ إلاّ اللهُ فالنَّقشُ والنقاش فردٌ هو لا مثل
وفتنةُ هذا وإلاّ فلا ثمَّ سِواه وله الفضلُ

---

(١) في (ب): فخر الدين العراقي.
(٢) في (ب): مقيدين معتقلين.
(٣) مصباح الأرواح وأسرار الأشباح: منظومة. كشف الظنون ١٧٠٥.
(٤) في (ح): الشيخ.
(٥) في (ص) و(ب): فذاه سموأ.

فـافـرحْ ففـي التَّحقيـقِ هـو القـائـل السـامـع مـا روى النقـلُ
ومــن رأى الأشيــاء بــه يــدري لا مــوجــود إلاّه وإنْ زلّــوا

وله أيضاً:

يـا أوحـدَ الـدِّيـن قـد مضـى زمـنٌ تـدقُّ بـابَ الفـؤاد والقلـبِ
مضــى زمـانٌ أيـن المحـطُّ وكـم تطـوفُ دنيـا كثيـرةَ الثَّلـبِ
بضعــاً وخمسيــن عكفـة أرنـا حـاصلَهـا المستفـاد بـالكسـب

وله أيضاً:

لم أجدِ اللهَ أو أكن عدماً فالسُّكرُ فيه يا أهلَ الحضور هنا[1]
واللهِ لـو كنـتُ عـابـداً صنمـاً لـه لنلـتُ الـوصـولَ منـه أنـا

وله أيضاً:

سـرُّ الحقيقـة لا يحـلُّ لسـائـل بـالقـالِ أو بـالجـاهِ أو بـالمـال
إذ يجعل القلب المولعَ كالدُّمى والعينَ تذري دمعَها الهطَّال
فلعـلَّ أن يقطـع عـوائقـه وأن يحظـى بعلـمِ الحـالِ لا بـالقـال

وله أيضاً:

ذاتي التي من وراءِ الحرفِ خارجةٌ عن حصر دائرتين الحدِّ والنارِ
فاللطف مدّ حياتي حيث أخرج عن حروفِ علّةِ إظهاري وإضماري
فصرتُ أوحدَ فاحذفْهُ أصرْ أحداً وافهم بدائعَ أقوالي وأشعاري

وله أيضاً:

مـن درى الحـقَّ لـم يهتـمَّ بـالـرِّزق ونـالَ المُـراد والمطلـوبـا
وأتتـه عـلامـةُ الحـبِّ مـن طـاقِ بـأسبـابهـا يـرى المحبـوبـا

* * *

---

(١) في (ص): يا أهل الحضور أنا.

(٥٧١) قاسم التبريزي(*)

السيد قاسم التبريزي، رحمه الله تعالى، كان في ابتداء الإرادة في صحبة الشيخ صدر الدين الأردبيلي، رحمه الله تعالى، وبعده صحبَ الشيخ صدر الدين علي اليمني من أصحاب الشيخ أوحد الدين الكرماني، رحمهم الله تعالى.

ورأيتُ نسبةَ الإرادة بخطٍّ بعضِ مُعتقديه، وكان فيه منسوباً إلى الشيخ صدر الدين علي اليمني لا إلى الأردبيلي.

وسمعتُ من بعض الأكابر أنَّ السيِّدَ قاسمَ كان يَستحسن الشيخَ صدر الدين علي اليمني وينسب الإرادة إليه.

وبالجملةُ فأهلُ الزمان في قبوله وردِّه فرقتان.

وبقي منه أمران:

أحدُهما ديوانُ أشعارٍ مُشتملةٍ على معارف الحقائق، وأسرارِ الله، وكشفِ الأنوار والعرفان، وآثارُ الذَّوق والوجدان فيه ظاهرة.

و[ثانيهما]: وجماعةٌ يَنسبون إليه الإرادة، وأنا رأيتُ بعضَهم، وسمعتُ أحوالَ بعضهم، فأكثرُهم كانوا خارجين عن دائرة الإسلام والحبلِ المتين، وداخلون في دائرة إباحة التهاون بالشرع وبالسنة، ويُحتملُ أن يكونَ منشؤه أنه كان على السيِّدِ مشربُ التوحيد غالباً، وكان نظرُه على جميع الأمورِ على المبدأ.

ورُفعَ عنه بساطُ الإعراض والاعتراض بالكلية، وبمقتضى كرمِ الذاتي النُّذورُ والفتوحات تنزل عليهم.

ومقصودُ أصحاب(١) النفس والهوى كان عنده حاصلٌ، وما كان لهم مانع،

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): ومقصود احتجاب.

واجتمعَ عنده أهل الطبع والفتنة[1]، يَسمعون منه المعارفَ والحقائق، فتصرَّفوا فيها بمقتضى شرع النفس والهوى، فكان اشتغالُهم على مُشتهيات النفس، ولا أعرضوا عن مُخالفات الهوى، فدخلوا في وادي الإباحةِ والتهاون بالشرع والسنة، والسيد مطهَّرٌ من الكلِّ.

واجتمعت بواحدٍ من أصحابه، كان شيخاً نورانياً، وكان مقيَّداً بوظائف العبادات، وكان له حضورٌ دائم، وذكرٌ مُستمرٌ، فسألته عن حال السيد، قال: مرتين وصلت في خدمة السيد، أحدهما في هراة، وثانيهما في بلخ، وكلا المرتين يقول لي: ارجعْ إلى بلادك، ولا تُصاحب أصحابي؛ لأنَّ صحبتَهم تضرُّك.

وقال بعض الأكابر: أيامَ كان السيد في سمرقند اجتمعتُ به، وكان في أثناء ذكرِ المعارفِ والحقائق ينقل عن الصدّيق الأكبر، رضي الله عنه، كثيراً، فلمَّا يذكر اسم الصدّيق الأكبر يحصلُ له الرقَّةُ، وتخرجُ الدموع من عينيه، والمُريدون قالوا: هو الآن في مقام أبي بكر الصديق.

وقال بعض الأكابر الذين صحبوه: ما رأينا أحداً في الكرم الذاتي أكرمَ منه.

وبعضُ أكابر أهل خَرجِرْد[2] جام كانوا خالين من التعصُّبِ والإنكار، نقلوا عنه كراماتٍ كثيرةً كما يكون للطائفة الصوفية.

نقل رجل ثقة يُعتمد عليه عن بعض السياحين: عزمنا من تربته المقدسة في جام إلى المشهد المقدَّس في طوس، على ساكنها[3] الصلاة والسلام، وكنَّا ماشيين، فرأوا نوراً من جانب خَرجِرْد مرتفعاً عن الأرض، وصعِدَ السماء، فتعجَّبوا كلُّهم، وقالوا: ما هذا النورُ ؟!. فوصلوا بخَرجِرْد، فرأوا ذلك النور من جانب بيت السيد قاسم قدس الله تعالى سره، فلمَّا وصلوا إليه آخر الليل، وقصدوا زيارة قبر السيد، فشاهدوا وفهموا، كان ذلك النور من البيت الذي فيه مرقده.

---

(١) في (ص): أهل الطبع والفطنة.

(٢) خَرجِرْد: بلد قرب بوشنج هراة. معجم البلدان.

(٣) ساكن طوس الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

وسمعتُ من بعض الصوفية: من يتوجَّهُ إلى قبره، قدس الله سره، تحصلُ له الجمعية، والله تعالى أعلم.

قال مخدومي الخواجة ناصر الدين عبيد الله، مدَّ الله ظلالَ أمر رشاده[1]: اجتمعَ السيد قاسمُ بالخواجة نقشبند، قدّس الله سره، في نواحي قرية أَبِيوَرْد، وصحبه، وكان مُعتقداً طريقه، ويفهم منه أنه كان يُراعي طريقه، وكان مشغولاً بطريقه.

وأيضاً قال الخواجة ناصر الدين: قال السيد قاسم: أيُّ بلادٍ دخلتُ أسأل عن المجانين وأصحبهم، فلمَّا دخلتُ الروم، قالوا: هناك مجنونٌ اسمه مولانا جاني. فلمَّا ذهبتُ عنده عرفته، كان في أوان تحصيل العلم في تبريز، فقلت له: ما وقعَ لك؟. فقال بلسان الرومي: في كلِّ صباح إذا قمتُ كنتُ في تفرقةٍ، فجرَّني واحدٌ إلى جانبٍ، ويجرني الآخرُ إلى جانبٍ، فقمتُ صُبحاً فجذبني أمرٌ خلصتُ من الكلِّ.

وقال: سمعتُ هذا الكلام من السيد قاسم مِراراً، وأيُّ مرة سمعتُه منه رأيتُه يتغيَّرُ حاله في أثناء هذا الكلام، وتخرجُ الدموع من عينيه، فعلمتُ أنّه حصلَ له من كلامه تأثيرٌ عظيم.

وذكر السيد في بعض رسائله: كنتُ ساكنا في بلدة هراة، في خانقاه جديدة، في جوار مولانا ظهير الدِّين الخلوتي، رحمه الله تعالى، في تاريخ سنة تسعٍ وسبعين وسبع مئة، فخرج مولانا الخلوتي سَحَراً من خلوته باكياً، وتوجَّه إلى خلوتي، وصاح، وقال: قل: الله، الله يقول: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، واليوم ستين سنةً أَجري وما وصلت إليه. وكان رجلٌ من أرباب الفقر حاضراً، قال: هذا الكلام يُشبه حكايةَ المجنون الذي في بلاد ما وراء النهر، ويذهبُ ببيوت الناس، ويأكلُ طعامَهم، فلمَّا يخرجُ من البيوت إن يسألَه أحدٌ: أكلتَ شيئاً؟. يقول: ما كانَ شيءٌ، من أين آكل؟! فيوماً رجلٌ من أبناء الملوك ودّاه في بيته، وأحضر له أنواعَ الأطعمة والحلاوة، فأكل ما أراد، فولد

---

(١) في (ب): ظلال إرشاده.

الملك سلَّ السيفَ، وقال: كُلْ، وإلاّ أقطع رأسك، فأكلَ من خوف السيف ما شاء الله، فقال ولدُ الملك: كلْ. قال: شبعتُ، لا يسع بطني شيئاً، وإن تقتلني اقتل، أنا لا أقدر أن آكل لقمةً ولا لقمتين. فلمّا خرج من بيته سأله الناسُ: أكلتَ شيئاً؟ قال: كانت النعمة بلا حدٍّ وغايةٍ؛ لكن من خوف السيف من يقدر أن يأكل.

وفي سنة ثلاثين وثمان مئة في جامع هراة خرجَ واحدٌ سلطان وقته، وكان ساكناً في بيت السيد قاسم، وكان البيتُ مقفلاً، فتوهَّموا أنَّه كان بعلمه[1]، فأخرجوه من البلاد، فذهبَ إلى بلخ وسمرقند، فرجع منها، وأقام في خرجرد، ومات بها في سنة سبعٍ وثلاثين وثمان مئة، وقبره هناك، رحمه الله تعالى.

* * *

(٥٧٢) الحكيم سنائي القونوي(*)

الحكيم سنائي القُونوي، رحمه الله تعالى، كنيتُه واسمه أبو المجد، مجدود بن آدم[2]، وكان ابنَ عمِّ الشيخ رضي الدين علي لالا.

وكان من عظماءِ شُعراء الصوفية، ويَستشهدون بكلامه في مصنفاتهم، وله كتابُ «حديقة الحقيقة»[3] كانت في غاية الكمال في الشعر، وبيان الأذواق، ومواجيد أرباب المعرفة والتوحيد، دليل قاطع وبرهان ساطع.

وهو من صوفية الخواجة يوسف الهمذاني.

---

(١) في (ب): فتوهم أنه كان يعلمه.

(*) روضات الجنات ٧/ ٢٢٤، كشف الظنون ١٦١، ٦٤٥، هدية العارفين ٢/ ٤.

(٢) في هدية العارفين ٢/ ٤: اسمه مجدود، وقيل محدود، وأيضاً ممدود بالميم. وفي (ص): مجذوذ.

(٣) حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة: نظمه في البحر الخفيف لبهرام شاه الغزنوي، ورتبه على عشرين باباً: في التوحيد، وكلام الله، ونعت الرسول، وفضل الصحابة والخلفاء، وفضل السيدين الشهيدين، والإمامين أبي حنيفة والشافعي، والعقل والعلم والعشق والقلب والتصوف.... فرغ من نظمه سنة ٥٢٤ هـ. كشف الظنون ٦٤٥.

وكان سببُ تربيته[1] أنَّ السلطان محمود بن سُبُكتكين في فصل الشتاء عزم إلى بعض ديار الكفار من غزنة، وسنائي أنشأ قصيدة في مدحه، وذهب بها إليه، فوصلَ إلى موقدِ الحمام، وكان هناك مجذوبٌ مشهور بأكل الطين، يعني: يأكل دُرْدِيَّ الخمر[2]، فسمع السنائي صوتَ المجنون قال لساقي الخمر: املأ القدحَ على عماية[3] محمود بن سُبُكتكين، حتى أشرب. قال الساقي: محمود سلطانُ الإسلام، وغازي. قال: رُجيلٌ[4] خفيفُ العقل؛ لأنَّ البلادَ التي أخذها لا يَضبطها، ويعزمُ إلى بلادٍ أخرى. فأخذَ القدح وشربه، ثم قال: املأ قدحاً آخر على عمايته السنائي الشاعر. قال الساقي: السنائي رجلٌ فاضل، لطيف الطبع. فقال: لو كانَ لطيف الطبع لاشتغل بشيءٍ يَنفعه، لأنَّه كتبَ قِرطاساً بالكذب لا ينفعه، ولا يعلم لِمَا خُلق. فلمَّا سمعَ السنائي هذا الكلام تغيَّرَ حالُه، وانتبه بكلامه، وخرجَ عن الغفلة، ووضع القدمَ في الطريق، واشتغلَ بالسُّلوك[5].

وذكر مولانا جلال الدين الرُّومي، قدّس الله سره: أنه لمّا كان السنائي مُحتضراً كان يَتكلَّمُ بشيءٍ لا يسمعُه أحدٌ، فأصغى واحدٌ الأُذنَ لفمه، فإذا هو يقرأ هذا البيت:

قلتُ لا شيءَ ثمَّ إنّي حَتماً راجعٌ عنه يا أُولي الأفهام

حيث أن الكلام قائم بالمعنى وذاك المعنى يقين الكلام[6]

فسمع واحدٌ من الأكابر، فقال: هذا حالٌ عجيب؛ لأنَّ الوقتَ وقتُ الرُّجوعِ عن الكلام، وهو مشغولٌ بالكلام.

---

(1) في (ب): سبب توبته.

(2) دردي الخمر: ما يبقى أسفله. انظر القاموس (درد).

(3) في (ب): عمايته.

(4) في (ص): رجل.

(5) في هذه الحكاية نظر، فإن محمود بن سُبكتكين توفي سنة ٤٢١ هـ، وصاحب الترجمة توفي سنة ٥٢٥ هـ.

(6) هذا البيت ليس في (ص).

والسنائي على الدَّوام كان مُنزوياً، ومُنقطعاً عن مخالطة أهل الدنيا، وكان واحدٌ من أرباب الجاه والجلال أرادَ أن يَزورَه، فلمَّا سمعَ الشيخُ عزيمته كتبَ له مكتوباً مُشتملاً على لطائف كثيرة، ومن جملته: إنَّ عقل الداعي وروحَه في خدمتكم، وبدنُه ضعيفٌ ليس له طاقة التفقد، وقوّةُ التعهُّد ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل: ٣٤] والكلابة[١] المندرسة ليس لها طاقة حمل ثقل الجبارين، والناقة الضعيفة لا تحمل حمل الأسد، والله أعلم.

وقت ضرب سُرادقاتك تزولُ عافيةُ الضعيف المتزوي، وبضاعة القناعة مني تستودع[٢] أصحاب الحصر واليأس، وقد أعطاه الله فضل الدين والدنيا لصاحب الفضل، فلا تخرّب قلب هذا المتزوي بإينار[٣] راحتك؛ لأن جسم هذا الحقير أداءُ حقِّ تعظيمك.

ومن أشعاره:

سمعتَ وصفَ الصين والرُّوم فقمْ وانظرْ فما تنظرُ إلا ما أَقول
قلباً بلا حرصٍ ولا بخلٍ لدي روحٌ بلا كِبْرٍ ولا عقد تجول
فاتركِ اليد[٤] يكون الملكُ في يدك وعدٌ عن ذهبٍ وعن حول
حتَّى ترى المعدن ملكاً لك والأفلاكَ تحت السرجِ تغدو وتصول

وله أيضاً:

كجيفةٍ إن ذا العالم أشبهه من حولِ مثواه آلافٌ من الرَّخم
يضربنَه بمناقير ويضربُها بمخلبٍ ويولي الكلُّ للعدم

وله أيضاً:

أكثر الناس في ضلالٍ وقليلٌ منهم في هداية ونقاء

---

(١) في (ب): الكلاية.
(٢) من هنا وحتى قوله: وهذه القصيدة صفحة (٧٩٤) ليس في (ص).
(٣) في (ح): بإيثار.
(٤) في (ب): فاترك إليه.

عشْ حياةً يتعبُ لموتك ناسٌ أنت في راحةٍ وهم في عناء
لا تعش ضدها فتشرح الناس إذا صرت عنهم للفناء

وله أيضاً:

قلوبنا كلُّها لقد صارت ماء وأرواحنا دماءٌ تجري
حتى ترى ما وراء الحجاب وأن يبلغ ذا العقل حكم القبرِ[1]
فأنت والكون ملكه أبداً وعنك هو خارج فمن يدري

وله أيضاً:

يقيم من كان في النهار وفي الليل جميعاً بذاته قائم
من قهرك الخوفُ والرجاء أبداً في كلِّ آنٍ من لطفك الدائم
ومن يكنْ رأسَ ماله لهبٌ وماءٌ ففي الخوف سابح عائم
فإن تصل[2] ظلّ فالجحيم وجيحون سواء فأليفهم ألفاهم

وله أيضاً:

جاء مع[3] سينِ سرير الأسود العشقُ مع ميم ملوك فافهم
مع بلادِ القمر السّائر أتى العشقُ مع كافِ كمالِ إذ سمي
قدمٌ واحدٌ في ذا كلّه صار عشقاً ويحَ من لم يعلمِ

وله أيضاً:

ابذلِ الرُّوحَ في الهوى أيَّ بذلٍ ثم لا تنظرْ لغير الحبيب
ينبغي للعشّاقِ لا ينظروا ناراً ولا جنَّةً بلا محبوبِ

وله أيضاً:

صيِّرِ الذّاتَ في حجابِ الوجودِ محضَ محوٍ واعبدِ الزنارا
واهدم الدين واعشقن مثل قومٍ أخذوا الجمر في يديهم جهارا

---

(١) في (ح): حكمة القهر.
(٢) في (ح): فإن تصر.
(٣) في (ح): جاء من.

ثم حُمْ حول السُّكر والكفر وأبَ أيَّ ملك يرى لغير السكارى

وله أيضاً:

بكَ حيٌّ أنا وإنَّ حياة الناسِ بالنَّفس دائم في شغلك
قد تركت الدنيا وديني أرجو كرماً يشمل الورى من فضلك

وله أيضاً:

إن يحل[1] قلبي إلى غيرهِ مَنعتُهُ الرُّجعةَ إلى أصله
أو تنظر العين لغيرٍ فما أتركها حيناً على أجله

وله أيضاً:

إن اغبرَّ وجهُك من تربنا حذار حذار بأن تغسله وكن في طريق الهوى
كاملاً شجاعاً وروحك ابذله له إلى أن ترى البحر ذا يابساً والنار باردة

وله أيضاً:

يا عقلُ إن كنتَ شريفاً فكنْ دنًّا ويا قلب انقلب كالدمِ
وأكثرِ التلوين في حجبِ ذا المحبوب إذا كان بديعاً سمي
وادخلْ بلا عينٍ إذا جئته واخرج قصد اللسان الفم

وله أيضاً:

لك يا عشقَ الرُّوح المقدَّسِ[2] دار لتجارتك العقل المجرد محمل
وكذا القلب رائد العلم لكن هو من علمك صائرٌ مجمل
يضرب الرأس باليدين ورجلاه جميعاً في الطين لم تتحول

وله قصيدة رائية أزيد من ثمانين ومئة بيتٍ سماها: رموز الأنبياء وكنوز الأولياء. أدرج فيها معارف وحقائق، ولطائف ودقائق، أولها هذا البيت:

يا فتية العشق اطلبوه إذ بأحسن السير إن تريدوه

---

(١) في (ح): إن يمل.
(٢) في (ح): القدس.

وأنتـم يـا مـلاح شغلكـم حلـو مليـح فـاطـربـوا تيهـو

وله غيرُ «حديقة الحقيقة» ثلاث كتب[1] منظومة بوزن «الحديقة» لكنها مختصرة، ومنها هذا البيت:

إن أنت قد طرت بالجناحِ إلى فوق فعاوذ فأنت لم تخلص
فأنتَ في السّجنِ فارجعن إلى يجوز أو ما يجوز أو ينقص
ها أنت جعلك بدست صورة ذا الكون فما أن لك بأن ترقص
مقيدٌ أنـت قـد كُتبـت بـديـوان تكـاليـف أن تجـل تنكـص

تاريخ إتمام «الحديقة» نظمه لنفسه كان سنة خمس وعشرين وخمس مئة، وكتب بعضهم تاريخ وفاته هذا أيضاً. والله أعلم.

* * *

(٥٧٣) فريد الدين العطار(*)

فريد الدين العطار قُدّس سرُه، وهو مريدُ الشيخ مجد الدين البغدادي.

ذكر في عنوان «تذكرة الأولياء»[2] المنسوبة إليه، قال: يوماً ذهبتُ عند الإمام مجد الدين البغدادي، فرأيته يبكي، قلت: ما يجري عليك؟ قال: كان في هذه الأمة رجالٌ بمثابة الأنبياء عليهم السلام، لأن: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[3] فقال: أبكي لهذا، إلا أنني أمس قلت: يا الله، فعلك ليس بعلّةٍ،

---

(١) كذا في الأصل.

(*) روضات الجنات ٨/ ٥٧ (٦٨٦)، كشف الظنون: ٨٤، ١٦١، ٢٥١، ٢٥٥، ٣٨٥، ٦١٦، ١٧٢٢، ١٨٦٤، ١٩١٤، إيضاح المكنون ١/ ٣٦٥، ٥٨٤، ٢/ ٦١، ٣٨٤، ٤٠٢، ٥١١، ٥٢٦، ٧٢٩، ٧٣٠. هـديـة العـارفيـن ٢/ ١١٢، أعيـان الشيعـة ٤٣/ ٢١٩(٩٣٦١)،

(٢) تذكرة الأولياء: فارسي، ذكر فيه سبعين شيخاً من كبار المشايخ. كشف الظنون ٣٨٥، وله ترجمة عربية في مكتبة جامعة طهران.

(٣) قال السخاوي في المقاصد الحسنة ٢٨٦: قال شيخنا ابن حجر، ومن قبله الدّميري والزركشي: إنه لا أصل له، زاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر.

فأدخلني مع هؤلاء القوم، واجعلني من الناظرين لهم، وغير هذا فليس لي به طاقة، فأبكي، هل يقبل هذا، أم لا ؟

وقال بعضهم: إنه كان أُويسياً.

وفي كلام مولانا جلال الدين الرومي قُدِّس سرُّه: مذكور أن نورَ [ابن] منصور الحلاج بعد خمسين ومئة سنةٍ تجلّى على روح فريد الدين العطار، وربّاه.

وقيل: كان سببُ توبته أنه كان يوماً في دكان العطار مشغولاً، ومشغوفاً بالمعاملة، فجاء فقير، وقال كم مرّة: لله شيء، وما التفتَ إلى الفقير، فقال: يا خواجه، كيف تموتُ أنت ؟ قال الشيخ العطار: كما أنت تموت. قال الفقير: أنت تقدر تموت كما أنا أموت ؟ قال العطار: نعم. وكان للفقير قدحٌ، فوضعه تحت رأسه، وقال: الله، ومات. فتغيّر حالُ الشيخ فريد الدين، وتصدَّقَ بما كان في ملكه، ودخل في طريق الصوفية.

وقيل: إن مولانا جلال الدين الرومي لما عزم من بلخ صحب بنيسابور فريد العطار في كبر سنه، والعطار أعطاه من مصنفاته كتاباً يُسمّى «أسرار نامه» وكان هذا الكتاب عنده دائماً، وكان في المعارف والحقائق يقتدي به، كما يقول شعراً:

جام مولانا على معرفة حول دار العطار كهف الطالبين
فشرب شربة سلافة من يد الشمس[1] وزين العالمين

وقال في موضع آخر:

إنَّما العطارُ روحٌ كلُّه والسنائيُّ عينه لي فاشهد
وأنا جئت على أثريهما ولإلهي كلَّ حينٍ أحمد

وكان في مثنوياته وقصائده أسرار التوحيد والحقائق والأذواق والمواجيد، لا يوجد مثلها في مصنفات غيره، جزاه الله تعالى عن الطالبين المشتاقين خير الجزاء.

---

(١) الشمس التبريزي. انظر المطبوع الفارسي.

ومن أنفاسه النفيسة:

منقباً وجهك يا سيدي دخلت في السوق جهاراً نهاراً
والخلقُ جعلوا بذا كلُّهم يعشق بهيَّ الحسن حيث دارا[1]

وهذه القصيدة كانت أزيدَ من عشرين بيتاً، وبعضُ العلماء كتبَ عليها شرحاً حسناً، وفي شرح هذا البيت قالوا هكذا: أي الذي وجهُه بالنور ظاهرُ الوجود، لكنَّه احتجبَ بالتعينات والصور، فظهر بالاحتجاب، فالخلق صاروا حجاباً على وجهه وابتلوا بالحجاب، فصار كثرة الوجود مخفياً بواسطة كثرة التعينات المختلفة، والآثار المُتباينة، فابتُلي الخلُق بالبعد والهجران والغفلة، وبتوهّم الغير والغيرية، أو بواسطة سريان عكس جمال وجهه[2] استتر في وجه المظاهر، فابتلوا بالصور الجميلة ببلاء العشق والمحبّة، فصارَ بعضُهم عاشقَ المعنى، وبعضُهم عاشقَ الصورة.

أنت معنىً خارجُك اسمٌ أراه أنتَ كنزٌ وعاملي بك طلّسم[3]

فالعشاق بتوهّم وجودهم بعدوا من المعشوق، ولم يعلموا من العاشق، ومن جذبهم.

ما توجَّه أحدٌ لغيرك كلٌّ مقبلٌ إن عرفَكَ أو ما عرفكا

وبهذا العنوان كان شرحُ القصيدة، ومن جهة الاختصار وقع الاقتصار.

واستُشهد الشيخ بيد الكفار في سنة سبعٍ وعشرين وست مئة، وقيل كان عمره في تلك الأيام أربع عشرة ومئة، وقبُره في نيسابور، رحمه الله تعالى.

* * *

---

(١) هنا ينتهي خرم (ص) الذي أوله: مني تستودع صفحة (٧٨٩).
(٢) في (ب): كمال وجهه، أو تستر.
(٣) في (ب):

أنت مني خارجك اسم أراه أنت كنز عالمي بك طلسم

(٥٧٤) شرف الدين مُصلح بن عبد الله السعدي الشيرازي(*)

الشيخ شرف الدين مصلح بن عبد الله السعدي الشيرازي، رحمه الله تعالى، كان من أفاضل الصوفية، وكان مُجاوراً بالبقعة الشريفة المنسوبة للشيخ أبي عبد الله بن الخفيف، قدس الله سره.

وكان له علمٌ وافر، وكان له نصيبٌ من الآداب.

وكان سيَّاحاً، وسافرَ أكثرَ الأقاليم، وحجَّ مِراراً ماشياً، ودخل في كنيسة السومنات[1]، وكسرَ صنماً كان أكبرَ الأصنام.

وصحب المشايخ الكبار، وصحب أيضاً الشيخ شهاب الدين السُّهروردي، وسافر معه في سفينة.

وقيل: كان سقى في بلاد الشام والقدس زماناً طويلاً حسبةً لله، حتى اجتمع بالخضر، عليه السلام، وشرب من زلال الأفضال والإنعام.

أخبر يوماً: وقعَ بينه وبين أكابر السادات وأشرافهم كلامٌ، فبعض الأشراف رأى النبيَّ ﷺ في المنام فعاتبه ﷺ، فلمَّا انتبه جاء عند الشيخ، واسترضاه، واستعذر منه.

وكان بعض المشايخ مُنكراً عليه، فرأى في الواقعة كأن أبوابَ السماء فُتحت، فنزلت ملائكة بأطباقٍ من نور، فسألهم: لمن هذا؟. قالوا: للسعدي الشيرازي؛ لأنه قال بالأمس بيتاً، فقبل الله تعالى، وذلك البيت هذا:

معرفةُ الله لها معشرٌ ليسَ لهم مقصدٌ إلاّ هي
فكلُّ خضراء ورقٍ عندهم دفترٌ من معرفة الله

فلمّا انتبه ذلك الشيخ من الواقعة بالفور جاء إلى عند الشيخ يبشّره، فرأى

---

(١) ذكره الجامي في كتابه بهارستان، انظر ترجمته مع ذكر مصادرها التي أشار إليها محققه صفحة ٢٩٩.

(١) في (ب): جزيرة السومنات. وانظر الحاشية (٢) صفحة ٤٦٠.

الشيخ السعدي وعنده سراجٌ مَسروج، ويكلّم نفسه، فلمّا أصغى الأذنَ إليه سمعه يقرأُ ذلك البيت.

مات السعدي في ليلة الجمعة شهر شوال، سنة إحدى وتسعين وستٌ مئة، رحمه الله تعالى.

* * *

(٥٧٥) فخر الدين إبراهيم المشهور بالعراقي(*)

الشيخ فخر الدين إبراهيم المشهور بالعراقي، قدّس الله تعالى سره، هو صاحبُ كتاب «اللمعات»، وديوان شعره مشهور عند الناس.

كان من نواحي هَمَذان، وحفظَ القرآن في صغر سنّه، وكان له صوتٌ عظيم، حتّى إنَّ جميعَ أهل هَمَذان كانوا مُبتلين بحُسن صوته، ثم اشتغل بتحصيل العلوم الظاهرة كما قيل، وفي سنة سبع عشرة جلس للإفادة في بعض مدارس هَمَذان المشهورة.

ودخل يوماً جماعةٌ من القلندرية[١] في هَمَذان، وكان معهم صبيٌّ صبيح مليح، صاحبُ حُسنٍ، وكان مشربُ التعشّق[٢] غالباً على فخر الدين، فلمّا رأى ذلك الصبي ابتُلي بعشقه، وكان معهم، فلمّا سافروا، وحصل الفراق حصل له بعد أيام اضطرابٌ، فخرج على عقبهم، فلمّا لحقَ بهم تشبّه معهم بلباسهم، فذهب معهم إلى الهند، وفي مدينة مُلْتان[٣] اختارَ صحبة الشيخ بهاء الدين زكريا، فأمره الشيخُ بالاعتكاف، فلمّا مضى عليه عشرة أيام حصل له وجدٌ، واستولى عليه حالٌ، فقال في غلبة الحال هذه الأبيات:

إذا وضع الساقي بكأسٍ شَرابه وأعطاه للسَّكران ذلك بالقرض

(*) تاريخ الإسلام للذهبي المجلد ٥١ صفحة ٨٦ وفيات سنة ٦٨١، كشف الظنون ١٥٦٣، هدية العارفين ١/ ١٢، معجم المصنفين ٣/ ١٦١، معجم المؤلفين ١/ ٣١.

(١) القلندرية تقدم تعريف المؤلف بها صفحة (٢١).

(٢) في (ب): مشرب العشق.

(٣) ملتان: (مولتان) مدينة من نواحي الهند قرب غزنة. معجم البلدان.

وكان يقرأُها بصوتٍ حسنٍ عالٍ، ويبكي، فلمّا رآه أهل الخانقاه، وعلموا خلافَ طريقة الشيخ، لأنَّ طريقه في الخلوة ليسَ إلاّ ذكرُ الله أو المراقبة، لا يشتغلون بشيءٍ آخر، فبسبيل الإنكار ذكروا ذلك للشيخ، قال الشيخ: الاشتغالُ بذلك لكم ممنوع، وليس ممنوعاً له.

فبعض الأيام مرَّ بعضُ مُريدي الشيخ المقرَّبين عنده على بيت الخمَّارين، فسمعَ في بيوتهم تلك الأبيات بالطبل والكمنجة[1]، فجاءَ عند الشيخ، وقال ما رأى وسمع، وقال: أنت حاكم، يا شيخ. قال الشيخ: قل ما سمعت. فلمّا وصلَ إلى هذا البيت:

سـرُّه ظـاهـرٌ بغيـر مِـراء هـو قـد أظهـره لغيـر خفـاء
مـن يكـن يطعـنُ العـراقـي إنـي امـرؤ لـم أقـلْ بـالافتـراء

قال الشيخ: ثم أمره، فقام الشيخ، وجاء إلى خلوة العراقي، وقال: يا عراقي، تُناجي في بيوت الخمارين؟ اخرج. فخرج ووضعَ رأسه على قدم الشيخ، فرفع الشيخ رأسَه بيده، فبعد ذلك ما أمره بالخلوة، وخلعَ عليه الخرقةَ من بدنه، وألبسه، وزوَّجه بنتاً من بناته، وجاء له منها ولد فلقَّبوه كبير الدين، فجلسَ فخر الدين عند الشيخ إلى خمس وعشرين سنة، فلمّا قربَ أجلُ الشيخ، وكان في خدمة الشيخ دعاه، وأعطاه الخلافة، فمات الشيخ، فلمّا رأى بعضُ المريدين التفاتَ الشيخ إليه تحرَّكَ عرقُ حسدهم، فذهبوا عند سُلطان الوقت، وقالوا: أكثرُ أوقاته تمضي على الشعر، وصحبةِ الأماريد أصحاب الجمال، وليسَ له استحقاقُ الخلافة. فلمّا علمَ الشيخُ العراقي عزمَ إلى زيارة الحرمين الشريفين، زادهما الله شرفاً، فبعد الزيارة ذهبَ إلى الروم، وصحب الشيخ صدر الدين القونوي، قدّس الله سرَّهما، فأخذَ «الفوائد» منه.

وبعضُ الطالبين كانوا يقرؤون «الفصوص» وكان مُستمعاً معهم، وفي أثنائه صنَّف «اللمعات»، فلمّا فرغَ من تصنيفها جاء بها عند الشيخ، فاستحسنها الشيخ.

---

(١) في (ب): المكنجة، وفي (ص): الكهنجة.

ومعين الدين يُروى أنه من أمراء الروم كان مُعتقدَه ومريده، ولأجله بنى في توقات خانقاه، وكلُّ يوم يجيء لزيارة الشيخ، وجاء يوماً عند الشيخ، وكان معه دراهمُ فتوح للشيخ، وقال بالعجز والانكسار: لا تأمرني بخدمةٍ، ولا تلتفت إليّ. فضحك الشيخ، وقال: يا أمير، لاتقدر أن تسخّرني بالدراهم، اطلب حسنَ القوّال. وحسنُ القوال كان بغاية الحسن، وكانت القلوب تنجذبُ إليه، وما كان لصوته نظير، وجماعةٌ كانوا عاشقين له، وكانوا تابعين هواه في الحضور والغيبة، فلمّا فهمَ الأمير تعلّق خاطر الشيخ إليه أرسلَ المندوبَ يطلبه، فبعد غوغاء العاشقين، ودفع المزاحمة جاؤوا به، فالشيخ والأمير وسائر الأكابر استقبلوه، فلمّا قرّبوا به تقدَّم الشيخ، وسلَّم عليه، وعانقه، فلمّا أراد القوّال الشربةَ أسقاه الشيخُ الشربةَ بيده، ومن كان معه ذهبوا إلى خانقاه الشيخ، ففعلوا السَّماع والرقص، والشيخُ في ذلك الوقت قالَ أبياتاً كثيرة، ومن جملتها هذه:

آلاتُ نغمـاتِ عِشقكـم أبـداً عـارفهـا عيـنُ فعلـه شـركـة
إذا ضـرب ضـربتـه فتسمعهـا الأفـلاكُ كـلٌّ يَصيـرُ فـي حـركـة

وبعد مدّةٍ طلب القوّالُ الرخصة، ورجع إلى مكانه.

قيل: إن يوماً الأمير معين الدين مرَّ إلى جانب الميدان، فرأى الشيخَ وفي يده عصًا واقفاً بين الصبيان، وهم يلعبون الصولجان، قال الأمير: أنا بأيِّ جانبٍ أكون؟. قال الشيخ: ذلك الجانب. وأشار إليه بالرجوع، فذهب الأمير، فلمّا مات الأمير معين الدين توجَّه الشيخُ من الروم إلى مصر، ووقع المُلاقاة بسلطان مصر، فصارَ مُعتقداً ومُريداً له، وجعله شيخَ شيوخ مصر، لكنَّ الشيخ مثل أول يدورُ في الأزقَّة والأسواق بلا تكلّفٍ، ويدور حول الفرج، ويوماً ذهب إلى سوق الإسكافيين، فوقع نظرهُ على ولد بعض الإسكافيين، فابتُلي بحبِّه، فذهب وسلَّم عليه، وسأله: هذا ولدُ من؟. قال: ولدي. فأشار الشيخُ إلى شفتيه، وقال: هذا ظلمٌ عظيم، مثلُ هذه الشفة تُصاحب جلدَ الحمار، وغيره؟. قال الإسكافي: أنا رجلٌ فقير، وهذه حرفتي، إن لم يأخذِ الجلد بسنّه لم نجد الخبز. فسأل الشيخ: في كلِّ يومٍ أيَّ قدرٍ تشتغل؟. قال

الإسكاف: أربعة دراهم. قال الشيخ: كلُّ يومٍ أعطيه ثمانية دراهم. قل له: لا يشتغل[1].

وكان الشيخُ كلَّ يومٍ يذهبُ مع الأصحاب، ويجلسُ في دكَّانه، وينظرُ إليه بالفراغ، ويُنشد الأشعار، ويبكي، فأهلُ الدعوى والحسدِ أخبروا السلطان، فسأل السلطان: هل يذهبُ الولدُ في الليل أو في النهار معه في خلوته ؟. قالوا: لا. فقال السلطان: في دكَّانه يَخلو به ؟. قالوا: لا. فكتبَ السلطان لخدَّامِ الشيخ خمسةَ دنانير زيادةً.

فيوماً آخر وقع المُلاقاةُ للشيخ مع السُّلطان، قال السلطان: سمعنا أنَّ الشيخَ وقعَ له تعلّقُ القلب مع ولد الإسكافي، فعيّنتُ شيئاً حقيراً للمصروف، وإن تريدوا اذهبوا بالولد في الخانقاه. فقال الشيخ: ينبغي لي أن أكون مُنقاداً له، ولا أقدرُ أن أحكمَ عليه. ثم عزم الشيخُ من مصر إلى الشام، فسُلطان مصر كتب إلى كبير أُمراء الشام: أنت مع جميع العُلماء والمشايخ استقبله. فلمَّا استقبلوه، وكان لكبير الأمراء ولدٌ صاحبُ جمالٍ، فلمَّا وقعَ نظرُ الشيخ عليه وضعَ الرأسَ على قدمه، فالولدُ أيضاً وضع رأسَه على قدمِ الشيخ، وكبيرُ الأمراء أيضاً وافقَ الولد، فحصلَ لأهل دمشق إنكارٌ على الشيخ، ولا يقدرُ أحدٌ أن يتكلَّم شيئاً، فلمَّا أقامَ الشيخُ في دمشق ومضى ستةُ أشهرٍ جاء ولده كبير الدين من جانب مُلْتان، وكان في خدمةِ أبيه، فحصل للشيخ مرضٌ، فيوم الموت دعا الولد مع الأصحاب، ووصَّاه، ودعا له، وقال هذه الأبيات:

في الأزل السابق أقسام لم تكن عن قصد بنو آدم
فهذه قاعدة أقسمه في الأزل السابق عن حاكم

مات في ثامن ذي القعدة الحرام، سنة **ثمان وثمانين وستٌ مئة**[2]، وقبرُه قريبُ قبر الشيخ محيي الدين بن العربي في صالحية دمشق، وقبر ولده كبير الدين بجنبه، رحمهما الله تعالى.

---

(١) في (ص): قال: لا يشتغل.

(٢) جاءت وفاته في تاريخ الإسلام ضمن وفيات سنة ٦٨١، و في هدية العارفين ١/ ١٢: توفي سنة ٦٨٠.

(٥٧٦) الأمير الحسيني (*)

الأمير الحسيني، رحمه الله تعالى، اسمه حسين بن عالم بن أبي الحسين، وموطنه كزيو قريةٌ من نواحي غُور[١].

كان عالماً بعلوم الظاهر والباطن، ويُفهم من كتابه «كنز الرموز»[٢] أنه كان مريدَ الشيخ بهاء الدين زكريا بلا واسطة، والمشهورُ عند الناس ذلك، لكن وجدتُ[٣] في بعضِ الكتب مكتوباً: هو مُريدُ الشيخ ركن الدين أبي الفتح، وهو مُريدُ أبيه الشيخ صدر الدين، وهو مريد أبيه الشيخ بهاء الدين زكريا المُولتاني، قدس الله أرواحهم.

وله مصنفاتٌ كثيرةٌ، بعضُها منظوم مثل كتاب «كنز الرموز» و«زاد المسافرين»، وبعضُها منثور مثل كتاب «نزهة الأرواح»[٤] و «روح الأرواح» و «الصراط المستقيم»[٥]، وله ديوانُ شعرٍ في غاية اللطافة، وسؤالات منظومة ردَّ جوابَها الشيخ محمود الجبستري[٦]، ومبني كتاب «كلشن راز»[٧] عليه.

(*) كشف الظنون ٩١٥، ٩٤٧، ١٠٧٧، ١٥٠٥، ١٥١٧، ١٩٣٩، هدية العارفين ١/ ٣١٤.

(١) غور: جبال وولاية بين هراة وغزنة، وهي بلاد واسعة موحشة، وهي مع ذلك لا تنطوي على مدينة مشهورة. معجم البلدان.

(٢) كنز الرموز: فارسي منظوم، مختصر في التصوف والأخلاق. كشف الظنون ١٥١٧.

(٣) في (ب): وجد.

(٤) نزهة الأرواح في سلسلة المشايخ. وهو ـ كما في كشف الظنون ١٩٣٩ ـ مختصر فارسي، منظوم ومنثور.

(٥) الصراط المستقيم المكنى بنجاة الطالبين. انظر كشف الظنون ١٠٧٧.

(٦) في المطبوع الفارسي وهدية العارفين ٤٠٧: الشبستري نسبة إلى قرية من قرى تبريز. وفي كشف الظنون ١٥٠٥: الجبستري: موضع على ثمانية فراسخ من تبريز، وفي (ب) و (ح): الجستري.

(٧) كلش راز: منظوم فارسي، أسئلة وأجوبة على اصطلاح التصوف. كشف الظنون ١٥٠٥.

وقيل: كان سببُ توبته أنه يوماً خرجَ للصيد، فاستقبله ظبيٌ، فأرادَ أن يرميه بالنشاب، فالظبي نظر إليه وقال: حسينُ، ترمي النشَّابَ عليَّ ؟!، واللهُ تعالى خلقك لمعرفته وعبادته لا لأجل هذا. وغابَ عن نظره، فاشتعلَ نارُ الطلب من باطنه، فخرجَ ممّا كان عنده من الدنيا، وعزمَ مع جماعة قلندرية إلى مُلْتَان، فضيَّفهم الشيخ ركن الدين، فلمَّا جنحَ اللَّيلُ، رأى في الرُّؤيا النبيَّ ﷺ وقال ﷺ: يا ركن الدين، اخرج ولدي من هذه الجماعة، وربِّه، واشغلْه بشغلٍ. فاليوم الثاني قال الشيخ ركن الدين لهم: من فيكم شريف ؟. فأشاروا إلى السيد حسين، فأخرجه، وربّاه حتى وصلَ إلى المقامات العالية، فأجازه، وأمره بالرُّجوع إلى خُراسان، فأهل هراة صاروا معتقديه ومريديه.

ومات في سادس عشر شهر شوال، سنة ثمانٍ عشرة وسبع مئة، وقبرُه في مصرح هراة، خارج قبّة عبد الله بن جعفر الطيار، رضي الله عنهم.

* * *

(٥٧٧) أوحدي الأصفهاني(*)

الشيخ أوحدي الأصفهاني، قدّس الله تعالى سرَّه، سُمع أنَّه كان من أصحاب الشيخ أوحد الدين الكرماني، قدس الله سره، والظاهرُ أنَّ هذه النسبةَ إليه(١).

وله ديوانُ شعرٍ في غاية اللطافة والعذوبة، وترجيعاته مشتملةٌ على المعارف والحقائق، ومثنوياته على وزنِ وأسلوب «حديقة» الشيخ سنائي اسمه «جام جم»(٢) أدرج فيه لطائف كثيرة، ومن ذلك المنثور هذه الأبيات:

الأوحديُّ إلى ستين عاماً له في العشقِ حتَّى بدتْ يوماً سعادتُهُ

(*) كشف الظنون ٥٣٣، هدية العارفين ٢٢٨، وفي (ب) و (ح): أوحد الدين.

(١) في (ص): هذه النسبة منه.

(٢) جام جم: مشتمل على لطائف شعرية، ومعارف صوفية، ووزنه على مزاحفات البحر الخفيف. كشف الظنون ٥٣٣ (جام وجم).

وكلَّما قلتُ صدقاً لا مجازَ ولا هزو وحسب أخا العادات عادته
فانظرْ بعينيك ستينَ إذا حسبت كثيرة يفهم المعنى استزادته
أدور كالفلكِ الدَّوار أو بقيت معي بصيرة من صحَّت إجادته
قد كنت مُعتكفاً نحو أربعين على رجلٍ ولا مَطلبٌ أبغي استفادته
فباطني مع محبوبي وظاهر ما عندي يسوق بحدٍّ الطبع جادته
فلم ترَ الناسُ سلواني ولا أحد لخلوتي قاده في العصر قادته
أو صار قلبي بالمحبوب مُتَّصلاً وحسن سرِّي بمحبوبي وفادته

وأنشأ قصيدةً كانت جواباً للقصيدة الرائية للحكيم سنائي، وعددُ أبياتها مئةٌ وستون بيتاً، ومفتتحها هذه الأبيات:

أنا ما لي بأنْ أَصلَه وما هو واصلٌ بي فكيفَ يُرجى فلاحي
كلُّ شغلي بواحدٍ هو في الدار بديعِ الجَمال زينِ الملاح
ليس يَدري بحالتي وعنَائي أنا ما ليَ آسٍ يُداوي جراحي
أنا ما لي صديقٌ أُفشي عليه بعضَ سرِّي ولا ملاذٌ وصاح

إن قبره في مراغة التبريز، وتاريخ وفاته هناك مكتوب سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة.

* * *

(٥٧٨) أفضل الدين بديل الحقائقي الخاقاني (*)

أفضل الدين بديل[١] الحقائقي الخاقاني[٢]، رحمه الله تعالى، كان من تلامذة[٣] الفلكي الشاعر، واشتُهر بشعرٍ؛ لكن كان له طورٌ غير طور الشعر، فالشعرُ في جنبه عدمٌ محضٌ، كما قال حضرة مولوي، قدس الله سره:

(*) ذكره الجامي في كتابه بهارستان، انظر ترجمته مع ذكر مصادرها التي أشار إليها محققه صفحة ٣١٨.

(١) في (ح): بذيل.

(٢) في (ص): الخانقاني.

(٣) في (ب): من فلاسفة.

أنـا عنـدي فنـاءٌ غـريبـاً بـديعـاً كـلُّ شعـر لـه ليـس عجيـبُ
أنـــا لا أفتخــر بنظمــي للشِّعــر وعنــدي درُّ نظــمٍ غــريــب

وكلامه شاهد بهذا المعنى كما قال:

صــورتــي صــارت كصــورتــه وصفــاتــي كلُّهــا صفتــه
لا جــرمَ أن مــا سمــع أحــدٌ بكــلامــي أيــن مــن نعتــه

وقال في محلٍّ آخر:

لقــد طــوَّحَ العشــقُ أقــدامــه ومــدَّ علــى نمــط الكبــريــاء
فسلــبَ وجــودي منّــي بــه وعــدمُ شعــوري لنــا بــالســواء
فــذلــك مــا لا يسعــه أنــا وأنــت فيحتــاج يــاء النــداء[1]

ومن هذا القبيل كلامُه كثير، ويظهرُ من كلامه أنَّه كان له مشربٌ صافٍ من مشارب الصوفية، قدس الله أسرارهم، وذوقٌ تامٌّ.

وكان في زمان خلافة المستضيء بنور الله[2]، وذكره في قصيدة ابن العربي التي في مدح بغداد، وتوفي المستضيء سنة خمسٍ وسبعين[3] وخمس مئة.

وهو الذي قال أيضاً جواب القصيدة الرائية للحكيم سنائي، وعددُ أبياتها تجاوز ثمانين ومئة، ووضع لها بيتاً مطلعاً أوله هذا:

الصبــوح الصبــوح جــاء الفعــل النثــار النثــار جــاءَ الحــبُّ
فعلُه النور مثلُ ما الماء من تحت أصول الأوراق حال يصبُّ
وحبيــبٍ مــن اللطــافــة تحسبُــه نسيــمَ الــربيــع حيــن يهــبُّ
خــدمتنــا الأفــلاك للعبــِ مــا تنظــرُ أجفــانهــا علينــا سكــب

* * *

---

(١) في (ب) و (ح): وأنت مفتاح بالنداء.
(٢) الحسن بن يوسف المستضيء بالله الخليفة العباسي الجواد الحليم العادل الزاهد (٥٣٦ـ٥٧٥). الأعلام.
(٣) في الأصول: وتسعين، والمثبت من كتب التاريخ، انظر مرآة الزمان ٨/ ٣٥٦.

(٥٧٩) الشيخ نظامي(*)

الشيخ نظامي، رحمه الله تعالى، كان له حظٌّ وافرٌ، ونصيبٌ تامٌ من علوم الظاهر، والمصطلحات الرسمية، لكنه تركَ الكلَّ وأقبلَ، وتوجَّه إلى وجه الله تعالى كما قال:

علمُ النجوم وتحقيقُ العلوم معاً قرأت كلاً وقد أُلهمتُ معناه

ومذ وجدتُك في كلِّ العوالمِ في وجودها معلناتٌ كلُّها هو هو

نبذتُ أوراقَ علمي بالعراء نبذاً لمَّا بدا لي وجودُ الكلِّ في الله

وصرف عمره من الأوَّل إلى الآخر في القناعة، والتقوى، والصلاح، واختارَ العزلةَ، وما ذهب على باب الأغنياء أبداً كما يفعلُه بعض الشعراء باتِّباع الهوى والحرص، بل سلاطين الزمان يجيئون لزيارته للتبرّك كما قال:

لـم أقفْ قـطُّ فـي شبـابـي ببـابٍ غيـرِ أبـوابك المنيعـةِ أصـلا

ثـم أرسلـتَ لـي عبـادُك مـا كـان مـرادي، هـذا مـرادُكَ أصـلا

وبقيتُ الشيخَ الجليلَ على بابك فامنع عينَ عذابك[1] فضلا

ومثنوياته التي اشتهرت باسم «بنج كنج»[2] أكثرُها كان بالتماس السلاطين لرجاء أن يكون اسمُهم باقٍ ومذكوراً على ألسنة الفصحاء، وأكثرُها وإن كان بحسب الظاهر أخبارٌ وقصصٌ[3]؛ لكنّه في الحقيقة هو كشفُ الحقائق، وبيانُ المعارف.

والذي مذكور على ألسنة الصوفية طلاَّبِ الوصال والمشتاقين للجمال المُطلق من قولهم: دليلُ وجودِه وجودُه، وبرهانُ شهودِه شهودُه. ضمنه قوله:

(*) هو الياس بن يوسف نظام الدين المطرزي. ذكره الجامي في كتابه بهارستان. انظر ترجمته مع ذكر مصادرها التي أشار إليها محققه صفحة ٢٩٢، كشف الظنون ٨٦، ٢٥٥.

(١) في (ب): عني عذابك.

(٢) بنج كنج: فارسي منظوم. (الكنوز الخمسة) جمعت بعد وفاته في مجلد واحد وهي: ١ـ مخزن الأسرار ٢ـ خسرو وشيرين ٣ـ ليلى والمجنون ٤ـ هفت بيكر ٥ـ اسكندر نامه. انظر مقدمة بهارستان، وكشف الظنون ٢٥٥.

(٣) كذا في الأصل.

رأيتُ مفتاحي ضعيفاً ولا نسبةَ مع قوّةِ أبوابكم
وكلُّ من يُبصرك السّوى ويَرتجي الوصلَ ولكن بكم
وإنَّما الكلُّ يجرُّوا لكم أعنَّةَ العزمِ رجا قربكم

وفي محلٍّ آخر قال في هذا المعنى:

رِجْل عقلٍ ضعيفه وطريقٌ مُظلم مثلُ الخيط في التدقيقِ
لا يجاوز هذا الطريقَ بعقلٍ لا ثبات إلا مع التوفيق
فلذا العقلُ قد رمى شوقَه عن نقلِ رجلٍ تقودُه للحريق

ومن الترغيب والتحريض على ترك ما سِوى الله، والإقبال على وجهه الباقي:

شبكٌ يشربُ المصادُ به الدَّمَ وذو الطبع طبُّه في المطير
إنَّ أنيابَ الذئبِ أنكا من الثعلبِ فعلاً فاستروها عن خبير
فلذاكَ[1] لم يجد مَسلكاً يُنجيه إلا فرارَه عن ضير[2]

وقال في تاريخ إتمام كتاب «اسكندرنامه» الذي كان آخرَ مصنَّفاته، سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة، وعمره في تلك الأيام كان متجاوزَ ستين، رحمه الله تعالى.

* * *

(٥٨٠) خسرو دهلوي(*)

خسرو دهلوي، رحمه الله تعالى، لقبُه عينُ الدين، وأبوه كان من الأمراء من قبيلة لاجين من أتراك بلخ، عزمَ إلى خدمة الشيخ نظام الدين أولياء بعد موت مبارك شاه الخلجي[3]، واختارَ الرّياضات والمجاهدات.

---

(١) في (ح): فلهذا.
(٢) في (ح): عن منبر.
(*) ذكره الجامي في بهارستان. انظر ترجمته مع ذكر مصادرها التي أشار إليها محققه صفحة ٣٠٥. هدية العارفين ٢/١٤٦، نزهة الخواطر ٢/٣٥، الأعلام ٢/٣٠٥.
(٣) في (ب): البلخي.

وقيل: إلى أربعين سنة كان صائمَ الدَّهر.

وقيل: إنَّه حجَّ مع شيخه الشيخ نظام الدين أولياء بطريقِ طيِّ الأرض.

ورأى النبيَّ ﷺ خمسَ مرات، وبإشارة شيخه اجتمعَ بالخضر عليه السلام، والتمسَ منه الرِّيقَ من الفم، قال الخضر عليه السلام: أخذ هذا السعديُّ الشيرازي، فجاء خسرو منكسرَ الخاطر، عند شيخه، وذكرَ حالَه، فوضع الشيخُ ريقَ فمه في فمِ خسرو، فظهر بركاتُه حتى صنَّف تسعةً وتسعين كتاباً.

وكتب في بعض مصنفاته: أشعاري أقلُّ من خمسةِ آلاف، وأزيدُ من أربعة آلاف بيت.

وقيل: اجتمع بالشيخ سعدي في أيام شبابه، ويفتخرُ به.

وكان له من شرب العشق والمحبَّة ذوقٌ تام كما يظهرُ من كلامه وأشعاره، وكان صاحبَ السماع، والوجد، والحال.

قال الشيخ نظام الدين أولياء: إنَّ يومَ القيامة كلَّ الناس يفتخرون بشيء، وأنا أفتخرُ بخرقة صدر ترك الله خسرو.

وقال خسرو: وقتاً جاء في خاطري: خسرو اسمُ الأمراء، فلو كان اسمي باسمِ الفقراء، حتى يوم الحشر أكونُ مسمًّى بذلك الاسم، فالتمستُ ذلك من الشيخ، فقال: الوقت الصالح نسمي اسمك. وكان خسرو مُراقباً مُنتظراً لهذا المعنى، فيوماً قال الشيخ: كُشف لي أنَّ اسمك يوم القيامة محمد كاس ليس. يعني:شارب الفضيلة.

ومات ليلةَ الجمعة سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة، ومدَّةُ عمره كان أربعاً وسبعين سنةً، وقبرُه تحت رجلِ شيخه.

* * *

(٥٨١) حسن دهلوي(*)

حسن دهلوي، لقبه ونسبه نجم الدين حسن بن علاء السنجري، كان مريدَ الشيخ نظام الدين أولياء وكاتبَه، وكان مُتَّصفاً بالأوصاف الحميدة، والأخلاقِ المرضية.

قال صاحب كتاب «تاريخ الهند»(1): ما رأيتُ في لطافة الطبع، وظرافةِ المجالس، واستقامةِ العقل، وطريقِ الصوفية، ولزومِ القناعة، وحسنِ الاعتقاد، وفي التجرّد والتفرّد من علائق الدنيا، مُستريحاً من الأسباب الصورية أَحداً مثله، وكان مؤدباً ومهاباً(2) عند المجالسة، وما وجدت راحةً في مجالسته ما وجدتها من غيره.

وقال صاحب «التاريخ» أيضاً: كان لي سنوناً كثيرةً بالأمير خسرو، والأمير حسن تودُّدٌ ومحبَّةٌ، ولا يُخلّيني من صحبتهما، وأنا أيضاً لا أقدرُ أن أجلسَ عنهما، وبواسطتي كان بينهما رابطةُ المحبّة والمودّة، حتى كانا يتزاوران بينهما.

وأيضاً قال: كان الشيخُ حسن لكمالِ اعتقاد شيخه ما سمعَ كلامه في خلال المجلس إلاّ وجمعه، حتى بلغَ مُجلّدات وسماه «فوائد الفؤاد» وله غيره دواوين متعدّدةٌ، وصحائفُ نثرٍ، ومثنوياتٌ كثيرة، فمن أبياته شعر:

لي قلبٌ مغمومٌ واغفر ولا تسل واغفر وقانعاً لي قبيحه
إن تشكني عنها فأخبر خجلان وأبدي أفعال نفسي الشحيحه
فاغتفرها يا أكرمَ الأكرمين يكفي عن السُّؤال الفضيحه

(*) ذكره الجامي في بهارستان، انظر ترجمته مع ذكر مصادرها صفحة ٣٠٧، نزهة الخواطر ٢/ ٢٤، هدية العارفين ١/ ٢٨٥.

(1) تاريخ الهند لمحمد بن يوسف الهروي. انظر كشف الظنون ٣١٠.

(2) في (ب): مهذباً.

وله أيضاً:

إن حرفاً من الحروفِ يُنيرُ الكونَ نحواً من شهرٍ أو أربعينِ
والحروفُ الاثنين قد جيز بالخلد وأنهارِها وحورِ العين
وبمنديل العارفين عماراً للجهات الجميع بالتَّمكينِ

* * *

(٥٨٢) كمال الدين الخجندي(*)

الشيخ كمال الدين الخجندي، قدّس الله تعالى سره، كان كبيرَ الشأن، صاحبَ الحال والمقام، واشتغالُه وتكلُّفه بالشعر للسَّتر والتلبيس، ويحتملُ أن يكونَ من جهة غلبةِ الحالِ، حتّى لا يصيرَ مغلوبَ الحال، ومن رعاية صورة العبودية لا يخرج، كما قال لنفسه:

تكلّفاتي بشعرٍ كلُّها طلبٌ منّي لتخفيف حالٍ كان مُضطربا

وكان على الدوام مُشتغلاً بالرياضات والمجاهدات.

قال الخواجة عُبيد الله، أدام الله بقاءَه: كان الشيخ كمال مدَّة مديدةً في شاش(١).

وقال والدي: مادام الخوجةُ كمال في شاش ما آكل حيواناً. فيوماً قلتُ له: لا يبعدُ أن تأكلَ مرَّةً لحماً. قال بطيبةِ الطبع والمزاح: إن تذبحْ بقرتك آكل اللَّحمَ. وكان لي بقرةٌ سمينة، فقبل اطّلاعه ذبحتُها وطبختها، وأحضرتُ الطعام والأكل، فأكلَ منها شيئاً.

وكان له خلوةٌ في زاوية تبريز لا يدخلُ أحدٌ فيها، فلمَّا ماتَ الشيخ ما وجدوا فيها إلاّ خصفةً عتيقةً يجلسُ وينام عليها، وحجراً يضعه تحت رأسه.

(*) ذكره الجامي في بهارستان، انظر ترجمته مع ذكر مصادرها التي أشار إليها محققة صفحة ٣٠٤.

(١) شاش: قرية فيما وراء نهر سيحون، متاخمة لبلاد الترك. معجم البلدان. وهي اليوم طشقند عاصمة أوزبكستان.

قال الشيخ زين الدين الخوافي، رحمه الله تعالى: في أيام تحصيل العلمِ صحبتُه في تبريز، وكان يدلُّني إلى هذا الطريق، ويقول لي: ادخلْ في إرادتي. وأنا أقول: في نسبتكم لي وسوسةٌ. قال: قل لي حتى أردَّ جوابه. وما قلتُ شيئاً، لكن بعد دخولِ هذا الطريق، وفتحِ الله لي علمتُ أنّه كان له تربيةُ الإرشاد، ويجوز الاقتداء به.

قيل: إنّه كان في رِباط، وكان ذلك الرُّباط في المسيل، فلمَّا جاء السيلُ، وخرَّب البيوت وغيرها، فلمَّا اشتَدَّ السيلُ ذكروا عنده قصَّةَ السيل، قال: اضربوا لي مكانَ السَّيلِ خيمةً. فبنوا له خيمةً، فجلس فيها، فمضى السيلُ، وما خرَّب شيئاً.

ومات سنة ثلاثٍ وثمان مئة، وقبرُه في تبريز، وكتب على لوحِ قبره هذا البيت:

كمـالٌ عـن البيـتِ ولّـى إلـى محلَّـةِ محبـوبـه يَهـرعُ
تغشَّـتـك ألفـي[1] رضـا رحمـةً ذهبـت كمـا ذهـبَ الأشجـعُ

* * *

(٥٨٣) محمد شيرين المشهور بالمغربي(*)

مولانا محمد شيرين[2] المشهور بالمغربي، رحمه الله تعالى، كان من مُريدي الشيخ إسماعيل السيسي[3]، ومن أصحاب الشيخ نور الدين عبد الرحمن الإسفراييني، قدس الله سره.

وقيل: في أيام السِّياحة دخلَ بلادَ المغرب، ولبسَ الخرقة من واحدٍ كان له

---

(١) كذا في الأصل.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٢) في (ص): سيرين.

(٣) في ص.: البسبيسي

نسبة للشيخ محيي الدين ابنِ عربي، وكان معاصرَ الشيخ كمال الدين الخجندي، وصحبه.

وقيل: إنه في ذلك الوقت أنشأ الشيخ كمال الدين هذا البيت:

إن تكـن عينُـه وحـاجبـه ذا هكـذا مـع مِـزاجـه الـرَّقـراقِ

فبإذنِ الـزهـدَ والتقّـوى بـوداعِ وأسلـمِ الـدّيـن والحجـى للفـراق

وسمع مولانا محمد شيرين ذلك البيت، قال: الشيخُ كمال رجلٌ كبيرُ الشأن، لكن لا ينبغي أن يقولَ شعراً لا يكون محملُه إلاّ المجاز. فلمّا سمعَ الشيخُ طلبَ الإجازةَ باجتماعه، وتوجّه إلى طبخِ الطعام بنفسه، ومولانا أيضاً صارَ مقيّداً بطبخ الطعام على موافقته، وفي ذلك الوقت قرأ الشيخ ذلكَ البيت، وقال: جشم، بمعنى عين، فبلسانِ الإشارة العينُ إشارةٌ إلى عين قدمِ الذات، وأبرو، بمعنى حاجب، إشارةٌ للصفاتِ التي صارت حجابَ الذات. فاعترف المُعترضُ له، وأنصفه.

ووقتاً الشيخ إسماعيل السيسي، رحمه الله تعالى، أمر الصوفية الذين كانوا حواليه بالاعتكاف، وأمرَ مولانا محمداً أيضاً باعتكاف أربعين، وفي أثناء اعتكافِ مولانا قال هذه الأبيات، وقرأها عند الشيخ، والأبياتُ هذه، فاستحسنها:

لما رأيتُ كمالَ وجدي فيكم بكمُ انقطعتُ عن الذَّوات بأسرها

وخرجت عن علق الصِّفات تَعمُّداً للذَّات مُرتقباً مطالعَ فجرِها

قد كنتُ مُرتاضاً بظلمةِ خلوةٍ فأردتُ أَخرجُ عن دوائر حصرها

فعرجت في سبعِ العلا في واقعٍ فوجدتُ ذا الدنيا خيالَ بأسرِها

فقطعت مهمهةَ الخيال فلا تقف بالكشف أو عند الكرامة بذرها[1]

ولقد قطعتُ طريقَها فانظر فإن كانتْ بشيخٍ فاستعدَّ لسرِّها

---

(١) في (ح): تدرها.

جاوزتُ آفاتِ الطريق وجبتُها وبقيتُ أبغي الذَّات فرداً وترها
إنّي انقطعتُ عن الجميعِ مُتابعاً نوراً هو النُّورُ المُهين لبدرِها
حتى انقطعتُ عن النُّجوم وغربها وسناء مشكاةٍ تُنير بسترها

ولمّا سمع شيخُه هذه الأبيات انبسط وقته واستحسنها.

وكان عمُره ثلاثاً وستين، مات سنة تسعٍ وثمان مئة، رحمه الله تعالى.

* * *

(٥٨٤) شمس الدين الحافظ الشيرازي(*)

شمس الدين الحافظ الشيرازي، رحمه الله تعالى، كان لسانَ الغيب، وترجمانَ الأسرار، ذكر كثيراً من أسرار الغيب، ومعاني الحقيقة في كسوة صورة لباس المجاز، ولا يعلمُ أحدٌ هل كان مريداً لأحدٍ أم لا، لكنَّ كلامَه وقعَ على مشربِ هذه الطائفة ما لم يقعْ لأحدٍ غيره.

وقال واحد من أكابر سلسلة الخواجكان، قدّس الله أسرارهم: لا يكون ديوانٌ مثلَ هذا الديوان، إن طالعه رجلٌ صوفيٌّ فهم أن لا نظير له.

ولمّا كانت أشعارُه مشهورةً لا يُحتاج إلى ذكرِ شيءٍ منها، صرفتُ عنانَ القلمِ عنها.

ومات سنة اثنتين وتسعين وسبع مئة، رحمه الله تعالى.

* * *

(*) ذكره الجامي في بهارستان، انظر ترجمته مع ذكر مصادرها التي أشار إليها محققة صفحة ٣٠١.



في ذكر النساء العارفات
الواصلات إلى مراتب الرجال

قال صاحب «الفتوحات»[1]، رحمه الله تعالى، في الباب الثالث والسبعين من «الفتوحات»، بعد ذكر بعض طبقات رجال الله: **كلُّ ما نذكره من هؤلاء الرجال باسم الرجال فقد يكون منهم النساء، لكن يغلبُ ذكرُ الرجال.**

قيل لبعضهم: كم الأبدال ؟. قال: أربعون نفساً. فقيل له: لِمَ لا تقولُ أربعون رجلاً ؟. فقال: قد يكون فيهم النساء.

والشيخ أبو عبد الرحمن السلمي صاحب «طبقات المشايخ»، رحمه الله تعالى، كتبَ في ذكر النِّسوة العابدات، والنساء العارفات كتاباً على حدته، وبيّن شرحَ أحوالهم كثيراً[2].

قال بعضهم شعراً[3]:

ولو كان النساء كما ذُكرنَ[4] لفُضِّلَتِ النِّساءُ على الرِّجالِ
فلا التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ولا التَّذكيرُ فخرٌ للهلالِ

* * *

(٥٨٥) رابعة العدوية[*]

رابعة العدوية، رضي الله عنها، كانت من البصرة، ويسألها سُفيان الثوري

---

(١) الفتوحات المكية: ٢/ ٧.

(٢) هو كتاب ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات. ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ٣/ ١١٢ باسم: الإخوة والأخوات. وفي أسرار التوحيد ٣٣٥. طبقات الناسكات.

(٣) البيتان لأبي الطيب المتنبي، الديوان ٣/ ١٤٩ من قصيدة يرثي بها والدة سيف الدولة.

(٤) رواية الديوان: ولو كان النساء كما فقدنا.

(*) ذكر النسوة المتعبدات (١)، صفة الصفوة ٤/ ٢٧، المختار من مناقب الأخيار ٤٠٨، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥، أعلام النبلاء ٨/ ٢١٥ (٥٣)، العبر ١/ ٢٧٨، مرآة =

مسائل، ويذهبُ عندها، ويرغبُ إلى موعظتها ودعائها.

فيوماً دخل عليها سُفيان الثوري، وقال: اللَّهُمَّ، إني أَسألُكَ السلامة. فبكت رابعة، فسألها سُفيان: ما يبكيك؟ قالت: أنت أبكيتني. قال سفيان: بِمَ؟ قالت: ما علمتَ أنَّ السلامة في ترك الدنيا، وأنت مُستعملٌ لها.

قالت رابعة: لكلِّ شيءٍ ثمرةٌ، وثمرةُ المعرفة تولّي الوجه إلى الله تعالى.

وأيضاً عنها، قالت: أستغفرُ الله من قلَّةِ صدقي في أستغفر الله.

سألها سُفيان الثوري: أيُّ شيءٍ أفضلُ أن يتقرَّبَ به العبد إلى الله؟. قالت: أن لا تُحبَّ من الدنيا والآخرة غيره.

ويوماً قال سفيان عندها: واحزناه. قالت: لا تقلِ الكذبَ، إن كنتَ أنت محزوناً لا تكن مسروراً في الحياة الدنيا.

وأيضاً عنها، قالت: لا يكونُ حزني أن أكونَ محزوناً، بل حُزني أني ما كنت محزوناً.

* * *

(٥٨٦) لبابة المتعبدة(*)

لبابة المتعبدة، رحمها الله، كانت من أهالي بيت المقدس.

قالت: أنا أستحيي من الله تعالى أن يَراني مَشغولةً بغيره.

سألها شخصٌ: إذا عزمتُ للحجِّ، ووصلتُ، بماذا أدعو؟. قالت: اطلب من الله رضا الله، ومقامَ أهلِ الرضا، واضمحلالَ اسمك في أسماء المحبين.

* * *

= الجنان ١/ ٢٨١، الوافي بالوفيات ١٤/ ٥١، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٦، طبقات الأولياء ٤٠٨، النجوم الزاهرة ١/ ٣٣٠، طبقات الشعراني ١/ ٦٥، الكواكب الدرية ١/ ٢٨٥، شذرات الذهب ١/ ١٩٣.

(*) ذكر النسوة المتعبدات (٢)، صفة الصفوة ٤/ ٢٥١.

(٥٨٧) مريم البصرية(*)

مريم البصرية، رحمها الله تعالى، هي من أهل البصرة.

كانت معاصرةً لرابعة وصحبتها، وخدمتها، وبعد رابعة كانت حيَّةً زماناً.

وتتكلَّمُ بالمحبة، فإذا سمعت كلام المحبة يزول شعورها.

وقيل: حضرتْ في مجلسٍ كان فيه كلامُ المحبَّة، فاحترقَ كبدها، وماتت في ذلك المجلس.

وقالت مريم: ما حزنتُ أبداً من الرزق، وما تعبتُ في طلبه؛ لما سمعت هذه الآية: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

* * *

(٥٨٨) ريحانة الوالهة(**)

ريحانة الوالهة، رحمها الله تعالى، كانت من الأبيَّات، من متعبِّدات البصرة في زمان صالح المُرّي، رحمه الله تعالى، وكتبت هذه الأبيات على جيب ثوبها:

أنتَ أُنسي وهمَّتي وسروري	قد أبا القلبُ أَنْ يُحبَّ سِواكا
يا عزيزي وهمَّتي ومُرادي	طالَ شوقي متى يكونُ لقاكا
ليسَ سُؤالي من الجِنان نعيماً	غيرَ أنّي أريدُ أن ألقاكا

* * *

(*) ذكر النسوة المتعبدات (٣)، صفة الصفوة ٤/ ٣٢، الكواكب الدرية ١/ ٦٤٧ (المصرية).

(**) ذكر النسوة المتعبدات (٨)، صفة الصفوة ٤/ ٥٧، روض الرياحين ١٠٣ (الحكاية ٢٨)، الكواكب الدرية ١/ ٢٩٤.

(٥٨٩) معاذة العدوية(*)

معاذة العدوية، رحمها الله تعالى، كانت من أقران رابعة العدوية، وصحبتها.

وإلى أربعين سنة ما رفعت رأسها إلى السماء، وما نامت في الليل، وما أكلت في النهار، قالوا: أضررت بنفسك. قالت: لا ضرر، نومُ الليلُ بدَّلته في النهار، وطعام النهار بدَّلته في الليل.

* * *

(٥٩٠) عُفيرة العابدة(**)

عُفيرة العابدة، رحمها الله تعالى، هي من أهل البصرة، وصحبت مُعاذة العدوية، وكانت باكيةً حتى عميت عيناها.

قال واحدٌ: عدمُ البصر تعبٌ عظيم. قالت: المحَجوبُ عن الله أتعبُ منه، وعمى القلبِ عن إدراك مراد الله أتعبُ التَّعبِ.

* * *

(*) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٣، الثقات لابن حبان ٥/ ٤٦٦، حلية الأولياء ٢/ ٢٣٩، ذكر النسوة المتعبدات (٥)، صفة الصفوة ٤/ ٢٢، تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٠٨، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٨، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٠٣، العبر ١/ ١٢٢، ٢٥٢، مرآة الجنان ١/ ٢١١، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٢، طبقات الشعراني ١/ ٦٥، الكواكب الدرية ١/ ٤٦٥، شذرات الذهب ١/ ١٢٢.

(**) ذكر النسوة المتعبدات (٩)، صفة الصفوة ٤/ ٣٣ (غفيرة)، المختار من مناقب الأخيار ٤١٣/ب (غفيرة)، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٧، طبقات الشعراني ١/ ٦٧، الكواكب الدرية ١/ ٣٩٢.

(٥٩١) شعوانة(*)

شعوانة، رحمها الله تعالى، كانت من العجم، وأقامت في أُبُلَّة[١]، وكان لها صوتٌ حسن، ونغماتٌ حسنة، تعظُ النَّاسَ، وتقرأ شيئاً، ويحضر في مجلسها أربابُ القلوب والزهَّاد والعبَّاد، كانت من المجتهدات الخائفات، الباكيات المُبكيات.

قالوا لها: نخافُ من بُكائك أن تذهبَ عينيكِ. قالت: أحبُ إليَّ أن أعمى من البكاء في الدنيا ولا أكون عمياء من عذاب الآخرة.

وقالت: العينُ التي تَحتجبُ عن لقاء المحبوب، وتكونُ مشتاقةً إلى رؤيته، لا ينبغي أن تكونَ بلا بكاء.

وقيل: غلبَ عليها حزنٌ حتى تَركتِ الصَّلاةَ والعبادات، رأت في الرؤيا واحداً يقرأ هذه الأبيات:

أذري دموعَك إمّا كنتِ شاجيةً ... إنَّ النِّياحةَ تَشفي للحزينينا
جدِّي وقُومي وصُومي الدَّهرَ دائبةً ... فإنَّما الدَّوبُ من فعلِ المطيعينا[٢]

فتركت العبادة، وتترنَّمُ، وتتغنّى بهذه الأبيات وتَبكي، وتُبكي النِّساءَ معها.

قيل: لما صارتَ عجوزةً جاء فُضيل بن عياض عندها، وطلبها الدعاء، قالت: يا فُضيل، بينك وبين الله شيء؟ إن أدعو لك يكون سبب إجابتي[٣].

فصاح الفُضيل صيحةً، وخرَّ مغشياً عليه.

(*) ذكر النسوة المتعبدات (١٤)، صفة الصفوة ٤/ ٥٣، المختار من مناقب الأخيار ٤٠٩/ب، روض الرياحين ٢٥٧، ٥١٦ (الحكاية: ١٨٩، ٤٧٥)، البداية والنهاية ١٠/ ١٦٦، طبقات الشعراني ١/ ٦٧، الكواكب الدرية ١/ ٣٢٧، الدر المنثور ٢٥٦.

(١) الأُبُلَّة: بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة. معجم البلدان.

(٢) في (ص): الطيبعينا.

(٣) كذا في الأصل، وفي صفة الصفوة ٤/ ٥٦: يا فضيل، أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟.

(٥٩٢) كردية(*)

كردية، رحمها الله تعالى، كانت من البصرة، أو من الأهواز، وخدمت شعوانة.

قالت: كنت ليلة عند شعوانة، فنمتُ فضربتني برجلها، وقال: قومي يا كردية، ليس هذا المكان مكانَ النوم، مكانُ النوم القبر.

قالوا لها: ما وجدتِ في صُحبة شعوانة؟. قالت: من اليوم الذي اصطحبت شعوانة ما أحببت الدنيا، وما حَزنتُ للرزق، وما جاء أهل الدنيا كبيراً في نظري للمطمع في الدنيا، وما جاء أهل الإسلام ذليلاً في نظري[1].

* * *

(٥٩٣) حفصة بنت سيرين(**)

حفصة بنت سيرين، رحمها الله تعالى، هي أختُ محمد بن سيرين، وكانت في الزهد والورع مثلَ أخيها، وكان لها آياتٌ وكرامات.

قيل: إنها كانت في كلِّ ليلةٍ تُسرجُ السِّراجَ في بيتها، وتصلّي الصلاة، وفي بعض الأوقات يَنطفئُ السِّراجُ، وبيتها منوَّرٌ كما كان بالسراج.

* * *

(*) ذكر النسوة العابدات (١٨)، وانظر ترجمتها ضمن ترجمة شعوانة التي تقدمت.

(١) في طبقات الشعراني ١/ ٦٧: وكانت التي تخدمها تقول: منذ وقع بصري على شعوانة ما ملت قط إلى الدنيا ببركتها، ولا استصغرت في عيني أحداً من المسلمين.

(**) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٨٤، ذكر النسوة المتعبدات (٢١)، تهذيب الكمال ٣٥/ ١٥١، تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٧، العبر ١/ ١٢٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٧، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠٩، النجوم الزاهرة ١/ ٢٧٥، شذرات الذهب ١/ ١٢٢.

(٥٩٤) رابعة الشامية(*)

رابعة الشامية، رحمها الله تعالى، هي زوجة أحمد بن أبي الحواري.

قال ابن أبي الحواري: كانت مُختلفةَ الأحوال، يغلب عليها العشقُ والمحبّة، مرة أنس، ومرّة خوف، وفي حال غلبة المحبة تقول:

حبيبٌ ليس يعدلُهُ حبيبٌ   وما لسواه في قلبي نَصيبُ
حبيبٌ غابَ عن بصري وشخصي   ولكنْ عن فُؤادي لا يَغيبُ

وتقول في حالةِ الأُنس:

ولقد جعلتُكَ في الفؤادِ مُحدّثي   وأبحتُ جسمي من أرادَ جُلوسي
فالجسمُ منّي للجليس مُؤانسٌ   وحبيبُ قَلبي في الفُؤاد أنيسي

وسمعتها تقول في حالة الخوف:

وزادي قَليلٌ لا أراه مُبلّغي   أللزّادِ أبكي أم لطُولِ مَسافتي
أتحرقُني بالنّارِ يا غايةَ المُنى   فأين رَجائي منك أين مَخافتي

وتقول لأحمد أبي الحواري: لستُ أحبُّك حبَّ الأزواج، إنّما أحبُّك حبَّ الإخوان.

وكانت لمّا تطبخُ الطعام، تقول: كُلْ يا سيدي، ما طبختُ هذا الطعام إلاّ بالتسبيح.

قال أحمد بن أبي الحواري: يوماً كان عندها طشتٌ، قالت: ارفع هذا الطشت[1]؛ لأنّي أرى أنَّ الأميرَ هارون مات. فبعد تَفحُصٍ تحقّقَ موت هارون الرشيد ذلك النهار.

(*) ذكر النسوة المتعبدات (٢٩)، صفة الصفوة ٤/ ٣٠٠، المختار من مناقب الأخيار ٤٠٨/ب، مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٣٤٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٢١٧ (٥٤)، مرآة الجنان ٢/ ١٥٤، طبقات الأولياء ٣٥، طبقات الشعراني ١/ ٦٦، الكواكب الدرية ١/ ٢٩١، شذرات الذهب ٢/ ١١٠.

(١) في الكواكب الدرية ١/ ٢٩٣: قالت: نَحّوا عني هذا الطست؛ فإنما عليه مكتوب: مات هارون الرشيد. فنظروا، فإذا هو قد مات في ذلك اليوم.

(٥٩٥) حكيمة الدمشقية(*)

حكيمة الدمشقية، رحمها الله تعالى، كانت من سادات نساءِ الشام، وأستاذةَ رابعة الشامية.

قال أحمد بن أبي الحواري: قالت رابعة: دخلتُ على حكيمة الدمشقية، وهي تقرأُ القرآن في المصحف، قالت: يا رابعة، سمعتُ زوجك ـ تعني أحمد بن أبي الحواري ـ يُريد يتزوَّج زوجةً أُخرى ؟. قالت: بلى. قالت: كيف يَستحسنُ مع هذا العقل أن يُقسمَ قلبَه لزوجتين، ما قرأتِ تفسيرَ هذه الآية: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩] ؟. قلتُ: لا. قالت: تفسير هذه الآية هكذا: يتَّصلُ قلبُكِ بالله تعالى، ولا يكون في قلبك شيءٌ غيره تعالى وتقدَّس. فقالت رابعة: كنتُ أتمايلُ لمّا خرجتُ من عندها من أثر كلامها، فاستحييتُ من الرجال الذين كانوا على الطريق أن يظنُّوا أنّي سكرانة.



* * *

(٥٩٦) أم حسان(**)

أم حسان، كانت من زُهَّاد أهل الكوفة.

وكان سفيان الثوري يَزورُها، وقال بعضهم: تزوَّجها.

قال سفيان: دخلتُ يوماً بيتها، فما رأيتُ في بيتها شيئاً إلاّ حصيراً عتيقاً، قلتُ: لو تكتبي رقعةً إلى أولاد عمِّك، عسى أن يُراعون(١) حالك. قالت: يا سفيان، قبلَ هذا كنتَ في عيني وفي قلبي كبيرَ الشأن، أنا ما سألتُ الدنيا من

(*) ذكر النسوة المتعبدات (٢٣) وفي المطبوع الفارسي: حليمة.

(**) صفة الصفوة ٣/١٨٨، المختار من مناقب الأخيار ٤٠٦/ب، الكواكب الدرية ١/٢٣١.

(١) كذا في الأصول.

الذي هو مالكٌ وقادرٌ ومتصرّف، فكيف أسألُها ممّن لا يكون قادراً ومتصرّفاً ؟، يا سفيان، واللهِ الذي قلبي بيده، لا أُحبُّ الوقت الذي أكونُ غافلةً عنه، ومشغولةً بغيره. فبكى سفيان من كلامها.

* * *

(٥٩٧) فاطمة النيسابورية(*)

فاطمة النيسابورية، رحمها الله تعالى، كانت من قدماءِ نساء خُراسان، وكبارِ العارفات.

وأثنى عليها أبو يزيد البِسطامي. وكان ذو النون المِصري يسألها المسائل.

وكانت مجاورةً بمكّة، وتذَهبُ إلى بيت المقدس، ثم ترجعُ إلى مكة، وماتت في طريق العمرة سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين.

ويوماً أرسلت شيئاً إلى ذي النون، فأبى ذو النون، وقال: قبولُ الشيءِ من النِّساء مذلَّةٌ ونقصان.

قالت فاطمة: لا يكونُ الصُّوفيُّ أفضلَ ولا أكملَ من الذي لم يرَ السبب.

قال أبو يزيد: في عمري ما رأيتُ إلاّ رجلاً واحداً وامرأةً، وهي فاطمة النيسابورية؛ لأنّي ما سألتها عن مقامٍ إلاّ كان لها عياناً.

سأل واحدٌ من المشايخ ذا النون: من رأيت أكبر مقاماً من هذه الطائفة ؟ قال: امرأةً مُجاورةً بمكّة اسمها فاطمة النيسابورية تفهمُ معنى كلام الله تعالى، ثم تفسّره حتى تحير العقل.

من كلامها: من لم يكنِ الله منه على بال فإنّه يتخطّى في كلِّ ميدان، ويتكلَّمُ

(*) ذكر النساء المتعبدات (٣٠)، صفة الصفوة ٤/١٢٣، المختار من مناقب الأخيار ٤١٣/ب، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٣٨، طبقات الشعراني ١/٦٦، الكواكب الدرية ١/ ٦٩٣، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٣٢، أعلام النساء ٤/ ١٤٧.

بكلِّ لسان، ومن كان الله منه على بالٍ أخرسه إلاّ عن الصدق، وألزمَه الحياءَ منه والإخلاص.

وأيضاً عنها: الصادقُ والمُتَّقي اليومَ في بحرٍ تضطربُ عليه أمواجُه، يدعو ربَّه دعاءَ الغريق، يسألُ ربَّه الخلاص والنجاة.

وعنها قالت: من عمل لله على المُشاهدة فهو العارفُ، ومن عمل على مشاهدة الله إيّاه فهو المُخلص.

* * *

(٥٩٨) زيتونة(*)

زيتونة، رحمها الله تعالى، اسمُها فاطمة، وخدمت أبا حمزةَ، والجُنيد، والنُّوري، قدَّسَ الله أسرارهم.

قالت: كان يوماً بردٌ شديدٌ فدخلتُ على النُّوري، فقلتُ: هل تأكلُ شيئاً ؟. قال: نعم. قلت: ما تُريد ؟. قال: خبزٌ ولبنٌ. فجئتُ به، وكان عنده نارٌ، وفي يده سواد، فلمَّا اتَّصل يدُه باللبن تسوَّدَ من يده، فلمَّا رأيتُ حالَه قلتُ في نفسي: يا ربِّ، ما أقذرَ أولياءك، ما فيهم أحدٌ نظيف! فخرجتُ من عنده، فوصلتُ إلى مكانٍ، فجاءت امرأةٌ، وقالت: كان هنا رزمةُ ثيابٍ، أنت سرقتها. فودَّتني إلى الأمير، فسمع النُّوري، فحضر من ورائي عند الأمير، فقال النوري: لا تؤذوها؛ فإنَّها من أولياء الله. قال الأمير: كيف الحِيلةُ ؟، خصمُها يطلبها، اجعلِ الحيلة. فجاءت جاريةٌ سوداء، وكانتْ تلك الرزمة عندها، فقالت: فكّوها، وجدتُ الرزمة. فأَخذ يدي النوري، وأخرجني من قدَّامِ الأمير، وقال: لِمَ قلتِ ما أوحشَ أولياء الله وأقذرهم ؟. قلت: تبتُ عنها.

* * *

(*) ذكر النسوة المتعبدات (٣٧)، روض الرياحين ٣٣٩ (حكاية ٢٨٨).

(٥٩٩) فاطمة البرذعية(*)

فاطمة البرذعية، رحمها الله تعالى، كانت ساكنةً في أردبيل.

قيل: كانت من العارفات المتكلّمات بالشطح.

سألها بعضُ المشايخ عن قول رسول الله ﷺ، حكايةً عن الله تعالى: «أنا جليسُ من ذَكرني»[1]. فتكلَّمتْ مع السائل ساعةً، فقالت: إن الذِّكرَ أن تشهدَ ذكرَ المذكور لك مع دوام ذكرِك، فيفنى ذكرُك في ذكره، ويبقى ذكرُه لك حين لا مكان ولا زمان.

* * *

(٦٠٠) أم علي زوجة أحمد بن خضرويه(**)

أم علي زوجة أحمد بن خضرويه، رحمها الله تعالى، كانت من الأولياء الأكابر، وكان لها مالٌ كثير كلُّه صرفته على الفقراء.

ووافقت أحمدَ على ما كان عليه، ورأت أبا يزيد، وأبا حفص، قدَّس الله أسرارهم.

وسألت أبا يزيد عن مَسائل.

(*) ذكر النسوة المتعبدات (٣٣).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/ ٢١٧، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٦٠.

قال الأستاذ الشيخ شعيب أرناؤوط حفظه الله في هامش سير أعلام النبلاء ٨/ ١٥٧: خبر لا يصح، ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ٩٥، ٩٦ وقال: رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وجاء في صحيح البخاري ١٣/ ٣٢٥، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال: «قال الله عز وجل: وأنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني...»، وقوله: «وأنا معه» أي بعلمه سبحانه، كما في قوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾ [طه: ٤٦].

(**) ذكر النسوة المتعبدات (٤١)، وانظر أخبارها في مصادر ترجمة زوجها التي تقدّمت برقم (٣٩).

قال أبو حفص: كنتُ أكره كلامَ النساء دائماً حتى رأيتُ أمَّ عليٍّ زوجة أحمد بن خضرويه، فعلمتُ أنَّ الله تعالى يضعُ معرفتَه فيمن يشاء.

قال أبو يزيد: من أرادَ التصوف فينبغي أن تكون همَّتُه كهمَّةِ أمّ علي زوجةِ أحمد بن خضرويه، أو بحالٍ مثل حالها.

قالت أمُّ علي: إنَّ الله دعا الخلقَ لنفسه بأنواعِ لطفه، وحسنِ إجابته، فصبَّ عليهم أنواع البلاء والمحن حتى يَجذبهم إلى نفسهِ؛ لأنَّهُ يُحبُّهم.

وأيضاً قالت: فوتُ الحاجة أسهلُ من الذُّلِّ لتحصيلها.

جاءت امرأةٌ عندها من بلخ، قالت: جئت لتحصيل قربِ الله تعالى بوسيلتك. فقالت: لم لا تطلب قربتي بوسيلة عبادة الله تعالى.

* * *

(٦٠١) أم محمد والدة الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف(*)

أم محمد والدة الشيخ أبي عبد الله بن الخفيف، رحمها الله تعالى، **كانت من العابدات القانتات**، سافرت مع ولدها أبي عبد الله بن الخفيف بطريق البحر سفر الحجاز، وكان لها مُكاشفاتٌ ومشاهدات.

قيل: صَعِدَ الشيخ أبو عبد الله في العَشر الأواخر من شهر رمضان على سطحِ البيت، وكان يُحيي الليالي، ويُصلّي الصلاةَ حتى يجدَ ليلةَ القدر، وأُمُّه كانت جالسةً في داخل البيت، متوجّهةً إلى الله تعالى، إذ ظهر عليها أنوارُ ليلة القدر، فنادت: يا ولدي محمد، ما كنتَ أنت طالباً ها هنا. فنزلَ الشيخُ، ورأى تلك الأنوار، فقبَّلَ رجلها، قال الشيخ: بعد هذا علمتُ قدر أمي.

* * *

(*) شد الإزار ٣٦٨، سيرة عبد الله بن خفيف انظر الفهرس، وانظر أخبارها في مصادر ترجمة ابنها التي تقدّمت برقم (٢٩٨).

(٦٠٢) فاطمة بنت أبي بكر الكتّاني(*)

فاطمة بنت أبي بكر الكتاني، رحمها الله تعالى، هي كانت في مجلسِ سمنون المُحبّ، فلمَّا تكلَّمَ سمنون في المحبَّةِ وسمعته، صاحت وخرَّتْ وماتت، ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الرجال أيضاً ماتوا.

* * *

(٦٠٣) فضة(**)

فضة، رحمها الله تعالى.

قال الشيخ أبو الربيع المالقي، رحمه الله تعالى: سمعتُ حالَ امرأةٍ من الصالحات كانت في بعض القرايا، فأردتُ زيارتها حتى أطَّلعَ على كرامتها التي اشتُهرت منها، واسمها فضة، فلما وصلتُ إلى قريتها، قال أهلُها: عندها نعجةٌ تحلبُ العسلَ واللبن. فاشتريتُ قدحاً جديداً، وجئت به عندها، وسلّمتُ عليها، وقلت: أُريدُ أن أُبصرَ ما يقول الناس في نعجتك. فأحضرت النعجة، وحلبتها في القدح، وشربتُه، فكان لبناً وعسلاً، فسألتُها عن قصَّتها، قالت: أنا فقيرة، وكانت لي نعجةٌ أرادَ زوجي أن يُضحّي بها، قلت: لا تذبحْها؛ لأنَّ الله تعالى يعلمُ احتياجي، وفي الأضحية رخصةٌ. فاتَّفقَ أن وصلَ ذلك اليوم ضيفٌ، فقلت لزوجي: نحن مَأمورون بإكرامِ الضيف، فاذبحْها في المكان الذي لا يراه أولادي؛ لأنَّهم إذا رأوها يبكون، فودّيها إلى وراء الجدار حتى تذبحَها. فرأيتُ نعجةً خرجتْ من الجدار، ودخلت في بيتي، وأنا ظننتُها تلك النعجةَ شردتْ من زوجي، فخرجتُ فرأيتُ زوجي يسلخُ تلك النعجةَ، فعجبتُ، وقصصتُ القصة عند زوجي، قال: عسى أنَّ الله أعطانا عِوضاً حسناً

(*) لم أجد لها ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(**) روض الرياحين ١٣٠ (الحكاية: ٥٣).

منها لإكرام الضيف الذي أكرمناه. فقالت: يا ولدي، هذه النعجةُ ترعى في قُلوبِ المرُيدين، ومن كان قلبُه صحيحاً سليماً فلبنها يكون صحيحاً سليماً، ومن كان قلبه متغيِّراً يتغيَّر اللبنُ، فأصلح قلبك.

قال الإمام اليافعي[١]، رحمه الله تعالى: مرادُها بالمُريد زوجُها[٢]، لكن ذكرَها بصيغة العامِ للسرِّ والتلبيس، ولتحريض المُريدين على طيب القلوب، ومعناه هكذا: لمّا كان قلوبُنا مستقيمةً مسرورةً فيكون مستقيماً مسروراً ما كان عندنا، فأنتم كلُّكم صحِّحوا قلوبكم حتى يصحَّ ما كان عندكم[٣].

* * *

(٦٠٤) تلميذة سريِّ السَّقطي[*]

تلميذة سري السقطي، رحمها الله تعالى.

كانت امرأةٌ تلميذةً لسري السقطي، وكان لها ولدٌ عند المعلّم، فأرسله المُعلمُ إلى الماء، فغرقَ في الماء، فجاءَ المُعلّمُ وأخبر سريَّ السقطي، قال السريُّ: قوموا نذهبُ إلى أمِّه.

فالشيخ السريُّ ابتدأ في الكلام بالصبر والرّضا. فقالت: يا أستاذي، ما مُرادُك من هذا التقرير؟. فقال الشيخ: ولدُك غرقَ. فقالت: ولدي؟!. قال: نعم. قالت: إنّ الله ما فعلَ هذا. ثم ابتدأ سريٌّ[٤] الكلام بالصبر والرضا، فقالت: قوموا. فقاموا، وذهبوا معها حتى وصلوا إلى ماءِ النهر، فسألتْ: أينَ غرقَ ولدي؟. قالوا: ها هنا. فذهبتْ إلى ذلك المكان الذي عرَّفوها،

---

(١) روض الرياحين ١٣١.

(٢) في روض الرياحين: إنها تعني بالمريدين نفسها وزوجها.

(٣) في روض الرياحين: لما طابت قلوبنا، طاب ما عندنا، فطيّبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم.

(*) روض الرياحين ١٣١ (الحكاية: ٥٤).

(٤) في روض الرياحين: ثم عاد سريٌّ.

فصاحتْ، وقالت: يا ولدي محمد. قال: لبَّيكِ يا أُمِّي. فدخلتْ في الماء، وأخذتْ يدَ الولد، وذهبت به إلى البيت.

فالتفتَ السريُّ إلى الجُنيد، وقال: ما هذا؟. قال الجُنيد: هذه المرأة تُراعي ما أمرها الله تعالى جميعاً، ومن يُراعي ما فرضَ اللهُ تعالى عليه فلا يحدثُ عليه حادثٌ إلاّ أن يُخبرَه الله تعالى وتقدس به، فلمَّا أخبرناها بموتِ الولد علمتْ أنَّها ما حُدِّثَتْ هذه الحادثة، فأنكرتْ، وقالت: إن الله ما فعله.

* * *

(٦٠٥) تحفة[*]

تحفة، رحمها الله تعالى.

قال السريُّ السَّقطي، رحمه الله تعالى: ليلةً ما جاءني النَّومُ، وكنت في قلقٍ واضطراب حتى فات مني التهجُّدُ، فلمّا صلَّيتُ الصبح خرجتُ وذهبت إلى مكانٍ كان لي ظنٌّ عسى أن يسكنَ هذا الاضطراب، فما نفعَ، فجاء في خاطري: اذهبْ إلى المارستان، وانظرْ إلى أهل الابتلاء، لعلَّ يحصلُ لي[1] الخوف، وتنزجرُ نفسي، فلمَّا دخلتُ المارستان فتح الله قلبي، وانشرحَ صدري، فرأيتُ جاريةً لباسها فاخر، ورائحتُها طيبة، فلمَّا شممتُ رائحتها رأيت منظرها وجمالها[2]، فإذا في رجليها ويديها قيدٌ، فلمّا نظرتْ إليَّ غرغرتْ عينُها من الدموع، وقرأتْ أشعاراً، فسألتُ صاحب المارستان: من هذه؟. قال: جاريةٌ مجنونة، حبسها سيِّدُها حتّى يصحَّ حالها. فلمَّا سمعتْ كلام صاحب المارستان انخنقتْ بالبكاء، ثم ابتدرتْ بهذه الأشعار، وقالت:

معشرَ النَّاسِ ما جُننتُ ولكنْ ... أنا سَكرانةٌ وقلبي صاحي

أغللتُمْ يدي ولم آتِ ذنباً ... غيرَ جهدي في حبِّه وافتضاحي

(*) روض الرياحين ١٩٨ (الحكاية: ١٢٢).

(١) في (ب): يحصل فيَّ الخوف.

(٢) في روض الرياحين: وشممت منها رائحة عطرة، عفيفة المنظر، وسيمة الخاطر.

أنــا مفتــونــةٌ بحــبِّ حبيــبٍ لستُ أبغي عن بابه من بَراحِ
فصلاحي الذي زَعمتُم فسادي وفسادي الذي زَعمتم صَلاحي
ما على من أحبَّ مولى الموالي وارتضــاه لنفسِــه مــن جُنَــاح

فأحرقني كلامُها، وأبكاني، وأحزنني، فلمَّا رأتْ دموعي، قالت: يا سريُّ، هذا البكاء على صفته، كيف يكونُ إن عرفته حقَّ معرفته ؟. فزال شعورها، وغشيت، فلمَّا أفاقت، قلت: يا جارية. قالت: لبيك، يا سري. قلت: من أين عرفتيني ؟. قالت: ما جهلتُ شيئاً منذ عرفتُه. قلت: سمعناك تذكري المحبَّة، فمن تُحبّي ؟. قالت: الذي علّمني بنعمائه، وله المِنَّةُ على عطائه، وقريبٌ بالقلوب، ومجيبُ الدعوة. قلت: من حبسك ؟. قالت: يا سريُّ، اتَّفق الحساد. ثم صاحت صيحةً حتى حسبتُها ماتت، فلمَّا أفاقت قرأتْ أبياتاً مناسبة لحالها[1]، فقلت لصاحب السجن[2]: فُكَّها. فأطلقها، فقلت: اذهبي البلاد الذي تبغي. فقالت: يا سريُّ، أين أذهب ؟ ما لي ذهوب، حبيبُ قلبي ملَّكني لبعضِ مماليكه، فإن يرضى مالكي أذهب، وإلاّ أصبر. قلت: هي، والله، أعقلُ مني. فإذا قد دخلَ سيّدُها المارستان، وقال لصاحب المارستان: أين تُحفة ؟. قال: هي داخل البيت، والسريُّ عندها. فسُرَّ، ودخلَ عندي، وسلَّم عليَّ، وعظَّمني، قلت: هذه الجارية أولى بالتعظيم مني، فما السبب حبستَها ؟. قال: زالَ عقلُها، لا تأكلُ شيئاً، ولا تشربُ، ولا تنام، ولا تتركني أنام، كثيرةُ الفكر والحزن والبكاء، وبضاعةُ بيتي ليست إلا هي، واشتريتُها بجميع ما معي من المال بعشرين ألف درهم، وكان لي رجاء أن أبيعها بمثلي ما اشتريتُها؛ من كمال صنعتها. قلتُ: ما صنعتُها ؟. قال: هي مطربةٌ. قلت: اليوم كم مدَّةُ مرضها ؟. قال: سنة كاملة. قلت: ما كان سببُ ابتداء المرض بها ؟. قال: أخذت عوداً، وغنَّت هذه الأبيات:

وحقِّك لا نقضتُ الدَّهرَ عهداً ولا كــدَّرْتُ بعــد الصَّفــو ودّا

---

(١) في (ص): بمناسبة حالها.
(٢) في روض الرياحين (١١٣): لقيم البيمارستان.

مـلأتَ جـوانحي والقلبَ وجداً فكيـف ألـذُّ أو أسلـو وأهـدا
فيا مـن ليس لـي مـولًى سِواه أراكَ تَـركتني فـي النَّاسِ عبدا

وقامت، وكسرت العود، وبكت، فاتَّهمتُها بمحبَّة أحدٍ، فظهر ما كان بها أثرٌ، فسألتها، وظنّي هكذا، فقالت بانكسارِ القلب:

خـاطبنـي الحـقُّ مـن جَنـانـي فكـانَ وعظـي علـى لسـانـي
قـرَّبنـي منـه بعـدَ بُعْـدٍ وخصَّنـي اللهُ واصطفـانـي
أجبْـتُ لمَّـا دُعيـتُ طَـوعـاً مُلبِّيـاً للـذي دعـانـي
وخفـتُ ممّـا جنيـتُ قِـدمـاً فـوقـعَ الحـبُّ بـالأمـانـي

فقلت لمالكها: ثمنُها عليَّ مع الزيادة. فصاح وقال: وافقراه، أين عندك ثمنها؟، أنتَ رجلٌ فقيرٌ مسكين. فقلت له: لا تستعجل، قف هنا حتى أجيءَ بثمنها. فذهبتُ باكياً، وبالله ما كان عندي من ثمنها درهم، فكنت مُتحيّراً، ومتضرِّعاً لا أقدرُ أن أغمض عيني، وأقول: يا ربُّ، أنت عالمُ الخفيّات والإعلان، وأنا اعتمدتُ على فضلك وكرمك، فلا تَفضحني عند الخلائق. فإذا واحدٌ دقَّ الباب، فقلتُ: من أنت؟. قال: بعضُ أحبابك. ففتحتُ الباب، فرأيت رجلاً معه أربعةُ غلمان، ومعه شمعٌ مُسرج، فقال: يا أستاذ، نستأذنك بالدخول؟. قلتُ: ادخل. فدخلَ، قلت: من أنت؟. قال: أحمد بن المثنى، رأيتُ رؤيا كأنَّه هتفَ بي هاتف: خذ خمسَ بدارٍ من الدراهم، واذهب بها إلى السَّري، فسُرَّ نفسَه بهذه الدراهم، حتى يشتريَ بها تحفة، فإن لي عنايةً بها. فلمّا سمعتُ هذا سجدتُ سجدةَ الشكر بإعطاء نعمائه.

قال السَّريُّ: فجلستُ بانتظار الصبح، فلمَّا صلّيت الصبح خرجتُ، وأخذت يد الذي جاءَ بالدراهم، وذهبت به إلى المارستان، وصاحبُ المارستان ينظرُ جانب اليمين والشمال، فلمَّا رآني قال: مرحباً، ادخل، إنَّ لتحفة عند الله قرباً واعتبارات، البارحة هتف بي هاتف وقال:

إنّهـا منّـا بيـال ليـس تَخلـو مـن نـوالِ
قَـربَـتْ ثـمَّ تـرقَّـت وغلـتْ فـي كـلِّ حـالِ

فلما رأتني تحفة خرجت الدُّموعُ من عينها، وقالت في مناجاتها: أَشهرتني عند الخلق. وكنت جالساً عندها فإذا مالكُها جاء باكياً، قلتُ: لا تبك، قد جئتُكَ بما قلتَ، وبخمسة آلاف ربح. قال: لا والله. قلتُ: بعشرةِ آلاف ربح. قال: لا والله. قلت: بمثلها ربح. قال: إن تُعطيني جميعَ الدنيا لا أقبل، هي حرَّةٌ حسبةً لله. قلت: ما القصة ؟. قال: يا أستاذي، البارحة زجرني الله تعالى، فأُشهدُك أنّي قد خرجتُ من جميع مالي، وفررت إلى الله، اللَّهُمَّ، كنْ لي بالسعة كفيلاً، وبالرزق حميلاً. فالتفتُّ إلى ابن المُثنى فإذا هو يبكي أيضاً، قلت: لم تبكِ ؟. قال: لأنَّ الله ليس عني راضياً، لأنَّه ما قبلَ ما دعاني إليه، فأُشهدُك أنّي قد خرجتُ من جميع مالي خالصاً لله تعالى. قلتُ: كلُّ ذلك ببركة تُحفة. ثم قامت تحفةُ، وخلعتْ ثياباً كانت عليها، ولبست خيشةً، وذهبت باكية، قلت: خلَّصَك الله تعالى بفضله، لِمَ تبكين ؟. قالت، رضي الله عنها:

هربتُ منه إليه	بكيتُ منه عليه
وحقِّه هو سُؤلي	لا زلتُ بين يديه
حتَّى أنالَ وأَحظى	بما رَجوتُ لديه

فخرجت من هناك، فطلبتُ تحفة فما وجدتها، فعزمتُ إلى الكعبة، فمات ابنُ المثنى في الطريق، وأنا وصاحبُ تحفة دخلنا في مكّة، وكنَّا في الطواف، فسمعتُ صوتاً حزيناً كصوت الجريح، ويقول هذه الأبيات:

محبُّ اللهِ في الدُّنيا سَقيم	تَطاول سُقمُهُ فدواه داهُ
سقاه من محبَّتهِ بكأسٍ	فأرواه المُهيمنُ إذ سَقاهُ
فهامَ بحبِّه وسَمَا إليه	فليسَ يُريد مَحبوباً سِواهُ
كذاك مَن ادَّعى شَوقاً إليه	يهيمُ بحبِّه حتّى يَراهُ

فذهبتُ عندها، فلمَّا رأتني قالت: يا سري. قلت: لبَّيك، من أنتِ، يَرحمك الله تعالى ؟. قالت: لا إله إلا الله، بعد المعرفةِ يقعُ عدم المعرفة، أنا

تحفة. وهي صارت مثل الخلال[1]، قلتُ: يا تُحفة، بعد اختيارك الوحدةَ، ما الفائدة التي رأيت ؟. قالت: أعطاني الله تعالى أُنساً به، وأوحشني من غيره. قلتُ: مات ابن المثنى. قالت: رحمه الله تعالى، وأعطاه الله تعالى كرامةً ما رأتها عين، هو جارنا في الجنة. فقلت: سيِّدُك الذي أعتقَكَ جاء معي. فدعتْ له خفيةً، وخرّتْ على باب الكعبة، وماتت، فلمَّا جاءَ سيدُها، ورآها ميتةً خرَّ عليها، ومات، فذهبتُ عنده، فهززتُهُ فإذا هو ميت، فجهَّزتُهما، وكفَّنتُهما، ودفنتهما، رحمهما الله تعالى.

* * *

(٦٠٦) أم محمد(*)

أم محمد، رحمها الله تعالى، هي عمَّةُ الشيخ عبد القادر الجيلي، رضي الله تبارك وتعالى عنهما، كانت من النساء الصالحات.

قيل: وقعَ في جيلان إمساكُ المطر، فخرجَ الناس للاستسقاء، فما جاءَ المطر، فاجتمع الناسُ في بيت أم محمد، وطلبوا منها الدعاء، فقامت أم محمد وكنستَ فناءَ بيتها، وقالت: يا ربِّ، أنا كنستُ وأنتَ رشَّ الماء. فبعد لحظةٍ جاءَ المطر كأفواه القِرَبِ.

* * *

(٦٠٧) بيبيك المروية(**)

بيبيك المروية، رحمها الله تعالى.

قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير، قدّس الله تعالى سره: كنتُ في مرو،

---

(١) كذا في الأصل، وفي روض الرياحين ٢٠٣: مثل الخيال.

(*) قلائد الجواهر ٨، شذرات الذهب وفيات سنة ٥٦١.

(**) أسرار التوحيد ٢٩٣. ولم أقف على صحة اسمها، ففي (ص): بيبيك، وفي (ب) و (ح): بيبيك، وفي المطبوع الفارسي: بيبك، وفي أسرار التوحيد سياري.

وكان هناك عجوزٌ اسمها بيبيك، فجاءت عندي، وقالت: يا أبا سعيد، جئتُ متظلّمةً عندك. قلت: فعلى ما ؟. قالت: الناس يدعون: يا ربُّ لا تكلني إلى نفسي لحظةً، واليوم ثلاثين سنة أنا أدعو: يا ربُّ كلني إلى نفسي لحظةً حتى أعرفَ، وأنظر من أنا، أنا موجودة أم لا، فما اتفق هذا ؟!.

* * *

(٦٠٨) بنت كعب(*)

بنت كعب، رحمها الله تعالى.

قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير: كانت عاشقةً لغلام، لكن اتفق الشيوخ إذ الذي يتكلم به لا يجوز أن يُنسب إلى المخلوق، بل لها ابتلاء بغير هذا.

لقيها الغلام يوماً، فأخذ رأسَ كمِّها، فصاحت على الغلام، وقالت: ألا يكفيك أنِّي بالله مبتلاة، وأعطيتك الخارج، فتطمع فيَّ ؟! قال الشيخ أبو سعيد: كلامها الذي تكلَّمتْ به لا يُمكن أن يقعَ على المخلوق.

حبستُ عشقي جَهدي ثم ثانيةً حبستُه ليس جهدي نافعاً أبدا
فالعشقُ يَجيء بلا مِراء فمتى تَشرعُ فيه المسيرَ مُجتهدا
تهيء للعشق يا عقول[1] فكم من ظنَّ وصلاً ضَلَّ وابتعدا
ورُئي له قبحُ فعله حسناً فالتقمَ الصَّبر ظنَّه شَهدا
جهلتُ نفسي كجاذبِ غرضاً[2] قطعَ من حرٍّ جرِّه المَسَدا

* * *

(*) لم أجد لها ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ص): تهيء للشعويا.

(٢) في (ب): جهلت نفسي لجاذب عوضاً.

(٦٠٩) فاطمة بنت المثنى(*)

فاطمة بنت المثنى، رحمها الله تعالى.

ذكر الشيخ محيي الدين ابن عربي، رضي الله تعالى عنه، في «الفتوحات»، قال: خدمتُها سنيناً كثيرة، وكان سنُّها تلك الأيام خمساً وتسعين سنة، وما نظرتُ إلى خدِّها؛ لأنَّها كانت في غايةِ الحسن، ومن رآها حسبَ أنَّها في سنِّ أربعة عشر، وكان لها حالٌ عجيب مع الله تعالى، واختارتني عمَّن كان في خدمتها من أمثالي، وتقول: ما رأيتُ مثل فلان، لمّا يَجيء عندي يجيءُ بتمامه، لا يُخلّي شيئاً خارجاً، وإن يذهبْ يذهبْ بكلِّه ولا يُخلّي شيئاً عندي.

وأيضاً قال الشيخ: سمعتها تقول: عجبتُ من الذي يقولُ: أُحبُّ الله تعالى، ولا يُسرُّ به وهو سبحانه وتعالى مشهودُه، وعينُه ناظرةٌ إليه، وفي كلِّ شيءٍ لا يغيبُ طرفةَ عينٍ، وهؤلاء الرجال يَدّعون حبَّه، ويبكون، ولا يَستحقون. قربُ المحبَّةِ أَقربُ من كلِّ شيءٍ قريب، فلِمَ يبكون؟. ثم قالت: يا ولدي، ما تقول؟. قلتُ: بما قلتِ، الكلامُ كلامك. فبعده قالت: والله، إنّي مُتعجّبةٌ حبي أَمرَ فاتحةَ الكتاب أن تخدمني، ووالله، ما شَغلتني عنه، وما احتجبتُ بها.

وأيضاً قال الشيخ: كنتُ عندها قاعداً، فدخلت عجوزةٌ، وقالت: زوجي سافرَ بلدةَ، وذكرت اسمها، وأرادَ أن يتزوَّجَ زوجةً أخرى. قلتُ: تُريدي أن يرجع؟. قالت: نعم. فتوجَّهتُ إلى فاطمة، وقلتُ: يا أمي، سمعتِ ما قالت؟. قالت: أَنت ما تريد؟. قلت: قضاءَ حاجتها، وحاجتُها أن يرجعَ زوجها. قالت: سمعاً وطاعة، الآن أُرسلُ فاتحةَ الكتاب وأُوصيها أن تجيء بزوجها. فقرأتْ فاتحةَ الكتاب، وأنا قرأتُ معها، فلمَّا قرأت الفاتحةَ تمثَّلتْ

(*) الفتوحات المكية ٢/ ٤٦، روح القدس ١٢٦، الدرة الفاخرة الترجمة (١١).

بصورةٍ جسدية، وأرسلتها، وفي وقت الإرسال قالت: يا فاتحةَ الكتاب، اذهبي إلى البلدِ الفلاني، وانظري زوجها، فلا تخلّيه حتى تَجيئين به. قال الشيخ: فمن وقتِ الإرسال إلى رجوعها ما كان وقتٌ يَقتضي قطع مسافة.

* * *



المجهولات

(٦١٠) جارية سوداء رحمها الله تعالى(*)

قال ذو النون: رأيتُ جاريةً سوداء يضربُها الصبيان بالحجارة، ويقولون لها: زِنديقة؛ لأنها تقول: أنا أنظر الله. فذهبتُ خلفها، فنادتني، وقالت: يا ذا النون. قلتُ: من أين عرفتيني ؟. قالت: أرواحُ أحبابه عسكرٌ يتعارفون بينهم. قلت: ما هذا الذي يقولُ الصبيان ؟. قالت: ما يقولون ؟. قلتُ: يقولون أنت تقولي إنّي رأيتُ الله. قالت: هم صادقون، مذ عرفته ما حُجبت بعده أبداً.

* *

(٦١١) امرأة مجهولة، رحمها الله تعالى(**)

قال ذو النون، قدَّس الله روحه: كنتُ في الطواف، فرأيت نوراً يتلألأُ، وصلَ عنان السماء، فعجبتُ منه، وأتممتُ الطواف، ووضعتُ ظهري إلى جدار بيت الله، وكنتُ متفكِّراً في ذلك النور، فسمعت صوتاً حزيناً، فذهبتُ على إثره، فرأيتُ جاريةً تعلَّقتْ بأستار الكعبة، وهي تقول:

أنـــتَ تَـــدري يـــا حَبيبـــي	مَـــنْ حَبيبـــي أنـــتَ تَـــدري
ونحـــولُ الجســـمِ والـــدَّمـ	ـــعُ يَبـــوحـــان بســـرِّي
قـــد كتمـــتُ الحـــبَّ حتَّـــى	ضـــاقَ بـــالكتمـــانِ صَـــدري

(*) لم أجد لها ذكراً في المصادر التي بين يدي.

(**) روض الرياحين ٥١٨ (الحكاية: ٤٧٧).

فتنحَّيتُ عنها، وبكيت من ألَمها، فقالت: إلهي وسيدي ومولاي، بحبّك لي إلا غفرتَ لي، قلتُ: يا جارية، ألا يكفيكِ هذا أن تقولي بحبّي لك، وتقولي بحبّك لي، من أين تعلمي أنّه يُحبُّك ؟. قالت: لله عبادٌ يحبُّهم فيحبُّونه، أما سمعتَ قولَ الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فحبُّه أسبقُ من حبِّهم. فقلتُ: أراك ضعيفة ونحيفةً، فهل كنتِ مريضة ؟. قالت:

مُحبُّ اللهِ في الدُّنيا عَليلُ ... تَطاولَ سقمُه فدواه داه

كذا من كان للباري مُحبًّا ... يَهيمُ بذكرِهِ حتَّى يَراه

فقالت لي: انظر إلى ورائك. فما رأيتُ أحداً، فتوجَّهتُ إليها فما رأيتُها أيضاً، فما علمت أين ذهبت.

* * *

(٦١٢) جارية مجهولة، رحمها الله تعالى (*)

قال ذو النون أيضاً: وصفت لي جاريةٌ، كانت متعبِّدةً، فسألتُ عن حالها، قالوا: في دير مخربٍ. فدخلتُ فيه، فرأيت جاريةً ضعيفةً، نحيفة الجسم من أثرِ السهر، فسلَّمتُ عليها، فردَّت الجواب، فقلت لها: يا جارية، سكنتِ في مسكنِ النَّصارى ؟. قالت: ارفعْ رأسَك، هل في الدارين غير الله ؟. قلت: ألا تستوحشي من الوحدة ؟. قالت: ابعدْ مني، ملأَ قلبي من لطائف حكمه وحبِّه، واستولى شوقُ رؤيته فما أجدُ في قلبي موضعاً لغيره. قلتُ: وجدتُك حكيمةً، فأخرجيني من الضيق، ودلّيني الصراطَ المستقيم. قالت: يا فتى، اجعلِ التقوى زادَك، والزهدَ طريقك، والورعَ قرينك، واسلك السلوك لطريق الخائفين، حتى تصلَ إلى باب لا تنظر هنا حجَّاباً ولا بوَّاباً، فتأمر الخازنين فلا يُخالفون أمرك.

(*) روض الرياحين ٥٤٢ (الحكاية ٥٤٢).

(٦١٣) امرأة مصرية، رحمها الله تعالى(*)

قال الإمام اليافعي في «تاريخه»: قال واحدٌ من المشايخ: كانتِ امرأةٌ في نواحي مصر جلستْ إلى ثلاثين سنة في مكانٍ واحدٍ، ما قامتْ في الشتاء ولا في الصيف، وما أكلتْ وما شربت في هذه المدَّةِ، رضي الله عنها.

* * *

(٦١٤) امرأة مصرية(**)

امرأة مصرية أخرى، رحمها الله تعالى.

ذكر الإمام اليافعي في كتاب «روض الرياحين»: قال رجلٌ من هذه الطائفة: رأيتُ امرأةً في نواحي مصر، كانت والهةً متحيِّرةً ثلاثين سنة، وكانت واقفةً على رجليها، وما جلستْ في الصيف ولا في الشتاء، لا في الليل ولا في النهار، وما كان لها سترٌ من الشمس ولا من المطر، والحيات والثعابين تجولُ حولها.

* * *

(٦١٥) امرأة خوارزمية، رحمها الله تعالى(***)

حكى الإمام اليافعي أيضاً في «تاريخه» عن واحدٍ من العلماء، قال: رأيتُ امرأةً في خوارزم ما أكلت وما شربتْ عشرين سنة.

* * *

(*) لم أجد لها ذكراً في المصادر التي بين يدي.

(**) مرآة الجنان ٢/ ٢٢١. شذرات الذهب ٣/ ٣٩١.

(١) لم أجده في روض الرياحين، ولعله سبق قلم، قصد به التاريخ ففي الترجمة التالية يقول: حكىٰ الإمام اليافعي أيضاً في تاريخه.

(***) طبقات السبكي ٨/ ٩، شذرات الذهب ٣/ ٣٨٨. (حوادث سنة: ٢٩٢).

(٦١٦) جارية حبشية، رحمها الله تعالى(*)

قال الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي، قدس الله سرَّه العزيز: عزمتُ من بغداد للحجِّ أولَ مرَّةٍ على قدمِ التجريد، وكنتُ شاباً، وكنتُ ماشياً وحدي، فاستقبلني الشيخ عديُّ بن مسافر، وهو أيضاً كان شاباً، فسألني: أين تذهب؟. قلت: مكَّةَ. قال: تُريد الرفقة؟. قلت: أنا أذهب على قدمِ التجريد. قال: أنا أيضاً على قدم التجريد. فمشينا بالاتفاق، فرأينا يوماً من الأيام جاءت جاريةٌ حبشية متبرقعةٌ، فقامت قدَّامنا تنظر إليَّ بحدَّة النظر، فقالت: من أين أنت يا فتى؟. قلت: من العجم. قالت: اليومَ أدخلتني في التعب. قلتُ: بم؟. قالت: في هذه الساعة كنتُ في بلاد الحبشة، فشاهدتُ تجلِّي الله تعالى في قلبك، وأعطاكَ الله شيئاً ما أعطاه لغيرك فلم أعرف[1]، فأردتُ أن أنظركَ وأعرفك. فقالت: اليوم أنا معكما، ونفطرُ جميعاً. فذهبنا، هي من جانب الوادي، ونحن من جانبٍ آخر من الوادي، فلمَّا جنحَ الليل نزلَ طبقٌ من الهواء فيه ستةُ أرغفة، وخلٌّ، وبصل[2]، فقالت الجارية: **الحمدُ لله الذي أكرمني، وأكرمَ ضيفي**، كلَّ ليلةٍ يُنزلُ رغيفين، فهذه الليلة نزَّلَ لكلٍّ واحدٍ رغيفين. فبعده نزلَ ثلاثةُ أباريق من الماء، فشربنا، وما كان من اللذة والحلاوة أحسنُ منه ماء، ففارقتنا وذهبت، فلمَّا وصلنا مكَّة تجلَّى الله تعالى للشيخ عدي في الطواف، فخرَّ مَغشياً، حتى قالوا: هو مات. فرأيتُ تلك الجارية واقفةً على رأسِ الشيخ عدي، وتقول: أحياكَ من أماتك، **سبحان الذي لا تقومُ الحادثاتُ لتجلِّي نور جلاله إلاَّ بتثبيته، ولا تستقرُّ الكائنات لظهورِ صفاته إلا بتأييده، بل اختطفتْ سبحاتُ قدسه أبصارَ العقول، وأخذتْ نفحاتُ بهائه لبابَ الفحول.** فتجلَّى الله لي في الطواف، فسمعتُ خطاباً من باطني، وفي آخره قال لي:

(*) لم أجد لها ذكراً في المصادر التي بين يدي.

(١) في (ب): ما أعطاه غيرك من أعرف.

(٢) في (ب): وبقل.

يا عبد القادر، اتركْ تجريدَ الظاهر، والزمْ تفريد التوحيد، واجلس لنفعِ الناس، لأنَّ لي عباداً خواصًا أُريدهم بوسيلتك أن يتشرَّفون بقربي. فقالت تلك الجارية: يا فتى، لا أَعلمُ اليومَ ما الولاية[1]؛ لأنَّهم ضربوا على رأسِك خيامَ النور إلى عنان السماء، وحواليك ملائكةٌ داخلين، وعيونُ جميعِ أولياء الله من مقاماتهم صارت حائرةً، وكلُّهم راجين لما أعطاكَ الله تعالى. وذهبت تلك الجاريةُ، وما رأيتها أبداً.

* * *

(٦١٧) امرأة أصفهانية، رحمها الله تعالى(*)

قال واحدٌ من أصحاب الشيخ عبد القادر: وقع يوماً للشيخ عبد القادر على المنبر استغراقٌ، ففُتِحَ من عمامته لفَّةٌ واحدةٌ، وما كان له شعورٌ، فجميع حضَّارِ المجلس وضعوا عمائمهم، وكوافيهم، وطواقيهم تحت المنبر، فلمَّا أفاقَ الشيخ، وأتمَّ الكلام سَوَّى عمامته، وأمرني أن أُعطيهم عمائمهم وطواقيهم، ففعلت ما أمرني، فما بقي إلاّ عصابةٌ ما كان صاحبُها حاضراً، قال الشيخ: اعطني هذه العصابة. فأعطيتُه إيَّاها، فوضعها على كتفه، فغابتِ العصابة، فكنتُ متحيّراً، فلمَّا نزلَ الشيخ من المنبر، قال لي: لمّا وضعَ أهلُ المجلس العمائم كان لي أختٌ في أصفهان، وضعتِ العصابةَ أيضاً، فلمَّا وضعتُها على كتفي مدَّتْ يدها من أصفهان، فأخذتها.

* * *

(٦١٨) امرأة فارسية، رحمها الله تعالى(**)

قال الشيخ نجيب الدين علي بن بزغش: يوماً جاءت امرأةٌ إلى شيراز من مدينة كلبايكان، وكانت في بعض الأوقات تجيءُ في بيتي، وكانت ذات

---

(١) في (ب): ما العلامة.

(*) لم أجد لها ذكراً في المصادر التي بين يدي.

(**) لم أجد لها ذكراً في المصادر التي بين يدي.

شعورٍ، جلستُ في بيتي أياماً كثيرة، وفي تلك الأيام كان عيشي مُتضيّقاً، وهي تعرف حالي، وكان في بيتي ظروفٌ لأجل الحبوب، إذا جاءني شيءٌ أضعُه فيها، وجميعُ الظروف كانت فارغةً، وفمُها كان مُغطّى حتى لا يدخلَ فيه من الحشرات شيءٌ، قالت تلك المرأة: لِمَ لا تأكل ما كان في هذه الظروف ؟. قلت: هذه كلُّها فارغةٌ. قالت: إذا كانت خاليةً لم غطّيتَ فمها ؟ [قلت]: حتى تبقى طاهرة. فقامت، وفتحتْ رأسَها كلَّها، وقالت: لأجل هذا كانت خالية، غطَّيت فمها، وإذا كان الفم مفتوحاً يُشبه فمَ الجائع، فاللهُ يرزقُها، وقوتُ كلِّ شيءٍ على حسب استعداده، فقوتُ هذه الظروف الحبوب؛ مثل الحنطة والشعير وغيرها، فإذا كان بطنُها جائعاً فيملؤها من الحبوب. فلمّا تصرَّفت التصرُّفَ ففي ذلك الوقت أرسلَ الله تعالى قمحاً حتى ملأها كلَّها، وكانت من أولياء الله تعالى.

* * *

تم الكتاب، واختتم كتاب «نفحات الأنس من حضرات القدس»، لأن المقصودَ منه شرحُ الأخلاق، والأفعال، وبيان المقامات، وأحوال الفتيان الذين قطعوا بقدم الصدق باديةَ الطلب، حتى وصلوا لكعبة المقصود بخطوتين، وصاروا موردَ الأخلاق الإلهية، ومظهرَ أسماء غير متناهية، فالحكمة في إيجادِ العالم عينُ وجودهم، والمقصود من إظهار بنين وبنات آدم كشف مقام شهودهم.

حبَّذا قومٌ غدتْ رؤيتُهم رؤيةَ الحقِّ وهم محو الشهود

كُنْهُ ستر الغيب أَسرارُهم في فناء كهفٍ فناؤهم كالرقود

لهم بالحالِ إشعارٌ كما يشعر النعسانُ من حال القعود

إنَّ شمسَ الأُفق إن لم تدرِ عن نورها الساطع فِي لوح الوجود

فامتلأ الشرقُ والغرب بها عائدٌ منعكسٌ فيها كعود

فحياء العرفان قد جاءت به سحبُ الإحسان بالنور المديد

فمحا نقشَ سطورِ الكون[١] عن صفحة الإنسان عن وجدِ الوجود
وهـو النـور الـذي مطلعـه فلـكُ الأشيـاخ عـن سعـد السعـود
قصـدوا سـترَ ذواتٍ لهـم ضـمـنَ ذاتِ الـواحـد المُبـدئي المعيـد
سـرُّ[٢] استغفـارهـم كـان لـذا لهـم إن فـاتَ[٣] فـي مـزيـد
ولكـلٍّ مَتجـرٍ جـاء بـه وهـو قلـب سيـم[٤] فـي سـوق حميـد
فالتهابُ العشق والشوقُ لظًى شوقهم فافهم فذا بيتُ القَصيد
فاحترز تقعد عن أجدارهم نَفَساً بل طُفْ تنلْ شأوَ[٥] العبيد
إن فـي البـاب وسنـا دورانهـم مثنـا فتـحِ أُعـدَّت للـوفـود
عارفو الحقِّ هم حقاً محوا ذاتَهم والنعتُ في المرمى البعيد
ومحوا الفعلَ[٦] عسى الله بأن يلحقَ الجامي بهم وابن سعيد

* * *

هذا وقد كمل ما قصدناه بفضل الله من النفحات، ترجمةً وتعبيراً وإعراباً عن تلك المعاني المُحتجبة بنقابِ الألفاظ الأعجمية ببيان العربية بياناً وتقريراً، وطابق اللفظُ فيه المعنى، واشترك العربُ مع غيرهم في ورودهم سَلسبيل بحارِ عرفان العارف الأسنى، وكان ذلك من مظاهر الرحمة، فلا غرو إن بهرت، وجاءتَ أحسنَ ترجمة.

إنَّ فـي الفيـضِ الإلهـي غنـىً ... يرجعُ الأسبابَ جسماً أو هيولا
وانفعـالات إذا استبصـرتَهـا ... أغرقتْ في لجَّةِ الكيف العقولا
فـالمحـالاتُ جـود عنـدهـا ... أو يعـود الصعـبُ مُنقـاداً ذلـولا

---

(١) في (ص): فمحا النفس سطور.
(٢) في (ب) و (ح): ستر.
(٣) في (ح): إن فان.
(٤) في (ص) و (ب): قلب سليم.
(٥) في (ص) و (ب): تنل والعبيد.
(٦) في (ح): ومحوا العقل.

منـــه مــــا أتحـــفَ الله بـــه القدوة العارف والحبر الجليلا

منهجُ[1] الحقِّ الذي من جاءَهُ مُستنيـرَ الـرُّشـد أقصـدَهُ السبيـلا

نعمـــةٌ عـــمَّ بهـــا اللهُ المـــلأ إذا ملا الكون بها فضلاً ونيلا

وارثُ العلـمَ اللَّـــدُنِّـي ومـــن قـــامَ بــــاللهِ وللهِ دليـــلا

عيـنُ[2] فضـلٍ أيُّمـا انهـلَّ روى ربُّـه الممـرعُ ألبـابـاً محـولا

إن تـاجَ الـدِّين للنـورُ[3] الـذي أظهـرَ اللهُ بـه الفضـلَ الجـزيـلا

وصــراطٌ مُستقـمٌ بيِّـنٌ لمـن استهـدى ومـن رامَ الـوصـولا

نفحـاتُ الأُنـس كـانـت قبلـه غفل كالمطلب المكنوزِ لولا

نفحـاتٌ منـه أبـدى سـرَّهـا وهو السرُّ فدع عنك الفضولا

فـأمـاطَ الحجبَ عـن غـراءَ قـد خطرتْ تبدى من التيه الخجولا

فجزاه خيراً[4] عن سرِّ كشف الغـامـضِ بـل أروى الغليـلا

أبلغـــوه القـــولَ عنّـــي إنَّمـــا عن حيا قلب أبلغوه أيّ قولا[5]

أنـــا واللهِ وحـــقُّ المصطفـــى مُخلصُ الودِّ لكم فعلاً وقولا

فـارتضـونـي عبـدَ أعتـابكـم وانظموا سلكي بكم حالاً وحولا

فمُـرادي بـل وأقصـى مَطلبـي أن يُنيلوني على غيٍّ[6] القبولا

شرِّفـوا قـدري وقـولـوا عبـدَنـا لاتخـفْ ردًّا ولا تخشَ نكـولا

فشفيعـي صـدقُ حبِّـي لكـم والشفيـعُ الفَـردُ طـه خيـرُ مـولا

وبهاءُ الدِّين ذو الفضل الذي قد أنال الطالبي المنهج سولا[7]

وصـــلاة الله تغشـــى مـــن بـــه شرف الكون ومن أولى الجميلا

---

(١) في (ص) و (ح): نهج.
(٢) في (ص): غيث.
(٣) في (ب) و (ح): لنور.
(٤) في (ص): فجزاه الله خيراً.
(٥) في (ص): قلت أبلغوا فارفضوا لا. وجاء في الهامش: أي أقول لا.
(٦) في (ص) و(ح): على غيبي.
(٧) في (ح): قبولا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

* * *

نهاية النسخة (ص):

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأُمِّي، مددِ الكون، وسبب الوجود، وعلى آله وأصحابه أُولي الفضل والسعود، وعلى تابعيه ومن تابعهم على طريقهم، ونهج منهجهم، ورضي به، تبارك وتعالى عنهم أجمعين، ونفعنا بهم آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك وسط نهار الخميس عند الظهر آخر شهر رجب الفرد لأربعٍ بقين منه، من شهور سنة ألف ومئة واثني عشر نفحنا الله بنفحاته. وأعاد علينا من بركاته إنه على ذلك قدير. وهو على يد الفقير الحقير الناسخ بحماه المحمية أحمد بن الشيخ محمد بن عبد الله غفر الله له، ولوالديه، ولمن يدعو لهما بالمغفرة. آمين.

كتب برسم فخر العظام، وقدوة المشايخ الكرام، المحفوظ بعناية الله الكريم، سيدي ومولاي السيد عبد القادر بن الشيخ إبراهيم القادري الكيلاني. أعطاه الله في الدارين مراده، وبلّغه سؤله ومرامه، آمين.

* * *

نهاية النسخة (ح):

وكان الفراغ من كتابته في يوم الربوع المبارك ثاني عشر شهر ربيع الأول، سنة ستٍّ بعد الألف من الهجرة، على صاحبها الصلاة والسلام على يد أفقر العباد، وأحوجهم إلى عفو ربه ومغفرته أحمد بن علي الأبوصير أحسن الله له الخاتمة والمسلمين. آمين آمين آمين.

وجاء في هامشها مانصه:

قوبلت هذه النسخة المباركة الشريفة بحسب الإمكان سطراً بسطرٍ، بل حرفاً

بحرف بتتبع العبد الفقير يوسف الحسيني الحنفي النقشبندي ثم القادري خادم السنة النبوية بحضرة نبي الله زكريا عليه التحية بمدينة حلب المحمية . غفر له .

* * *

نهاية النسخة (ب) :

وكان الفراغ من كتابته في يوم الثلاثاء المبارك الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر في شهور سنة أربع ومئة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد الفقير إلى الله تعالى محمد بن عمارة بن محمد بن أنور الغنيمي الشافعي غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولكلِّ المسلمين، والحمد لله ربِّ العالمين .

* * *



الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

* * *



فهرس الأعلام

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ز ـ

- س -

ـ ش ـ

ـ ص ـ

- ض -

- ط -

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

- ق -

- ك -

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ هـ ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

• • •

فهرس الأقوام والقبائل والمذاهب

- د -

- ر -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

* * *

فهرس الكتب

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

* * *



فهرس الأماكن والبلدان

ـ ت ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

* * *

فهرس الأيام والغزوات والوقائع

* * *



فهرس الحيوان

فهرس الأوائل

* * *

فهرس الأمثال

* * *



فهرس الأشعار العربية

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد	الصفحة
كل يوم تتلون	أحسـنْ	مجزوء الرمل	/	٢	٢٨٥

- هـ -

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد	الصفحة
محب الله في الدنيا سقيم	داهُ	الوافر	/	٤	٨٣٠
				٢	٨٣٦
فما انفك يرضاني بكل محبة	مودةِ	الطويل	الجندي	٢	٧٤٣
عهدنا الماء في نهر ونرجو	فيهِ	الوافر	عبد الله الهروي	١	٤٧٠
هربت منه إليه	عليهِ	المجتث	/	٣	٨٣٠
أنا في عنان إرادة المحبوب	محالَهْ	مجزوء الكامل	العفيف التلمساني	٣	٧٥٧

- ي -

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	عدد	الصفحة
وإني لأستغشي وما بي غشية	خياليا	الطويل	المجنون	١	١٣٠
ما أبالي بعيون	أتقيها	مجزوء الرمل	/	٢	٤١

* * *

أنصاف الأبيات

ألا كل شيء ما خلا الله باطل لبيد	١٩٤

* * *

فهرس الأشعار الفارسية الأصل

البيت الأول	القائل	عدد	الصفحة
أعين العشاق إن نظرت سبل المحبوب هي كفرتْ	الحموي	٤	٥٨٦
لا تنكر الباطل المجفو سورته فإنه مظهر للحق أثبتَهُ	الخوارزمي	٢	٥٩٢
حسابي الذي كنت حسبته تنوع بي فلهذا ندمتْ	أبو نصر	١	٤٨٠
الأوحدي إلى ستين عاماً له في العشق حتى بدت سعادتُه	أوحدي	٨	٨٠١
صورتي صارت كصورته وصفاتي كلها صفتُه	أفضل الدين	٢	٨٠٣
ما كان أحد فوق الخراز هو في غاية الغاياتِ	عبد الله الهروي	١	١١٣
هارون إن يجيء بأمري أكون موساه في بريتِهِ	يحيى الجامي	٢	٧٦٤

- ج -

البيت الأول	القائل	عدد	الصفحة
لا تكن كالزبان بل كن كالمرهم والشمع في اتخاذ المزاج	/	٢	٦٣٨

- ح -

البيت الأول	القائل	عدد	الصفحة
صدق اضطرار العبد اسم أعظم أبداً يجيب به العظيم ويفتحُ	/	٣	٥٠٧
أنا مالي بأن أصله وما هو واصل بي فكيف يرجى فلاحي	أوحدي	٤	٨٠٢

- د -

البيت الأول	القائل	عدد	الصفحة
عشاق حق في مراكب فخره ذهبوا بإقبال إلى أبد الأبدْ	الرومي	٣	٥٤٥
حبست عشقي جهدي ثم ثانية حبسته ليس جهدي نافعاً أبداً	بنت كعب	٥	٨٣٢
شين لمن لا زين تدرك عينه عين بها إنزال زيناً يشهدُ	الخوافي	١	٦٦٦
فالعين شين العين يفقد نورها لا زين في عين لنور يفقدُ	قوام الدين	١	٦٦٦
أنا في الزمان صراط ربي قائداً من جاور الأدنى لأقصى مسجدِ	روزبهان	٢	٣٧٢
ما رأى العاشقون أحسن في الآفاق والكون حد وجود الوجودِ	/	٣	٥٣٨
هو خافٍ وإنما الظاهر العالم والكون لافتقار الوجودِ	الخوارزمي	٢	٥٩٢
قيد القلب مع مؤانسته وأغمض العينين عن كل الوجودِ	الفراهي	١	٦٢٠
حبذا قوم غدت رؤيتهم رؤية الحق وهم محو الشهودِ	/	١٦	٨٤٠
النقشبندية سادتنا أئمة الفضل وقوادِهِ	/	٥	٥٦٥

- ر -

البيت الأول	القائل	عدد	الصفحة
أنا في ذاتك محو وأنا الموجود ظاهره	الخوارزمي	٢	٥٩٢
معي أنت عنك الصبر لو نبت لحظة بعيد فلا أحصي لفضل تقررا	/	٢	٤٢٤

البيت الأول	القائل	عدد	الصفحة
الشمس قد صفرتك لما صفر في العشق فيك قهرا	أبو سعيد	٢	٤٣٤
أبواب مولاك عوال شمخ من غير حد نزهة أن تحصرا	الجلال الرومي	٢	٦٢٧
صير الذات في حجاب الوجود محض محوٍ واعبد الزنارا	سنائي	٣	٧٩٠
منقباً وجهك يا سيدي دخلت في السوق جهاراً نهاراً	فريد العطار	٢	٧٩٤
الله أقرب في روحي إليّ وما يدركه إلا الذي في عرفه خبرُ	/	١	٥٦٢
القم السم إذا لم تجد السكر إذ تذكرُهُ	/	٣	٥٦٤
نقطة قد علمتها وجاوزت عنها وهي النور الأسود البهارِ	/	٢	٥٦٦
يا شيخ ثوب الحسين ما أحسنك لو شدوك في عنقي بخيط أخضرِ	/	١	٥٨٢
من كان منظوره في الدار ليس بمحتاج لمفترج البستان والزهرِ	/	١	٥٦٣
أشكو الفراق كشكوى الشمع أدمعه وحرقة بث ما سور لمأسورِ	نجم الدين	٢	٥٩٤
عدو حرفي أراه في نظري ممثلاً بل منكوساً في سفرِ	جلال الرومي	٣	٦٣٦
أعطيت عيني عكس الوجه أنظر من شعاعه هيكل الأشباح والصورِ	الكاشي	٢	٦٥٠
ذاتي التي من وراء الحرف خارجة عن حصر دائرتين الحد والنارِ	أوحد الدين	٣	٧٨٣
شبك يشرب المصاد به الدم وذو الطبع طبعه في المطيرِ	نظامي	٣	٨٠٥
لما رأيت كمال وجدي فيكم بكم انقطعت عن الذوات بأسرِها	محمد شيرين	٩	٨١٠
ليس لي دون أنت في كل ساري ناظري شاهد سواك بداري	الحموي	٤	٥٨٦
قلوبنا كلها لقد صارت ماء وأرواحنا دماء تجري	سنائي	٣	٧٩٠

- ز -

رؤيتي وجهك صومي وقربتي وهي في جيد وجودي كالطراز	أبو سعيد	٢	٤٣٤

- س -

يوم أخلو من الهوى أغدو والصحة في منزل معاً والأنس	الباخرزي	٢	٥٨٩
لا ينقص الشمس كون اليوم لم يرها النقص في اليوم ليس النقص في الشمس	/	١	٦٥٤

- ش -

كل نقش في صورة الكون تلقاه فهاتيك صورة النقاش	نور الدين	١	٦٥٦

- ص -

إن أنت قد طرت بالجناح إلى فوق فعاود فأنت لم تخلص	سنائي	٤	٧٩٢

* * *

فهرس المصطلحات والألفاظ الفنية والأشياء

ـ ب ـ

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- ر -

- ز -

- س -

- ص -

- ض -

- ط -

- ظ -

ـ ك ـ

ـ ل ـ

- م -



- ن -

* * *

فهرس مصادر التحقيق

- الأربعين في شيوخ الصوفية: أحمد المالني. تحقيق الدكتور عامر حسن صبري. دار البشائر الإسلامية. ١٤١٧ـ١٩٩٧م.
- إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن (الطبقات الصغرى): عبد الرؤوف المناوي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار صادر ١٩٩٩.
- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي. المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- أخبار الحلاج: ماسينيون وكراوس. مطبعة المثنى. بغداد ١٩٣٦ م.
- أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد: ابن أبي سعيد بن أبي الخير. ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل. الدار المصرية للتأليف.
- الأعلام قاموس تراجم: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين ١٩٨٠ م.
- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطباخ. المطبعة العلمية في حلب ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م.
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: ابن ماكولا. باعتناء عبد الرحمن يحيى المعلمي اليماني. الناشر محمد أمين دمج.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة: علي بن يوسف القفطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ م.
- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل: مجير الدين الحنبلي. دار الجيل. عمان ١٩٧٣ م.
- أنس المسجون وراحة المحزون. صفي الدين الحلبي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار البشائر دمشق ١٩٩٧م.
- الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني. لفيف من الأساتذة. الناشر محمد أمين دمج ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا بن محمد أمين. مكتبة المثنى. بغداد.
- البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي. مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النهضة الرياض ١٩٦٦ م.
- بستان العارفين: محيي الدين بن شرف النووي. باعتناء محمد الحجاز. دار الوعي حلب.
- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: محمد بن محمد بن أبي مريم. باعتناء محمد بن أبي شنب. المطبعة الثعالبية ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضبي. دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م.
- بلدان الخلافة الشرقية: كي لسترنج. مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م.
- بهارستان = الربيع
- التاريخ: يحيى بن معين. تحقيق د. أحمد محمد نور سيف. جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩ـ١٩٧٩.

- تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان. أشرف على الترجمة د. محمود فهمي حجازي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥ م.
- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مكتبة القدسي ١٣٦٧ هـ.
- تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي. مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م.
- تاريخ ثغر عدن: الطيب بن عبد الله بن أبي مخرمة. دار الجيل ودار عمّار ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- تاريخ حلب = أعلام النبلاء.
- تاريخ خليفة: خليفة بن خياط. تحقيق أكرم ضياء العمري. مؤسسة الرسالة ودار القلم ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- تاريخ الخميس: ابن خميس. دار صادر.
- تاريخ داريا: عبد الجبار الخولاني. باعتناء سعيد الأفغاني. مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.
- التاريخ الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار المعرفة بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م.
- التاريخ الكبير: إسماعيل بن إبراهيم البخاري. المكتبة الإسلامية تركيا.
- تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن عساكر. أجزاء متفرقة. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه: ابن حجر العسقلاني. تحقيق علي محمد البجاوي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: علي بن الحسن بن عساكر. دار الفكر ١٣٩٩ هـ.
- تجارب الأمم: أحمد بن محمد مسكوية. شركة التمدن الصناعية بمصر ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م.
- تحفة الأحباب وبغية الطلاب: علي بن أحمد بن عمر السخاوي. باعتناء محمود ربيع وحسن قاسم. مطبعة العلوم والآداب بالقاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.
- تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م.
- تراجم الأعيان: البوريني. تحقيق صلاح الدين المنجد. مجمع اللغة العربية بدمشق.
- التشوف إلى رجال التصوف: يوسف بن يحيى ابن الزيات. باعتناء أدولف فور. مطبوعات إفريقية الشمالية. الرباط ١٩٥٨ م.
- التعرف لمذهب أهل التصوف. تصحيح. اربري. مكتبة الخانجي ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م.

- تكملة إكمال الكمال: محمد بن علي ابن الصابوني. تحقيق د. مصطفى جواد. مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م.
- التكملة لكتاب الصلة: محمد بن عبد الله ابن الأبار. باعتناء السيد عزت العطار الحسيني. مكتب نشر الثقافة الإسلامية ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م.
- التكملة لوفيات النقلة: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. تحقيق بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م.
- تلخيص المتشابه في الرسم: أحمد بن علي الخطيب البغدادي. تحقيق سكينة الشهابي. دار طلاس ١٩٨٥ م.
- تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين بن شرف النووي. إدارة الطباعة المنيرية.
- تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية. حيدرآباد الدكن ١٣٢٧ هـ. الهند.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: أبو الحجاج يوسف المزي. تحقيق د. بشار عواد معروف. مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م.
- توضيح المشتبه: ابن ناصر الدين الدمشقي. تحقيق محمد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م.
- الثقات: محمد بن حبان البستي. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م. الهند.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول: المبارك بن محمد ابن الأثير، ج (١ـ١١) تحقيق عبد القادر الأرنؤوط. مكتبة الحلواني والملاح ودار البيان ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م. ج (١٢ـ١٥) بإشراف عبد القادر الأرنؤوط. دار ابن الأثير ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.
- جامع كرامات الأولياء: يوسف بن إسماعيل النبهاني. دار الكتب العربية الكبرى بمصر.
- الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن أبي حاتم. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م الهند.
- جوامع آداب الصوفية. لأبي عبد الرحمن السلمي. تحقيق سليمان آتش. الناشر للطباعة والنشر ١٩٩٣م.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر القرشي. تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو. مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
- الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية. تحقيق محمد خالد الخرسة. دار البيروتي.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي. مطبعة الموسوعات ١٣٢١ هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم الأصبهاني. مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة بمصر ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م.
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة: عبد الرزاق بن الفوطي. المكتبة العربية ببغداد ١٣٥١ هـ.
- حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري. المطبعة العامرة الشرفية ١٣٢١ هـ.

- الخطط التوفيقية: علي مبارك. مطبعة دار الكتب ١٩٦٩ م.
- الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار): أحمد بن علي المقريزي. مطبعة النيل ١٣٢٤ هـ.
- الدارس في تاريخ المدارس: عبد القادر بن محمد النعيمي. تحقيق جعفر الحسني. المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- دائرة المعارف الإسلامية. دار الفكر.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند ١٣٤٨ هـ.
- الدليل الشافي على المنهل الصافي: يوسف بن تغري بردي. تحقيق فهيم محمد شلتوت. جامعة أم القرى.
- دمية القصر وعُصرة أهل العصر: علي بن الحسن الباخرزي. تحقيق د. محمد ألتونجي.
- دول الإسلام: محمد بن أحمد الذهبي. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣٣٧ هـ.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: إبراهيم بن علي بن فرحون. مطبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون مصر ١٣٥١ هـ.
- ديوان الأعشى - دار صادر.
- ديوان أبي تمام. طبعة دار الكتاب العربي.
- ديوان الحلاج: جمع الدكتور سعدي الضناوي - دار صادر. ١٩٩٨.
- ديوان ديك الجن. جمع وتحقيق مظهر الحجي. منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٨٧م.
- ديوان ابن الرومي.
- ديوان زهير بن أبي سلمى. دار الكتب المصرية ١٩٤٤م.
- ديوان العفيف التلمساني: تحقيق د. يوسف زيدان. دار أخبار اليوم القاهرة.
- ديوان ابن الفارض. دار صادر.
- ديوان لبيد بن أبي ربيعة: تحقيق د. إحسان عباس. وزارة الثقافة الكويت. ١٩٦٢.
- ديوان مجنون ليلى. جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج. مكتبة مصر.
- ديوان محمود الوراق. جمع وتحقيق د. وليد قصاب.
- ذكر أخبار أصبهان: أبو نعيم الأصبهاني. ليدن ١٩٣٤ م.
- ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات: أبو عبد الرحمن السلمي. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية.
- الذيل على الروضتين: عبد الرحمن بن إسماعيل، أبو شامة المقدسي. باعتناء محمد زاهد الكوثري ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م.
- الذيل على طبقات الحنابلة: عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي. دار المعرفة بيروت.
- الربيع (بهارستان): عبد الرحمن الجامي. ترجمة أحمد كمال الدين حلمي. جامعة الكويت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

- الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري. تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف. دار الكتب الحديثة بمصر.
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: محمد بن جعفر الكتاني. مطبعة دار الفكر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م.
- رشحات عين الحياة: علي الهروي. مصورة دار صادر.
- روح القدس في محاسبة النفس: محيي الدين ابن العربي. تحقيق عزة حصرية. مطبعة العلم ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.
- روض الرياحين في حكايا الصالحين: عبد الله بن أسعد اليافعي. باعتناء: محمد أديب الجادر وعدنان عبد ربه ومأمون الصاغرجي. دار البشائر ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- روضات الجنات في أحوال السادات. الخوانساري. الدار الإسلامية. بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الزهد: عبد الله بن المبارك.
- زيارات الشام: ابن الحوراني. المكتبة العلمية في دمشق.
- سنن ابن ماجه. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر.
- سنن أبي داود. تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد. دار الحديث حمص ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- سنن الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر وأساتذة. دار إحياء التراث العربي.
- سنن النسائي. اعتناء عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- سيرة ابن الخفيف الشيرازي: أبو الحسن الديلمي تصحيح ا. شيمل - طاري. أنقرة ١٩٥٥م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد مخلوف. دار الكتاب العربي.
- شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار: معين الدين أبو القاسم جنيد الشيرازي تحقيق محمد قزويني وعباس إقبال. طهران ١٣٠٨.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد. دار المسيرة بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق محمد السعيد زغلول. دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: طاش كبري زاده. دار الكتاب العربي. بيروت ١٣٩٥ - ١٩٧٥م.
- صحيح البخاري = فتح الباري.
- صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- صفة الصفوة: ابن الجوزي. تحقيق محمود فاخوري. دار المعرفة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- الضعفاء الكبير: محمد بن عمرو العقيلي. تحقيق د. عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن السخاوي. مكتبة القدسي القاهرة ١٣٥٣ هـ.

ـ الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد: جعفر بن ثعلب الأدفوي. تحقيق سعد محمد حسن. الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م.
ـ طبقات الأطباء = عيون الأنباء.
ـ طبقات الأولياء: عمر بن علي بن الملقن. تحقيق نور الدين شريبة. مكتبة الخانجي ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م.
ـ طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى. باعتناء محمد حامد الفقي. مطبعة السنة المحمدية ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م.
ـ طبقات خليفة: خليفة بن خياط. تحقيق أكرم ضياء العمري. مؤسسة الرسالة.
ـ طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص: أحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي. المطبعة الميمنية بمصر.
ـ طبقات الشاذلية: الحسن بن محمد الكوهن. اعتناء محمد أديب الجادر. دار البيروتي دمشق.
ـ طبقات الشافعية: أبو بكر بن هداية الله الحسيني. تحقيق عادل نويهض. دار الآفاق الجديدة بيروت ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٣ م.
ـ طبقات الشافعية: عبد الرحيم الإسنوي. تحقيق عبد الله الجبوري. رئاسة ديوان الأوقاف العراق ١٣٩٠ هـ.
ـ طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي السبكي. تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي.
ـ الطبقات الصغرى للمناوي = إرغام أولياء الشيطان.
ـ طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن السلمي. تحقيق نور الدين شريبة. الناشر جماعة الأزهر للنشر والتأليف ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م.
ـ طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي. تحقيق إحسان عباس. دار الرائد العربي ١٩٧٠ م.
ـ طبقات الفقهاء الشافعية: ابن الصلاح. تحقيق محي الدين علي نجيب. دار البشائر الإسلامية ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.
ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد. دار صادر بيروت.
ـ الطبقات الكبرى: ابن سعد (القسم المتمم) تحقيق زياد محمد منصور. مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م.
ـ الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار): عبد الوهاب الشعراني. دار الفكر.
ـ الطبقات الكبرى للمناوي = الكواكب الدرية.
ـ طبقات المحدثين بأصبهان: أبو الشيخ الأنصاري. تحقيق عبد الغفور البلوشي. مؤسسة الرسالة ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.
ـ طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي. ليدن ١٣٨٩ هـ.
ـ طبقات المفسرين: محمد بن علي الداوودي. تحقيق علي محمد عمر. مكتبة وهبة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.
ـ العبر في خبر من غبر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق د. صلاح الدين المنجد. دائرة المطبوعات والنشر في الكويت ١٩٦٠ م.
ـ العبر (نص مستدرك): الذهبي. محمد رياض مراد. مجمع اللغة العربية دمشق.
ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: محمد بن أحمد الحسني الفاسي. تحقيق محمد حامد الفقي. مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية: أحمد بن أحمد الغبريني. تحقيق عادل نويهض. منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر. بيروت ١٩٦٩ م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء: أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ م.
- غاية النهاية في طبقات القراء: محمد بن محمد بن الجزري. باعتناء برجستراسر. مكتبة الخانجي ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر دمشق.
- الفتوحات المكية: محيي الدين بن عربي، دار الكتب العربية الكبرى ١٣٢٩ هـ.
- الفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه بن شهردار الديلمي. تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م بيروت.
- الفلاكة والمفلكون: أحمد بن علي الدلجي. مطبعة الشعب ١٣٢٢ هـ.
- الفهرست: محمد بن إسحاق ابن النديم. المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
الفهرسة: ابن خير.
- فوات الوفيات: محمد شاكر الكتبي. تحقيق إحسان عباس. دار صادر.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية: محمد عبد الحي اللكنوي. باعتناء محمد بدر الدين النعساني. مطبعة السعادة ١٣٢٤ هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي. المكتبة التجارية مصر.
- قاموس الأطبا وناموس الألبا: مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري. مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية. وضعه محمد رمزي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ م.
- قاموس الفارسية. تأليف عبد النعيم حسنين. دار الكتاب العربي.
- قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر الجيلاني: محمد بن يحيى التادفي الحنبلي. مطبعة مصر.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية: محمد بن طولون. تحقيق محمد أحمد دهمان. مكتبة الدراسات الإسلامية بدمشق ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م.
- الكامل في التاريخ: علي بن محمد ابن الأثير. دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني. تحقيق د. سهيل زكار. دار الفكر بدمشق ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمد بن حبان البستي. تحقيق محمود إبراهيم زايد. دار الوعي بحلب ١٣٩٦ هـ.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي. مكتبة لبنان.

- كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني. مكتبة القدسي ١٣٥١ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة. مكتبة المثنى بغداد.
- كشف المحجوب: الهجويري. دراسة وترجمة دكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- الكنى والأسماء: مسلم بن الحجاج القشيري. نسخة مصورة عن مخطوطة المكتبة الظاهرية. دار الفكر ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي. باعتناء بكري حياني، وصفوة السقا. مؤسسة الرسالة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية (الطبقات الكبرى): عبد الرؤوف المناوي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار صادر ١٩٩٩.
- الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة: محمد ابن الزيات. المطبعة الأميرية ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م.
- اللباب في تهذيب الأنساب: علي بن محمد ابن الأثير. مكتبة القدسي بمصر ١٣٥٧ هـ.
- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن الهند ١٣٣١ هـ.
- اللمع في التصوف: أبو نصر الطوسي. اعتنى به نيكلسون. ليدن ١٩١٤م.
- متن اللغة: أحمد رضا. دار مكتبة الحياة بيروت ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي. مكتبة القدسي ١٣٥٢ هـ مصر.
- مجمل فصيحي: فصيح أحمد بن محمد الخوافي. تحقيق محمود فرّخ. مشهد ١٩٦١م.
- المختار من مناقب الأخيار: ابن الأثير. مخطوطة هولندا.
- مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور. تحقيق لفيف من الأساتذة. دار الفكر ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- المختصر في أخبار البشر: إسماعيل أبو الفداء. المطبعة الحسينية بمصر ١٣٢٥ هـ.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد اليافعي. مطبعة دائرة المعارف النظامية. حيدرآباد الدكن ١٣٣٧ هـ.
- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣٣٤ هـ.
- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد: محب الدين بن النجار البغدادي. تحقيق محمد مولود خلف. مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- مسند أبي داود الطيالسي. دار المعرفة بيروت.
- مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م دمشق.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل. المكتب الإسلامي، ودار صادر بيروت.
- مشاهير علماء الأمصار: محمد بن حبان البستي. باعتناء فلايشهمر. مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
- المشتبه: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٢ م.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: عمر بن حسن بن دحية. تحقيق إبراهيم الأبياري، و د. حامد عبد المجيد. دار العلم للجميع لبنان ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- المعارف: عبد الله بن مسلم بن قتيبة. تحقيق ثروة عكاشة. مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٦٠ م.
- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: عبد الرحمن بن محمد الدباغ. المطبعة العربية بتونس ١٣٢٠ هـ.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي. مكتبة عيسى البابي الحلبي.
- المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق د. محمود الطحان. مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار صادر، ودار بيروت ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- المعجم الجغرافي في القطر السوري. مركز الدراسات العسكرية. دمشق ١٩٩٠
- المعجم الصغير: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق كمال يوسف الحوت. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبراني. تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي. وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. العراق.
- المعجم المشتمل على ذكر أسماء شيوخ الأئمة النبل: ابن عساكر. تحقيق سكينة الشهابي. دار الفكر.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: عمر رضا كحالة. المكتبة العربية بدمشق ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- معرفة الرجال: يحيى بن معين. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- معرفة القراء الكبار: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق بشار معروف وصالح عباس وشعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف بمصر.
- المغني في الضعفاء: محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق نور الدين عتر. دار المعارف حلب ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبري زاده. مطبعة دائرة المعارف النظامية حيدرآباد الدكن.
- الملامتية وأهل التصوف وأهل الفتوة: تأليف د. أبو العلا عفيفي. دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: محمد بن عبد الرحمن السخاوي. صححه عبد الله محمد الصديق. مكتبة الخانجي بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
- منازل السائرين: عبد الله الأنصاري الهروي. المعهد العلمي الفرنسي. ١٩٦٢. تحقيق س. دي لوجيه دي بوركي الدومنكي.

- مناقب الأخيار: ابن خميس. مخطوطة الظاهرية.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: عبد الرحمن بن علي الجوزي. مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ١٣٥٧ هـ.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: يوسف بن تغري بردي. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ م مصر.
- الموطأ: الإمام مالك بن أنس. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- مؤلفات الغزالي. د. عبد الرحمن بدوي.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي. تحقيق علي محمد البجاوي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي مصورة عن طبعة دار الكتب.
- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسني. مطبعة دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية: عبد الله بن أسعد اليافعي. تحقيق إبراهيم عطوة عوض. مطبعة البابي الحلبي بمصر ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق إحسان عباس. دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. باعتناء أحمد زكي بك. المطبعة الجمالية ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري. تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي. دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بن أحمد بابا التنبكتي. مطبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون. مصر ١٣٥١ هـ.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا بن محمد أمين. مكتبة المثنى بغداد.
- الوافي بالوفيات: خليل بن أيبك الصفدي. النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمان ١٩٣١ م.
- وفيات ابن منقذ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن خلكان. تحقيق د. إحسان عباس. دار صادر.
- يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر: عبد الملك الثعالبي. المطبعة الحفنية. دمشق.

* * *

فهرس الموضوعات

حسب ترتيب المؤلف

فهرس المترجم لهم

النساء

المجهولات

* * *